التلخيص في تفسير القرآن العزيز

تأليف

الإمام العالم أبي العباس الكواشي

أحمد بن يوسف بن الحسن

المتوفى سنة ٦٨٠هـ

المجلد الثالث

تحقيق

دكتور

عمار قدري العياضي

دار البشير
الإمارات

دار ابن حزم

التلخيص في تفسير القرآن العزيز

تأليف

الإمام العالم أبي العباس الكواشي

أحمد بن يوسف بن الحسين

المتوفى سنة (٦٨٠هـ)

المجلد الثالث

تحقيق

دكتور

عماد قدري العياضي

دار البشير
الإمارات

دار ابن حزم

التلخيص

في

تفسير القرآن العزيز

٣

الطبعة الأولى
١٤٤٠هـ/٢٠١٩م

الكتب والدراسات التي تصدرها الدار
تعبر عن آراء واجتهادات أصحابها

دار البشير
الإمارات العربية المتحدة
الشارقة - ميسلون - شارع الشيخ زايد
ت/ ٠٠٩٧١٦٥٦٣٢٩٨٠
موبايل/ ٠٠٩٧١٥٠٥٩٦٠٧٠٢

دار ابن حزم
بيروت - لبنان - ص.ب : 14/6366
هاتف وفاكس : 701974 - 300227 (009611)
البريد الإلكتروني : ibnhazim@cyberia.net.lb
الموقع الإلكتروني : www.daribnhazm.com

سورة (النحل)

وتسمىٰ سورة النعم، مكية إلا من : ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ...﴾ إلىٰ آخرها، وهي مائة وثماني وعشرون آية.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿أَتَىٰٓ أَمْرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١﴾ يُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ أَنْ أَنذِرُوٓا۟ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱتَّقُونِ ﴿٢﴾ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ۚ تَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣﴾ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴿٤﴾﴾

كانوا يستبطئون نزول العذاب؛ سخرية بالنبيّ ﷺ واستهزاءً فنزل: ﴿أَتَىٰٓ﴾: قرب ﴿أَمْرُ ٱللَّهِ﴾: فوثب ﷺ قائمًا وحذر الناس من قيام السّاعة، فنزل ﴿فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ﴾: (تا) لا تطلبوا الأمر قبل حينه فاطمأنوا، قال تعالىٰ: ﴿أَتَىٰٓ﴾ ولم يأت لأنَّ ما أخبر عنه بالإتيان، فهو آت، فكأنَّ المستقبل من فعل الله تعالىٰ قد صار لتحقق وقوعه ماضيًا، وأَمْرُ الله تعالىٰ هنا القيامة، أو الأحكام والحدود، أو عقوبة المكذبين، أو نزلت لمَّا قال النضر بن الحارث: ﴿ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ﴾ إلىٰ ﴿أَوِ ٱئْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [الأنفال:٣٢] فقتل يوم بدر صبرًا، وقرئ: (يستعجلوه) بالياء غيبة، أي: المستهزئون.

ولمَّا استعجلوا العذاب استهزاءً بالنبي ﷺ وجعلوا آلهتهم شركاء لله نزَّه تعالىٰ نفسه فقال: ﴿سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾: (حس) به من معبوديهم فما موصولة، أو مصدرية.

القراءة : ﴿يُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ﴾: بضم الياء وكسر الزاء خفف الفعل أو ثقل ونصب الملائكة، وقرئ: بتاء معجمة الأعلىٰ وفتح الزاء مشددة ورفع الملائكة وبفتح التاء والنون والزاء مع تشديد الزاء ورفع الملائكة، وبنونين ونصب الملائكة.

ومحل ﴿بِٱلرُّوحِ﴾: أي: بالوحي أو الرحمة؛ لأنَّها بمنزلة الروح أو جبريل، فالباء بمعنىٰ «مع»، أو القرآن؛ لأنَّه حياة القلوب حال من الملائكة، أي: نزلت ومعها الروح.

ومحل ﴿مِنْ أَمْرِهِۦ﴾: أي: وحيه حال من الروح، أو من بمعنىٰ الباء، أي: بإرادته [ق/ ٢١٢ب].

ومحل ﴿أَنْ أَنذِرُوٓاْ﴾: جر بدل من الروح إن جعلت أن مصدرية، وإن جعلتها تفسيرًا فلا محل لها من الإعراب.

المعنىٰ: خوفوا المشركين وعرفوهم ﴿أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱتَّقُونِ﴾: (تا) خافون.

تلخيصه: عرفوهم التوحيد مخوفين ﴿بِٱلْحَقِّ﴾: (كا).

﴿يُشْرِكُونَ﴾: (حس).

ونزل في منكري البعث: ﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ﴾: أي: مني، ﴿فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ﴾: شديد الخصومة ﴿مُّبِينٌ﴾: (كا) بينها، وجيء بالفاء إشارة إلىٰ سرعة نسيانهم ابتداء خلقهم، يحسن الوقف هنا إن نصبت:

﴿ وَٱلْأَنْعَٰمَ خَلَقَهَاۗ لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَٰفِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٥﴾ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ ﴿٦﴾ وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُواْ بَٰلِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ ٱلْأَنفُسِۚ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٧﴾ وَٱلْخَيْلَ وَٱلْبِغَالَ وَٱلْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةًۚ وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨﴾ ﴾

﴿وَٱلْأَنْعَٰمَ﴾: بمضمر، يفسره ﴿خَلَقَهَاۗ﴾: (حس) ويكفي إن عطفت ﴿وَٱلْأَنْعَٰمَ﴾ علىٰ ﴿خَلَقَهَاۗ﴾.

﴿لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ﴾: كل ما يستدفأ به كأكسية وأردية وأخبية.

﴿وَمَنَٰفِعُ﴾: كثمن ونسل.

﴿وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾: (كا) وقيد بالأكل من الأنعام؛ لأنَّ الأكل منها هو المعتمد، وإن أكل من غيرها كالدجاج، فللتداوي أو التفكه.

﴿وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ﴾: زينة، **وقرئ**: بكسر الجيم.

﴿حِينَ تُرِيحُونَ﴾: تردونها بالعشي من مراعيها إلىٰ مباركها.

﴿وَحِينَ تَسْرَحُونَ﴾: (كا) تخرجون بها بالغداة من مراحها إلىٰ مسرحها، وقدم الإراحة علىٰ التسريح؛ لأنَّها في المراح أحسن خلقًا منها في المسرح، وأكثر لبنًا، وأعجب إلىٰ صاحبها.

وقرئ: (حينًا تريحون وحينًا تسرحون)، فتريحون وتسرحون وصف للحين، أي تريحون فيه وتسرحون فيه.

﴿وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ﴾: أعباءكم.

﴿إِلَىٰ بَلَدٍ﴾: هي مكة، أو جميع البلاد.

﴿لَّمْ تَكُونُوا بَالِغِيهِ﴾: واصلين إليه لو لم نخلق الإبل فرضًا ﴿إِلَّا بِشِقِّ الْأَنفُسِ﴾: (كا) بجهدها؛ لأنَّ الشق المشقة والانكسار يلحق الإنسان، وقرئ بفتح الشين لغتان كرِطْل ورَطْل، والشق النصف، فكأن الجهد ذهب بنصف القوة.

﴿رَّحِيمٌ﴾: (كا)؛ لأنَّ ﴿وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً﴾: مصدر، أو مفعول له عطف علىٰ الأنعام، أي: خلق هذه الأشياء للركوب والزينة، فيه حجة لمن يحرم لحوم الخيل وهو ابن عباس والحكم ومالك وأبو حنيفة؛ لأنَّه علل خلق هذه الأشياء بالركوب والزينة ولم يذكر الأكل.

والحسن وشريح وعطاء وابن جبير والشافعي وأحمد وإسحاق أباحوا لحوم الخيل وقالوا: ليس المراد تحليل ولا تحريم، إنما المراد تعريف النعمة، وتنبيه علىٰ القدرة[1]، واحتجوا علىٰ ذلك بما روي أنَّه ﷺ نهىٰ يوم خيبر عن لحوم

(١) قال ابن المنذر: الخيل داخل فيما أباح الله مما لم ينزل بتحريمه كتاب، ولا جاءت=

الحمر الأهلية، ورخص في لحوم الخيل، وروي: أنَّه أطعمنا لحوم الخيل ونهانا عن لحوم الحمر[(١)].

وعن أسماء قالت: نحرنا علىٰ عهد رسول الله ﷺ فرسًا فأكلناه، وروي: ونحن بالمدينة فأكلناه[(٢)].

= بتحريمه سنة، ولا أجمع علىٰ تحريمه أهل العلم.
بل قد جاءت أخبار ثابتة عن رسول الله ﷺ تدل علىٰ إباحة أكل لحوم الخيل.
وفي حديث جابر بن عبد الله أن النبي ﷺ: «**أطعمهم لحوم الخيل، وأمرهم بها، ونهاهم عن لحوم الحمر**».
وقالت أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما: «أكلنا لحم فرس علىٰ عهد رسول الله ﷺ ونحن بالمدينة».
قال أبو بكر: وقد اختلف أهل العلم في أكل لحوم الخيل.
فروينا عن ابن عباس رضي الله عنهما: أنه كان يكرهه. وتناول هذه الآية. ﴿وَٱلْخَيْلَ وَٱلْبِغَالَ وَٱلْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا﴾ وحرم الحكم بن عتيبة لحوم الخيل. وكرهه مجاهد.
وقال مالك: لا تؤكل، واحتج بالآية التي احتج بها ابن عباس.
وقال ابن الحسن في لحوم الخيل: تركه أحب إلي.
وقال أبو عبيد: لا تؤكل.
وأباحت فرقة أكل لحوم الخيل. واحتجوا بأن ما لم يحرم حلال علىٰ ما ذكرناه.
واحتجوا مع ذلك بالأخبار التي رويت عن النبي ﷺ أنه أطعمهم لحوم الخيل، وأمرهم بها.
وقال جابر: «أكلنا زمن خيبر الخيل، وحمر الوحش».
وقد روي عن ابن الزبير أنه قسم لحم فرس.
ورخص في لحوم الخيل: شريح، والحسن البصري، وعطاء بن أبي رباح، والأسود بن يزيد، وحماد بن أبي سليمان، وسعيد بن جبير، والشافعي، وأحمد، وإسحاق، وأبو ثور.
وكان ابن عمر يكره سؤر الحمار والكلب، ولا يرىٰ بسؤر الفرس بأسا، ليعلم أن مذهبه أن أكل لحمه مباح عنده.
ورخص فيه الثوري، وابن المبارك.
«الإشراف» (٨/ ١٦٠-١٦١).

(١) أخرجه البخاري (٥٢٠١)، ومسلم (١٩٤١) من حديث جابر بن عبدالله رضي الله عنهما.
(٢) أخرجه البخاري (٥١٩١)، ومسلم (١٩٤٢).

وقرئ: (لتركبوها زينة) بلا واو حالًا من هاء.

﴿وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾: (حس) كيف يخلقه، أو ما لا ترونهم من الخلائق كالملائكة.

﴿وَعَلَى ٱللَّهِ قَصْدُ ٱلسَّبِيلِ وَمِنْهَا جَآئِرٌ ۚ وَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩﴾ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً ۖ لَّكُم مِّنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ ﴿١٠﴾ يُنۢبِتُ لَكُم بِهِ ٱلزَّرْعَ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلنَّخِيلَ وَٱلْأَعْنَـٰبَ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١١﴾﴾

﴿قَصْدُ﴾: تعديل ﴿ٱلسَّبِيلِ﴾: الطريق إلىٰ طاعته، وليس قصد هنا مصدر قصدته أتيته، وأصل القصد الاستقامة.

تلخيصه: وضوح طريق الهدىٰ.

﴿وَمِنْهَا﴾: أي: السبيل؛ لأنَّها تذكر وتؤنث.

وقرئ: (ومنكم).

﴿جَآئِرٌ﴾ (حس) عادل عن الاستقامة، وقصد السبيل: الإسلام وما فيه من الشرائع والأحكام.

﴿وَلَوْ شَآءَ﴾: مشيئة قسر ﴿لَهَدَىٰكُمْ﴾: إلىٰ صلاحكم ﴿أَجْمَعِينَ﴾: (تا).

﴿لَّكُم مِّنْهُ﴾: من الماء المنزل ﴿شَرَابٌ﴾: تشربونه.

﴿وَمِنْهُ﴾: أي: ينبت بسببه ﴿شَجَرٌ فِيهِ﴾: في النبات ﴿تُسِيمُونَ﴾: (حس) ترعون دوابكم من سامت الماشية رعت وأسمتها أنا.

القراءة: ﴿يُنۢبِتُ لَكُم﴾ [ق/ ١٢٦أ]: بالياء والنون، أي الله تعالىٰ، ونصب ﴿ٱلزَّرْعَ﴾: وقرئ: (ينبّت) مشددًا و(ينبت) وبرفع ﴿ٱلزَّرْعَ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلنَّخِيلَ وَٱلْأَعْنَـٰبَ﴾.

و﴿مِن﴾ في ﴿وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ﴾: (كا) تبعيض.

﴿لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ﴾: (كا) في الصنعة فيستدلون بها علىٰ صانعها.

﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَۖ وَٱلنُّجُومُ مُسَخَّرَٰتُۢ بِأَمۡرِهِۦٓۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ ﴿١٢﴾ وَمَا ذَرَأَ لَكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُخۡتَلِفًا أَلۡوَٰنُهُۥٓۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لِّقَوۡمٖ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٣﴾ وَهُوَ ٱلَّذِي سَخَّرَ ٱلۡبَحۡرَ لِتَأۡكُلُواْ مِنۡهُ لَحۡمٗا طَرِيّٗا وَتَسۡتَخۡرِجُواْ مِنۡهُ حِلۡيَةٗ تَلۡبَسُونَهَاۖ وَتَرَى ٱلۡفُلۡكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِهِۦ وَلَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ﴿١٤﴾﴾

﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ﴾: (تا) علىٰ **القراءة**: ﴿وَٱلشَّمۡسَ﴾: مبتدأ ﴿وَٱلۡقَمَرَۖ وَٱلنُّجُومُ﴾: عطف عليه والخبر ﴿مُسَخَّرَٰتُۢ بِأَمۡرِهِۦٓۚ﴾: (كا) **القراءة**: أيضًا والشمس والقمر نصبًا عطفًا علىٰ ﴿ٱلنَّهَارَ﴾، ورفع ﴿وَٱلنُّجُومُ مُسَخَّرَٰتُۢ﴾ مبتدأ وخبر، فالوقف علىٰ القمر، **القراءة**: أيضًا بنصب الكل، فلا وقف من ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ﴾ إلىٰ ﴿بِأَمۡرِهِۦٓۚ﴾.

﴿يَعۡقِلُونَ﴾: (حس) إن نصبت ﴿وَمَا ذَرَأَ﴾ [ق/ ١٤٩جـ]: **وقرئ**: (ذرا) بلا همز بمضمر، أي: انظروا وغير جائز اختيارًا إن نصبته عطفًا علىٰ ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ﴾.

﴿يَذَّكَّرُونَ﴾: (تا).

﴿وَهُوَ ٱلَّذِي سَخَّرَ ٱلۡبَحۡرَ﴾: العذب والملح.

ثم علل ذلك، فقال: ﴿لِتَأۡكُلُواْ مِنۡهُ﴾: أي: من العذب والملح ﴿لَحۡمٗا طَرِيّٗا﴾: هو السمك، ووصف بالطراوة لتسارع الفساد إليه، فيتسارع إلىٰ أكله طريًّا ولا يهمز طريًّا لأنَّه من الطراوة.

﴿وَتَسۡتَخۡرِجُواْ مِنۡهُ﴾: وإلىٰ من الملح عطف علىٰ ﴿لِتَأۡكُلُواْ﴾.

﴿حِلۡيَةٗ﴾: زينة وهو اللؤلؤ والمرجان، فيه دليل علىٰ أن اللؤلؤ والمرجان من الحلي.

﴿مَوَاخِرَ فِيهِ﴾: جواري في البحر مقبلة ومدبرة بريح واحدة، وأصل المخر:

الشَّقُّ لا أحبّ الوقف من ﴿يَذَّكَّرُونَ﴾ إلىٰ ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾: (كا) الله؛ لتوالي النعمة عليكم.

﴿وَأَلْقَىٰ فِي ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَٰرًا وَسُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥﴾ وَعَلَٰمَٰتٍ وَبِٱلنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ ﴿١٦﴾ أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٧﴾ وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٨﴾ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴿١٩﴾﴾

﴿أَن تَمِيدَ﴾: أي: لئلا تميل.

﴿وَأَنْهَٰرًا وَسُبُلًا﴾: أي: وجعل فيها أنهارًا وطرقًا.

﴿وَعَلَٰمَٰتٍ﴾: (حس) كجبال ومياه وأشجار يهتدىٰ به.

﴿وَبِٱلنَّجْمِ﴾: عام في كل نجم، أو خاص بالثريا وبنات نعش والفرقدين والجدي، أو الجدي والفرقدان، أو النجوم علامات الليل وغيرها علامات النهار، وقرئ: بضم النون جمع نجم كسقف وسقف، أو أراد النجوم، ثم حذفت الواو، وبضم النون وسكون الجيم تخفيفًا.

﴿هُمْ﴾: أي قريش ﴿يَهْتَدُونَ﴾: (تا) إلىٰ القبلة، أو في السير، وجاء بمن في ﴿أَفَمَن يَخْلُقُ﴾: أي الله تعالىٰ ﴿كَمَن لَّا يَخْلُقُ﴾: أي: الأصنام ومن للعقلاء؛ لأنهم سموها آلهة فأجريت مجرىٰ العقلاء.

تلخيصه: الله الخالق خير أم آلهتكم العجزة.

﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾: (حس) فتتعظون فتؤمنون.

﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ﴾: لا تضبطوا عدَّها، فكيف تطيقون شكرها ومع ذلك فهو بكم ﴿رَّحِيمٌ﴾: (حس).

﴿وَمَا تُعْلِنُونَ﴾: (كا).

﴿وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿٢٠﴾ أَمْوَٰتٌ غَيْرُ أَحْيَآءٍ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴿٢١﴾ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْأٓخِرَةِ قُلُوبُهُم مُّنكِرَةٌ وَهُم

مُّسْتَكْبِرُونَ ﴿٢٢﴾ لَا جَرَمَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْتَكْبِرِينَ ﴿٢٣﴾﴾

القراءة: ﴿يَدْعُونَ﴾: بالتاء والياء، أي: ومعبودوكم الذين تدعونهم آلهة ﴿مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْـًٔا﴾: لعجزهم ﴿وَهُمْ يُخْلَقُونَ﴾: (حس) لأنَّهم يتخذون من الحجارة وغيرها.

﴿أَمْوَٰتٌ﴾: خبر ثان لهم، أو خبر مبتدأ، أي: هم أموات، ولم يقل: أمواتًا؛ لأنَّهم صوروا علىٰ شكل من يحله الروح.

﴿غَيْرُ أَحْيَآءٍ﴾: صفة مؤكدة لأموات.

﴿وَمَا يَشْعُرُونَ﴾: أي الكفار ومعبودوهم ﴿أَيَّانَ﴾: نصب بقوله: ﴿يُبْعَثُونَ﴾: (تا).

تلخيصه: لا علم لهم بالغيب.

ثم نفىٰ ألوهية الأصنام وعرفهم الإلة حقيقة، فقال: ﴿إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾: لا يُشارك.

﴿مُّسْتَكْبِرُونَ﴾: (تا) متعظمون عن الإيمان.

﴿وَمَا يُعْلِنُونَ﴾: (كا).

﴿لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْتَكْبِرِينَ﴾: (حس) علىٰ التوحيد والإيمان، أو هو عام في كل مستكبر، قال ﷺ: **«لا يدخل الجنة من في قلبه مثقال ذرة من كبر، ولا يدخل النار من في قلبه مثقال ذرة من [إيمان]**(١)**»**(٢).

﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُم مَّاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوٓا۟ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٤﴾ لِيَحْمِلُوٓا۟ أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ ٱلَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ ﴿٢٥﴾ قَدْ مَكَرَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَأَتَى ٱللَّهُ بُنْيَٰنَهُم مِّنَ ٱلْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ ٱلسَّقْفُ مِن فَوْقِهِمْ

(١) في جـ: الإيمان، والمثبت من أ، ب.

(٢) أخرجه مسلم (٩١) من حديث ابن مسعود رضي الله عنه.

وَأَتَىٰهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٦﴾﴾

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُم﴾: لمشركي مكة، أو للمقتسمين، أو النضر بن الحارث ﴿مَّاذَآ﴾: نصب بقوله ﴿أَنزَلَ رَبُّكُمْ﴾: (كا).

﴿قَالُوٓاْ﴾: سخرية واستهزاء: ﴿أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾: **وقرئ**: (أساطيرَ) نصبًا، أي: ذكرتم أساطير، لا أحب الوقف هنا؛ لأنَّ اللام بعد تعليل وهي لام العاقبة، أي فعلوا ذلك ﴿لِيَحْمِلُوٓاْ أَوْزَارَهُمْ﴾: ذنوبهم ﴿كَامِلَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ﴾: أي ذنوب ﴿ٱلَّذِينَ يُضِلُّونَهُم﴾.

ومحل ﴿بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾: (حس) حال من المفعول أي: يضلون من لا يعلم أنهم ضلال، وإنما حملوا أوزار متبعيهم [ق/ ٢١٣ب]؛ لأنَّهم دعوهم إلىٰ الضلال فأتبعوهم، فمن تبعيض.

المعنىٰ: حملوا جميع آثامهم وبعض آثام متبعيهم،أو من زائدة.

﴿أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ﴾: (تا).

﴿قَدْ مَكَرَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾: قالوا: المراد: نمروذ حيث بنىٰ قصرًا في غاية الحصانة والارتفاع؛ ليقاتل عليه من في السماء بزعمه، ﴿فَأَتَى ٱللَّهُ بُنْيَٰنَهُم﴾: **وقرئ**: (بيوتهم، وبيتهم) موحدًا.

المعنىٰ: قصد خراب بنائهم ﴿مِّنَ ٱلْقَوَاعِدِ﴾: من أساسه وأصوله ﴿فَخَرَّ﴾: فسقط ﴿عَلَيْهِمُ ٱلسَّقْفُ مِن فَوْقِهِمْ﴾: وجاء بـ﴿فَوْقِهِمْ﴾ و﴿عَلَيْهِمُ﴾؛ للإيذان أنهم كانوا تحته، فإنَّ العرب تقول: سقط علينا البيت وليسوا تحته، والظاهر أنَّ هذا تمثيل.

﴿وَأَتَىٰهُمُ ٱلْعَذَابُ﴾: أغفل ما كانوا في الدنيا ﴿مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ﴾: مجيئه.

﴿ثُمَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يُخْزِيهِمْ وَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تُشَٰٓقُّونَ فِيهِمْ ۚ قَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ إِنَّ ٱلْخِزْىَ ٱلْيَوْمَ وَٱلسُّوٓءَ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٧﴾ ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ ۖ فَأَلْقَوُا۟ ٱلسَّلَمَ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِن سُوٓءٍۭ ۚ بَلَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٨﴾ فَٱدْخُلُوٓا۟

أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا فَلَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٢٩﴾﴾

وفي الآخرة الله ﴿يُخْزِيهِمْ وَيَقُولُ﴾: توبيخًا لهم: ﴿أَيْنَ شُرَكَآءِىَ﴾: بزعمكم.

القراءة: (شركاي) بياء مفتوحة بغير همز ولا مد؛ لأنَّ الأصل ترك المد؛ لأنَّ المد إنما يكون بزيادة حرف ليس من أصل الكلمة، فرجع إلىٰ الأصل مع صحة القراءة وتواترها، فلا تأثير لطعن الطاعن فيها؛ لما ذكرت، وبفتح الياء والمد والهمز؛ لأنَّ الأشهر في «فعيل» أن يجمع علىٰ «فُعَلا» كشهيد وشهداء.

القراءة: أيضًا (ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تُشَٰٓقُّونَ): فيهم تخاصمون في شأنهم بكسرة النون، أصله: تشاقونني، فحذف إحدىٰ النونين والياء وتركت الكسرة تدل عليها، وبفتح النون، إخبارًا عن غير مضاف، وقرئ: (تشاقُّونِّي) مشددًا كـ﴿أتحاجوني﴾.

تلخيصه: ليحضر من تزعمون وليدفعوا عنكم العذاب.

﴿ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ﴾: هم الأنبياء والعلماء يقولون يوم القيامة: ﴿إِنَّ ٱلْخِزْىَ ٱلْيَوْمَ وَٱلسُّوٓءَ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾: لا أحب الوقف من ﴿مَا يَزِرُونَ﴾ إلىٰ هنا اختيارًا، ولا تقف هنا إن جررت ما بعد صفة للكافرين، ويتم الوقف هنا إن رفعت أو نصبت ﴿ٱلَّذِينَ﴾: ذمًا.

القراءة: ﴿تَتَوَفَّىٰهُمُ﴾: بالتاء والياء.

﴿فَأَلْقَوُا۟ ٱلسَّلَمَ﴾: الصلحَ عطف علىٰ ﴿ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ﴾، أو مستأنف، أي ألقوا السلم قائلين: ﴿مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِن سُوٓءٍۭ﴾: (حس) شرك ﴿تَعْمَلُونَ﴾: (كا).

عكرمة[1]: المعنىٰ بذلك من قتل من الكفار ببدر.

﴿ خَٰلِدِينَ فِيهَا ﴾: (تا) عند أبي حاتم.

﴿ٱلْمُتَكَبِّرِينَ﴾: (تا) للخروج من قصة الكافرين إلىٰ قصة المؤمنين وهي :

﴿ ۞ وَقِيلَ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ مَاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمْ ۚ قَالُوا۟ خَيْرًا ۗ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةٌ ۚ

(١) انظر: «تفسير البغوي» (٣/ ٧٧).

وَلَدَارُ ٱلْأَخِرَةِ خَيْرٌۚ وَلَنِعْمَ دَارُ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٣٠﴾ جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُۖ لَهُمْ فِيهَا
مَا يَشَآءُونَۚ كَذَٰلِكَ يَجْزِى ٱللَّهُ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٣١﴾ ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ طَيِّبِينَۙ يَقُولُونَ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمُ
ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٣٢﴾ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِىَ أَمْرُ رَبِّكَۚ
كَذَٰلِكَ فَعَلَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْۚ وَمَا ظَلَمَهُمُ ٱللَّهُ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾

﴿وَقِيلَ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ مَاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمْۚ قَالُوا۟ خَيْرًاۗ﴾: (كا) نصب بأنزل مقدرة تقف هنا إن استأنفت ما بعد ولم تبدل ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟﴾: وحدوا في الدنيا من خير ﴿حَسَنَةٌۚ﴾: (كا) رفع خبر للذين أحسنوا، والحسنة: الجنة، أو تضعيف الأجر إلىٰ العشرة.

﴿وَلَدَارُ ٱلْأَخِرَةِ خَيْرٌۚ﴾: (كا).

﴿وَلَنِعْمَ دَارُ ٱلْمُتَّقِينَ﴾: (كا) والمخصوص بالمدح محذوف، وهو دار الآخرة، فحذف لدلالة ﴿وَلَدَارُ ٱلْأَخِرَةِ﴾ عليه.

الحسن[1]: دار المتقين الدنيا؛ لأنَّهم منها يتزودون للآخرة.

﴿جَنَّٰتُ عَدْنٍ﴾: مبتدأ خبره ﴿يَدْخُلُونَهَا﴾: (كا).

﴿ٱلْأَنْهَٰرُۖ﴾: (كا).

﴿يَشَآءُونَۚ﴾: (كا).

﴿ٱلْمُتَّقِينَ﴾: (تا) إن رفعت أو نصبت مدحًا.

﴿ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ طَيِّبِينَ﴾: حال من (هم)، أي: طيبة نفوسهم بانتقالهم إلىٰ ربّهم.

﴿يَقُولُونَ﴾: حال من ﴿ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾، أي: قائلين لهم عند الموت: ﴿سَلَٰمٌ عَلَيْكُمُ﴾: ويقولون لهم في الآخرة: ﴿ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾: (تا) لا أحب الوقف من (المتقين) إلىٰ هنا.

---

(١) أخرجه عبد الرزاق في «تفسيره» (١/ ٣٢٢).

﴿أَمۡرُ رَبِّكَۚ﴾: (كا).

﴿كَذَٰلِكَ﴾: أي: مثل ذلك الفعل من الشرك والتكذيب.

﴿فَعَلَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۚ﴾: (كا).

﴿أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ﴾: (حس) بالشرك والتكذيب.

﴿ فَأَصَابَهُمۡ سَيِّـَٔاتُ مَا عَمِلُواْ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ ٣٤ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْ لَوۡ
شَآءَ ٱللَّهُ مَا عَبَدۡنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَيۡءٖ نَّحۡنُ وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمۡنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَيۡءٖۚ كَذَٰلِكَ فَعَلَ
ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۚ فَهَلۡ عَلَى ٱلرُّسُلِ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ ٣٥ وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ
ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَۖ فَمِنۡهُم مَّنۡ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنۡهُم مَّنۡ حَقَّتۡ عَلَيۡهِ ٱلضَّلَٰلَةُۚ فَسِيرُواْ
فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُكَذِّبِينَ ٣٦ ﴾

﴿سَيِّـَٔاتُ مَا عَمِلُواْ﴾: (كا) جزاء سيآت عملهم .

﴿يَسۡتَهۡزِءُونَ﴾: (تا) لا أحب الوقف إلىٰ: ﴿مِن شَيۡءٖ﴾: (كا).

﴿إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ﴾: (تا).

﴿وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَۖ﴾: (كا).

﴿عَلَيۡهِ ٱلضَّلَٰلَةُۚ﴾: (كا).

﴿ٱلۡمُكَذِّبِينَ﴾: (تا).

﴿ إِن تَحۡرِصۡ عَلَىٰ هُدَىٰهُمۡ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي مَن يُضِلُّۖ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ٣٧ وَأَقۡسَمُواْ
بِٱللَّهِ جَهۡدَ أَيۡمَٰنِهِمۡ لَا يَبۡعَثُ ٱللَّهُ مَن يَمُوتُۚ بَلَىٰ وَعۡدًا عَلَيۡهِ حَقّٗا وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا
يَعۡلَمُونَ ٣٨ لِيُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِي يَخۡتَلِفُونَ فِيهِ وَلِيَعۡلَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّهُمۡ كَانُواْ كَٰذِبِينَ ٣٩
إِنَّمَا قَوۡلُنَا لِشَيۡءٍ إِذَآ أَرَدۡنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ٤٠ ﴾

القراءة: ﴿إِن تَحۡرِصۡ﴾: بكسر الراء من حرص بفتحها، وقرئ: بفتح الراء من حرص بكسرها.

القراءة: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي﴾: بفتح الياء وكسر الدال، الفاعل ضمير يرجع إلىٰ

الله تعالىٰ، فمحل ﴿مَن يُضِلُّ﴾: (كا) نصب مفعول.

المعنىٰ: أنَّ الله لا يهدي من حكم بإضلاله، أو يهدي بمعنىٰ يهتدي، فمحل من رفع فاعل، وبضم الياء وفتح الدال مجهولًا، فمحل من رفع فاعل المجهول.

وقرئ: (فإن الله لا هادي لمن يضل ولمن أضل)، وقرئ: (يَضِل) بفتح الياء وكسر الضاد.

﴿نَّٰصِرِينَ﴾: (تا) ونزل فيمن حلف أنَّ الله لا يبعث الموتىٰ: ﴿وَأَقْسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ لَا يَبْعَثُ ٱللَّهُ مَن يَمُوتُ﴾: (تا)، وإن شئت وقفت علىٰ ﴿بَلَىٰ﴾: ليكون رادًّا علىٰ منكري البعث؛ لأنَّ «بلىٰ» إثبات لما بعد النفي، أي: بلىٰ يبعثهم الله.

﴿وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا﴾: مصدر إنَّ، ولا وقف علىٰ ﴿لَا يَعْلَمُونَ﴾: لأنَّ ﴿لِيُبَيِّنَ لَهُمُ﴾: متعلق بما قبل.

المعنىٰ: يبعث الله جميع الخلائق يوم القيامة ليبين لهم الحق من الباطل المختلف فيهما.

تلخيصه: بعثوا لهذا ﴿وَلِيَعْلَمَ﴾: الكافرون ﴿أَنَّهُمْ كَانُواْ كَٰذِبِينَ﴾: (كا) في إنكار البعث وتكذيب الرسل.

﴿إِنَّمَا﴾: ﴿مَا﴾ كافة، ﴿قَوْلُنَا﴾: مبتدأ خبره ﴿أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾: (تا) وكان تامة.

المعنىٰ: إذا أردنا إحداث شيء لم يكن فليس إلا قولنا له أحدث، فيحدث من غير توقف في حالة الأمر [ق/ ١٥٠ جـ]، فكيف يتعذر علينا إيجاد ما كان موجودًا.

تلخيصه: لا يتعاظمنا شيء.

﴿ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ فِي ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مَا ظُلِمُواْ لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِي ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَلَأَجْرُ ٱلْأٓخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾ ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٤٢﴾ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِيٓ إِلَيْهِمْ فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٤٣﴾ ﴾

ونزل في شأن النبي ﷺ والصحابة حيث أُخرجوا من مكة: ﴿وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ فِي ٱللَّهِ﴾: أي في حقِّه والتمكن من طاعته.

﴿مِنۢ بَعۡدِ مَا ظُلِمُواْ﴾: أي: ظلمهم أهل مكة، أو في صهيب حيث بذل ماله لأهل مكة حتىٰ مكنوه من الهجرة، فلقيه أبو بكر فقال له: ربح بيعك، وقال عمر: نعم الرجل صهيب لو لم يخف الله لم يعصه[1]، وهذا مبالغة في وصفه، المعنىٰ: لو لم يخف الله لأطاعه فكيف وهو يخافه، فالذين مبتدأ خبره ﴿لَنُبَوِّئَنَّهُمۡ فِي ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةً﴾: (حس) مفعول ثان لـ«نبوئنهم»، أو صفة مصدر أي تبوئة حسنة.

---

(١) قال العجلوني: اشتهر في كلام الأصوليين وأصحاب المعاني وأهل العربية من حديث عمر، وبعضهم يرفعه إلىٰ النبي ﷺ، وذكر البهاء السبكي أنه لم يظفر به بعد البحث، وكذا كثير من أهل اللغة؛ لكن نقل في «المقاصد» عن الحافظ ابن حجر أنه ظفر به في مشكل الحديث لابن قتيبة من غير إسناد.

وقال في «اللآلئ»: منهم من يجعله من كلام عمر، وقد كثر السؤال عنه ولم أقف له علىٰ أصل، وسئل بعض شيوخنا الحفاظ عنه فلم يعرفه؛ لكن روىٰ أبو نعيم في «الحلية» بسند ضعيف عن عبد الله بن الأرقم أنه قال: حضرت عمر عند وفاته مع ابن عباس والمسور بن مخرمة فقال عمر: «سمعت رسول الله ﷺ يقول: إن سالما شديد الحب لله عز وجل، لو كان لا يخاف الله ما عصاه». وفي لفظ: «لو لم يخف الله ما عصاه»، وفي رواية قال: «لو استخلفت سالما مولىٰ أبي حذيفة؛ فسألني ربي: ما حملك علىٰ ذلك؟ لقلت: ربي سمعت نبيك ﷺ يقول: «**إنه يحب الله حقا من قلبه**».

وقال الجلال السيوطي في «شرح نظم التلخيص»: كثر سؤال الناس عن حديث: «**نعم العبد صهيب لو لم يخف الله لم يعصه، ونسبه بعضهم إلىٰ النبي ﷺ، ونسبه ابن مالك في «شرح الكفاية»** وغيره إلىٰ عمر.

قال الشيخ بهاء الدين السبكي: لم أر هذا الكلام في شيء من كتب الحديث؛ لا مرفوعًا ولا موقوفا، لا عن عمر ولا عن غيره مع شدة التفحص عنه. انتهىٰ.

نعم قد روىٰ الديلمي في «سالم» لا «صهيب» عن عمر مرفوعا: «أن معاذ بن جبل إمام العلماء يوم القيامة لا يحجبه من الله إلا المرسلون، وإن سالما مولىٰ أبي حذيفة شديد الحب في الله، لو لم يخف الله؛ ما عصاه». والله أعلم.

«كشف الخفاء» (٢/ ٣٩١).

وقرئ: (لنثوينهم)، المعنىٰ: لنعطينهم في الدنيا منزلة جميلة، وهي الهداية والثناء الحسن من بعدهم.

﴿وَلَأَجْرُ ٱلْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ﴾: (تا) أنَّ المستضعفين المؤمنين مكرمون عند الله لآمنوا، ويجوز أن يكون المعنىٰ: لو علم المؤمنون ما لهم في الآخرة لقرت عيونهم وأحبوا الموت، يتم الوقف هنا إن نصبت أو رفعت مدحًا.

﴿ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ﴾: علىٰ أذىٰ الكفار ﴿وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾: (تا).

ونزلت لمَّا قالت قريش: إنَّ الله أعظم من أن يكون رسوله بشرًا ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِمْ فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ﴾: هم القراء، أو عبد الله بن سلام وأصحابه، والباء في: ﴿بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾: متعلقة بمحذوف، يدل عليه أرسلنا أي: أرسلوا بالبينات، أو بـ﴿يُوحِى﴾ يوحي أي يوحي إليهم بالبينات، أو بـ﴿رِجَالًا﴾ أي: رجالًا ملتبسين بالبينات، فعلىٰ هذا الوجوه ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ...﴾ الآية اعتراض، وإن علقت الباء بـ﴿يَعْلَمُونَ﴾ فليست باعتراض، المعنىٰ: لم نرسل قبلك يا محمد إلا بشرًا [ق/ ١٢٧أ] فإن لم يصدقوك فقل لهم: سلوا العلماء عن ذلك.

تلخيصه: لم نرسلهم إلا مثلك بالدلالات.

﴿ بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِ ۗ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٤﴾ أَفَأَمِنَ ٱلَّذِينَ مَكَرُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن يَخْسِفَ ٱللَّهُ بِهِمُ ٱلْأَرْضَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٤٥﴾ أَوْ يَأْخُذَهُمْ فِى تَقَلُّبِهِمْ فَمَا هُم بِمُعْجِزِينَ ﴿٤٦﴾ أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَىٰ تَخَوُّفٍ فَإِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٤٧﴾ ﴾

﴿وَٱلزُّبُرِ﴾: (حس) الكتب.

﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ﴾: القرآن.

﴿ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ ﴾: من الشرائع والأحكام.

﴿يَتَفَكَّرُونَ﴾: (تا).

﴿مَكَرُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾: أي: عملوا المكرات السيئات والمراد: الكفار، أو نمروذ، ﴿أَن يَخۡسِفَ ٱللَّهُ بِهِمُ ٱلۡأَرۡضَ فِي تَقَلُّبِهِمۡ﴾: في أسفارهم وأحوالهم.

﴿فَمَا هُم بِمُعۡجِزِينَ﴾: بفائتين من عذابنا.

﴿عَلَىٰ تَخَوُّفٖ﴾: حال من الفاعل أو المفعول في يأخذهم والتخوف: التنقص [ق/ ٢١٤ب]، أي: يأخذهم بنقص أموالهم ورجالهم شيئًا بعد شيء حتىٰ يهلكوا جميعًا، أو التخوف الخوف، المعنىٰ: يأخذ قرية ليخوف أخرىٰ، فإن لم ينتهوا أخذهم، لا أحب الوقف اختيارًا من يتفكرون إلىٰ: ﴿رَّحِيمٌ﴾: (تا) حيث أمهلهم.

﴿ أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ إِلَىٰ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَيۡءٖ يَتَفَيَّؤُاْ ظِلَٰلُهُۥ عَنِ ٱلۡيَمِينِ وَٱلشَّمَآئِلِ سُجَّدٗا لِّلَّهِ وَهُمۡ دَٰخِرُونَ ﴿٤٨﴾ وَلِلَّهِ يَسۡجُدُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ مِن دَآبَّةٖ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَهُمۡ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ ﴿٤٩﴾ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوۡقِهِمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ۩ ﴿٥٠﴾ ﴾

القراءة: ﴿أَوَ لَمۡ يَرَوۡاْ إِلَىٰ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَيۡءٖ﴾: بالياء والتاء، **والقراءة**: أيضًا ﴿يَتَفَيَّؤُاْ ظِلَٰلُهُۥ﴾: بالتاء والياء.

﴿عَنِ ٱلۡيَمِينِ﴾: بمعنىٰ الإيمان يوضحه أن قابله بجمع فقال: ﴿وَٱلشَّمَآئِلِ﴾: جمع شمال، والمراد تنقل الظل من جهة الشخص إلىٰ جهة أخرىٰ.

﴿سُجَّدٗا لِّلَّهِ﴾: حال من الظلال.

﴿وَهُمۡ دَٰخِرُونَ﴾: (تا) ذليلون حال من ضمير (سجدًا)، أو من ضمير ﴿ظِلَٰلُهُۥ﴾، وجمع بالواو والنون؛ لأنَّ الدخور من صفات العقلاء.

وجاء بـ﴿مَا﴾ في: ﴿ وَلِلَّهِ يَسۡجُدُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ ﴾: لأنَّها أعم «مِنْ» مَنْ، و﴿مِن﴾ في ﴿مِن دَآبَّةٖ﴾: بيان لِما في السماء والأرض إن قدرت أنَّ في السماء خلقًا يدِبُّون، وهم منقول وبيان لمَّا في الأرض إن لم تقدر أنَّ في السماء خلقًا يدِبُّون، ثم عطف ﴿وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ﴾: علىٰ ما في السموات وإن كانوا ملائكة تفضيلًا، ويجوز أن يراد بمن في السماء ملائكتها والملائكة المعطوفة ملائكة الأرض.

تلخيصه: جميع الخلائق لله يسجدون.

﴿وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾: (تا) يتعظمون، ﴿يَخَافُونَ﴾: أي: جميع المذكورات حال من ضمير يستكبرون، أو بيان لنفي الاستكبار؛ لأنَّ من يخاف الله لا يستكبر عن السجود له.

﴿مِّن فَوْقِهِمْ﴾: (كا) حال من ربهم قبل، أي: غالبًا مطلعًا عليهم، أو ﴿مِن﴾ متعلق بـ﴿يَخَافُونَ﴾، أي: يخافون أن يُرسل عليهم عذاب من فوقهم.

﴿يَفْعَلُونَ﴾: أي الملائكة، ﴿مَا يُؤْمَرُونَ﴾: (تا) به.

﴿ ۞ وَقَالَ ٱللَّهُ لَا تَتَّخِذُوٓاْ إِلَٰهَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِۖ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ فَإِيَّٰيَ فَٱرۡهَبُونِ ﴿٥١﴾ وَلَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلَهُ ٱلدِّينُ وَاصِبًاۚ أَفَغَيۡرَ ٱللَّهِ تَتَّقُونَ ﴿٥٢﴾ وَمَا بِكُم مِّن نِّعۡمَةٖ فَمِنَ ٱللَّهِۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيۡهِ تَجۡـَٔرُونَ ﴿٥٣﴾ ﴾

﴿ٱثۡنَيۡنِۖ﴾: تأكيد (إلهين) وصف طائفة الله تعالىٰ باثنين فأكذبهم بقوله: ﴿إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ﴾.

لا أحب الوقف من ﴿يُؤۡمَرُونَ﴾ إلىٰ ﴿فَٱرۡهَبُونِ﴾: (حس) ولا أحبّه علىٰ ﴿وَٱلۡأَرۡضِ وَلَهُ ٱلدِّينُ﴾: الإسلام، أو الطاعة وشهادة أن لا إله إلا الله، ﴿وَاصِبًاۚ﴾: دائمًا لأنَّ ما حال من الدين والعامل فيه الظرف.

﴿تَتَّقُونَ﴾: (تا) إن لم تعلقه بقوله: ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعۡمَةٖ﴾: ما ﴿فَمِنَ ٱللَّهِۖ﴾: لا يأتي بها أحد سواه.

﴿تَجۡـَٔرُونَ﴾: ترفعون أصواتكم دعاءً واستغاثة.

﴿ ثُمَّ إِذَا كَشَفَ ٱلضُّرَّ عَنكُمۡ إِذَا فَرِيقٞ مِّنكُم بِرَبِّهِمۡ يُشۡرِكُونَ ﴿٥٤﴾ لِيَكۡفُرُواْ بِمَآ ءَاتَيۡنَٰهُمۡۚ فَتَمَتَّعُواْ فَسَوۡفَ تَعۡلَمُونَ ﴿٥٥﴾ وَيَجۡعَلُونَ لِمَا لَا يَعۡلَمُونَ نَصِيبٗا مِّمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡۗ تَٱللَّهِ لَتُسۡـَٔلُنَّ عَمَّا كُنتُمۡ تَفۡتَرُونَ ﴿٥٦﴾ وَيَجۡعَلُونَ لِلَّهِ ٱلۡبَنَٰتِ سُبۡحَٰنَهُۥ وَلَهُم مَّا يَشۡتَهُونَ ﴿٥٧﴾ ﴾

﴿إِذَا فَرِيقٞ مِّنكُم﴾: هم المنافقون والكفار ﴿بِرَبِّهِمۡ يُشۡرِكُونَ﴾: لا أحب

الوقف من ﴿تَتَّقُونَ﴾ إلىٰ ﴿ لِيَكْفُرُواْ بِمَآ ءَاتَيْنَٰهُمْ ﴾: (كا) من النعم.

تلخيصه: إنما كان غرضهم بشركهم كفران النعم.

﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾: (حس).

﴿مِّمَّا رَزَقْنَٰهُمْ﴾: (كا) المعنىٰ: جعل الكفار نصيبًا من أموالهم لأصنامهم، وذلك مما رزقناهم.

ثم خاطب بعد الغيبة؛ ترهيبًا فقال: ﴿تَٱللَّهِ لَتُسْـَٔلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَفْتَرُونَ﴾: (حس).

﴿وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ ٱلْبَنَٰتِ سُبْحَٰنَهُۥ﴾: (كا).

﴿وَلَهُم مَّا يَشْتَهُونَ﴾: (كا) ويكفي الوقف علىٰ ﴿سُبْحَٰنَهُۥ﴾ إن نصبت الجملة بعد عطفًا علىٰ ﴿يَجْعَلُونَ﴾، المعنىٰ: أنَّهم يجعلون لله البنات وهو منزَّه عن [الولد والوالد][1]، ويجعلون لهم ما يشتهون وهم البنون، ثم أوضح ذلك بقوله:

﴿ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِٱلْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٥٨﴾ يَتَوَٰرَىٰ مِنَ ٱلْقَوْمِ مِن سُوٓءِ مَا بُشِّرَ بِهِۦٓ أَيُمْسِكُهُۥ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُۥ فِى ٱلتُّرَابِ ۗ أَلَا سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٥٩﴾ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ مَثَلُ ٱلسَّوْءِ ۖ وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٦٠﴾ ﴾

﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِٱلْأُنثَىٰ ظَلَّ﴾: أي: صار ﴿وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا﴾: لأنَّه يقال: ظل يفعل كذا إذا فعله نهارًا، وقرئ: (مسود) رفعًا ففي ظل اسمها، والجملة بعدها خبرها، المعنىٰ: عند البشارة بالأنثىٰ يغتم حتىٰ يسودَّ وجهه.

﴿وَهُوَ كَظِيمٌ﴾: (كا) حال من صاحب الوجه، أي: مملوء حزنًا وغيظًا علىٰ المرأة، يكفي الوقف هنا إن استأنفت ما بعد ولم تجعله حالًا من ضمير ﴿كَظِيمٌ﴾، كان الرجل إذا ضرب امرأتَه الطلْقُ: ﴿يَتَوَٰرَىٰ مِنَ ٱلْقَوْمِ﴾: حياءً ﴿مِن سُوٓءِ مَا بُشِّرَ بِهِۦٓ﴾: (كا) من البنات، ثم يتردد فيما يصنع بولده ﴿أَيُمْسِكُهُۥ عَلَىٰ هُونٍ﴾: هوان، وقرئ بها.

---

(١) في جـ: تقديم وتأخير.

﴿أَمۡ يَدُسُّهُۥ﴾: أي: يئده، ذكر الضمير ردًّا له إلىٰ «ما»، وقرئ: (أيمسكها أم يدسها)، ﴿فِي ٱلتُّرَابِۗ﴾: (حس).

﴿أَلَا سَآءَ مَا يَحۡكُمُونَ﴾: (تا) حيث وأدوا البنات؛ خوف الفقر والعار، وحيث نسبوا إلىٰ الله تعالىٰ ما هو مستقبح عندهم، للكافرين ﴿مَثَلُ﴾: صفة ﴿ٱلسَّوۡءِۖ﴾: (حس) وهو كفرهم ووأد البنات مع احتياجهم إليهن طَلَبَ النكاح.

﴿وَلِلَّهِ ٱلۡمَثَلُ ٱلۡأَعۡلَىٰۚ﴾: أي: الصفة العليا، وهي الغنىٰ عن جميع خلقه فضلًا عن الولد وعن صفاتهم، أو المعنىٰ لأولياء الله تعالىٰ المثل الأعلىٰ، وهو امتثال الأمر واجتناب النهي.

﴿ٱلۡحَكِيمُ﴾: (تا).

﴿ وَلَوۡ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِظُلۡمِهِم مَّا تَرَكَ عَلَيۡهَا مِن دَآبَّةٖ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمۡ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗىۖ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمۡ لَا يَسۡتَـٔۡخِرُونَ سَاعَةٗ وَلَا يَسۡتَقۡدِمُونَ ﴿٦١﴾ وَيَجۡعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكۡرَهُونَۚ وَتَصِفُ أَلۡسِنَتُهُمُ ٱلۡكَذِبَ أَنَّ لَهُمُ ٱلۡحُسۡنَىٰۖ لَا جَرَمَ أَنَّ لَهُمُ ٱلنَّارَ وَأَنَّهُم مُّفۡرَطُونَ ﴿٦٢﴾﴾

﴿بِظُلۡمِهِم﴾: بمعاصيهم ﴿مَّا تَرَكَ عَلَيۡهَا﴾: أي الأرض، ﴿مِن دَآبَّةٖ﴾: من يدب أصلًا، المعنىٰ: لأهلك بشؤم الظالم جميع الدواب، فهلاك الدواب بآجالها، وهلاك الناس عقوبة.

ابن مسعود[1]: إنَّ الجعل ليعذب في جحره بذنب ابن آدم.

أو المراد بالدابة هنا المشرك، المعنىٰ: لو أهلك الآباء بظلمهم لانقطع النسل.

﴿وَلَا يَسۡتَقۡدِمُونَ﴾: (تا).

﴿مَا يَكۡرَهُونَۚ﴾: (كا) من البنات والمشاركة والاستخفاف بالرسل.

﴿وَتَصِفُ﴾: أي: تقول ﴿أَلۡسِنَتُهُمُ ٱلۡكَذِبَ﴾: مفعول تصف، فقوله: ﴿أَنَّ لَهُمُ ٱلۡحُسۡنَىٰۖ﴾: (حس) بفتح أنَّ بدل من ﴿ٱلۡكَذِبَ﴾، وقرئ: (الكذُبُ) رفعًا جمع

(١) أخرجه الحاكم (٣٦٠٢)، والطبراني في «المعجم الكبير» (٩٠٤٠).

كذوب كصبور وصبر صفة للألسنة، فإن لهم الحسنىٰ مفعول تصف، والحسنىٰ هنا النبوة، أو الجنة، أو الفعل الحسن.

﴿لَا جَرَمَ﴾: ذكرت في هود.

القراءة: ﴿وَأَنَّهُم مُّفْرَطُونَ﴾: (تا) بكسر الراء مخففًا، أي: مسرفون علىٰ أنفسهم من أفرط أسرف وتجاوز الحد في المعاصي، وبفتحها أي: متروكون منسيون من أفرطته خلفي تركته ونسيته أو متقدمون إلىٰ النار، ومنهم الحديث: «**أنا فرطكم علىٰ الحوض**»[1]، أي: متقدمكم.

وقرئ: بفتح الراء والفاء مشددًا، وبفتح الفاء وكسر الراء مشددًا من فرَّط.

﴿ تَاللَّهِ لَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَهُوَ وَلِيُّهُمُ ٱلْيَوْمَ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾ وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِى ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ۙ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٦٤﴾ وَٱللَّهُ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿٦٥﴾ ﴾

ثم بيَّن أن لا ناصر للكفار ثَمَّ بقوله: ﴿فَهُوَ﴾ أي: الشيطان ﴿ وَلِيُّهُمُ﴾: ناصرهم ﴿ٱلْيَوْمَ﴾: أي: يوم القيامة وهو عاجز عن نصر نفسه، فكيف ينصر غيره؟! وهذه حكاية حال آتية أي في حال كونهم معذبين في النار ﴿ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾: (تا).

﴿ٱلَّذِى ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ﴾: هو البعث والحلال والحرام، والمراد بالمختلفين المؤمنون والكافرون، وتنصب ﴿وَهُدًى وَرَحْمَةً﴾: مفعولًا عطفًا علىٰ لـ﴿تَبَيِّنَ ﴾، المعنىٰ: وما أنزلنا عليك القرآن إلا للتبيين [ق/ ١٥١ جـ] والهداية والرحمة.

﴿لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾: (تا).

﴿بَعْدَ مَوْتِهَآ﴾: (كا).

﴿يَسْمَعُونَ﴾: (تا) فيعون وينصفون فيؤمنون.

---

(١) أخرجه البخاري (٦٢٠٥)، ومسلم (٢٢٩٧) من حديث ابن مسعود رضي الله عنه.

﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِي ٱلْأَنْعَٰمِ لَعِبْرَةً نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهِۦ مِنۢ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَّبَنًا خَالِصًا سَآئِغًا لِّلشَّٰرِبِينَ ﴿٦٦﴾ وَمِن ثَمَرَٰتِ ٱلنَّخِيلِ وَٱلْأَعْنَٰبِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا ۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾ وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ أَنِ ٱتَّخِذِي مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ ٱلشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ﴿٦٨﴾﴾

القراءة: ﴿نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهِۦ﴾: أي: بطون الأنعام؛ لأنَّه يذكر ويؤنث أو جنس الأنعام، أو الضمير يرجع إلىٰ لفظة ما، أي: نسقيكم من بعض الأنعام بضم النون وفتحها هنا والمؤمنين لغتان.

﴿مِنۢ بَيْنِ فَرْثٍ﴾: هو ثقل الكرش ﴿وَدَمٍ﴾: المعروف ومن بين ظرف، المعنىٰ: خلق تعالىٰ اللبن في مكان وسط بين الفرث والدم، وذلك أنَّ الكرش إذا طحنت العلف صار أسفله فرثًا وأوسطه ﴿لَّبَنًا خَالِصًا﴾: لا يشوبه شيء، وأعلاه دمًا وبينهما حاجز من قدرة الله تعالىٰ لا يختلط أحدهما بالآخر بلون ولا طعم ولا رائحة مع شدة الاتصال، ثم تسلط الكبد عليه فيجري الدم في العروق، واللبن في الضروع، ويبقىٰ الفرث في الكرش، فسبحان من هذه حكمته، فـ﴿مِنۢ﴾ الأولىٰ تبعيض والثانية لابتداء الغاية، فـ﴿ما﴾ صلة لـ﴿نسقيكم﴾، وزعم بعضهم أنَّ الكبد تدفع الدم إلىٰ الضرع فيصير فيه لبنًا، وظاهر النص علىٰ خلافه.

القراءة: ﴿سَآئِغًا﴾: وقرئ: (سَيِّغًا، وسَيْغًا) سهل المرور في الحلق، أو لم يغص أحد بلبن قط.

﴿لِّلشَّٰرِبِينَ﴾: (كا) فيه دليل لمن يقول بطهارة المني وإن جرىٰ مجرىٰ البول؛ لأنَّه لا يمتنع خروجه طاهرًا، وإن جرىٰ مجرىٰ البول كما لا يمتنع خروج اللبن من بين الفرث والدم طاهرًا، يكفي الوقف [هنا][1] إن علقت [ق/ ٢١٥ب] ﴿وَمِن ثَمَرَٰتِ﴾: بمحذوف يدل عليه ﴿نُّسْقِيكُم﴾، تقديره ونسقيكم من ثمرات ﴿ٱلنَّخِيلِ وَٱلْأَعْنَٰبِ﴾: أي: من عصيرهما فتقف هنا لاستئنافك ما بعد، ويحسن الوقف علىٰ الشاربين إن جعلت ﴿تَتَّخِذُونَ﴾: صفة محذوف، كقوله:

---

(١) سقط من ب، والمبثت من أ، جـ.

بكفي كان من أرمىٰ البشر[(١)]

تقديره: ومن ثمرات النخيل ثم يتخذون ﴿مِنۡهُ﴾: أي: من ثمر المحذوف، أو الهاء ترجع إلىٰ جنس الثمرات ومن تبعيض، أي: من بعض الثمر تتخذون ﴿سَكَرٗا﴾: خمرًا سميت بمصدر: سكر سَكْرًا وسُكْرًا كرشد رَشْدًا ورُشْدًا، فالآية منسوخة بقوله: ﴿فَٱجۡتَنِبُوهُ﴾[(٢)] [المائدة:٩٠]؛ لأنَّ النحل مكية والمائدة مدنية، أو وردت هذه الآية علىٰ سبيل المنة والعتاب لجعلهم ما أحل لهم حرامًا فلا نسخ، أو السكر: الخلّ، أو الطعم فلا نسخ أيضًا، أو النبيذ وهو عصير العنب والزبيب والتمر إذا طبخ حتىٰ يذهب ثلثاه ويترك حتىٰ يشتد، فهو حلال عند أبي حنيفة إلىٰ حد السكر حرام عند الشافعي.

﴿وَرِزۡقًا حَسَنًاۚ﴾: (كا) هو ما يتخذ منه كالزبيب والعنب والتمر.

﴿لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ﴾: (تا).

﴿وَأَوۡحَىٰ﴾: ألهم ﴿رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحۡلِ﴾: وهو مذكر وربما أنث حملًا علىٰ المعنىٰ، وقرئ: بفتح الحاء، وأن بعد مفسرة، أو مصدرية ومن تبعيض في ﴿أَنِ ٱتَّخِذِي مِنَ ٱلۡجِبَالِ بُيُوتٗا﴾: تأوين إليها.

﴿وَمِنَ ٱلشَّجَرِ وَمِمَّا يَعۡرِشُونَ﴾: (كا) يبنون لك من الأماكن.

﴿ثُمَّ كُلِي مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ فَٱسۡلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلٗاۚ يَخۡرُجُ مِنۢ بُطُونِهَا شَرَابٞ مُّخۡتَلِفٌ أَلۡوَٰنُهُۥ فِيهِ شِفَآءٞ لِّلنَّاسِۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ ٦٩ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمۡ ثُمَّ يَتَوَفَّىٰكُمۡۚ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرۡذَلِ ٱلۡعُمُرِ لِكَيۡ لَا يَعۡلَمَ بَعۡدَ عِلۡمٖ شَيۡـًٔاۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٞ قَدِيرٞ ٧٠ وَٱللَّهُ فَضَّلَ بَعۡضَكُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ فِي ٱلرِّزۡقِۚ فَمَا ٱلَّذِينَ فُضِّلُواْ بِرَآدِّي رِزۡقِهِمۡ عَلَىٰ مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُهُمۡ فَهُمۡ فِيهِ سَوَآءٌۚ أَفَبِنِعۡمَةِ ٱللَّهِ يَجۡحَدُونَ ٧١﴾

---

(١) ذكره الزمخشري في «الكشاف (٢/ ٦١٦)»:

مالك عندي غير سوط وحجر وغير كبداء شديدة الوتر

جادت بكفي كان من أرمىٰ البشر

(٢) انظر: «الناسخ والمنسوخ» لابن حزم (ص/ ٢٨).

﴿ثُمَّ كُلِي مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ﴾: حلوها وحامضها ومرها وغير ذلك.

﴿فَٱسۡلُكِي﴾: فادخلي ﴿سُبُلَ رَبِّكِ﴾: طرقه التىٰ ألهمك وعرفك الرجوع فيها إلىٰ مكانك من الخلية بعد بعدك عنه.

﴿ذُلُلٗاۚ﴾: (حس) حال من فاسلكي، أو من سبل جمع ذلول، أي: طَيِّعَةً منقادة للمراد منك.

﴿مِنۢ بُطُونِهَا﴾: أفواهها ﴿شَرَابٞ﴾: هو العسل ينزل من السماء فيثبت في أماكن فتأتي النحل فتشربه، ثم تأتي الخلية [فيلقىٰ به][1] في الشمع المهيأ له لا كما يتوهم بعض الناس أَنَّه من فضلات الغذاء، وأنه يستحيل في المعدة عسلًا.

﴿مُّخۡتَلِفٌ أَلۡوَٰنُهُۥ﴾: من أبيض وأسود وأحمر وغير ذلك ﴿فِيهِ﴾: أي: العسل ﴿شِفَآءٞ لِّلنَّاسِۚ﴾: (كا) من كل مرض إذا عرف ما يعطىٰ المريض منه، أو شفاء من بعضها كقولهم: الماء حياة من كل شيء، ومنهم من يقتله الماء، أو الضمير للقرآن، قال ﷺ: «**عليكم بالشفاءين: العسل، والقرآن**»[2].

﴿يَتَفَكَّرُونَ﴾: (تا) استعاذ ﷺ ﴿مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرۡذَلِ ٱلۡعُمُرِ﴾: وهو أحقره وأحسنه، قالوا: وبلوغ خمس وسبعين، أو ثمانين أو تسعين سنة أو هو الهرم، المعنىٰ: أَنَّه يرد إلىٰ الهرم.

﴿لِكَيۡ لَا﴾: لئلا ﴿يَعۡلَمَ بَعۡدَ عِلۡمٖ﴾: علمه في حال شبيبته ﴿شَيۡـٔٗاۚ﴾: (كا) نصب بعلم، أو بيعلم.

تلخيصه: إذا علم شيئًا اعتراه النسيان، فيصير [ق/ ١٢٨أ] بعد العلم ناسيًا.

ابن عباس[3]: هذا في الكافر، فأما المسلم، فلا يزداد في طول عمره إلا كرامة.

---

(١) في جـ: فيلقيه، والمثبت من أ، ب.

(٢) أخرجه ابن ماجة (٣٤٥٢)، والحاكم(٧٤٣٥)، والبيهقي في «الكبرىٰ» (١٩٣٤٩) من حديث ابن مسعود رضي الله عنه.

(٣) انظر: «تفسير البغوي» (٣/ ٨٦).

عكرمة[١]: من قرأ القرآن لم يُرَدَّ إلىٰ أرذل العمر.

﴿قَدِيرٌ﴾: (تا).

ومعنىٰ ﴿فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ فِي ٱلرِّزْقِ﴾: أن وسع علىٰ قوم وضيَّق علىٰ آخرين، أو المراد العبيد والموالي.

﴿فَمَا ٱلَّذِينَ فُضِّلُواْ﴾: هم الموالي ﴿بِرَآدِّي رِزْقِهِمْ﴾: الذي رزقهم الله تعالىٰ وفضل عنهم.

﴿عَلَىٰ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ﴾: علىٰ عبيدهم ﴿فَهُمْ فِيهِ﴾: أي: في الرزق ﴿سَوَآءٌ﴾: (كا) لولا الحكمة الإلهية بأن فضلهم عليهم، المعنىٰ: ليس الموالي برادي شيء من فاضل ما رزقوا علىٰ عبيدهم، وكان ينبغي أن يردوا عليهم ليساووهم في المطعم والمشرب والملبس، قال ﷺ: «**إنما هم إخوانكم فاكسوهم مما تكسون، وأطعموهم مما تأكلون**»[٢]، أو المعنىٰ: لا يعتقد الموالي أنهم يردون شيئًا من الرزق علىٰ عبيدهم، وإنما أنا الرادّ عليهم.

القراءة: ﴿يَجْحَدُونَ﴾: (تا) بالتاء والياء.

﴿ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ ۚ أَفَبِٱلْبَٰطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَتِ ٱللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ ﴿٧٢﴾ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ شَيْـًٔا وَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٧٣﴾ فَلَا تَضْرِبُواْ لِلَّهِ ٱلْأَمْثَالَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٧٤﴾﴾

﴿مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾: من جنسكم المراد حوّاء؛ لأنَّها خلقت من قصيراء[٣] آدم.

---

(١) انظر: «تفسير الطبري» (٢٤/ ٥١١)، و«تفسير البغوي» (٥/ ٢٧٨).

(٢) أخرجه البخاري (٥٧٠٣)، ومسلم (١٦٦١) من حديث أبي ذر رضي الله عنه.

(٣) قال الزبيدي: القصيراء: كذا في النسخ، وفي «الصحاح» القصيرىٰ، وهي أسفل الأضلاع. «تاج العروس» (ص/ ٨١٩٥).

﴿أَزْوَاجًا﴾: نساء، ﴿وَحَفَدَةً﴾: جمع حافد وهو المعين المسرع في الطاعة غريبًا كان أو قريبًا، وأصله الخفة والتجمع.

ابن عباس(١): من أعانك فقد حفدك، أو هم أولاد الأولاد، أو الأختان على البنات، أو الأولاد الكبار.

﴿مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ﴾: (حس) الحلالات.

ثم قال موبخًا: ﴿أَفَبِٱلْبَٰطِلِ﴾: أي: الأصنام وما يفضي إلى الشرك، ﴿يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَتِ ٱللَّهِ﴾: القرآن وما فيه من التوحيد والأحكام.

﴿هُمْ يَكْفُرُونَ﴾: (كا).

﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾: أي: الأصنام وهي لا تملك ﴿لَهُمْ رِزْقًا مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ شَيْـًٔا﴾: بدل من ﴿رِزْقًا﴾، أو معمول ﴿رِزْقًا﴾ إن جعلته مصدرًا كـ﴿إِطْعَٰمٌ فِى يَوْمٍ ذِى مَسْغَبَةٍ﴾ [البلد: ١٤]، أو اسمًا للمصدر؛ لأنَّ اسم المصدر يعمل عمل المصدر، فبكسر الراء للمصدر، أو اسم للمرزوق(٢)، المعنى: الأصنام لا ترزق عابدها شيئًا ما من جهة ما.

﴿وَلَا يَسْتَطِيعُونَ﴾: (كا) ذلك لعجزهم.

﴿فَلَا تَضْرِبُوا۟ لِلَّهِ ٱلْأَمْثَالَ﴾: (كا) لا تشبهوه بشيء من خلقه، ففي الأمثال له تعالى تشبيه.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ﴾: أنْ لا شبه له.

﴿وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾: (تا) ذلك.

﴿ ۞ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَّمْلُوكًا لَّا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَىْءٍ وَمَن رَّزَقْنَٰهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا ۖ هَلْ يَسْتَوُۥنَ ۚ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾ وَضَرَبَ ٱللَّهُ

(١) أخرجه الطبري في «تفسيره» (١٧/ ٢٥٥).

(٢) في حاشية ب: أي: لا يملكون أن يرزقوا شيئًا، وهو مذهب الكوفيين، والرزق عند البصريين اسم ليس بمصدر، فلا يقال إلا في الشعر.

مَثَلًا رَّجُلَيْنِ أَحَدُهُمَآ أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَىٰ مَوْلَىٰهُ أَيْنَمَا يُوَجِّههُّ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ هَلْ يَسْتَوِى هُوَ وَمَن يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَهُوَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٧٦﴾﴾

ثم قال: ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا﴾: بدل من مثلًا ﴿مَّمْلُوكًا﴾: ليخرج منه الحُرُّ؛ لأنَّ الخلق عبيد الله تعالىٰ.

﴿لَّا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَيْءٍ﴾: ليخرج عنه المكاتب.

و﴿مَن﴾ في ﴿وَمَن رَّزَقْنَٰهُ﴾: موصوفة ولا يجوز أن تكون موصولة، تقديره: حرًّا رزقناه ﴿مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا هَلْ يَسْتَوُۥنَ﴾: (حس) يعني جماعة الأحرار والعبيد، وهذا مثل ضربه الله للكافر والمؤمن يعمل في ماله بطاعة الله تعالىٰ، أو المراد بعبدًا مملوكًا: أبو جهل، وبمن رزقناه: أبو بكر.

﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾: (تا) ذلك.

ثم أوضح ذلك بقوله: ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا﴾: تقديره مثلًا مثل رجلين، فمثلًا الأول مفعول الثاني بدل منه أو بيان له، فحذف الثاني وأقيم مقامه ﴿رَّجُلَيْنِ أَحَدُهُمَآ أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَهُوَ كَلٌّ﴾: ثقل.

﴿عَلَىٰ مَوْلَىٰهُ﴾: من يلي أموره، والآخر بضده اكتفي بذكر أحدهما وهو الأبكم عن الآخر كـ﴿سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ ٱلْحَرَّ﴾ [النحل:٨١]، ولم يقل البرد، ولا يجوز فك الإدغام في ﴿أَيْنَمَا يُوَجِّههُّ﴾: يصرف في مهامه لوجود الجازم وهو ﴿أَيْنَمَا﴾.

وقرئ: (يُوَجَّه) مجهولًا أي: الأبكم، أو هذا مثل للأصنام وعابديها، وقال ﴿رَّجُلَيْنِ﴾؛ تغليبًا للعقلاء، فاكتفىٰ بذكر الأصنام عن عابديها، أو المراد: الكافر والمؤمن، أو العبد ومولاه حقيقة، وهو مولىٰ عثمان كان يأمره بالشر، وعثمان يأمره بالخير.

ثم استفهم منكرًا فقال: ﴿هَلْ يَسْتَوِى هُوَ﴾: أي" الأبكم، ﴿وَمَن يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ﴾: هو الله، أو مَنْ آمن.

تلخيصه: لا مساواة بين الأبكم والآمر بالخير، لا أحب الوقف من ﴿وَضَرَبَ﴾ إلىٰ ﴿مُّسْتَقِيمٍ﴾: (تا).

﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۚ وَمَآ أَمْرُ ٱلسَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ ٱلْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٧٧﴾ وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَۙ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾ أَلَمْ يَرَوْاْ إِلَى ٱلطَّيْرِ مُسَخَّرَٰتٍ فِي جَوِّ ٱلسَّمَآءِ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا ٱللَّهُۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٧٩﴾﴾

ونزل لمَّا سئل رسول الله ﷺ عن الساعة: ﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ﴾: إلىٰ ﴿وَمَآ أَمْرُ﴾: مجيء ﴿ٱلسَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ﴾: كلمع ﴿ٱلْبَصَرِ﴾: وميضه، ﴿أَوْ هُوَ أَقْرَبُۚ﴾: (كا)، المعنىٰ: مجيء الساعة وبعثكم أقرب عند الله من رجع البصر السريع؛ لأنها كائنة لا محالة، وكل ما هو آت قريب.

﴿قَدِيرٌ﴾: (تا).

وزيدت الهاء في ﴿أُمَّهَٰتِكُمْ﴾، وقلت زيادتها في المفرد، المعنىٰ: أوجدكم [ق/ ١٥٢ جـ] ضُلًّا لًا ورزقكم الفهم والعلم ﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾: (تا) الله تعالىٰ علىٰ أنعمه.

القراءة: ﴿أَلَمْ يَرَوْاْ إِلَى ٱلطَّيْرِ﴾: بالياء والتاء، ﴿مُسَخَّرَٰتٍ﴾: مذللات للطيران.

﴿فِي جَوِّ ٱلسَّمَآءِ﴾: الجو هنا الهواء المتباعد بين السماء والأرض.

﴿مَا يُمْسِكُهُنَّ﴾: حال من ضمير ﴿مُسَخَّرَٰتٍ﴾:، أو من ﴿ٱلطَّيْرِ﴾، المعنىٰ: ما يمسكهن عند قبض أجنحتها وبسطها عن الوقوع، أو عن إرسال الحجارة علىٰ شرار هذه الأمة.

﴿إِلَّا ٱللَّهُۗ﴾: (كا).

﴿يُؤْمِنُونَ﴾: (تا).

﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنۢ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُم مِّن جُلُودِ ٱلْأَنْعَٰمِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ

ظَعۡنِكُمۡ وَيَوۡمَ إِقَامَتِكُمۡ وَمِنۡ أَصۡوَافِهَا وَأَوۡبَارِهَا وَأَشۡعَارِهَآ أَثَٰثٗا وَمَتَٰعًا إِلَىٰ حِينٖ ﴿٨٠﴾ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّمَّا خَلَقَ ظِلَٰلٗا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلۡجِبَالِ أَكۡنَٰنٗا وَجَعَلَ لَكُمۡ سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ ٱلۡحَرَّ وَسَرَٰبِيلَ تَقِيكُم بَأۡسَكُمۡۚ كَذَٰلِكَ يُتِمُّ نِعۡمَتَهُۥ عَلَيۡكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تُسۡلِمُونَ ﴿٨١﴾ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنَّمَا عَلَيۡكَ ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ ﴿٨٢﴾﴾

﴿سَكَنًا﴾: مسكنًا تسكنون فيه وكل ما يسكن إليه أو فيه سكن بمعنىٰ مسكن. ﴿مِّن جُلُودِ ٱلۡأَنۡعَٰمِ بُيُوتٗا﴾: قبابًا وأخبية متخذة من أدم [ق/ ٢١٦ب].

القراءة: ﴿تَسۡتَخِفُّونَهَا يَوۡمَ ظَعۡنِكُمۡ﴾: بسكون العين وفتحها لغتان.

﴿وَيَوۡمَ إِقَامَتِكُمۡ﴾: المعنىٰ: يخف عليكم حملها في السفر والحضر.

﴿وَمِنۡ أَصۡوَافِهَا﴾: أي: الغنم، وقرئ: بالإمالة ﴿وَأَوۡبَارِهَا﴾: أي: الإبل ﴿وَأَشۡعَارِهَآ﴾: أي المعز ﴿أَثَٰثٗا﴾: عطفًا علىٰ ﴿سَكَنًا﴾ وإن فصل بينه وبين حرف العطف وهو الواو في ﴿وَمِنۡ أَصۡوَافِهَا﴾ الجار والمجرور، وليس بفصل مستقبح؛ لأنَّ الجار والمجرور مفعول، وتقديم مفعول علىٰ مفعول جائز، وزعم بعضهم أنَّه مستقبح، وأثاثًا متاع البيت، وأصله الاجتماع والكثرة، ومنه شعر أثيث .

﴿وَمَتَٰعًا﴾: كل ما يتمتع به، فإن كان الأثاث المتاع فجمع بينهما لاختلاف لفظيهما.

﴿إِلَىٰ حِينٖ﴾: (تا) إلىٰ حين الموت أو فناء المتمتع به، لا تقف علىٰ ﴿ ظِلَٰلٗا ﴾: جمع ظل، وهو ما يستظل به، ولا علىٰ ﴿أَكۡنَٰنٗا﴾: جمع كن، وهو يستكن فيه من الكهوف وغيرها، المعنىٰ: جعل لكم ظلًّا وكنًّا، ﴿وَجَعَلَ لَكُمۡ سَرَٰبِيلَ﴾: جمع سربال وهو القميص من أي شيء كان كقطن وحديد وقطران، ﴿تَقِيكُمُ ٱلۡحَرَّ﴾: ولم يذكر البرد لدلالته عليه؛ لأنَّه نقيضه.

﴿تَقِيكُم بَأۡسَكُمۡۚ﴾: (حس) حربكم أي: تدفع عنكم ألم الحرب والطعن والضرب.

تلخيصه: جعل لكم ما يدفع عنكم الأذىٰ ﴿لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ﴾: (تا) تؤمنون، أو تثبتون علىٰ الإسلام.

﴿ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ﴾: (حس).

﴿ يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٣﴾ وَيَوْمَ نَبْعَثُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا ثُمَّ لَا يُؤْذَنُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴿٨٤﴾ وَإِذَا رَءَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ٱلْعَذَابَ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٨٥﴾ وَإِذَا رَءَا ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ شُرَكَآءَهُمْ قَالُوا۟ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ شُرَكَآؤُنَا ٱلَّذِينَ كُنَّا نَدْعُوا۟ مِن دُونِكَ ۖ فَأَلْقَوْا۟ إِلَيْهِمُ ٱلْقَوْلَ إِنَّكُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿٨٦﴾ ﴾

﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ ٱللَّهِ﴾: علىٰ محمد ﷺ بالنبوة.

﴿ثُمَّ يُنكِرُونَهَا﴾: أي نبوته، ﴿وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾: (حس) الجاحدون، قالوا: المراد بالأكثر هنا الكل.

﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ﴾: في يوم القيامة ﴿مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا﴾: شاهدًا يشهد لهم وعليهم.

﴿ثُمَّ لَا يُؤْذَنُ﴾: للكافرين في الاعتذار والكلام، ﴿وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ﴾: لا يسترضون، وأصل الاستعتاب: أن يطلب من الإنسان أن يذكر عتبه ليعتب.

﴿وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ﴾: (كا) لا يؤخرون عن عذاب الله إذا عاينوه، لا أحب الوقف من هنا إلىٰ: ﴿إِنَّكُمْ لَكَٰذِبُونَ﴾: (كا) أنَّ أصنامكم آلهة وأنَّهم شركاء لله.

﴿ وَأَلْقَوْا۟ إِلَى ٱللَّهِ يَوْمَئِذٍ ٱلسَّلَمَ ۖ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿٨٧﴾ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ زِدْنَٰهُمْ عَذَابًا فَوْقَ ٱلْعَذَابِ بِمَا كَانُوا۟ يُفْسِدُونَ ﴿٨٨﴾ وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِى كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِم مِّنْ أَنفُسِهِمْ ۖ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ ۚ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٨٩﴾ ﴾

﴿يَفْتَرُونَ﴾: (تا) يكذبون أنَّ آلهتهم تشفع لهم.

﴿زِدْنَٰهُمْ عَذَابًا﴾: ابن جبير[1]: هو عقارب أمثال البغال وحيّات أمثال البخت

(١) أخرجه الطبري في «تفسيره» (١٧/ ٢٧٧)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/ ٢٢٩٧).

تَلسَع إحداهن اللسعة يجد صاحبها حميمها أربعين خريفًا، أو هو خروجهم من حر النار إلىٰ برد الزمهرير يُزادون هذا ﴿فَوْقَ ٱلْعَذَابِ﴾: المعد لهم من النار والخلود فيها.

﴿بِمَا كَانُواْ يُفْسِدُونَ﴾: (حس) بفسادهم في الدنيا بالمعاصي والكفر.

﴿وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ﴾: (حس) الذين بعثت إليهم.

﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ﴾: أي: القرآن، ﴿تِبْيَٰنًا﴾: بيانًا بليغًا ﴿لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾: يحتاج إليه من الشرائع وما كان مجملًا في القرآن فأنت تفصله لهم.

﴿وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾: (تا) بالجنة.

﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْيِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾ وَأَوْفُواْ بِعَهْدِ ٱللَّهِ إِذَا عَٰهَدتُّمْ وَلَا تَنقُضُواْ ٱلْأَيْمَٰنَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ ٱللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴿٩١﴾ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّتِى نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَٰثًا تَتَّخِذُونَ أَيْمَٰنَكُمْ دَخَلًۢا بَيْنَكُمْ أَن تَكُونَ أُمَّةٌ هِىَ أَرْبَىٰ مِنْ أُمَّةٍ ۚ إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ ٱللَّهُ بِهِۦ ۚ وَلَيُبَيِّنَنَّ لَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ مَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٩٢﴾﴾

﴿بِٱلْعَدْلِ﴾: بالتوحيد والإنصاف.

﴿وَٱلْإِحْسَٰنِ﴾: هو أداء الفرائض، أو الندب.

﴿وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ﴾: الزنا والمعاصي.

﴿وَٱلْمُنكَرِ﴾: الشرك وما لا يعرف شرعًا ولا سنة.

﴿وَٱلْبَغْيِ﴾: الظلم تكبرًا.

تلخيصه: يأمر بالخير وينهىٰ عن الشر.

﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾: (حس) تتعظون.

ابن مسعود[1]: ليس في القرآن آية أجمع لمكارم الأخلاق من هذه.

(١) انظر: «تفسير البغوي» (٢/ ٢٦٠).

تقديره: فافعلوا ما أمرتم به واتعظوا.

﴿وَأَوْفُواْ بِعَهْدِ ٱللَّهِ﴾: الذي عاهدتم به غيركم.

﴿بَعْدَ تَوْكِيدِهَا﴾: توثيقها وتشديدها.

ومحل: ﴿وَقَدْ جَعَلْتُمُ ٱللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا﴾: (كا) شهيدًا حال من ضمير ﴿وَلَا تَنقُضُواْ ٱلْأَيْمَٰنَ﴾.

ثم حذرهم فقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ﴾: (كا) من نقض العهد والوفاء.

ثم ضرب لنقض العهد مثلًا بشيعًا له وتحذيرًا منه فقال: ﴿وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا﴾: الذي غزلته من صوف وغيره.

﴿مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ﴾: إحكام وبرم فجعلته ﴿أَنكَٰثًا﴾: (كا) حال من ﴿غَزْلَهَا﴾ وهو جمع نكث بمعنى منكوث، وهو كل ما ينكث فتله أي يحل، أو هذه المرأة هي رائطة، أو ريطة بنت سعد بن تيم كانت حمقاء، فكانت هي وجواريها يغزلن من أول النهار إلى الظهر، ثم [ينقضن ما غزلن](1).

ومحل: ﴿تَتَّخِذُونَ أَيْمَٰنَكُمْ﴾: حال، وتنصب ﴿دَخَلًۢا﴾: أحد مفعولي تتخذ فلا أحب الوقف على ﴿كَفِيلًا﴾ و﴿تَفْعَلُونَ﴾؛ لأنَّ تقديره: ولا تنقضوا أيمانكم متخذيها دخلًا، أي: دغلا(2) وحقدًا ومفسدة ﴿بَيْنَكُمْ﴾: بسبب ﴿أَن تَكُونَ أُمَّةٌ﴾: جماعة.

﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِي مَن يَشَآءُ وَلَتُسْـَٔلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾ وَلَا تَتَّخِذُوٓاْ أَيْمَٰنَكُمْ دَخَلًۢا بَيْنَكُمْ فَتَزِلَّ قَدَمُۢ بَعْدَ ثُبُوتِهَا وَتَذُوقُواْ ٱلسُّوٓءَ بِمَا صَدَدتُّمْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَكُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٩٤﴾ وَلَا تَشْتَرُواْ بِعَهْدِ ٱللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا إِنَّمَا عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٩٥﴾ مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٍ وَلَنَجْزِيَنَّ ٱلَّذِينَ صَبَرُوٓاْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾﴾

(١) في جـ: تنقض ما غزلت، والمثبت من أ، ب.

(٢) في حاشية ب: الدغل: أن يظهر الوفاء ويبطن النقص.

ومحل ﴿ هِيَ أَرْبَىٰ ﴾: أي أزيد وأكثر، ﴿مِنْ أُمَّةٍۚ﴾: (كا) من الجماعة التي حالفتموها نصب خبر كان، وهذا نهي لمن يحالف قومًا فإن وجد أيسر منهم وأكثر ترك من حالف وذهب إليه.

﴿إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ ٱللَّهُ بِهِۦۚ﴾: (كا) بالوفاء بالعهد.

تلخيصه: إنما يختبركم ليظهر لكم الوفي بالعهد من الناكث.

﴿مَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾: (تا) من نقض العهود وغيرها.

﴿مَن يَشَآءُ﴾: (كا).

﴿تَعْمَلُونَ﴾: (حس) من الخير والشر، ثم كرر النهي عن اتخاذ الأيمان ﴿دَخَلًۢا بَيْنَكُمْ﴾: تأكيدًا لإنكارها ﴿فَتَزِلَّ﴾: نصب جواب النهي، ﴿قَدَمٌۢ﴾: أي: قدمكم ﴿بَعْدَ ثُبُوتِهَا﴾: استقامتها على الإيمان، يقال لكل مبتلىٰ بعد عافية: زلت قدمه.

﴿وَتَذُوقُواْ ٱلسُّوٓءَ﴾: بصدكم ﴿عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾: لأنَّكم إذا نقضتم استن بكم غيركم، ﴿وَلَكُمْ﴾: في الآخرة ﴿عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾: (تا).

ونزل فيمن نقض العهد لينال شيئًا من حطام الدنيا، أو فيمن غصب أرضًا وأراد أن يحلف عليها ظلمًا: ﴿وَلَا تَشْتَرُواْ بِعَهْدِ ٱللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًاۚ﴾: (كا) لأنَّه ﴿إِنَّمَا عِندَ ٱللَّهِ﴾[1]: من الثواب، ﴿هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾: من المال ﴿إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾: (تا) قالوا، وأراه حسنًا؛ لأنَّ ما بعده تعليل لكونه خيرًا وهو ﴿مَا عِندَكُمْ﴾: من حطام الدنيا ﴿يَنفَدُ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٍۗ﴾: (حس) دائم.

---

(١) في حاشية ب: قوله: ﴿ثَمَنًا قَلِيلًا ﴾: (كا) لأنَّ ﴿إِنَّمَا عِندَ ٱللَّهِ﴾: فيه نظر؛ لأنَّه لم يذكر خبر إن، وكأنه رَحِمَهُ ٱللَّهُ أراد بيان علة الوقف للكل، واشتغل بالتفسير فغفل عن ذلك، ووقع له قبل هذا مثله في سورة التوبة لدىٰ قوله: ﴿إِلَّا كُتِبَ لَهُم بِهِۦ عَمَلٌ صَٰلِحٌۚ﴾: (كا)، ﴿ٱلْمُحْسِنِينَ﴾: (كا) لأن (ولا ينفقون) وقد ترك خبر «إن» ثم قاله: وكتبه سعيد بن مسعود. والصواب أن يكون الخبر هنا بعد قوله: (من المال) استئناف مؤكد عدم الشرىٰ، قاله سعيد بن مسعود نفع الله المسلمين بطول حياته.

القراءة: ﴿وَلَنَجْزِيَنَّ﴾: بالنون والياء.

﴿يَعْمَلُونَ﴾: (تا) قالوا: من تعم الذكر والأنثىٰ مجازًا، فإذا أطلق تناول الذكر حقيقة لغة، فلذلك قال:

﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾ فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٩٨﴾ إِنَّهُۥ لَيْسَ لَهُۥ سُلْطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٩٩﴾ إِنَّمَا سُلْطَٰنُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُۥ وَٱلَّذِينَ هُم بِهِۦ مُشْرِكُونَ ﴿١٠٠﴾ ﴾

﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ﴾: في الدنيا، أو في القبر، أو الآخرة.

﴿حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ﴾: هي الرزق الحلال، أو القناعة، أو الطاعة، أو رزق يوم بيوم ﴿بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾: (حس).

﴿فَإِذَا قَرَأْتَ﴾: أي: أردت القراءة ﴿فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ﴾: (كا).

﴿إِنَّهُۥ لَيْسَ لَهُۥ سُلْطَٰنٌ﴾: تسلط على المؤمنين.

﴿وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾: (كا).

﴿إِنَّمَا سُلْطَٰنُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُۥ﴾: أي: يطيعون الشيطان ﴿وَٱلَّذِينَ هُم بِهِۦ﴾: أي: بالله ﴿مُشْرِكُونَ﴾: (تا) [ق/ ١٢٩أ] أو الهاء في ﴿بِهِۦ﴾ للشيطان، المعنىٰ: بسبب الشيطان هم مشركون.

﴿ وَإِذَا بَدَّلْنَآ ءَايَةً مَّكَانَ ءَايَةٍ ۙ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوٓا۟ إِنَّمَآ أَنتَ مُفْتَرٍۭ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٠١﴾ قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ لِيُثَبِّتَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿١٠٢﴾ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ ۗ لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ ﴿١٠٣﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ لَا يَهْدِيهِمُ ٱللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٠٤﴾ ﴾

﴿وَإِذَا بَدَّلْنَآ ءَايَةً مَّكَانَ ءَايَةٍ﴾: أي نسخنا آية بآية مصلحة للعباد ﴿قَالُوٓاْ إِنَّمَآ أَنتَ مُفْتَرٍۭ﴾: (كا) مختلق ذلك من تلقاء نفسك، ﴿لَا يَعْلَمُونَ﴾: (تا).

﴿قُلْ﴾: ردًّا عليهم، ﴿نَزَّلَهُۥ﴾: أي: القرآن ﴿رُوحُ ٱلْقُدُسِ﴾: هو جبريل[1].

ومحل ﴿بِٱلْحَقِّ﴾: بالصدق حال أي ملتبسًا ﴿لِيُثَبِّتَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾: بالناسخ ويعلمون صدق ذلك ﴿لِلْمُسْلِمِينَ﴾: (تا).

كان ﷺ يدخل علىٰ قين نصراني يعلمه القرآن فقالوا: إنَّ القين هو يعلم محمدًا، فنزل تهديدا لهم: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ﴾: (تا) آدمي ثم أبطل قولهم بقوله: ﴿لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ﴾: أي: يميلون ألسنتهم ﴿إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ﴾: هو الذي لا يفصح وإن كان عربيًّا، والعجمي منسوب إلىٰ العجم وإن كان فصيحًا.

﴿وَهَٰذَا﴾: أي القرآن ﴿لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ﴾: (تا) القراءة: بضم الياء وكسر الحاء من ألحد، وبفتحهما من لَحَدَ لغتان بمعنىٰ الميل، وقرئ:(اللسان الذي يلحدون)، المعنىٰ: لسان الذي يشيرون إليه أنَّه يعلّم محمدًا فيه عجمة، والقرآن ذو بيان وفصاحة، فكيف يصدر عن أعجمي؟!

ثم تهددهم بقوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ لَا يَهْدِيهِمُ ٱللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾: (تا).

﴿إِنَّمَا يَفْتَرِى ٱلْكَذِبَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ ﴿١٠٥﴾ مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٦﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱسْتَحَبُّواْ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا عَلَى ٱلْءَاخِرَةِ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٠٧﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَسَمْعِهِمْ وَأَبْصَٰرِهِمْ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ ﴿١٠٨﴾﴾

﴿إِنَّمَا يَفْتَرِى ٱلْكَذِبَ﴾: رد لقولهم: ﴿إِنَّمَآ أَنتَ مُفْتَرٍۭ﴾، والمراد بـ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ

(١) أضيف إلىٰ القدس وهو الطهر كما يقال: حاتم الجود.

هُمُ ٱلۡكَٰذِبُونَ﴾: (تا) قريش، قيل للنبي ﷺ: المؤمن يزني؟ قال: «**قد يكون ذلك**»، قيل: المؤمن يسرق؟ قال: «**قد يكون ذلك**»، قيل: المؤمن يكذب؟ قال: «**لا**»[١] [ق/ ٢١٧ب].

سبّ عمّار النبي ﷺ عند المشركين مكرهًا، فقال المسلمون: قد كفر عمار [ق/ ١٥٣جـ]، فقال ﷺ: «**كلا إنَّ عمارًا قد ملئ إيمانًا من قرنه إلىٰ قدمه، واختلط الإيمان بلحمه ودمه**»، فأتىٰ النبي ﷺ وقال: نلت منك يا رسول الله قال: «**كيف وجدت قلبك؟**» قال: مطمئنًا، فجعل ﷺ يمسح الدموع عن عيني عمار ويقول: «**إن عادوا فعد لهم بما قلت**»، فنزل فيه وفيمن جرىٰ مجراه: ﴿مَن كَفَرَ﴾: الآية[٢]، يتم الوقف علىٰ ﴿ٱلۡكَٰذِبُونَ﴾ إن نصبت أو رفعت من كفر ذمًا، ولا أحبه إن أبدلت ﴿مَن كَفَرَ﴾ من ﴿ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ﴾ فما بينهما اعتراض أو من ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ﴾: أو من الكاذبون أي: الذين لا يؤمنون، أو الكاذبون ﴿مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنۡ أُكۡرِهَ﴾: استثناء متصل؛ لأنَّ الكفر يطلق علىٰ القول والاعتقاد، أو منفصل؛ لأنَّ الكفر اعتقاد، والإكراه علىٰ القول دون الاعتقاد، المعنىٰ: لكن المكره علىٰ الكفر باللسان: ﴿وَقَلۡبُهُۥ مُطۡمَئِنُّۢ بِٱلۡإِيمَٰنِ﴾: لا يدخل في هذا الحكم[٣].

﴿وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلۡكُفۡرِ صَدۡرٗا﴾: أي: طابت نفسه به، ﴿فَعَلَيۡهِمۡ غَضَبٞ مِّنَ

(١) قال العراقي: أخرجه ابن عبد البر في التمهيد بسند ضعيف ورواه ابن أبي الدنيا في الصمت مقتصرا علىٰ الكذب وجعل السائل أبا الدرداء.
«تخريج أحاديث الإحياء» (٣/ ١٠٠).

(٢) انظر «أسباب النزول» (ص/ ٢٨١).

(٣) في حاشية ب: كشاف: روي أنَّ ناسا من أهل مكة فتنوا، فارتدوا عن الإسلام بعد دخولهم فيه، وكان فيهم من أكره، فأجرىٰ كلمة الكفر علىٰ لسانه وهو معتقد للإيمان، منهم عمار وأبواه ياسر وسمية وصهيب وبلال وخباب وسالم عذبوا، فأما سمية فقد ربطت بين بعيرين ووجئ في قبلها بحربة، وقالوا: إنك أسلمت من أجل الرجال فقتلت، وقتل ياسر وهما أول قتيلين في الإسلام، وأما عمار فقد أعطاهم ما أرادوا بلسانه مكرها.

ٱللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾: (تا) وأجمعوا أنَّه لا يكفر من قال كلمة الكفر بلسانه من غير اعتقاد.

﴿ٱلْكَٰفِرِينَ﴾: (تا).

﴿ٱلْغَٰفِلُونَ﴾: (تا).

﴿لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿١٠٩﴾ ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا فُتِنُوا۟ ثُمَّ جَٰهَدُوا۟ وَصَبَرُوٓا۟ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٠﴾﴾

﴿ٱلْخَٰسِرُونَ﴾: (كا).

القراءة: ﴿مِنۢ بَعْدِ مَا فُتِنُوا۟﴾: بفتح الفاء والتاء أي الناس، أو أنفسَهم بما أظهروا من ردتهم بعد إسلامهم، وبضم الفاء وكسر التاء، أي عذبوا ومنعوا عن الإسلام، قالوا: نزلت في ابن أبي السرح حين ارتد ثم أسلم وحسن إسلامه[1].

﴿ثُمَّ جَٰهَدُوا۟ وَصَبَرُوٓا۟ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعْدِهَا﴾: أي: الغفلة، أو السيئة.

﴿لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾: (حس) إن نصبت

﴿۞ يَوْمَ تَأْتِى كُلُّ نَفْسٍ تُجَٰدِلُ عَن نَّفْسِهَا وَتُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١١١﴾ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ﴿١١٢﴾ وَلَقَدْ جَآءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْهُمْ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ ٱلْعَذَابُ وَهُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿١١٣﴾﴾

﴿يَوْمَ تَأْتِى كُلُّ نَفْسٍ﴾: بـ«اذكر» ولا أحبه إن نصبت يوم ﴿يَوْمَ تَأْتِى﴾ لـ﴿رَّحِيمٌ﴾، أي: يرحم يوم تجيء كل نفس وهو يوم القيامة، ﴿تُجَٰدِلُ﴾: تحاج وتعتذر، ﴿عَن نَّفْسِهَا﴾: أضاف النفس إلىٰ النفس؛ لأنَّه يقال لعين الشيء نفسه ولنقيضه غيره والنفس الجملة، فالنفس الأولىٰ هيٰ الجملة، والثانية ذاتها وعينها.

---

(١) انظر «أسباب النزول» (ص/ ٢٨٢).

المعنىٰ: يوم يأتي كل إنسان يجادل عن ذاته لا فكرة له بغيره، ولا وقف إلىٰ ﴿لَا يُظْلَمُونَ﴾: (تا).

روي أنَّ الروح تخاصم الجسد يوم القيامة، وقال كعب لعمر: لو أتيت يوم القيامة بعمل سبعين نبيًّا لأتت عليك تارات وأنت لا تهمك إلا نفسك، وإن لجهنم زفرة ما يبقىٰ ملك ولا نبي مرسل إلا وقع جاثيًا علىٰ ركبتيه حتىٰ إبراهيم خليل الرحمن يقول: يا رب لا أسألك إلا نفسي[1]، أغاثك الله وإيانا.

ثم ضرب مثلًا لمن أنعم عليه فلم يشكر وأبطرته النعمة فكفر بـ﴿قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً﴾: لا ينتقلون عنها إلىٰ غيرها لحسنها وهي أيلة، أو مكة ﴿يَأْتِيهَا رِزْقُهَا﴾: وهم مقيمون فيها ﴿رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ﴾: جمع نعمة بعد طرح التاء، أو نعماء، أو نعم كبؤس وأبؤس، روي أنَّ أهلها كانوا يستنجون بالخبز.

﴿فَأَذَاقَهَا ٱللَّهُ﴾: أي أهلها ﴿لِبَاسَ ٱلْجُوعِ﴾: قالوا: حتىٰ أكلوا ما تغوطوه، ﴿وَٱلْخَوْفِ﴾: بشن الغارات عليهم.

وقرئ: (والخوفَ) نصبًا عطفًا علىٰ ﴿لباس﴾، أو علىٰ حذف المضاف، وقرئ: (الخوف والجوع) علىٰ التقديم والتأخير، يقال: ذاق فلان الأمر إذا لابسه، ولمَّا كان الخوف يتغشاهم من كل جانب تغشي الثوب للابس استعار اللبّاس له، فكان اللباس قد صار جوعًا وخوفًا، كأنَّه قال: فأذاقهم ما يتغشاهم من الجوع والخوف.

﴿يَصْنَعُونَ﴾: (تا).

﴿وَهُمْ ظَٰلِمُونَ﴾: (حس) في حال ظلمهم.

﴿فَكُلُوا۟ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ حَلَٰلًا طَيِّبًا وَٱشْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ

---

(١) انظر: «تفسير البغوي» (٣/ ٩٩).

﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٤﴾ وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَٰذَا حَلَالٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴿١١٦﴾ مَتَاعٌ قَلِيلٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١١٧﴾﴾

﴿تَعْبُدُونَ﴾: (حس).

﴿وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ﴾: (كا).

﴿رَّحِيمٌ﴾: (حس).

القراءة: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ﴾: أي تنعت، ﴿أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ﴾: نصبًا بـ«تصف»، فما مصدرية، وقرئ: بجر الباء صفة لما المصدرية.

وقرئ: (الكذبُ) جمع كذوب رفعًا صفة لـ«الألسنة»، وبنصبها شتمًا ﴿هَٰذَا حَلَالٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ﴾: إشارة إلىٰ ما تقدم من السائبة والوصيلة والحام، وهو بدل من الكذب، المعنىٰ: لا تحلوا حرامًا ولا تحرموا حلالًا.

﴿لِّتَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ﴾: (تا) ابن جني[1]: اللام في ﴿لِّتَفْتَرُوا﴾ من التعليل الذي لا يتضمن معنىٰ الغرض، ويجوز أن تكون للصيرورة.

﴿لَا يُفْلِحُونَ﴾: (تا).

﴿مَتَاعٌ﴾: خبر مبتدأ، أي بقاؤهم فيها متاع ﴿قَلِيلٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾: (تا).

﴿وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا مَا قَصَصْنَا عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَٰكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ
﴿١١٨﴾ ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُوا السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابُوا مِن بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوا إِنَّ رَبَّكَ مِن
بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٩﴾ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٠﴾
شَاكِرًا لِّأَنْعُمِهِ اجْتَبَاهُ وَهَدَاهُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٢١﴾ وَآتَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ
لَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٢٢﴾﴾

---

(١) انظر «الكشاف» (٢/ ٦٤١).

والمراد بقوله: ﴿مِن قَبۡلُ﴾: (حس) ما حرّم من قوله: ﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمۡنَا...﴾ [الأنعام:١٤٦] الآية في الأنعام.

﴿يَظۡلِمُونَ﴾: (حس).

﴿مِنۢ بَعۡدِهَا﴾: أي بعد التوبة.

﴿لَغَفُورٞ رَّحِيمٌ﴾: (تا).

﴿كَانَ أُمَّةٗ﴾: واحدة وجمع لكمال صفات الخير فيه، أو أمة يؤتم به في الخير، ﴿قَانِتٗا لِّلَّهِ﴾: مطيعًا.

﴿وَلَمۡ يَكُ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾: لا أحب الوقف هنا وإن رآه بعضهم لأنَّ ﴿شَاكِرٗا لِّأَنۡعُمِهِۚ﴾: (كا) تبع لحنيفًا.

روي أنَّه كان لا يأكل إلا مع ضيف، فجاءه فوج من الملائكة في زي البشر فقدم لهم الطعام فخيلوا إليه أن بهم جذامًا، فقال: الآن وجبت مؤاكلتكم شكرًا لله علىٰ أن عافاني وابتلاكم، يكفي الوقف هنا إن استأنفت ما بعد، ولا أحبه إن نصبت ﴿ٱجۡتَبَٰهُ﴾: حالًا، و(قد) معها مقدرة، أي اختاره للنبوة.

﴿وَهَدَىٰهُ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾: (كا) دين الإسلام.

﴿وَءَاتَيۡنَٰهُ فِي ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٗۖ﴾: هي الرسالة والخلة، واجتماع الأمم علىٰ ولايته.

﴿لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾: (كا) مع آبائه في الجنة.

﴿ثُمَّ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ أَنِ ٱتَّبِعۡ مِلَّةَ إِبۡرَٰهِيمَ حَنِيفٗاۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴿١٢٣﴾ إِنَّمَا جُعِلَ ٱلسَّبۡتُ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱخۡتَلَفُواْ فِيهِۚ وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَحۡكُمُ بَيۡنَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُواْ فِيهِ يَخۡتَلِفُونَ ﴿١٢٤﴾ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ ﴿١٢٥﴾﴾

﴿مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾: (تا).

القراءة: ﴿جُعِلَ ٱلسَّبۡتُ﴾: مجهولًا.

وقرئ: (جَعَلَ السبتَ) معلومًا أي: فرضه الله.

﴿عَلَى ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُواْ فِيهِۚ﴾: (حس) هم اليهود حرم بعضهم الصيد فيه، وأحله آخرون.

﴿يَخْتَلِفُونَ﴾: (تا).

﴿سَبِيلِ رَبِّكَ﴾: أي الإسلام.

﴿بِٱلْحِكْمَةِ﴾: القرآن والنبوة.

﴿وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِۖ﴾: القول الرفق من غير تعنيف، قال ﷺ: «**أمرنا أن نكلم الناس على قدر عقولهم**»(١).

﴿وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِي هِىَ أَحْسَنُۚ﴾: (تا) هي القرآن، ولا تجادلهم إلا لله تعالى خالصًا.

﴿بِٱلْمُهْتَدِينَ﴾: (تا) وهذا منسوخ بآية السيف(٢).

﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُواْ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِۦۖ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّٰبِرِينَ ﴿١٢٦﴾ وَٱصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِۚ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِى ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ﴿١٢٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴿١٢٨﴾﴾

لمَّا رأى ﷺ حمزة قد بقر بطنه وجدع أنفسه وأذنه وجبت مذاكيره جزع جزعًا شديدًا، وقال: «**والله لئن أظفرني الله بهم لأمثلن سبعين مكانك**» فنزل: ﴿وَإِنْ

---

(١) قال العراقي: رويناه في جزء من حديث أبي بكر بن الشخير من حديث عمر أخصر منه.
وعند أبي داود من حديث عائشة: «**أنزلوا الناس منازلهم**».
«تخريج أحاديث الإحياء» (١/ ٣٦).

(٢) قال النحاس: من قال هو منسوخ قال نسخه الأمر بالقتال في سورة براءة، ومن قال ليس بمنسوخ قال: المجادلة بالتي هي أحسن هي الانتهاء إلى ما أمر الله تعالى به، وهذا لا ينسخ.
«الناسخ والمنسوخ» (ص/ ٥٤٢).

عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا۟﴾[1].

والباء في ﴿بِمِثْلِ﴾: زائدة، أو غير زائدة أي بسبب يماثل ﴿مَا عُوقِبْتُم بِهِۦ﴾: (كا) وهذا إشارة إلىٰ وجوب التقاصص علىٰ السواء.

وقرئ: (وإن عَقَبتم فَعقّبوا) من التعقيب، وهو أن تتبع أثره، ويعمل به مثل عمله، أو عقب وعاقب واحد، المعنىٰ: إن كنت لابد فاعلًا فافعل بموتاهم مثل ما فعلوا بموتاك، فكف ﷺ عن المثلة وكفَّرَ عن يمينه.

﴿وَلَئِن صَبَرْتُمْ﴾: علىٰ ترك القصاص، ﴿لَهُوَ﴾: أي: جنس الصبر يدل عليه صبرتم يوضحه قوله: ﴿لِّلصَّٰبِرِينَ﴾: (حس)؛ لأنَّ المراد جنس الصابرين، المعنىٰ: العفو خير للعافين من الانتقام.

﴿وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ﴾: أي: بتوفيقه وإعانته لك علىٰ الصبر.

﴿وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ﴾: علىٰ مشركي مكة، أو علىٰ قتلىٰ أحد، فإنهم قد وصلوا إلىٰ مطلوبهم.

القراءة: ﴿وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ﴾: بفتح الضاد وكسرها هنا والنمل لغتان في ضد السعة، أو الفتح مصدر ضاق ضيقًا كسار سيرًا، أو مخفف ضيق.

﴿مِّمَّا يَمْكُرُونَ﴾: (تا).

تلخيصه: لا تهتم بمكرهم.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ﴾: (تا) فيما أمروا به، أو إلىٰ من أساء إليهم، وقال هرم بن حيان[2] عند موته: عليكم بخواتيم سورة النحل أي من ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ...﴾ إلىٰ آخرها. والله أعلم.

---

(١) انظر: «أسباب النزول» (ص/ ٢٨٤).

(٢) انظر: «الكشاف» (٢/ ٦٤٥).

سورة (الإسراء)

مكية إلا من ﴿وَإِن كَادُواْ لَيَسْتَفِزُّونَكَ﴾ إلى ﴿نَّصِيرًا﴾، أو فيها من المدني: ﴿وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ﴾، ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهِۦٓ﴾، و﴿إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِٱلنَّاسِ﴾، ﴿وَإِن كَادُواْ لَيَفْتِنُونَكَ﴾، ﴿وَلَوْلَآ أَن ثَبَّتْنَٰكَ﴾ والتي تليها، وهي مائة وعشر أو إحدى عشرة آية.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِيٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِي بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١﴾ وَءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلْنَٰهُ هُدًى لِّبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَلَّا تَتَّخِذُواْ مِن دُونِي وَكِيلًا ﴿٢﴾ ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُۥ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا ﴿٣﴾ وَقَضَيْنَآ إِلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ فِي ٱلْكِتَٰبِ لَتُفْسِدُنَّ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤﴾﴾

لم تصرف ﴿سُبْحَٰنَ﴾: نصب مصدر لفعل متروك؛ لأنَّه اسم علم للتسبيح، والزائد فيه كعثمان ﴿أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ﴾: أي محمد ﷺ مظروف ﴿لَيْلًا﴾ وسرى بمعنى أسرى، ولا يستعملان إلا في سير الليل خاصة، وجاء هنا بـ«أسرى» مع «ليلًا» منكرًا للإيذان أنَّ الإسراء والرجوع كان في جزء من ليلة؛ لأنَّه ﷺ سار ﴿مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾: أي الكعبة، أو من بيت أم هانيء من الحرم.

ابن عباس(١): الحرم كله مسجد.

﴿إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا﴾: بيت المقدس -وبينهما مسيرة أربعين ليلة- في بعض ليلة، ويعضد هذا ما قرئ: «من الليل»؛ ولأنَّ التنكير يدل على معنى البعضية، أي: من بعض الليل، وسمي الأقصى؛ لبعد ما بين المسجدين؛ أو لأنَّه لم يكن وراءه

---

(١) أخرجه الطبري في «تفسيره» (١٧/ ٣٣٠).

مسجد يعبد الله تعالىٰ فيه ولا يزار في ذلك الوقت.

﴿بَرَكْنَا حَوْلَهُۥ﴾: ظرف بأن جعلناه [مقر الأنبياء] (١) والصالحين [ق/ ١٥٤ جـ]، وأجرينا فيه الأنهار، وكثرنا فيه الثمار.

﴿لِنُرِيَهُۥ﴾: أي: محمدًا ﷺ ﴿مِنْ ءَايَٰتِنَآ﴾: (كا) التي رآها ليلة الإسراء من العجائب ولقيا الأنبياء.

وقرئ بالياء.

أجمع المسلمون علىٰ الإسراء، واختلفوا في حقيقته، فجعله بعضهم إسراء بالروح والجسد يقظة حقيقة، وبعضهم قال: بالروح دون الجسد منامًا، وكان الإسراء في رجب قبل الهجرة بسنة، أو كان قبل البعث في النوم، أو قبل الهجرة بسنة في اليقظة.

ولمَّا رجع ﷺ من مسراه من ليلته إلىٰ مكة أخبر قريشًا بذلك فكذبوه.

أبو هريرة: قال ﷺ: **«لقد رأيتني في الحِجْرِ وقريشٌ تسألُني عن مسراي، فسألوني عن أشياءَ من بيتِ الْمَقْدِسِ لم أثبتها، فكربتُ كربًا ما كربت مثله قط، فرُفع لي أنظر إليه، ما يسألوني عن شيء إلا أنبأتهم به»** (٢)، وأسري به من مكة إلىٰ بيت المقدس، ثم عُرج به إلىٰ السماء تدريجًا لسامعيه علىٰ تصديقه بالصعود إلىٰ السماء؛ لأنَّه إذا أخبرهم بقطع المسافة البعيدة في الزمان اليسير وذكر علىٰ ذلك أدلة صحيحة لم يمتنع عندهم جواز صعوده إلىٰ السماء.

﴿ٱلْبَصِيرُ﴾ : (تا).

[القراءة:] (٣)﴿أَلَّا تَتَّخِذُواْ﴾: بالياء غيبة [ق/ ١٣٠أ]، أي: لئلا يتخذوا، أو «أن» تفسير بمعنىٰ «أي»، ففي الكلام معنىٰ النهي، أي: لا تتخذوا.

---

(١) في جـ: مقرا للأنبياء، والمثبت من أ، ب.

(٢) أخرجه مسلم(١٧٢).

(٣) سقط من أ، ب والمثبت من ج.

﴿مِن دُونِي وَكِيلًا﴾: أي شريكًا تكلون أموركم إليه، وبتائين رجوعًا من الغيبة إلىٰ الخطاب، لا أحب الوقف هنا إن نصبت ﴿ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ﴾: (كا) في السفينة مفعولًا ثانيًا لاتخذ، أو نداء، ولا بأس بالوقف علىٰ وكيلًا إن نصبت «ذرية» اختصاصًا، وهذا منة علىٰ جميع الناس؛ لأنَّهم كلهم من ذرية من أنجىٰ في السفينة من الغرق.

وقرئ: «ذرية» رفعًا بدلًا من واو «يتخذوا» بكسر الذال، وهذا إيماء إلىٰ توبيخ من أشرك بالله؛ لأنَّهم موجودون من ذرية من أنجي في السفينة.

المعنىٰ: كانوا مؤمنين فكونوا مثلهم، واستنوا بسنتهم.

ثم زادهم توبيخًا بقوله ﴿إِنَّهُۥ﴾: أي نوحًا ﴿كَانَ عَبْدًا شَكُورًا﴾ (تا) كثير الشكر فكونوا مثله، وكان نوح عليه السلام يستعظم القليل من فضل الله تعالىٰ عليه ويستصغر كثير خدمته له، وكان يعرض عشاءه عند فطره علىٰ من آمن به، فإن وجده محتاجًا إليه آثره به، وكان كثير الحمد لله تعالىٰ.

﴿وَقَضَيْنَآ﴾: أي أعلمنا وأوحينا.

وقوله: ﴿لَتُفْسِدُنَّ فِي ٱلْأَرْضِ﴾: أي : أرض الشام وبيت المقدس جواب قسم محذوف.

﴿مَرَّتَيْنِ﴾: مصدر العامل فيه من غير جنسه، فالأولىٰ قتل زكريا وشعياء، والثانية قتل يحيىٰ بن زكريا.

وقرئ: (لتفسدن) بضم التاء وفتح السين مجهولًا، وبفتح التاء وضم السين من فسد الشيء يفسد.

﴿عُلُوًّا كَبِيرًا﴾ : (كا) عتوًا عظيمًا.

﴿ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ أُولَىٰهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَآ أُوْلِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُواْ خِلَٰلَ ٱلدِّيَارِۚ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا ۝٥ ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ ٱلْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَٰكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَٰكُمْ أَكْثَرَ

نَفِيرًا ﴿٦﴾ إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسُوءُوا
وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيرًا ﴿٧﴾ ﴾

﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ﴾ : أي: موعود ﴿أُولَاهُمَا﴾: أولىٰ المرتين، والمراد: عقابها ﴿بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَا﴾: وقرئ: «عبيدًا»، وأكثر ما يقال: «عباد الله» و«عبيد الناس»، وذلك أنَّهم لمَّا قتلوا يحيىٰ بن زكريا بُعث عليهم سنحاريب، أو العمالقة، أو جالوت الخزري فقتل علىٰ دمه سبعين ألفًا.

روي أنَّه لم يزل دمه يغلي حتىٰ قال القاتل علىٰ دمه: إن لم تسكن وإلا قتلت جميع قومك عليك فسكن.

﴿فَجَاسُوا﴾: أي: مشوا بتردد ﴿خِلَالَ الدِّيَارِ﴾: وسط المنازل، فقتلوا علماءهم وخربوا بيت المقدس، وأسروا سبعين ألفًا منهم.

وقرئ: (فحاسوا) وفحوسوا بحاء مهملة بمعنىٰ جاسوا.

﴿وَكَانَ﴾: أي: الإتيان بالعقاب ﴿وَعْدًا مَّفْعُولًا﴾ (كا) كائن لا محالة.

﴿ثُمَّ رَدَدْنَا﴾: أعدنا ﴿لَكُمُ الْكَرَّةَ﴾: الدولة ﴿عَلَيْهِمْ﴾: علىٰ الذين قتلوكم بعد مائة سنة لمَّا تبتم، وهي قتل بخت نصَّر، أو قتل داود جالوت.

تلخيصه: بعد ظفرهم بكم أظفرناكم بهم.

﴿وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا﴾: (حس) تمييز من «هم»، والنفير جمع نفر كالعبيد جمع عبد، أو النفير من ينفر معك من قومك، زعم بعضهم أنَّ اللام في ﴿فَلَهَا﴾ (كا) بمعنىٰ «علىٰ»، الصحيح أنَّها علىٰ بابها، المعنىٰ: الإحسان والإساءة يختصان بعاملهما.

﴿وَعْدُ الْآخِرَةِ﴾: أي: عقاب المرة الآخرة، وهي فسادهم وقصدهم قتل عيسىٰ وقتلهم يحيىٰ، فسُلط عليهم من قتلهم وسباهم ونفاهم من ديارهم، المعنىٰ: عند مجيء المرة الأخيرة من المرتين المذكورتين قبل ﴿بَعَثْنَاهُمْ﴾ بعثناهم.

﴿لِيَسُـُٔواْ وُجُوهَكُمْ﴾: ليقبحوها.

القراءة: (ليسوؤا) بياء وهمزة مضمومة بعدها واو الجمع ترجع إلىٰ المتقدم ذكرهم، وبياء وهمزة مفتوحتين، أي: ليسوء الله، أو البعث، أو الوعد، وبالنون وفتح الهمزة إخبارًا من الله تعالىٰ عن نفسه.

وقرئ: (لنسؤن) مخففًا ومثقلًا، و﴿لِيَسُـُٔواْ﴾، وخصت الوجوه بالمساءة والمراد أهلها، لأنَّ ما يظهر الحزن عليها.

المعنىٰ: عند مجيء المرة الأخيرة من المرتين المذكورتين بعثناهم ليسوؤا ﴿وَلِيَدْخُلُواْ ٱلْمَسْجِدَ﴾: أي: بيت المقدس ﴿كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾: من المرتين المذكورتين، ومفعول ﴿وَلِيُتَبِّرُواْ مَا عَلَوْاْ﴾: تلخيصه ومعناه: بعثناهم ليسوؤا وليدخلوا وليهلكوا ما غلبوا عليه وعلوه.

﴿تَتْبِيرًا﴾ (حس) هلاكًا مصدر.

﴿عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَٰفِرِينَ حَصِيرًا ﴿٨﴾ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴿٩﴾ وَأَنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٠﴾ وَيَدْعُ ٱلْإِنسَٰنُ بِٱلشَّرِّ دُعَآءَهُۥ بِٱلْخَيْرِ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ عَجُولًا ﴿١١﴾﴾

﴿عَسَىٰ رَبُّكُمْ﴾ يا بني إسرائيل ﴿أَن يَرْحَمَكُمْ﴾ (حس) بعد المرة الثانية إن تبتم عن معاصيكم، فتابوا فرحمهم.

﴿وَإِنْ عُدتُّمْ﴾: إلىٰ معاصيكم مرة ثالثة ﴿عُدْنَا﴾: (كا) عليكم بالعقوبة، فعادوا فسلّط عليهم الروم، أو محمدًا ﷺ فقتل بعضهم وأخذ الجزية من باقيهم، أو وإن عدتم إلىٰ المعصية عدنا إلىٰ المغفرة.

﴿وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَٰفِرِينَ حَصِيرًا﴾: (تا) محبسًا ومقرًّا يحصرون فيه.

﴿لِلَّتِى﴾: أي للملة، أو الشريعة التي ﴿هِىَ أَقْوَمُ﴾ أسد وأصوب من غيرها، وهي شهادة أن لا إله إلا الله، المعنىٰ: القرآن يهدي إلىٰ الطريق الصحيح وهو الإيمان.

﴿وَيُبَشِّرُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ الصالحين ﴿أَنَّ لَهُمۡ أَجۡرٗا كَبِيرٗا﴾ لا أحب الوقف هنا؛ لأنَّ ﴿وَأَنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ أَعۡتَدۡنَا لَهُمۡ عَذَابًا أَلِيمٗا﴾: (تا) النار عطف على «ويبشر»، أي: يبشر المؤمنين ببشارتين بثوابهم في الآخرة وبعقاب أعدائهم.

﴿وَيَدۡعُ ٱلۡإِنسَٰنُ بِٱلشَّرِّ﴾ إذا ضجر على نفسه وأهله وماله ﴿دُعَآءَهُۥ﴾: أي: دعاء مثل دعائه بالخير، والباء للحال أو سببية، حذفت واو يدع ويمح وسندع لفظًا وصلًا للساكنين، ووقفًا وهي مرادة معنى حملًا للوقف على الوصل، ولو وقف عليها اضطرار الوقف بلا واو في ثلاثتها [ق/ ٢١٩ب] اتباعًا للإمام.

تلخيصه: يطلب الشر كطلبه الخير.

﴿وَكَانَ ٱلۡإِنسَٰنُ﴾: هو جنس الناس، أو النضر بن الحارث ﴿عَجُولٗا﴾: (تا) بالدعاء على نفسه بالهلاك، أو ضجرًا لا يصبر على شيء، أو المعنى أنَّ العذاب يأتيه لابد، فلا حاجة إلى الاستعجال.

﴿وَجَعَلۡنَا ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ ءَايَتَيۡنِۖ فَمَحَوۡنَآ ءَايَةَ ٱلَّيۡلِ وَجَعَلۡنَآ ءَايَةَ ٱلنَّهَارِ مُبۡصِرَةٗ لِّتَبۡتَغُواْ فَضۡلٗا مِّن رَّبِّكُمۡ وَلِتَعۡلَمُواْ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلۡحِسَابَۚ وَكُلَّ شَيۡءٖ فَصَّلۡنَٰهُ تَفۡصِيلٗا ﴿١٢﴾ وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلۡزَمۡنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِي عُنُقِهِۦۖ وَنُخۡرِجُ لَهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ كِتَٰبٗا يَلۡقَىٰهُ مَنشُورًا ﴿١٣﴾ ٱقۡرَأۡ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفۡسِكَ ٱلۡيَوۡمَ عَلَيۡكَ حَسِيبٗا ﴿١٤﴾ مَّنِ ٱهۡتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهۡتَدِي لِنَفۡسِهِۦۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيۡهَاۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٞ وِزۡرَ أُخۡرَىٰۗ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبۡعَثَ رَسُولٗا ﴿١٥﴾﴾

﴿وَجَعَلۡنَا ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ﴾: أنفسهما ﴿آيَتَيۡنِ﴾: (كا) علامتين يستدل باختلافهما على الوحدانية، فيكون الإضافة في ﴿فَمَحَوۡنَآ آيَةَ ٱلَّيۡلِ﴾: وجعلنا ﴿آيَةَ ٱلنَّهَارِ﴾: تبين كإضافة العدد إلى المعدود، أي: محونا الآية التي هي الليل، وجعلنا الآية التي هي النهار ﴿مُبۡصِرَةٗ﴾: تبصر فيها الأشياء، أو المراد بآية الليل وآية النهار: الشمس والقمر، فمحو القمر السواد الذي يرى فيه.

روي أنَّ جبريل أَمَرَّ جناحه عليه فذهب ضوؤه، وبقي نوره، وبصر الشمس ضوؤها الذي تبصر به الأشياء.

تلخيصه: جعلنا القمر ذا محو، والشمس ذات إضاءة.

﴿لِّتَبْتَغُواْ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ﴾: لتتوصلوا بسببها إلىٰ نفعي الدنيا والآخرة ﴿وَلِتَعْلَمُواْ﴾ بهما ﴿عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ﴾: (تا) حساب الأوقات ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ﴾ يُحتاج إليه.

﴿فَصَّلْنَاهُ تَفْصِيلًا﴾ (كا) بيناه بيانًا ظاهرًا، فلم يبق لكم علينا حجة.

﴿طَائِرَهُۥ﴾: عمله، المعنىٰ: عمله لازم ﴿فِي عُنُقِهِۦ﴾ لا يفارقه كلزوم القلادة العنق، وخص العنق بالذكر؛ لأنَّ الإلزام فيها أشد، وقرئ: (طيره) و(عنقه) سكونًا.

القراءة: ﴿وَنُخْرِجُ﴾: بالنون، وقرئ بالياء الفاعل الله تعالىٰ، وبضم الياء وفتح الراء مجهولًا، وبفتح الياء وضم الراء، فقوله: ﴿كِتَابًا﴾ حال، أي: نخرج الطائر مكتوبًا.

القراءة: ﴿يَلْقَاهُ﴾: مشددًا بضم الياء يعارض ويقابل، وبفتح الياء مخففًا، أي: يجده ويراه ﴿مَنشُورًا﴾ (حس) مبينًا مشروحًا، و«يلقاه» و«منشورًا» صفتان لـ«كتابًا»، أو «منشورًا» حال، فثمَّ يقال له: ﴿ٱقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾: (تا) تمييز أي: محاسبًا، وفوض الله تعالىٰ حساب العبد إليه؛ لئلا ينسب إلىٰ الظلم، ولتجب الحجة عليه باعترافه.

الحسن[١]: أنصف من أنصفك، أنصف من جعلك حسيب نفسك.

﴿وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ﴾: (كا).

﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ﴾ ولا تحمل نفس إثمه ﴿وِزْرَ﴾: إثم نفس ﴿أُخْرَىٰ﴾: (حس) آثمة؛ لأنَّ كلًّا مُطالب بعمله، وأصل الوزر الثقل.

﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ﴾: عذاب الاستئصال، أو في الآخرة ﴿حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾: (كا) في الدنيا ينذرهم ويحذرهم.

---

(١) أخرجه عبد الرزاق في « تفسيره» (٣/ ٢٩٩)، والطبري في «تفسيره» (١٧/ ٤٠٠).

﴿ وَإِذَآ أَرَدۡنَآ أَن نُّهۡلِكَ قَرۡيَةً أَمَرۡنَا مُتۡرَفِيهَا فَفَسَقُواْ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيۡهَا ٱلۡقَوۡلُ فَدَمَّرۡنَٰهَا تَدۡمِيرٗا ١٦ وَكَمۡ أَهۡلَكۡنَا مِنَ ٱلۡقُرُونِ مِنۢ بَعۡدِ نُوحٖۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرَۢا بَصِيرٗا ١٧ مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلۡعَاجِلَةَ عَجَّلۡنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلۡنَا لَهُۥ جَهَنَّمَ يَصۡلَىٰهَا مَذۡمُومٗا مَّدۡحُورٗا ١٨ وَمَنۡ أَرَادَ ٱلۡأٓخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعۡيَهَا وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَأُوْلَٰٓئِكَ كَانَ سَعۡيُهُم مَّشۡكُورٗا ١٩ ﴾

﴿وَإِذَآ أَرَدۡنَآ أَن نُّهۡلِكَ قَرۡيَةً أَمَرۡنَا﴾: أي: نهينا من الأضداد ﴿مُتۡرَفِيهَا﴾ متنعميها، أو أمرنا أكثرنا، ومنه الحديث: «**سِكَّةٌ مأبورة ومُهْرةٌ مأمورة**»[1] [ق/ ١٥٥ جـ] أي: كثيرة النتاج وأمر القوم كثروا.

وقرئ: (آمرنا) مدًّا من آمر الشيء كثر، وآمره غيره، و(أمَّرنا) من التأمير، أو المترفون: الجبارون والملوك، وخص المترفون بالذكر؛ لأنَّهم المتبوعون، المعنىٰ: إذا أردنا هلاك قرية كثرنا متنعميها ونهيناهم عن المعصية.

﴿فَفَسَقُواْ فِيهَا﴾: فخرجوا عن الطاعة.

﴿فَدَمَّرۡنَٰهَا تَدۡمِيرٗا﴾: (حس) المعنىٰ: أهلكناها وما فيها هلاك استئصال، أو أهلكنا خيارها وأبقينا شرارها.

﴿وَكَمۡ﴾ مفعول ﴿أَهۡلَكۡنَا مِنَ ٱلۡقُرُونِ﴾ بيان لكَمْ، والقرن مدة يخترم فيها المرء وهي عشرون، أو أربعون، أو ثمانون، أو مائة، أو مائة وعشرون سنة.

المعنىٰ: كثيرًا أهلكنا من الأمم الماضية ﴿مِنۢ بَعۡدِ نُوحٖۗ﴾: (حس) كعاد وثمود.

﴿بَصِيرٗا﴾: (تا).

﴿ٱلۡعَاجِلَةَ﴾: الدنيا وجواب من كان ﴿عَجَّلۡنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ﴾: من البسط والتقتير وغيرهما لا ما يشاء هو.

وقرئ: (يشاء) بالياء، الضمير لله تعالىٰ.

---

(١) أخرجه أحمد (١٥٨٨٣)، والطبراني في «المعجم الكبير» (٦٤٧٠)، والبيهقي في «السنن الكبرىٰ» (١٩٨١٤) من حديث سويد بن هبيرة.

﴿لِمَن نُّرِيدُ﴾: بدل من «له» بإعادة الجار، وهو بدل البعض من الكل؛ لأنَّ الضمير يرجع إلىٰ معنىٰ، وفيه معنىٰ الكثرة.

تلخيصه: إنَّما نفعل ما نشاء لا معترض علينا، قالوا: وهذا فيمن كان يطلب الدنيا بعمل الآخرة.

﴿يَصْلَىٰهَا﴾: حال من ﴿جَهَنَّمَ مَذْمُومًا﴾: حال من الفاعل في يصلىٰ.

﴿مَّدْحُورًا﴾: (حس) مطرودًا.

﴿وَمَنْ أَرَادَ ٱلْآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا﴾: عمل لها عملًا يليق بها.

﴿وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰٓئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا﴾: (حس).

﴿ كُلًّا نُّمِدُّ هَٰٓؤُلَآءِ وَهَٰٓؤُلَآءِ مِنْ عَطَآءِ رَبِّكَ ۚ وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ﴿٢٠﴾ ٱنظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ وَلَلْآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَٰتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا ﴿٢١﴾ لَّا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَّخْذُولًا ﴿٢٢﴾ ﴾

﴿كُلًّا﴾: نصب بقوله: ﴿نُّمِدُّ﴾: والتنوين عوض من المضاف إليه.

وقوله ﴿هَٰٓؤُلَآءِ وَهَٰٓؤُلَآءِ﴾: بدل من كل، المعنىٰ: نمد كل واحد من الخلائق الطائع والعاصي بأن نعطيه ما قسم له.

﴿مِنْ عَطَآءِ رَبِّكَ﴾: (تا).

﴿وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ﴾: أي: رزقه وفضله ﴿مَحْظُورًا﴾: (تا) ممنوعًا عن الطائع والعاصي في الدنيا، وفي الآخرة مختص بالمؤمنين.

﴿كَيْفَ﴾ نصب حال بـ﴿فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾: (حس) في الدنيا بالمال والجاه، ﴿وَلَلْآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَٰتٍ﴾: للمؤمنين ﴿وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا﴾: (تا).

﴿فَتَقْعُدَ﴾: نصب جواب النهي، وقرئ: (فتقعدُ) رفعًا أي: أنت تقعد ﴿مَّخْذُولًا﴾: ذليلًا بلا ناصر.

﴿ ۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ

أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا ﴿٢٤﴾ رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِى نُفُوسِكُمْ إِن تَكُونُوا۟ صَٰلِحِينَ فَإِنَّهُۥ كَانَ لِلْأَوَّٰبِينَ غَفُورًا ﴿٢٥﴾﴾

﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ﴾: أي: أمر ربك، وقرئ: (ووصَّىٰ) من الوصية، زعم بعضهم أنَّ الواو اتصلت بالصاد فصارت قافًا، وهذا باطل؛ لأنَّ السبعة إنما ثبتت بالتواتر، فكيف تصير بمجرد الالتصاق من السبعة، وكيف يعتقد بالأئمة الحفاظ إهمال مثل هذا وترك التنبيه عليه، وقرئ: (وقضاء ربك).

وأن في ﴿أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾: (كا) مفسرة بمعنىٰ أي: ﴿وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ﴾: أي: وأحسنوا بالوالدين ﴿إِحْسَٰنًا﴾: (حس) برًا بهما وإكرامًا لهما.

القراءة: ﴿إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ﴾: بألف ونون مشددة تثنية تعود علىٰ الوالدين فقوله: ﴿أَحَدُهُمَآ﴾: رفع بدل من الضمير في «يبلغان».

وقوله: ﴿أَوْ كِلَاهُمَا﴾: عطف علىٰ (أحدهما) ويبلغن مشددًا من غير ألف، فأحدهما فاعل يبلغن [ق/ ١٣١أ].

المعنىٰ: إذا أسن والداك أو أحدهما واحتاجا أو أحدهما في حال كبرهما إلىٰ أن تتولىٰ منهما ما كانا يتوليانه منك في حال الطفولة ﴿فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ﴾: تضجرًا بهما.

القراءة: بالتنوين وكسر الفاء، وبفتحها وكسرها من غير تنوين، فمن نَوَّن قدر فيه التنكير، ومن لم ينون قدر فيه التعريف، وفيه لغات الحركات الثلاث مع التنوين والتشديد، والحركات الثلاث من غير تنوين مع التشديد، فالكسر علىٰ أصل التقاء الساكنين والفتح تخفيف والضم اتباع وهو اسم سمي به الفعل مبني يدل علىٰ التضجر، المعنىٰ: لا تتكره بهما.

﴿وَلَا تَنْهَرْهُمَا﴾: لا تزجرهما إذا كرهت منهما شيئًا ﴿وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾: (كا).

ابن المسيب[١]: يقول لهما قول العبد المذنب للسيد الفظ.

الفضيل: بر الوالدين أن لا تقوم إلىٰ خدمتهما وأنت كسل.

القراءة: ﴿وَٱخۡفِضۡ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ﴾: بضم الذال ضد العز، وقرئ بكسرها ضد الصعوبة وهو الانقياد وخفض الجناح استعارة.

تلخيصه: أَلِن لهما جانبك الذليل أو الذلول ﴿مِنَ ٱلرَّحۡمَةِ﴾: أي: من أجل رحمتك لهما وعطفك عليهما وادع لهما بشرط الإسلام.

﴿وَقُل رَّبِّ ٱرۡحَمۡهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾: (حس)، قال ﷺ: «**رضا الله في رضا الوالد، وسخطه في سخط الوالد**»[٢]، وقال: «**لا يدخل الجنة منَّانٌ ولا عاقٌ ولا مُدمنُ خمرٍ**»[٣].

﴿فَإِنَّهُۥ كَانَ لِلۡأَوَّٰبِينَ﴾ الراجعين عن الذنوب إلىٰ الله تعالىٰ في جميع أحوالهم.

﴿غَفُورًا﴾: (حس) والأوابون: المصلون الضحىٰ، أو ما بين المغرب والعشاء، وحسن الوقف هنا لأنَّ

﴿ وَءَاتِ ذَا ٱلۡقُرۡبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلۡمِسۡكِينَ وَٱبۡنَ ٱلسَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرۡ تَبۡذِيرًا ﴿٢٦﴾ إِنَّ ٱلۡمُبَذِّرِينَ كَانُوٓاْ إِخۡوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِۖ وَكَانَ ٱلشَّيۡطَٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورًا ﴿٢٧﴾ وَإِمَّا تُعۡرِضَنَّ عَنۡهُمُ ٱبۡتِغَآءَ رَحۡمَةٖ مِّن رَّبِّكَ تَرۡجُوهَا فَقُل لَّهُمۡ قَوۡلٗا مَّيۡسُورٗا ﴿٢٨﴾ وَلَا تَجۡعَلۡ يَدَكَ مَغۡلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبۡسُطۡهَا كُلَّ ٱلۡبَسۡطِ فَتَقۡعُدَ مَلُومٗا مَّحۡسُورًا ﴿٢٩﴾ ﴾

﴿وَءَاتِ ذَا ٱلۡقُرۡبَىٰ حَقَّهُۥ﴾ والمراد صلة الرحم، أو قرابة النبي ﷺ عطف علىٰ ما

---

(١) أخرجه الطبري في «تفسيره(١٧/ ٤١٨)، وابن أبي حاتم في «تفسيره»، (٧/ ٢٣٢٤).

(٢) أخرجه الترمذي (١٨٩٩)، وابن حبان(٤٢٩)، والحاكم(٧٢٤٩) والبزار (٢٣٩٤)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٧٨٣٠) من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنه.

(٣) أخرجه النسائي في «المجتبىٰ» (٥٦٧٢)، وفي «السنن الكبرىٰ» (٤٩١٨)، وأحمد (٦٥٣٧)، والدارمي (٢٠٩٣)، وابن حبان(٣٣٨٣)، والبيهقي في «السنن الكبرىٰ» (١٩٧٧٥) من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنه.

تقدم من الحث على الوصية [ق/ ٢٢٠ب]، أو المراد النفقة الواجبة لهم عند الحاجة، ولا تجب النفقة على أحد من الأقارب عدا الولادة عند الشافعي، وتجب عند أبي حنيفة مع اتفاق الدينين.

﴿وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ﴾: من الزكاة المفروضة، أو هي الضيافة ثلاثًا.

﴿وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا﴾: (كا) أصل التبذير: التبديد، أي: لا تنفق في غير طاعة الله تعالى، أو هو إنفاق المال في غير حقه، وكان المبذرون ﴿إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِ﴾: لأنَّهم يحشرون معهم لأنَّهم أطاعوهم.

﴿وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِرَبِّهِۦ﴾: أي لأنعمه ﴿كَفُورًا﴾: (كا) جحودًا.

﴿وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ﴾ عن ذوي القربى والمذكورين قبل ﴿ٱبْتِغَآءَ رَحْمَةٍ﴾: أي رزق نصب مفعول له ﴿مِّن رَّبِّكَ تَرْجُوهَا﴾: المعنى: إن أعرضت عنهم ولم تجبهم حياءً منهم لطلب رزق ترجو أن يأتيك به الله تعالى ﴿فَقُل لَّهُمْ قَوْلًا مَّيْسُورًا﴾ (حس) ميسرًا سهلًا، المعنى: عدهم عدة جميلة ولا تتركهم غير مجابين فتشتغل قلوبهم، فقل: يرزقنا الله تعالى وإياكم.

ونزل لمَّا أعطي ﷺ قميصه ولم يبق له ثوب يخرج به إلى الصلاة، أو لمَّا أعطى المؤلفة قلوبهم كل واحد مائة من الإبل: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ﴾: بخلًا عن النفقة ﴿وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ﴾: بأن تخرج جميع مالك تبذيرًا وإسرافًا، و«كل» نصب مصدر لإضافته إليه.

تلخيصه: لا تقتر ولا تبذر.

﴿فَتَقْعُدَ مَلُومًا﴾: تلام على تضييع المال.

﴿مَّحْسُورًا﴾: (حس) منقطعًا بك لا شيء عندك، أو نادمًا على تفريط، والمحسور: المنقطع عن السير إعياءً، والصحيح أنَّ هذا خطاب للنبي ﷺ والمراد غيره؛ لأنَّه كان أفسح الناس صدرًا، وكان لا يدخر شيئًا لغد، يوضح هذا

أن أومأ إلىٰ أنَّ ليس إليه شيء من الإعطاء والمنع بقوله:

﴿ إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا ﴿٣٠﴾ وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَٰقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ ۚ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْـًٔا كَبِيرًا ﴿٣١﴾ وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا ﴿٣٢﴾ وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۗ وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِۦ سُلْطَٰنًا فَلَا يُسْرِف فِّى ٱلْقَتْلِ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ مَنصُورًا ﴿٣٣﴾ ﴾

﴿إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ﴾: (كا) يضيّق، وهذا حث على التوكل.

﴿بَصِيرًا﴾: (تا).

ونزل في وأد البنات خشية الفاقة: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَٰقٍ﴾: مخافة فقر ولا لغير مخافته إلا أنَّ الحال اقتضت ذلك، وقرئ: (تُقَتِّلوا) مثقلًا وبكسر الخاء.

القراءة: ﴿إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْـًٔا﴾: بكسر الخاء مدًا مصدر خاطأ خطاءً كقاتل قتالًا، وبفتح الخاء والطاء من غير مد مصدر خطئ خطأ، وبكسر الخاء وإسكان الطاء من غير مد مصدر خطئ خِطْأً كأثم إثمًا وزنًا ومعنىٰ، وقرئ بفتح الخاء والمد، لا أحب الوقف من بصيرًا إلىٰ ﴿كَبِيرًا﴾: (حس).

﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ﴾ وهذا نهي عن مقدمات الزنا كالنظرة والغمزة، وإذا نهىٰ عن مقدماته كان النهي عنه أولىٰ، ولو أراد النهي عن نفس الزنا لقال: ولا تزنوا، وقرئ: بمد الزناء لغتان، أو مصدر زانأ زناءً كقاتل قتالًا.

﴿وَسَآءَ سَبِيلًا﴾: (كا).

﴿إِلَّا بِٱلْحَقِّ﴾: (حس) إلا باستحقاقها القتل، إما بكفر بعد إيمان أو زنًا بعد إحصان أو قتل نفس بغير حق فتقتل بها ﴿وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا﴾: غير مرتكب واحدة من هذه الثلاثة.

﴿لِوَلِيِّهِۦ سُلۡطَٰنٗا﴾: المعنىٰ: جعلنا لغريمه الذي دمه تسلطًا علىٰ القاتل إن شاء قتل، وإن شاء عفا، وإن شاء أخذ الدية، ومن لا ولي له فالسلطان وليّه.

القراءة: ﴿فَلَا يُسۡرِف﴾: الولي ﴿فِّي ٱلۡقَتۡلِۖ﴾: بأن يقتل اثنين أو أكثر بالواحد، أو يقتل غير القاتل، أو لا يمثل به، أو الضمير في «يسرف» للقاتل الأول بالياء غيبة، وبالتاء خطابًا للولي أو القاتل، وقرئ: «فلا يسرف» رفعًا خبر في معنىٰ الأمر مبالغة ولا تسرفوا ﴿إِنَّهُۥ﴾: الولي ﴿كَانَ مَنصُورٗا﴾: (حس) ينصره الشرع والسلطان، أو الهاء للمقتول، ونصره قتل قاتله وحصول الأجر له.

﴿ وَلَا تَقۡرَبُواْ مَالَ ٱلۡيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ حَتَّىٰ يَبۡلُغَ أَشُدَّهُۥۚ وَأَوۡفُواْ بِٱلۡعَهۡدِۖ إِنَّ ٱلۡعَهۡدَ كَانَ مَسۡـُٔولٗا ﴿٣٤﴾ وَأَوۡفُواْ ٱلۡكَيۡلَ إِذَا كِلۡتُمۡ وَزِنُواْ بِٱلۡقِسۡطَاسِ ٱلۡمُسۡتَقِيمِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلٗا ﴿٣٥﴾ وَلَا تَقۡفُ مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٌۚ إِنَّ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡبَصَرَ وَٱلۡفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنۡهُ مَسۡـُٔولٗا ﴿٣٦﴾ ﴾

﴿ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ ﴾: بالفعلة [ق/ ١٥٦ جـ] التي هىٰ أسرع إلىٰ إصلاح حال اليتيم وماله.

﴿حَتَّىٰ يَبۡلُغَ أَشُدَّهُۥ﴾: منتهىٰ بلوغه.

﴿وَأَوۡفُواْ بِٱلۡعَهۡدِۖ﴾ إذا عاهدتم لكل أحد ﴿إِنَّ ٱلۡعَهۡدَ كَانَ مَسۡـُٔولٗا﴾: (كا) عنه، أو يسأل حقيقة توبيخًا لناكثه كسؤال الموءودة لم قتلت؛ توبيخًا لقاتلها.

القراءة: ﴿ وَزِنُواْ بِٱلۡقِسۡطَاسِ ٱلۡمُسۡتَقِيمِۚ ﴾: (تا) بضم القاف وكسرها هنا والشعراء لغتان في كل ما يوزن به صغر أو كبر من جميع الموازين.

﴿وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلٗا﴾: (تا) عاقبة وما يؤول إليه الأمر.

﴿وَلَا تَقۡفُ﴾: لا تتبع ولا تقل ﴿مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٌۚ﴾: وقرئ: «تقف» كتقم من قاف يقوف تبع بمعنىٰ قفا يقفو، والقفو: اتباع الأثر، وأصله من القفاء، المعنىٰ: لا تقل: سمعت ولم تسمع ورأيت ولم تر وعلمت ولم تعلم.

﴿إِنَّ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡبَصَرَ وَٱلۡفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ﴾: أي: السمع والبصر والفؤاد، فقوله:

﴿كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾: (تا) الجملة الخبر، واسم «كان» ضمير رجع إلىٰ «كل»، والهاء في «عنه» لكل أيضًا، و«عن» تتعلق بـ«مسؤول»، وفي «مسؤول» ضمير يرجع إلىٰ «كل»، المعنىٰ: إنَّ هذه الأعضاء تُسأل مجازًا وتوبيخًا لأصحابها، ويجوز أن يسأل عنها لم فعلت ذلك؟ وأشار بأولئك إلىٰ هذه الأعضاء، وهو غالبًا لمن يعقل، وقد جاء لمن لا يعقل كقوله[1]:

والْعَيشُ بعد أولئكِ الأيامِ

لأنَّ أولئك جمع ذا، وذا إشارة إلىٰ العقلاء وغيرهم، و«عنه» في محل رفع عند بعضهم بـ«مسؤولًا»، وإن كان مقدمًا عليه، وجعله كـ«عليهم» في «المغضوب عليهم»، وفيه بعد؛ لأنَّ الجار والمجرور إنما يقومان مقام الفاعل إذا تأخر عن الفعل، أما إذا تقدم فلا يقومان قياسًا علىٰ الاسم؛ لأنَّ الاسم إذا تأخر عن الفعل أو ما قام مقامه كان فاعلًا، وإذا تقدم عليه صار مبتدأ، وحرف الجر إذا تقدم لم يضرَّ مبتدأ بل ينتصب بالفعل نحو: بزيد انطلق، فعلىٰ هذا تجعل في «مسؤولًا» ضمير المصدر.

﴿وَلَا تَمْشِ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَحًاۖ إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ ٱلْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ ٱلْجِبَالَ طُولًا ﴿٣٧﴾ كُلُّ ذَٰلِكَ كَانَ سَيِّئُهُۥ عِندَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا ﴿٣٨﴾ ذَٰلِكَ مِمَّآ أَوْحَىٰٓ إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ ٱلْحِكْمَةِۗ وَلَا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتُلْقَىٰ فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا مَّدْحُورًا ﴿٣٩﴾ أَفَأَصْفَىٰكُمْ رَبُّكُم بِٱلْبَنِينَ وَٱتَّخَذَ مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنَٰثًاۚ إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلًا عَظِيمًا ﴿٤٠﴾﴾

القراءة: ﴿مَرَحًاۖ﴾ بفتح الراء مصدر في موضع الحال، أو مفعول له، المعنىٰ: بطرًا وكبرًا وخيلاء، وقرئ بكسر الراء حال، **القراءة**: ﴿إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ﴾ بكسر الراء، وقرئ بضمها لغتان، أي: لن تنقب ﴿ٱلْأَرْضَ﴾ ولن تنفذها بكبرك حتىٰ تخرج منها.

﴿وَلَن تَبْلُغَ ٱلْجِبَالَ طُولًا﴾ (حس) بكبرك وعظمتك مصدر في موضع الحال من

---

(١) القائل هو جرير، والبيت بتمامه:

ذم المنازل بعد منزلة اللوىٰ والعيش بعد أولئك الأقوام

انظر «الكامل» (١/ ٢٦٧).

الفاعل، أو المفعول، أو مفعول له تمييز، المعنىٰ: لا تتكبر فإنَّك لن تقدر علىٰ نقب الأرض والخروج منها لئلا تموت، ولا علىٰ مطاولة الجبال في العمر والقوة.

تلخيصه: أنت عاجز فلا تتكبر.

القراءة: ﴿كُلُّ ذَٰلِكَ﴾: المذكور من المناهي ﴿كَانَ سَيِّئُهُۥ﴾: بإضافة شيء إلىٰ ضمير كل فـ«سيئ» اسم «كان» خبرها ﴿مَكْرُوهًا﴾: و﴿سَيِّئَةً﴾ مؤنثًا منكرًا منونًا منصوبًا، ففي «كان» اسمها [مستتر راجع إلىٰ «كل»][1]، و﴿سَيِّئَةً﴾ خبرها و﴿مَكْرُوهًا﴾ نعتها؛ لأنَّ السيئة بمعنىٰ الذنب، أو لأنَّ تأنيثها غير حقيقي، وقرئ: (سيئًا)، وفي بعض المصاحف (سيئات)، وقرئ: (كان شأنه).

﴿ذَٰلِكَ﴾: أي التوحيد وهو ﴿مِمَّآ أَوْحَىٰٓ إِلَيْكَ﴾.

وقوله ﴿مِنَ ٱلْحِكْمَةِ﴾: بدل مما «أوحىٰ إليك»، وسمي الموحىٰ حكمة؛ لأنَّه في غاية الإحكام لا يتطرق عليه فساد ما.

ثم خوطب ﷺ والمراد غيره بقوله: ﴿وَلَا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتُلْقَىٰ فِى جَهَنَّمَ مَلُومًا مَّدْحُورًا﴾: (تا) مبعدًا عن الخير.

﴿أَفَأَصْفَىٰكُمْ﴾: أيها المشركون ﴿بِٱلْبَنِينَ وَٱتَّخَذَ مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنَٰثًا﴾ بنات، المعنىٰ: اختصكم بالأسنىٰ واختار لنفسه الأردىٰ ﴿إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلًا عَظِيمًا﴾: (تا) بإضافتكم الأولاد إليه وتفضيل أنفسكم عليه.

﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لِيَذَّكَّرُوا۟ وَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا نُفُورًا ﴿٤١﴾ قُل لَّوْ كَانَ مَعَهُۥٓ ءَالِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَّٱبْتَغَوْا۟ إِلَىٰ ذِى ٱلْعَرْشِ سَبِيلًا ﴿٤٢﴾ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤٣﴾ تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ۗ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤٤﴾﴾

﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا﴾: أي: بينا، وقرئ مخففًا: ﴿فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ﴾.

---

(١) سقط من أ، ب والمثبت من ج.

القراءة: ﴿لِيَذَّكَّرُواْ﴾ هنا والفرقان بسكون الذال وضم الكاف مخففًا من الذكر بعد النسيان، ومشددًا من التذكر التدبر.

﴿وَمَا يَزِيدُهُمْ﴾: تصريفنا ﴿إِلَّا نُفُورًا﴾: (حس) عن الحق.

القراءة: ﴿كَمَا يَقُولُونَ﴾: بالتاء والياء ﴿إِذًا لَّٱبْتَغَوْاْ﴾: أي طلبوا ﴿إِلَىٰ ذِي ٱلْعَرْشِ سَبِيلًا﴾: (حس) المعنىٰ: لو وجدوا معه آلهة فرضًا كما يزعمون لطلبوا إلىٰ صاحب العرش طريقًا ليغالبوه ويقهروه [ق/ ٢٢١ب].

﴿سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا﴾: واقع موقع تعاليًا.

﴿كَبِيرًا﴾: (حس).

القراءة: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ﴾: بالياء لقيام «له» مقام تاء التأنيث؛ ولأنَّ تأنيث السموات غير حقيقي، وبالتاء مؤنثًا علىٰ اللفظ.

﴿وَإِن﴾ وما ﴿مِّن شَيْءٍ﴾: من الحيوانات والناميات ﴿إِلَّا يُسَبِّحُ﴾: ملتبسًا ﴿بِحَمْدِهِۦ﴾.

عكرمة(١): الشجرة تسبح والأسطوانة تسبح.

النخعي(٢): إن كل شيء من جماد وحي إلا يسبح بحمده حتىٰ صرير الباب.

أو تسبيحها تسبيح الناظر إليها، أو حالها اقتضىٰ ذلك.

مجاهد(٣): تسبيحها: سبحان الله وبحمده، وهذا ممكن عقلًا وقدرة.

﴿وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾: (كا) لأنَّه ليس بلغتكم، ويجوز أن يُفهم تعالىٰ بعض عباده تسبيح بعض الجمادات، كداود وسليمان عليهما الصلاة والسلام.

﴿غَفُورًا﴾: (حس).

---

(١) أخرجه الطبري في «تفسيره» (١٧/ ٤٥٥).

(٢) أخرجه الطبري في «تفسيره» (١٧/ ٤٥٦).

(٣) أخرجه الطبري في «تفسيره» (١٧/ ٤٥٦).

﴿ وَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا ﴿٤٥﴾ وَجَعَلْنَا
عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا ۚ وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِى ٱلْقُرْءَانِ وَحْدَهُۥ وَلَّوْا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَـٰرِهِمْ
نُفُورًا ﴿٤٦﴾ نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِۦٓ إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ وَإِذْ هُمْ نَجْوَىٰٓ إِذْ يَقُولُ ٱلظَّـٰلِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا
مَّسْحُورًا ﴿٤٧﴾ ٱنظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا۟ لَكَ ٱلْأَمْثَالَ فَضَلُّوا۟ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا ﴿٤٨﴾ وَقَالُوٓا۟ أَءِذَا كُنَّا
عِظَـٰمًا وَرُفَـٰتًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ﴿٤٩﴾ ﴾

كان المشركون يؤذون النبي ﷺ مصليًا، وجاءت أم لهب بحجر لترضخه بها فلم تره فنزل ﴿وَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا﴾: (كا) ذا ستر، أو مستورًا بحجاب آخر من قدرة الله تعالىٰ لا يرىٰ كالحائل بين [الفرث و الدم][1] واللبن حقيقته غير مشاهدة، وإذا لم يروا الحجاب فلا يرون المتحجب به، أو مستورًا بمعنىٰ ساتر.

بعضهم: من تحصن بالحق فهو في حصن حصين، ومن تحصن بكتابة فهو في حصن حصين، والمضيّع لوقته من تحصن بعلمه أو بنفسه فيكون [ق/ ١٣٢أ] هلاكه في موضع أمنه.

﴿أَكِنَّةً﴾ أغطية مخافة ﴿أَن يَفْقَهُوهُ وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا﴾: ثقلًا وصممًا، وقرئ بكسر الواو ﴿وَحْدَهُۥ﴾ مصدر ساد مسد الحال، أي: يجد وحده بمعنىٰ واحدًا وحده، أي: منفردًا.

المعنىٰ: إذا قلت: لا إله إلا الله تاليًا للقرآن ﴿وَلَّوْا۟﴾ رجعوا ﴿عَلَىٰٓ أَدْبَـٰرِهِمْ نُفُورًا﴾: (تا) جمع نافر، أي: نافرين، أو مصدر كالقعود، أو لمَّا قال ﷺ: «**قولوا: لا إله إلا الله، كلمة تدين لكم بها العجم وتملكون بها العرب**»[2] نفروا عنه، كان المشركون يهزؤون بالنبي ﷺ بينهم، فنزل تهديدًا لهم وتسلية له: ﴿نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِۦٓ﴾: أي بالهزيء، فمحل ﴿به﴾ حال، أي: يستمعون هازئين، أو الباء بمعنىٰ اللام.

---

(١) في ج: تقديم وتأخير.

(٢) أخرجه الطبري في «تفسيره» (٢١/ ١٤٩).

ومحل ﴿إِذۡ يَسۡتَمِعُونَ إِلَيۡكَ﴾: نصب بـ«أعلم»، أي: أعلم وقت استماعهم ﴿وَإِذۡ هُمۡ نَجۡوَىٰٓ﴾ جمع نجي، وهم القوم يتناجون، أي: يتحدثون، أو هم ذو نجوىٰ ظرف لـ«يستمعون» الأولىٰ، أو نصب باذكر مقدرة.

وقوله تعالىٰ: ﴿إِذۡ يَقُولُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾: أي المشركون بدل من «إذ هم».

﴿مَّسۡحُورًا﴾: (تا) مطبوبًا، أو له شجر وهو طرف الحلقوم والرئة.

تلخيصه: هو بشر.

﴿فَضَلُّواْ﴾: في ضربهم لك الأمثال، وفي جميع ما نسبوه إليك كفرًا.

﴿فَلَا يَسۡتَطِيعُونَ﴾: لا يجدون ﴿سَبِيلًا﴾: (كا) إلىٰ الطعن فيك.

﴿وَرُفَٰتًا﴾: حطامًا، رفت فهو مرفوت ورفات حطم.

﴿جَدِيدًا﴾: (حس).

تلخيصه: قالوا: حياتنا بعد الموت محال.

﴿۞ قُلۡ كُونُواْ حِجَارَةً أَوۡ حَدِيدًا ﴿٥٠﴾ أَوۡ خَلۡقًا مِّمَّا يَكۡبُرُ فِي صُدُورِكُمۡۚ فَسَيَقُولُونَ مَن يُعِيدُنَاۖ قُلِ ٱلَّذِي فَطَرَكُمۡ أَوَّلَ مَرَّةٖۚ فَسَيُنۡغِضُونَ إِلَيۡكَ رُءُوسَهُمۡ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هُوَۖ قُلۡ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَرِيبًا ﴿٥١﴾ يَوۡمَ يَدۡعُوكُمۡ فَتَسۡتَجِيبُونَ بِحَمۡدِهِۦ وَتَظُنُّونَ إِن لَّبِثۡتُمۡ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٥٢﴾﴾

﴿قُلۡ﴾ تعجيزًا لهم وتوبيخًا: ﴿كُونُواْ حِجَارَةً أَوۡ حَدِيدًا ﴿٥٠﴾ أَوۡ خَلۡقًا مِّمَّا يَكۡبُرُ﴾ يعظم ﴿فِي صُدُورِكُمۡۚ﴾ كالسموات والأرضين مما تقبل الحياة، ثم انظروا بأدلة العقل هل نحن قادرون علىٰ جعل الروح فيه لأنَّا أوجدناكم ثم أحييناكم، فلا يمتنع علينا إيجاد الروح.

﴿فَسَيَقُولُونَ﴾: استبعادًا ﴿مَن يُعِيدُنَاۖ﴾: بعد الموت؟ ﴿قُلِ ٱلَّذِي فَطَرَكُمۡ﴾: أنشأكم ﴿أَوَّلَ مَرَّةٖۚ﴾: فإنَّ القادر علىٰ الإنشاء قادر علىٰ الإعادة.

﴿فَسَيُنۡغِضُونَ﴾: أي: يحركون ﴿إِلَيۡكَ رُءُوسَهُمۡ وَيَقُولُونَ﴾: استهزاءً بك: ﴿مَتَىٰ هُوَۖ﴾: أي: ما تعدنا به من العذاب ﴿قُلۡ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَرِيبًا﴾: لا وقف هنا إن

نصبت «يوم» بعد ظرفًا لـ«يكون»، ويكفي إن نصبته بمضمر، تقديره: يعيدكم ﴿يَوْمَ يَدْعُوكُمْ﴾: فتقومون للحساب بالنفخة الآخرة ﴿فَتَسْتَجِيبُونَ﴾: فتجيبون ﴿بِحَمْدِهِۦ﴾: بأمره وإرادته.

ومحل ﴿وَتَظُنُّونَ﴾ تتيقنون ﴿إِن لَّبِثْتُمْ﴾ في الدنيا ﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾: (تا) بالنسبة إلىٰ الآخرة حال، ولا أحب الوقف اختيارًا من «حديدًا» إلىٰ هنا.

والمراد بهذه الآية المؤمنون؛ لأنهم يبعثون حامدين مستقصرين مدة لبثهم في القبور؛ لأنهم كانوا منعمين فيها، أو في الدنيا.

﴿ وَقُل لِّعِبَادِى يَقُولُوا۟ ٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوًّا مُّبِينًا ﴿٥٣﴾ رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْ ۖ إِن يَشَأْ يَرْحَمْكُمْ أَوْ إِن يَشَأْ يُعَذِّبْكُمْ ۚ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا ﴿٥٤﴾ وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ عَلَىٰ بَعْضٍ ۖ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا ﴿٥٥﴾ ﴾

﴿وَقُل لِّعِبَادِى﴾: المؤمنين [ق/ ١٥٧ جـ] ﴿يَقُولُوا۟﴾ للكافرين الخلة ﴿ ٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ ﴾ وهي ألَّا يكافؤوهم علىٰ أذاهم، ويقولون لهم: يهديكم الله، وهذا نسخ بآية السيف(١)، أو هو خطاب للمؤمنين، أي: يقول بعضهم لبعض القولة الجميلة وهي لا إله إلا الله، ويوصوهم بتقوىٰ الله تعالىٰ.

﴿إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ ۚ﴾: أي يفسد، وقرئ بكسر الزاء.

﴿مُّبِينًا﴾: (تا) إن جعلت ﴿وَقُل لِّعِبَادِى﴾ خطابًا للكفار جعلت الآية بعدها تفسيرًا للتي هي أحسن، وهي ﴿رَّبُّكُمْ﴾: أيها المؤمنون ﴿أَعْلَمُ بِكُمْ ۖ﴾: وبما يصدر منكم ﴿إِن يَشَأْ يَرْحَمْكُمْ﴾: بالتوبة عليكم، والنجاة من الكفار.

﴿أَوْ إِن يَشَأْ يُعَذِّبْكُمْ ۚ﴾: (حس) بالإقامة علىٰ المعاصي وتسليط الكفار، أو هو خطاب للكفار، أي: يرحمكم بالهداية ويعذبكم بالكفر.

﴿وَكِيلًا﴾: (تا) قالوا: وفيه نظر؛ لأنَّ ﴿ وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ

---

(١) انظر: «قلائد المرجان» (ص/ ١٣٤).

﴿وَٱلۡأَرۡضِۗ﴾: (حس) عطف علىٰ ما قبل لفظًا.

تلخيصه: هو عالم بهم وبأحوالهم.

﴿وَلَقَدۡ فَضَّلۡنَا بَعۡضَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ عَلَىٰ بَعۡضٍۖ﴾: ففضل إبراهيم بالخلة، وموسىٰ بالتكليم، ومحمدًا بالمعراج.

﴿وَءَاتَيۡنَا دَاوُۥدَ زَبُورٗا﴾: (حس) تفضيلًا له، كان زبور داود مائة وخمسين سورة ليس حلال ولا حرام، بل تمجيد وتحميد ودعاء صلوات الله تعالىٰ وسلامه عليهم أجمعين، نكر زبورًا هنا وعرّفه في الأنبياء؛ لأنَّهما واحد كعباس والعباس، وهذا خطاب مع الذين يعترفون بتفضيل الأنبياء.

المعنىٰ: إذا اعترفتم بتفضيلهم فلم تنكرون فضل محمد ﷺ وهو واحد منهم؟!

﴿ قُلِ ٱدۡعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمۡتُم مِّن دُونِهِۦ فَلَا يَمۡلِكُونَ كَشۡفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمۡ وَلَا تَحۡوِيلًا ﴿٥٦﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ يَبۡتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلۡوَسِيلَةَ أَيُّهُمۡ أَقۡرَبُ وَيَرۡجُونَ رَحۡمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحۡذُورٗا ﴿٥٧﴾ وَإِن مِّن قَرۡيَةٍ إِلَّا نَحۡنُ مُهۡلِكُوهَا قَبۡلَ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ أَوۡ مُعَذِّبُوهَا عَذَابٗا شَدِيدٗاۚ كَانَ ذَٰلِكَ فِي ٱلۡكِتَٰبِ مَسۡطُورٗا ﴿٥٨﴾ ﴾

ونزل فيمن عبد غير الله تعالىٰ: ﴿قُلِ ٱدۡعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمۡتُم﴾: أنَّهم أولياؤكم ﴿مِّن دُونِهِۦ﴾: أي دون الله ليكشفوا عنكم البلاء والضراء.

﴿فَلَا يَمۡلِكُونَ كَشۡفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمۡ وَلَا تَحۡوِيلًا﴾: (حس) له إلىٰ غيركم ولا تحويلكم منه ﴿أُولَٰئِكَ﴾ مبتدأ، صفته ﴿ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ﴾: أي: يدعونهم المشركون آلهة خبره ﴿يَبۡتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلۡوَسِيلَةَ﴾: القربة ﴿أَيُّهُمۡ﴾: بدل من واو ﴿يَبۡتَغُونَ﴾، و«أي» موصولة، أي: يبتغي من هو أقرب منكم الوسيلة أيضًا إليه فكيف الأبعد؟ أو «أيهم» استفهام مبتدأ، خبره أقرب، والجملة نصب بـ﴿يَبۡتَغُونَ﴾، المعنىٰ: يطلبون القرب إلىٰ ربهم؛ لينظروا، أي: معبوديهم أقرب إليه، فيتوسلوا به.

تلخيصه: آلهتهم أيضًا يطلبون القرب إليه تعالىٰ.

﴿وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ﴾: (كا) كغيرهم من المخلوقات .

﴿مَحْذُورًا﴾ (تا) يحذره كل ملك مقرب ونبي مرسل لشدته ولو كانوا آلهة ما حذروا.

خرج ﷺ يومًا علىٰ أصحابه فقال: «هل تدرون ما يخرب القرىٰ؟» قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: «أعمال السوء فاجتنبوها» ، [وتلا] [(١)] ﴿وَإِن مِّن قَرْيَةٍ﴾ إلىٰ ﴿مَسْطُورًا﴾ وتحريك رأسه ويقول علىٰ ذلك مرجع القرىٰ[(٢)] .

﴿إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا﴾: بالموت والاستئصال ﴿أَوْ مُعَذِّبُوهَا﴾: بالقتل وأنواع العقاب إن لم يؤمنوا، أو تقدير الآية: وإن من قرية نحن مهلكوها قبل يوم القيامة إلا ﴿كَانَ ذَٰلِكَ فِى ٱلْكِتَٰبِ﴾: اللوح ﴿مَسْطُورًا﴾: (تا) ولو تؤولت علىٰ ظاهر نظمها لوجب هلاك جميع القرىٰ قبل يوم القيامة.

﴿وَمَا مَنَعَنَآ أَن نُّرْسِلَ بِٱلْـَٔايَٰتِ إِلَّآ أَن كَذَّبَ بِهَا ٱلْأَوَّلُونَ ۚ وَءَاتَيْنَا ثَمُودَ ٱلنَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا۟ بِهَا ۚ وَمَا نُرْسِلُ بِٱلْـَٔايَٰتِ إِلَّا تَخْوِيفًا ﴿٥٩﴾ وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِٱلنَّاسِ ۚ وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا ٱلَّتِىٓ أَرَيْنَٰكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ وَٱلشَّجَرَةَ ٱلْمَلْعُونَةَ فِى ٱلْقُرْءَانِ ۚ وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَٰنًا كَبِيرًا ﴿٦٠﴾ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ قَالَ ءَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا ﴿٦١﴾﴾

﴿وَمَا مَنَعَنَآ أَن نُّرْسِلَ بِٱلْـَٔايَٰتِ إِلَّآ أَن كَذَّبَ بِهَا ٱلْأَوَّلُونَ﴾ (تا) فأهلكناهم فـ«إنَّ» الأولىٰ منصوبة المحل، والثانية مرفوعة، تقديره: وما منعنا إرسال الآيات إلا تكذيب الأولين؛[ق/ ٢٢٢ب] لأنَّ سنة الله تعالىٰ فيمن تقدم أنَّه كان إذا أتي بآية فلم يؤمن أن يهلكه، وكان تعالىٰ قد حكم بإمهالهم لإتمام أمر محمد ﷺ.

القراءة: ﴿مُبْصِرَةً﴾ بضم الميم وكسر الصاد، أي: موضحة، وقرئ بفتح الميم

(١) في ب: وقرأ .

(٢) انظر: «تفسير الطبري» (١٧/ ٤٧٥).

والصاد مصدر، أو موضع وبضم الميم وفتح الصاد ﴿فَظَلَمُواْ﴾ أنفسهم بالتكذيب ﴿بِهَاۚ﴾ فاستأصلناهم.

﴿وَمَا نُرۡسِلُ بِٱلۡأٓيَٰتِ﴾: أي المعجزات، أو الصواعق.

﴿إِلَّا تَخۡوِيفًا﴾ (تا) للعباد مفعول له، أو مصدر في موضع الحال.

﴿وَإِذۡ قُلۡنَا لَكَ﴾: أي: واذكر وقت إيحائنا إليك ﴿إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِٱلنَّاسِۚ﴾ (حس) علمًا وقدرة، فهم في قبضته، فامض أمرك ولا تخف أحدًا.

﴿وَمَا جَعَلۡنَا ٱلرُّءۡيَا﴾ تكون نومًا ويقظة كالرؤية ﴿ٱلَّتِيٓ أَرَيۡنَٰكَ﴾: ليلة الإسراء ﴿إِلَّا فِتۡنَةٗ لِّلنَّاسِ﴾: عامة، أو اختبارًا لقريش؛ لأنَّ منهم مصدقًا ومكذبًا، وتعطف علىٰ الرؤيا ﴿وَٱلشَّجَرَةَ ٱلۡمَلۡعُونَةَ﴾: أي: الملعون آكلها، وهي الزقوم، ويقال لكل كريه الطعم: ملعون، وهي مذكورة﴿فِي ٱلۡقُرۡءَانِ﴾: ولمَّا سمعت قريش بشجرة الزقوم جعلوها سخرية بينهم، فقال أبو جهل: إن محمدًا يخوفنا نارًا تحرق الحجارة، ويزعم أنَّها تنبت الشجر، وقد علمتم أنَّ النار تحرق الشجر، ولو نظر النظر الصحيح لمَّا استبعد ذلك؛ لأنَّه يمكن وجود جسم لطيف في النار لا يحرق كالسمندَر وبر دويبة تكون ببلاد الترك، لا تؤثر فيه النار، وتتخذ منه مناديل، فإذا اتسخت المناديل ألقيت في النار، فيذهب الوسخ ويبقىٰ المنديل، وأعجب من ذلك أكل النعام النار والحديد المحمي.

﴿وَنُخَوِّفُهُمۡ﴾: مخاوف الدارين ﴿فَمَا يَزِيدُهُمۡ﴾: تخويفنا ﴿إِلَّا طُغۡيَٰنٗا كَبِيرٗا﴾: (تا).

﴿لِمَنۡ خَلَقۡتَ طِينٗا﴾: نصب حال مِنْ «مَنْ» أو تمييز.

﴿قَالَ أَرَءَيۡتَكَ هَٰذَا ٱلَّذِي كَرَّمۡتَ عَلَيَّ لَئِنۡ أَخَّرۡتَنِ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ لَأَحۡتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٗا ٦٢ قَالَ ٱذۡهَبۡ فَمَن تَبِعَكَ مِنۡهُمۡ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَآؤُكُمۡ جَزَآءٗ مَّوۡفُورٗا ٦٣ وَٱسۡتَفۡزِزۡ مَنِ ٱسۡتَطَعۡتَ مِنۡهُم بِصَوۡتِكَ وَأَجۡلِبۡ عَلَيۡهِم بِخَيۡلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكۡهُمۡ فِي ٱلۡأَمۡوَٰلِ وَٱلۡأَوۡلَٰدِ وَعِدۡهُمۡۚ

وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴿٦٤﴾ إِنَّ عِبَادِى لَيۡسَ لَكَ عَلَيۡهِمۡ سُلۡطَٰنٌۚ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا ﴿٦٥﴾﴾

ولمَّا أُمر الخبيث بالسجود [لآدم][1] ﴿قَالَ أَرَءَيۡتَكَ﴾: أي أخبرني عن ﴿هَٰذَا ٱلَّذِى كَرَّمۡتَ﴾ فضلت لم فضلته ﴿عَلَيَّ﴾ وأنا خير منه؛ لأنَّه خلق من طين، وخلقت من نار، وقد تبين فساد قياسه في الأعراف، الظاهر تمام الوقف هنا؛ لأنَّه قد تم سؤال الخبيث، ثم ابتدأ آتيًا باللام الموطئة للقسم المحذوف فقال: ﴿لَئِنۡ أَخَّرۡتَنِ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ لَأَحۡتَنِكَنَّ﴾: لأستأصلن ﴿ذُرِّيَّتَهُۥٓ﴾: بالإغواء.

﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾: (كا) منهم وهم المستثنون بقوله: ﴿إِنَّ عِبَادِى لَيۡسَ لَكَ عَلَيۡهِمۡ سُلۡطَٰنٌ﴾ [الحجر:٤٢] لا أحب الوقف من «كبيرًا» إلىٰ هنا، فثمَّ قال تعالىٰ للخبيث تهديدًا له وتحذيرًا منه لئلا يطاع: ﴿قَالَ ٱذۡهَبۡ فَمَن تَبِعَكَ مِنۡهُمۡ﴾: من الإنس ﴿فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَآؤُكُمۡ﴾: علىٰ صنيعكم ﴿جَزَآءً﴾: مصدر ﴿مَّوۡفُورًا﴾: مكملًا من وفر الشيء كمل، لا أحب الوقف هنا لأجل حرف العطف.

﴿وَٱسۡتَفۡزِزۡ﴾: مستخف، وحرك، ومنه: استفزه الغضب استخفه.

﴿بِصَوۡتِكَ﴾: بدعائك.

﴿وَأَجۡلِبۡ﴾: جلب وأجلب واحد بمعنىٰ الحث والصياح عليهم.

﴿بِخَيۡلِكَ وَرَجِلِكَ﴾: قتادة: له خيل ورجل من الجن والإنس، أو كل راكب وراجل في معصيته من خيله ورجله، أو هذا مبالغة، والمعنىٰ: اجهد جهدك وأجمع عليهم مكرك و[حيلك][2] ما أمكنك، فلن أعجز عن منعك ومنعهم إذا شئت.

القراءة: «ورجلك» بكسر الجيم وسكونها لغتان، يقال: رَجُل ورَجِل رَجْل، وقرئ: «ورجالك» جمع رجل، و«رجالك» مشددًا ككفار.

---

(١) سقط من ب، والمثبت من أ، ج.

(٢) في ج: وخيلك بالخاء المعجمة، والمثبت من أ، ب.

﴿وَشَارِكْهُمْ فِي ٱلْأَمْوَٰلِ﴾: المحرمة كالربا والغصوب ﴿وَٱلْأَوْلَٰدِ﴾: من الزنا وما كانوا يئدونه من البنات ويهودونه ويمجسونه وينصرونه من أولادهم، أو أنَّه يطأ المرأة مع زوجها.

سأل رجل ابن عباس عن امرأته استيقظت وفي فرجها شعلة نار؟ فقال: ذلك من وطء الجن(١).

وروي أنَّ الشيطان يجلس علىٰ ذكر الرجل، فإن لم يسم الله تعالىٰ أصاب امرأته معه(٢).

﴿وَعِدْهُمْ﴾: (حس) يُمَنِّيهم بالأكاذيب وأخبرهم بأن لا جنة ولا نار، وهذا تهديد كقوله: ﴿ٱعْمَلُواْ مَا شِئْتُمْ﴾[فصلت:٤٠].

﴿غُرُورًا﴾ (تا) هو تلبيس الباطل بما يُظن أنَّه حق.

﴿لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ﴾: (كا) لا تقدر علىٰ إغواء عبادي المعصومين.

﴿وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا﴾: (تا) حافظًا لمن اعتمد عليه.

﴿ رَّبُّكُمُ ٱلَّذِى يُزْجِى لَكُمُ ٱلْفُلْكَ فِى ٱلْبَحْرِ لِتَبْتَغُواْ مِن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴿٦٦﴾
وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِى ٱلْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُ ۖ فَلَمَّا نَجَّىٰكُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ ۚ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ كَفُورًا ﴿٦٧﴾
أَفَأَمِنتُمْ أَن يَخْسِفَ بِكُمْ جَانِبَ ٱلْبَرِّ أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ثُمَّ لَا تَجِدُواْ لَكُمْ وَكِيلًا ﴿٦٨﴾ أَمْ
أَمِنتُمْ أَن يُعِيدَكُمْ فِيهِ تَارَةً أُخْرَىٰ فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفًا مِّنَ ٱلرِّيحِ فَيُغْرِقَكُم بِمَا كَفَرْتُمْ ۙ ثُمَّ لَا تَجِدُواْ
لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِۦ تَبِيعًا ﴿٦٩﴾ ﴾

﴿ يُزْجِى ﴾ يجري.

﴿لِتَبْتَغُواْ مِن فَضْلِهِۦٓ﴾: (كا) الرزق، أو فضله رزقه، و«من» زائدة، أو تبعيض.

﴿رَحِيمًا﴾ (حس).

(١) انظر: «تفسير البغوي» (٣/ ١٤٣).

(٢) انظر: «تفسير البغوي» (٣/ ١٤٣).

﴿ٱلضُّرُّ فِى ٱلْبَحْرِ﴾ خوف الغرق.

﴿ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾: (كا) استثناء منقطع، تقديره: ضلَّ كلُّ من تدعونه من الآلهة عن عونكم وغوثكم، ولكن الله هو الذي ترجونه لصرف النوازل عنكم، أو متصل تقديره ذهب عن خواطركم جميع ما يستغاث به إلا الله تعالىٰ وحده.

﴿فَلَمَّا نَجَّىٰكُمْ﴾: من الغرق ﴿إِلَى ٱلْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ﴾: (كا) عن الإيمان وعدتم إلىٰ عبادة الأوثان.

﴿وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ﴾: الكافر لربه، أي: لأنعمه ﴿كَفُورًا﴾ (كا) والهمزة للإنكار في [ق/ ١٣٣أ] ﴿أَفَأَمِنتُمْ﴾ والفاء للعطف علىٰ محذوف، أي: أنجوتم من البحر فأمنتم ﴿أَن يَخْسِفَ بِكُمْ جَانِبَ ٱلْبَرِّ﴾: كقارون، والمراد بجانب البر: الجهات الست؛ لأنه تعالىٰ لا اختصاص لقدرته بمكان دون مكان.

﴿حَاصِبًا﴾: حجارة كقوم لوط، لا أحب الوقف علىٰ ﴿وَكِيلًا﴾: لأجل «أم» في ﴿أَمْ أَمِنتُمْ أَن يُعِيدَكُمْ﴾: بعد خروجكم إلىٰ البر وسلامتكم ﴿فِيهِ﴾ من البحر ﴿تَارَةً﴾ مرة ﴿أُخْرَىٰ﴾ ﴿قَاصِفًا مِّنَ ٱلرِّيحِ﴾ [ق/ ١٥٨جـ] هي التي تنقصف في هبوبها، ولا تمر بشيء إلا قصفته، وذكر «قاصفًا»؛ لأنَّه ليس بإزائه ذكر، فجرىٰ مجرىٰ حائض.

القراءة: «أن نخسف»، «أو نرسل»، «أن نعيدكم»، «فنرسل»، «فنغرقكم» في خمستهن بالنون والياء، وقرئ: «فتغرقكم»، أي: الريح.

﴿بِمَا كَفَرْتُمْ﴾: بكفركم.

﴿ثُمَّ لَا تَجِدُوا۟ لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِۦ تَبِيعًا﴾: (تا) تابعًا يطلب بثأركم كرم أبلغ من أكرم؛ لأنَّه يقتضي التكرير مرة بعد أخرىٰ، فلذلك قال:

﴿ ۞ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿٧٠﴾ يَوْمَ نَدْعُوا۟ كُلَّ أُنَاسٍۭ بِإِمَٰمِهِمْ ۖ فَمَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ

فَأُوْلَٰٓئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَٰبَهُمْ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٧١﴾ وَمَن كَانَ فِي هَٰذِهِۦٓ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِي ٱلْأٓخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٧٢﴾﴾

﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ﴾: أطلق هذا اللفظ تغليبًا للبر علىٰ الفاجر، والذي كرموا به أَنَّهم يأكلون بأصابعهم بخلاف البهائم، وبالعقل والنطق وتعديل القامة، وبتسخير ما في الأرض لهم، أو بالنظر إلىٰ أديم السماء بخلاف غيرهم، أو الرجال باللحىٰ والنساء بالذوائب، أو بالمطاعم واللذات، وأجمعوا علىٰ تكريم بني آدم علىٰ جميع المخلوقات سوىٰ الملائكة، فبعضهم يفضل بني آدم، وبعضهم الملائكة، وبعضهم يفضل من المقربين الملائكة كجبرائيل علىٰ خواص بني آدم، وبعضهم يفضل من غلب عقله من بني آدم علىٰ شهوته علىٰ الملائكة، والتفضيل حقيقة لا يعلمه إلا الله تعالىٰ ومن شاء من خلقه.

وقوله: ﴿وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا﴾ يشعر أنهم مفضلون علىٰ غيرهم من ذوي العقل؛ لأنَّ «من» لمن يعقل.

﴿تَفْضِيلًا﴾: (تا): إن نصبت ما بعد بمضمر، أي: احذروا يوم ندعو، وإن نصبته ظرفًا لـ«تفضيلًا»، أو لـ«تستجيبون»، أو بدلًا من «يوم يدعوكم»، فلا أحب الوقف بين الظرف والمظروف والبدل والمبدل منه اختيارًا.

وقرئ: (يدعو) بالياء و«يُدعَىٰ» مجهولًا، ويدعو بضم الياء ورفع «كل»، أراد «يدعا» فقلب الألف واوًا، أو حملًا علىٰ لغة من يقول: أكلوني البراغيث، نحو ﴿وَأَسَرُّواْ ٱلنَّجْوَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ﴾ [الأنبياء:٣]، أو يكون «كل» بدلًا من ضمير «يدعو»، وحذفت النون لأنَّها علامة الرفع توسعًا.

ومعنىٰ ﴿بِإِمَٰمِهِمْ﴾: بما يأتمون به من نبي أوكتاب أو مقدم، فيقال: يا أهل دين كذا، وكتاب كذا، أو المراد كتاب أعمالهم، فيقال: يا أصحاب الخير، ويا أصحاب الشر، أو محل «بإمامهم» حال، أي: مؤاخذين، أو مختلطين بينهم ومن تبعوه.

﴿فَمَنْ أُوتِيَ﴾: من المدعوين ﴿كِتَابَهُۥ بِيَمِينِهِۦ﴾: وهم السعداء ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَٰبَهُمْ﴾: أي ما فيه من الحسنات، ولم يذكر الأشقياء وإن كانوا يقرؤون كتبهم [ق/ ٢٢٣ب] أيضًا؛ لأنَّهم إذا قرؤوا ما فيها لم يفصحوا به خوفًا وحياءً، [بخلاف السعداء، فإنَّهم يقرؤون كتبهم][1] ظاهرًا مشهورًا ويُقرِئونها غيرهم سرورًا.

﴿وَلَا يُظْلَمُونَ﴾: أي جميع المدعوين ﴿فَتِيلًا﴾: (تا) قدر فتيل، وهو ما يفتل بين الأصبعين من الوسخ.

﴿وَمَن كَانَ فِي هَٰذِهِۦٓ﴾: [في][2] الدنيا ﴿أَعْمَىٰ﴾: عن الهداية ﴿فَهُوَ فِي ٱلْءَاخِرَةِ أَعْمَىٰ﴾: عن إثبات الحجة ﴿وَأَضَلُّ سَبِيلًا﴾: (تا) عن ذلك.

القراءة بإمالة أعمىٰ الحرفين؛ لأنَّ ألفها ظرف؛ لأنَّها بمعنىٰ عام، [وهي][3] من عمىٰ القلب، وبفتحهما علىٰ الأصل، وبين بين تخفيفًا، وبإمالة الأول وفتح الثاني جعله من أفعل التفضيل؛ لأنَّ أفعل التفضيل يتصل بمن، فصارت ألفه وسطًا كألف أعمالكم فلم يُمَل.

﴿وَإِن كَادُواْ لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ ٱلَّذِيٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ لِتَفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَهُۥۖ وَإِذًا لَّٱتَّخَذُوكَ خَلِيلًا ﴿٧٣﴾ وَلَوْلَآ أَن ثَبَّتْنَٰكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْـًٔا قَلِيلًا ﴿٧٤﴾ إِذًا لَّأَذَقْنَٰكَ ضِعْفَ ٱلْحَيَوٰةِ وَضِعْفَ ٱلْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا ﴿٧٥﴾ وَإِن كَادُواْ لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ ٱلْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَاۖ وَإِذًا لَّا يَلْبَثُونَ خِلَٰفَكَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٧٦﴾﴾

ونزل لمَّا طلب المشركون من النبي ﷺ أن يجعل آية رحمة مكان آية عذاب وبالعكس، وباستلام آلهتهم وطرد الضعفاء والمساكين عنه، وأطمعوه في إسلامهم، قالوا: فمال إلىٰ بعض ذلك، فنزل ﴿وَإِن كَادُواْ﴾: «إن» هي المخففة من الثقيلة، والفارق بينهما اللام في ﴿لَيَفْتِنُونَكَ﴾ ليصرفونك، والمعنىٰ: إن الشأن

(١) سقط من أ،ب والمثبت من ج.
(٢) سقط من أ،ب والمثبت من ج.
(٣) في أ،ب: هو، والمثبت من ج.

قاربوا أن يخدعوك ﴿عَنِ ٱلَّذِىٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ﴾ من القرآن ﴿لِتَفۡتَرِيَ﴾ لتتقول ﴿عَلَيۡنَا غَيۡرَهُۥۖ﴾ كما تقدم ﴿وَإِذٗا﴾ لو فعلت ما طلبوا منك ﴿لَّٱتَّخَذُوكَ خَلِيلٗا﴾ (تا) صديقًا، أو محتاجًا من الخلة، أي: يجعلونك محتاجًا إليهم.

﴿وَلَوۡلَآ أَن ثَبَّتۡنَٰكَ﴾: على الحق بعصمتنا إياك ﴿لَقَدۡ كِدتَّ تَرۡكَنُ إِلَيۡهِمۡ﴾: وقرئ بضم الكاف، المعنى: لقاربت أن تسكن إلى قولهم، وفي قوله ﴿شَيۡـٔٗا قَلِيلًا﴾: دليل أنَّه ﷺ عُصم ولم يركن إليهم في شيء ما، فبعد أن عصمه خاطبه تحذيرًا لغيره، وتقديره: ولو ركنت ﴿إِذٗا لَّأَذَقۡنَٰكَ ضِعۡفَ ٱلۡحَيَوٰةِ﴾: بعد الموت وهو عذاب النار ﴿وَضِعۡفَ ٱلۡمَمَاتِ﴾ بعد الحياة، وهو عذاب القبر، المعنى: لعذبناك عذابًا مضاعفًا في الدارين.

﴿ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيۡنَا نَصِيرٗا﴾: (تا) مانعًا يمنع عنك عذابنا.

ونزل لمَّا أريد إخراجه ﷺ ﴿وَإِن كَادُواْ لَيَسۡتَفِزُّونَكَ﴾: لينزعونك بسرعة ﴿مِنَ ٱلۡأَرۡضِ لِيُخۡرِجُوكَ مِنۡهَاۖ﴾: من أرض المدينة إن أريد اليهود، أو مكة إن أريد مشركوها، أو من جميع الأرض إن أريد جميع الكفار، والكل منقول.

القراءة: ﴿وَإِذٗا لَّا يَلۡبَثُونَ﴾: بفتح الياء مخففًا وإثبات النون على إهمال «إذًا»؛ لأنَّ الواو العاطفة صيرت الجملة بعدها متصلة بما قبلها، فصارت «إذًا» حشوًا، وقرئ بضم الياء مشددًا وإثبات النون.

وقرئ بحذف النون على إعمال «إذًا» وجعل الواو استئنافًا.

القراءة: ﴿خِلَٰفَكَ﴾: بكسر الخاء وألف بعد اللام، وبفتح الخاء من غير ألف لغتان بمعنى بعدك.

المعنى: لا يقيمون بعد خروجك ﴿إِلَّا قَلِيلٗا﴾: (كا) حتى يهلكوا «سنة» نصب مصدر

﴿سُنَّةَ مَن قَدۡ أَرۡسَلۡنَا قَبۡلَكَ مِن رُّسُلِنَاۖ وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحۡوِيلًا ٧٧ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ

ٱلشَّمۡسِ إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيۡلِ وَقُرۡءَانَ ٱلۡفَجۡرِۖ إِنَّ قُرۡءَانَ ٱلۡفَجۡرِ كَانَ مَشۡهُودٗا ﴿٧٨﴾ وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَتَهَجَّدۡ بِهِۦ نَافِلَةٗ لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا ﴿٧٩﴾ وَقُل رَّبِّ أَدۡخِلۡنِي مُدۡخَلَ صِدۡقٖ وَأَخۡرِجۡنِي مُخۡرَجَ صِدۡقٖ وَٱجۡعَل لِّي مِن لَّدُنكَ سُلۡطَٰنٗا نَّصِيرٗا ﴿٨٠﴾﴾

﴿مَن قَدۡ أَرۡسَلۡنَا قَبۡلَكَ مِن رُّسُلِنَاۖ﴾: (حس): المعنىٰ: إنَّ عادة الله تعالىٰ أن يستأصل بالهلاك كل قوم أخرجوا نبيهم.

﴿وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا﴾: لعادتنا بإهلاك [كل](١) مخرجي الرسل من بينهم ﴿تَحۡوِيلًا﴾: (تا) تغييرًا.

﴿لِدُلُوكِ ٱلشَّمۡسِ﴾: لزوالها، أو غروبها، زعموا أنَّه مشتق من الدلك، قالوا: لأنَّ الإنسان يدلك عينه إذا نظرها، ومحل ﴿إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيۡلِ﴾ - أي: ظلمته- حال، أي: ممتده، والمراد صلاة العشاءين، أو العشاء الآخرة، أو يتعلق بـ«أقم»، فتكون «إلىٰ» لانتهاء غاية الإقامة، وتعطف علىٰ «وأقم» ﴿وَقُرۡءَانَ﴾: أي: صلاة ﴿ٱلۡفَجۡرِۖ﴾ سميت قرآنا لمَّا فيها منه، وكما سميت ركوعًا وسجودًا ﴿مَشۡهُودٗا﴾: (حس) يشهده ملائكة الليل وملائكة النهار، إذا صعد هؤلاء نزل هؤلاء، فإن جعل دلوك الشمس زوالها دخل في الآية الصلوات الخمس، وإن جعل غروبها خرج عنها الظهر والعصر.

﴿وَمِنَ ٱلَّيۡلِ﴾: أي: وعليك صلاة بعض الليل.

﴿فَتَهَجَّدۡ بِهِۦ﴾: فأشهر بالقرآن مصليًا، ويكون التهجد نوعًا من الأضداد.

ابن جبير: كان قيام الليل فرضًا علىٰ النبي ﷺ وعلىٰ أمته، فنسخ في حق أمته بالصلوات الخمس، وبقي الوجوب في حقه، وبعضهم جعله منسوخًا أيضًا عنه لقوله: ﴿نَافِلَةٗ لَّكَ﴾: يعني: أنَّه نسخ عنه كأمته، ومن لم يقل بنسخه عنه جعل «نافلة» هنا بمعنىٰ الفريضة الزائدة علىٰ الصلوات الخمس؛ لأنَّ أصل النفل

---

(١) سقط من أ،ب والمثبت من ج.

الزيادة، وتنصب «نافلة» مصدرًا؛ لأنَّه واقع موقع تهجدًا، أو حال، أي: صلاة نافلة، وتنصب ﴿مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾: (حس) ظرفًا، أي: يبعثك يوم القيامة فيقيمك مقامًا، أو حالًا، أي: ذا مقام، ومقامات النبي ﷺ المحمودة كثيرة، والمراد هنا حديث الشفاعة يغبطه به الأولون والآخرون؛ لأنَّ كل من قُصد من الأنبياء للشفاعة يحيد عنها ويحيل علىٰ غيره، حتىٰ يأتون محمدًا ﷺ للشفاعة فيقول: «**أنا لها**»[(١)]، ثم يشفع فيشفع فيمن كان من أهلها.

القراءة: ﴿مُدْخَلَ صِدْقٍ﴾: إلىٰ المدينة، وكذلك ﴿مُخْرَجَ صِدْقٍ﴾: من مكة، بضم ميمهما مصدر، أو موضع من أدخل وأخرج، فإن كان مصدرًا فتقديره: إدخالًا مرضيًا وإخراجًا مرضيًا.

وقرئ بفتح ميميهما مصدر، مكان من دخل وخرج، وهذا عام في كل دخول وخروج دخله النبي ﷺ وخرجه، المعنىٰ: حيثما أدخلتني وأخرجتني فليكن بالصدق مني، ولا تجعلني ذا وجهين؛ فإن ذا الوجهين لا يجوز أن يكون أمينًا.

﴿وَٱجْعَل لِّي مِن لَّدُنكَ سُلْطَٰنًا﴾: قهرًا وبرهانًا علىٰ أعداء الدين.

﴿نَّصِيرًا﴾: (حس) ناصرًا دينك علىٰ جميع الأديان، فاستجيب له ﷺ، ودخل مكة وحول البيت ثلاثمائة وستون صنمًا، فجعل يطعنها بمخصرته في عيونها ويقول:

﴿ وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ ۚ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴿٨١﴾ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ۙ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴿٨٢﴾ وَإِذَآ أَنْعَمْنَا عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ أَعْرَضَ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ ۖ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ كَانَ يَـُٔوسًا ﴿٨٣﴾ قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِۦ فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَىٰ سَبِيلًا ﴿٨٤﴾ ﴾

﴿جَآءَ ٱلْحَقُّ﴾: الإسلام وما فيه من الأحكام.

﴿وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ﴾: بطل الكفر وعبادة الأصنام.

---

(١) أخرجه البخاري (٧٠٧٢)، ومسلم (١٩٣) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

﴿زَهُوقًا﴾: (تا) هالكًا تالفًا عند مجيء الحق.

و«من» تبيين في ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ﴾ للقلوب من الضلالة؛ لما فيه من الهداية، أو شفاء لبيان الحلال من الحرام، أو شفاء للأجسام لمَّا فيه من البركة، أو تبعيض، أي: ما نزل من القرآن فهو شفاء، في الحديث: «**من لم يستشفَ بالقرآن، فلا شفاه الله**»[1].

﴿وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾: لأنَّه سبب الرحمة .

﴿وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا﴾: (تا) نقصانًا؛ لأنَّهم ينكرون القرآن [فيخسرون][2] [ق/ ١٥٩جـ].

ونزل فيمن كان يدعو ويلجأ إلىٰ الله تعالىٰ في البلاء ويترك ذلك في الرخاء ﴿وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنْسَانِ﴾: بسعة الرزق وكشف البلاء ﴿أَعْرَضَ﴾ عن التضرع واللجؤ إلىٰ الله ﴿وَنَـَٔا﴾ تباعد ﴿بِجَانِبِهِۦ﴾ عن الحق.

القراءة: ناء هنا وفصلت بهمزة بعد الألف وزن فاع، كان وزنه فعل من النأي، فقلب فصار فلع، أو هو من النوء النهوض، وبهمزة قبل الألف، وهو الأصل؛ لأنَّه فعل من النأي: البعد، وبكسر النون والهمزة، وبإمالة الهمزة، وبإخلاص فتحها وبين بين.

﴿وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ﴾: الشدة والبلاء ﴿كَانَ يَـُٔوسًا﴾: (حس) شديد القنوط من رحمة الله تعالىٰ.

﴿عَلَىٰ شَاكِلَتِهِۦ﴾: علىٰ طريقته وخليقته التي جبل عليها من ضلالة أو هدىٰ.

﴿فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَىٰ سَبِيلًا﴾: (تا) أوضح طريقًا، المعنىٰ: أنَّه يعلم المهتدي والضال، فيجازي كلًّا بعمله.

---

(١) أخرجه الثعلبي في «الكشف والبيان» (٦/ ١٢٩) من حديث رجاء الغنوي.

(٢) في جـ: فيحشرون عميانا، والمثبت من أ، ب.

﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾ وَلَئِن شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ بِهِۦ عَلَيْنَا وَكِيلًا ﴿٨٦﴾ إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَۚ إِنَّ فَضْلَهُۥ كَانَ عَلَيْكَ كَبِيرًا ﴿٨٧﴾ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾ ﴾

ولمَّا سُئلَ ﷺ عن الروح نزل ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِۖ﴾ قالوا: هو جبريل، أو ملك أعظم منه ومن جميع الملائكة، أو هو عيسىٰ، أو القرآن، أو الذي يُحيي به الإنسان، واختلفوا فيه و[في] [1] ماهيته، ولم يأت أحد منهم علىٰ دعواه بدليل قطعي، غير أنَّه شيء بمفارقته يموت الإنسان، وبملازمته له يبقىٰ.

ثم أومأ تعالىٰ إلىٰ تعذر معرفته حقيقة بقوله: ﴿قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى﴾: أي علمه، ثم أكد ذلك [ق/ ٢٢٤ب] بقوله: ﴿وَمَآ أُوتِيتُم﴾: أيها المؤمنون والكافرون ﴿مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾: (كا) بالنسبة إلىٰ علم الله تعالىٰ، فقد يكون الشيء كثيرًا بالنسبة إلىٰ ما دونه، قليلًا بالنسبة إلىٰ ما فوقه.

واللام في ﴿لَنَذْهَبَنَّ بِٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ﴾: من القرآن جواب قسم محذوف مع نيابته عن جزاء الشرط، تقديره: والله إن شئنا ذهبنا بالقرآن [ق/ ١٣٤أ] ومحوناه من الصدور والمصاحف.

ابن مسعود[2]: اقرؤا القرآن قبل أن يُرفع، فإنَّه لا تقوم الساعة حتىٰ يُرفع.

﴿إِلَّا رَحْمَةً﴾: مفعول له، أي: حفظناه عليك للرحمة، أو مصدر، أي: لكن رحمناك رحمة ﴿مِّن رَّبِّكَۚ﴾: (كا) وهذا خطاب له ﷺ والمراد غيره.

ولمَّا قال النضر: لو نشاء لقلنا مثل هذا القرآن نزل ﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ﴾: متظاهرين ﴿عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ﴾: في البلاغة والإعجاز ﴿لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ﴾: ليس بجواب للشرط، وإنما هو جواب قسم محذوف يدل عليه

---

(١) سقط من أ، ب والمثبت من ج.

(٢) أخرجه الثعلبي في «الكشف والبيان» (٦/ ١٣٢).

اللام في «لئن»، المعنىٰ: هم عاجزون عن الإتيان بمثله ﴿وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾: (تا) معينًا.

﴿ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَىٰٓ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ﴿٨٩﴾ وَقَالُواْ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ ٱلْأَرْضِ يَنۢبُوعًا ﴿٩٠﴾ أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ ٱلْأَنْهَٰرَ خِلَٰلَهَا تَفْجِيرًا ﴿٩١﴾ أَوْ تُسْقِطَ ٱلسَّمَآءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا أَوْ تَأْتِيَ بِٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ قَبِيلًا ﴿٩٢﴾ ﴾

﴿مِن كُلِّ مَثَلٍ﴾: المعنىٰ: بينا في القرآن ما هو كالمثل في الغرابة، لمَّا فيه من الأحكام والوعد والوعيد ﴿ فَأَبَىٰٓ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ﴾: (تا) جحودًا للحق.

﴿وَقَالُواْ﴾: أي: المشركون ﴿لَن نُّؤْمِنَ لَكَ﴾ يا محمد ﴿ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ ٱلْأَرْضِ يَنۢبُوعًا﴾: أي: عينًا يخرج منها الماء ﴿أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ﴾: وقرئ: ﴿يكون﴾ مذكرًا؛ لأنَّ الجنة بمعنىٰ البستان.

﴿مِّن نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ﴾: القراءة بفتح التاء تفجر وضم الجيم مخففًا، وبضم التاء وكسر الجيم مشددًا مبالغة، وأجمعوا علىٰ تشديد ﴿فَتُفَجِّرَ ٱلْأَنْهَٰرَ﴾ لأجل مجيء الجمع بعده، تقول: فجرت النهر، وفجرت الأنهار ﴿خِلَٰلَهَا﴾: وسطها ﴿تَفْجِيرًا أَوْ تُسْقِطَ ٱلسَّمَآءَ﴾: وقرئ بالياء إخبارًا عن السماء ورفعها فاعلًا.

القراءة: ﴿كِسَفًا﴾: حال من السماء، ولم تؤنث لأنَّ تأنيث السماء غير حقيقي، بكسر الكاف وفتح السين جمع كسفة كقطعة وزنًا ومعنىٰ، المعنىٰ: أو توقع السماء علينا قطعة بعد قطعة، وبإسكان السين مخففة جمع كسفة، أو هو اسم مفرد كالطحن، أي: توقعها مرة واحدة.

﴿أَوْ تَأْتِيَ بِٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ قَبِيلًا﴾: حال من الله، أو الملائكة، أو منهما، أي: مقابلة وعيانًا، أو كفيلًا يكفلون بما تقول.

﴿أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّن زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَىٰ فِي ٱلسَّمَآءِ وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَٰبًا نَّقْرَؤُهُۥ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولًا ﴿٩٣﴾ وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤْمِنُوٓاْ إِذْ جَآءَهُمُ ٱلْهُدَىٰٓ

إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَبَعَثَ ٱللَّهُ بَشَرًا رَّسُولًا ﴿٩٤﴾ قُل لَّوْ كَانَ فِي ٱلْأَرْضِ مَلَٰٓئِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَلَكًا رَّسُولًا ﴿٩٥﴾ قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا ﴿٩٦﴾﴾

﴿مِّن زُخْرُفٍ﴾: ذهب، وقرئ به ﴿أَوْ تَرْقَىٰ﴾: تصعد ﴿فِي ٱلسَّمَآءِ وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ﴾: لو رقيت فيها ﴿حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَٰبًا﴾: منها فيه تصديقك ﴿نَّقْرَؤُهُۥ﴾: (تا) صفة ﴿كِتَٰبًا﴾، لا أحب الوقف من ﴿كَفُورًا﴾ «كفورًا» إلىٰ هنا لأنَّ الكلام كله حكاية واحدة.

القراءة: ﴿قُلْ﴾: بغير ألف أمرًا له ﷺ، وبألف إخبارًا عنه ﴿سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولًا﴾: (تا) المعنىٰ: كيف تطلبون مني شيئًا ليس لبشر ولا لرسول الإتيان بشيء منه إلا بإذن الله تعالىٰ؟! وأنا واحد منهما، ومحل ﴿أَنْ يُؤْمِنُوا﴾ نصب مفعول ثان لـ«منع»، ومحل ﴿إِلَّا أَنْ قَالُوا﴾ رفع فاعل، والمراد بـ«الناس» أهل مكة، وبـ«الهدىٰ» القرآن وما فيه من الإرشاد، والمعنىٰ: وما منع الناس الإيمان إلا قولهم: ﴿أَبَعَثَ اللَّهُ بَشَرًا رَسُولًا﴾ ولم يبعث ملكًا، فلا نؤمن به، فردَّ الله تعالىٰ عليهم بقوله: ﴿قُل لَّوْ كَانَ فِي ٱلْأَرْضِ مَلَائِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ﴾ حال من ضمير الفاعل، المعنىٰ: لو سكن الأرض ملائكة واستقروا فيها ﴿لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَلَكًا رَّسُولًا﴾: (تا) ينذرهم؛ لأنَّ الحكمة تقتضي ألا يرسل رسول إلا إلىٰ جنسه كالملائكة إلىٰ الرسل، والرسل إلىٰ بني آدم ﴿شَهِيدًا﴾: تمييز أو حال ﴿بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ ۚ﴾: (كا).

﴿بَصِيرًا﴾: (تا).

﴿وَمَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِهِۦ ۖ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا ۖ مَّأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَٰهُمْ سَعِيرًا ﴿٩٧﴾ ذَٰلِكَ جَزَآؤُهُم بِأَنَّهُمْ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَقَالُوٓاْ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا وَرُفَٰتًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ﴿٩٨﴾﴾

القراءة: ﴿فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ ۖ﴾: بإثبات الياء وحذفها وصلًا ﴿عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ﴾: حال،

أي: يسحبون عليها في النار، قيل للنبي صلىٰ الله عليه وسلام: كيف يمشون علىٰ وجوههم؟ قال: «**إن الذي أمشاهم علىٰ أقدامهم قادر علىٰ أن يمشيهم علىٰ وجوههم**»[(١)].

﴿عُمْيًا﴾: حال أخرىٰ، أو بدل من الأولىٰ، أي: لا يرون ما يسرّهم.

﴿وَبُكْمًا وَصُمًّا﴾ عن سماع ما يلتذون به.

﴿مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ كُلَّمَا خَبَتْ﴾: سكن لهبها في رأي العين ﴿زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا﴾ (حس) تلهبًا واشتعالًا؛ لأنَّهم لمَّا كذبوا بالإعادة بعد الإفناء سلطت عليهم النار فأحرقتهم وأفنتهم، ثم يعيدهم، لا يزالون كذلك أبدًا.

﴿خَلْقًا جَدِيدًا﴾: (تا)

﴿ ۞ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ قَادِرٌ عَلَىٰ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلًا لَّا رَيْبَ فِيهِ فَأَبَى الظَّالِمُونَ إِلَّا كُفُورًا ﴿٩٩﴾ قُل لَّوْ أَنتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي إِذًا لَّأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ الْإِنفَاقِ ۚ وَكَانَ الْإِنسَانُ قَتُورًا ﴿١٠٠﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ ۖ فَاسْأَلْ بَنِي إِسْرَائِيلَ إِذْ جَاءَهُمْ فَقَالَ لَهُ فِرْعَوْنُ إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا مُوسَىٰ مَسْحُورًا ﴿١٠١﴾ ﴾

﴿إِلَّا كُفُورًا﴾: (تا) عنادًا ﴿أَنتُمْ﴾ ضمير مرفوع منفصل بدل من الضمير المرفوع المتصل في تملكون المحذوفة الذي هو فاعلها، أو تأكيد له يفسرها ﴿تَمْلِكُونَ﴾ المذكورة في الآية، وليس بمبتدأ؛ لأنَّ «لو» تقتضي الفعل كـ«إن» الشرطية، وزعم بعضهم أن ﴿أَنتُمْ﴾ فاعل ﴿تَمْلِكُونَ﴾ المحذوفة، قال: تقديره: لو تملكون، فلمَّا حذف الفعل صار الضمير المتصل منفصلًا، المعنىٰ: لو ملكتم ﴿خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي﴾: **أي رزقه وجميع أنعمه.**

﴿إِذًا لَّأَمْسَكْتُمْ﴾: لبخلتم ﴿خَشْيَةَ الْإِنفَاقِ﴾: إنفاقه، أنفق الرجل أملق، ونفق ماله ذهب، والمراد: أهل مكة لو أعطوا ما سألوا لبخلوا.

---

(١) أخرجه الترمذي (٣١٤٢)، وأحمد (٨٧٤٠)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٣٥٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

﴿وَكَانَ ٱلۡإِنسَٰنُ قَتُورٗا﴾: (تا) بخيلًا، قالوا المراد.

﴿ءَاتَيۡنَا مُوسَىٰ تِسۡعَ آيَاتِۭ بَيِّنَٰتٖۖ﴾: واضحات صفة «آيات»، أو صفة «تسع» العصا، الطوفان، والجراد، والقمل، والضفادع، والدم، وبياض اليد، وكثر الإختلاف في الآيتين الأخيرتين، فقيل: هما انحلال العقدة وفلق البحر، أو فلق البحر ونتق الجبل، ونحو ذلك.

﴿فَسۡـَٔلۡ﴾: يا محمد من آمن ﴿بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ﴾: لتحتج به علىٰ من لم يؤمن، وعن موسىٰ وما جرىٰ له مع فرعون، إذ قال ﴿لَهُۥ فِرۡعَوۡنُ إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَٰمُوسَىٰ مَسۡحُورٗا﴾: (حس) مطبوبًا.

﴿قَالَ لَقَدۡ عَلِمۡتَ مَآ أَنزَلَ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ بَصَآئِرَ وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَٰفِرۡعَوۡنُ مَثۡبُورٗا ﴿١٠٢﴾ فَأَرَادَ أَن يَسۡتَفِزَّهُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ فَأَغۡرَقۡنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ جَمِيعٗا ﴿١٠٣﴾ وَقُلۡنَا مِنۢ بَعۡدِهِۦ لِبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱسۡكُنُواْ ٱلۡأَرۡضَ فَإِذَا جَآءَ وَعۡدُ ٱلۡأٓخِرَةِ جِئۡنَا بِكُمۡ لَفِيفٗا ﴿١٠٤﴾ وَبِٱلۡحَقِّ أَنزَلۡنَٰهُ وَبِٱلۡحَقِّ نَزَلَۗ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا مُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ﴿١٠٥﴾﴾

القراءة: ﴿لَقَدۡ عَلِمۡتَ﴾ بضم التاء يخبر موسىٰ عن نفسه أنَّه ليس بمسحور، وأنَّ ما جاء به حق، وبفتح التاء خطابًا لفرعون؛ لأنَّه كان في حجره ولم يكن رأىٰ منه شيئًا يدل علىٰ ذلك المعنىٰ، لقد علمت أني لست بمسحور، وأنَّ الذي ﴿أَنزَلَ هَٰٓؤُلَآءِ﴾ الآيات التسع إنما هو الله، ولكنك عاندت.

﴿بَصَآئِرَ﴾: نصب بدل من هؤلاء، أو حال منها، وهي جمع بصيرة، وهي ما يبصر بها، فقال موسىٰ: ﴿وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَٰفِرۡعَوۡنُ مَثۡبُورٗا﴾: (كا) هالكًا ممنوعًا عن كل خير، وقرئ: (وإن أخالك يا فرعون لمثبورًا) علىٰ «إن» المخففة من الثقيلة، واللام هي الفارقة بينهما وبين المشددة.

﴿فَأَرَادَ﴾: فرعون ﴿أَن يَسۡتَفِزَّهُم﴾: أي يستأصل موسىٰ ومؤمنيه إهلاكًا ﴿مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ﴾ كلها ﴿فَأَغۡرَقۡنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ جَمِيعٗا﴾: تأكيدًا.

﴿وَقُلۡنَا مِنۢ بَعۡدِهِۦ﴾: من بعد إهلاك فرعون ﴿ٱسۡكُنُواْ ٱلۡأَرۡضَ﴾: (كا) التي أراد

أن يستفزكم منها وهي مصر أو الشام ﴿وَعۡدُ ٱلۡأٓخِرَةِ﴾: هو يوم القيامة، أو نزول عيسىٰ ﴿جِئۡنَا بِكُمۡ لَفِيفٗا﴾: [(حس)][1] حال، أي: جميعًا، أو مصدر كالنذير، أي: مجتمعين أشقياء وسعداء من أصناف شتىٰ.

﴿وَبِٱلۡحَقِّ أَنزَلۡنَٰهُ﴾: أي بسبب الحق والعمل به أنزلنا القرآن، أو المعنىٰ: أنزلنا القرآن ومعه الحق .

﴿وَبِٱلۡحَقِّ﴾: بالأوامر والنواهي ﴿نَزَلَۗ﴾: (تا) القرآن.

﴿وَنَذِيرٗا﴾: (كا).

﴿وَقُرۡءَانٗا فَرَقۡنَٰهُ لِتَقۡرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكۡثٖ وَنَزَّلۡنَٰهُ تَنزِيلٗا ١٠٦ قُلۡ ءَامِنُواْ بِهِۦٓ أَوۡ لَا تُؤۡمِنُوٓاْۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ مِن قَبۡلِهِۦٓ إِذَا يُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ يَخِرُّونَۤ لِلۡأَذۡقَانِۤ سُجَّدٗاۤ ١٠٧ وَيَقُولُونَ سُبۡحَٰنَ رَبِّنَآ إِن كَانَ وَعۡدُ رَبِّنَا لَمَفۡعُولٗا ١٠٨ وَيَخِرُّونَ لِلۡأَذۡقَانِ يَبۡكُونَ وَيَزِيدُهُمۡ خُشُوعٗا۩ ١٠٩﴾

﴿وَقُرۡءَانٗا﴾: نصب بفعل يفسره ﴿فَرَقۡنَٰهُ﴾: بيَّناه وفصلنَّاه وأنزلناه نجومًا في أزمان مختلفة، أو فرقنا به بين الحق والباطل [ق/ ١٦٠ جـ].

وقرئ مشددًا مبالغة.

القراءة: ﴿عَلَىٰ مُكۡثٖ﴾: بضم الميم، وقرئ بفتحها لغتان، أي: تؤدة وتمهُّل ﴿وَنَزَّلۡنَٰهُ تَنزِيلٗا﴾ (تا) نجومًا في عشرين سنة.

﴿ قُلۡ ءَامِنُواْ بِهِۦٓ أَوۡ لَا تُؤۡمِنُوٓاْۚ ﴾ به، تهديد شديد، تعليله ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ﴾: [ق/ ٢٢٥ب] هم الأنبياء، أو من آمن من أهل الكتاب، أو من كان يطلب الدين كأبي ذر وسلمان ثم أسلموا ﴿مِن قَبۡلِهِۦٓ﴾ قبل نزول القرآن، أو قبل محمد ﷺ ﴿إِذَا يُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ﴾: القرآن ﴿يَخِرُّونَ﴾: يسقطون ﴿لِلۡأَذۡقَانِ﴾: أي عليها ﴿سُجَّدٗا﴾: حال شكرًا لله تعالىٰ، أو ﴿لِلۡأَذۡقَانِ﴾ حال، أي: ساجدين للأذقان، وخصت الأذقان بالذكر؛ لأنَّ أول ما يقابل الأرض الذقن، وهو مجتمع اللَّحْيَين؛

(١) سقط من أ،ب والمثبت من ج.

ولأنَّها أقرب شيء من الوجه إلىٰ الأرض غالبًا.

﴿لَمَفْعُولًا﴾: (كا) وكرر الخرور فقال: ﴿وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ﴾: حال للإيذان أنَّ الخرور كان منهم في حال سجودهم وحال بكائهم، قال ﷺ: «**لا يلج النار من بكىٰ من خشية الله**»[1]، وقال: «**حرمت النار علىٰ ثلاثة أعين: عين بكت من خشية الله، وعين سهرت في سبيل الله، وعين غضت عن محارم الله**»[2]، بعضهم: من أوتي من العلم ما لا يبكيه لخليق ألَّا يكون أوتي علمًا ينفعه.

﴿وَيَزِيدُهُمْ﴾: القرآن ﴿خُشُوعًا﴾: (تا) تواضعًا.

﴿قُلِ ٱدْعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُواْ ٱلرَّحْمَٰنَ أَيًّا مَّا تَدْعُواْ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَٱبْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١١٠﴾ وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ وَلِىٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا ﴿١١١﴾﴾

لمَّا قيل: إنَّ محمدًا ينهىٰ عن عبادة إلهين، وهو يقول: يا الله يا رحمن، أو لمَّا قيل له: إنك تقل من ذكر الرحمن وهو كثير في التوراة نزل ﴿قُلِ ٱدْعُواْ﴾: أي سمّوا ﴿ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُواْ ٱلرَّحْمَٰنَ﴾ «أو» للتخيير، والدعاء هنا بمعنىٰ التسمية لا بمعنىٰ النداء، يتعدىٰ إلىٰ مفعولين نحو: دعوته زيدًا، ويترك أحدهما استغناء عنه، تقول: دعوت زيدًا.

﴿أَيًّا مَّا﴾: استفهام عمل فيه ﴿تَدْعُواْ﴾: و«ما» زائدة، و«تدعو» جزم بـ«أيًا» لأنَّه شرط، والتنوين في «أيًا» عوض من المضاف، تقديره: أي: هذين الاسمين سميتم أو ذكرتم.

---

(١) أخرجه الترمذي (٢٣١١)، والنسائي في «المجتبىٰ» (٣١٠٨)، وفي «السنن الكبرىٰ» (٤٣١٦)، وأحمد (١٠٥٦٧)، والحاكم(٧٦٦٧)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٨٠٠) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) أخرجه الطبراني في «المعجم الكبير» (١٩/ ٤١٦) حديث (١٠٠٣) من حديث بهز بن حكيم عن أبيه عن جده رضي الله عنه

﴿فَلَهُ﴾: أي: فلمسمىٰ هذين الاسمين ﴿ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ﴾: (كا) وإذا حَسُنَت أسماؤه كلها حَسُنَ هذان الإسمان لأنهما منها.

﴿وَلَا تَجۡهَرۡ بِصَلَاتِكَ﴾: أي بقراءتك في صلاتك فيسبّك المشركون.

﴿وَلَا تُخَافِتۡ بِهَا﴾: لا تسرّها عن أصحابك لينتفعوا بها ﴿وَٱبۡتَغِ﴾: [واقصد][1] ﴿بَيۡنَ ذَٰلِكَ﴾: الفعل وهو الجهر والمخافتة ﴿سَبِيلًا﴾: (حس) طريقًا وسطًا.

القراءة: ﴿وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِي ٱلۡمُلۡكِ﴾: بضم الميم، وقرئ بكسرها ﴿وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ وَلِيٌّ﴾: ناصر ينصره ﴿مِّنَ ٱلذُّلِّۖ﴾: المعنىٰ: لم يذل فيحتاج إلىٰ ناصر.

﴿وَكَبِّرۡهُ﴾: بالغ في تعظيمه وتنزيهه ﴿تَكۡبِيرَۢا﴾: (تا) قال ﷺ: «**أفضل الدعاء الحمد لله، وأفضل الذكر لا إله إلا الله**»[2]، وكان ﷺ يعلم الصغير من أهل بيته ﴿قُلِ ٱدۡعُواْ ٱللَّهَ﴾[3] الآية.

---

(١) سقط من أ،ب والمثبت من ج.

(٢) أخرجه الترمذي (٣٣٨٣)، والنسائي في «السنن الكبرىٰ» (١٠٦٦٧)، وابن ماجة (٣٨٠٠)، وابن حبان(٨٤٦)، والحاكم(١٨٣٤)، والبيهقي في«شعب الإيمان» (٤٣٧١) من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما.

(٣) أخرجه الطبري في «تفسيره» (١٧/ ٥٨٠).

سورة (الكهف)

مكية إلا ﴿وَٱصۡبِرۡ نَفۡسَكَ...﴾ الآية، أو من أولها إلىٰ ﴿جُرُزًا﴾، و﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ...﴾ الآيتان، فإن ذلك مدني، وهي مائة وخمس أو وعشرًا أو إحدىٰ عشرة أو وخمس عشرة أو وست عشرة آية

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبۡدِهِ ٱلۡكِتَٰبَ وَلَمۡ يَجۡعَل لَّهُۥ عِوَجَاۜ ﴿١﴾ قَيِّمٗا لِّيُنذِرَ بَأۡسٗا شَدِيدٗا مِّن لَّدُنۡهُ وَيُبَشِّرَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمۡ أَجۡرًا حَسَنٗا ﴿٢﴾ مَّٰكِثِينَ فِيهِ أَبَدٗا ﴿٣﴾ وَيُنذِرَ ٱلَّذِينَ قَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدٗا ﴿٤﴾﴾

﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبۡدِهِ﴾ محمد ﷺ، [﴿ٱلۡكِتَٰبَ﴾: القرآن][1] ﴿وَلَمۡ يَجۡعَل لَّهُۥ عِوَجَاۜ﴾ (تا) لنصّبك ﴿قَيِّمٗا﴾ مستقيمًا، أو قيمًا علىٰ الكتب المتقدمة، ناسخًا لها ولشرائعها بمضمر، أي: جعله قيمًا، والعِوج بكسر العين في المعاني كالعَوج بفتحها في الأعيان، وهو الميل، وفي نفي العِوج مع ثبوت الاستقامة واحدهما يعنىٰ إيذان أنَّه في غاية الاستقامة، وأن لا نقص فيه بوجه ما؛ لأنَّه قد يوصف الشيء بالاستقامة، فإذا اعتبر وجد فيه عوج ما، المعنىٰ: لا اختلاف ولا تناقض في القرآن بوجه ما.

ابن عباس[2] أنَّه غير مخلوق.

القراءة: بالوقف علىٰ «عوجًا» وقفة خفيفة وصلًا تنبيهًا علىٰ تمام الوقف علىٰ «عوجًا»، وعلىٰ نصب «قيمًا» بفعل مضمر، وعلىٰ «مرقدنا» تبيينًا أنَّ هذا بعده ليس بصفة للمرقد، وأنه مبتدأ مستأنف من كلام المؤمنين للكفار، أو من كلام

---

(١) سقط من ج، والمثبت من أ،ب.

(٢) انظر «الكشف والبيان» للثعلبي (٦/ ١٣٢).

الملائكة، وعلىٰ «من» في ﴿مَنۡۜ رَاقٖ﴾، وعلىٰ «بل» في ﴿ بَلۡۜ رَانَ﴾ تبيينًا لإظهار اللام والنون؛ لأنهما ينقلبان [ق/ ١٣٥أ] في الوصل راءً بلا غنة وبلا وقف؛ لأنه كله كلام متصل، ولأنَّ الإدغام فرع، فلا كراهة فيه، واختار بعضهم الوقف علىٰ ﴿عِوَجَاۜ﴾، وعلىٰ (مرقدنا) للكل تنبيهًا علىٰ أنَّه وقف مختار.

وقرئ: «قيما»، لا أحب الوقف هنا لأجل اللام في ﴿لِّيُنذِرَ﴾ الكافرين ﴿بَأۡسٗا﴾ عذابًا ﴿شَدِيدٗا﴾.

القراءة: ﴿مِّن لَّدُنۡهُ﴾: بإشمام الدال الضم من غير صوت يسمع دلالة علىٰ أنَّ أصلها الضم، وبكسر النون ويصلها بياء وصلًا، فكسر النون لسكونها وسكون الدال قبلها وكسر الهاء إتباع، وبضم الدال وسكون النون وضم الهاء وبوصلها بواو علىٰ الأصل، وفيها ثماني لغات: لَدَا، ولَدُنْ، ولَّدْنِ، ولَدُ، ولُدْ، وَلَدَ، وَلْدنِ، وَلُدْنِ، وهي ظرف بمعنىٰ «عند» تجرما بعدها بالإضافة إلا غدوة خاصة منصوبة بعدها تشبيهًا لنونها بالتنوين؛ لأنها تحذف تارة وتثبت أخرىٰ إلا أن «عند» تختص بما تملكه وإن بعد عنك، و«لدن» ما حضرك وإن لم تملكه، وتعطف علىٰ «لينذر» ﴿وَيُبَشِّرَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾: ﴿أَنَّ لَهُمۡ أَجۡرًا حَسَنٗا﴾ هو الجنة.

﴿مَّٰكِثِينَ﴾: حال من هم في «لهم».

﴿فِيهِ﴾: في الأجر الحسن.

تلخيصه: هم مقيمون في الجنة.

﴿أَبَدٗا وَيُنذِرَ﴾: أيضًا اليهود والنصارىٰ ﴿ٱلَّذِينَ قَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدٗا ۝٤ مَّا لَهُم بِهِۦ﴾: باتخاذ الولد لله تعالىٰ.

﴿ مَّا لَهُم بِهِۦ مِنۡ عِلۡمٖ وَلَا لِأٓبَآئِهِمۡۚ كَبُرَتۡ كَلِمَةٗ تَخۡرُجُ مِنۡ أَفۡوَٰهِهِمۡۚ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبٗا ۝٥ فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٞ نَّفۡسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمۡ إِن لَّمۡ يُؤۡمِنُواْ بِهَٰذَا ٱلۡحَدِيثِ أَسَفًا ۝٦ إِنَّا جَعَلۡنَا مَا عَلَى ٱلۡأَرۡضِ زِينَةٗ لَّهَا لِنَبۡلُوَهُمۡ أَيُّهُمۡ أَحۡسَنُ عَمَلٗا ۝٧﴾

﴿مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِآبَائِهِمْ﴾ من قبلهم؛ لأنَّ ذلك مستحيل في حقه تعالىٰ.

﴿كَبُرَتْ﴾: عظمت مقالتهم ﴿كَلِمَةً﴾: تمييز، وقرئ: «كبْرت» بسكون الباء وإشمامها الضم وكلمة رفعًا فاعل كبرت.

ثم وصف الكلمة فقال: ﴿تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ﴾ والمراد بـ«الكلمة» قولهم اتخذ الله ولدا، ﴿كَذِبًا﴾: (تا) مفعول «يقولون» أو صفة مصدر محذوف.

القراءة: ﴿بَاخِعٌ نَفْسَكَ﴾: أي: مهلكها، وقرئ: «باخع نفسِك» إضافة ﴿عَلَىٰ ءَاثَارِهِمْ﴾ من بعد ذهابهم عنك.

القراءة: ﴿إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا﴾: بكسر «إن» شرطًا، فتكون إضافة ﴿بَاخِع﴾ بمعنىٰ الاستقبال؛ لأنَّ الشرط مختص بالمستقبل.

وقرئ بفتحها، فتكون إضافة ﴿بَاخِع﴾ بمعنىٰ المضي، أي: لأنَّ لم يؤمنوا ﴿بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ﴾: أي القرآن ﴿أَسَفًا﴾ (تا) مفعول له، أي: للأسف، وهو أشد الحزن، أو حال من ضمير ﴿بَاخِع﴾.

﴿زِينَةً لَّهَا﴾: مفعول ثان لـ«جعلنا»، أو مفعول له، والمراد بـ﴿مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ﴾ كل ما يزينها من علماء وصلحاء ونبات وزخارف ونحوه.

﴿لِنَبْلُوَهُمْ﴾: لنختبر الناظرين إليها ﴿أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾: (كا) أزهد في الدنيا.

﴿وَإِنَّا لَجَٰعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا ﴿٨﴾ أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْكَهْفِ وَٱلرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ ءَايَٰتِنَا عَجَبًا ﴿٩﴾ إِذْ أَوَى ٱلْفِتْيَةُ إِلَى ٱلْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ﴿١٠﴾﴾

﴿مَا عَلَيْهَا﴾: أي الأرض ﴿صَعِيدًا﴾: فتاتًا وترابًا ﴿جُرُزًا﴾: (كا) يابسًا لا ينبت.

ثم جاء بما هو أعجب من ذلك فقال: ﴿أَمْ حَسِبْتَ﴾: أي بل أظننت ﴿أَنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْكَهْفِ﴾: الغار في الجبل.

﴿وَٱلرَّقِيمِ﴾: المرقوم، أي: المكتوب، وذلك أنَّ أسماء أهل الكهف وأنسابهم رقمت في لوح رصاص، أو في صخرة، أو في الجبل؛ ليقف علىٰ خبرهم مَنْ بعدهم، أو الرقيم كلبهم، أو واديهم الذي فيه كهفهم.

﴿كَانُواْ مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا﴾: آية ﴿عَجَبًا﴾، أو ذات عجب، فـ«عجبًا» خبر كان، و ﴿مِنْ آيَاتِنَا﴾ حال من «عجبًا»، والمعنىٰ: كانوا آية يعجب بها من علمها، لا أحب الوقف هنا إن نصبت «إذ» ظرفًا لـ«عجبًا»، ويكفي إن نصبته بمضمر، أي: اذكر ﴿إِذْ أَوَى﴾: أي صار ولجأ ﴿ٱلْفِتْيَةُ﴾: جمع فتىٰ، وهو الشاب الكامل ﴿إِلَى ٱلْكَهْفِ﴾: بجبلهم يتجلسون وجعلوه مأوىٰ لهم.

﴿وَهَيِّءْ﴾: وأصلح ﴿لَنَا مِنْ أَمْرِنَا﴾: الذي نحن فيه وهو الإيمان وترك الكفر ﴿رَشَدًا﴾: (كا) هداية تلخيصه: اجعلنا راشدين

﴿ فَضَرَبْنَا عَلَىٰٓ ءَاذَانِهِمْ فِى ٱلْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا ﴿١١﴾ ثُمَّ بَعَثْنَٰهُمْ لِنَعْلَمَ أَىُّ ٱلْحِزْبَيْنِ أَحْصَىٰ لِمَا لَبِثُوٓاْ أَمَدًا ﴿١٢﴾ نَّحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِٱلْحَقِّ ۚ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُواْ بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَٰهُمْ هُدًى ﴿١٣﴾ وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُواْ فَقَالُواْ رَبُّنَا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَن نَّدْعُوَاْ مِن دُونِهِۦٓ إِلَٰهًا ۖ لَّقَدْ قُلْنَآ إِذًا شَطَطًا ﴿١٤﴾ ﴾

ولجؤوا إلىٰ الكهف هاربين خوفًا [ق/ ٢٢٦ب] علىٰ دينهم من قومهم ﴿فَضَرَبْنَا عَلَىٰٓ ءَاذَانِهِمْ﴾: أي: أنمناهم ﴿فِى ٱلْكَهْفِ سِنِينَ﴾: ظرف لـ«ضربنا» ﴿عَدَدًا﴾: نعت سنين، أي: معدودة أو ذات عدد ﴿ثُمَّ بَعَثْنَٰهُمْ﴾: أيقظناهم بعدما أنمناهم ﴿لِنَعْلَمَ﴾: أي ليتعلق ما يظهر من أمرهم بعلمنا، وإلا فنحن عالمون في كل آن وزمان ﴿أَىُّ ٱلْحِزْبَيْنِ﴾: الفريقين المختلفين في مدة لبثهم مبتدأ خبره ﴿أَحْصَىٰ﴾: ومحل الجملة نصب بـ«نعلم».

وقرئ: «ليُعلم» مجهولًا، فـ«أي» مبتدأ أيضًا خبره «أحصىٰ»، ومحل الجملة رفع فاعل المجهول، ولا يعمل «نعلم» في «أي» علىٰ القراءتين؛ لتضمنه معنىٰ

الاستفهام، و«أحصىٰ» فعل ماضٍ، فيكون ﴿لِمَا لَبِثُوٓاْ﴾ نعت ﴿أَمَدًا﴾: (تا) مفعول به، فلمَّا قدم عليه نصب حالًا، المعنىٰ: أيهم ضبط غاية لأوقات لبثهم، (أو أحصىٰ) اسم بني للتفضيل بعد حذف الزيادة، نحو هو أعطىٰ للمال، وأولىٰ بالخير، فتنصب «أمدًا» بمضمر، دل عليه أحصىٰ، نحو:

واضرب منا بالسيوف القوانسا.

﴿نَبَأَهُم﴾: خبرًا لـ«فتية».

﴿بِٱلۡحَقِّۚ﴾: (حس) بالصدق.

﴿وَزِدۡنَٰهُمۡ هُدٗى﴾: بصيرة في دينهم ﴿وَرَبَطۡنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ﴾ أي: قويناها علىٰ قول الحق وترك الأهل واللذات ﴿إِذۡ قَامُواْ﴾ بأمرنا وطاعتنا، أو لدىٰ دقيانوس حيث أمرهم بالسجود [ق/ ١٦١ جـ] للأصنام وعبادة غير الله تعالىٰ وقول الكفر.

﴿فَقَالُواْ﴾ مخلصين رادين عليه: ﴿رَبُّنَا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ لَن نَّدۡعُوَاْ مِن دُونِهِۦٓ إِلَٰهٗاۖ﴾ (كا) ولئن دعونا إلهًا غيره فرضًا ﴿لَّقَدۡ قُلۡنَآ إِذٗا﴾: قولًا ﴿شَطَطًا﴾: (حس) ذا شطط، وهو الإفراط في الكفر؛ لأنَّ أصل الشطط الإفراط ومجاوزة الحد.

﴿ هَٰٓؤُلَآءِ قَوۡمُنَا ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةٗۖ لَّوۡلَا يَأۡتُونَ عَلَيۡهِم بِسُلۡطَٰنِۭ بَيِّنٖۖ فَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبٗا ﴿١٥﴾ وَإِذِ ٱعۡتَزَلۡتُمُوهُمۡ وَمَا يَعۡبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ فَأۡوُۥٓاْ إِلَى ٱلۡكَهۡفِ يَنشُرۡ لَكُمۡ رَبُّكُم مِّن رَّحۡمَتِهِۦ وَيُهَيِّئۡ لَكُم مِّنۡ أَمۡرِكُم مِّرۡفَقٗا ﴿١٦﴾ ﴾

ثم أنكروا حال قومهم فقالوا: ﴿هَٰٓؤُلَآءِ﴾: مبتدأ ﴿قَوۡمُنَا﴾: عطف بيان خبره ﴿ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ﴾: تعالىٰ ﴿ءَالِهَةٗۖ لَّوۡلَا﴾: هلا ﴿يَأۡتُونَ عَلَيۡهِم﴾: علىٰ عبادتهم الأصنام ﴿بِسُلۡطَٰنِۭ بَيِّنٖۖ﴾: (حس) حجة ظاهرة ﴿إِلَّا كَذِبٗا﴾ (كا) بنسبة الشريك إليه تعالىٰ، يكفي الوقف هنا، وزعم بعضهم أنَّه يتم إن نصبت ﴿وَإِذِ﴾ بمحذوف، أي قال بعضهم لبعض: ﴿وَإِذِ ٱعۡتَزَلۡتُمُوهُمۡ وَمَا يَعۡبُدُونَ﴾: «ما» مصدرية معطوفة علىٰ «هم»، أي: اعتزلتم قومكم ومعبوديهم ﴿إِلَّا ٱللَّهَ﴾ أو [ما][1] بمعنىٰ الذي، فـ«إلا

(١) سقط من أ، ب والمثبت من ج.

الله» علىٰ التقديرين استثناء متصل.

روي أنهم كانوا يقرون بالخالق ويشركون به، أو كان منهم من يعبد الله، وقرئ: (غير الله).

تلخيص المعنىٰ: إذ بعدتم عن قومكم ومرادهم.

﴿فَأْوُۥٓاْ إِلَى ٱلْكَهْفِ يَنشُرْ لَكُمْ رَبُّكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ﴾ بأن يسبلها عليكم ويعيذكم من عدوكم.

القراءة: ﴿مِّرْفَقًا﴾: (كا) بفتح الميم وكسر الفاء، وبكسر الميم وفتح الفاء لغتان فيما يرتفق به ويعتمد عليه من مخاد ودواب وأمر، المعنىٰ: يرحمكم ويجعل لكم بدل الصعوبة سهولة، قالوا ذلك توكلًا علىٰ الله تعالىٰ.

﴿ ۞ وَتَرَى ٱلشَّمْسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَٰوَرُ عَن كَهْفِهِمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَت تَّقْرِضُهُمْ ذَاتَ ٱلشِّمَالِ وَهُمْ فِى فَجْوَةٍ مِّنْهُ ۚ ذَٰلِكَ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ۗ مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيًّا مُّرْشِدًا ﴿١٧﴾ وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ ۚ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَذَاتَ ٱلشِّمَالِ ۖ وَكَلْبُهُم بَٰسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِٱلْوَصِيدِ ۚ لَوِ ٱطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا ﴿١٨﴾﴾

القراءة: ﴿تَّزَٰوَرُ﴾: مخففًا، وأصله تتزاور، فحذفت إحدىٰ التاءين تخفيفًا، ومشددًا أصله تتزاور قلبت الثانية زايًا ثم أدغمت، وبغير ألف مثقلًا كتحمرُّ.

وقرئ: (تزْوار) كتحمار لغات كلها بمعنىٰ الميل والعدول.

المعنىٰ: إنَّ الشمس إذا طلعت تعدل ﴿عَن كَهْفِهِمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ﴾: ظرف لـ«تزاور»، المعنىٰ: نحو الجهة المسماة باليمين ﴿تَّقْرِضُهُمْ﴾ تقطعهم مجاوزة لهم ﴿ذَاتَ ٱلشِّمَالِ﴾: وأصل القرض: القطع، ونقل ضمة الراء لغة، قالوا: كان كهفهم مستقبل بنات النعش.

﴿وَهُمْ فِى فَجْوَةٍ مِّنْهُ﴾: (كا) متسع من الكهف يصل إليهم النسيم ويدفع عنهم كرب الغار ووخمه، ولا تصل إليهم الشمس عند طلوع ولا غروب ولا بينهما.

﴿ذَٰلِكَ﴾: المذكور ﴿مِنۡ آيَاتِ ٱللَّهِ﴾: (تا) عجائبه الدالة علىٰ قدرته تعالىٰ.

ثم مدحهم فقال: ﴿مَن يَهۡدِ ٱللَّهُ﴾: بأن فتح له طريق الهداية فسلكها ﴿فَهُوَ ٱلۡمُهۡتَدِ﴾: المخلص في إيمانه، وذم ضدهم فقال: ﴿وَمَن يُضۡلِلۡ﴾: أي يضلله تعالىٰ بخذلانه ﴿فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيّٗا مُّرۡشِدٗا﴾ (كا) يرشده إلىٰ فلاحه.

﴿أَيۡقَاظٗا﴾: جمع يقظ، أي: منتبهين ﴿وَهُمۡ رُقُودٞ﴾: (كا) نيام، المعنىٰ: لو رأوا لحسبوا منتبهين وهم نيام؛ لأنَّ أعينهم كانت مفتحة، قالوا: لئلا تذوب ويتنفسون مع ذلك ﴿وَنُقَلِّبُهُمۡ﴾: وقرئ: (ويقلبهم)، أي: الله تعالىٰ علىٰ القراءتين.

وقرئ: (وتَقلُّبَهم) بتاء مفتوحة ولام مضمومة وفتح الباء مصدر منصوب بمضمر، أي: وترىٰ تَقلُّبَهم ﴿ذَاتَ ٱلۡيَمِينِ وَذَاتَ ٱلشِّمَالِ﴾: (كا).

﴿وَكَلۡبُهُم﴾: وقرئ: (وكالبهم)، أي: صاحب كلبهم، هو ﴿بَٰسِطٞ ذِرَاعَيۡهِ﴾: نصب بـ«باسط» لأنَّها حال محكية؛ لأنَّ اسم الفاعل لا يعمل ماضيًا، وإضافته حقيقية إلا الكسائي، فإنَّه يعمله، وإذا كان حالًا أو مستقبلًا عمل وكان إضافته غير حقيقية.

المعنىٰ: ماد يديه.

﴿بِٱلۡوَصِيدِ﴾: (كا) بالفناء، أو الباب، أو العتبة، فكانوا إذا انقلبوا انقلب موافقة لهم، وهو مثلهم في النوم واليقظة.

القراءة: ﴿لَوِ ٱطَّلَعۡتَ عَلَيۡهِمۡ﴾: بكسر الواو علىٰ الأصل، وقرئ بضمها لأجل الواو، المعنىٰ: لو نظرت إليهم ﴿لَوَلَّيۡتَ﴾: لرجعت هيبة وخوفًا ﴿مِنۡهُمۡ فِرَارٗا﴾: هاربًا مصدر، القراءة: ﴿وَلَمُلِئۡتَ﴾: مثقلًا ومخففًا، وقرئ: بقلب الهمزة ياء مثقلًا ومخففًا لغات كلها بمعنىٰ لامتلأت ﴿مِنۡهُمۡ رُعۡبٗا﴾: (كا).

﴿ وَكَذَٰلِكَ بَعَثۡنَٰهُمۡ لِيَتَسَآءَلُواْ بَيۡنَهُمۡۚ قَالَ قَآئِلٞ مِّنۡهُمۡ كَمۡ لَبِثۡتُمۡۖ قَالُواْ لَبِثۡنَا يَوۡمًا أَوۡ بَعۡضَ يَوۡمٖۚ قَالُواْ رَبُّكُمۡ أَعۡلَمُ بِمَا لَبِثۡتُمۡ فَٱبۡعَثُوٓاْ أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمۡ هَٰذِهِۦٓ إِلَى ٱلۡمَدِينَةِ فَلۡيَنظُرۡ

أَيُّهَآ أَزْكَىٰ طَعَامًا فَلْيَأْتِكُم بِرِزْقٍ مِّنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا ﴿١٩﴾ إِنَّهُمْ إِن يَظْهَرُوا۟ عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِى مِلَّتِهِمْ وَلَن تُفْلِحُوٓا۟ إِذًا أَبَدًا ﴿٢٠﴾﴾

﴿وَكَذَٰلِكَ بَعَثْنَٰهُمْ﴾: أي: كما أنمناهم هذه المدة بقدرتنا مثل ذلك أيقظناهم ﴿لِيَتَسَآءَلُوا۟ بَيْنَهُمْ﴾ عن حالهم وما جرىٰ لهم ﴿قَالَ﴾ رئيسهم مكسلمينا: ﴿كَمْ﴾: ظرف ﴿لَبِثْتُمْ قَالُوا۟ لَبِثْنَا يَوْمًا﴾: لأنهم كانوا قد دخلوا الغار [عند][1] طلوع الشمس وتسألوا عند غروبها، فلمَّا رأوا بقية منها قالوا: ﴿أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ﴾: ظنًّا منهم أنَّه اليوم المدخول فيه، فلمَّا لم يتيقنوا مدة لبثهم ﴿قَالُوا۟ رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ فَٱبْعَثُوٓا۟ أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمْ﴾: القراءة بفتح الواو وسكون الراء، وبفتح الواو وكسر الراء، وقرئ بكسر الواو وسكون الراء وإدغام القاف في الكاف، وبضم الواو وسكون الراء لغات كلها في الفضة، مضروبة كانت أو غير مضروبة، المعنىٰ: فأرسلوا واحدًا منكم بفضتكم ﴿هَٰذِهِۦٓ﴾: المعدة للنفقة ﴿إِلَى ٱلْمَدِينَةِ﴾: التي خرجنا منها، وكانت تسمىٰ أفسوس، فسميت في الإسلام طرسوس، ﴿فَلْيَنظُرْ أَيُّهَا﴾ مبتدأ خبره ﴿أَزْكَىٰ طَعَامًا﴾ تمييز، ومحلهما نصب بـ«ينظر»، والمعنىٰ فليعتبر - أي: أهل المدينة- أحل ذبيحة؛ لأنَّهم كان فيهم من يذبح للطواغيت ﴿فَلْيَأْتِكُم بِرِزْقٍ﴾: بشيء ﴿مِّنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ﴾: ليدقق الحيلة في ذهابه وإيابه لئلا يعُرف ﴿وَلَا يُشْعِرَنَّ﴾: لا يعلمن ﴿بِكُمْ أَحَدًا﴾: (حس) من الناس، لا أحب الوقف من «رعبًا» اختيارًا إلىٰ هنا، فإن علم قومكم بكم يقتلوكم أو يكفروكم.

﴿وَلَن تُفْلِحُوٓا۟ إِذًا أَبَدًا﴾ (كا) إن فعلتم ذلك.

﴿وَكَذَٰلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَآ إِذْ يَتَنَٰزَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ فَقَالُوا۟ ٱبْنُوا۟ عَلَيْهِم بُنْيَٰنًا رَّبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ قَالَ ٱلَّذِينَ غَلَبُوا۟ عَلَىٰٓ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا ﴿٢١﴾ سَيَقُولُونَ ثَلَٰثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا

(١) سقط من أ،ب والمثبت من ج.

بِٱلۡغَيۡبِۖ وَيَقُولُونَ سَبۡعَةٞ وَثَامِنُهُمۡ كَلۡبُهُمۡۚ قُل رَّبِّيٓ أَعۡلَمُ بِعِدَّتِهِم مَّا يَعۡلَمُهُمۡ إِلَّا قَلِيلٞۗ فَلَا تُمَارِ فِيهِمۡ إِلَّا مِرَآءٗ ظَٰهِرٗا وَلَا تَسۡتَفۡتِ فِيهِم مِّنۡهُمۡ أَحَدٗا ﴿٢٢﴾

﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ أي: وكما أنمناهم وأيقظناهم لحكمة كذلك ﴿أَعۡثَرۡنَا﴾: أطلعنا [الملك][1] ﴿عَلَيۡهِمۡ﴾: لحكمة، عثرت بالشيء وأعثرت غيري عليه، والحكمة ﴿لِيَعۡلَمُوٓاْ﴾ أي: قومهم ﴿أَنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ﴾: بالبعث.

﴿حَقّٞ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ لَا رَيۡبَ فِيهَآ﴾: لأنَّ قومهم كانوا ينكرون البعث والحساب، المعنىٰ: ليعلموا أنَّ القادر علىٰ إنامة هؤلاء هذه المدة وإبقائهم بلا غذاء قادر علىٰ إحياء الموتىٰ وحشرهم، ولا وقف هنا لنصبك بـ«أعثرنا»، أو بـ«ليعلموا».

﴿إِذۡ يَتَنَٰزَعُونَ﴾: أي المسلمون والكافرون ﴿بَيۡنَهُمۡ﴾: بين المتنازعين ﴿أَمۡرَهُمۡۖ﴾: أمر الفتية ﴿فَقَالُواْ﴾: - أي: المسلمون- بعضهم لبعض: ﴿ٱبۡنُواْ عَلَيۡهِم بُنۡيَٰنٗاۖ﴾ يسترهم عن العيون؛ لأنَّهم علىٰ ديننا، وقال الكافرون: بل نبني نحن؛ لأنَّهم علىٰ ديننا، فلمَّا لم يتحقق المتنازعون ذلك قالوا: ﴿رَّبُّهُمۡ أَعۡلَمُ بِهِمۡۚ﴾: (تا).

﴿قَالَ ٱلَّذِينَ غَلَبُواْ عَلَىٰٓ أَمۡرِهِمۡ﴾: أمر الفتية [ق/ ١٣٦أ] ﴿لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيۡهِم﴾: لنجعلن عليهم علىٰ باب الكهف ﴿مَّسۡجِدٗا﴾: (حس) يصلىٰ فيه.

ولمَّا تنوزع في عدد الفتية قال بعضهم: [ق/ ٢٢٧ب] ﴿ثَلَٰثَةٞ رَّابِعُهُمۡ﴾: مبتدأ خبره ﴿كَلۡبُهُمۡ﴾ وهما صفة «ثلاثة»، وكذلك «سادسهم كلبهم»، «وثامنهم كلبهم»، وقال بعض: ﴿خَمۡسَةٞ سَادِسُهُمۡ كَلۡبُهُمۡ رَجۡمَۢا﴾: مصدر، أي: رميًا وحديثًا ﴿بِٱلۡغَيۡبِۖ﴾: أي: من غير يقين، وقال [بعض][2]: ﴿سَبۡعَةٞ وَثَامِنُهُمۡ كَلۡبُهُمۡۚ﴾: وجاء بـ(سين) الاستقبال في الفعل الأول دون الأخيرين ليدخل الأخيرين في حكم الاستقبال لعطفهما علىٰ الأول، والواو في «وثامنهم» الواو التي تدخل علىٰ الجملة الواقعة صفة للنكرة، كدخولها علىٰ الجملةالواقعة حالًا عن المعرفة، نحو: جاءني زيد

---

(١) سقط من أ،ب والمثبت من ج.

(٢) في أ،ب: بعضهم، والمثبت من ج.

ومعه ثوب، أو هي الواو التي تكون الجملة بعدها مستأنفة مؤذنة أنَّ هذا العدد المذكور بعدها هو الحق خاصة دون العددين قبله، وهو قول المسلمين أخبرهم به النبي ﷺ، يوضح ذلك أن قال في الأولين: ﴿رَجۡمَۢا بِٱلۡغَيۡبِۖ﴾، وقال في [الآخرين][1]: ﴿مَّا يَعۡلَمُهُمۡ إِلَّا قَلِيلٞۗ﴾: (كا) من الناس.

ابن عباس[2]: أنا من [ذلك][3] القليل.

عن عليّ[4]: أسماؤهم يمليخا ومكسلمينا ومسلينيا، فهؤلاء كانوا ميمنة الملك، ومرنوش، وديرنوش، وشادنوش، أصحاب ميسرته، فكان [الملك][5] يشاور هؤلاء الستة، والسابع الراعي الذي تبعهم واسمه، كفشططيوس، ولون كلبهم أنمر، أو أصفر يضرب إلىٰ الحمرة، واسمه قطمير أو ريان، وذكر كلبهم معهم؛ لأنَّه صحبهم، وكثر الاختلاف في أسمائهم وأنسابهم وحرفتهم واسم كلبهم ولونه، وليس علم ذلك بالطائل.

﴿فَلَا تُمَارِ فِيهِمۡ إِلَّا مِرَآءٗ ظَٰهِرٗا﴾ أي: لا تجادل في أهل الكهف إلا جدال عالم متيقن؛ لأنَّه تعالىٰ عرَّفك الحق من ذلك.

﴿وَلَا تَسۡتَفۡتِ فِيهِم مِّنۡهُمۡ أَحَدٗا﴾ (كا) المعنىٰ: لا تطلب الفتيا في أهل الكهف من أحد من اليهود؛ لأنَّك خبير بذلك.

﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْيۡءٍ إِنِّي فَاعِلٞ ذَٰلِكَ غَدًا ﴿٢٣﴾ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ وَٱذۡكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلۡ عَسَىٰٓ أَن يَهۡدِيَنِ رَبِّي لِأَقۡرَبَ مِنۡ هَٰذَا رَشَدٗا ﴿٢٤﴾ وَلَبِثُواْ فِي كَهۡفِهِمۡ ثَلَٰثَ مِاْئَةٖ سِنِينَ وَٱزۡدَادُواْ تِسۡعٗا ﴿٢٥﴾ قُلِ ٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا لَبِثُواْۖ لَهُۥ غَيۡبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ أَبۡصِرۡ بِهِۦ وَأَسۡمِعۡۚ مَا لَهُم مِّن

---

(١) في أ،ب: الأخير، والمثبت من ج.

(٢) أخرجه عبد الرزاق في «تفسيره» (٢/ ٣٢٩)، والطبري في «تفسيره» (١٧/ ٦٤٢)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/ ٢٣٥٤).

(٣) سقط من أ، ب والمثبت من ج.

(٤) انظر: «الكشاف» (٢/ ٧١٢).

(٥) سقط من أ، ب والمثبت من ج.

دُونِهِۦ مِن وَلِيٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ وَٱتْلُ مَآ أُوحِيَ إِلَيْكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَ ۖ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ وَلَن تَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا ﴿٢٧﴾ ﴾

لمَّا سئل ﷺ عن ذي القرنين والروح وأهل الكهف، فقال: «**غدًا أخبركم**»، ولم يستثن نزل تأديبًا ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْىْءٍ﴾ أي: لأجل شيء تهتم به ﴿إِنِّي فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا﴾ أي: فيما يستقبل من الزمان، لا اليوم الذي يلي يومك ﴿إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾: (تا) استثناء من النهي أي: لا تقولن: أفعل ذلك إلا أن يؤذن لك في القول، أو لا تقولنه إلا بأن يشاء الله، ومحله حال، أي: إلا ملتبسًا بمشيئة الله قائلا: إن شاء الله، أو هو استثناء منقطع، أو إلا أن يشاء الله الجملة بمعنىٰ التأبيد، أي: لا تقله أبدًا.

عن ابن عباس[(١)]: جواز الاستثناء إلىٰ سنة ما لم يحنث.

وعن الحسن وطاوس[(٢)] [ق/ ١٦٢ جـ]: ما دام في المجلس. وأكثرهم لا يجوزه حتىٰ يكون متصلًا.

﴿وَٱذْكُر رَّبَّكَ﴾: بالاستغفار ﴿إِذَا نَسِيتَ﴾: الاستثناء، أو اذكره إذا تركت بعض ما أمرت به، أو اذكره إذا نسيت شيئًا ما لتتذكره ﴿وَقُلْ عَسَىٰٓ أَن يَهْدِيَنِ رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَٰذَا﴾: أي: من نبأ أهل الكهف، المعنىٰ: قل لعل الله يرزقني من الدلائل علىٰ النبوة ما هو أظهر دلالة وأقرب ﴿رَشَدًا﴾: (حس) من نبأ أهل الكهف، ثم [استؤنفت][(٣)] جملة مبينة ما أجمل في ﴿فَضَرَبْنَا عَلَىٰٓ ءَاذَانِهِمْ فِي ٱلْكَهْفِ سِنِينَ﴾: فقيل: ﴿وَلَبِثُواْ فِي كَهْفِهِمْ﴾: أحياء نيامًا ﴿ثَلَٰثَ مِاْئَةٍ سِنِينَ﴾: **القراءة**: ﴿ثَلَٰثَ مِاْئَةٍ﴾ منونًا، فـ﴿سِنِينَ﴾ عطف بيان لـ﴿ثَلَٰثَ﴾، أو بدل منها، أو من ﴿مِاْئَةٍ﴾؛ لأنَّ «مائة» بمعنىٰ مئين، ولو نصب تمييزًا لكان أقل مدة لبثهم ستمائة سنة عند الخليل، وتسعمائة عند الفقهاء، وبإضافة مائة إلىٰ سنين، وضع الجمع موضع المفرد كما

---

(١) أخرجه الطبري في «تفسيره» (١٧/ ٦٤٥).

(٢) أخرجه الطبري في «تفسيره» (١٧/ ٦٤٥).

(٣) في أ،ب: استؤنف، والمثبت من ج.

ميز بالجمع في ﴿بِٱلۡأَخۡسَرِينَ أَعۡمَٰلًا﴾: لأنَّ حق مائة أن تضاف إلىٰ مفرد، نحو: ثلاث مائة درهم، فلمَّا كان الدرهم جمعًا في المعنىٰ حسن إضافتها إلىٰ الجمع لفظًا، وهذه السنون شمسية عند أهل الكتاب، يوضحه ما قرئ قالوا: لبثوا، وتزيد عليها القمرية عند العرب تسعًا، فلذلك قال: ﴿وَٱزۡدَادُواْ تِسۡعًا﴾: (تا) مفعول «ازدادوا»، وقرئ: ثلاثمائة سنة.

تلخيصه: لبثوا في كهفهم نيامًا هذه المدة، لا أحب الوقف علىٰ ﴿لَهُۥ غَيۡبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ﴾: المعنىٰ: هو المختص بعلم ما غاب [عن الناس][(1)] فيهما، وهذا خطاب للسامع علىٰ ما يتعقل عرفًا، وإلا فالباطن والظاهر والقريب والبعيد في علمه سواء.

والهاء في ﴿أَبۡصِرۡ بِهِۦ وَأَسۡمِعۡۚ﴾: (كا) لله تعالىٰ، محلها رفع والباء زائدة، تقديره: ما أبصر الله تعالىٰ وما أسمعه فلا يغيب عنه شيء ما.

﴿مَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ﴾: أي ما لأهل السموات والأرض من دون عذاب الله ﴿مِن وَلِيّٖ﴾: (حس) يمنعه عنهم.

القراءة: ﴿وَلَا يُشۡرِكُ﴾: بتاء خطابًا مع جزم الكاف نهيًا للإنسان، وهذا رجوع من غيبة إلىٰ خطاب، وبالياء غيبة ورفع الكاف إخبارًا عن الله تعالىٰ، أي: ليس يشرك هو تعالىٰ ﴿فِي حُكۡمِهِۦٓ﴾: في قضائه وعلمه ﴿أَحَدٗا﴾: (تا) لأنَّه غني عنه.

لمَّا قيل له ﷺ: ائت بقرآن غير هذا أو بدله، نزل ﴿وَٱتۡلُ مَآ أُوحِيَ إِلَيۡكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَۖ﴾[(2)] من القرآن، واعمل به ولا تطعهم في التبديل ﴿لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ﴾: لا يقدر علىٰ ذلك إلا هو تعالىٰ ﴿وَلَن تَجِدَ مِن دُونِهِۦ﴾: [أي: من دون عذاب الله تعالىٰ][(3)] ﴿مُلۡتَحَدٗا﴾ (حس) ملجأ تلجأ إليه، لو فعلت ذلك فرضًا.

---

(١) سقط من أ،ب والمثبت من ج.

(٢) انظر «أسباب النزول» (ص/ ٢٩٧).

(٣) سقط من أ،ب والمثبت من ج.

﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ﴿٢٨﴾ وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ ۚ إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا ۚ وَإِن يَسْتَغِيثُوا۟ يُغَاثُوا۟ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ يَشْوِى ٱلْوُجُوهَ ۚ بِئْسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٢٩﴾﴾

لمَّا طلب عيينة بن حصن وأصحابه من النبي ﷺ إبعاد أبي ذر وأصحابه من الفقراء من مجلسه لرثاثة حالهم؛ ليجلسوا إليه نزل ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ﴾: إلىٰ (سرادقها)، أي: احبسها مع ﴿ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ﴾: طرفي النهار، أو المراد الصلوات الخمس ﴿يُرِيدُونَ﴾: بعبادتهم ﴿وَجْهَهُۥ﴾: (كا) تعالىٰ لأشياء من أعراض الدنيا.

﴿وَلَا تَعْدُ﴾: لا تصرف ﴿عَيْنَاكَ عَنْهُمْ﴾: عن الفقراء لرثاثة حالهم، وهذا نهي للعين والمراد صاحبها، يوضحه ما قرئ: (ولا تُعَدِّ) من عدَّىٰ مشددًا.

﴿تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ﴾: (حس).

تلخيصه: لا تطرد الفقراء لفقرهم ورثاثة حالهم، ولا تمل إلىٰ الأغنياء لجمالهم وغناهم، وكانوا زهاء سبعين فقيرًا، فقال ﷺ: **«معهم المَحْيا ومعهم المَمَات»**[1].

﴿وَلَا تُطِعْ﴾ في طردهم ﴿مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ﴾ هو عيينة بن حصن وأصحابه ﴿عَن ذِكْرِنَا﴾ عن القرآن والتوحيد.

وقرئ: (أَغْفَلَنَا قَلْبُه) أي: حسبنا قلبه غافلين، من أغفلته وجدته غافلًا.

﴿وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ﴾: في الشرك ونيل مشتهاه ﴿وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا﴾ :(تا) إسرافًا ومجاوزة للحد في التفريط.

(١) انظر: «أسباب النزول» (ص/ ٢٩٧).

ثـم أُمِرَ ﷺ بقـول الحـق الـذىٰ أرسـل بـه فقيـل: ﴿وَقُـلِ ٱلْحَـقُّ﴾: خـبر مبتـدأ محذوف، أي: هو الحق، أو جاء الحق ﴿مِن رَّبِّكُـمْۖ﴾: بـترك طـرد المـؤمنين، ثـم خَيَّـرَهُمْ تهديـدًا، فقـال: ﴿فَمَـن شَـآءَ﴾ الإيمـان ﴿فَلْيُـؤْمِن وَمَـن شَـآءَ﴾: الكفـر ﴿فَلْيَكْفُرْۚ﴾: (كـا) ابـن عبـاس[١]: مـن شـاء الله لـه الإيمـان آمـن، ومـن شـاء الله لـه الكفر كفر.

تلخيصه: لست بطارد المؤمنين لهواكم، فاعملوا ما شئتم.

﴿إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَاۚ﴾: (كـا) السـرادق حجـرة تكـون حـول الفسطاط كالحـائط، قـال ﷺ: «**سُـرادق أهـلِ النَّـارِ أربعـةُ جُدُرٍ، كَـثْفُ كُـلِّ جدارٍ أربعين سنة**»[٢]، أو هـو عنـق مـن نـار يحيط بالكفـار فيعطشـون فيسـتغيثون، فـ﴿يُغَاثُواْ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ﴾: هو صديد أهـل النـار، ثـم وصـف المهـل فقـال: ﴿يَشْوِى ٱلْوُجُوهَۚ﴾ :(حس) ينضجها من حره، عنه ﷺ: «إن المهـل كعكـر الزيـت، فـإذا قـرب إلىٰ الكافر سقطت فروة وجهه»[٣].

﴿بِئْسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتْ مُرْتَفَقًا﴾: (تا) تمييز، أي: منزلًا، وكل ما يرتفـق بـه مـن مكان ومخاد وغيرهما مرتفق.

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ﴿٣٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِّن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلْأَرَآئِكِۚ نِعْمَ ٱلثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٣١﴾ ﴾

المعنىٰ: قبحت النار منزلًا بأن يرتفق بها أو فيها إن جعلت ﴿إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا﴾: منهم خبر «إن الذين» [ق/ ٢٢٨ب] تم الوقف هنا.

تلخيصه: إنَّا لا نضيع أعمالهم، بل نثيبهم بهـا، ولا يـتم الوقـف هنـا إن جعلـت

(١) أخرجه الطبري في «تفسيره» (١٨/ ١٠).
(٢) أخرجه الطبري في «تفسيره» (١٨/ ١٢) من حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.
(٣) أخرجه الطبري في «تفسيره» (١٨/ ١٢) من حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

﴿إِنَّا لَا نُضِيعُ﴾: الآية، اعتراضًا وجعلت الخبر ﴿أُولَٰٓئِكَ لَهُمۡ جَنَّٰتُ عَدۡنٍ﴾: «من» الأولىٰ تبعيض أو ابتداء أو صلة، والثانية بيان أو تبعيض في ﴿يُحَلَّوۡنَ فِيهَا﴾: يلبسون في الجنة ﴿مِنۡ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ﴾ :جمع أسورة، وأسورة جمع سوار، وهو ما يلبس في اليد.

ابن جبير: يلبس كل واحد ثلاثة من أسورة الجنة، واحد من ذهب، وواحد من فضة، وواحد من يواقيت.

﴿وَيَلۡبَسُونَ ثِيَابًا خُضۡرًا مِّن سُندُسٍ﴾: جمع سندسة ، أو هو جنس، وهو ما رقَّ من الديباج وهو معرب ﴿وَإِسۡتَبۡرَقٍ﴾: جمع إستبرقة، أو جنس، وهو ما غلظ من الديباج، أو المراد بغليظه أحكام نسجه وهو معرب.

وقرئ: (واستبرق) بوصل الهمزة ونصب القاف غير مصروف زعموا؛ لأنَّه اسم أعجمي.

﴿مُّتَّكِـِٔينَ﴾: حال، أي: متحاملين في الجنة ﴿عَلَى ٱلۡأَرَآئِكِ﴾: (تا) جمع أريكة، وهي السرير في الحجال جمع الحجلة، [والحجلة][1]: بيت يزين بالثياب والستور للعروس، ولا تسمىٰ أريكة حتىٰ تكون في الحجلة.

ووسم أبو حاتم ﴿نِعۡمَ ٱلثَّوَابُ﴾: - الجزاء الجنة- بالكافي ﴿وَحَسُنَتۡ مُرۡتَفَقًا﴾: بالتام، قال: ومعناه: حسنت الجنة مرتفقًا.

﴿۞ وَٱضۡرِبۡ لَهُم مَّثَلًا رَّجُلَيۡنِ جَعَلۡنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيۡنِ مِنۡ أَعۡنَٰبٍ وَحَفَفۡنَٰهُمَا بِنَخۡلٍ وَجَعَلۡنَا بَيۡنَهُمَا زَرۡعًا ﴿٣٢﴾ كِلۡتَا ٱلۡجَنَّتَيۡنِ ءَاتَتۡ أُكُلَهَا وَلَمۡ تَظۡلِم مِّنۡهُ شَيۡـٔٗاۚ وَفَجَّرۡنَا خِلَٰلَهُمَا نَهَرٗا ﴿٣٣﴾ وَكَانَ لَهُۥ ثَمَرٞ فَقَالَ لِصَٰحِبِهِۦ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَنَا۠ أَكۡثَرُ مِنكَ مَالٗا وَأَعَزُّ نَفَرٗا ﴿٣٤﴾ وَدَخَلَ جَنَّتَهُۥ وَهُوَ ظَالِمٞ لِّنَفۡسِهِۦ قَالَ مَآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِۦٓ أَبَدٗا ﴿٣٥﴾﴾

ثم أمر ﷺ بضرب مثل، فقيل: ﴿وَٱضۡرِبۡ لَهُم مَّثَلًا﴾: وتقديره: اضرب مثلًا مثل

(١) في أ، ب: وهي، والمثبت من ج.

﴿رَّجُلَيْنِ﴾: والمعنىٰ: مثل حال هؤلاء المؤمنين والكافرين بحال رجلين من بني إسرائيل أحدهما مؤمن وهو قطمير، والآخر كافر وهو يهوذا، ورثا مالًا عظيمًا من أبيهما فاقتسماه، فأخرج المؤمن ماله في أبواب [الخير و][1] البر، واشترىٰ الكافر بماله أسباب المكاسب كالبساتين، أو كانا من بني مخزوم ثم وصف مثلًا، أو رجلين فقال: ﴿جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَـٰبٍ وَحَفَفْنَـٰهُمَا﴾: أحطنا بالبستانين ﴿بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا﴾: (كا) يقتات به، المعنىٰ: جمعت هذه الأرض أنواع الثمرات وأصناف الأقوات، وهي مع ذلك في غاية الاشتباك بالنبات.

﴿كِلْتَا ٱلْجَنَّتَيْنِ﴾:مبتدأ خبره ﴿ءَاتَتْ أُكُلَهَا﴾: ثمرتها، وأفرد ﴿ءَاتَتْ﴾ حملًا علىٰ لفظ ﴿كِلْتَا﴾؛ لأنَّ ﴿كِلْتَا﴾ مفرد يدل علىٰ التثنية، وقرئ: ﴿كِلْتَا ٱلْجَنَّتَيْنِ ءَاتَتْ أُكُلَهَا﴾.

﴿وَلَمْ تَظْلِم مِّنْهُ﴾: لم تنقص من حملها ﴿شَيْـًٔا﴾: (كا) بل أتت به في غاية الكمال.

﴿وَفَجَّرْنَا﴾:وقرئ: (وفجَرنا) مخففًا.

﴿خِلَـٰلَهُمَا نَهَرًا﴾ (كا) يجري بينهما، **القراءة:** ﴿وَكَانَ لَهُۥ﴾: لصاحب البستان ﴿ثَمَرٌ﴾: بفتح الثاء والميم [من ثمر][2]، «وأحيط بثمره» جمع ثمرة كبقرة وبقر، وهو المجني من الفاكهة، وبضم الثاء وإسكان الميم جمع ثمار، وثمار جمع ثمر وثمر جمع ثمرة، أو هو اسم مفرد كعنق سكنت ميمه تخفيفًا، وبضم الثاء والميم جيء به علىٰ الأصل، وذكر الثمرة بعد ذكر الجنتين وإن كانت الجنة لا تخلو من ثمرة؛ للإيذان بكثرة ما تملك في الجنتين من الثمار وغيرها.

﴿فَقَالَ﴾: الكافر صاحب البستان ﴿لِصَـٰحِبِهِۦ﴾: المؤمن ﴿وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ﴾: يكلمه مفاخرة في أسباب الدنيا والآخرة، أو في الكفر والإيمان: ﴿أَنَا۠ أَكْثَرُ مِنكَ

---

(١) سقط من أ،ب والمثبت من ج.

(٢) سقط من أ،ب والمثبت من ج.

مَالٗا﴾: لإقباله علىٰ إصلاح الدنيا وترك الآخرة.

﴿وَأَعَزُّ نَفَرٗا﴾: (كا) عشيرة.

﴿وَدَخَلَ﴾: الكافر ﴿جَنَّتَهُۥ﴾: ولم يقل: «جنتيه» إرادة للروضة [ق/ ١٣٧أ]، وللإيذان أنَّ ما أوتيه جنة واحدة، وأن لا حظَّ له في الجنة التي وعد المتقون.

﴿وَهُوَ ظَالِمٞ لِّنَفۡسِهِۦ﴾: (كا) بالكفر وإعجابه بما أوتي [ق/ ١٦٣جـ].

﴿قَالَ﴾: إعجابًا بها: ﴿مَآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ﴾ أي: تنعدم﴿هَٰذِهِۦٓ أَبَدٗا ٣٥﴾.

﴿ وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةٗ وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيۡرٗا مِّنۡهَا مُنقَلَبٗا ٣٦ قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَكَفَرۡتَ بِٱلَّذِي خَلَقَكَ مِن تُرَابٖ ثُمَّ مِن نُّطۡفَةٖ ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلٗا ٣٧ لَّٰكِنَّا۠ هُوَ ٱللَّهُ رَبِّي وَلَآ أُشۡرِكُ بِرَبِّيٓ أَحَدٗا ٣٨ وَلَوۡلَآ إِذۡ دَخَلۡتَ جَنَّتَكَ قُلۡتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِۚ إِن تَرَنِ أَنَا۠ أَقَلَّ مِنكَ مَالٗا وَوَلَدٗا ٣٩ ﴾

﴿وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةٗ﴾: كائنة، ﴿وَلَئِنۡ رُّدِدتُّ﴾: إلىٰ الآخرة علىٰ زعمك.

القراءة: ﴿لَأَجِدَنَّ خَيۡرٗا مِّنۡهَا﴾: تثنية، أي: من الجنتين، ومفردًا أراد جنته ﴿مُنقَلَبٗا﴾: (حس) مرجعًا.

تلخيصه: كما أعطاني هذا في الدنيا، فإنَّه يعطيني أضعافه في الآخرة، يقول ذلك استهزاءً، فثمَّ ﴿قَالَ لَهُۥ﴾ المسلم ﴿وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَكَفَرۡتَ﴾:وقرئ:(ويلك أكفرت) ﴿بِٱلَّذِي خَلَقَكَ مِن تُرَابٖ﴾: أي من آدم؛ لأنَّه خلق من تراب.

﴿ثُمَّ مِن نُّطۡفَةٖ﴾: أي من منيّ ﴿ثُمَّ سَوَّىٰكَ﴾: عدلك وكملك ﴿رَجُلٗا﴾: (كا).

القراءة: ﴿لَّٰكِنَّا۠﴾:بألف وصلًا، أجرىٰ الوصل مجرىٰ الوقف، وبحذفها وصلًا؛ لأنَّها إنما جيء بها لأجل الوقف كهاء السكت عند البصري، فـ«إنَّ» عنده الاسم، وعند الكوفي «أنا» بكماله الاسم، فحذفت الألف علىٰ هذا تخفيفًا، وأصله «لكن أنا».

وقرئ بها فألقيت حركة الهمزة علىٰ نون لكن، فاجتمع نونان، فأدغم أحدهما

في الآخر، ونحو هذا في العمل إنَّ قائم، وأصله «إن أنا قائم»، ومعناه: ما أنا قائم، وقوله: ﴿هُوَ﴾ ضمير الشأن، والشأن ﴿ٱللَّهُ رَبِّي﴾ والجملة خبر «إنَّا»، والراجع إليه منها ياء الضمير في «ربي»، والمعنىٰ: لكن أنا لا أقول كما تقول، بل أقول: هو الله ربي، وكلهم وقف بالألف سوىٰ ما قرئ: «لكنه» بالهاء وقفًا، وقرئ: «لكن» بسكون النون وترك أنا، وقرئ: «لكن أنا لا إله إلا هو الله ربي خالقي ورازقي».

﴿وَلَآ أُشۡرِكُ بِرَبِّيٓ أَحَدٗا﴾: (كا) و«ما» موصولة مرفوعة محلًا خبر مبتدأ محذوف في ﴿مَا شَآءَ ٱللَّهُ﴾: تقديره: «الأمر الذي شاءه الله كان»، أو شرطية محذوفة الجزاء منصوبة محلًا، تقديره: «أي شيء شاء الله وقع.

والمعنىٰ: هلا قلت عند دخولك جنتك وإعجابك بها: ما شاء الله، وتشكره علىٰ إنعامه عليك، وكان عروة بن الزبير إذا رأىٰ شيئًا يعجبه من ماله قال: ما شاء الله[(١)].

﴿لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِۚ﴾: (كا) في محل رفع خبر «لا»، قال ﷺ: **«من أعطي خيرًا من أهل أو مال فيقول عند ذلك: ما شاء الله لا قوة إلا بالله، لم ير فيه مكروهًا»**[(٢)].

القراءة: ﴿إِن تَرَنِ أَنَا۠ أَقَلَّ﴾: نصبًا مفعولًا ثانيًا لـ«ترني» و«أنا» فصل.

وقرئ برفع «أقل» خبر «أنا»، وهما في محل نصب مفعولًا ثانيًا لـ«ترني أقل» ﴿أقل مِنكَ مَالٗا وَوَلَدٗا﴾: في الدنيا.

﴿فَعَسَىٰ رَبِّيٓ أَن يُؤۡتِيَنِ خَيۡرٗا مِّن جَنَّتِكَ وَيُرۡسِلَ عَلَيۡهَا حُسۡبَانٗا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَتُصۡبِحَ صَعِيدٗا زَلَقًا ﴿٤٠﴾ أَوۡ يُصۡبِحَ مَآؤُهَا غَوۡرٗا فَلَن تَسۡتَطِيعَ لَهُۥ طَلَبٗا ﴿٤١﴾ وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِۦ فَأَصۡبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيۡهِ عَلَىٰ مَآ أَنفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَٰلَيۡتَنِي لَمۡ أُشۡرِكۡ بِرَبِّيٓ أَحَدٗا ﴿٤٢﴾ وَلَمۡ تَكُن لَّهُۥ فِئَةٞ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا ﴿٤٣﴾﴾

---

(١) انظر: «الكشاف» (٢/ ٧٢٣).

(٢) أخرجه الطبراني في «المعجم الأوسط» (٥٩٩٥)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٤٣٦٩) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

﴿فَعَسَىٰ رَبِّيٓ أَن يُؤۡتِيَنِ خَيۡرٗا مِّن جَنَّتِكَ وَيُرۡسِلَ عَلَيۡهَا﴾: أي: علىٰ جنتك ﴿حُسۡبَانٗا﴾: جمع حسبانة، وهي سهام صغار يُرمَىٰ بها عن القسي الفارسيّة، أو المراد الصواعق من السماء.

﴿فَتُصۡبِحَ صَعِيدٗا زَلَقًا﴾: مصدر وصف به، أي: أرضًا ملساء لا تثبت عليها قدم ﴿أَوۡ يُصۡبِحَ مَآؤُهَا غَوۡرٗا﴾: مصدر وصف به، أي: غائرًا اسم فاعل، أي: ذاهبًا لا سبيل إليه.

﴿فَلَن تَسۡتَطِيعَ لَهُۥ طَلَبٗا﴾: (كا) حيلة تدركه بها.

تلخيصه: أرجو أن أرزق أفضل من جنتك وأن تهلك جنتك.

﴿وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِۦ﴾: بالهلاك فهلكت ثمرته ﴿فَأَصۡبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيۡهِ﴾: ندمًا وتحسرًا ﴿عَلَىٰ مَآ أَنفَقَ فِيهَا﴾: أي: في عمارتها ﴿وَهِيَ خَاوِيَةٌ﴾: خالية ساقطة ﴿عَلَىٰ عُرُوشِهَا﴾: علىٰ دعائمها بأن سقط ما يُدعم به الكرم، ثم سقط الكرم عليه، أو عروشها: سقوفها بأن سقطت الكروم أولًا، ثم سقطت الحيطان عليها، وتعطف علىٰ ﴿يُقَلِّبُ﴾: ﴿وَيَقُولُ يَٰلَيۡتَنِي لَمۡ أُشۡرِكۡ بِرَبِّيٓ أَحَدٗا﴾: (كا) أو محل «يقول» الجملة حال من ضمير ﴿يُقَلِّبُ﴾.

القراءة: ﴿وَلَمۡ تَكُن لَّهُۥ فِئَةٞ﴾: مذكرًا للفصل بـ«له»، ومؤنثًا لتأنيث فئة، والفئة بمعنىٰ الجماعة، ولذلك قال: ﴿يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾: (كا) المعنىٰ: لم يجد عند هلاك جنته وهلاكه ناصرًا له [ق/ ٢٢٩ب] من عذاب الله تعالىٰ.

﴿وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا﴾: (تا) ممتنعًا بنفسه من العذاب،

﴿هُنَالِكَ ٱلۡوَلَٰيَةُ لِلَّهِ ٱلۡحَقِّۚ هُوَ خَيۡرٞ ثَوَابٗا وَخَيۡرٌ عُقۡبٗا ٤٤ وَٱضۡرِبۡ لَهُم مَّثَلَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا كَمَآءٍ أَنزَلۡنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخۡتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلۡأَرۡضِ فَأَصۡبَحَ هَشِيمٗا تَذۡرُوهُ ٱلرِّيَٰحُۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ مُّقۡتَدِرًا ٤٥ ٱلۡمَالُ وَٱلۡبَنُونَ زِينَةُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَٱلۡبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيۡرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابٗا وَخَيۡرٌ أَمَلٗا ٤٦ وَيَوۡمَ نُسَيِّرُ ٱلۡجِبَالَ وَتَرَى ٱلۡأَرۡضَ بَارِزَةٗ وَحَشَرۡنَٰهُمۡ فَلَمۡ نُغَادِرۡ مِنۡهُمۡ أَحَدٗا ٤٧﴾

وزعم بعضهم أنَّ الوقف على ﴿هُنَالِكَ﴾: أي: لم يجد ناصرًا ولا ينتصر هو ثَمَّ، فتكون ﴿ٱلْوَلَٰيَةُ﴾: مبتدأ خبره ﴿لِلَّهِ﴾: وعلى الوقف الموسوم: الولاية مبتدأ خبره (هنالك).

القراءة: بفتح الواو بمعنى النصرة والتولي، وبكسرها بمعنى السلطان والملك، أو بالكسر في الأمور والفتح في الدين، يقال: والٍ على الناس، متمكن الوِلاية كسرًا، ووليٌّ لله تعالى بيِّن الوَلاية فتحًا، أو هما لغتان بمعنى.

القراءة: ﴿ٱلْحَقِّ﴾: (حس) رفعًا صفة للولاية وجرًّا صفة لله تعالى، وقرئ بالنصب تأكيدًا، نحو: هذا عبد الله الحق لا الباطل.

(هُوَ خَيْرٌ): مبتدأ وخبر ﴿ثَوَابًا﴾: تمييز .

﴿وَخَيْرٌ عُقُبًا﴾: (تا) للمؤمنين، القراءة بضم القاف وسكونها، وقرئ: (عقْبى) كحبلى لغات كلها بمعنى العاقبة، المعنى: ثواب الله تعالى للمؤمنين في الآخرة أفضل من غيره وأفضل عاقبة، ومحل ﴿كَمَآءٍ﴾: رفع، أي: هو كماء ﴿أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ﴾: إن جعلت «واضرب» بمعنى «واذكر»، ونصبٌ إن جعلت «واضرب» بمعنى «صيِّر»؛ لأنَّه يتعدى إلى مفعولين ﴿فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ﴾: أي: تكاثف بسبب نزول الماء ﴿نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ﴾: وامتزج الماء بالنبات حتى روي وحسن.

﴿فَأَصْبَحَ هَشِيمًا﴾: متفرقة أجزاؤه ليبسه ﴿تَذْرُوهُ﴾: تثيره وتفرقه ﴿ٱلرِّيَٰحُ﴾: (كا) فتذهب به.

وقرئ: (فذرته، وتذريه) بضم التاء، ذرى وأذرى بمعنى.

تلخيصه: شبه الدنيا بما فيها منها بنبات حسن فيبس فتكسر ففرقته الريح فانعدم.

﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ﴾: من السعادة والشقاوة.

﴿مُّقْتَدِرًا﴾: (حس) قادرًا، ثم زهّد تعالى فيها ووبخ المفتخرين بها، فقال:

﴿ٱلۡمَالُ وَٱلۡبَنُونَ زِينَةُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ﴾: (حس) يُتجمل بهما فيها ﴿وَٱلۡبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ﴾: هي سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، وزاد بعضهم: ولا حول ولا قوة إلا بالله، أو هي الصلوات الخمس، أو كل ما أريد به وجه الله تعالىٰ ﴿خَيۡرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابٗا وَخَيۡرٌ أَمَلٗا﴾: (تا) المعنىٰ: ما أريد به الله تعالىٰ أفضل من غيره، وأفضل ما يأمله الإنسان ويرجوه عند الله تعالىٰ، يتم الوقف هنا إن نصبت ﴿وَيَوۡمَ﴾: بـ«اذكر» مقدرة، ولا أحبه إن عطفته علىٰ ﴿عِندَ رَبِّكَ﴾: تقديره: الباقيات الصالحات خير عند ربك، وخير يوم ﴿نُسَيِّرُ﴾.

القراءة بالنون وبنصب ﴿ٱلۡجِبَالَ﴾: مفعول «نسير» خبر عن الله تعالىٰ، وبالتاء ورفع الجبال مجهولًا، وقرئ: (تسير الجبال).

﴿وَتَرَى﴾: يا إنسان أو يا محمد ﴿ٱلۡأَرۡضَ بَارِزَةٗ﴾: ظاهرة مكشوفة قد ذهب عنها كل ما كان عليها، أو بروزها ظهور موتاها.

وقرئ: «تُرىٰ الأرض» مجهولًا.

ومحل: ﴿وَحَشَرۡنَٰهُمۡ﴾: حال، أي: جمعنا المؤمنين والكافرين للوقوف في نسير وترىٰ مستقبلًا، وحشرناهم ماضيًا، إيذان أنَّ الحشر يكون قبل التسيير ليشاهدوا تلك الأهاويل ﴿فَلَمۡ نُغَادِرۡ﴾: لم نترك، وقرئ بتاء مضمومة وكسر الدال، أي: لم تترك الأرض ﴿مِنۡهُمۡ أَحَدٗا﴾: (كا) إلا قذفته

﴿وَعُرِضُواْ عَلَىٰ رَبِّكَ صَفّٗا لَّقَدۡ جِئۡتُمُونَا كَمَا خَلَقۡنَٰكُمۡ أَوَّلَ مَرَّةِۭۚ بَلۡ زَعَمۡتُمۡ أَلَّن نَّجۡعَلَ لَكُم مَّوۡعِدٗا ﴿٤٨﴾ وَوُضِعَ ٱلۡكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلۡمُجۡرِمِينَ مُشۡفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَٰوَيۡلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلۡكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةٗ وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحۡصَىٰهَاۚ وَوَجَدُواْ مَا عَمِلُواْ حَاضِرٗاۗ وَلَا يَظۡلِمُ رَبُّكَ أَحَدٗا ﴿٤٩﴾ وَإِذۡ قُلۡنَا لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ ٱسۡجُدُواْ لِأٓدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبۡلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلۡجِنِّ فَفَسَقَ عَنۡ أَمۡرِ رَبِّهِۦٓۗ أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوۡلِيَآءَ مِن دُونِي وَهُمۡ لَكُمۡ عَدُوُّۢۚ بِئۡسَ لِلظَّٰلِمِينَ بَدَلٗا ﴿٥٠﴾﴾

﴿وَعُرِضُواْ﴾: أي: الخلائق يوم القيامة ﴿عَلَىٰ رَبِّكَ صَفّٗا﴾: حال، أي: علىٰ

حكمه مصطفين، فثمَّ يقال لهم: ﴿لَّقَدۡ جِئۡتُمُونَا كَمَا خَلَقۡنَٰكُمۡ أَوَّلَ مَرَّةِۭ﴾: أحياءً فرادىٰ حفاة عراة غرلًا.

ولمَّا خرج من قصة إلىٰ قصة أضرب، فقال: ﴿بَلۡ زَعَمۡتُمۡ أَلَّن نَّجۡعَلَ لَكُم مَّوۡعِدٗا﴾: (تا) تحاسبون وتجازون فيه ﴿وَوُضِعَ ٱلۡكِتَٰبُ﴾: الذي كتبت فيه أعمالهم وأحوالهم قبل وجودهم وبعده للحساب.

﴿فَتَرَى ٱلۡمُجۡرِمِينَ مُشۡفِقِينَ﴾: خائفين ﴿مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ﴾: عند معاينتهم ما في الكتاب من القبائح: ﴿يَٰوَيۡلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلۡكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةٗ﴾: تصدر عن جانبها ﴿وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحۡصَىٰهَاۚ﴾: (كا) عدّها وأثبتها.

ابن عباس[1]: الصغيرة التبسم، والكبيرة القهقهة.

أو الصغيرة اللمم كالغمزة والنظرة، والكبيرة الزنا.

قالوا: أشد آية في القرآن ﴿وَوَجَدُواْ مَا عَمِلُواْ﴾: من خير وشر ﴿حَاضِرٗاۗ﴾: (تا) مثبتًا في كتابهم لا يغيب منه شيء ﴿وَلَا يَظۡلِمُ رَبُّكَ أَحَدٗا﴾: (تا) لتقديرك، واذكر بعد.

تلخيصه: أعمالهم محصاة، وإنَّما يعاقب المستحق.

﴿إِلَّآ إِبۡلِيسَ﴾: استثناء منقطع أو ﴿كَانَ مِنَ ٱلۡجِنِّ﴾: حقيقة، قالوا: لأنَّ له ذرية، والملائكة لا ذرية لهم، ومحل كان الجملة حال، أو هو كلام جارٍ مجرىٰ التعليل، كأنَّه قيل: ما باله لم يسجد؟ فقيل: كان من الجن، فلذلك لم يسجد.

والفاء للتسبيب في ﴿فَفَسَقَ﴾: أي: كان سبب فسقه كونه من الجن، ولو كان ملكًا لم يفسق ﴿عَنۡ أَمۡرِ﴾: أي: طاعة ﴿رَبِّهِۦٓۗ﴾: (حس) لأنَّ الملائكة معصومون.

﴿أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ﴾: الهمزة للإنكار دخلت علىٰ فاء العطف، والواو لآدم وذريته، والهاء للخبيث، وتقديره: أتتخذون إبليس ﴿وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوۡلِيَآءَ مِن دُونِي وَهُمۡ لَكُمۡ عَدُوُّۢۚ﴾: (تا) أعداء.

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/ ٢٣٦٥).

يحيىٰ بن معاذ: لا يكون من أولياء الله تعالىٰ ولا يبلغ مقام الولاية من نظر إلىٰ شيء دونه، واعتمد علىٰ سواه، ولم يميِّز بين مُواليه وبين معاديه، وحال إقباله من حال إدباره.

﴿بَدَلًا﴾: (تا) [ق/ ١٦٤جـ] تمييز، المعنىٰ: بئس البدل إبليس وذريته لمن استبدلهما بدل طاعة الله تعالىٰ.

﴿۞ مَّآ أَشْهَدتُّهُمْ خَلْقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنفُسِهِمْ وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ ٱلْمُضِلِّينَ عَضُدًا ﴿٥١﴾ وَيَوْمَ يَقُولُ نَادُوا۟ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَهُمْ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُم مَّوْبِقًا ﴿٥٢﴾ وَرَءَا ٱلْمُجْرِمُونَ ٱلنَّارَ فَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُم مُّوَاقِعُوهَا وَلَمْ يَجِدُوا۟ عَنْهَا مَصْرِفًا ﴿٥٣﴾﴾

ثم أومأ تعالىٰ إلىٰ غناه عن خلقه بقوله: ﴿مَّآ أَشْهَدتُّهُمْ﴾: أي: جميع الخلق، أو إبليس وذريته.

وقرئ: (وما أشهدناهم).

﴿خَلْقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنفُسِهِمْ﴾: (تا) لم نحضر بعضهم خلق بعض، نحو: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ﴾: [النساء:٢٩].

تلخيصه: لم نحضرهم ثَمَّ لعدمهم وعدم حاجتي إليهم.

﴿وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ ٱلْمُضِلِّينَ﴾: علىٰ الدين ﴿عَضُدًا﴾: (تا) أعوانًا أعتضد بهم، أوقع الواحد موقع الجمع، ويجوز أنَّه جاء بالمفرد ليؤذن أنَّهم في كفرهم وعنادهم متضامي الكلمة متخذي الضلالة، أو تقديره: متخذهم، وأوقع المضلين موقعهم تبشيعًا لحالهم، عضَّده وأعضده آزره، وأصله: الأخذ بعضد الشخص إعانة له.

وقرئ: (وما كنتَ) خطابًا للنبي ﷺ، المعنىٰ: لا يجوز لك الاعتضاد بأحد من المضلين.

وقرئ: (متخذًا المضلين) علىٰ الأصل، وقرئ بضم العين والضاد وبإسكان

الضاد وضم العين تخفيفًا، وبفتحهما جمع عاضد كخادم وخدم، وبفتح العين وسكون الضاد وبسكون الضاد ونقل ضمها إلىٰ العين لغات في العضد، وتم الوقف هنا لتقديرك: واذكر يوم بعد.

القراءة: ﴿يَقُولُ﴾: بالنون يخبر تعالىٰ عن نفسه وبالياء غيبة، أي: يقول هو تعالىٰ ثَمَّ للكفار: ﴿نَادُواْ شُرَكَآءِيَ﴾: بزعمكم؛ لأنَّكم أشركتموهم معي في العبادة، وزعمتم أنَّهم يشفعون لكم، فادعوهم ليشفعوا لكم ﴿فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُواْ﴾: لم يجيبوهم ولم يشفعوا ﴿لَهُمْ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُم مَّوْبِقًا﴾: (حس) هلاكًا، من وَبَقَ يبق وبوقًا، ووبِقَ يَوبَقُ وبُقا: هلك، وأوبقه غيره إن جعلت بينهم مفعولًا به كان المعنىٰ جعلنا وصلهم هنا هلاكًا ثَمَّ، وإن جعلته ظرفًا كان المعنىٰ جعلنا بين العابدين والمعبودين واديًا من أودية جهنم يهلكون فيه جميعًا، فيكون المعبودون علىٰ هذا الأصنام، أو موبقًا عداوة، ويجوز إن أريد بالمعبودين عزير وعيسىٰ والملائكة أن يكون موبقًا حاجزًا، فلا يصلون إليهم، فلا يشفعون [ق/ ٢٣٠ب] لهم؛ لأنَّ أولئك في الجنة، وأولاء في النار.

﴿وَرَءَا ٱلْمُجْرِمُونَ ٱلنَّارَ فَظَنُّوٓاْ﴾ :أيقنوا ﴿أنهم مُّوَاقِعُوهَا﴾: مخالطوها وواقعون فيها، وقرئ: «ملافوها» بالفاء، أي: ملابسوها، فهي محيطة بهم كاللفافة للشيء[ق/ ١٣٨أ] ﴿وَلَمْ يَجِدُواْ عَنْهَا مَصْرِفًا﴾: (تا) معدلًا وانصرافًا.

﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٍۚ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا ﴿٥٤﴾ وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤْمِنُوٓاْ إِذْ جَآءَهُمُ ٱلْهُدَىٰ وَيَسْتَغْفِرُواْ رَبَّهُمْ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمْ سُنَّةُ ٱلْأَوَّلِينَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ ٱلْعَذَابُ قُبُلًا ﴿٥٥﴾ وَمَا نُرْسِلُ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَۚ وَيُجَٰدِلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِٱلْبَٰطِلِ لِيُدْحِضُواْ بِهِ ٱلْحَقَّۖ وَٱتَّخَذُوٓاْ ءَايَٰتِي وَمَآ أُنذِرُواْ هُزُوًا ﴿٥٦﴾﴾

﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٍۚ﴾: (كا) مثلًا، المعنىٰ: مثَّلنا لهم من جنس كل مثل مثلًا ﴿وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ﴾: أي: النضر بن الحارث، أو جميع الناس ﴿أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا﴾: (تا) خصومة تمييز لك، جعل شيء بمعنىٰ مجادل؛

لأنَّ أفعل يضاف إلىٰ ما هو بعض له، ثم نميزه بجدلًا لئلا يقتضي أن يكون الأكثر مجادلًا، فيكون هذا من وضع العام موضع الخاص، ولك أن تقدر في الكلام حذفًا، أي: وكان جدل الإنسان أكثر شيء ثم تميزه بـ«جدلا».

تلخيصه: الإنسان أكثر جدالًا من غيره، وأن الأولىٰ بعد نصب والثانية رفع، وفي الكلام حذف مضاف، تقديره: وما منع الناس الإيمان والاستغفار إلا انتظار إتيان مثل ﴿سُنَّةُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾: فيرونها عيانًا، وهي إهلاكنا إياهم إن كذبوا، قالوا: هذا فيمن قتل من المشركين ببدر وأحد ﴿أَوْ يَأْتِيَهُمُ ٱلْعَذَابُ قُبُلًا﴾: (تا) القراءة بضمتين جمع قبيلًا، أي: أصنافًا، وبكسر القاف وفتح الباء أي: مقابلة أو فجأة، وقرئ بضم القاف وإسكان الباء تخفيفًا، وبفتحهما بمعنىٰ مقابلة أيضًا.

﴿وَمُنذِرِينَ﴾: (كا)إن استأنفت ﴿وَيُجَٰدِلُ﴾: الكافرون ﴿بِٱلْبَٰطِلِ لِيُدْحِضُوا﴾: ليبطلوا ﴿بِهِ ٱلْحَقَّ﴾: وأصل الدحض: الزلق، و«ما» موصولة أو مصدرية في ﴿وَٱتَّخَذُوٓا۟ ءَايَٰتِى وَمَآ أُنذِرُوا۟﴾: به من العذاب والنار.

تلخيصه: اتخذوا القرآن وإنذاري ﴿هُزُوًا﴾: (تا) سخرية.

﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِىَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ ۚ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا ۖ وَإِن تَدْعُهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ فَلَن يَهْتَدُوٓا۟ إِذًا أَبَدًا ﴿٥٧﴾ وَرَبُّكَ ٱلْغَفُورُ ذُو ٱلرَّحْمَةِ ۖ لَوْ يُؤَاخِذُهُم بِمَا كَسَبُوا۟ لَعَجَّلَ لَهُمُ ٱلْعَذَابَ ۚ بَل لَّهُم مَّوْعِدٌ لَّن يَجِدُوا۟ مِن دُونِهِۦ مَوْئِلًا ﴿٥٨﴾ ﴾

﴿بِآيَاتِ رَبِّهِۦ﴾ :بالقرآن .

﴿فَأَعْرَضَ عَنْهَا﴾: تركها والعمل بها .

﴿وَنَسِىَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ﴾: (كا) من الكفر والمعاصي، لا أحب الوقف هنا؛ لأنَّ الهاء في ﴿أَن يَفْقَهُوهُ﴾: -أي: لئلا يفهموا القرآن- ترجع إلىٰ «بآيات» قبل؛ لأنَّ المراد بها القرآن، [أي: جعلنا في قلوبهم أكنة، أي: أغطية أن يفقهوه، يعني: كيلا

يفقهوه][1].

﴿وَفِيٓ ءَاذَانِهِمۡ وَقۡرٗاۖ﴾: (تا) صممًا فلا يفهمون ولا يسمعون، وهذا تعليل لإعراضهم عن طريق الفلاح.

﴿وَإِن تَدۡعُهُمۡ﴾: يا محمد ﴿إِلَى ٱلۡهُدَىٰ﴾: أو لا تدعهم، والمراد من حقَّت عليه [كلمة][2] الشقاوة ﴿فَلَن يَهۡتَدُوٓاْ إِذًا أَبَدٗا﴾: (تا).

﴿وَرَبُّكَ ٱلۡغَفُورُ﴾: للمؤمنين ﴿ذُو ٱلرَّحۡمَةِۖ﴾: (حس) لهم خاصة في الآخرة، والرحمة في الدنيا بمعنىٰ النعمة، فهي تعم المسلم والكافر.

﴿لَوۡ يُؤَاخِذُهُم﴾: في الدنيا ﴿بِمَا كَسَبُواْ لَعَجَّلَ لَهُمُ ٱلۡعَذَابَۚ﴾: فيها ﴿بَل لَّهُم﴾: أي: لهلاكهم ﴿مَّوۡعِدٞ﴾: وهو يوم بدر، ويجوز أن يراد يوم القيامة، فالمعنىٰ: لهم ثمَّ يوم يعذبون فيه ﴿لَّن يَجِدُواْ مِن دُونِهِۦ مَوۡئِلٗا﴾: (حس) منجا.

﴿وَتِلۡكَ ٱلۡقُرَىٰٓ أَهۡلَكۡنَٰهُمۡ لَمَّا ظَلَمُواْ وَجَعَلۡنَا لِمَهۡلِكِهِم مَّوۡعِدٗا ﴿٥٩﴾ وَإِذۡ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَىٰهُ لَآ أَبۡرَحُ حَتَّىٰٓ أَبۡلُغَ مَجۡمَعَ ٱلۡبَحۡرَيۡنِ أَوۡ أَمۡضِيَ حُقُبٗا ﴿٦٠﴾ فَلَمَّا بَلَغَا مَجۡمَعَ بَيۡنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِي ٱلۡبَحۡرِ سَرَبٗا ﴿٦١﴾ فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَىٰهُ ءَاتِنَا غَدَآءَنَا لَقَدۡ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبٗا ﴿٦٢﴾﴾

﴿وَتِلۡكَ﴾ :مبتدأ صفته ﴿ٱلۡقُرَىٰٓ﴾: المتقدمة كقرىٰ عاد وثمود، خبره ﴿أَهۡلَكۡنَٰهُمۡ لَمَّا ظَلَمُواْ﴾:.

القراءة: ﴿لِمَهۡلِكِهِم﴾: هنا و﴿مَهۡلِكَ أَهۡلِهِۦ﴾: [النمل:٤٩] في النمل بفتح الميم واللام بعد الهاء مصدر هلك، وبفتح الميم وكسر اللام مصدر هلك أيضًا، ومفعل بالكسر من فعَل بالفتح نادر كالمرجع، وبضم الميم وفتح اللام مصدر أهلك يُهلك، أي: جعلنا لإهلاكهم.

---

(١) سقط من أ،ب والمثبت من ج.

(٢) سقط من أ،ب والمثبت من ج.

﴿مَّوۡعِدٗا﴾: [(تا)][(١)] وقتًا محدودًا للخروج من قصة إلىٰ قصة، قام موسىٰ بن عمران عليه السلام في بني إسرائيل خطيبًا، فرقت القلوب وذرفت العيون، فقيل له: من أعلم الناس؟ فقال: أنا، أو قيل له: [هل][(٢)] في الأرض أعلم منك؟ فقال: لا، أو كان يبدأ بذكره قبل ذكر غيره، فعتب تعالىٰ عليه وقال: إنَّ لي بمجمع البحرين عبدًا هو أعلم منك، فخذ حوتًا مملوحًا يكون زادًا لك فيه واطلبه، فحيث فقدت الحوت فهو ثمَّ، ففعل ثم ﴿قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَىٰهُ﴾: يوشع بن نون، كان يتبعه ويخدمه ويأخذ منه العلم ﴿لَآ أَبۡرَحُ﴾: لا أزال أسير، أو الخبر ﴿حَتَّىٰٓ أَبۡلُغَ﴾: المعنىٰ: لا يبرح سيري حتىٰ أبلغ، فلمَّا حذف الاسم المضاف أقيم المضاف إليه مقامه، وهو ضمير المتكلم، فانقلب الفعل عن لفظ الغائب إلىٰ لفظ المتكلم، وتنصب ﴿مَجۡمَعَ ٱلۡبَحۡرَيۡنِ﴾: ظرفًا.

القراءة: بفتح الميمين، وقرئ بفتح الأولىٰ وكسر الثانية، والمراد المكان الجامع لملتقىٰ بحري فارس والروم مما يلي المشرق، أو هو طنجة.

﴿أَوۡ أَمۡضِيَ﴾: سائرًا حتىٰ أجده، أو تقديره: أو إلا أن أمضي ﴿حُقُبٗا﴾: (حس) دهرًا طويلًا، وقرئ بسكون القاف لغتان كطنب وهو الدهر، وزعم بعضهم أنَّ الحقب ثمانون سنة، والذي نرويه الحقبة ثمانون سنة، وجمعها الحقب، والحقب: الدهر، وجمعه أحقاب، أو الحقبة مدة مبهمة.

تلخيصه: لأجهدن في طلبه حتىٰ أبلغه ﴿فَلَمَّا بَلَغَا﴾: أي: موسىٰ وفتاه ﴿مَجۡمَعَ بَيۡنِهِمَا﴾: أي: بين البحرين، وهو الموضع الذي وعد موسىٰ أن يجتمع فيه بالخضر، وفيه الصخرة، وفيه عين الحياة التي لا يصيب ماؤها ميتًا إلا حيي، وضعا حوتهما فأصابه شيء من برد ماء العين، أو من وضوء يوشع منها، فحيي وانسرب في البحر، فجعل لا يضرب بذنبه شيئًا من الماء إلا يبس.

---

(١) سقط من أ،ب والمثبت من ج.

(٢) سقط من أ،ب والمثبت من ج.

ولمَّا نسي يوشع حمل الحوت عند الرحيل ونسي موسىٰ تذكيره نسب النسيان إليهما، فقيل: ﴿نَسِيَا حُوتَهُمَا فَٱتَّخَذَ﴾: الحوت ﴿سَبِيلَهُۥ﴾: طريق الحوت ﴿فِي ٱلْبَحْرِ﴾: حال من السبيل، أو من ﴿سَرَبًا﴾: (حس) لأنَّه تعالىٰ أمسك جرية الماء، فصار مثل الطاق، فصار للحوت سربًا ولموسىٰ وفتاه عجبًا، فارتحلا متجاوزي الصخرة تلك الليلة والغد إلىٰ الظهر، فجاع موسىٰ، فقال ﴿لِفَتَىٰهُ ءَاتِنَا غَدَآءَنَا﴾: الغداء: ما يعد للأكل أول النهار، والعشاء آخره ﴿لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَٰذَا﴾: [أي][1] الذي سرناه بعد مجاوزة الصخرة ﴿نَصَبًا﴾: (حس) تعبًا، قالوا: وكانا لا ينصبان قبل مجاوزة موضع الخضر.

﴿قَالَ أَرَءَيْتَ إِذْ أَوَيْنَآ إِلَى ٱلصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ ٱلْحُوتَ وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيْطَٰنُ أَنْ أَذْكُرَهُۥ ۚ وَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِي ٱلْبَحْرِ عَجَبًا ﴿٦٣﴾ قَالَ ذَٰلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ ۚ فَٱرْتَدَّا عَلَىٰٓ ءَاثَارِهِمَا قَصَصًا ﴿٦٤﴾ فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴿٦٥﴾﴾

﴿قَالَ فَإِنِّي نَسِيتُ ٱلْحُوتَ﴾: عند الصخرة، وقوله: ﴿أَنْ أَذْكُرَهُۥ﴾: بدل من هاء ﴿وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ﴾: أي وما أنساني ذكره ﴿إِلَّا ٱلشَّيْطَٰنُ﴾: وقرئ: «أن أذكر له»، القراءة بضم هاء وما أنسانيه، و﴿عَلَيْهُ ٱللَّهَ﴾:[الفتح: ١٠] في الفتح، وكسرها، ومن ﴿وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ﴾ إلىٰ ﴿وَٱتَّخَذَ﴾ موسىٰ، أو الحوت ﴿سَبِيلَهُۥ﴾: سبيل الحوت، اعتراض بين المعطوف والمعطوف عليه ﴿فِي ٱلْبَحْرِ﴾: [(كا)][2] إن جعلت هذا من كلام يوشع وجعلت ﴿عَجَبًا﴾: من كلام موسىٰ، وتنصبه بمضمر كأنَّ موسىٰ لمَّا قال له فتاه: اتخذ الحوت سبيله في البحر، قال: أعجب من ذلك عجبًا، وإن جعلت الكل من كلام يوشع فلا وقف إلا علىٰ ﴿عَجَبًا﴾ ؛ لأنَّه كلام واحد صادر من واحد، وإن جعلت الاتخاذ من فعل الحوت لم تقف علىٰ «في البحر» لنصبك ﴿عَجَبًا﴾: مفعولًا له.

---

(١) سقط من أ،ب والمثبت من ج.

(٢) في أ،ب: (تا) والمثبت من ج.

القراءة: ﴿نَبۡغِۚ﴾ بإثبات الياء وصلًا ووقفًا، وبإثباتها وصلًا وحذفها وقفًا تخفيفًا [ق/ ١٦٥جـ] واتباعًا لخط المصحف، وزعم بعضهم أنَّه علىٰ التشبيه بالفواصل، المعنىٰ: ذلك الذي كنا نطلبه ﴿فَٱرۡتَدَّا﴾: رجعا ﴿عَلَىٰٓ ءَاثَارِهِمَا﴾: يقصّانها ويتبعانها ﴿قَصَصٗا﴾: مصدر، فأتيا الصخرة ﴿فَوَجَدَا عَبۡدٗا مِّنۡ عِبَادِنَآ﴾: هو الخضر، قالوا: كان من بني إسرائيل، أو كان ممن ترك الملك زهدًا في الدنيا، أو كان في أيام أفريذون قبل موسىٰ، وكان علىٰ مقدمة ذي القرنين الأكبر، وبقي إلىٰ أيام موسىٰ، والخضر كنيته؛ لأنَّه جلس علىٰ فروة فاخضرت، واسمه بليابن ملكان، فأتاه موسىٰ، وهو مُسَجًّىٰ بثوب مستلقيًا علىٰ قفاه، أو وجده علىٰ كبد البحر، فسلم عليه فقال: وعليك السلام يا نبي بني إسرائيل.

﴿ءَاتَيۡنَٰهُ رَحۡمَةٗ﴾: نبوة [ق/ ٢٣١ب] وشفقة ﴿مِّنۡ عِندِنَا وَعَلَّمۡنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلۡمٗا﴾: (حس) مفعول به، والمراد: علم الباطن، وهو العلم اللدني، فقال: يا موسىٰ، أنا علىٰ علم علَّمنيه الله لا تعلمه أنت، وأنت علىٰ علم علَّمكه الله لا أعلمه أنا، فقال له:

﴿ قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰ هَلۡ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمۡتَ رُشۡدٗا ﴿٦٦﴾ قَالَ إِنَّكَ لَن تَسۡتَطِيعَ مَعِيَ صَبۡرٗا ﴿٦٧﴾ وَكَيۡفَ تَصۡبِرُ عَلَىٰ مَا لَمۡ تُحِطۡ بِهِۦ خُبۡرٗا ﴿٦٨﴾ قَالَ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرٗا وَلَآ أَعۡصِي لَكَ أَمۡرٗا ﴿٦٩﴾ قَالَ فَإِنِ ٱتَّبَعۡتَنِي فَلَا تَسۡـَٔلۡنِي عَن شَيۡءٍ حَتَّىٰٓ أُحۡدِثَ لَكَ مِنۡهُ ذِكۡرٗا ﴿٧٠﴾ ﴾

﴿هَلۡ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمۡتَ﴾: **القراءة:** ﴿رُشۡدٗا﴾: (كا) صوابًا بفتح الراء والشين، وبضم الراء وإسكان الشين لغتان.

تلخيصه: علمني علمًا أرشد به، ولا غضاضة في طلب موسىٰ العلم من الخضر؛ لأنَّ الزيادة في العلم مطلوبة، سيما إذا لم تكن عند الشخص، ولأنَّه أُمر بذلك، قالوا: وسأله عما يحتاج إليه من الأخلاق ومعاشرة الناس، فقال: يا موسىٰ، كفىٰ بالتوراة علمًا وببني إسرائيل شغلًا، فقال: الله أمرني بذلك.

فقال: ﴿إِنَّكَ لَن تَسۡتَطِيعَ مَعِيَ صَبۡرٗا﴾: لأنَّك ترىٰ ما تنكره، ثم عذره في عدم

صبره فقال: ﴿وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ خُبْرًا﴾: (حس) مصدر، المعنىٰ: لم تدركه ولم تخبر حقيقته، ومحل ﴿وَلَآ أَعْصِى لَكَ أَمْرًا﴾: (كا) تأمرني به، نصب عطف علىٰ صابرًا، أي: ستجدني صابرًا، وغيرَ عاصٍ، واستثنىٰ موسىٰ بقوله: ﴿سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ﴾: لأنَّه لم يكن علىٰ ثقة من نفسه فيما التزم، وهذه عادة الأنبياء والأولياء أن لا يثقوا إلىٰ أنفسهم طرفة عين، ولم يستثن الخضر؛ لأنَّ موسىٰ كان في مقام التأديب والتقليد، والخضر في مقام التعليم والمشاهدة.

القراءة: ﴿فَلَا تَسْـَٔلْنِى﴾: بإسكان اللام وكسر النون مخففة؛ لأنَّه لم يلحق الفعل نون التأكيد، وبفتح اللام وتشديد النون مكسورة؛ لأنَّ نون التوكيد المشددة التي يبنىٰ معها الفعل علىٰ الفتح دخلت علىٰ نون الوقاية، فحذفت وبقيت نون التوكيد مكسورة للياء بعدها، وبحذف الياء في الحالين استغناءً بالكسرة عنها، وبإثباتها فيهما اتِّباعًا لخط المصحف.

﴿ذِكْرًا﴾: (كا) المعنىٰ: أنَّ الخضر قال لموسىٰ: إن رأيت مني ما تنكره باطنًا فلا تسألني عنه حتىٰ أذكره لك، وأوضح لك علَّته، وهذا من أدب التابع والمتبوع والعالم والمتعلم، فقبل شرطَهُ.

﴿ فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا رَكِبَا فِى ٱلسَّفِينَةِ خَرَقَهَا ۖ قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا إِمْرًا ﴿٧١﴾
قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا ﴿٧٢﴾ قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِى بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِى مِنْ أَمْرِى عُسْرًا
﴿٧٣﴾ فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا لَقِيَا غُلَٰمًا فَقَتَلَهُۥ قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةًۢ بِغَيْرِ نَفْسٍ لَّقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا نُّكْرًا ﴿٧٤﴾ ﴾

﴿فَٱنطَلَقَا﴾: يمشيان علىٰ ساحل البحر، فمرت بهما سفينة فاستحملا صاحبها، فحملهما بغير أجر ﴿فِى ٱلسَّفِينَةِ﴾: فلمَّا بلغوا اللجي ﴿خَرَقَهَا﴾: (كا) الخضر، بأن أخذ فأسًا فاقتلع لوحًا، أو لوحين من ألواحها من قبل البحر، فسدَّ موسىٰ الخرق بثيابه وقال: ﴿أَخَرَقْتَهَا﴾.

القراءة: ﴿لِتُغْرِقَ﴾: بفتح الياء والراء ﴿أَهْلَهَا﴾: رفعًا فاعلًا، وبضم التاء وكسر الراء ونصب ﴿أهلَها﴾ مفعولًا خطابًا للخضر، وقرئ: (لتغرق أهلُها).

﴿لَقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا إِمْرًا﴾: (كا) عظيمًا منكرًا، روي أنّ الماء لم يدخلها، أو رفعها الخضر بقدح زجاج فقال: ﴿إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾: (كا).

﴿قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ﴾: بنسياني أو بالذي نسيت، ولا مؤاخذة علىٰ ناسٍ.

ابن عباس(١): لم ينس هذا إنَّما نسي غيره، أو نسي حقيقة، أو نسيت: تركت، والمعنىٰ: لا تؤاخذني بتركي وصيتك.

﴿وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا﴾: (كا) عن النبي ﷺ: «**إنَّ الأولىٰ كانت من موسىٰ نسيانًا، والثانية شرطًا، والثالثة عهدًا**» (٢).

المعنىٰ: عاملني باليسر؛ فإني أريد صحبتك، ولا سبيل إليها إلا بالعفو.

﴿فَانطَلَقَا﴾: بعد خروجهما من السفينة ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا لَقِيَا غُلَٰمًا﴾: لم يبلغ الحنث يلعب مع الصبيان أحسنهم وجهًا، فأضجعه الخضر فذبحه بالسكين، أو اقتلع رأسه، أو ضرب رأسه بالجدار ﴿فَقَتَلَهُۥ﴾: (كا) قال ﷺ: «**إنَّ الغلام الذي قتله الخَضِر طُبِع كافرًا، ولو عاش لأرهق أبويه طغيانًا وكفرًا**» (٣).

وكان رجلًا، ويسمىٰ الرجل غلامًا ما لم يخطه الشيب، أو كان يقطع الطريق ويأخذ المتاع ويفسد ويلجأ إلىٰ أبويه ويتأذيان به، قال: «أخرقتها» بلا فاء، و«فقتله» بالفاء؛ لأنَّ الخرق جعل جزاءً للشرط، وجعل «فقتله» من جملة الشرط، فعطفه بالفاء علىٰ [الشرط](٤) لأنَّ الخرق لم يعقب الركوب، والقتل عقب اللقي، وجواب الجزاء قول موسىٰ توبيخًا: ﴿أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً﴾: **القراءة**: زكية وزاكية بمعنىٰ، وهي التي لم تبلغ الحنث، أو المطهرة، أو الزاكية التي لم تذنب قط،

(١) أخرجه الطبري في « تفسيره» (١٨/ ٧٤).
(٢) أخرجه الطبري في « تفسيره» (١٨/ ٧٤).
(٣) صحيح : أخرجه مسلم(٢٣٨٠) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.
(٤) سقط من ج، والمثبت من أ،ب.

والزكية التي أذنبت ثم تابت.

وقال موسىٰ: زاكية؛ لأنَّه لم يره باشر ذنبًا إن قيل ببلوغ الغلام.

﴿بِغَيْرِ نَفْسٍ﴾: لم يقتله قصاصًا.

﴿لَّقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا نُّكْرًا﴾: (كا) منكرًا، النكر أعظم[ق/ ١٣٩أ] من الإمر وبالعكس.

القراءة: بإسكان الكاف وضمها لغتان.

﴿۞ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٧٥﴾ قَالَ إِن سَأَلْتُكَ عَن شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَٰحِبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِن لَّدُنِّي عُذْرًا ﴿٧٦﴾ فَانطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَيَآ أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمَآ أَهْلَهَا فَأَبَوْاْ أَن يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ فَأَقَامَهُۥ قَالَ لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا ﴿٧٧﴾﴾

وزاد «لك» في ﴿أَلَمْ أَقُل لَّكَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ﴾: لن تطيق ﴿مَعِيَ صَبْرًا﴾: (كا) توبيخًا لموسىٰ؛ لأنَّه كان في الأولىٰ معذورًا، ولذلك قال موسىٰ ﴿قَالَ إِن سَأَلْتُكَ عَن شَيْءٍ بَعْدَهَا﴾: بعد هذه المرة ﴿فَلَا تُصَٰحِبْنِي﴾: لا تتركني أتبعك، وإن أتبعك فأبعدني عنك.

وقرئ: «فلا تصحبني» لا تكن صاحبي، وبضم التاء، أي: فلا تصحبني نفسك ولا تزودني شيئًا من علمك.

﴿قَدْ بَلَغْتَ مِن لَّدُنِّي عُذْرًا﴾: (كا) **القراءة**: (لَدُنِي) مخففًا بحذف النون الأصلية والإتيان بنون الوقاية، ومشددًا أدخل نون الوقاية علىٰ الأصلية فأدغم، وبسكون الدال مع إشمامها الضم، المعنىٰ: قد اتضح عذرك عندي في مفارقتي؛ لأني لم أحفظ وصيتك، قال ﷺ: «**رحم الله أخي موسىٰ استحيا فقال ذلك**»[1].

﴿فَانطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَيَآ أَهْلَ قَرْيَةٍ﴾: هي أنطاكية أو الأبلة ﴿اسْتَطْعَمَآ أَهْلَهَا﴾: طلبا منهم الطعام ضيافة، وأعاد ذكر الأهل؛ تأكيدًا ﴿فَأَبَوْاْ أَن يُضَيِّفُوهُمَا﴾: وقرئ

(١) أخرجه الطبري في «تفسيره» (١٨/ ٧٧) من حديث أبي بن كعب رضي الله عنه.

مخففًا من أضفت، وأضفت الرجل وضيفته وتضيفته: أنزلته ضيفًا، وأصلها الميل، من ضاف السهم عن الرميّة مال، المعنىٰ: امتنعوا من إطعامهما.

﴿فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ﴾: الإرادة هنا مجاز؛ لأنَّ أصلها أنَّها قوة مركبة من شهوة وحاجة وأمل، ثم جعلت اسمًا لنزوع النفس إلىٰ شيء مع الحكم فيه أنَّه ينبغي أن يفعل وأن لا يفعل، وذلك ممتنع في الجماد، والإرادة من الله تعالىٰ بمعنىٰ الحكم، فمعنىٰ «أراد الله تعالىٰ»: حكم تعالىٰ.

القراءة: «ينقضُّ» مشددًا من انقض الطائر، سقط سريعًا، وهو انفعل مطاوع قضضته، وقرئ مخففًا مجهولًا من النقض، وينقاضُّ مشددًا ومخففًا من انقاض البناء انهدم، وينقاص مخففًا بصاد مهملة انشق طولًا ومنه انقاصت سنة.

المعنىٰ: إنَّ الخضر رأىٰ حائطًا ارتفاعه مائة ذراع قد قارب السقوط فمسحه بيده.

﴿فَأَقَامَهُۥ﴾: عدّله، أو هدمه وقعد يبنيه.

القراءة: ﴿لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾: (كا) مخففًا وكسر الخاء من تخذ يتخذ عمل شيئًا وزن لعلمت، وبفتح الخاء وتشديد التاء الأولىٰ وزن لاكتسبت، فيكون اتخذ افتعل مطاوع تخذ، أو من الأخذ، وأصله «اتخذ»، ثم أبدلت الهمزة ياء، ثم أبدلت الياء تاء، ثم أدغمت في التاء، وبإظهار الذال وإدغمها، المعنىٰ: إنَّ موسىٰ قال للخضر: قد علمت حاجتنا إلىٰ الطعام، فلو طلبت علىٰ عملك جعلًا لدفعنا به ألم الجوع، فثمَّ تصور الخضر سؤال موسىٰ الثالث أو فراقه، فأشار إليه فقال:

﴿قَالَ هَٰذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَۚ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴿٧٨﴾ أَمَّا ٱلسَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَٰكِينَ يَعْمَلُونَ فِي ٱلْبَحْرِ فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا ﴿٧٩﴾ وَأَمَّا ٱلْغُلَٰمُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَآ أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا ﴿٨٠﴾﴾

﴿هَٰذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَۚ﴾: (حس) وأصله فراق بيني وبينك نصبًا ظرفًا، وقرئ

به، ثم أضيف المصدر إلىٰ الظرف فصار معناه: هذا تفريق وَصْلِنَا، فقال له موسىٰ: [ق/ ٢٣٢ب] أخبرني بعلم ما لم أستطع ﴿عَّلَيۡهِ صَبۡرًا﴾: (تا) قبل المفارقة، فقال: ﴿أَمَّا ٱلسَّفِينَةُ فَكَانَتۡ لِمَسَٰكِينَ﴾: لضعفاء، وكانوا عشرة خمسة زمنىٰ، وخمسة ﴿يَعۡمَلُونَ فِي ٱلۡبَحۡرِ﴾: بها مؤاجرة طلبًا للكسب ﴿وَكَانَ وَرَآءَهُم﴾: أي قدامهم ﴿مَّلِكٞ﴾: كافر اسمه الجلندي.

﴿يَأۡخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصۡبًا﴾: (كا) مصدر، أو مفعول له، وقرئ: «سفينة صالحة».

القراءة: ﴿فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤۡمِنَيۡنِ﴾: وقرئ: «مؤمنان»، ففي «كان» ضمير الشأن.

﴿فَخَشِينَآ﴾ أي: علمنا، إن جعلت هذا من قول الله تعالىٰ، وإن جعلته [ق/ ١٦٦جـ] من قول الخضر فخشينا: خفنا ﴿أَن يُرۡهِقَهُمَا طُغۡيَٰنٗا وَكُفۡرٗا﴾: بأن يطغىٰ عليهما ويكفر نعمتهما بعقوقهما، فخشينا أن يحملهما حبّه علىٰ متابعته، وذلك طغيان وكفرًا.

﴿فَأَرَدۡنَآ أَن يُبۡدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيۡرٗا مِّنۡهُ زَكَوٰةٗ وَأَقۡرَبَ رُحۡمٗا ٨١ وَأَمَّا ٱلۡجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَٰمَيۡنِ يَتِيمَيۡنِ فِي ٱلۡمَدِينَةِ وَكَانَ تَحۡتَهُۥ كَنزٞ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحٗا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبۡلُغَآ أَشُدَّهُمَا وَيَسۡتَخۡرِجَا كَنزَهُمَا رَحۡمَةٗ مِّن رَّبِّكَۚ وَمَا فَعَلۡتُهُۥ عَنۡ أَمۡرِيۚ ذَٰلِكَ تَأۡوِيلُ مَا لَمۡ تَسۡطِع عَّلَيۡهِ صَبۡرٗا ٨٢ وَيَسۡـَٔلُونَكَ عَن ذِي ٱلۡقَرۡنَيۡنِۖ قُلۡ سَأَتۡلُواْ عَلَيۡكُم مِّنۡهُ ذِكۡرًا ٨٣ إِنَّا مَكَّنَّا لَهُۥ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَءَاتَيۡنَٰهُ مِن كُلِّ شَيۡءٖ سَبَبٗا ٨٤ فَأَتۡبَعَ سَبَبًا ٨٥﴾

القراءة: ﴿فَأَرَدۡنَآ أَن يُبۡدِلَهُمَا﴾: وأن يبدله في التحريم، وأن يبدلنا في نون مثقلًا ومخففًا من بدل وأبدل بمعنىٰ، أو بدّل تغيير الشيء مع بقاء عينه، وأبدل رفع الشيء ووضع غيره مكانه، المعنىٰ: يعوضهما ﴿رَبُّهُمَا خَيۡرٗا مِّنۡهُ زَكَوٰةٗ﴾ :تمييز صلاحًا وتقىٰ.

القراءة: ﴿وَأَقۡرَبَ رُحۡمٗا﴾: (كا) تمييز رحمة، وهي البّر بوالديه، بضم الحاء

وإسكانها لغتان، فأبدلهما تعالىٰ جارية تزوجت نبيًا فولدت نبيًّا، فهدىٰ الله تعالىٰ به أمّة، أو ولدت سبعين نبيًا.

﴿وَأَمَّا ٱلْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَـٰمَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِى ٱلْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُۥ كَنزٌ لَّهُمَا﴾: (كا) مال مدفون من ذهب وفضة، أوكان لوحًا من ذهب مكتوب في أحد جانبيه: عجبًا لمن أيقن بالموت كيف يفرح؟ عجبًا لمن أيقن بالقدّر كيف يحزن؟ عجبًا لمن أيقن بالرزق كيف يتعب؟ عجبًا لمن يؤمن بالحساب كيف يغفل؟ عجبًا لمن أيقن بزوال الدنيا وتقلبها [بأهلها][1] كيف يطمئن إليها؟ لا إله إلا الله محمد رسول الله، وفي الآخرة أنا الله وحدي لا شريك لي، خلقت الخير والشر، فطوبىٰ لمن خلقته للخير وأجريته علىٰ يديه، والويل لمن خلقته للشر وأجريته علىٰ يديه.

﴿وَكَانَ أَبُوهُمَا صَـٰلِحًا﴾: فحُفِظا بصلاح أبيهما في أنفسهما ومالهما، أو كان الجدَّ السابع.

روي أنَّه تعالىٰ يحفظ بالعبد الصالح ولده وولد ولده وعشيرته وأهل دويرات حوله.

ابن المسيَّب: إنىٰ لأذكر ولدي، فأزيد في صلاتي.

﴿فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَآ أَشُدَّهُمَا﴾: إيناس رشدهما ﴿وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً﴾: مصدر، أو مفعول له ﴿مِّن رَّبِّكَ﴾ (كا) قال: «فأردت»، ثم «فأردنا»، ثم «فأراد ربك»، توسعًا في اللغة.

بعضهم: لمَّا قال الخضر: «فأردت» أُلهِمَ من أنت حتىٰ تكون لك إرادة؟ فجمع في الثانية فَأُلهِمَ من أنت وموسىٰ حتىٰ تكون لكما إرادة؟ فَخَصَّ في الثالثة الإرادة بالله تعالىٰ ليعلم أنَّ الكلَّ إليه.

ويجوز أنَّ الخَضِر لمَّا قال: «فأردت» توهم موسىٰ أنَّه يقوله من نفسه، فأُلهِمَ

---

(١) سقط من أ،ب والمثبت من ج.

الخضر بخاطر موسىٰ، فجمع في الثانية؛ نفيًا لتوهمه، ثم أوضح المريد حقيقة في الثالثة، ثم زاد ذلك إيضاحًا بقوله: ﴿وَمَا فَعَلْتُهُۥ عَنْ أَمْرِىۚ﴾: (كا).

وقرئ: (وما فعلته يا موسىٰ بأمري باختياري)، أو (من تلقاء نفسي، بل أنا عبد مأمور)، وهذا تمهيد لعذر الخضر في فعله، وإيضاح لمَّا أشكل علىٰ موسىٰ، وهكذا ينبغي للعالم والمتبوع أن يزيلا شكوك مريدهما، أزال الله تعالىٰ عنك وعنا كل [شبهة وشك](١).

القراءة: ﴿تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا﴾: (تا) مخففًا، وقرئ بتشديد الطاء أراد تستطع فأدغم التاء في الطاء، وفيه بُعد؛ لاجتماع ساكنين [اسطاع واستطاع](٢) واحد: أطاق، قال هنا: (تسطع)، وقيل: (تستطع) بتاءين جمعًا بين اللغتين، ولمَّا فارقه موسىٰ قال: أوصني، قال: لا تطلب العلم لتحدَّثَ به، واطلبه لتعملَ به.

سئل ﷺ ﴿عَن ذِى ٱلْقَرْنَيْنِۖ﴾: فقال: «لم يكن نبيًا ولا ملكًا، ولكن كان عبدًا أحبَّ الله فأحبَّه الله، وناصَح اللهَ فناصحه اللهُ» (٣)، وسُمِّي بذي القرنين لبلوغه قرني الشمس مشرقها ومغربها، أو رأىٰ في النوم أنَّه أخذ بقرني الشمس، وزعم بعضهم أنَّه سمي بذي القرنين لفرط شجاعته استعارة، واسمه عبد الله، أو الإسكندر، أو مَرْزُبَان ابن مِرْزَبَّةَ من القرون الأول من ولد يونان بن يافث بن نوح، أو كان بعد ثمود، قالوا: وعاش ألفًا وستمائة سنة.

﴿قُلْ سَأَتْلُواْ عَلَيْكُم﴾ سأذكر لكم من حاله وما كان ﴿مِّنْهُ﴾ من خبره ﴿ذِكْرًا﴾: (حس): خبرًا ﴿إِنَّا مَكَّنَّا لَهُۥ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ بأن قويناه ومهدناها له ليسير فيها علىٰ سخر له السحاب، فحمل عليه وبسط له النور، وكان الليل والنهار عنده سواء ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ مِن كُلِّ شَىْءٍ﴾: من أسباب الدنيا ﴿سَبَبًا﴾ :طريقًا يتوصل به إلىٰ مراده.

(١) في جـ تقديم وتأخير.
(٢) في جـ تقديم وتأخير.
(٣) أخرجه عبد الرزاق في «تفسيره» (٣/ ٢٣٤) عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه من قوله.

القـراءة: «فـأتبع»، ثـم «اتبـع» ثـم «أتبـع» بقطـع الهمـزة وإسـكان التـاء مخففًـا، فتنصب سببًا مفعولًا؛ لأنَّ (اتبع) يتعدىٰ إلىٰ مفعولين، أي: ألحق سببًا وسببًا وبوصل الهمزة مشددًا، أي: سار، فسببًا مفعول له، أو هما بمعنىٰ، والمعنىٰ: سلك طريقًا نحو [المغرب][(١)].

﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ ٱلشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِى عَيْنٍ حَمِئَةٍ وَوَجَدَ عِندَهَا قَوْمًا ۗ قُلْنَا يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِمَّآ أَن تُعَذِّبَ وَإِمَّآ أَن تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا ﴿٨٦﴾ قَالَ أَمَّا مَن ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُۥ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِۦ فَيُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا نُّكْرًا ﴿٨٧﴾ وَأَمَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُۥ جَزَآءً ٱلْحُسْنَىٰ ۖ وَسَنَقُولُ لَهُۥ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا ﴿٨٨﴾ ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٨٩﴾ ﴾

﴿حتى إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ ٱلشَّمْسِ﴾: أو لم [يبلغه][(٢)] حقيقة، وإنَّما بلغ قومًا ليس وراءهم أحد، **القراءة:** ﴿وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِى عَيْنٍ حَمِئَةٍ﴾ كنبقة مهموزًا، من الحمأة وبألف بلا همز من حميت النار تحمي، فهي حامية، أي: حارة، عنه ﷺ: «**إنها تغرب في عين حامية**»[(٣)]، وعنه أيضًا: «**إنها تغرب في عين الله الحامية، لولا ما يزعها من أمر الله لأحرقت الأرض**»[(٤)]، أو الياء بدل من الهمزة، فحامية فاعلة من الحمأة الطين، أي: هي ذات حمأة، فالقراءتان بمعنىٰ، ويجوز جعل القراءتين بمعنىٰ وإن لم تجعل الياء بدلًا من الهمزة بأن تكون العين حارة ذات حمأة، أي: جمعت الوصفين، ويمتنع غروب الشمس في العين حقيقة لأنَّها أعظم من الدنيا، زعموا بمائة وعشرين، أو وخمسين مرة، والقمر بثمانين مرة، وإنَّما ذلك في رأي العين كراكب البحر.

﴿وَوَجَدَ عِندَهَا﴾: أي: عند غروبها ﴿قَوْمًا ۗ﴾: كافرين، أو مؤمنين وكافرين

---

(١) في أ، ب: الغرب، والمثبت من ج.

(٢) في أ، ب: يبلغ، والمثبت من ج.

(٣) أخرجه أبو داود (٤٠٠٢)، وأحمد (٢١٤٩٧)، والحاكم(٢٩٦١)، من حديث أبي ذر رضي الله عنه.

(٤) أخرجه الطبري في «تفسيره» (١٨/ ٩٧) من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنه.

عليهم جلود السباع لا طعم لهم إلا ما تحرقه الشمس عند غروبها، وتلفظه العين عند ذلك.

ومحل ﴿أَن تُعَذِّبَ﴾: رفع مبتدأ، أو خبر مبتدأ محذوف، تقديره: إما هو أن تعذب، أو الجزاء أن تعذب، وكذلك ﴿أَن تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا﴾: (حس) تقديره: تفعل بهم، أمرًا ذا حسن وهو العفو والأسر، المعنىٰ: خيرناك في قتل من لم يؤمن، وفي العفو عنه، أو الأسر بشرط الإيمان.

تلخيصه: أنت مخير في ذلك.

﴿قَالَ﴾ الإسكندر: ﴿أَمَّا مَن ظَلَمَ﴾ بكفره ﴿فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُۥ﴾: بالقتل في الدنيا ﴿ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِۦ﴾: في الأخرىٰ ﴿فَيُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا نُّكْرًا﴾: (كا) شديدًا، أو كان يطبخ من كفر، ومن آمن أعطاه وكساه.

القراءة: ﴿فَلَهُۥ جَزَآءً ٱلْحُسْنَىٰ﴾: برفع جزاء بلا تنوين، فـ«جزاء» مبتدأ خبره «له»، تقديره: وأمَّا المؤمن الصالح فجزاء الخلال الصالحة له، أو (الحسنىٰ) بدل من (جزاء)، وحذف التنوين لالتقاء الساكنين التنوين واللام من (الحسنىٰ)، وتكون الحسنىٰ: الجنة، يوضحه ما قرئ برفع «جزاء» منونًا وجعل «الحسنىٰ» بدلًا منه، والقراءة أيضًا بنصب «جزاء» منونًا مصدر، فـ«الحسنىٰ» مبتدأ خبره له، أي: الخلال الحسنىٰ له يجازىٰ بها جزاء، وقرئ بنصب جزاء من غير تنوين، حذف لالتقاء الساكنين مصدر أيضًا.

تلخيصه: للكافر الشقاوة وللمؤمن السعادة.

﴿مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا﴾: أي: ذا يسر، أي: لا نأمره بما يصعب عليه، بل بما يسهل.

﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ ٱلشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَىٰ قَوْمٍ لَّمْ نَجْعَل لَّهُم مِّن دُونِهَا سِتْرًا ﴿٩٠﴾ كَذَٰلِكَ وَقَدْ
أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا ﴿٩١﴾ ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٩٢﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ ٱلسَّدَّيْنِ وَجَدَ مِن دُونِهِمَا قَوْمًا لَّا يَكَادُونَ
يَفْقَهُونَ قَوْلًا ﴿٩٣﴾ قَالُواْ يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي ٱلْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰٓ أَن تَجْعَلَ
بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا ﴿٩٤﴾ ﴾

القراءة: ﴿مَطْلِعَ﴾: بكسر اللام هنا اسم لوقت، أو لموضع الطلوع.

وقرئ بفتحها مصدر، أي: مكان طلوع ﴿ٱلشَّمۡسِ عَلَىٰ قَوۡمٍ﴾: هم الزنج ﴿لَّمۡ نَجۡعَل لَّهُم مِّن دُونِهَا سِتۡرٗا﴾: (حس) [ق/ ٢٣٣ب] يخصهم؛ لأنَّ أرضهم لا تحمل بناءً ولا شجرًا، ولهم سروب يغيبون فيها عند طلوعها ويظهرون منها عند ارتفاعها.

روي أنَّه وصل إليهم رجل فرأىٰ أناسًا يفرش أحدهم أذنه ويلبس الأخرىٰ، قال: فبينا أنا عندهم إذ سمعت شيئًا كالصلصلة فغشي عليَّ، فأفقت وهم يمسحونني بالدهن، فلمَّا طلعت الشمس علىٰ الماء إذا هي عليه كهيئة الزيت، فأدخلونا سربًا لهم، فلمَّا ارتفعت خرجوا إلىٰ البحر يصطادون السمك، فيطرحونه في الشمس فينضج لهم، أو ﴿سِتۡرٗا﴾ لباسًا، قالوا: ومن لم يلبس الثياب عند مطلع الشمس أكثر من جميع أهل الأرض، ولا أحب الوقف من ﴿ نُّكۡرٗا﴾ إلىٰ هنا، وتقف [ق/ ١٤٠أ] هنا لاستئنافك ما بعد، أي الأمر ﴿كَذَٰلِكَۖ﴾: ولا تقف هنا إن علقت الكلام بما بعد، تقديره: لم نجعل لهم سترًا [مثل ذلك الستر الذي][1] جعلنا لكم سترًا، أو كذلك علمناهم، أي: كما أخبرناكم أنَّهم ليسوا بذي ستر، أو تطلع علىٰ قوم كذلك، أي: مثل قوم تغرب عليهم، فهم مثلهم في الوصف، فالوقف هنا ثم تبتدئ ﴿وَقَدۡ أَحَطۡنَا بِمَا لَدَيۡهِ﴾ لدىٰ ذي القرنين من الآلات والجند ونحوها.

﴿خُبۡرٗا﴾: مصدر، أي: أخبرناه خبرًا، وتنصب ﴿بَلَغَ بَيۡنَ﴾: مفعولًا به.

القراءة: ﴿ٱلسَّدَّيۡنِ﴾ - هما جبلان بمنقطع بلاد الترك سد الإسكندر ما بينهما- بضم السين وفتحها، قالوا: فما كان من خلق الله تعالىٰ بالضم، ومن عمل الآدمي بالفتح؛ لأنَّ السد بالضم فعل بمعنىٰ مفعول وبالفتح مصدر، أو هما لغتان بمعنىٰ.

المعنىٰ: لمَّا وصل إلىٰ السدين ﴿وَجَدَ مِن دُونِهِمَا﴾: أي: ورائهما ﴿قَوۡمٗا لَّا

---

(١) في أ، ب: كذلك، والمثبت من ج.

يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا﴾: (كا).

القراءة بضم الياء وكسر القاف، أي: لا يفهمون غيرهم قولهم، وبفتح الياء والقاف، أي: لا يفهمون هم كلام أحد، ويجوز أنَّهم لا يفقهون كلام أحد ولا يفهمونه إلا بعد بطء على القراءتين، فظاهر اللفظ يقتضيه؛ لأنَّ «كاد» متى نفي بها [ق/ ١٦٧ جـ] شيء وقع، وإذا لم ينف لم يقع، أو كان بينهم وبينه ترجمان.

القراءة: ﴿إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ﴾: همزًا فيهما مشتق من أجت النار: تلهبت، أو من الأجه: وهي شدة الحر؛ لأنَّهم يضطربون ويهلكون ما يتصلون به كالنار، فوزنهما يفعول كيربوع، ومفعول كمضروب، أو أنَّهم يجيئون كموج [الماء][1]، ويبرزون كأجيج النار، ولم ينصرفا على هذا لأنَّهما اسمان لقبيلتين كمجوس، وبترك همزهما تخفيفًا، أو لأنَّهما اسمان أعجميان؛ فلذلك وللتأنيث لم ينصرفا، وهم من أولاد يافث بن نوح، أو من ولد آدم، أو احتلم [آدم][2] فامتزجت نطفته بالتراب فهم منها، أو الترك طائفة منهم خرجت، فسد ذو القرنين دونهما، قالوا: وبنو آدم عشرهم؛ لأنَّه لا يموت الرجل منهم حتى ينظر إلى ألف ذكر من صلبه يحملون السلاح، فمنهم من طوله مائة وعشرون، أو خمسون ذراعًا، ومنهم من طوله وعرضه كذلك، ومنهم من يلتحف بأذنه ويفترش الأخرى، يخرجون إلى قوم صالحين بقربهم فيهلكون زروعهم وضروعهم ويقتلونهم، أو كانوا يفعلون فعل قوم لوط، فلمَّا وصل ذو القرنين إليهم قالوا له شكاية: إن هؤلاء ﴿مُفْسِدُونَ﴾: عند خروجهم إلينا ﴿فِي ٱلْأَرْضِ﴾ بفعلهم الخبيث.

القراءة: ﴿خَرْجًا﴾: بألف، وهو المال المضروب على الأرض يؤدى كل مدة، وبغير ألف مصدر خرج وهو الجُعل، أو الخرج ما تبرعت به، والخراج ما لزمك، أو هما واحد بمعنى الأجر، المعنى: قالوا له: هل نبذل لك شيئًا من أموالنا كل

---

(١) في أ، ب: النار، والمثبت من ج .

(٢) سقط من جـ والمثبت من أ ، ب.

سنة وتقبله إحسانًا منك إلينا.

﴿عَلَىٰٓ أَن تَجۡعَلَ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَهُمۡ سَدّٗا﴾: (كا) لئلا يصلوا إلينا.

القراءة: بضم [سين][1] سدًا وفتحها لغتان.

﴿ قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيۡرٞ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجۡعَلۡ بَيۡنَكُمۡ وَبَيۡنَهُمۡ رَدۡمًا ﴿٩٥﴾ ءَاتُونِي زُبَرَ ٱلۡحَدِيدِۖ حَتَّىٰٓ إِذَا سَاوَىٰ بَيۡنَ ٱلصَّدَفَيۡنِ قَالَ ٱنفُخُواْۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَعَلَهُۥ نَارٗا قَالَ ءَاتُونِيٓ أُفۡرِغۡ عَلَيۡهِ قِطۡرٗا ﴿٩٦﴾ فَمَا ٱسۡطَٰعُوٓاْ أَن يَظۡهَرُوهُ وَمَا ٱسۡتَطَٰعُواْ لَهُۥ نَقۡبٗا ﴿٩٧﴾ قَالَ هَٰذَا رَحۡمَةٞ مِّن رَّبِّيۖ فَإِذَا جَآءَ وَعۡدُ رَبِّي جَعَلَهُۥ دَكَّآءَۖ وَكَانَ وَعۡدُ رَبِّي حَقّٗا ﴿٩٨﴾ ﴾

القراءة: ﴿قَالَ مَا مَكَّنِّي﴾: أي: قواني ﴿فِيهِ رَبِّي﴾: من العلم وطلب ثوابه والمال ﴿خَيۡرٞ﴾: (كا) أفضل مما تعطونني أنتم بالإدغام لاجتماع النونين، وفكه على الأصل، و«ما» موصولة مبتدأ خبره «خير».

المعنىٰ: ثواب الله خير من ثوابكم، فلا حاجة بي إليكم، ولكن أفعل ذلك تبرعًا ﴿فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ﴾: بآلات وصُنَّاع ﴿أَجۡعَلۡ بَيۡنَكُمۡ وَبَيۡنَهُمۡ رَدۡمًا﴾: (كا) حاجزًا حصينًا فجاؤوه بذلك، فحفروا ما بين السدين حتىٰ بلغوا الماء، ثم قال: ﴿ءَاتُونِي زُبَرَ ٱلۡحَدِيدِۖ﴾: أي قطعه، جمع زبرة.

وقرئ بضمتين، فجعل الأساس من الصخر والنحاس المذاب، والبنيان من زبر الحديد بعضها فوق بعض، وجعل بينهما الحطب والفحم ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا سَاوَىٰ﴾: وقرئ: (سُوّي) مجهولًا و(سَوّىٰ) أي: ملأ ما ﴿بَيۡنَ ٱلصَّدَفَيۡنِ﴾: القراءة بضم الصاد والدال وبفتحهما، وبضم الصاد وسكون الدال لغات كلها في جانبي الجبلين، أو في الجبلين، فلمَّا ملأ ما بينهما بالزبر والحطب وضع حوله المنافخ ثم ﴿قَالَ ٱنفُخُواْۖ﴾: فنفخوا النار ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَعَلَهُۥ﴾: أي: الحديد ﴿نَارٗا﴾: أي: كالنار.

القراءة: ردمًا آتوني.

---

(١) في أ، ب: السين والمثبت من ج.

وقوله: ﴿قَالَ ءَاتُونِىٓ﴾: بفتح الهمزة همزة قطع مدًّا فيهما من الإعطاء، وقطرًا بجعل الهمزة همزة وصل بمعنىٰ المجيء والحضور وينصب البصري ﴿قِطْـرًا﴾: (كا) هو النحاس المذاب، أو النحاس بـ«أفرغ» لقربه منه، تقديره: آتوني قطرًا أفرغ عليه قطرًا، فحذف الأول لدلالة الثاني عليه، والكوفي ينصبه بـ«آتوني»، والإفراغ الصبّ، والمعنىٰ: أصب النحاس المذاب علىٰ الحديد المحمي، فدخل بين زبر الحديد فصار شيئًا واحدًا.

القراءة: ﴿فَمَا ٱسْطَـٰعُوٓاْ أَن يَظْهَـرُوهُ﴾: ما أطاقوا الصعود علىٰ ظهره لملاسته ورفعته مخففًا علىٰ حذف التاء، ومثقلًا أصله استطاعوا، أدغمت التاء في الطاء.

﴿وَمَا ٱسْتَطَـٰعُواْ لَهُۥ نَقْبًـا﴾: (كا) خرقًا لصلابته وسمكه، فلمَّا فرغ منه ﴿قَالَ هَـٰذَا﴾: أي: السدّ ﴿رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّى﴾: عليَّ وعليكم لعدم خروجهم بسببه ﴿فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ رَبِّى﴾: أي: وقت خروجهم،أو القيامة ﴿جَعَلَهُۥ دَكَّآءَ﴾: أي: مبسوطًا مدكوكًا، وقد ذكر في الأعراف.

﴿وَكَانَ وَعْدُ رَبِّى حَقًّا﴾ (تا) واجبًا بالثواب والعقاب وغيرهما، هذا آخر كلام ذي القرنين، في الحديث: «**إنهم يحفرون كل يوم الردم، حتىٰ إذا كادوا يرون شعاع الشمس قال الذي عليهم: ارجعوا فستحفرونه غدًا، فيعيده الله كما كان، حتىٰ إذا بلغت مدتهم حفروا، حتىٰ إذا كادوا يرون شعاع الشمس قال الذي عليهم: ارجعوا فستحفرونه غدًا إن شاء الله، فيعودون وهو كهيئته، فيحفرونه ويخرجون مقدمتهم بالشام وساقتهم بخراسان، فيشربون المياه [ويتحصن][1] الناس منهم في حصونهم، ولا يقدرون علىٰ إتيان مكة والمدينة وبيت المقدس، فيرسل تعالىٰ عليهم نغفًا [يأخذ][2] في أقفائهم فيهلكون جميعًا، فيرسل تعالىٰ عليهم طيرًا فتلقيهم في البحر، ويرسل مطرًا يغسل الأرض، وخروجهم يكون بعد خروج**

(١) في جـ: وينحصر، والمثبت من أ، ب.

(٢) سقط من جـ والمثبت من أ، ب.

الدجال وقتل عيسىٰ إياه»[١].

﴿ ۞ وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَجَمَعْنَٰهُمْ جَمْعًا ﴿٩٩﴾ وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِّلْكَٰفِرِينَ عَرْضًا ﴿١٠٠﴾ ٱلَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَآءٍ عَن ذِكْرِي وَكَانُوا۟ لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا ﴿١٠١﴾ أَفَحَسِبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَن يَتَّخِذُوا۟ عِبَادِي مِن دُونِيٓ أَوْلِيَآءَ ۚ إِنَّآ أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَٰفِرِينَ نُزُلًا ﴿١٠٢﴾ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَٰلًا ﴿١٠٣﴾ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾ ﴾

﴿وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ﴾: أي بعض يأجوج ومأجوج من وراء السدّ يوم سد ﴿يَمُوجُ﴾: يختلط ﴿فِي بَعْضٍ﴾: لكثرتهم وعدم خروجهم، أوالمراد اختلاطهم عند خروجهم، أو المراد جميع الخلائق إنسهم وجنهم يدخل بعضهم في بعض يوم القيامة خوفًا لشدته، يوضحه ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ﴾: أو أنَّ خروجهم بقرب الساعة يكون، في الحديث: «**إن الساعة مبهمٌ كالحاملِ المُتِمِّ لا يدري أهلُها متىٰ تفجؤُهم بولادتِها**»[٢].

وقرئ بفتح الواو وهو جمع صورة، أي: ونفخ في الصور أرواحها.

﴿فَجَمَعْنَٰهُمْ﴾: أي: جميع الخلائق في مكان [ق/ ٢٣٤ب] واحد يوم القيامة للحساب ﴿جَمْعًا﴾: (كا).

﴿وَعَرَضْنَا﴾: أي: أبرزنا.

﴿جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِّلْكَٰفِرِينَ عَرْضًا﴾: لا وقف هنا لجعلك ﴿ٱلَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَآءٍ عَن ذِكْرِي﴾: عن القرآن والإيمان به نعتًا أو بدلًا.

﴿وَكَانُوا۟﴾: صُمًّا عن الإيمان ﴿لَا يَسْتَطِيعُونَ﴾ للقرآن، أو محمد ﷺ.

﴿سَمْعًا﴾: (تا) بغضًا له وكفرًا منهم، كقولك لمن يكره كلامك: أنت لا تقدر

(١) أخرجه الترمذي (٣١٥٣)، وابن ماجة (٤٠٨٠)، وأحمد (١٠٦٤٠)، وابن حبان(٦٨٢٩)، والحاكم(٨٥٠١)، وأبو يعلىٰ (٦٤٣٦)، من حديث أبي هريرة ﵁.

(٢) أخرجه ابن ماجة (٤٠٨١)، والحاكم(٣٤٤٨)، وأبو يعلىٰ (٥٢٩٤)، وابن أبي شيبة في «مصنفه» (٧/ ٤٩٨) من حديث ابن مسعود ﵁.

أن تسمع كلامي.

تلخيصه: أظهرنا جهنم يوم القيامة للكافرين المعرضين عن الإيمان كفرًا.

القراءة: ﴿أَفَحَسِبَ﴾: فعل فاعله ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ﴾: مفعوله الأول ﴿أَن يَتَّخِذُواْ عِبَادِى﴾ أي: ملائكتي وعيسىٰ وعزيرًا والشياطين، الثاني ﴿أَوْلِيَآءَ﴾: (حس) المعنىٰ: أفظنَّ الكافرون اتخاذهم عبادي من دوني أربابًا ينفعهم، أو لا يغضبني ولا أعاقبهم؟ كلا.

وقرئ: (أفحسْبُ) بسكون السين وضم الباء [اسم][1] مبتدأ خبره ﴿أَن يَتَّخِذُواْ﴾، فـ«الذين» في محل جر بالإضافة، أي: أفكَافِيهم الاتخاذ، أو (أن يتخذوا) رفع بـ«حسب»؛ لأنَّ اسم الفاعل إذا اعتمد علىٰ الهمزة عمل عمل الفعل.

تلخيصه: ذلك لا يكفيهم ولا ينفعهم ثَمَّ.

﴿نُزُلًا﴾: (تا) هو ما يعد للضيف، المعنىٰ: جهنم معدة للكافرين كالنزل المعد للضيف.

والمراد ﴿بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَٰلًا﴾: تمييز، قالوا: وميز بالجمع؛ لأنَّه منصوب عن أسماء الفاعلين، ويجوز أنَّه ميز بالجمع لاختلاف أعمال الأخسرين، وكان كل واحد من المميّز يدل علىٰ جنس عمل واحد من الأخسرين الرهبان والقسيسون وأهل الكتابين، أو أهل حروراء، أو الذين يبطلون معروفهم في الدنيا بطلب المنة والشكر، ويبطلون طاعتهم بالرياء والسمعة، يتم الوقف هنا إن نصبت أو رفعت [ذمًا][2] أو مبتدأ.

﴿ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ﴾: بطل عملهم للخير.

﴿فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾ عملًا ينفعهم، يتم الوقف

(١) سقط من ج والمثبت من أ، ب.

(٢) في جـ: مدحا، والمثبت من أ، ب.

هنا إن رفعت أو نصبت (الذين) قبل [ذمًا][(١)]، وكذلك إن جررته بدلًا أو نعتًا، وإن رفعته مبتدأ لم يجز الوقف هنا؛ لأنَّ خبره

﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمۡ وَلِقَآئِهِۦ فَحَبِطَتۡ أَعۡمَٰلُهُمۡ فَلَا نُقِيمُ لَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَزۡنٗا ١٠٥ ذَٰلِكَ جَزَآؤُهُمۡ جَهَنَّمُ بِمَا كَفَرُواْ وَٱتَّخَذُوٓاْ ءَايَٰتِي وَرُسُلِي هُزُوًا ١٠٦ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتۡ لَهُمۡ جَنَّٰتُ ٱلۡفِرۡدَوۡسِ نُزُلًا ١٠٧ خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يَبۡغُونَ عَنۡهَا حِوَلٗا ١٠٨ قُل لَّوۡ كَانَ ٱلۡبَحۡرُ مِدَادٗا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّي لَنَفِدَ ٱلۡبَحۡرُ قَبۡلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّي وَلَوۡ جِئۡنَا بِمِثۡلِهِۦ مَدَدٗا ١٠٩ قُلۡ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ فَمَن كَانَ يَرۡجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلۡيَعۡمَلۡ عَمَلٗا صَٰلِحٗا وَلَا يُشۡرِكۡ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدَۢا ١١٠﴾

﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمۡ وَلِقَآئِهِۦ فَحَبِطَتۡ أَعۡمَٰلُهُمۡ فَلَا نُقِيمُ لَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَزۡنٗا﴾: (كا) قالوا وأراه حسنًا، ونصبه تمييز، أو حال، المعنىٰ: لا نجعل لهم قدرًا يوم القيامة لخساستهم، نحو: ما له عندي وزن، أي: قدر، أو لا يوضع لهم ميزان؛ لأنَّهم إنما يأتون بالسيئات، وليس لهم حسنات تقابل بها، في الحديث: «**رُبَّ أكولٍ شَروبٍ لا يزنُ عند اللهِ بعوضةً**»[(٢)]، أو «**يأتون بأعمالٍ كجبالِ تِهامةَ، فإذا وزنوها لم تَزِنْ شيئًا**»[(٣)][ق/ ١٦٨ جـ].

وقرئ: (يقيم) بالياء، فـ«وزنًا» حال، أي: موزونًا.

تلخيصه: أعمال الكفار هنا تبطل ثمَّ ﴿ذَٰلِكَ﴾: أي: المذكور قبل مبتدأ ﴿جَزَآؤُهُمۡ﴾: مبتدأ ثان خبره ﴿جَهَنَّمُ﴾ وهما خبر ذلك، أو ﴿جَهَنَّمُ﴾ عطف بيان لـ«جزاؤهم»، وبعضهم يقف علىٰ «ذلك» ويبتدئ ﴿جَزَآؤُهُمۡ جَهَنَّمُ﴾.

﴿بِمَا كَفَرُواْ وَٱتَّخَذُوٓاْ﴾: مستأنفًا، أو عطف علىٰ «كفروا».

﴿هُزُوًا﴾: (تا) والمؤمنون الصالحون ﴿كَانَتۡ لَهُمۡ﴾ :في علم الله تعالىٰ ﴿جَنَّٰتُ

---

(١) في جـ: مدحا، والمثبت من أ، ب.

(٢) أخرجه البيهقي في «شعب الإيمان» (٥٦٧٠) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٣) أخرجه ابن ماجة (٤٢٤٥)، والطبراني في «الأوسط» (٤٦٣٢)، وفي «الصغير» (٦٦٢)، من حديث ثوبان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

ﵟٱلۡفِرۡدَوۡسِ نُزُلًاﵞ: قال ﷺ: «**إذا سألتُم اللهَ فاسألوه الفردوسَ؛ فإنَّه وسَطُ الجَنّةِ وأعلا الجَنَّةِ وفوقَهُ عرشُ الرحمنِ، ومنه تتفَجَّرُ أنهارُ الْجَنَّةِ**»[1]، وليس في الجنات أعلىٰ من جنة الفردوس، فيها الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر، أو الفردوس بستان العنب، أو الروضة فيها أصناف الثمرات والنبات.

ﵟلَا يَبۡغُونَ عَنۡهَا حِوَلٗاﵞ: (تا) مصدر بمعنىٰ تحويل حال عن مكانه حولًا انتقل عنه، وهذا عبارة عن التخليد، وهذا غاية الوصف أنَّهم لا يرون فيها إلا ما يُرَغِّبُّهم في سكناها، فلا ينتقلون عنها.

ﵟلَّوۡ كَانَ ٱلۡبَحۡرُﵞ: أي: ماؤه ﵟمِدَادٗا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّيﵞ: تكتب به، وهي وعده لأوليائه ووعيده لأعدائه وحِكَمِه.

المعنىٰ: لو كان ماء البحر مدادًا للقلم والقلم يكتب ﵟلَنَفِدَ ٱلۡبَحۡرُﵞ: أي: ماؤه.

القراءة: ﵟقَبۡلَ أَن تَنفَدَﵞ: [بالياء والتاء][2] أي: تفنىٰ وتفرغ ﵟكَلِمَٰتُ رَبِّي وَلَوۡ جِئۡنَاﵞ بمثل ماء البحر ﵟمَدَدٗاﵞ: (تا) زيادة عليه لنفد أيضًا، ولم تنفد كلماته تعالىٰ، ونصبه تمييز نحو: لي مثله رجلًا، وقرئ: (مدادًا، ومِددًا) بكسر الميم جمع مدة، وهو ما يستمده الكاتب للكتابة، وأنَّ مصدرية وإن دخلت عليها «ما» الكافة في ﵟيُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖﵞ (كا) منزه عما لا يليق به.

ونزل لمَّا قال رجل: يا رسول الله، إني أعمل العمل فإذا اطلعّ عليه سرني. فقال ﷺ: «**إنَّ الله طيب ولا يقبل ما روئي فيه**» . أو لمَّا قال رجل: إني أحب الجهاد وأحب أن يرىٰ مكاني ﵟفَمَن كَانَ يَرۡجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦﵞ [3] أي: يأمله بعد الموت أو يخافه.

تلخيصه: يؤمن بالبعث.

---

(١) صحيح : أخرجه البخاري(٢٦٣٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) في جـ: تقديم وتأخير.

(٣) انظر: «أسباب النزول» (ص/ ٢٩٧).

القراءة: ﴿وَلَا يُشْرِكْ﴾: جزمًا عطفًا على فـ«ليعمل»، وقرئ بالرفع، أي: ليس يشرك ﴿بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدَۢا﴾ (تا) لا يرائي فيها[ق/ ١٤١أ]، قال ﷺ: «**من سمَّع سمَّع الله به، ومن راءىٰ راءىٰ اللهُ به**»[(١)]، وقال: «**أخوف ما أخاف عليكم الشركُ الأصغرُ**». قالوا: وما الشركُ الأصغرُ؟ قال: «**الرياءُ**»[(٢)]، وقال تعالىٰ: «**أنا أغنىٰ الشركاءِ عن الشركِ، فمن عملَ عملًا أشرك فيه غيري فأنا منه بريء، وهو للذي عمله**»[(٣)].

وقال ﷺ: «**من حفظ عشر آيات**» ، وروي: «**عشرين آية من أول سورة الكهف عصم من فتنة الدجال**»[(٤)].

وعنه: «**من قرأ سورة الكهف فهو معصوم ثمانية أيام من كل فتنة، فإن خرج الدجال في الأيام الثمانية عصمه تعالىٰ من فتنة الدجال**»[(٥)] [ق/ ٢٣٥ب].

[والله أعلم بالصواب وإليه المرجع والمآب][(٦)].

---

(١) أخرجه البخاري (٦١٣٤)، ومسلم (٢٩٨٦) من حديث جندب بن عبد الله رضي الله عنه.

(٢) أخرجه أحمد (٢٣٦٨٠)، والطبراني في «المعجم الكبير» (٤٣٠١)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٦٨٣١) من حديث محمود بن لبيد رضي الله عنه.

(٣) أخرجه مسلم(٢٩٨٥) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٤) أخرجه مسلم(٨٠٩) من حديث أبي الدرداء رضي الله عنه.

(٥) أخرجه الضياءالمقدسي في «الأحاديث المختارة» (٤٣٠) من حديث عبد الله بن مصعب ابن منظور بن زيد بن خالد الجهني أبي ذؤيب، عن أبيه، عن جده .

(٦) زيادة من ج.

سورة مريم

مكية، أو إلا سجدتها فإنها مدنية، أو إلا ﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ...﴾ الآيتين، وهي ثمان أو تسع وتسعون آية

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿كٓهيعٓصٓ ۝١ ذِكۡرُ رَحۡمَتِ رَبِّكَ عَبۡدَهُۥ زَكَرِيَّآ ۝٢ إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيّٗا ۝٣ قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ ٱلۡعَظۡمُ مِنِّي وَٱشۡتَعَلَ ٱلرَّأۡسُ شَيۡبٗا وَلَمۡ أَكُنۢ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيّٗا ۝٤ وَإِنِّي خِفۡتُ ٱلۡمَوَٰلِيَ مِن وَرَآءِي وَكَانَتِ ٱمۡرَأَتِي عَاقِرٗا فَهَبۡ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيّٗا ۝٥ يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنۡ ءَالِ يَعۡقُوبَۖ وَٱجۡعَلۡهُ رَبِّ رَضِيّٗا ۝٦﴾

القراءة: ﴿كٓهيعٓصٓ﴾: (تا) وهو قسم أقسم تعالىٰ به، أو هو [اسم][1] من أسمائه العظمىٰ بإمالة الهاء والياء، وبفتحهما وبجعلهما بين بين، وبفتح الهاء وإمالة الياء، وبإمالة الهاء وفتح الياء لغات كلها، وقرئ بتقطيع الحروف، والوقف علىٰ كل حرف منها ليبين بعضها من بعض للإيذان أنها حروف في الأصل.

﴿ذِكۡرُ﴾: خبر مبتدأ، أي: المتلو ذكر، أو مبتدأ محذوف الخبر، أي: فيما يتلىٰ عليك ذكر ﴿رَحۡمَتِ رَبِّكَ عَبۡدَهُۥ﴾: نصب بذكر؛ لأنَّه مصدر مضاف إلىٰ المفعول، تقديره: إنَّ ذكر ربك لرحمته عبده ﴿زَكَرِيَّآ﴾: بدل من «عبده»، أو «ذكر» مضاف إلىٰ الفاعل اتساعًا، تقديره: إن ذكرت رحمة ربك عبده.

وقرئ: (ذكر) مشددًا، أي: هذا المتلو من القرآن ذكر رحمة ربك، وقرئ: «ذَكِّر» أمرًا، لا وقف هنا؛ لأنَّ ﴿إِذۡ﴾ بعد ظرف للذكر، أو للرحمة.

---

(١) سقط من أ، ب والمثبت من ج.

ولمَّا كان الإسرار والإعلان في علمه تعالىٰ سواء زكريا ﴿نَادَىٰ رَبَّهُۥ﴾ أي: دعاه أن يرزقه ولدًا ﴿نِدَآءً خَفِيًّا﴾: (كا) سرًا جوف الليل؛ لأنَّه أسرع للإجابة، ولئلا يلام علىٰ طلب الولد في ذلك السن ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ﴾: وقرئ بكسر الهاء وضمها كلها بمعنىٰ ضعف ﴿ٱلْعَظْمُ مِنِّي﴾: مع صلابته، فما سواه أولىٰ بالضعف، ثم شبّه شيبه بلهب النار، ثم نسب إليه الاشتعال فقال: ﴿وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ شَيْبًا﴾: تمييز تقديره: اشتعل شيب شعر رأسي ﴿وَلَمْ أَكُنۢ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيًّا﴾: (كا) [المعنىٰ][١] لم أكن لأشقىٰ بدعائي إياك؛ لأنَّك عودتني الإجابة فيما مضىٰ، فلا تخيبِّني فيما بقي، وكان قد ضعف عن العبادة فطلب ولدًا يقوم مقامه فيها، أو ليأتمنه علىٰ الدين؛ لأنَّه كان لا [يأتمن][٢] قومه عليه، فقال: ﴿وَإِنِّي خِفْتُ ٱلْمَوَٰلِيَ﴾: أي: عدم أو جور من يلي أمري ﴿مِن وَرَآءِى﴾: أي: قدامي، **القراءة**: بفتح الياء مع المد والهمزة، وبسكونها معهما، وقرئ بالقصر كعصاي، وقرئ: «خفَّت» مشددًا، فالموالي فاعل، فالظرف متعلق بـ«خفَّت»، المعنىٰ: إنَّ مواليَّ خفُّوا ودرجوا قبلي فلم يبق منهم أحد.

القراءة: ﴿وَلِيًّا﴾ أي: ولدًا ﴿يَرِثُنِي وَيَرِثُ﴾: بجزم الثاءين جوابًا للطلب، وبرفعهما صفة لوليًا، تقديره ومعناه: هب لي ولدًا وارثًا مني العلم ووارثًا ﴿مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ﴾: النبوة، أو يرث مني النبوة ومن آل يعقوب الأخلاق.

وقرئ: (أويرث) تصغير وارث، وقرئ: «يرثني وارث [من][٣] آل يعقوب»، يقال: ورثته وورثت منه، و«من» للتبعيض لا للتعدية؛ لأنَّ آل يعقوب لم يكونوا كلهم أنبياء، [وهم][٤] من ولد يعقوب بن إسحاق، أو هو يعقوب بن ماثان أخو زكريا، أو يعقوب هذا وعمران أبو مريم أخوان من نسل سليمان بن داود.

---

(١) سقط من ج والمثبت من أ، ب.

(٢) في أ، ب: يأمن، والمثبت من ج.

(٣) سفط من أ، ب والمثبت من ج.

(٤) في جـ: وهم، والمثبت من أ، ب .

﴿وَٱجۡعَلۡهُ رَبِّ رَضِيّٗا﴾: (تا) مرضيًا برًّا تقيًا.

﴿يَٰزَكَرِيَّآ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ ٱسۡمُهُۥ يَحۡيَىٰ لَمۡ نَجۡعَل لَّهُۥ مِن قَبۡلُ سَمِيّٗا ۝٧ قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٞ وَكَانَتِ ٱمۡرَأَتِي عَاقِرٗا وَقَدۡ بَلَغۡتُ مِنَ ٱلۡكِبَرِ عِتِيّٗا ۝٨ قَالَ كَذَٰلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٞ وَقَدۡ خَلَقۡتُكَ مِن قَبۡلُ وَلَمۡ تَكُ شَيۡـٔٗا ۝٩ قَالَ رَبِّ ٱجۡعَل لِّيٓ ءَايَةٗۚ قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَ لَيَالٖ سَوِيّٗا ۝١٠﴾

فبشرناه ﴿بِغُلَٰمٍ ٱسۡمُهُۥ يَحۡيَىٰ لَمۡ نَجۡعَل لَّهُۥ مِن قَبۡلُ سَمِيّٗا﴾: (كا) مساميًا لم يُسمَّ أحد قبله يحيىٰ، أو لم نجعل له شبهًا في أنَّه لم يعص الله ولم يَهِمّ، ﴿قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ﴾ أي: كيف؟ ومن أين؟

﴿يَكُونُ لِي غُلَٰمٞ﴾: وليس لي ما أستحق به ذلك، وامرأتي عاقر لا تلد ﴿وَقَدۡ بَلَغۡتُ مِنَ ٱلۡكِبَرِ عِتِيّٗا﴾: (كا) نهاية السن، نصب بـ «بلغت»، أي: بلغت العتيَّ من أجل الكبر، أو «من» زائدة و«عتيًا» مصدر مؤكد، أو تمييز، وأصل عتي عتو كقعود، فكسروا التاء تخفيفًا فانقلبت الواو ياءً لسكونها وانكسار ما قبلها، ثم قلبت الواو التي هي لام ياء لسبق الأولىٰ بالسكون، فالكسر اتباعًا للعين، وقرئ: «عتيًا» كرغيفًا لأنَّه مصدر، وكذلك العمل في باقيها، وقرئ: «عسيًا» بمعنىٰ عتي، يقال للرجل إذا كبر وانتهىٰ سنه: عات وعاش، وأصل العتو: اليبس والجساوة في المفاصل.

القراءة: (عِتيًا وصِليًّا، وبِكيًّا [وجِثيًّا][(١)]) بكسر أوائلها وضمها لغتان.

تلخيصه: هي لا تحمل وأنا قد كبرت، فكيف يكون ذلك؟ فثمَّ جبريل ﴿قَالَ كَذَٰلِكَ﴾: أي كما قلتُ لك ﴿قَالَ رَبُّكَ هُوَ﴾: أي: خلق يحيىٰ من كبيرين.

﴿عَلَيَّ هَيِّنٞ﴾ سهل يسير، وقرئ بسكون الياء.

القراءة: ﴿وَقَدۡ خَلَقۡتُكَ﴾: بألف جمعًا، وخلقتك مفردًا، وكلاهما إخبار.

---

(١) سقط من ج والمثبت من أ، ب.

المعنىٰ: أوجدناك ﴿مِن قَبْلُ﴾: أي قبل يحيىٰ ﴿وَلَمْ تَكُ شَيْـًٔا﴾: (تا) يعتد به.

﴿ٱجْعَل لِّيٓ ءَايَةً﴾: [(كا)][1] دلالة علىٰ حمل امرأتي.

﴿قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ﴾: وقرئ برفع الميم، أي: أنَّه لا تكلم ﴿ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَ لَيَالٍ سَوِيًّا﴾: (حس) صحيحًا من غير خرص، فسويًا نعت لزكريا، أو حال من ضمير «تكلم».

مجاهد[2]: لا يمنعك من الكلام مرض.

ذكر الليالي هنا وفي آل عمران الأيام للإيذان أنَّه صمت مجموع الليالي والأيام، وكانوا ينتظرونه ليخرج إلىٰ الصلاة.

﴿ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ مِنَ ٱلْمِحْرَابِ فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ أَن سَبِّحُوا۟ بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴿١١﴾ يَٰيَحْيَىٰ خُذِ ٱلْكِتَٰبَ بِقُوَّةٍ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحُكْمَ صَبِيًّا ﴿١٢﴾ وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا وَزَكَوٰةً ۖ وَكَانَ تَقِيًّا ﴿١٣﴾ وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَيْهِ وَلَمْ يَكُن جَبَّارًا عَصِيًّا ﴿١٤﴾ وَسَلَٰمٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا ﴿١٥﴾ ﴾

﴿فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ مِنَ ٱلْمِحْرَابِ﴾: صبيحة ليلة حمل امرأته، وكان عادته أن يأمرهم بالصلاة.

﴿فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ﴾: أشار بإصبعه، أو كتب ﴿أَن سَبِّحُوا۟﴾: صلوا ﴿بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾: (تا) أو المراد حقيقة التسبيح و«أن» مفسرة، أو مصدرية.

﴿خُذِ ٱلْكِتَٰبَ﴾: أي: التوراة، ومحل ﴿بِقُوَّةٍ﴾: (كا) بجد واجتهاد حال، أو مفعول له.

﴿وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحُكْمَ﴾: النبوة، أو المعرفة، أو إصابة الحق.

﴿صَبِيًّا﴾ حال، روي أنَّ الصبيان دعوه للعب وهو ابن ثلاث سنين، فقال: ما للعب خلقت.

---

(١) سقط من أ، ب والمثبت من ج.

(٢) أخرجه الطبري ي «تفسيره» (١٨/ ١٥٢).

وتقديره: واذكر مريم انتباذها ﴿مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا﴾: ظرف ﴿شَرْقِيًّا﴾ :نعته، أي: نحو المشرق، أو كان شتاءً، فجلست في مشرفة تفلي ثيابها، أو تغتسل من حيضها.

﴿فَٱتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَابًا﴾: (كا) فأرسلت من دون [ق/ ٢٣٧ب] أهلها سترًا تستتر به ﴿فَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهَا رُوحَنَا﴾ هو جبريل، وقرئ بفتح الراء، أي: ذا روحنا لمَّا فيه من روح العباد وراحتهم.

﴿فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا﴾: (حس) حال صحيحًا، تمثل لها جبريل في صورة شاب أمرد وضيء الوجه جعد الشعر كامل الخلق سويَّه لئلا تخافه ولتظهرَ عِفَّتُها، أو تمثل لها بعد لبسها الثياب، فثمَّ ﴿قَالَتْ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحْمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا﴾: (حس) ممن يتقي الله ويخشاه، فلا تقربني؛ فإنَّ الأتقياء يخوفون بالله.

القراءة: ﴿لِأَهَبَ لَكِ﴾: بياء بين اللام، والهاء خبر عن الله تعالىٰ أو عن جبريل، قلبت الهمزة ياءً للكسرة قبلها، وبهمزة بين اللام والهاء أخبر جبريل عن نفسه؛ لأنَّه الواهب بأمر ربه، و في بعض المصاحف[1]: «إنَّما أنا رسول ربك أمرني أن أهب لك» ﴿غُلَٰمًا زَكِيًّا﴾: (حس) ولدًا طاهرًا لا يقارف ذنبًا.

﴿وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ﴾: لم يقربني زوج، قالوا: لا يقال في النكاح: إلا مس وما تصرف منه، وفي السفاح: زنىٰ وفجر وخبث ونحوها.

﴿وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا﴾: (حس) باغية فاجرة تبغي الرجال، وأصل بغيٍّ عند المبرد: بغوي فعول، فاجتمعت الواو والياء، فقلبت الواو ياءً وأدغمت.

ابن جني: هي فعيل، ولو كانت فعولًا لقيل: بغو، كما قيل: فلان نهو عن المنكر، ولم تدخلها الهاء؛ لأنَّها وصف يغلب علىٰ المؤنث كحائض، أو أن فعيلًا للمبالغة لا تدخله التاء.

تلخيصه: إنَّما يكون الولد من نكاح أو سفاح وليسا عندي ولا أحدهما، فثمَّ

---

(١) انظر: «الكشاف» (٣/ ١٠).

جبريل ﴿قَالَ كَذَٰلِكِ﴾: تقف هنا إن جعلت الكاف خبرًا، أي: الأمر كذلك، وتبتدئ ﴿قَالَ رَبُّكِ﴾: ولا تقف على «كذلك» إن نصبته بـ«قلت»، تقديره: مثل ما قلت لك قال ربك، فعلى هذا يقف بعضهم هنا لاستئنافه ما بعد، وبعضهم لا يقف لأنَّ ذلك من كذلك مبهم يفسره.

﴿هُوَ﴾ أي: خلق عيسى ﴿عَلَيَّ هَيِّنٌ﴾ (تا) عند أبي حاتم يجعل اللام لام قسم في ﴿وَلِنَجْعَلَهُۥٓ ءَايَةً﴾ دلالة على قدرتنا، وغيره يكرهه؛ لأنَّه تعليل معللة محذوف، أي: ولنجعله آية فعلنا ذلك، أو معطوف على تعليل مضمر، أي: لنبين به قدرتنا ولنجعله آية.

﴿وَرَحْمَةً مِّنَّا﴾ (تا) لمن آمن به؛ [لأنَّه سبب الرحمة][1] ﴿وَكَانَ﴾ خلق عيسى عليه السلام، ﴿أَمْرًا مَّقْضِيًّا﴾ (كا) محكومًا بوقوعه لا محالة.

﴿ ۞ فَحَمَلَتْهُ فَٱنتَبَذَتْ بِهِۦ مَكَانًا قَصِيًّا ﴿٢٢﴾ فَأَجَآءَهَا ٱلْمَخَاضُ إِلَىٰ جِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ قَالَتْ يَٰلَيْتَنِى مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا ﴿٢٣﴾ فَنَادَىٰهَا مِن تَحْتِهَآ أَلَّا تَحْزَنِى قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا ﴿٢٤﴾ وَهُزِّىٓ إِلَيْكِ بِجِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ تُسَٰقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا ﴿٢٥﴾﴾

ابن عباس: أنست به فنفخ في جيب درعها أو في كمه، أو نفخ من بعيد، فوصل النفخ إلى بطنها ﴿فَحَمَلَتْهُ﴾ [أي:][2] حملت عيسى في بطنها ﴿فَٱنتَبَذَتْ بِهِۦ﴾ فمحل «به» حال، أي: انفردت وهو في بطنها، ونحوه:

تدوس بنا الجماجم والتريبا[3].

---

(١) سقط من ج، والمثبت من أ، ب.

(٢) سقط من أ، ب، والمثبت من ج.

(٣) القائل هو المتنبي، وصدر البيت:

فمرت غير نافرة عليهم

قال الواحدي: أي: وطئت رؤوسهم وصدورهم فنحن عليها ولم تنفر عنهم انظر: «شرح ديوان المتنبي» للواحدي (ص/ ١٤٧).

أي: تدوس ونحن عليها.

﴿مَكَانًا قَصِيًّا﴾: (كا) بعيدًا من أهلها وراء الجبل، أو أقصىٰ الدار من قصو يقصو كبعد يبعد وزنًا ومعنىٰ وتصرفًا، وبعدت لئلا تعيَّر بولادتها من غير زوج، وكانت مدة الحمل ساعة كما حملته وضعته، أو ثلاث ساعات، أو ستة، أو سبعة، أو ثمانية، أو تسعة أشهر، قالوا: ولم يعش ابن ثمانية أشهر إلا عيسىٰ، وكان سنها عشر سنين، أو ثلاث عشرة، أو [عشرين][1] سنة، وكانت حاضت قبل ذلك حيضتين.

وأصل ﴿فَأَجَآءَهَا﴾: [فجاءها][2] من المجيء، ثم دخلته الهمزة فعدته إلىٰ مفعول آخر وصيرته بمعنىٰ ألجأها، وقرئ: «فأجاها» بترك الهمزة؛ تخفيفًا من المفاجأة.

وقرئ: (فأداها).

﴿ٱلْمَخَاضُ﴾: هو وجع الولادة، وقرئ بكسر الميم لغتان، مخضت الحامل تمخض مَخاضًا ومِخاضًا، وأصله تحرك الولد واضطرابه في البطن، أو الفتح اسم للمصدر والكسر مصدر جاء بالكسر من واحد[ق/ ١٤٢أ] كالعقاب، المعنىٰ: ألجأها ألم الولادة حتىٰ ذهبت.

﴿إِلَىٰ جِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ﴾: وكانت يابسة، أو كان الجذع مقطوعًا لتعتمد عليه عند الولادة؛ إذ لم تكن لها قابلة تعينها، ولئلا يراها أحد، ثم ﴿قَالَتْ يَٰلَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا﴾: الذي أنا فيه من الشدة.

القراءة: ﴿وَكُنتُ نَسْيًا﴾: بفتح النون وكسرها، وهي الشيء المنسيّ؛ لحقارته، أو هو الحيضة.

﴿مَّنسِيًّا﴾: (كا) متروكًا.

---

(١) في ج: عشرون، والمثبت من أ، ب.

(٢) سقط من أ،ب والمثبت من ج.

تلخيصه: لم أكن شيئًا.

وقرئ: (منساء) همزًا، وهو اللبن المخلوط بالماء لقلته، و«نسيًّا» مشددا فعيل بمعنىٰ مفعول، وبكسر ميم منسيًا اتباع القراءة ﴿فَنَادَىٰهَا﴾: وقرئ: «فخاطبها».

﴿مِن تَحْتِهَآ﴾: بفتح الميم والتاء، فـ«من» فاعل وهو جبريل؛ لأنَّه كان بمكان منخفض عنها، أو كان منها بمنزلة القابلة لذات الطلق، أو المراد عيسىٰ؛ لأنَّه خاطبها من تحت ذيلها، واستعملت «من» هنا للخصوص وأصلها العموم، وبكسر الميم والتاء فالفاعل مضمر وهو عيسىٰ أو جبريل، والهاء في «تحتها» للنخلة، ولشدة ما لقيت سُليت وبُشرت بما هو معجزة تظهر به براءتها، فقيل لها: ﴿أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا﴾: (كا) عبدًا مطيعًا نقيًّا سخيًّا وهو عيسىٰ، أو سريًّا جدولًا، فمعنىٰ «تحتك» أي: تحت أمرك، إن أمرته أن يجري جرىٰ، وإن أمرته إن يقف وقف.

ابن عباس(١): ضرب عيسىٰ أو جبريل بعقبه الأرض، فظهرت عين ماء عذب، فجرىٰ النهر اليابس فاخضرت النخلة وأثمرت وأينعت ثمرتها، فقيل لها: ﴿وَهُزِّيٓ﴾ أي: حركي ومدي ﴿إِلَيْكِ بِجِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ﴾: الباء زائدة، أو ليست بزائدة، فمعنىٰ «هزي»: انقضي الثمرة إليك بالجذع.

القراءة: ﴿تُسَٰقِطْ﴾ بضم التاء وكسر القاف مستقبل ساقطت، فـ«رطبًا» مفعول به، الفاعل النخلة وبفتحهما مشددًا ومخففًا، أصل تتساقط، فمن خفف حذف إحدىٰ التائين ومن شدد أدغم التاء في السين، فـ«رطبًا» حال، وبياء مفتوحة مشددًا، أصله يتساقط فأدغم نقلها الفخامي، فـ«رطبًا» حال أيضًا.

وقرئ: «تتساقط» بإظهار التاءين، وتسقط ويسقط ونسقط، أي: نحن، فالتاء للنخلة، والياء للجذع، فرطبًا مفعول به أو حال أو تمييز علىٰ ما تقتضيه القراءات، وبعضهم ينصب بـ«هزي» ﴿رُطَبًا جَنِيًّا﴾: أي: مجنيًّا فعيلًا بمعنىٰ

(١) انظر: «تفسير البغوي» (٣/ ٢٣٠).

مفعول، أو هو الطري بغباره البالغ نهاية النضج، فوضعت يدها علىٰ النخلة فسقط رطبها.

﴿فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنسِيًّا ﴿٢٦﴾ فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ قَالُوا يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا ﴿٢٧﴾ يَا أُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا ﴿٢٨﴾ فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا ﴿٢٩﴾﴾

لا أحب الوقف هنا؛ لأنَّ جواب الأمر ﴿فَكُلِي﴾: من الرطب ﴿وَاشْرَبِي﴾: من ماء النهر ﴿وَقَرِّي عَيْنًا﴾:- تمييز- طيبي نفسًا بعيسىٰ وبانتفاء التهمة عنك بحمل النخلة اليابسة، وجري النهر اليابس؛ لأنَّه إذا شوهد ذلك لم يستبعد وجود ولد بلا فحل.

وقرئ: بكسر القاف من قررت فتحًا أقر كسرًا، والمشهور العكس، وأصلهما السكون ومنه أقر الله عينه رزقه كفايته، فلا تطمح إلىٰ شيء، أو جاءت بدمع بارد سرورًا، و«إن» شرطية ضمت إلىٰ «ما» فأدغمت فيها في ﴿فَإِمَّا تَرَيِنَّ﴾: أصله ترائين بهمزة هي عين الكلمة بعدها ياء هي لامها بعدهما ياء الضمير، فألقيت حركة الهمزة علىٰ الراء ثم حذفت الياء التي هي لام كحذفها في الجزم وبقيت ياء الضمير فحركت لسكونها وسكون [ق/ ٢٣٨ب] النون بعدها، والكلمة مبنية لدخول نون التوكيد عليها، فوزنها الآن تفين، وقرئ: «ترين» بإسكان الياء مخففًا علىٰ إهمال «إن»، و«ترأن» بالهمز.

تلخيصه: طيبي نفسًا بعيسىٰ، فإن رأيت ﴿مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا﴾: فسألك عنه ﴿فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا﴾: صمتًا، وقرئ به؛ لأنَّها كانت قد أمرت أن تنذر السكوت؛ لأنَّ عيسىٰ يكفيها، ولئلا تجادل السفهاء ومن أذل الناس سفيه لم يجد مسافهًا، وعرفهم بصيامها إشارة، وكان هذا في شريعتهم ونهب عنه في شريعتنا.

﴿فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنسِيًّا﴾: (كا) آدميًّا.

تلخيصه: أنا ممنوعة عن كلام البشر، لا أحب الوقف من «سريًا» إلىٰ هنا، فأقامت في غار هناك مدة نفاسها بعيسىٰ، ثم حملته ﴿فَأَتَتْ بِهِۦ قَوْمَهَا﴾: ومحل ﴿تَحْمِلُهُۥ﴾: حال من «مريم».

فلمَّا رأوه معها ﴿قَالُواْ يَٰمَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ﴾: أي فعلت ﴿شَيْـًٔا فَرِيًّا﴾: (حس) عظيمًا، وأصل الفري القطع، أي: مقطوع بكذبه، وكان في بني إسرائيل رجل صالح شبهوها به توبيخًا.

فقالوا: ﴿يَٰٓأُخْتَ هَٰرُونَ﴾: في الصلاح، أو كان فاسقًا شبهوها به، أو أرادوا هارون أخا موسىٰ؛ لأنَّها كانت من نسله، قالوا: وكان بينهما ألف سنة، وهذا كما يقال: يا أخا تميم، أي: واحدهم.

﴿مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمْرَأَ سَوْءٍ﴾: زانيًا، وقرئ بنصب «أبوك» ورفع «امرأ».

﴿وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ﴾: (حس) أن يجيبهم عنها، أو إليهم أن يسألوه ﴿قَالُواْ﴾: سخريتها بنا أشد علينا من زناها.

﴿كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ﴾: أي وجد.

﴿فِى ٱلْمَهْدِ صَبِيًّا﴾: (حس) حال، أو في «كان» معنىٰ الشرط، أي: من يكن في المهد فكيف نكلمه؟![ق/ ١٧٠ جـ] أو هي زائدة عوض من ضميرها المتصل ضميرًا منفصلًا، أي: من هو؟ وكان عيسىٰ يرضع فقالت له: تكلَّم، أو قال له زكريا: تكلّم بحجتك إن كنت أمرت بها، فأقبل عليهم بوجهه ثم اتكأ علىٰ يساره وأشار بسبابته ثم

﴿ قَالَ إِنِّى عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِىَ ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلَنِى نَبِيًّا ﴿٣٠﴾ وَجَعَلَنِى مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَٰنِى بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴿٣١﴾ وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَتِى وَلَمْ يَجْعَلْنِى جَبَّارًا شَقِيًّا ﴿٣٢﴾ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ﴿٣٣﴾ ذَٰلِكَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ ٱلْحَقِّ ٱلَّذِى فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴿٣٤﴾﴾

﴿قَالَ إِنِّى عَبْدُ ٱللَّهِ﴾: أعترف بالعبودية وهو ابن يوم أو أربعين؛ لئلا يُعبد.

﴿ءَاتَىٰنِيَ ٱلْكِتَٰبَ﴾: أي فهمَه.

﴿وَجَعَلَنِي نَبِيًّا﴾: الحسن: ألهم التوراة وهو في البطن، أو أوتي الإنجيل وهو طفل، أو كان نبيًا إذ وضعته ولزم الخلق اتباعه، أو كان نبيًّا ولم يوح إليه إلا بعد الثلاثين، أو هو إخبار عما كتب له فإنَّه كائن لا محالة.

﴿وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا﴾: علىٰ من آمن بي واتبعني.

﴿أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَٰنِي بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ حَيًّا﴾: لا وقف هنا؛ لعطفك علىٰ «مباركًا».

﴿وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَتِي﴾ أي: كثير الإحسان إليها، من قولهم: رجل بر، متوسع في فعل الخير، ومنه البر ضد البحر.

وقرئ: (وبِرًا) بكسر الباء لضد العقوق، أي: ألزمني برًّا، أو جعلني ذا بر، وبكسر الباء والراء عطفًا علىٰ «الصلاة»، وأصل بر السعة.

تلخيصه: جعلني متصفًا بالصلاح مع الوصية.

﴿وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا﴾: (حس) بمخالفته.

ثم أومأ إلىٰ السلام في [قصه يحيىٰ][(١)] فقال: ﴿وَٱلسَّلَٰمُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا﴾ (حس) فلمَّا كلمهم بهذا الكلام علموا براءة أمه، روي أنَّه لم يتكلم بعد حتىٰ بلغ سن الكلام.

القراءة: ﴿ذَٰلِكَ﴾: مبتدأ ﴿عِيسَى﴾ خبر نعته ﴿ٱبْنُ مَرْيَمَ﴾: أو خبر ثان برفع اللام من ﴿قَوْلَ ٱلْحَقِّ﴾ خبر بعد خبر، أو خبر مبتدأ محذوف، وبنصبها مصدر، أو مدح إن جعل القول بمعنىٰ الكلمة، وهو أن قيل لعيسىٰ: كن فكان، فعلىٰ هذا «الحق» الله تعالىٰ.

وقرئ: (قُول) بضم القاف، و(قال الحق)، و(قال الله)، والقُول والقول والقال

---

(١) في جـ: قصتة، والمثبت من أ، ب.

بمعنىٰ، أبىٰ بعضهم الوقف تلو عيسىٰ ابن مريم علىٰ قراءة النصب، وجوزه علىٰ قراءة الرفع، وأباه غيره علىٰ قراءة الرفع، وجوزه علىٰ قراءة النصب، فمنعه علىٰ النصب لجعله «قول» مصدرًا مؤكدًا مضمون الجملة، نحو [هذا][(١)] عبد الله الحق لا الباطل، ولا يجوز الفصل بين المؤكِّد والمؤكَّد وجوازه علىٰ النصب فبإضمار فعل ينصب به «قول»، ومنعه علىٰ قراءة الرفع فلجعل «قول» خبرًا أو بدلًا أو نعتًا لعيسىٰ، ويكون القول بمعنىٰ الكلمة؛ لأنَّ القول كلمة ولأنَّه وصف بالكلمة في موضع آخر، فوصف هنا بالقول، وجوازه علىٰ الرفع فلجعل «قول» مبتدأ، أو خبر مبتدأ محذوف، أي: هو قول الحق.

﴿ٱلَّذِى فِيهِ يَمْتَرُونَ﴾: وقرئ: (قول الحق الذي كان الناس فيه يمترون) يشكون ويختلفون؛ لأنَّ اليهود قالوا: عيسىٰ ساحر كذاب، وبعض النصارىٰ: هو الله، وبعض: ولده، وبعض: شريكه، وكذبوا جميعًا.

﴿ مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍ سُبْحَٰنَهُۥٓ إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٣٥﴾ وَإِنَّ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٣٦﴾ فَٱخْتَلَفَ ٱلْأَحْزَابُ مِنۢ بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن مَّشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٣٧﴾ أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا لَٰكِنِ ٱلظَّٰلِمُونَ ٱلْيَوْمَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٣٨﴾ ﴾

﴿مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍ﴾ وجيء بـ«من» للنفي العام؛ لأنَّك إذا قلت: ما عندي رجل، جاز أن يكون عندك أكثر من رجل، فإذا قلت: ما عندي من رجل، نفيت أن يكون عندك رجل واحد وأكثر.

تلخيصه: ما ينبغي له ذلك.

﴿سُبْحَٰنَهُۥٓ﴾: عن صفات المخلوقين.

﴿كُن فَيَكُونُ﴾: (تا) علىٰ **القراءة**: ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ﴾: كسرًا استئنافًا، يعضده ما قرئ: «إن الله» بغير واو كسرًا، وغير جائز هنا ولا من أول القصة إلىٰ هنا إلا علىٰ

(١) في أ، ب: هو.

سبيل التسامح لطول الكلام علىٰ القراءة أيضًا فتحًا عطفًا علىٰ ما قبل، أي: أوصاني بالصلاة والزكاة وبأن الله تعالىٰ، وقرئ بها، ويحسن الوقف هنا وعلىٰ ما رسمت قبل إن علقته بما بعد، أي: ولأنَّ الله.

﴿رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ﴾: (حس).

تلخيصه: لاختصاصه بالربوبية أطيعوه.

﴿مُّسْتَقِيمٌ﴾: (حس) و«من» في ﴿مِنْ بَيْنِهِمْ﴾: (حس) زائدة، المعنىٰ: إنَّ عيسىٰ ذكر فاختلف فيه الأحزاب من النصارىٰ إلىٰ يعقوبية وملكانية ونسطورية، أو الأحزاب اليهود جعلوه ولد زنا، والنصارىٰ جعلوه إلهًا، أو الذين تحزبوا علىٰ الأنبياء.

﴿فَوَيْلٌ﴾: للكافرين ﴿مِن مَّشْهَدِ يَوْمٍ عظيم﴾: (تا) هو يوم القيامة يشاهدون ما أعد لهم فيه، وتشهد عليهم أعضاؤهم والملائكة والأنبياء.

ثم أخبر الله تعالىٰ بلفظ الأمر تهديدًا وتعجيبًا من حالهم فقال: ﴿أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ﴾: فمحل «بهم» رفع كـ«أحسن بزيد»، أي: أحسن زيد.

الكلبي: لا أحد أسمع ولا أبصر منهم أحد حيث يقول تعالىٰ لعيسىٰ: ﴿ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ....﴾ الآية [المائدة:١١٦].

وعن الزجاج: أنَّه أمر حقيقة.

فمحل ﴿بِهِمْ﴾ نصب الفاعل ضمير المتكلم، كأنَّه يقول لنفسه: أوقع بهم سمعًا وبصرًا.

﴿يَوْمَ يَأْتُونَنَا﴾: (كا) إن لم تجعل اليوم من ﴿لَكِنِ الظَّالِمُونَ الْيَوْمَ﴾ عاملًا في «يوم يأتوننا»، المعنىٰ: إنَّهم يتعجبون من سمعهم وبصرهم ثَمَّ حيث لا ينفعهم بعد صممهم وعماهم هنا.

﴿فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ (تا).

﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْحَسْرَةِ إِذْ قُضِىَ ٱلْأَمْرُ وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٩﴾ إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ ٱلْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ ﴿٤٠﴾ وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِبْرَٰهِيمَ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴿٤١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِى عَنكَ شَيْـًٔا ﴿٤٢﴾﴾

﴿يَوْمَ ٱلْحَسْرَةِ﴾: هو يوم القيامة يقع فيه الندم على ما فات، أو هو يوم يذبح الموت فيقال لأهل الجنة والنار: خلود فلا موت.

وقال ﷺ: «**ما من أحد يموت إلا ندم**»، قالوا: يا رسول الله، ما ندمه؟ قال: «**إن كان محسنًا ألا يكون ازداد، وإن كان مسيئًا ألا يكون نزع**»(١).

لا وقف هنا؛ لأنَّ [ق/ ٢٣٩ب] ﴿إِذْ قُضِىَ ٱلْأَمْرُ﴾: فرغ من الحساب واستقر كل في مقره طرف للحسرة، أو بدل من «يوم الحسرة».

﴿وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ﴾: عن الاهتمام لذلك المقام.

﴿وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾: (تا).

وجيء بـ«من» في ﴿نَرِثُ ٱلْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا﴾: بأن نهلك جميع سكانها؛ تغليبًا للعقلاء.

﴿وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ﴾: (تا) في الآخرة فيجازون.

وقوله: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا﴾: مبالغًا في الصدق بجميع ما صدر عن الله تعالى، الجملة اعتراض بين إبراهيم وما هو بدل منه وهو ﴿إِذْ قَالَ﴾ أو «إذ» ظرف لـ«صديقًا»، أي: صديقًا وقت قوله ﴿لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِى عَنكَ شَيْـًٔا﴾ (تا) نصب لوقوعه موقع المصدر.

﴿يَٰٓأَبَتِ إِنِّى قَدْ جَآءَنِى مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَٱتَّبِعْنِىٓ أَهْدِكَ صِرَٰطًا سَوِيًّا ﴿٤٣﴾ يَٰٓأَبَتِ لَا تَعْبُدِ ٱلشَّيْطَٰنَ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ عَصِيًّا ﴿٤٤﴾ يَٰٓأَبَتِ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَٰنِ وَلِيًّا ﴿٤٥﴾ قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ ءَالِهَتِى يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَٱهْجُرْنِى مَلِيًّا ﴿٤٦﴾﴾

---

(١) أخرجه الترمذي (٢٤٠٣)، وأبو نعيم في «الحلية» (٨/ ١٧٨) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

﴿فَٱتَّبِعۡنِيٓ أَهۡدِكَ صِرَٰطٗا سَوِيّٗا﴾: (تا) مستقيمًا.

﴿يَٰٓأَبَتِ﴾: التاء عوض من ياء الإضافة [ولا يقال:][1] يا أبتي؛ جمعًا بين العوض والمعوض ﴿لَا تَعۡبُدِ ٱلشَّيۡطَٰنَۖ﴾: (كا)؛ لأنَّك إذا عبدت الصنم فقد عبدت الشيطان لطاعتك إياه.

﴿عَصِيّٗا﴾: (تا).

﴿وَلِيّٗا﴾: (تا) قريبًا وناصرًا.

المعنىٰ: أنَّه توصّل إلىٰ هداية أبيه ألطف توصّل فلم يهتد، وهكذا ينبغي [أن يكون][2] كل مرشد، فثمَّ ﴿قَالَ﴾ آزر توبيخًا: ﴿أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنۡ ءَالِهَتِي﴾: أي عن عبادة الأصنام، بعضهم يقف هنا [ويبتدئ ﴿يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُۖ﴾ والأولىٰ ألَّا يقف عليه][3] ويعلق ﴿يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُۖ﴾ بـ﴿أَرَاغِبٌ﴾، ثم يبتدئ مقسمًا ﴿لَئِن لَّمۡ تَنتَهِ﴾ عن شتم الأصنام لأقتلنك [ق/ ١٤٣أ] بالرجم، أو لأبعدنك.

ثم عطف علىٰ محذوف تقديره احذرني ﴿وَٱهۡجُرۡنِي مَلِيّٗا﴾: (تا) دهرًا طويلًا.

﴿قَالَ سَلَٰمٌ عَلَيۡكَۖ سَأَسۡتَغۡفِرُ لَكَ رَبِّيٓۖ إِنَّهُۥ كَانَ بِي حَفِيّٗا ٤٧ وَأَعۡتَزِلُكُمۡ وَمَا تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَأَدۡعُواْ رَبِّي عَسَىٰٓ أَلَّآ أَكُونَ بِدُعَآءِ رَبِّي شَقِيّٗا ٤٨ فَلَمَّا ٱعۡتَزَلَهُمۡ وَمَا يَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَهَبۡنَا لَهُۥٓ إِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَۖ وَكُلًّا جَعَلۡنَا نَبِيّٗا ٤٩ وَوَهَبۡنَا لَهُم مِّن رَّحۡمَتِنَا وَجَعَلۡنَا لَهُمۡ لِسَانَ صِدۡقٍ عَلِيّٗا ٥٠﴾

﴿قَالَ سَلَٰمٌ عَلَيۡكَۖ﴾: سلام بر ولطف، أو سلام مفارقة.

﴿سَأَسۡتَغۡفِرُ لَكَ رَبِّيٓۖ﴾: (كا) بشرط التوبة، أو كان وعده بالاستغفار له.

﴿إِنَّهُۥ كَانَ بِي حَفِيّٗا﴾: (كا) برًّا لطيفًا، وأصله البشاشة.

(١) سقط من ج، والمثبت من أ، ب.
(٢) سقط من ج، والمثبت من أ، ب.
(٣) سقط من أ، ب، والمثبت من ج.

مجاهد: عودني الإجابة لدعائي ﴿وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ﴾: [أي][(١)] تعبدون ﴿مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾: من الأصنام، فارتحل من كوثىٰ إلىٰ الأرض المقدسة، ثم قال تواضعًا وهضما للنفس: ﴿عَسَىٰٓ أَلَّآ أَكُونَ بِدُعَآءِ رَبِّي شَقِيًّا﴾: [(كا)][(٢)].

﴿فَلَمَّا ٱعْتَزَلَهُمْ﴾: الكفار ومعبوديهم.

﴿وَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ﴾: أولادًا يأنس بهم بدل الكفار.

﴿وَكُلًّا﴾: من إبراهيم وإسحاق ويعقوب ﴿جَعَلْنَا نَبِيًّا﴾: (حس).

﴿وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا﴾: (تا) ذكرًا حسنًا في جميع أهل الأديان، فكلهم يتولونهم، لا أحب الوقف علىٰ ﴿مُوسَىٰٓ﴾.

﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ مُوسَىٰٓ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ﴿٥١﴾ وَنَٰدَيْنَٰهُ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ ٱلْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَٰهُ نَجِيًّا ﴿٥٢﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥ مِن رَّحْمَتِنَآ أَخَاهُ هَٰرُونَ نَبِيًّا ﴿٥٣﴾ وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِسْمَٰعِيلَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ﴿٥٤﴾ وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُۥ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ وَكَانَ عِندَ رَبِّهِۦ مَرْضِيًّا ﴿٥٥﴾﴾

القراءة: ﴿مُخْلَصًا﴾: بفتح اللام، أي: أخلصه تعالىٰ لمحابه وعبادته، وبكسرها، أي: أخلص هو العبادة لله تعالىٰ.

﴿نَبِيًّا﴾ (كا).

﴿مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ ٱلْأَيْمَنِ﴾: من موسىٰ لا من الجبل؛ لأنَّ الجبل لا يمين له، إنَّما ذلك بالنسبة إلىٰ الشخص، أو [هو][(٣)] من اليُمن والبركة.

﴿وَقَرَّبْنَٰهُ نَجِيًّا﴾: (حس) حال، أي: مناجيا.

ابن عباس: قربه كلمه، أو قربه حتىٰ سمع صريف القلم حين كتب في [اللوح][(٤)] فقال: اجعل لي وزيرًا.

---

(١) سقط من أ، ب، والمثبت من ج.

(٢) سقط من أ، ب، والمثبت من ج.

(٣) سقط من ج، والمثبت من أ،ب.

(٤) في أ،ب: الألواح، والمثبت من ج.

﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥ مِن رَّحْمَتِنَآ﴾: من أجل رحمتنا له ﴿أَخَاهُ﴾: مفعول ﴿هَٰرُونَ﴾: بدل [من][1] ﴿نَبِيًّا﴾: (تا) حال، وإن جعلت «من» تبعيضًا، أي: ووهبنا له بعض رحمتنا، فـ«أخاه» بدل و«هارون» عطف بيان، نحو: رأيت رجلًا أخاك زيدًا، لا أحب الوقف على ﴿إِسْمَٰعِيلَ﴾: هو ابن إبراهيم ﴿إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلْوَعْدِ﴾: لم يعد أحدًا شيئًا إلا وفَّىٰ به.

روي أنَّه واعد رجلًا أن يقيم مكانه حتىٰ يعود إليه، فانتظره سنة في مكانه حتىٰ عاد، ولا أحب الوقف على ﴿وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ۝٥٤ وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُۥ﴾: أي: أهل بيته، أو أمته وأتباعه ﴿بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ وَكَانَ عِندَ رَبِّهِۦ مَرْضِيًّا﴾: (كا) قائمًا بطاعة الله تعالىٰ مقبولها.

وقرئ: (مرضوًّا).

﴿ وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِدْرِيسَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ۝٥٦ وَرَفَعْنَٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا ۝٥٧ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّۦنَ مِن ذُرِّيَّةِ ءَادَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْرَٰٓءِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَٱجْتَبَيْنَآ ۚ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُ ٱلرَّحْمَٰنِ خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَبُكِيًّا ۩ ۝٥٨ ﴾

لا أحب الوقف على ﴿إِدْرِيسَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا﴾: (كا).

﴿وَرَفَعْنَٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾: (حس) ظرف وهو الجنة؛ لأنَّه روي أنَّه أُذيق الموت ساعة ثم أُحيي ثم أُدخِل الجنة ولم يخرج منها، أو المراد شرف النبوة، أو السماء الرابعة، أو السادسة، أو السابعة؛ لأنَّه روي أنَّه مات عند مطلع الشمس.

وروي أنَّه لمَّا صعد به الملك إلىٰ السماء مات بين جناحيه، ومن هنا نشأ الخلاف في موته وحياته.

﴿أُو۟لَٰٓئِكَ﴾: النبيون المذكورون من أول السورة إلىٰ هنا [ق/ ١٧١ جـ] ﴿ٱلَّذِينَ

(١) في خ: الألواح، والمثبت من أ، ب.

أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم﴾: و«من» الأولىٰ بيان، والثانية تبعيض في ﴿مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِن ذُرِّيَّةِ﴾: وذرية ﴿ءَادَمَ﴾: بدل من (النبيين) بإعادة الجار، المعنىٰ: إنَّ أدريس من الأنبياء، فإنَّه من ذرية آدم؛ لأنَّه جد أبي نوح، وإبراهيم من ذرية من ﴿حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ﴾: في السفينة؛ لأنَّه من ولد سام بن نوح.

﴿وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبْرَٰهِيمَ﴾: إسماعيل وإسحاق ويعقوب ﴿وَإِسْرَٰٓءِيلَ﴾: من ذريته موسىٰ وهارون وزكريا ويحيىٰ وعيسىٰ؛ لأنَّ مريم من ذريته، لا تقف هنا إن عطفت ﴿وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَٱجْتَبَيْنَآ﴾: (كا) لاستئنافك ما بعد علىٰ «من» الأولىٰ أو الثانية، وتجعل «الذين أنعم» خبر «أولئك»، والمراد بـ«ممن هدينا:» عبد الله بن سلام وأصحابه.

والمعنىٰ: هؤلاء ممن أرشدنا واصطفينا، ولا تقف هنا إن وصفت «ممن هدينا» بقوله: ﴿إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُ ٱلرَّحْمَٰنِ﴾.

وقرئ: (يتلىٰ) مذكرًا، للفصل بين الفعل والفاعل، فعلىٰ هذا خبر «أولئك» «ممن هدينا».

﴿سُجَّدًا﴾: حال مقدرة.

﴿وَبُكِيًّا﴾: (حس) جمع باكٍ كقاعد وقعود.

﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلشَّهَوَٰتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا ﴿٥٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْـًٔا ﴿٦٠﴾ جَنَّٰتِ عَدْنٍ ٱلَّتِى وَعَدَ ٱلرَّحْمَٰنُ عِبَادَهُۥ بِٱلْغَيْبِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ وَعْدُهُۥ مَأْتِيًّا ﴿٦١﴾ لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلَّا سَلَٰمًا ۖ وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴿٦٢﴾﴾

تلخيصه: الأنبياء قبلكم كانوا يسجدون ويبكون لسماع آيات الله تعالىٰ، فكونوا كهم ﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ﴾: أي بعد الأنبياء المذكورين.

﴿خَلْفٌ﴾: بسكون اللام لخلف الشر، وبفتحها لخلف الخير، والمراد بالخلف هنا: أهل الكتابين، أو هم من هذه الأمة.

﴿أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾: المفروضة بتركها، أو أخَّروها عن وقتها ﴿وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِۖ﴾: ملاذ النفس المحرمة ﴿فَسَوۡفَ يَلۡقَوۡنَ﴾: وقرئ: «يُلقون».

﴿غَيًّا﴾: غواية وهلاكًا، أو هو وادٍ في جهنم تستعيذ أودية جهنم من حره أعده الله للزاني المصر عليه، ولشارب الخمر المدمن عليها، ولآكل الربا الذي لا ينزع عنه... الحديث[1].

﴿إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا﴾: لا يجوز الوقف هنا ولا على ﴿يَدۡخُلُونَ ٱلۡجَنَّةَ﴾: ولا على ﴿شَيۡـًٔا﴾: على القراءة [بنصب][2] ﴿جَنَّٰتِ﴾: بدل اشتمال من الجنة؛ لأنَّ الجنة تشتمل على جنات عدن، ويكفي إن رفعت ﴿جَنَّٰتِ عَدۡنٍ﴾: وقرئ بها، وقرئ: «جنة» رفعًا موحدة أيضًا، ولا أحب الوقف اختيارًا من ﴿وَبُكِيًّا﴾: إلى ﴿ٱلَّتِي وَعَدَ ٱلرَّحۡمَٰنُ عِبَادَهُۥ بِٱلۡغَيۡبِۚ﴾: (كا) لأنَّه تعالى وعدهم بها ولم يروها.

﴿مَأۡتِيًّا﴾: (كا) مفعول بمعنى فاعل، أي: مأتيا البتة، أو المراد بالوعد: الجنة، ولأنَّ من أتيته فقد أتاك [ق/ ٢٤٠ب].

تلخيصه: يأتون الجنة ﴿لَّا يَسۡمَعُونَ فِيهَا لَغۡوًا﴾ فحشًا أو كذبًا أو ما لا طائل تحته من الكلام، وهو المطرح منه ﴿إِلَّا سَلَٰمًاۖ﴾ (حس) استثناء منقطع، أي: لكن يسمعون سلامًا بأن يُسَلَّم عليهم، أو يُسلِّم بعضهم على بعض، أو متصل، فيكون المعنى: لو كان فيها لغو لكان هذا، ونحوه[3]:

ولا عيبَ فيهم غيرَ أن سيوفَهم … بهن فلولٌ من قراعِ الكتائبِ

ثم وصف تعالى جنته بما هو أفضل عيشًا عند العرب.

---

(١) أخرجه الطبري في «تفسيره» (١٨/ ٢١٦).

(٢) سقط من ج، والمثبت من أ، ب.

(٣) القائل هو النابغة، والبيت في «ديوانه» (ص/ ٤٥).

فقال: ﴿وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾: (كا) طرفي النهار، ولا نهار ثمَّ ولا ليل، بل المراد مقدارهما، أو يعرفون مقدار النهار برفع الحجب، ومقدار الليل بإرخائها.

وروي أن بين غدائهم وعشائهم ست ساعات، أو المراد دوام الرزق، كقولهم: فلان عندنا صباحًا ومساءً، أي: كل وقت.

﴿ تِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَن كَانَ تَقِيًّا ﴿٦٣﴾ وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُۥ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَٰلِكَ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ﴿٦٤﴾ رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَٱعْبُدْهُ وَٱصْطَبِرْ لِعِبَٰدَتِهِۦ هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا ﴿٦٥﴾ وَيَقُولُ ٱلْإِنسَٰنُ أَءِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا ﴿٦٦﴾ ﴾

القراءة: ﴿نُورِثُ﴾: وقرئ: «نُوَرِّثُ» من الميراث، فكأن الجنة قد دخلت في ملكهم لحسن فعالهم بغير اختيارهم، كالميراث يدخل في ملك الوارث.

﴿مِنْ عِبَادِنَا﴾: المؤمنين ﴿مَن كَانَ تَقِيًّا﴾: (تا) متقيا لله تعالىٰ، أو أنهم يرثون منازل الكفار التي أعدت لهم في الجنة لو آمنوا، قال النبي لجبريل عليهما الصلاة والسلام: «**أبطأت علي وكنت مشتاقا إليك**» فقال: ﴿وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ﴾[1]: لأنَّا عبيد مأمورون لا نفعل شيئًا إلا بإذن ربنا، أو هو من قول أهل الجنة يقولون: لا نتنزل منزلًا من الجنة إلا بإذن ربنا، والمراد بـ﴿مَا بَيْنَ أَيْدِينَا﴾ الآخرة وبـ﴿ماخَلْفَنَا﴾ الدنيا، أو بالعكس، أو من خلق ومن لم يخلق بـ﴿وَمَا بَيْنَ ذَٰلِكَ﴾ (حس) ما بين النفختين وبينهما أربعون سنة، أو ما نحن عليه الآن، أو المراد الماضي والمستقبل والحال من الزمان، تلخيصه: وله الكل.

﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾: (تا) ناسيًا لشيء ما فيجازي كلًا بعمله، أو المعنىٰ: لم نترك ببطء الوحي عنك ترك نسيان، يتم الوقف هنا إن رفعت ﴿رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾: خبر مبتدأ محذوف أو مبتدأ خبره ﴿فَٱعْبُدْهُ﴾ فاثبت علىٰ عبادته علىٰ زيادة الفاء عند الأخفش، ولا يجوز إن رفعت ﴿رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾بدلًا

(١) انظر: «أسباب النزول» (ص/ ٣٠١).

من ربك، المعنىٰ: أنَّه رب جميع الأشياء فمستحيل نسيانه؛ لأنَّه لو جاز عليه النسيان لمَّا جاز أن يكون ربها.

﴿وَٱصۡطَبِرۡ لِعِبَٰدَتِهِۦۚ﴾: (كا) ولم يقل علىٰ عبادته نحو ﴿وَٱصۡطَبِرۡ عَلَيۡهَاۖ﴾ [طه:١٣٢] قالوا: لأنَّ العبادة لشدتها ومشقتها بمنزلة القرن، فيقال للمحارب: اصطبر لقرنك فيما يورد عليك من الشدائد والمكائد، ويجوز أن يراد اصطبر علىٰ الشدائد لأجل العبادة، أي: لتتمكن من الإتيان بها.

﴿هَلۡ تَعۡلَمُ لَهُۥ سَمِيّٗا﴾: (حس) مثيلًا، أو المراد أنَّه لم يسم أحد «الله» غيره تعالىٰ.

فتَّ أُبيّ بن خلف عظمًا فقال: أنُبْعَثُ بعد ما صرنا كذا؟ فنزل ﴿وَيَقُولُ ٱلۡإِنسَٰنُ﴾: أو المراد الجنس، والعامل في ﴿أَءِذَا﴾ ما دل عليه الكلام تقديره: أئذا مَا مِتُّ أبعث، ودخلت لام الابتداء وإن اقتضت الحال علىٰ مقتضىٰ الاستقبال في ﴿لَسَوۡفَ أُخۡرَجُ حَيًّا﴾: (تا) لمجرد توكيد معنىٰ همزة الإنكار في ﴿أَءِذَا﴾ كما دخلت «يا» في «يا الله» بمجرد التعويض، وذهب عنها معنىٰ التعريف، و«ما» في «إذا ما» توكيد أيضًا، وفي تقديم «إذا» وإدخال الهمزة عليها زيادة توكيد أيضًا، ولا يعمل «أخرج» في «إذا»؛ لأنَّ ما بعد لام الابتداء لا يعمل فيما قبلها كـ«إن»، فلا يجوز اليوم لزيد قائم.

وقرئ: (لسوف أخرج) و(سأخرج) و(لسأخرج) كما قرئ: (ولسيعطيك)، والمراد بالخروج خروجهم من القبور أحياءً بعد الموت.

﴿أَوَلَا يَذۡكُرُ ٱلۡإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقۡنَٰهُ مِن قَبۡلُ وَلَمۡ يَكُ شَيۡـٔٗا ٦٧ فَوَرَبِّكَ لَنَحۡشُرَنَّهُمۡ وَٱلشَّيَٰطِينَ ثُمَّ لَنُحۡضِرَنَّهُمۡ حَوۡلَ جَهَنَّمَ جِثِيّٗا ٦٨ ثُمَّ لَنَنزِعَنَّ مِن كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمۡ أَشَدُّ عَلَى ٱلرَّحۡمَٰنِ عِتِيّٗا ٦٩ ثُمَّ لَنَحۡنُ أَعۡلَمُ بِٱلَّذِينَ هُمۡ أَوۡلَىٰ بِهَا صِلِيّٗا ٧٠ وَإِن مِّنكُمۡ إِلَّا وَارِدُهَاۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتۡمٗا مَّقۡضِيّٗا ٧١﴾

القراءة: ﴿أَوَ لَا يَذۡكُرُ ٱلۡإِنسَٰنُ﴾: مخففًا من الذكر ومثقلًا من التذكر التفكر، وقرئ: «يتذكر» ولولا همزة الإنكار الفاصلة بين الواو العاطفة (يذكر) علىٰ (يقول) لمَّا جاز الوقف علىٰ (حيًّا)؛ لأنَّ المعنىٰ يقول الإنسان: سأخرج حيًا بعد الموت، ولا يتأمل

خلقنا له ﴿مِن قَبۡلُ﴾: أي: قبل هذه الحالة ﴿وَلَمۡ يَكُ شَيۡـٔٗا﴾: (تا) فيستدل فيعلم أن القادر علىٰ الإنشاء قادر علىٰ الإعادة، وهيٰ عليه أهون.

﴿فَوَرَبِّكَ لَنَحۡشُرَنَّهُمۡ﴾: أي الكفار ﴿وَٱلشَّيَٰطِينَ﴾: أي معهم؛ لأنَّ كل كافر يحشر مع شيطانه في سلسلة ﴿حَوۡلَ جَهَنَّمَ﴾ قبل دخلولهم إياها أو بعد دخولهم، يقال: جلس القوم حول البيت، أطافوا به من داخل.

﴿جِثِيّٗا﴾: حال، وهو مصدر في الأصل، أوجمع جثوة، أي: جاثين علىٰ الركب لهول ذلك الوقت ولضيق المكان.

﴿مِن كُلِّ شِيعَةٍ﴾: أي فرقة تتبع الإنسان فيتقوىٰ بهم وينتشرون عنه، وجميع المستعمل من تعكيس «ش ي ع» يشمله معنىٰ الانتشار.

سيبويه: ﴿أَيُّهُمۡ﴾: مبنية في الأصل؛ لأنَّها بمنزلة «الذي» من الموصولات، وأعربت حملًا لها علىٰ «بعض» أو «كل»، فإن أضيفت إلىٰ جملة تامة تمت علىٰ إعرابها، وإن حذف العائد عليها عادت إلىٰ بنائها في الأصل، ومحلها نصب بـ«ننزع»، الخليل: هي معربة، وهي مبتدأ عنده خبره ﴿أَشَدُّ﴾: وهو حكاية، أي: لننزعن الذين يقال لهم أشد ﴿عَلَى ٱلرَّحۡمَٰنِ عِتِيّٗا﴾: جراءة.

وقرئ: (أيهم) نصبًا بـ(ننزعن) فهي بمعنىٰ الذي ﴿هُمۡ أَوۡلَىٰ بِهَا صِلِيّٗا﴾: (تا) أحق بالنار دخولًا، و«علىٰ» متعلقة بـ«أشد» والباء في «بها» بـ«أولىٰ»، أي: عتوهم أشد علىٰ الرحمن، وصليهم أولىٰ بالنار، أو هما للبيان لا للصلة، المعنىٰ: نحشرهم ثم نخرج الأعصىٰ فالأعصىٰ منهم، ثم ندخل النار أولًا أحقهم بها، ثم أحقهم بها علىٰ قدر ذنوبهم.

لا أحب الوقف من «شيئًا» إلىٰ هنا ﴿وَإِن مِّنكُمۡ﴾ أحد ﴿إِلَّا وَارِدُهَاۚ﴾: (كا) فحذف أحد، المعنىٰ: وما منكم إلا من هو واردها، والمراد النار، وأصل الورود الحضور، ويطلق علىٰ الحضور والدخول كالقرء للحيض والطهر، فعليّ وابن عباس يفسران الورود بالدخول، لكنها تكون علىٰ المؤمن بردًا وسلامًا كما كانت علىٰ إبراهيم، وعلىٰ الكافر نارًا، روي أنَّهم يمرون عليها لا يحسون بها لجمودها، في

الحديث: «تقول النَّارُ للمؤمن: جُز فقد أطفأ نورُك لَهَبي»(١).

مجاهد: من حُمَّ من المسلمين فقد وردها(٢).

وفيه: «الحُمَّىٰ من فيح جَهنم، وهيٰ حظُ المؤمنِ من النار»(٣).

وبعضهم يجعل الورود بمعنىٰ الدخول مختصًا بالكفار، يعضده [ق/ ١٤٤أ] ما قرئ: «وإن منهم»، وبعضهم يجعله بمعنىٰ الحضور، أو الهاء للقيامة.

﴿ ثُمَّ نُنَجِّى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّنَذَرُ ٱلظَّٰلِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴿٧٢﴾ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَيُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَّقَامًا وَأَحْسَنُ نَدِيًّا ﴿٧٣﴾ وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هُمْ أَحْسَنُ أَثَٰثًا وَرِءْيًا ﴿٧٤﴾ قُلْ مَن كَانَ فِى ٱلضَّلَٰلَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ مَدًّا ۚ حَتَّىٰٓ إِذَا رَأَوْاْ مَا يُوعَدُونَ إِمَّا ٱلْعَذَابَ وَإِمَّا ٱلسَّاعَةَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضْعَفُ جُندًا ﴿٧٥﴾ ﴾

القراءة: ﴿ثُمَّ نُنَجِّى﴾: مخففًا ومثقلًا لغتان، وقرئ بفتح الثاء ظرفًا، أي: هناك، وقرئ: «ينجىٰ» مجهولًا، و«ننحي» بحاء مهملة، الجنيد: ما نجا من نجا إلا بصدق[ق/ ١٧٢ جـ] اللجأ. فمن فسر الورود بالحضور جعل معنىٰ «ننجي» ﴿ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ﴾: كمعنىٰ: ﴿ وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ﴾ [آل عمران:١٠٣] «وكنتم علىٰ شفا حفرة من النار فأنقذكم منها»، وفي ﴿وَّنَذَرُ ٱلظَّٰلِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا﴾ (تا) علىٰ الركب، دليل علىٰ دخول الكل؛ لأنَّه قال: «ونذر»، ولم يقل: وندخل.

تلخيصه: ورودكم جهنم أو القيامة لابد منه، ثم نخلص المؤمن منها ونترك الكافر معذبًا فيها ﴿آيَاتُنَا بَيِّنَٰتٍ﴾: موضحات للأحكام حال مؤكدة، نحو: ﴿وَهُوَ ٱلْحَقُّ مُصَدِّقًا﴾ [البقرة:٩١].

القراءة: ﴿خَيْرٌ مَّقَامًا﴾: بضم الميم مصدر، أو مكان من أقام، وبفتحها مصدر

---

(١) أخرجه الطبراني في « المعجم الكبير» (٢٢/ ٢٥٨) حديث (٦٦٨)، والبيهقي في « شعب الإيمان» (٣٧٥) من حديث يعلىٰ بن منية ﷺ.

(٢) انظر «الكشف والبيان» للثعلبي (٦/ ٢٢٨)، و«تفسير البغوي» (٣/ ٢٤٥).

(٣) أخرجه الطبراني في « المعجم الأوسط» (٧٥٤٠) من حديث أنس بن مالك ﷺ.

أيضًا، أو مكان من قام [ق/ ٢٤١ب] ﴿وَأَحْسَنُ نَدِيًّا﴾: (حس) مجلسًا يجتمع فيه للمشاورة، وكذلك النادي، المعنىٰ: إنَّ المشركين قالوا للمؤمنين احتقارًا بهم: أينا أطيب عيشًا وأحسن مجلسًا، نحن أو أنتم؟

﴿وَكَمْ﴾: مفعول ﴿أَهْلَكْنَا﴾، و«من» في ﴿مِّن قَرْنٍ﴾: تبيين، أي: كثيرًا من القرون الماضية أهلكناهم.

ومحل ﴿هُمْ أَحْسَنُ أَثَٰثًا﴾: أموالًا.

﴿وَرِءْيًا﴾: (حس) نصب صفة «كم».

القراءة: «وريًّا» مشددًا من ريّ الشارب، أي: وأحسن شربًا، أي: شرابًا، أو من الرواء الزينة، أو الرؤية، فأدغمت الهمزة في الياء بعد قلبها ياءً، وبالهمزة مخففًا من الرواء، وهو اسم لما ظهر من الزينة غير مصدر، ووزنه فعل وجمعه أراء كعدل وأعدال، وقرئ: «وزيًا» بالزاء من الزينة.

و«من» شرط في ﴿مَن كَانَ فِي ٱلضَّلَٰلَةِ﴾: أي: الكفر، جوابه الأمر بمعنىٰ الخبر، وهو ﴿فَلْيَمْدُدْ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ مَدًّاۚ﴾: والأمر بمعنىٰ الخبر أبلغ من الخبر؛ لتضمنه اللزوم، نحو: إن زرتنا فلنكرمك، يريدون تأكيد إيجاب الإكرام عليهم، المعنىٰ: من كفر أُطيل عمره وأدعه في طغيانه إلىٰ موته بلا بد، نحو: ﴿إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوٓاْ إِثْمًاۚ﴾ [آل عمران:١٧٨]، وفي الآية معنىٰ الدعاء، أي: من ضل فمد له الرحمن، ثم زادهم تهديدًا بما هو جملة محكية بعد ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا رَأَوْاْ مَا يُوعَدُونَ﴾.

وقوله: ﴿إِمَّا ٱلْعَذَابَ﴾: القتل والأسر هنا.

﴿وَإِمَّا ٱلسَّاعَةَ﴾: أي: عذابهم ثمَّ بيان لمَّا يوعدون، أو بدل منه، بعضهم يجعل هذه الآية متصلة بقوله: ﴿خَيْرٌ مَّقَامًا وَأَحْسَنُ نَدِيًّا﴾: وما بنيهما اعتراض، فلا أحب الوقف بينهما، أي: لا يزالون يقولون هذا القول ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا رَأَوْاْ مَا يُوعَدُونَ...﴾الآية، وبعضهم يجعلها متصلة بما بعدها، وجواب «إذا» ﴿فَسَيَعْلَمُونَ

مَنْ هُوَ شَرٌّ مَّكَانًا﴾ منزلًا ﴿وَأَضْعَفُ جُندًا﴾: (تا) أعوانًا، هم أم المؤمنون، ثم يتم الوقف هنا إن لم تعطف «ويزيد» علىٰ محل «فليمدد»، أي: يمدد.

﴿ وَيَزِيدُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ هُدًى ۗ وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ مَّرَدًّا ﴿٧٦﴾
أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى كَفَرَ بِـَٔايَٰتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا ﴿٧٧﴾ أَطَّلَعَ ٱلْغَيْبَ أَمِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَٰنِ
عَهْدًا ﴿٧٨﴾ كَلَّا ۚ سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ وَنَمُدُّ لَهُۥ مِنَ ٱلْعَذَابِ مَدًّا ﴿٧٩﴾ وَنَرِثُهُۥ مَا يَقُولُ وَيَأْتِينَا
فَرْدًا ﴿٨٠﴾ ﴾

﴿وَيَزِيدُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟﴾: آمنوا بالإيمان.

﴿هُدًى ۗ﴾: يقينًا وبصيرة.

﴿وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ﴾: أعمال الصلاح.

﴿خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ مَّرَدًّا﴾: (تا) مرجعًا إلىٰ الآخرة، والتفضيل هنا هزء بالكفار؛ لأنَّه جواب قولهم للمؤمنين: ﴿أَىُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَّقَامًا وَأَحْسَنُ نَدِيًّا﴾ في المعنىٰ، ونحوه: الصيف أحر من الشتاء، أي: هو في حره أبلغ من الشتاء في برده.

ونزل فيمن سخر بالبعث ﴿أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى كَفَرَ آيَاتِنَا وَقَالَ﴾: سخرية ﴿لَأُوتَيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا﴾: ثَمَّ.

القراءة بسكون اللام وضم الواو وبفتحهما في أربعة مواضع: هنا، وفي الزخرف، ونوح عَلَيْهِ السَّلَامُ، فبالضم جمع ولد كأَسَد وأُسْد، أو بالفتح الابن والابنة، وبالضم الأهل، أو لغتان، و«الفاء» في «أفرأيت» أفادت التعقيب، كأنَّه قال: أخبر بقصة هذا الكافر واذكر حديثه عقيب حديث أولئك.

وهمزة ﴿أَطَّلَعَ ٱلْغَيْبَ﴾: أي: أعلاه استفهام وهمزة الوصل محذوفة، المعنىٰ: أَنَظر في اللوح المحفوظ، أو أعَلِم الغيب، فعلم أفي الجنة هو أم لا ﴿أَمِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَٰنِ عَهْدًا﴾: (حس) يدخل به الجنة بأن قال: لا إله إلا الله، أو قدم عملًا يرجوه، أو عهد إليه أنَّه يُدخله الجنة، يحسن الوقف هنا إن جعلت ﴿كَلَّا ۚ﴾: حقًا بمعنىٰ

القسم وهو حرف، وإن جعلته ردعًا للكفار عن كفرهم فالوقف بعده، والقولان منقولان، واختياري الوقف بعدها هنا، وأنا إن شاء الله تعالىٰ أبين الوقف عليه في أماكنه إذا مررت به، فإن جعلته ردعًا كان المعنىٰ: لم يطلع علىٰ علم الغيب، ولم يتخذ عند الرحمن عهدًا؛ لأنَّه نفي لمَّا تقدم، وقرئ بفتح الكاف منونًا مصدر كل أعيا، أي: كل هذا الرأي، وبطل.

﴿سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ﴾: أي: سنحفظ عليه قوله فنجازيه عليه.

﴿وَنَمُدُّ لَهُۥ مِنَ ٱلْعَذَابِ مَدًّا﴾: نزيده عذابًا فوق عذابه.

ومحل ﴿مَا يَقُولُ﴾: نصب بدل اشتمال من الهاء من «نرثه»، المعنىٰ: نهلكه ونورث ماله وولده غيره، فالإرث يرجع إلىٰ ما تحت القول لا إلىٰ نفس القول، أو نورث ما يقول أنَّه له في الجنة غيره من المؤمنين.

وقرئ: «يقول» و«يرثه» بياء مفتوحة.

﴿وَيَأْتِينَا﴾: يوم القيامة ﴿فَرْدًا﴾: [(كا)][1] بلا أهل ولا مال.

﴿ وَٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةً لِّيَكُونُوا۟ لَهُمْ عِزًّا ﴿٨١﴾ كَلَّا ۚ سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا ﴿٨٢﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّآ أَرْسَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا ﴿٨٣﴾ فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ ۖ إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَدًّا ﴿٨٤﴾ يَوْمَ نَحْشُرُ ٱلْمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحْمَٰنِ وَفْدًا ﴿٨٥﴾ وَنَسُوقُ ٱلْمُجْرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرْدًا ﴿٨٦﴾ ﴾

﴿وَٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةً﴾: أي أصنامًا يعبدونها ﴿لِّيَكُونُوا۟ لَهُمْ عِزًّا﴾ ليعتزُّوا بهم ثَمَّ وينجُّوهم من العذاب، والكلام علىٰ ﴿كَلَّآ﴾: (حس) هذه كالتي قبلها.

وقرئ بضم الكاف، فنصبه حال، أي: ﴿سَيَكْفُرُونَ﴾: جميعًا ﴿بِعِبَادَتِهِمْ﴾: المعنىٰ: ستجحد الآلهة عبادة المشركين.

﴿وَيَكُونُونَ﴾: أي: المعبودون ﴿عَلَيْهِمْ﴾: علىٰ المشركين ﴿ضِدًّا﴾: (تا) أعداء، أو أعوانًا يلعنونهم ثمَّ، ووحد «ضدًا»؛ لأنَّه في حكم الواحد؛ لأنَّ كلمتهم

---

(١) سقط من أ، ب والمثبت من ج.

ويدهم كانت واحدة.

ثم عجب نبيه منهم بقوله: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّآ أَرْسَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا﴾: إغراء بإزعاج، وأصل الأزِّ الحركة مع صوت متصل من أزيز القدر وغليانها، المعنىٰ: تزعجهم الشياطين وتسوقهم إلىٰ المعاصي بسرعة.

ثم سلاه بقوله: ﴿فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ﴾: بطلب العذاب قبل حينه ﴿إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ﴾: أنفاسهم وأعمارهم وأعمالهم ليستوفوا آجالهم ﴿عَدًّا﴾ فلا يزدادون عليها ولا ينقصون منها، يحسن الوقف هنا إن نصبت ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ﴾ :بـ«اذكر» مقدرة، أو بـ«لا يملكون» بعد، ولا أحبه إن نصبت ﴿يَوْمَ﴾ ظرفًا لـ﴿نَعُدُّ﴾، المعنىٰ: نجمع ﴿ٱلْمُتَّقِينَ﴾: من قبورهم، أو بعد الحساب.

﴿إِلَى ٱلرَّحْمَٰنِ وَفْدًا﴾: جمع وافد لينعمهم تعالىٰ بفضله وإحسانه في جناته، أو وفدًا ركبانًا، علي رضي الله عنه: يحشرون علىٰ نوق رحالها الذهب، ونجائب سروجها يواقيت إلىٰ جنة الرحمن.

﴿وَنَسُوقُ ٱلْمُجْرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرْدًا﴾: جمع وارد فيساقون رجالة عطاشًا قد تقطعت أعناقهم من العطش، أو يساقون إلىٰ ماء يشربونه سوق الإبل العطاش.

وقرئ: (يحشر المتقون)، و(يساق المجرمون).

﴿ لَّا يَمْلِكُونَ ٱلشَّفَٰعَةَ إِلَّا مَنِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَٰنِ عَهْدًا ﴿٨٧﴾ وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ﴿٨٨﴾
لَّقَدْ جِئْتُمْ شَيْـًٔا إِدًّا ﴿٨٩﴾ تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ ٱلْأَرْضُ وَتَخِرُّ ٱلْجِبَالُ
هَدًّا ﴿٩٠﴾ أَن دَعَوْا۟ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدًا ﴿٩١﴾ وَمَا يَنۢبَغِى لِلرَّحْمَٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا ﴿٩٢﴾ إِن كُلُّ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ
وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِى ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْدًا ﴿٩٣﴾ ﴾

ومحل ﴿لَّا يَمْلِكُونَ ٱلشَّفَٰعَةَ﴾: أي: المؤمنون والمجرمون حال، ومحل ﴿مَنِ ٱتَّخَذَ﴾: نصب استثناء متصل أو منقطع، أو رفع بدل من واو ﴿يَمْلِكُونَ﴾.

المعنىٰ: لا يشفع ثَمَّ ﴿إِلَّا مَنِ ٱتَّخَذَ﴾ هنا ﴿عِندَ ٱلرَّحْمَٰنِ عَهْدًا﴾: بأن آمن، أو

العهد: الشهادتان، أو هو من عهد الأمير إلىٰ فلان بكذا أمره به، قال ﷺ: «**أيعجز أحدكم أن يتخذ كل صباح ومساء عند الله عهدا؟**» قالوا: وكيف؟ قال: «**يقول عند كل صباح ومساء: اللهم فاطر السموات والأرض عالم الغيب والشهادة إني أعهد إليك بأني أشهد أن لا إله إلا أنت وحدك لا شريك لك، وأنَّ محمدًا عبدك ورسولك، وأنَّك إن تكلني إلىٰ نفسي تقربني من الشر وتباعدني من الخير، ولا أثق إلا برحمتك، فاجعل لي عندك عهدًا توفينيه يوم القيامة، إنَّك لا تخلف الميعاد، فإذا قال ذلك [ق/ ٢٤٢ب] طبع عليه بطابع، ووضع تحت العرش، فإذا كان يوم القيامة نادىٰ منادٍ: أين الذين كان لهم عند الله عهد؟ فيدخلون الجنة**»[(١)]. [(تا)][(٢)]

المعنىٰ: لا يشفع إلا المؤمن المأمور بالشفاعة المأذون له فيها، ولا يشفع إلا لمن أذن أن يشفع له.

﴿لَّقَدْ جِئْتُمْ شَيْـًٔا إِدًّا﴾: (كا) منكرًا عظيمًا لقولكم: «اتخذا الله ولدًا»، وأصله الترجيع الشديد من أَدَّت الناقةُ: رَجَّعَتْ أنينها بشدة، ومنه الأديدُ الحلبة.

وقرئ بالفتح وهو القوة.

القراءة: ﴿تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ﴾: [بالتاء والياء][(٣)].

القراءة أيضًا: ﴿يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ﴾: أي من قولهم الكفر هنا، والشورىٰ مخففًا بالنون مطاوع فطر مخففًا، وبالتاء فيهما وفتح الطاء [مشددًا مطاوع][(٤)] فطر مشددًا مبالغة، أصلهما التصدع.

﴿وَتَنشَقُّ ٱلْأَرْضُ﴾ أي: تنخسف وتنفصل أجزاؤها.

---

(١) أخرجه البخاري في «الأدب المفرد» (٧٠١)، وأبو داود (٥٠٩٠)، والنسائي في «السنن الكبرىٰ» (١٠٤٠٧)، وابن حبان(٩٧٠)، والطيالسي (٨٦٨)، من حديث عبد الرحمن بن أبي بكرة عن أبيه رضي الله عنه.

(٢) سقط من أ، ب والمثبت من ج.

(٣) في جـ: تقديم وتأخير.

(٤) سقط من ج والمثبت من أ، ب.

﴿وَتَخِرُّ ٱلْجِبَالُ﴾ تسقط.

﴿هَدًّا﴾ مصدر، أي: تنهد هدًا من سماع قولهم، أو مفعول له، أو حال.

ابن عباس[(١)]: فزعت السماوات والأرض وجميع الخلائق إلا الثقلين، وكادت أن تزول وغضبت الملائكة واستعرت جهنم حين قالوا: لله ولد، أو أراد تعالىٰ أن يهلك المذكورات حين قالوا ذلك لولا حلمه ورحمته.

ومحل ﴿أَن دَعَوْا۟ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدًا﴾ (كا) نصب مفعول له، أو جر بدل من الهاء في ﴿مِنْهُ﴾، أو رفع فاعل ﴿هَدًّا﴾، أي: هدّها دعاؤهم للرحمن ولدًا.

تلخيصه: الموجب لانفطار السموات وخسف الأرض وسقوط الجبال هذا القول، والدعاء هنا التسمية متعدٍ إلىٰ مفعولين[ق/ ١٧٣ جـ]، اقتصر علىٰ الثاني ليعم كل من دعا، أو من دُعي بمعنىٰ نسب مطاوعه ادعىٰ نحو[(٢)]:

إنا بني نهشل لا ندعىٰ لأب

﴿وَمَا يَنۢبَغِى لِلرَّحْمَٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا﴾ [(حس)][(٣)] المعنىٰ: لا يتأتىٰ له تعالىٰ اتخاذ الولد؛ لأنَّ اتخاذ الولد إنَّما يكون لحاجة ومجانسة، والله تعالىٰ منزه عن ذلك؛ لامتناعهما في حقه، تعالىٰ علاؤه وشأنه.

﴿مَن﴾ نكرة موصوفة صفتها ﴿فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ وخبر كل ﴿إِلَّآ ءَاتِى﴾ ووحد ﴿ءَاتِى﴾: حملًا علىٰ لفظ ﴿كُلُّ﴾.

القراءة بحذف التنوين والجر، وإن كان ﴿ءَاتِى﴾ مستقبلًا؛ تخفيفًا لطول الكلام، المعنىٰ: جميع الخلائق ستأتي [يوم القيامة][(٤)] إليَّ ﴿عَبْدًا﴾ (كا) خاضعًا ذليلًا.

---

(١) أخرجه الطبري في «تفسيره» (١٨/ ٢٥٨).

(٢) القائل هو نهشل بن حرىٰ، والبيت بتمامه:

إنا بني نهشل لا ندعىٰ لأب ... عنه ولا هو بالأبناء يشرينا

انظر: «الشعر والشعراء» (٢/ ٦٢٣).

(٣) في جـ: (كا)، والمثبت من أ، ب.

(٤) سقط من ج، والمثبت من أ، ب.

وقرئ: «آتٍ» منونًا، ونصب ﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ﴾ على الأصل.

تلخيصه: كلهم ذليلون ثَمَّ.

﴿لَّقَدۡ أَحۡصَىٰهُمۡ وَعَدَّهُمۡ عَدّٗا ٩٤ وَكُلُّهُمۡ ءَاتِيهِ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ فَرۡدًا ٩٥ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجۡعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحۡمَٰنُ وُدّٗا ٩٦ فَإِنَّمَا يَسَّرۡنَٰهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ ٱلۡمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِۦ قَوۡمٗا لُّدّٗا ٩٧ وَكَمۡ أَهۡلَكۡنَا قَبۡلَهُم مِّن قَرۡنٍ هَلۡ تُحِسُّ مِنۡهُم مِّنۡ أَحَدٍ أَوۡ تَسۡمَعُ لَهُمۡ رِكۡزَۢا ٩٨﴾

﴿لَّقَدۡ أَحۡصَىٰهُمۡ وَعَدَّهُمۡ عَدّٗا﴾: (حس) جمعهم وضبط عددهم علمًا.

﴿فَرۡدًا﴾: (تا).

﴿وُدّٗا﴾: (كا) محبة.

وقرئ بكسر الواو لغتان، ويجوز أن يراد بالمكسور المودود.

مجاهد: لحبهم الله وتحببهم إلى عباده.

هرم بن حيان: ما أقبل عبد بقلبه إلى الله إلا أقبل الله تعالى بقلوب أهل الإيمان إليه حتى يرزقه مودتهم.

﴿فَإِنَّمَا يَسَّرۡنَٰهُ﴾: سهّلنا القرآن.

﴿بِلِسَانِكَ﴾: بلغتك، فمحل ﴿بِلِسَانِكَ﴾ حال، أو الباء بمعنى «على».

﴿لِتُبَشِّرَ بِهِ ٱلۡمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِۦ قَوۡمٗا لُّدّٗا﴾ (حس) صمًا، أو جمع ألد، وهو الخصم الشديد الخصومة.

والاستفهام في ﴿هَلۡ تُحِسُّ﴾: أي تجد ﴿مِنۡهُم مِّنۡ أَحَدٍ﴾: وقرئ «تَحُسُّ» من حسَّ بالشيء شعر به.

﴿أَوۡ تَسۡمَعُ﴾: وقرئ: «تُسمِع» من أسمعت.

﴿لَهُمۡ رِكۡزَۢا﴾: (تا) صوتًا خفيًا، ومنه الركاز للمال المدفون بمعنى النفي، أي: لا تخش ولا تسمع.

تلخيصه: هلكوا كلهم.

سورة طـه

مكية، وهي مائة وأربعون أو واثنتان أو خمس وثلاثون آية.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿طه ﴿١﴾ مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ ﴿٢﴾ إِلَّا تَذْكِرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ ﴿٣﴾ تَنزِيلًا مِّمَّنْ خَلَقَ
ٱلْأَرْضَ وَٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلْعُلَى ﴿٤﴾ ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴿٥﴾ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا
بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ ٱلثَّرَىٰ ﴿٦﴾ وَإِن تَجْهَرْ بِٱلْقَوْلِ فَإِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخْفَى ﴿٧﴾﴾

لمَّا أطال ﷺ القيام في الصلاة وبالغ فيه حتىٰ قام علىٰ إحدىٰ رجليه بعد نزول القرآن عليه نزل (طه): (تا) كأول البقرة في الوقف ومعنىٰ الحرف.

القراءة بإمالة فتحة الطاء والهاء، وبفتحهما، وبإمالة [ق/ ١٤٥أ] الهاء، أصله «طأ» فعل أمر، ثم أبدل من الهمزة ألفًا، والهاء ضمير الأرض، أي: طأ الأرض بقدميك.

وقرئ: ﴿طه﴾ أمر أيضًا أبدل من الهمزة ألفًا، ثم حذفت الألف؛ لمجيء هاء السكت بعدها، أو الهاء بدل من الهمزة، أو «طه» قسم أقسم الله تعالىٰ به، وجوابه ﴿مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ﴾ فلا وقف بينهما.

وقرئ: «ما نُزِّلَ» مجهولًا ورفع القرآن، المعنىٰ: لم ننزله عليك.

﴿لِتَشْقَىٰٓ﴾: لتتعب به وبما تلقىٰ من المشركين بسببه، والشقاء يستعمل بمعنىٰ التعب.

﴿إِلَّا تَذْكِرَةً﴾: استثناء منقطع، أي: لكن نزلناه تذكرة، أو مصدر أي: لكن ذكرنا به تذكرة، أو مفعول به لـ﴿أَنزَلْنَا﴾؛ لأنَّ معنىٰ ما أنزلناه إلا تذكرة: أنزلناه تذكرة، ولا يعمل لـ﴿لِتَشْقَىٰٓ﴾: في ﴿تَذْكِرَةً﴾ لفساد المعنىٰ.

تلخيصه: ما أنزلناه إلا موعظة وتذكيرًا بالأحكام.

﴿لِّمَن يَخۡشَىٰ﴾: (كا) الله تعالىٰ، أي: يؤول أمره إلىٰ الخشية، تقف هنا إن نصبت ﴿تَنزِيلٗا﴾ مدحًا أو مصدرًا، ولا أحبه إن نصبته حالًا أو مفعول «يخشىٰ»، أي: أنزله تذكرة لمن يخشىٰ تنزيل الله.

وقرئ: «تنزيل» خبر مبتدأ محذوف.

﴿مِّمَّنۡ خَلَقَ ٱلۡأَرۡضَ وَٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلۡعُلَى﴾: (كا) جمع العليا.

﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ﴾ رفع مدح، وقرئ بجر النون صفة لـ«من خلق».

ومحل ﴿عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾ [(تا)][1] استواءً يليق به علىٰ القراءتين رفع خبر مبتدأ محذوف.

﴿لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ خبر ومبتدأ ومعطوف.

﴿وَمَا بَيۡنَهُمَا﴾: من جميع المخلوقات.

﴿وَمَا تَحۡتَ ٱلثَّرَىٰ﴾: (تا) التراب الندي، والمراد: الأرضون السبع؛ لأنَّها تحته، أو هو الصخرة التي تحت الأرض السابعة.

تلخيصه: له الكل.

ثم أومأ إلىٰ عظم قدرته بقوله: ﴿وَإِن تَجۡهَرۡ بِٱلۡقَوۡلِ﴾: ترفع صوتك ﴿فَإِنَّهُۥ يَعۡلَمُ ٱلسِّرَّ﴾: هو ما حدثت به نفسك ولم تظهر ﴿وَأَخۡفَى﴾ (تا) وما خطر ولم تحدث به نفسك، أو السر: ما يسر من الناس [حتىٰ][2] الوسوسة، أو أخفىٰ فعل، أي: علم أسرار عباده وأخفىٰ سره عنهم.

﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ لَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ ٨ وَهَلۡ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ٩ إِذۡ رَءَا نَارٗا فَقَالَ لِأَهۡلِهِ ٱمۡكُثُوٓاْ إِنِّيٓ ءَانَسۡتُ نَارٗا لَّعَلِّيٓ ءَاتِيكُم مِّنۡهَا بِقَبَسٍ أَوۡ أَجِدُ عَلَى ٱلنَّارِ هُدٗى ١٠﴾

---

(١) سقط من ج، والمثبت من أ، ب.

(٢) في أ، ب: وأخفىٰ، والمثبت من ج.

﴿إِلَّا هُوَ﴾: (حس).

﴿لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾: (تا) تأنيث الأحسن.

﴿وَهَلْ﴾ :أي: وقد ﴿أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ﴾: إذ نصب بـ«اذكر» مقدرة، أو بـ«حديث»؛ لأنَّه حدث، وحديث موسىٰ أنَّه استأذن شعيبًا في الخروج بزوجته، فأذن له فخرج بها سائرًا علىٰ غير الطريق غيره نحو الطور الأيمن الغربي في ليلة شاتية باردة، فأخذ امرأته الطلق، فقدح زنده مرارًا فلم يور، فثَمَّ ﴿رَءَا نَارًا﴾.

القراءة: ﴿لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓا۟﴾ بضم الهاء هنا والقصص حذفت واو «هو» لسكونها وسكون الميم بعدها، وبقيت الضمة قبلها تدل عليها، وبكسر الهاء أبدل من ضمة الهاء كسرة للكسرة قبلها، فانقلبت الواو ياءً، ثم حذفت الياء لسكونها وسكون الميم.

المعنىٰ: أنَّه قال لزوجته: أقيمي مكانك ﴿إِنِّىٓ ءَانَسْتُ﴾: أبصرت ﴿نَارًا لَّعَلِّىٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ﴾: شعلة نار في رأس فتيلة أو عود ونحوهما، ولم يقل: «آتيكم» بلا «لعلي»؛ لأنه لم يكن متيقنًا الوفاء بالوعد.

﴿أَوْ أَجِدُ عَلَى ٱلنَّارِ هُدًى﴾: (كا) [ق/ ٢٤٣ب] ذو هدىٰ، أي: هاديًا يدلني علىٰ الطريق، قالوا: لأنَّه كان قد ضل عنها، وأصل الهداية دلالة بلطف، ومنه الهدية وجميع المستعمل من «هـ د ىٰ» وتعكيسه يشمله معنىٰ اللطف، وألف «هدىٰ» غير مبدلة من تنوين عند من أمالها، ومبدلة من التنوين عند من لم يملها، و«علىٰ» بمعنىٰ الاستعلاء، أي: علىٰ مكان قريب منها، أو بمعنىٰ «عند» أو الباء، أي: ملاصقًا لها.

﴿فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِىَ يَٰمُوسَىٰٓ ﴿١١﴾ إِنِّىٓ أَنَا۠ رَبُّكَ فَٱخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى ﴿١٢﴾ وَأَنَا ٱخْتَرْتُكَ فَٱسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰٓ ﴿١٣﴾ إِنَّنِىٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدْنِى وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِىٓ ﴿١٤﴾ إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا تَسْعَىٰ ﴿١٥﴾﴾

﴿فَلَمَّآ أَتَىٰهَا﴾: رأىٰ شجرة خضراء من عوسج من أسفلها إلىٰ أعلاها نار بيضاء تتقد وسمع تسبيح الملائكة.

وروي أنَّه كان كلما طلبها بعدت عنه، فإذا تركها قربت منه فبهت، فثَمَّ ﴿نُودِىَ يَٰمُوسَىٰٓ﴾.

القراءة: ﴿إِنِّيٓ﴾: بفتح الهمزة، أي: بأني، وبكسرها أي: نودي موسىٰ فقيل: إني، ولأنَّ النداء قول.

وكرر الضمير في ﴿إِنِّيٓ أَنَا۠ رَبُّكَ﴾: لتحقيق المعرفة ونفي الشبهة.

روي أنَّه لمَّا سمع النداء قال: من المتكلم؟ فقال الله تعالىٰ: أنا ربك ﴿فَٱخۡلَعۡ نَعۡلَيۡكَ﴾ أي: ألقهما؛ لأنَّهما كانا من جلد حمار أو بقرة ميتين غير مدبوغين، أو أمر بخلعهما مع ذلك ليباشر بقدميه تراب الأرض المقدسة فتناله بركتها أو ينالها بركته.

﴿إِنَّكَ بِٱلۡوَادِ ٱلۡمُقَدَّسِ طُوٗى﴾ [(كا)][1] فخلعهما وألقاهما وراء الوادي.

القراءة بصرف «طوىٰ» هنا والنازعات اسم للوادي، وبترك صرفه اسم لبقعة معروفة، أو معدول عن طاو كعمر، وقرئ بها.

القراءة: ﴿وَأَنَا ٱخۡتَرۡتُكَ﴾: جمعًا في الكلمتين تعظيمًا لله تعالىٰ، «وأنا اخترتك» مفردًا فيهما، ﴿فَٱسۡتَمِعۡ لِمَا يُوحَىٰٓ﴾ إليك، أو «لما» متعلقة بـ«اخترتك».

﴿لِذِكۡرِيٓ﴾ [لعبادتي][2]؛ لأنَّ الصلاة مشتملة علىٰ قراءة، والقراءة مشتملة علىٰ أذكار، أو لأنَّ أذكرك بالمدح، أو إذا نسيت صلاة فصلِّها إذا ذكرتها، قال ﷺ: «**من نسي صلاة فليصلها إذا ذكرها لا كفارة لها إلا ذلك**»[3].

وقرئ: «للذِّكْرَىٰ».

القراءة: ﴿أَكَادُ أُخۡفِيهَا﴾: بضم الهمزة من أخفىٰ يخفي: ستر، أي: أستر الساعة عن العباد ولا أذكرها لهم؛ لأنَّهم إذا لم يعلموا متىٰ قيامها كانوا علىٰ وجل منها في كل وقت.

وقرئ: (أكاد أخفيها من نفسي) [فعلىٰ هذا المعنىٰ: أكاد أخفيها من نفسي][4] فكيف أظهركم عليها، أو الهمزة للسلب، أي: أزيل خفاءها، أو أخفيها بالضم

(١) في أ، ب: (تا)، والمثبت من ج.

(٢) في ج: لتذكرني، والمثبت من أ، ب.

(٣) أخرجه البخاري (٥٧٢)، ومسلم (٦٨٤) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

(٤) سقط من أ، ب والمثبت من ج.

أظهرها من الأضداد، ومنه بيت امرئ القيس[(١)]

فإن تدفنوا الداء لا نُخْفِه   وإن تبعثوا الحرب لا نقعد

وقرئ: (أَخفيها) بفتح الهمزة، أي: أظهرها من أخفيته أزلت خفاءه، وهو ما يستتر به كالغطاء، أي: قرب إظهارها، نحو: ﴿ ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ ﴾ [القمر: ١]، فالآية محتملة الظهور والستر، يقف أبو حاتم هنا بجعل اللام بعد لام قسم، وغيره يعلقها بـ «آتية»، أو بـ «أخفيها»، [أي: أخفيها][(٢)].

﴿لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا تَسْعَىٰ﴾: بعملها من خير وشر، ثم نهىٰ تعالىٰ موسىٰ ﷺ والمراد غيره بقوله:

﴿ فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا مَن لَّا يُؤْمِنُ بِهَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ فَتَرْدَىٰ ﴿١٦﴾ وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿١٧﴾ قَالَ هِىَ عَصَاىَ أَتَوَكَّؤُا۟ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِى وَلِىَ فِيهَا مَـَٔارِبُ أُخْرَىٰ ﴿١٨﴾ قَالَ أَلْقِهَا يَٰمُوسَىٰ ﴿١٩﴾ فَأَلْقَىٰهَا فَإِذَا هِىَ حَيَّةٌ تَسْعَىٰ ﴿٢٠﴾ قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا ٱلْأُولَىٰ ﴿٢١﴾ ﴾

﴿فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا﴾: عن الإيمان بالساعة ﴿مَن لَّا يُؤْمِنُ بِهَا﴾: من الكفار ﴿وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ﴾: في عبادة غير الله تعالىٰ ومخالفة أمره ﴿فَتَرْدَىٰ﴾: [(تا)][(٣)] فتهلك إن صددت عنها، أو هو نهي تشجيع لموسىٰ علىٰ مقارعة الكفار ومقاتلتهم، ولا يلتفت إليهم وإن كثروا؛ لأنَّه رسوله.

ثم سأله عن عصاه؛ تنبيهًا له علىٰ منافعها، فقال: ﴿وَمَا تِلْكَ﴾ مبتدأ وخبر ﴿بِيَمِينِكَ﴾ نصب حال بما في «تلك» من معنىٰ الإشارة، أو «تلك» موصول صلته بيمينك ﴿قَالَ هِىَ عَصَاىَ﴾ وقرئ بكسر الياء؛ لالتقاء الساكنين، وبسكون الياء، وعصا مشددًا لغة هذيل، فقيل: ما تصنع بها؟ قال: ﴿أَتَوَكَّؤُا۟﴾: أعتمد ﴿عَلَيْهَا﴾:

(١) «ديوانه» (ص/ ١٨٦).
(٢) سقط من أ، ب والمثبت من ج.
(٣) سقط من ج والمثبت من أ، ب.

عند الوثبة ﴿وَأَهُشُّ﴾: أخبط ورق الشجر ﴿بِهَا عَلَىٰ غَنَمِى﴾: لتأكله.

وقرئ بكسر الهاء من هَش الخبز يهِش بالكسر صار هشًّا، وقرئ بسين مهملة من هس الغنم [زجرها][(١)] [ق/ ١٧٤ جـ]، أي: أزجرها بالعصا.

﴿مَـَارِبُ﴾: جمع مأربة بضم الراء وفتحها، أي: حاجات.

﴿أُخْـرَىٰ﴾: (حس) وقال: (أخرىٰ) علىٰ تأنيث الجمع في المعنىٰ، أو إرادة واحدة، كأنَّه قال: مأربة أخرىٰ، وأراد بها الجنس، وأجاب موسىٰ عن ماهية ما في يده وزاد عليه؛ لأنَّه ذكر منافعها؛ اعترافًا بأنعمه تعالىٰ عليه، فأجمل موسىٰ ليسأل عن تلك المآرب، أو أجمل انقطاعًا لشدة ما عاين، والمآرب الأخر أنَّه: كان يحمل عليها زاده، وسقاءه، وتماشيه، وتحدثه، ويضرب بها الأرض فيخرج ما يأكل يومه، ويركزها فيخرج الماء فإذا رفعها غار، ويركزها فتورق، وتحمل أي ثمرة أحبّ، وإذا أراد الاستقاء أدلاها فتصل إلىٰ الماء وتصير شعبتاها كالدلو فيستقي بها، وتضيء له شعبتاها في الليل كشمعتين، وتحارب عنه، وتطرد الهوامّ.

﴿فَأَلْقَىٰهَا فَإِذَا هِىَ حَيَّـةٌ﴾: عظيمة ﴿تَسْعَىٰ﴾ (كا) قال هنا: «حية»، وفي غيره: «جان»، وهو الخفيف من الحيات، و«ثعبان» وهو عظيمها؛ لأنَّ الحية تعم الذكر والأنثىٰ والصغير والكبير، فلمَّا رآها لا تمر بحجر إلا ابتلعَته ولا شجر إلا اقتلعته ويسمع لأنيابها صريف شديد هرب ثم وقف.

فقال تعالىٰ: ﴿خُذْهَا﴾: فأدخل يده في مدرعته الصوف خوفًا، فقيل: ﴿وَلَا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا ٱلْأُولَىٰ﴾: (كا) تأنيث الأول، السيرة الحالة يكون عليها الإنسان غريزية كانت أو مكتسبة، وأصلها فعلة من السير كالركبة من الركوب، ثم استعملت بمعنىٰ الحالة والطريقة، ونصبها بدل اشتمال من «ها» في ﴿سَنُعِيدُهَا﴾، أو ظرف، أي: سنعيدها في طريقتها كحالها قبل.

---

(١) في أ، ب: زجره، والمثبت من جـ.

وقرئ: (كسيرتها)، المعنىٰ: نردها عصا كما كانت، فكشف عن يده وأدخلها في فيها فعادت عصا، وأُري ذلك موسىٰ عند المخاطبة؛ لئلا يجزع إذا انقلبت حية لدىٰ فرعون.

﴿وَاضْمُمْ يَدَكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ آيَةً أُخْرَىٰ ﴿٢٢﴾ لِنُرِيَكَ مِنْ آيَاتِنَا الْكُبْرَى ﴿٢٣﴾ اذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ ﴿٢٤﴾ قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي ﴿٢٥﴾ وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي ﴿٢٦﴾ وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي ﴿٢٧﴾ يَفْقَهُوا قَوْلِي ﴿٢٨﴾ وَاجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِنْ أَهْلِي ﴿٢٩﴾ هَارُونَ أَخِي ﴿٣٠﴾ اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي ﴿٣١﴾ وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي ﴿٣٢﴾ كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا ﴿٣٣﴾ وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا ﴿٣٤﴾ إِنَّكَ كُنْتَ بِنَا بَصِيرًا ﴿٣٥﴾﴾

ثم نبه علىٰ آية أخرىٰ [فقال:][1] ﴿وَاضْمُمْ يَدَكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ﴾: جنبك تحت العضد، وأصله من جناح الطير؛ لأنَّه يجنح به، أي: يميله، فكأن الإنسان يجنح بجانبيه عند العطفات والالتفات، المعنىٰ: أدخلها تحت عضدك ﴿تَخْرُجْ بَيْضَاءَ﴾: حال ﴿مِنْ غَيْرِ سُوءٍ﴾: أي: برص؛ لأنَّ يده كانت تضيء كشعاع الشمس تغشىٰ البصر.

﴿آيَةً أُخْرَىٰ﴾ نصب حال من ﴿بَيْضَاءَ﴾، أي: تَبْيَضُّ آية، أو بفعل محذوف يتعلق به اللام في ﴿لِنُرِيَكَ﴾ أي: خذ آية لنريك ﴿مِنْ آيَاتِنَا الْكُبْرَى﴾: [(تا)][2] العظمىٰ، وكانت يده أكبر آياته، أو المعنىٰ: فعلنا ذلك؛ لنريَك من آياتنا الكبرىٰ.

ولمَّا أمر موسىٰ بالذهاب ﴿إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ﴾: (حس) تجاوز الحد في الكفر، علم أنَّه قد حُمِّلَ أمرًا عظيمًا، فقال: ﴿رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي﴾: وسعه لتحمل الحق والمشاق ورديء أخلاق فرعون وجنده.

﴿وَيَسِّرْ﴾: سهل ﴿لِي أَمْرِي﴾: لأبلغ الرسالة.

﴿وَاحْلُلْ عُقْدَةً﴾ :لكنة ﴿مِنْ لِسَانِي﴾: حدثت بسبب إلقائي الجمرة في فيَّ؛ وذلك أنَّ موسىٰ في صغره لطم فرعون لطمة عظيمة وأخذ بلحيته، أو ضرب رأسه

(١) في أ، ب: فقيل، والمثبت من ج.

(٢) سقط من ج، والمثبت من أ، ب.

بقضيب فأراد قتله، فقالت آسية: أيها الملك، أنَّه صغير لا يعقل، جربه إن شئت، فجعلت في طست جمرًا وفي آخر جواهر [ق/ ٢٤٤ب] وضعتهما لدىٰ موسىٰ، فأراد أخذ الجوهرة فأخذ جبريل يده ووضعها علىٰ الجمر، فأخذ جمرة فوضعها في فيه فاحترق، فصار بلسانه لكنة منها.

وروي أنَّ يده احترقت وعولجت ولم تبرأ مدة مقامه عند فرعون، قالوا: لئلا يأكل معه في قصعة فيحصل بينهما حرمة المؤاكلة، بعضهم يجعل «من» تبعيضًا، يعنىٰ أنَّ اللكنة قد بقي بعضها، وأكثرهم يقول بذهاب جميعها.

ثم جاء بجواب شرح صدره وتيسير أمره وهو علة في المعنىٰ، فقال: ﴿يَفْقَهُواْ قَوْلِى﴾: عند تبليغ الرسالة.

﴿وَٱجْعَل لِّى وَزِيرًا﴾: معينًا أعتمد عليه، من الوزر الثقل؛ لأنَّ الوزير يتحمل أثقال الملك ويعتمد عليه، أو من الوَزَر الملجأ، والوزارة كالصناعة وزنًا، ومعنىٰ شغل الوزير، فوزيرًا مفعول أول لـ«اجعل الثاني».

﴿مِّنْ أَهْلِى﴾ ولي قبل تبيين، نحو: «ولم يكن له كفؤا أحد».

وقوله: ﴿هَٰرُونَ﴾ عطف بيان لـ «وزيرًا»، ﴿أَخِى﴾ بدل من ﴿هَٰرُونَ﴾ أو عطف بيان له، وكان هارون أجمل شكلًا وأفصح لسانًا من موسىٰ؛ فلذلك قال: ﴿ٱشْدُدْ﴾: أعقد وأقوي ﴿بِهِۦٓ أَزْرِى﴾: ظهري، أو الأزر: القوة.

﴿وَأَشْرِكْهُ فِىٓ أَمْرِى﴾: الذي حملتني.

القراءة: (أَشدد) بفتح الهمزة، و(أُشركه) بضمها، فهما خبر من موسىٰ، فـ﴿ٱشْدُدْ﴾ جزم جواب الطلب كجواب الشرط، ﴿وَأَشْرِكْهُ﴾ عطف عليه.

المعنىٰ: أعتضد به أنا، وأجعله أنا شريكي. وبوصل همزة «أشدد» وتبتدئ بالضم وبفتح همزة «أشركه» دعاء من موسىٰ.

المعنىٰ: افعل أنت اللهم ذلك به.

﴿كَيۡ نُسَبِّحَكَ﴾: تسبيحًا ﴿كَثِيرٗا وَنَذۡكُرَكَ﴾: ذكرًا ﴿كَثِيرًا إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيرٗا﴾: (تا) تعلم أحوالنا.

﴿قَالَ قَدۡ أُوتِيتَ سُؤۡلَكَ يَٰمُوسَىٰ ٣٦ وَلَقَدۡ مَنَنَّا عَلَيۡكَ مَرَّةً أُخۡرَىٰٓ ٣٧ إِذۡ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰٓ أُمِّكَ مَا يُوحَىٰٓ ٣٨ أَنِ ٱقۡذِفِيهِ فِي ٱلتَّابُوتِ فَٱقۡذِفِيهِ فِي ٱلۡيَمِّ فَلۡيُلۡقِهِ ٱلۡيَمُّ بِٱلسَّاحِلِ يَأۡخُذۡهُ عَدُوّٞ لِّي وَعَدُوّٞ لَّهُۥۚ وَأَلۡقَيۡتُ عَلَيۡكَ مَحَبَّةٗ مِّنِّي وَلِتُصۡنَعَ عَلَىٰ عَيۡنِيٓ ٣٩ إِذۡ تَمۡشِيٓ أُخۡتُكَ فَتَقُولُ هَلۡ أَدُلُّكُمۡ عَلَىٰ مَن يَكۡفُلُهُۥۖ فَرَجَعۡنَٰكَ إِلَىٰٓ أُمِّكَ كَيۡ تَقَرَّ عَيۡنُهَا وَلَا تَحۡزَنَۚ وَقَتَلۡتَ نَفۡسٗا فَنَجَّيۡنَٰكَ مِنَ ٱلۡغَمِّ وَفَتَنَّٰكَ فُتُونٗاۚ فَلَبِثۡتَ سِنِينَ فِيٓ أَهۡلِ مَدۡيَنَ ثُمَّ جِئۡتَ عَلَىٰ قَدَرٖ يَٰمُوسَىٰ ٤٠ وَٱصۡطَنَعۡتُكَ لِنَفۡسِي ٤١﴾

﴿أُوتِيتَ سُؤۡلَكَ﴾ طلبتك[ق/ ١٤٦أ] منة عليك، وسُؤل بمعنىٰ مسؤول كخبز بمعنىٰ مخبوز.

﴿وَلَقَدۡ مَنَنَّا عَلَيۡكَ مَرَّةً أُخۡرَىٰٓ﴾: قبل هذه المرة ﴿إِذۡ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰٓ أُمِّكَ﴾: منامًا أو إلهامًا.

و«أن» مصدرية في ﴿أَنِ ٱقۡذِفِيهِ﴾: وهي بدل من «ما يوحىٰ»، أو بمعنىٰ «أي» تفسير بـ«ما» يوحىٰ؛ لأنَّ الوحي بمعنىٰ القول.

المعنىٰ: أوحينا إليها أن ألقيه ﴿فِي ٱلتَّابُوتِ﴾ فأخذت قطنًا محلوجًا ووضعته في التابوت، وألقت موسىٰ فيه وسدت عليه وأحكمته لئلا يصل إليه الماء، وكان يدخل من النيل نهر إلىٰ دار فرعون.

﴿فَٱقۡذِفِيهِ فِي ٱلۡيَمِّ﴾: النيل.

﴿فَلۡيُلۡقِهِ ٱلۡيَمُّ بِٱلسَّاحِلِ﴾: الجانب، وسمي ساحلًا لأنَّ الماء يسحله، أي: يقشره ﴿يَأۡخُذۡهُ عَدُوّٞ لِّي وَعَدُوّٞ لَّهُۥۚ﴾: وهو فرعون، والهاءات كلها لموسىٰ أحب إلي، وهذا إخبار لأم موسىٰ بصيغة الأمر لليم، فألقته فيه فدخل دار فرعون، فبصر به وأمر بإخراجه فأخرج، أو قذفه الماء ففتحوا التابوت، فإذا فيه صبي أحسن الناس وجهًا، فأخذه فرعون وأحبه هو وآسية حبًّا شديدًا بحيث لا يصبران عنه.

يصدق ذلك قوله: ﴿وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّى﴾.

ابن عباس: أحبّه وحببه إلىٰ الناس.

قتادة: كان في عينيه ملاحة ما رآها أحد إلا أحبه.

والواو بعد عاطفة علىٰ محذوف، تقديره: ألقيت عليك محبة [مني][1] لتحب ﴿وَلِتُصْنَعَ﴾ لتربىٰ ﴿عَلَىٰ عَيْنِىٓ﴾ علىٰ حفظي ورعايتي إياك في جميع الأحوال.

وقرئ: «ولتصنع» بكسر اللام وسكونها مع الجزم، فلفظه أمر، وبفتح التاء والنصب، أي: لتعمل أنت، لا وقف هنا إن أبدلت «إذ» بعد من «إذ» قبل، أو علقتها بـ«ألقيت» أو بـ«لتصنع»، ويكفي إن أضمرت فعلًا ـ أي: اذكر.

﴿إِذْ تَمْشِىٓ أُخْتُكَ﴾: لأنَّ أخته مريم خرجت متعرفة خبره فجاءتهم وكان لا يقبل ثدي مرضعة ـ فقالت: ﴿هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَن يَكْفُلُهُۥ﴾: من المراضع بأن تضمه إليها ويقبل ثديها؟ قالوا: نعم من هي؟ قالت: أمي، قالوا: لها لبن؟ قالت: نعم لبن أخي هارون، فقبل ثديها.

﴿وَلَا تَحْزَنَ﴾: ليزول حزنها.

﴿وَقَتَلْتَ نَفْسًا﴾: هو القبطي، فاغتممت خوفًا من الله تعالىٰ، أو من اقتصاص فرعون.

﴿فَنَجَّيْنَٰكَ مِنَ ٱلْغَمِّ﴾: بأن [غفرت][2] لك [وأنجيتك][3] من فرعون.

﴿وَفَتَنَّٰكَ فُتُونًا﴾: (كـا) مصدر، أي: اختبرناك اختبارًا بإيقاعك في المحن وتخليصك منها.

وقرئ: (فتّناك)[4] مشددًا.

---

(١) سقط من ج، والمثبت من أ، ب.

(٢) في أ، ب: غفر، والمثبت من ج.

(٣) في جـ: وأنجيت، والمثبت من أ، ب .

(٤) سقط من أ، ب والمثبت من ج.

فبعد خروجه من مصر هاربًا أقام ﴿فِيٓ أَهۡلِ مَدۡيَنَ﴾: عند شعيب، وهب: لبث عنده ثماني وعشرين سنة، عشر [منها][(١)] مهر ابنته، وأقام عنده ثماني عشرة حتىٰ ولد له.

﴿ثُمَّ جِئۡتَ عَلَىٰ قَدَرٖ﴾: موعد مقدر في علمي ﴿يَٰمُوسَىٰ﴾: (كا) أنك تجيء وأستنبئك فيه، وكان مجيئه علىٰ رأس أربعين سنة.

﴿وَٱصۡطَنَعۡتُكَ﴾: أي: اصطفيتك ﴿لِنَفۡسِي﴾ بأن جعلتك نبيًّا.

﴿ ٱذۡهَبۡ أَنتَ وَأَخُوكَ بِـَٔايَٰتِي وَلَا تَنِيَا فِي ذِكۡرِي ﴿٤٢﴾ ٱذۡهَبَآ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُۥ قَوۡلٗا لَّيِّنٗا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوۡ يَخۡشَىٰ ﴿٤٤﴾ قَالَا رَبَّنَآ إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفۡرُطَ عَلَيۡنَآ أَوۡ أَن يَطۡغَىٰ ﴿٤٥﴾ قَالَ لَا تَخَافَآۖ إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسۡمَعُ وَأَرَىٰ ﴿٤٦﴾ فَأۡتِيَاهُ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرۡسِلۡ مَعَنَا بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَلَا تُعَذِّبۡهُمۡۖ قَدۡ جِئۡنَٰكَ بِـَٔايَةٖ مِّن رَّبِّكَۖ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىٰ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلۡهُدَىٰٓ ﴿٤٧﴾ ﴾

﴿ٱذۡهَبۡ أَنتَ وَأَخُوكَ﴾ هارون إلىٰ الناس ﴿بِآيَاتِي﴾: التسع، ﴿وَلَا تَنِيَا﴾: وقرئ بكسر التاء اتباعًا، أي: لا تفترا ولا تقصرا ﴿فِي ذِكۡرِي﴾: بالتسبيح والتقديس والالتجاء إليَّ، أو لا أزال علىٰ ذكر منكما؛ فذلك ينجيكما.

﴿إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ﴾: بادعائه الربوبية.

﴿قَوۡلٗا لَّيِّنٗا﴾: سهلًا، أي الطفا به ولا تعنفاه وكلماه برفق، ولا تجبهاه وكنياه؛ لما له من حق التربية، وكان يكنىٰ بأبي مصعب، وهكذا ينبغي أن يكون كل هادٍ، أو قولا له: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، أو عداه بدوام ملكه وشبابه ولذة المطعم والمشرب مدة عمره، وإذا مات دخل الجنة، فأعجبه ذلك ﴿لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ﴾: يتعظ ﴿أَوۡ يَخۡشَىٰ﴾: (كا) الله، قالوا: فتذكر فرعون وخشي.

وروي أنَّه أحب اتباع موسىٰ، فشاور هامان فقال: كنت أرىٰ أنَّ لك رأيًا وعقلًا، أنت الآن رب، تريد أن تكون مربوبًا، وأنت الآن تُعبد تريد [ق/ ١٧٥ جـ]

(١) سقط من ج والمثبت من أ، ب.

أن تَعبد، لا أحب الوقف من ﴿يَمُوسَىٰ﴾ إلىٰ هنا.

القراءة: ﴿أَن يَفْرُطَ عَلَيْنَآ﴾: بضم الراء، وقرئ بفتحها لغتان من «فرط» عاجل بالعقوبة، وأصله التقدم، ومنه: «**أنا فرطكم علىٰ الحوض**»[1]، وجميع المستعمل من «ف ر ط» وتعكيسه يشمله معنىٰ القوة والبطش، وقرئ بضم الياء وفتح الراء، وبضم الياء وكسر الراء من الإفراط.

﴿أَوْ أَن يَطْغَىٰ﴾: (حس) في الإساءة إلينا ويستعصي علينا، المعنىٰ: نخاف العجز عن تبليغ الرسالة.

﴿قَالَ لَا تَخَافَآ إِنَّنِي مَعَكُمَآ﴾: بعوني أسمع ما يقول لكما ﴿وَأَرَىٰ﴾: ما يصدر منه.

﴿فَأْتِيَاهُ فَقُولَآ﴾ فأتياه فقالا: ﴿إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾: إلىٰ الشام.

﴿وَلَا تُعَذِّبْهُمْ﴾ بأشغالك الشاقة.

ثم فسرا ﴿إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ﴾: الجملة بقوله: ﴿قَدْ جِئْنَٰكَ بِـَٔايَةٍ﴾: حجة علىٰ صدقنا ﴿مِّن رَّبِّكَ﴾ (حس)؛ لأنَّ الرسالة لا تثبت إلا بحجة ظاهرة، ووحد آية وإن جاء بآيتين؛ لأنَّ بهما قامت الحجة، فهما في حكم المفرد.

﴿وَٱلسَّلَٰمُ﴾ المنجي من سخط الله تعالىٰ ﴿عَلَىٰ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلْهُدَىٰٓ﴾ (حس) التوحيد.

﴿إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَآ أَنَّ ٱلْعَذَابَ عَلَىٰ مَن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿٤٨﴾ قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَٰمُوسَىٰ ﴿٤٩﴾ قَالَ رَبُّنَا
ٱلَّذِيٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ﴿٥٠﴾ قَالَ فَمَا بَالُ ٱلْقُرُونِ ٱلْأُولَىٰ ﴿٥١﴾ قَالَ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي فِي كِتَٰبٍ
لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى ﴿٥٢﴾ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ
مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّن نَّبَاتٍ شَتَّىٰ ﴿٥٣﴾ كُلُوا۟ وَٱرْعَوْا۟ أَنْعَٰمَكُمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ لِّأُو۟لِي ٱلنُّهَىٰ ﴿٥٤﴾﴾

(١) أخرجه البخاري (٦٢٠٥)، ومسلم (٢٢٩٧) من حديث ابن مسعود رضي الله عنه.

﴿وأَنَّ ٱلْعَذَابَ عَلَىٰ مَن كَذَّبَ﴾: [ق/ ٢٤٥ب] بما جئنا به ﴿وَتَوَلَّىٰ﴾ (حس) أعرض عنه.

خاطبهما أولًا ثم خص موسىٰ بالنداء، فقال: ﴿فَمَن رَّبُّكُمَا يَٰمُوسَىٰ﴾: لأنَّه الأصل وهارون تابع، أو أراد موسىٰ وهارون فحذفه اختصارًا.

﴿قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَىْءٍ﴾: من الخلق مفعول أول ﴿خَلْقَهُۥ﴾: مفعول ثان، أي: صورته التي خُلق عليها التي يقتضيها بالحكمة كالعين والأنف والرجل وغيرها، لا يشاركه فيها غير جنسه.

المعنىٰ: خص كل حيوان بشكله، أو «خلقه» المفعول الأول، والثاني «كل شيء».

المعنىٰ: أعطىٰ [خليقته][(١)] كل شيء ينتفعون به، أو أعطىٰ كل حيوان زوجة مثله.

﴿ثُمَّ هَدَىٰ﴾: (كا) كل شيء إلىٰ مصلحته من مأكله ومشربه ومنكحه وغير ذلك، وهذا القول إيماء من موسىٰ إلىٰ الاستدلال علىٰ معرفة الله تعالىٰ.

ولمَّا كان قول فرعون: ﴿فَمَا بَالُ ٱلْقُرُونِ ٱلْأُولَىٰ﴾: (كا) سؤالًا عن حال الأمم الماضية، أو عن القيامة؛ لأنَّه كان قد سئل عن البعث، وعلم ذلك يتعلق بعلم الغيب، بيَّن موسىٰ ﷺ أنَّه لا يعلم الغيب، وأنَّه عبد لا يعلم إلا ما عُلِّم، وإنما ذلك مختص بالله تعالىٰ، فقال: ﴿عِلْمُهَا﴾: محفوظ مبتدأ خبره ﴿عِندَ رَبِّى﴾، فمحل: ﴿فِى كِتَٰبٍ﴾ - أي: اللوح - حال من الضمير في «عند».

ومحل ﴿لَّا يَضِلُّ رَبِّى﴾ :عن شيء ولا يغيب عنه شيء ﴿وَلَا يَنسَى﴾: شيئًا ما جر صفة «كتاب».

وقرئ بفتح الضاد، و«يضل» من «أضل».

---

(١) سقط من ج والمثبت من أ، ب.

تلخيصه: لا يعزب عنه شيء، ولا وقف هنا إن جعلت ما بعد بدلًا من «ربي» أو صفته، ويحسن إن رفعته أو نصبته مدحًا.

القراءة: ﴿مَهْدًا﴾: بغير ألف هنا والزخرف مصدر وصف به، أو تقديره: ذات مهد لكم ولمصالحكم كالمهد للصبي، ومهادًا كالبساط والفراش وزنًا ومعنىٰ، أو هما لغتان لمَّا يبسط ويُفرش، المعنىٰ: وطَّأَ لكم الأرض؛ لتسكنوها.

﴿وَسَلَكَ﴾: [أي:][1] دخل وسهل ﴿لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا﴾: طرقًا لتسلكوها.

﴿فَأَخْرَجْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا﴾: أصنافًا ﴿مِّن نَّبَاتٍ﴾: مصدر سمي به النبت، يعم الواحد والجمع والذكر والأنثىٰ.

﴿شَتَّىٰ﴾: (حس) مختلفة جمع شتيت كمرضىٰ جمع مريض، فبعضه يصلح للأناسي وبعضه للبهائم، لا أحب الوقف من «الأولىٰ» إلىٰ هنا.

ومحل ﴿كُلُواْ﴾ من النبات ﴿وَٱرْعَوْاْ أَنْعَٰمَكُمْ﴾: أسيموها فيه، حال من ضمير «أخرجنا»، أي: أخرجنا مبيحين لكم الأكل ورعي الدواب.

﴿لِّأُوْلِي ٱلنُّهَىٰ﴾ (حس) لأصحاب العقول جمع نهية؛ لأنَّها تنهىٰ صاحبها عن القبيح، أو هم أهل الورع، أو لا واحد لها، ولا أحب الوقف من «شتىٰ» إلىٰ هنا، ثم عرفهم أنَّ الأرض أصلهم ومصيرهم، فقال:

﴿ ۞ مِنْهَا خَلَقْنَٰكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ ﴿٥٥﴾ وَلَقَدْ أَرَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا كُلَّهَا فَكَذَّبَ وَأَبَىٰ ﴿٥٦﴾ قَالَ أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿٥٧﴾ فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِّثْلِهِۦ فَٱجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَّا نُخْلِفُهُۥ نَحْنُ وَلَآ أَنتَ مَكَانًا سُوًى ﴿٥٨﴾ قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ ٱلزِّينَةِ وَأَن يُحْشَرَ ٱلنَّاسُ ضُحًى ﴿٥٩﴾ ﴾

﴿مِنْهَا خَلَقْنَٰكُمْ﴾: لأنَّكم من آدم، وآدم من التراب.

﴿وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ﴾: مقبورين بعد الموت ﴿وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ﴾: عند البعث

(١) سقط من أ، ب والمثبت من ج.

﴿تَارَةً أُخْرَىٰ﴾: (تا) كما أخرجناكم عند ابتداء خلقكم.

﴿وَلَقَدْ أَرَيْنَٰهُ﴾: أي: فرعون ﴿آيَاتِنَا﴾: التسع ﴿كُلَّهَا فَكَذَّبَ﴾ بها ﴿وَأَبَىٰ﴾: [(كا)][(١)] الإسلام ﴿لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا﴾ مصر .

﴿بِسِحْرِكَ يَٰمُوسَىٰ ۝٥٧ فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِّثْلِهِۦ﴾ أي: بسحر يماثله.

القراءة: ﴿مَوْعِدًا لَّا نُخْلِفُهُۥ﴾: رفعًا، وقرئ جزمًا جواب الأمر، و﴿مَوْعِدًا﴾ مصدر بمعنىٰ الوعد، وفي الكلام حذف، أي: مكان وعد، والضمير في ﴿نُخْلِفُهُۥ﴾ [للموعد][(٢)] و﴿مَكَانًا﴾ بعد بدل من المكان المحذوف، أو ظرف للموعد إذا جعلته مصدرًا ولم تجعل في الكلام حذفًا، أو بفعل يدل عليه المصدر، وأبا بعضهم نصب مكانًا بالمصدر؛ لأنَّه موصوف.

المعنىٰ: اجعل بيننا وبينك مكانًا لا نتخلف عن الحضور فيه.

﴿نَحْنُ وَلَآ أَنتَ مَكَانًا سُوًى﴾: (كا) يستوي طرفاه علىٰ الفريقين، فعل من التسوية.

القراءة بضم السين وكسرها لغتان، وقرئ بترك صرفه، أجرىٰ الوصل مجرىٰ الوقف، أو شبهت ألفها بألف التأنيث وهو نعت لمكانًا.

تلخيصه: نتواعد مكانًا تستوي مسافته علىٰ الفريقين.

﴿قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ﴾: مبتدأ وخبر، سألوا عن المكان فأجابهم بالزمان؛ لأنَّ الحضور في الزمان يتضمن المكان.

وقرئ بنصب يوم ﴿ٱلزِّينَةِ﴾: ظرفًا، فيكون موعد مصدرًا والظرف خبرًا عنه، أي: موعدكم واقع يوم الزينة، ويوم الزينة عيد كان لهم يتزينون ويجتمعون فيه كل سنة، أو هو يوم النيروز، أو يوم عاشوراء.

---

(١) سقط من ج والمثبت من أ، ب.

(٢) سقط من ج والمثبت من أ، ب.

ومحل ﴿وَأَن يُحْشَرَ ٱلنَّاسُ﴾: وقرئ بالنون ونصب الناس، وبالياء والتاء مفتوحتين، ونصب الناس رفع أو جر عطف علىٰ «يوم» علىٰ القراءة، أو علىٰ الزينة، المعنىٰ: نجمع الناس.

﴿ضُحًى﴾: (كا) ضحوة؛ ليكون أبعد من الريبة وأبين لكشف الحق.

﴿ فَتَوَلَّىٰ فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُۥ ثُمَّ أَتَىٰ ﴿٦٠﴾ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰ وَيْلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُم بِعَذَابٍ ۖ وَقَدْ خَابَ مَنِ ٱفْتَرَىٰ ﴿٦١﴾ فَتَنَٰزَعُوٓا۟ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ وَأَسَرُّوا۟ ٱلنَّجْوَىٰ ﴿٦٢﴾ قَالُوٓا۟ إِنْ هَٰذَٰنِ لَسَٰحِرَٰنِ يُرِيدَانِ أَن يُخْرِجَاكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ ٱلْمُثْلَىٰ ﴿٦٣﴾ فَأَجْمِعُوا۟ كَيْدَكُمْ ثُمَّ ٱئْتُوا۟ صَفًّا ۚ وَقَدْ أَفْلَحَ ٱلْيَوْمَ مَنِ ٱسْتَعْلَىٰ ﴿٦٤﴾ ﴾

﴿فَجَمَعَ كَيْدَهُۥ﴾: حيله وسحرته، وكانوا اثنين وسبعين، أو أربعمائة، أو اثني عشر ألفًا، أو سبعين ألفًا مع كل واحد عصا.

﴿ثُمَّ أَتَىٰ﴾: (حس) الموعد.

القراءة: ﴿فَيُسْحِتَكُم﴾: نصب جواب «النهي» بضم الياء وكسر الحاء، وبفتحهما سحت وأسحت لغتان بمعنىٰ الإعدام، المعنىٰ: قال لهم موسىٰ لا تكذبوا علىٰ الله تعالىٰ، فيهلككم.

﴿بِعَذَابٍ ۖ﴾: (حس) عظيم.

﴿وَقَدْ خَابَ مَنِ ٱفْتَرَىٰ﴾: (كا) علىٰ الله تعالىٰ، وكأن السحرة قالوا بينهم: إن كان ساحرًا سنغلبه، وإن كان ما يأتي به من السماء، فله أمره، أو قالوا: إن غلبنا موسىٰ اتبعناه، أو لمَّا سمعوا قول موسىٰ قالوا: ما هذا ساحر.

﴿وَأَسَرُّوا۟ ٱلنَّجْوَىٰ﴾: (كا) التي كانوا تناجوها بينهم خوفًا من فرعون، أو من موسىٰ وأخيه، أو أسروا أظهروا نجواهم التي كانوا تناجوها بينهم في قهر موسىٰ، والنجوىٰ تكون اسمًا ومصدرًا.

القراءة بتخفيف ﴿إِنْ﴾ ورفع ﴿هَٰذَٰنِ﴾ ابتداءً، وبتشديدها ونصب «هذين»،

زعموا أنَّه مخالف لخط المصحف، وزعم بعضهم أنَّ ما حمله علىٰ ذلك خشية اللحن، وهذا طعن في عدالة أبي عمرو وعلمه؛ لأنَّه هو الذي قرأها؛ لأنَّ هذا يشعر أنَّه قرأها من تلقاء نفسه لم يأخذها متواترة عن النبي ﷺ، وأنَّه غير عالم بتعليل (إنَّ هَٰذَانِ) بالرفع وتشديد «إنَّ»، وكيف يجوز اعتقاد مثل هذا بمن شهد له بالعدالة والبراعة في علم العربية حتىٰ زعموا أنَّه قال: إني لأستحي من الله أن أقرأ (إنَّ هذان) يعنون بالرفع وتشديد «إنّ»، وكيف يجوز أن يعتقد بأحد من المسلمين أنَّه يستحي من قراءة ما صح وتواتر عن النبي ﷺ مع أنَّ أبا عمرو وغيره من الأئمة كانوا ينشدون ويسمعون الأشعار المنحولة والغريبة ولا يؤخذ ذلك عليهم.

وبتخفيف «إن» ونصب ﴿ هَٰذَيْنِ﴾؛ لأنَّ [منهم][(١)] من يعملها مخففة عملها مثقلة، وبتشديد «إن» ورفع ﴿هَٰذَانِ﴾ فتكون «إن» بمعنىٰ «نعم»، و﴿ هَٰذَانِ﴾ مبتدأ، و«ساحران» خبر مبتدأ محذوف، واللام داخلة علىٰ الجملة، تقديره هذان [لهما][(٢)] لساحران [ق/ ١٤٧أ]، أو «هذان» مبتدأ و﴿لَسَٰحِرَٰنِ﴾ [ق/ ٢٤٦ب] خبره واللام زائدة، أو علىٰ لغة من يجعل التثنية بألف علىٰ كل حال، وما نقل أنها لحن فلا اعتداد به؛ لأنَّه لم يصح، وهذه القراءة قد صحت وتواترت.

وقرئ: (النجوىٰ أنَّ هذان ساحران) بفتح أن مشددًا وحذف اللام، فهي بدل من «النجوىٰ»، فلا وقف علىٰ «النجوىٰ»، فعلىٰ قراءة التخفيف تكون اللام في ﴿لَسَٰحِرَٰنِ﴾ الفارقة بين الخفيفة والثقيلة، أو «أن» نافية واللام بمعنىٰ إلا.

وقرئ: (إن ذان إلا ساحران)، لا أحب الوقف علىٰ «النجوىٰ» إن جعلت ﴿قَالُوٓاْ إِنْ هَٰذَٰنِ لَسَٰحِرَٰنِ﴾ إلىٰ ﴿وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ﴾: بدينكم وشريعتكم ﴿ٱلْمُثْلَىٰ﴾: الصالحة تأنيث الأمثل تفسيرًا للنجوىٰ، أو الطريقة السيد، يقال: هو طريقة قومه، أي: يذهبا بسادتكم بأن يسلموا، أو المراد أهل طريقتكم وهم بنو

---

(١) سقط من ج والمثبت من أ، ب.

(٢) سقط من ج والمثبت من أ، ب.

إسرائيل؛ لأنَّ موسىٰ كان يريد إخراجهم من مصر.

القراءة: ﴿فَأَجْمِعُواْ كَيْدَكُمْ﴾: بألف وصل وفتح الميم من جمع لَـمَّ، وبألف قطع [وكسر الميم][1] من جمع أحكم، أي: احكموا ما تكيدون به موسىٰ، أو جمع وأجمع واحد بمعنىٰ عزم، المعنىٰ: اعزموا علىٰ إهلاك موسىٰ.

﴿ثُمَّ ائْتُوا صَفًّا﴾: (كا) حال [ق/ ١٧٦ جـ]مصطفين، أو صفًّا مجمعًا، فانتصابه مفعول به، أي: جيئوا الموعد، فجاؤوه في سبعين صفًا، كل صف ألف، فثمَّ رغبهم فرعون في غلب موسىٰ بما هو اعتراض، فقال: ﴿وَقَدْ أَفْلَحَ ٱلْيَوْمَ مَنِ ٱسْتَعْلَىٰ﴾: (كا) غلب، فتأدب السحرة بقولهم:

﴿قَالُواْ يَٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ أَن تُلْقِيَ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَىٰ ﴿٦٥﴾ قَالَ بَلْ أَلْقُواْۖ فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ ﴿٦٦﴾ فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِۦ خِيفَةً مُّوسَىٰ ﴿٦٧﴾ قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٦٨﴾ وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوٓاْۖ إِنَّمَا صَنَعُواْ كَيْدُ سَٰحِرٖۖ وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ ﴿٦٩﴾ فَأُلْقِيَ ٱلسَّحَرَةُ سُجَّدٗا قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ هَٰرُونَ وَمُوسَىٰ ﴿٧٠﴾﴾

﴿يَٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ أَن تُلْقِيَ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَىٰ﴾: (كا) عصاه.

ومحل «أن» رفع خبر مبتدأ، أو نصب بمضمر، أي: اختر أحد الأمرين، وهكذا ينبغي أن يتأدب كل طالب حق مع خصمه؛ ليظهر الحق بينهما، فتأدب معهم موسىٰ.

فقال: ﴿بَلْ أَلْقُواْۖ﴾: ما معكم احتقارًا بهم، وليظهر الحق [بينهما][2] من الباطل، فألقوه ﴿فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ﴾:وقرئ بضم العين علىٰ الأصل.

القراءة: ﴿يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ﴾: بتاء مضمومة وفتح الياء لتأنيث جماعة الحبال والعصي، فقوله: ﴿أَنَّهَا تَسْعَىٰ﴾: (كا) رفع بدل اشتمال من ضمير ﴿يُخَيَّلُ﴾ وبالياء أيضًا مذكرًا للفصل بين الفعل وفاعله، أو الضمير للسحر فإنَّها تسعىٰ بدل

---

(١) سقط من أ، ب والمثبت من ج.

(٢) سقط من أ، ب والمثبت من ج.

أيضًا، وقرئ بفتح التاء، أي: تتخيل فحذفت التاء، وبضمها وكسر الياء، أي: تُخيل هي، وبالنون إخبارًا عن الله تعالىٰ.

روي أنهم ألقوا حبالهم وعصيهم فخيل إلىٰ موسىٰ أنها تسير وتضطرب؛ مِحنةً وإظهارًا للعجز.

وروي أنهم لطخوها بالزئبق وألقوها في الشمس، فخيل ذلك.

﴿فَأَوۡجَسَ﴾: فأضمر ﴿فِي نَفۡسِهِۦ خِيفَةٗ مُّوسَىٰ﴾: (كا) ظنًا منه أنها تقصده كعادة البشر، يؤكده قوله: ﴿فِي نَفۡسِهِۦ﴾: أي: هو من خطرات النفس دون القلب، وذلك لا يكاد ينفك عنه بشر، أو خاف أن يتفرق الناس بعد مشاهدة الحيّات قبل أن يؤمر بإلقاء العصا، فيضلوا ولا تثبت معجزة.

﴿قُلۡنَا لَا تَخَفۡ﴾: (حس) وأراه كافيًا؛ لأنَّ ﴿إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡأَعۡلَىٰ﴾: (كا) الغالب القاهر لهم استئناف مؤكد عدم خوفه، فلولا أنَّ الكلام صادر من جهة واحدة لكان حسنًا.

القراءة: ﴿تَلۡقَفۡ﴾ رفعًا مخففًا؛ لأنَّه حال مقدرة من موسىٰ أو العصىٰ، وجزمًا مشددًا ومخففًا جواب «وألق» فالفاعل موسىٰ نسب إليه التلقف؛ لأنَّه كان بسببه، أو ضمير: (كا) وأنث لرجوعه إلىٰ العصا، فالتشديد من تلقف أخذ، والتخفيف من لقف بمعناه.

وقرئ: تلقم.

﴿مَا صَنَعُوٓاْۖ﴾ (حس).

القراءة: ﴿إِنَّمَا صَنَعُواْ كَيۡدُ﴾: مكر ﴿سَٰحِرٖۖ﴾: (حس) بغير ألف، أي: كيد ذي سحر، وهو من إضافة الجنس إلىٰ النوع؛ تبيينًا، ويجوز أنهم سموا سحرًا لكثرة ملابستهم إياه، وبألف والدال مضمومة علىٰ القراءتين فـ«ما» موصولة، أو مصدرية، وقرئ بنصب الدال فـ«ما» كافة.

﴿وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ﴾: المراد: الجنس.

﴿حَيْثُ أَتَىٰ﴾: (كا) من الأرض أو احتال.

﴿فَأُلْقِيَ ٱلسَّحَرَةُ سُجَّدًا﴾ شكرًا لله تعالىٰ علىٰ الهداية.

روي أنهم رأوا الجنة ومنازلهم فيها في سجودهم، ثم رفعوا رؤوسهم قائلين: ﴿ءَامَنَّا بِرَبِّ هَٰرُونَ وَمُوسَىٰ﴾: (كا).

﴿قَالَ ءَامَنتُمْ لَهُۥ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ ۖ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِى عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ ۖ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِى جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَآ أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَىٰ ﴿٧١﴾ قَالُوا۟ لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلَّذِى فَطَرَنَا ۖ فَٱقْضِ مَآ أَنتَ قَاضٍ ۖ إِنَّمَا تَقْضِى هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَآ ﴿٧٢﴾ إِنَّآ ءَامَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَٰيَٰنَا وَمَآ أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ ٱلسِّحْرِ ۗ وَٱللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ﴿٧٣﴾ إِنَّهُۥ مَن يَأْتِ رَبَّهُۥ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُۥ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ﴿٧٤﴾﴾

﴿إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ﴾: لسيدكم أو لمعلمكم ﴿ٱلسِّحْرَ﴾.

وقرئ: (لأقطعن) و(لأصلبن) مخففًا، و(من) في ﴿مِّنْ خِلَٰفٍ﴾ لابتداء الغاية؛ لأنَّ القطع مبتدأ من مخالفة العضو، ومحله نصب حال وجاء بـ«في» ﴿فِى جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ﴾: لتمكن المصلوب بالخشبة تمكن المظروف في الظرف.

﴿وَأَبْقَىٰ﴾: (تا) أدوم عذابي أوعذاب رب موسىٰ، لا أحب الوقف من (موسىٰ) إلىٰ هنا.

﴿لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ﴾ :[الدالة][1] علىٰ صدق موسىٰ.

﴿وَٱلَّذِى فَطَرَنَا﴾: قسمًا، أو محل الذي جر عطف ، المعنىٰ: لن نختارك علىٰ الذي جاءنا، ولا علىٰ الذي خلقنا.

و«ما» موصولة في ﴿مَآ أَنتَ قَاضٍ﴾: أي: اصنع الذي عزمت عليه، أو زمانية أي: اصنع أمرك مدة ما أنت صانع.

---

(١) في ج: الدلالات والمثبت من أ، ب.

القراءة: ﴿هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَآ﴾: نصبًا بـ﴿نَقْضِى﴾، أو ظرفًا والمفعول محذوف، وقرئ: «تُقضىٰ» مجهولًا ورفع الحياة.

تلخيصه: إنما تحكم فينا مدة حياتنا، فلا جزع لأنَّا ﴿ءَامَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَٰيَٰنَا﴾.

ولمَّا رأوا موسىٰ تحرسه عصاه وهو نائم قالوا: ليس بساحر؛ لأنَّ الساحر يبطل سحره إذا نام، فكرهوا معارضته خوف الفضيحة، أو خوفًا من الله تعالىٰ، فأكرههم فرعون علىٰ الإتيان بالسحر.

و«ما» في ﴿وَمَآ أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ﴾: موصولة منصوبة عطف علىٰ خطايانا، أي: يغفر خطايانا والذي أكرهتنا عليه، أو رفع مبتدأ محذوف الخبر، أي: والذي أكرهتنا عليه مغفور.

ومحل ﴿مِنَ ٱلسِّحْرِ﴾ علىٰ التقديرين حال من «ما»، أو «ما» نافية، تقديره: ليغفر لنا خطايانا من السحر، ولم تكرهنا عليه.

﴿وَٱللَّهُ خَيْرٌ﴾: عطاءً منك إذا أطيع ﴿وَأَبْقَىٰٓ﴾: عقابًا منك إذا عصي، يحسن الوقف هنا إن جعلت ﴿إِنَّهُۥ مَن يَأْتِ﴾ استئناف كلام من الله تعالىٰ، ولا يجوز اختيارًا إن جعلته [من جملة][1] كلام السحرة ﴿وَلَا يَحْيَىٰ﴾: [(كـا)][2] حياة ينتفع بها.

﴿وَمَن يَأْتِهِۦ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلدَّرَجَٰتُ ٱلْعُلَىٰ ﴿٧٥﴾ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ مَن تَزَكَّىٰ ﴿٧٦﴾ وَلَقَدْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِى فَٱضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِى ٱلْبَحْرِ يَبَسًا لَّا تَخَٰفُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَىٰ ﴿٧٧﴾ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِۦ فَغَشِيَهُم مِّنَ ٱلْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ ﴿٧٨﴾ وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُۥ وَمَا هَدَىٰ ﴿٧٩﴾﴾

(١) سقط من ج والمثبت من أ، ب.

(٢) سقط من ج والمثبت من أ، ب.

القراءة: ﴿وَمَن يَأْتِهِۦ مُؤْمِنًا﴾: باختلاس كسرة الهاء وبإسكانها وإشباعها لغات كلها.

﴿جَنَّٰتُ عَدْنٍ﴾: بدل من الدرجات.

﴿خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ﴾: (تا).

﴿تَزَكَّىٰ﴾: (تا) تطهر من الذنوب كلها، أو قال: لا إله إلا الله.

﴿فَٱضْرِبْ﴾: فاجعل ﴿لَهُمْ طَرِيقًا﴾: أو فـ«اضرب» مكان طريق.

﴿فِى ٱلْبَحْرِ يَبَسًا﴾ ناشفًا مصدر وصف به، أي: ذا يبس.

وقرئ: (يبسًا) صفة بمعنىٰ يابس، أو جمع يابس كصاحب وصحب، وقرئ: (يابسًا).

القراءة: ﴿لَّا تَخَٰفُ دَرَكًا﴾ رفعًا حال من «موسىٰ»، أو مستأنف فتقف علىٰ «يبسًا».

﴿وَلَا تَخْشَىٰ﴾: (تا) عطف علىٰ ﴿تَخَٰفُ﴾ أو ﴿لَّا تَخَٰفُ﴾ جزمًا جواب ﴿فَٱضْرِبْ﴾، ﴿وَلَا تَخْشَىٰ﴾ رفع في محل حال، أو فأنت لا تخشىٰ.

وقرئ بسكون الراء، وزعم بعضهم أنَّ «تخشىٰ» علىٰ قراءة الجزم مجزوم وألفه ألف إطلاق لأجل الفواصل [ق/ ٢٤٧ب] وأراه قولًا فاسدًا؛ لأنَّ ذلك إنما يكون في محل الضرورات.

تلخيصه: لا تدرك وأنت آمن.

ومحل ﴿بِجُنُودِهِۦ﴾: حال، والتقدير: فأتبعهم فرعون نكالة ومعه جنوده.

وقرئ: «فاتَّبَعهم» مشددًا.

﴿فَغَشِيَهُم﴾: فغطاهم ﴿مِّنَ ٱلْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ﴾: هو غضب الله تعالىٰ عليهم وعقابه إياهم.

وقرئ: «فغشَّاهم»، «ما غشَّاهم» مشددًا فيهما الفاعل الله تعالىٰ أو اليم أو

فرعون؛ لأنَّه هو الذي أضل ﴿قَوْمَهُۥ وَمَا هَدَىٰ﴾: (تا).

﴿ يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ قَدۡ أَنجَيۡنَٰكُم مِّنۡ عَدُوِّكُمۡ وَوَٰعَدۡنَٰكُمۡ جَانِبَ ٱلطُّورِ ٱلۡأَيۡمَنَ وَنَزَّلۡنَا عَلَيۡكُمُ ٱلۡمَنَّ وَٱلسَّلۡوَىٰ ﴿٨٠﴾ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ وَلَا تَطۡغَوۡاْ فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيۡكُمۡ غَضَبِيۖ وَمَن يَحۡلِلۡ عَلَيۡهِ غَضَبِي فَقَدۡ هَوَىٰ ﴿٨١﴾ وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ثُمَّ ٱهۡتَدَىٰ ﴿٨٢﴾ ﴾

﴿وَٱلسَّلۡوَىٰ﴾ (حس) **القراءة**: «أنجيتكم» و«وعدتكم» و «رزقتكم» بتاء في الثلاثة بغير ألف موحد، أو بنون وألف جمعًا.

وقرئ: «الطور الأيمن» جرًّا، زعموُا علىٰ المجاورة.

تلخيصه: أحسنت إليكم.

﴿وَلَا تَطۡغَوۡاْ فِيهِ﴾ في إحساني إليكم، وقرئ: ﴿تَطۡغَوۡاْ ﴾ من طغا يطغو.

القراءة: ﴿فَيَحِلَّ عَلَيۡكُمۡ غَضَبِيۖ﴾: (كا) بضم الحاء.

﴿وَمَن يَحۡلِلۡ﴾ بضم اللام الأولىٰ من الحلول النزول، وبكسرها من الوجوب، أي: من وجب.

﴿عَلَيۡهِ غَضَبِي فَقَدۡ هَوَىٰ﴾: (تا) سقط في النار وهلك.

﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ﴾: من الشرك.

﴿وَعَمِلَ صَٰلِحًا﴾ أدىٰ الفرائض ﴿ثُمَّ ٱهۡتَدَىٰ﴾: (تا) استقام علىٰ ذلك ولزمه حتىٰ الموت، أو اهتدىٰ إلىٰ محبة أهل البيت بشرط محبة جميع الصحابة، لمَّا سار موسىٰ بسبعين رجلًا لمناجاة ربه وللإتيان بالتوراة، فلمَّا قرب من الطور أسرع المسير نحوه، شوقًا إلىٰ مناجاة ربه.

﴿ ۞ وَمَآ أَعۡجَلَكَ عَن قَوۡمِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿٨٣﴾ قَالَ هُمۡ أُوْلَآءِ عَلَىٰٓ أَثَرِي وَعَجِلۡتُ إِلَيۡكَ رَبِّ لِتَرۡضَىٰ ﴿٨٤﴾ قَالَ فَإِنَّا قَدۡ فَتَنَّا قَوۡمَكَ مِنۢ بَعۡدِكَ وَأَضَلَّهُمُ ٱلسَّامِرِيُّ ﴿٨٥﴾ فَرَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ غَضۡبَٰنَ أَسِفٗاۚ قَالَ يَٰقَوۡمِ أَلَمۡ يَعِدۡكُمۡ رَبُّكُمۡ وَعۡدًا حَسَنًاۚ أَفَطَالَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡعَهۡدُ أَمۡ أَرَدتُّمۡ أَن يَحِلَّ عَلَيۡكُمۡ غَضَبٞ مِّن رَّبِّكُمۡ فَأَخۡلَفۡتُم مَّوۡعِدِي ﴿٨٦﴾ ﴾

فقال تعالىٰ: ﴿وَمَآ أَعۡجَلَكَ﴾: مبتدأ وخبر، أي: أي شيء أوجب سبقك وعجلتك.

﴿عَن قَوۡمِكَ يَٰمُوسَىٰ﴾: (كا) واقتضىٰ السؤال عن السبب السؤال عن العذر، فقدم العذر اعترافًا منه بالنقص تأدبًا مع الله تعالىٰ، وليكون آنس في محل الخطاب، فقال: ﴿هُمۡ أُوْلَآءِ﴾: بالقرب مني يأتون ﴿عَلَىٰٓ أَثَرِي﴾ عقيب مجيئي، ولم أتقدم إلا تقدمًا يسيرًا لا يعتد بمثله، ثم ذكر موجب العجلة، فقال: ﴿وَعَجِلۡتُ إِلَيۡكَ رَبِّ لِتَرۡضَىٰ﴾: (كا) لتزداد عني رضا، ولتظهر محبتي لك ظنًّا منه أنَّ إسراعه يوجب ذلك، في هذا دليل علىٰ جواز الاجتهاد عند من هو أعلم.

﴿قَدۡ فَتَنَّا قَوۡمَكَ﴾: بالعجل ﴿مِنۢ بَعۡدِكَ﴾: من بعد انطلاقك عنهم.

﴿وَأَضَلَّهُمُ ٱلسَّامِرِيُّ﴾: بصياغته [له][1]؛ لأنَّه كان سبب ذلك.

وقرئ بضم اللام تفضيلًا، أي: أشدهم ضلالًا؛ لأنَّه ضال مضل، وكان منافقًا من طائفة من بني إسرائيل يقال لها: السّامرة أظهر الإسلام.

﴿أَسِفٗاۚ﴾: (كا) شديد الغضب، أو حزينًا علىٰ ما فاته من المناجاة وإيمان قومه.

فقال لهم: ﴿أَلَمۡ يَعِدۡكُمۡ رَبُّكُمۡ وَعۡدًا حَسَنًاۚ﴾: (حس) مصدر مؤكد، أي: [صدقًا][2] وهو أربعون ليلة، أو أن يعطوا التوراة.

﴿أَفَطَالَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡعَهۡدُ﴾: أي: مدة ذهابي عنكم.

﴿أَمۡ أَرَدتُّمۡ أَن يَحِلَّ﴾: يجب ﴿عَلَيۡكُمۡ غَضَبٞ مِّن رَّبِّكُمۡ فَأَخۡلَفۡتُم مَّوۡعِدِي﴾: (حس) عهدي.

﴿ قَالُواْ مَآ أَخۡلَفۡنَا مَوۡعِدَكَ بِمَلۡكِنَا وَلَٰكِنَّا حُمِّلۡنَآ أَوۡزَارٗا مِّن زِينَةِ ٱلۡقَوۡمِ فَقَذَفۡنَٰهَا فَكَذَٰلِكَ أَلۡقَى ٱلسَّامِرِيُّ ﴿٨٧﴾ فَأَخۡرَجَ لَهُمۡ عِجۡلٗا جَسَدٗا لَّهُۥ خُوَارٞ فَقَالُواْ هَٰذَآ إِلَٰهُكُمۡ وَإِلَٰهُ مُوسَىٰ فَنَسِيَ ﴿٨٨﴾ أَفَلَا

(١) سقط من أ، ب والمثبت من ج.
(٢) سقط من ج والمثبت من أ، ب.

يَرَوۡنَ أَلَّا يَرۡجِعُ إِلَيۡهِمۡ قَوۡلٗا وَلَا يَمۡلِكُ لَهُمۡ ضَرّٗا وَلَا نَفۡعٗا ﴿٨٩﴾ وَلَقَدۡ قَالَ لَهُمۡ هَٰرُونُ مِن قَبۡلُ يَٰقَوۡمِ إِنَّمَا
فُتِنتُم بِهِۦۖ وَإِنَّ رَبَّكُمُ ٱلرَّحۡمَٰنُ فَٱتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوٓاْ أَمۡرِي ﴿٩٠﴾ قَالُواْ لَن نَّبۡرَحَ عَلَيۡهِ عَٰكِفِينَ حَتَّىٰ يَرۡجِعَ إِلَيۡنَا
مُوسَىٰ ﴿٩١﴾﴾

القراءة: ﴿بِمَلۡكِنَا﴾: بفتح الميم وكسرها وضمها لغات كلها بمعنىٰ القدرة، أو الضم مصدر ملك بَيّن الملك، والفتح والكسر مصدر مالك بين الملك.

الزجاج: بالضم السلطان والقدرة، وبالكسر ما حوته اليد، وبالفتح مصدر.

المعنىٰ: لم نخلف عهدك باختيارنا، ولكن غلبنا بسبب كيد السامري، أو المعنىٰ: لم يملك من لم يعبد العجل من عبده فيصده عنه.

القراءة: ﴿حُمِّلۡنَآ﴾:بضم الحاء وكسر الميم مشددًا مجهولًا، أي: حملنا غيرنا، وبفتحهما مخففًا، أي: حملنا نحن[ق/ ١٧٧ جـ] ﴿أَوۡزَارٗا﴾: حليًا ﴿مِّن زِينَةِ ٱلۡقَوۡمِ﴾: قوم فرعون، كانوا استفادوها منهم بعلة عرس فبقيت عندهم، أو قذف البحر حلي آل فرعون فأخذها بنو إسرائيل فبقيت غنيمة عندهم، وكانت الغنيمة لا تحل لهم، فحفروا حفيرة ليتركوها فيها إلىٰ عود موسىٰ، أو أوقدوا في الحفيرة نارًا.

﴿فَقَذَفۡنَٰهَا﴾: أي: أطرحنا الحلي في الحفيرة ﴿فَكَذَٰلِكَ﴾: أي ألقىٰ مثل إلقائهم ﴿أَلۡقَى ٱلسَّامِرِيُّ﴾: ما معه من الحلي، أو ألقىٰ ما معه من التراب الذي أخذه من أثر حافر فرس جبريل مع الحلي، وكان لا يخالط شيئًا إلا غيَّره، أو مر به هارون وهو يصوغ العجل فقال: ما تصنع؟ فقال: ما ينفع ولا يضر فادع لي، فقال: اللهم أعطه ما سألك علىٰ ما في نفسه.

﴿فَأَخۡرَجَ لَهُمۡ﴾: بسبب إلقائه التراب محنة وبلية ﴿عِجۡلٗا جَسَدٗا﴾: مجسدًا ﴿لَّهُۥ خُوَارٞ﴾: صوت يسمع ﴿فَقَالُواْ﴾: أي: السامري وأتباعه ﴿هَٰذَآ إِلَٰهُكُمۡ وَإِلَٰهُ مُوسَىٰ فَنَسِيَ﴾: (تا) [ق/ ١٤٨ أ]موسىٰ ربه هنا وذهب يطلبه، أو فنسي السامري إيمانه

فأقبلوا علىٰ عبادة العجل، [تلخيصه][(١)]: غلبنا بسبب كيد السامري.

القراءة: ﴿أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا﴾: برفع يرجع فـ«أن» مخففة من الثقيلة، وقرئ بنصبها فـ«أن» الناصبة للفعل ﴿وَلَا نَفْعًا﴾: (تا) المعنىٰ: هو عاجز عن الخطاب والضر والنفع، فكيف يُتخذ إلهًا، هذا غاية الجهل، فثَمَّ ﴿قَالَ لَهُمْ هَـٰرُونُ مِن قَبْلُ﴾ قبل أن يرجع إليهم موسىٰ، أو قبل قول السامري مقالته ﴿إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِۦ﴾: بالعجل، محنة واختبارًا، فلا تعبدوه ﴿وَإِنَّ رَبَّكُمُ ٱلرَّحْمَـٰنُ﴾: حقيقة ويقينًا.

وقرئ بفتح أنَّ ﴿وَأَطِيعُوٓا۟ أَمْرِى﴾: (كا) الذي آمركم به، فقالوا: لا نزال نعبده إلىٰ عود ﴿مُوسَىٰ﴾: (كا) فاعتزلهم هارون بمؤمنيه، وكان موسىٰ شديد الغضب في الله تعالىٰ، فلمَّا بصر بهارون أخذ شعره بيمينه ولحيته بشماله، وقال:

﴿قَالَ يَـٰهَـٰرُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوٓا۟ ﴿٩٢﴾ أَلَّا تَتَّبِعَنِ ۖ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِى ﴿٩٣﴾ قَالَ يَبْنَؤُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِى وَلَا بِرَأْسِىٓ ۖ إِنِّى خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِى ﴿٩٤﴾ قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَـٰسَـٰمِرِىُّ ﴿٩٥﴾ قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا۟ بِهِۦ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ ٱلرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَٰلِكَ سَوَّلَتْ لِى نَفْسِى ﴿٩٦﴾﴾

﴿مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوٓا۟﴾ بعبادة العجل ﴿أَلَّا تَتَّبِعَنِ﴾ «لا» زائدة، المعنىٰ: أي شيء صدك عن قتالهم وصدهم عن ذلك واللحوق بي إذ عجزت [عن قتالهم][(٢)] ﴿أَفَعَصَيْتَ أَمْرِى﴾: (حس) الذي أمرتك به من القيام بمصالحهم.

﴿قَالَ يَبْنَؤُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِى وَلَا بِرَأْسِىٓ﴾: وقرئ بفتح اللام لغتان، أي: لا تأخذني بهما، ﴿إِنِّى خَشِيتُ أَن تَقُولَ﴾: إذا قاتلت أحد الحزبين بالآخر ﴿فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾: وتغضبُ عليَّ، ﴿وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِى﴾: (حس) لم تنظر في أمري ولم تتأن عليَّ، ولو تبعتك خشيت أن يتبعني بعض ويقيم بعض علىٰ شك، فحِرت في

---

(١) في جـ: تقديره، والمثبت من أ ،ب .

(٢) في أ، ب: عنهم، والمثبت من ج.

أمري، في هذا دليل على جواز الاجتهاد، فثَمَّ قال موسىٰ: ﴿فَمَا خَطْبُكَ﴾: ما طلبتك بصنيعك؟ وكيف وقع لك ذلك ﴿يَٰسَٰمِرِيُّ﴾: (حس).

﴿قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُواْ بِهِۦ﴾: القراءة بالتاء والياء، أي: علمت بما لم تعلموا.

الزجاج: بصر يبصر: صار عالمًا بالشيء، وأبصر يبصر: نظر.

وقرئ بكسر صاد «بصِرت»، وبفتح صاد «يبصَر»، وقال له: فما رأيت؟ قال: رأيت جبريل علىٰ فرسه، وألقي إلي أنَّ تراب حافر فرسه إذا ألقي في شيء غيَّره ﴿فَقَبَضْتُ قَبْضَةً﴾: من تراب بجمع كفي.

﴿مِّنْ أَثَرِ ٱلرَّسُولِ﴾: أي من أثر فرس الرسول، وقرئ بها، [ق/ ٢٤٨ب] وقرئ بضم القاف، فالضم اسم للمقبوض، والفتح من تسمية المفعول بالمصدر.

وقرئ بالصاد المهملة وهو الأخذ بأطراف الأصابع.

﴿فَنَبَذْتُهَا﴾: في العجل المصاغ كما حدثتك.

﴿سَوَّلَتْ﴾: زينت.

﴿لِى نَفْسِى﴾: (كا).

﴿قَالَ فَٱذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِى ٱلْحَيَوٰةِ أَن تَقُولَ لَا مِسَاسَ وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَّن تُخْلَفَهُۥ وَٱنظُرْ إِلَىٰٓ إِلَٰهِكَ ٱلَّذِى ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا لَّنُحَرِّقَنَّهُۥ ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُۥ فِى ٱلْيَمِّ نَسْفًا ﴿٩٧﴾ إِنَّمَآ إِلَٰهُكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَسِعَ كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا ﴿٩٨﴾ كَذَٰلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ مَا قَدْ سَبَقَ وَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ مِن لَّدُنَّا ذِكْرًا ﴿٩٩﴾﴾

﴿قَالَ فَٱذْهَبْ﴾: من بيننا طريدًا ﴿فَإِنَّ لَكَ فِى ٱلْحَيَوٰةِ﴾: طول عمرك ﴿أَن تَقُولَ لَا مِسَاسَ﴾: (حس) مصدر مسه يمسه مماسة ومساسًا.

ابن عباس(١): لا مساس لك ولولدك، فكان يهيم في البرية، وإذا مس أحدًا أو مسه أحد حُمَّا جميعًا.

---

(١) انظر: «تفسير البغوي» (٣/ ٢٧٣).

وروي أنَّ ذلك موجود في أولاده إلىٰ الآن، فكان إذا رأىٰ أحدًا قال: لا مساس، أي: لا تقربني وفر منه.

وقرئ: «مَسِاس» بفتح الميم وكسر السين اسم علم للفعل وهو المسة.

القراءة: ﴿وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَّن تُخْلَفَهُۥ﴾: بضم التاء وكسر اللام، من أخلفت الموعد غبت عنه، أي: لن تتخلف أنت عن الإتيان إلىٰ الموعد وهو الحشر، بل تصل إليه، وبفتح اللام أي: لن تُخلف الموعد بل تبعث إليه.

وقرئ بالنون، فالمفعول الأول محذوف، أي: لن يخلفكه، وبفتح التاء وضم اللام.

القراءة: ﴿ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًاۖ﴾: مقيمًا بفتح الظاء، وقرئ بكسرها و(ظللت) ﴿لَّنُحَرِّقَنَّهُۥ﴾: بالنار، أو هو من حرق الشيء مخففًا برده بالمحرق المبرد شدد مبالغة، وقرئ بتخفيف الراء مكسورة من الإحراق بالنار، وبضمها مخففة وفتح النون من حرق الشيء يحرقه [يردّه][(1)] بضم الراء وكسرها ولنذبحنه ﴿ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُۥ﴾: وقرئ بضم السين لغتان، أي: لنذرينه ﴿فِي ٱلْيَمِّ نَسْفًا﴾: (كا).

روي أنَّه ذبح فسال منه دم.

السدي[(2)]: أخذ موسىٰ العجل فذبحه، ثم حرقه بالمبرد، ثم ذراه في البحر.

وعن مجاهد: لم يكن له روح، وإنما كانت الريح تجري في جوفه، القصة مستوفاة في البقرة.

﴿وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾: (تا) تمييز، المعنىٰ: وسع علمه كل شيء، وقرئ: «وسَّع» مشددًا، فـ(علمًا) مفعول به، المعنىٰ: وسع كل شيء عظيم من خلقه كالسموات والأرضين، فعلمًا تمييز أيضًا.

---

(١) سقط من أ، ب والمثبت من ج.

(٢) أخرجه الطبري في «تفسيره» (٢/ ٧٤)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/ ٢٤٣٣).

ومحل الكاف من ﴿كَذَٰلِكَ﴾ نصب، أي: مثل ما ذكرنا لك من أخبار بني إسرائيل.

﴿نَقُصُّ عَلَيْكَ﴾ من أخبار ﴿مَا قَدْ سَبَقَ﴾: (حس) من الأمم الماضية ﴿ذِكْرًا﴾: (حس) قرآنًا.

﴿ مَّنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُۥ يَحْمِلُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وِزْرًا ﴿١٠٠﴾ خَٰلِدِينَ فِيهِ ۖ وَسَآءَ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ حِمْلًا ﴿١٠١﴾ يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ ۚ وَنَحْشُرُ ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا ﴿١٠٢﴾ يَتَخَٰفَتُونَ بَيْنَهُمْ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا عَشْرًا ﴿١٠٣﴾ نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ إِذْ يَقُولُ أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا يَوْمًا ﴿١٠٤﴾ ﴾

﴿مَّنْ أَعْرَضَ عَنْهُ﴾ عن القرآن فلم يعمل به، ووحد الضمير في ﴿فَإِنَّهُۥ يَحْمِلُ﴾: ردًا إلىٰ لفظ من.

وقرئ: «يُحمل» مجهولًا ﴿وِزْرًا﴾: إثمًا ثقيلًا، وجمع ﴿خَٰلِدِينَ﴾ حالًا من ضمير «يحمل» نظرًا إلىٰ معنىٰ من ﴿فِيهِ﴾: (كا) في عقاب الوزر، وفي ﴿وَسَآءَ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ :ضمير مبهم يفسره ﴿حِمْلًا﴾: تمييز؛ لأنَّ «ساء» بمعنىٰ بئس، واللام في «لهم» للبيان كـ ﴿ هَيْتَ لَكَ ﴾، والمخصوص بالذم محذوف.

تلخيصه: ساء الحمل حملًا وزرهم، كـ ﴿ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴾، أي: ساءت البقعة مصيرًا جهنم إن أبدلت «يوم ينفخ» من «يوم القيمة»، فلا أحب الوقف بينهما ويتم الوقف هنا إن نصبت (يوم) بعد إغراء أي: حذرهم ﴿يَوْمَ يُنفَخُ﴾: **القراءة**: بنون مفتوحة وضم الفاء إخبارًا عن الله تعالىٰ، وبياء مضمومة وفتح الفاء مجهولًا، وقرئ بياء مفتوحة وضم الفاء.

﴿فِى ٱلصُّورِ﴾: القرآن، وقرئ بفتح الواو جمع صورة.

القراءة: ﴿وَنَحْشُرُ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ بالنون، وقرئ: (يَنفخ) و(يَحشر) بالياء فيهما، أي: الله تعالىٰ، وقرئ: (وَيُحْشَر المجرمون) مجهولًا.

﴿زُرْقًا﴾: حال عميًا؛ لأنَّ العين إذا ذهب نورها ازرقت، أو زرقًا من شدة

العطش، أو الزرقة سمة أهل [النار][1]، وهىٰ أبغض لون عند العرب؛ لأنَّ الروم أعداؤهم، وتغلب عليهم الزرقة.

ومحل ﴿يَتَخَٰفَتُونَ﴾: حال من ضمير «زرقًا»، أو بدل من «زرقًا» وأصل الخفوت السكوت.

المعنىٰ: يتسارون ﴿بَيۡنَهُمۡ﴾ أمرهم لهول ذلك اليوم، أعانك الله وإيانا فيه.

قائلين ﴿إِن لَّبِثۡتُمۡ﴾: في الدنيا استقصارًا لمدة لبثهم فيها، أو بين النفختين وهو أربعون سنة؛ لأنَّهم لا يعذبون فيها ﴿إِلَّا عَشۡرٗا﴾: (كا) ليال، فقال ﴿أَمۡثَلُهُمۡ طَرِيقَةً﴾: أعقلهم وأوفرهم رأيًا: ﴿إِن لَّبِثۡتُمۡ إِلَّا يَوۡمٗا﴾: (تا) لقصره عندهم؛ لأنَّ أيام الراحة قصار.

﴿ وَيَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡجِبَالِ فَقُلۡ يَنسِفُهَا رَبِّي نَسۡفٗا ﴿١٠٥﴾ فَيَذَرُهَا قَاعٗا صَفۡصَفٗا ﴿١٠٦﴾ لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجٗا وَلَآ أَمۡتٗا ﴿١٠٧﴾ يَوۡمَئِذٖ يَتَّبِعُونَ ٱلدَّاعِيَ لَا عِوَجَ لَهُۥۖ وَخَشَعَتِ ٱلۡأَصۡوَاتُ لِلرَّحۡمَٰنِ فَلَا تَسۡمَعُ إِلَّا هَمۡسٗا ﴿١٠٨﴾ يَوۡمَئِذٖ لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ إِلَّا مَنۡ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَرَضِيَ لَهُۥ قَوۡلٗا ﴿١٠٩﴾ يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلۡمٗا ﴿١١٠﴾ ﴾

سئل ﷺ: ما يصنع بالجبال يوم القيامة؟ فنزل﴿يَنسِفُهَا رَبِّي نَسۡفٗا﴾: يقتلعها باستئصال، بأن يجعلها كالرمل ثم يرسل الريح عليها ﴿فَيَذَرُهَا﴾: أي يترك أماكنها، أو الأرض، يدل عليها الجبال قبل ﴿قَاعٗا﴾ حال، أرضًا منبسطة ﴿صَفۡصَفٗا﴾:ملساء ﴿لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجٗا﴾: انخفاضًا ﴿وَلَآ أَمۡتٗا﴾: (كا) ارتفاعًا.

ولمَّا استوت هذه الأرض استواءً لا يمكن أن يوجد فيها اعوجاج ما بوجه ما وإن دقت الحيلة ولطفت في معرفة ذلك بخلاف غيرها من الأراضي جرت مجرىٰ المعانىٰ؛ لأنَّ العوج بالكسر للمعاني وبالفتح للأعيان، فثمَّ ﴿يَتَّبِعُونَ ٱلدَّاعِيَ﴾: أي: صوته، وهو إسرافيل عليه الصلاة والسلام حين ينادي: أيتها العظام البالية

---

(١) في ج: الروم والمثبت من أ، ب.

والجلود المتمزقة واللحوم المتفرقة: هلمي إلىٰ عرض الرحمن، فيأتون سريعًا.

﴿لَا عِوَجَ لَهُۥ﴾: لا يعوج مدعّو عن صوت إسرافيل، بل يتبعه من غير انحراف عنه ﴿وَخَشَعَتِ﴾: ذلت ﴿ٱلْأَصْوَاتُ﴾: والمراد أربابها ﴿لِلرَّحْمَٰنِ﴾: هيبة وإجلالًا، ﴿فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا﴾: (كا) صوتًا خفيًّا من هميس الإبل، وهو صوت أقدامها إذا مشت، المعنىٰ: لا تسمع إلا مشي الأقدام بخفاء إلىٰ المحشر خوفًا، أو الهمس تحريك الشفاه بلا نطق، فثمَّ ﴿لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ﴾[ق/ ١٧٨ جـ].

ومحل «من» في ﴿إِلَّا مَنْ﴾ رفع بدل من ﴿ٱلشَّفَٰعَةُ﴾ مع حذف مضاف تقديره لا تنفع الشفاعة إلا شفاعة من ﴿أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ﴾: أن يشفع فيشفع ﴿وَرَضِيَ لَهُۥ﴾: للمشفوع [منه](1) ﴿قَوْلًا﴾: (تا) بأن قال: لا إله إلا الله، أو رضي قول الشافع فيشفعه، أو نصب مفعول «ينفع»، والضمير في ﴿مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾: للذين يتبعون الداعي.

تلخيصه: يعلم تعالىٰ جميع أحوالهم ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ﴾: تعالىٰ ﴿عِلْمًا﴾: (تا).

﴿ ۞ وَعَنَتِ ٱلْوُجُوهُ لِلْحَيِّ ٱلْقَيُّومِ ۖ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا ﴿١١١﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا ﴿١١٢﴾ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ ٱلْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا ﴿١١٣﴾ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ ۗ وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ ۖ وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴿١١٤﴾ ﴾

﴿وَعَنَتِ﴾ خضعت ﴿ٱلْوُجُوهُ﴾ وجوه العصاة، أو المراد: أربابها ﴿لِلْحَيِّ ٱلْقَيُّومِ ۖ﴾: (حس) إن استأنفت ولم تنصب ﴿وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا﴾: (تا) شركًا حالًا.

القراءة: (وَمَن يَعْمَلُ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ): رفعًا استئنافًا، أي:

(١) في ج: فيه، والمثبت من أ، ب.

فهو ليس يخاف، وجزمًا نهيًا، نهىٰ المؤمن الصالح أن يخاف ﴿ظُلۡمًا وَلَا هَضۡمًا﴾: (تا) نقص شيء من حسناته.

القراءة: ﴿وَصَرَّفۡنَا فِيهِ﴾: مشددًا، وقرئ مخففًا حيث حل، المعنىٰ: كررنا في القرآن ﴿مِنَ ٱلۡوَعِيدِ﴾: وعيدًا ﴿لَعَلَّهُمۡ يَتَّقُونَ﴾: الشرك ﴿أَوۡ يُحۡدِثُ لَهُمۡ﴾: الوعيد أو القرآن ﴿ذِكۡرٗا﴾: (تا) تذكارًا وعظة بهلاك من تقدمهم.

وقرئ: (تحدث) [خطابًا][1] أي: أنت، وبالنون أي: نحن، ويَحدث لهم ذكرٌ.

﴿فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلۡمَلِكُ﴾: وقرئ: «المالك».

﴿ٱلۡحَقُّۗ﴾: (تا).

﴿وَلَا تَعۡجَلۡ بِٱلۡقُرۡءَانِ﴾: أي: بقراءته ﴿مِن قَبۡلِ أَن يُقۡضَىٰٓ إِلَيۡكَ وَحۡيُهُۥۖ﴾: قراءته، وقرئ بالنون ونصب وحيه، المعنىٰ: تثبت حتىٰ يفرغ جبريل من قراءته، ثم اقرأه؛ لأنَّه كان ﷺ يسابق جبريل خوف النسيان، أو لا تقرئه أصحابك حتىٰ تعرف معانيه.

﴿وَقُل رَّبِّ زِدۡنِي عِلۡمٗا﴾: (تا) إلىٰ علمي، في هذا إشارة إلىٰ التواضع، وإلىٰ أنَّ الإحاطة بجميع العلوم ممتنعة لغير الله تعالىٰ، أصل العهد: حفظ الشيء ومراعاته حالًا فحالًا، ومنه:

﴿ وَلَقَدۡ عَهِدۡنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبۡلُ فَنَسِيَ وَلَمۡ نَجِدۡ لَهُۥ عَزۡمٗا ﴿١١٥﴾ وَإِذۡ قُلۡنَا لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ ٱسۡجُدُواْ لِأٓدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبۡلِيسَ أَبَىٰ ﴿١١٦﴾ فَقُلۡنَا يَٰٓـَٔادَمُ إِنَّ هَٰذَا عَدُوّٞ لَّكَ وَلِزَوۡجِكَ فَلَا يُخۡرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلۡجَنَّةِ فَتَشۡقَىٰٓ ﴿١١٧﴾ إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعۡرَىٰ ﴿١١٨﴾ وَأَنَّكَ لَا تَظۡمَؤُاْ فِيهَا وَلَا تَضۡحَىٰ ﴿١١٩﴾ ﴾

﴿وَلَقَدۡ عَهِدۡنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ﴾ أي: وصيناه ألَّا يأكل من الشجرة.

﴿مِن قَبۡلُ﴾: من قبل أكله منها .

(١) سقط من ج والمثبت من أ، ب.

﴿فَنَسِىَ﴾: عهدنا، أو نسي أنَّا نعاقبه، وسمي نسيانه معصية؛ لجواز ألَّا يكون النسيان مرفوعًا إلا عن أمتنا، ويجوز أن يكون نسي ترك العهد معتقدًا أنَّه نهي تنزيه، وقرئ: (فنسيْ) ساكن الياء تخفيفًا، (فَنُسيَّ) مشددًا مجهولًا.

﴿وَلَمْ نَجِدْ﴾: لم [نعهد][1] أو لم نعلم فمفعولاه ﴿لَهُۥ عَزْمًا﴾: (تا) جزمًا وصبرًا عما نهي عنه، وأصله التصميم على الشيء، وتناول خطاب الملائكة إبليس وإن كان من الجن؛ لأنَّه كان يصحبهم ويعبد الله تعالى معهم؛ ولذلك حسن استثناؤه في ﴿إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ﴾: (كا) عن السجود لآدم ﴿فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا﴾: يا آدم وحواء ﴿مِنَ ٱلْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰٓ﴾: فتتعب في الدنيا بتحصيل ما تحتاج إليه منها كمأكل ومشرب وملبس، وخص آدم بالشقاء؛ لأنَّ طلب المكاسب غالبًا يكون بالرجال ﴿وَلَا تَعْرَىٰ﴾: (كا) على القراءة ﴿وَأَنَّكَ لَا تَظْمَؤُا۟﴾: ولا يجوز على القراءة أيضًا بفتح «أنك» عطفًا على ألَّا تجوع؛ لأنَّه اسم «أنَّ» والواو نائبة عن «أنَّ» في العمل لا في التأكيد، وتحمل على ذلك أنَّه لا يقال: إنَّ زيدًا منطلق، المعنى: إن لك عدم الجوع والعري والعطش ﴿فِيهَا﴾ في الجنة ﴿وَلَا تَضْحَىٰ﴾: (تا) لا تصيبك الشمس.

وقرئ: (لا تُجاع ولا تُعرىٰ ولا تُظمأ ولا تُضحىٰ) مجهولًا فيها.

﴿ فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ ٱلشَّيْطَـٰنُ قَالَ يَـٰٓـَٔادَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ ﴿١٢٠﴾ فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ ۚ وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ﴿١٢١﴾ ثُمَّ ٱجْتَبَـٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ ﴿١٢٢﴾ قَالَ ٱهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًۢا ۖ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ ﴾

﴿وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ﴾: لا ينقطع، وجمعت ﴿سَوْءَٰتُهُمَا﴾ أي: عوراتهما؛ لأنَّ ما في

(١) في أ، ب: نعدم، والمثبت من ج.

الجسد منه واحد يخرج الاثنان منه مخرج الجمع غالبًا كـ ﴿صَغَتْ قُلُوبُكُمَا﴾ [التحريم:٤].

وقرئ: (سوءتهما).

﴿مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ﴾: (كا).

﴿وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ﴾: بالأكل ﴿فَغَوَىٰ﴾: ضل عن المطلوب منه[ق/ ١٤٩أ]، أو جهل لطلبه الخلد بأكل المنهي عنه، أو خاب.

وقرئ: (غوي) من غوىٰ الفصيل شرب لبنًا فأُتخِم، أو لا يروىٰ حتىٰ يموت، يقال: عصىٰ آدم، ولا يقال: آدم عاصٍ؛ لأنَّ ذلك إنما يقال لمن تكررت منه المعصية.

﴿ثُمَّ ٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ﴾: اصطفاه وقربه بعد التوبة، من جبيت الشيء قربته إليَّ وجمعته بي، ﴿فَتَابَ عَلَيْهِ﴾ :قبل توبته ﴿وَهَدَىٰ﴾: (حس) هداه إلىٰ المداومة علىٰ التوبة.

﴿ٱهْبِطَا﴾: يا آدم وإبليس.

﴿مِنْهَا جَمِيعًا﴾: (كا).

﴿بَعْضُكُمْ﴾: يا ذرية آدمَ وإبليس ﴿لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾ (كا).

﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم﴾ يا آدم وحواء، وجمعًا؛ لأنَّهما أصل البشر، أو المراد: ذريتهما.

﴿مِّنِّى هُدًى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ﴾: [(كا)][1] رسولي وكتابي.

﴿فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ﴾: (حس).

ابن عباس[2]: أجار الله تابع القرآن أن يضل في الدنيا أو يشقىٰ في الآخرة.

---

(١) سقط من أ، ب والمثبت من ج.

(٢) أخرجه الطبري في «تفسيره» (١٥/ ٤٣٩)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/ ٢٤٣٨).

﴿عَن ذِكۡرِي﴾: عن القرآن.

القراءة: ﴿مَعِيشَةٗ ضَنكٗا﴾: مصروفًا مصدر يوصف به الذكر والأنثىٰ وهو الضيق.

وقرئ: (ضنكىٰ) كسكرىٰ، والمراد به عذاب القبر، أو ما أعدَّ لهم في النار.

المعنىٰ: للمعرض عن العمل بالقرآن عيشٌ ضيق وهو عذاب القبر أو النار، أو هو كسب الحرام، أو ما لم يتق العبد اللهَ تعالىٰ فيه وإن كثر، أو سلب القناعة حتىٰ لا يشبع، أو هو ألَّا يهتدي لوجوه الخير، بعضهم: لا يُعرِض أحد عن ذكر ربه إلا أظلم عليْه وقته، وتشوش عليه رزقه.

يكفي الوقف هنا إن استأنفت ولم تنصب حالًا مقدرة علىٰ **القراءة:** ﴿وَنَحۡشُرُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ أَعۡمَىٰ﴾: (كا) عن الهداية، أو أعمىٰ البصر.

وقرئ بجزم (نحشره) عطفًا علىٰ محل ﴿فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةٗ﴾؛ لأنَّه جواب الشرط، فلا وقف علىٰ ﴿ضَنكٗا﴾.

﴿ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرۡتَنِيٓ أَعۡمَىٰ وَقَدۡ كُنتُ بَصِيرٗا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتۡكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَاۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلۡيَوۡمَ تُنسَىٰ
﴿١٢٦﴾ وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي مَنۡ أَسۡرَفَ وَلَمۡ يُؤۡمِنۢ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦۚ وَلَعَذَابُ ٱلۡأٓخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبۡقَىٰٓ ﴿١٢٧﴾ أَفَلَمۡ يَهۡدِ لَهُمۡ كَمۡ
أَهۡلَكۡنَا قَبۡلَهُم مِّنَ ٱلۡقُرُونِ يَمۡشُونَ فِي مَسَٰكِنِهِمۡۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّأُوْلِي ٱلنُّهَىٰ ﴿١٢٨﴾ وَلَوۡلَا كَلِمَةٞ سَبَقَتۡ مِن
رَّبِّكَ لَكَانَ لِزَامٗا وَأَجَلٞ مُّسَمّٗى ﴿١٢٩﴾ فَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ قَبۡلَ طُلُوعِ ٱلشَّمۡسِ وَقَبۡلَ
غُرُوبِهَاۖ وَمِنۡ ءَانَآيِٕ ٱلَّيۡلِ فَسَبِّحۡ وَأَطۡرَافَ ٱلنَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرۡضَىٰ ﴿١٣٠﴾ ﴾

﴿لِمَ حَشَرۡتَنِيٓ أَعۡمَىٰ وَقَدۡ كُنتُ بَصِيرٗا﴾ :(كا) بمحجتي، أو بالعين.

روي أنَّه يحشر من قبره بصيرًا، فإذا سيق إلىٰ الموقف عمي.

﴿كَذَٰلِكَ﴾: أي: مثل ما ﴿أَتَتۡكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَاۖ﴾ تركت العمل بها ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ مثل تركك آياتنا ﴿ٱلۡيَوۡمَ تُنسَىٰ﴾: (كا) تترك علىٰ عماك، أو في النار.

﴿وَكَذَٰلِكَ﴾: مثل جزائنا المعرض عن آياتنا ﴿نَجۡزِي مَنۡ أَسۡرَفَ﴾: أشرك ﴿وَلَمۡ

يُؤۡمِنۢ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦۚ﴾: (كا).

﴿وَلَعَذَابُ ٱلۡأٓخِرَةِ﴾: وهو حشره أعمىٰ أبدًا.

﴿أَشَدُّ وَأَبۡقَىٰٓ﴾: (تا) أدوم ضرًا من ضيق العيش في الدنيا، أو لتركنا إياه في العذاب أشد وأبقىٰ ضررًا من تركه لآياتنا، ثم خاطب قريشًا؛ لأنَّهم كانوا يمرون إلىٰ الشام فيرون آثار الهالكين فقال: ﴿أَفَلَمۡ يَهۡدِ لَهُمۡ﴾: أي: بيَّن الله تعالىٰ أو الرسول أو الفاعل.

﴿كَمۡ أَهۡلَكۡنَا قَبۡلَهُم مِّنَ ٱلۡقُرُونِ يَمۡشُونَ فِي مَسَٰكِنِهِمۡۚ﴾: (حس) نحو: وتركنا عليه في الآخرين سلام علىٰ نوح، أي: تركنا عليه هذا القول ﴿لِّأُوْلِي ٱلنُّهَىٰ﴾: (تا) ﴿وَلَوۡلَا كَلِمَةٞ سَبَقَتۡ مِن رَّبِّكَ﴾: بتأخير العذاب ﴿لَكَانَ﴾: العذاب ﴿لِزَامٗا﴾: مصدر لازم وصف به، أو جمع لازم كقائم وقيام، وتعطف علىٰ ﴿كَلِمَةٞ﴾: ﴿وَأَجَلٞ مُّسَمّٗى﴾ (تا) [أي][1] مضروب وهو يوم القيامة، أو بدر ﴿فَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ﴾ فيك، وهذا نسخ بآية السيف[2].

﴿وَسَبِّحۡ﴾: صل، ومحل ﴿بِحَمۡدِ رَبِّكَ﴾: نصب حال، أي وأنت حامد بأن وفقت للتسبيح ﴿قَبۡلَ طُلُوعِ ٱلشَّمۡسِ﴾: هيٰ صلاة الفجر.

﴿وَقَبۡلَ غُرُوبِهَاۖ﴾: (كا) هي صلاة العصر.

ومحل ﴿وَمِنۡ ءَانَآيِٕ ٱلَّيۡلِ﴾: ساعاته، جمع إنْي كنِجْي وإناء كمعاء، والمراد صلاة المغرب والعشاء، نصب بقوله: ﴿فَسَبِّحۡ﴾: وتعطف ﴿وَأَطۡرَافَ ٱلنَّهَارِ﴾ علىٰ ما قبل وهي صلاة الظهر، وسميت طرفًا لأنَّ وقتها عند زوال الشمس، فهو طرف النصف الأول وطرف النصف الثاني، أو المراد بقبل غروبها صلاة الظهر والعصر لوقوعهما في النصف الأخير قبل الغروب، وبأطراف النهار: الفجر؛ لأنَّها أول الطرف الأول والمغرب؛ لأنَّها آخر الطرف الثاني، قالوا: وجمع أطراف وهما

(١) سقط من أ، ب والمثبت من ج.

(٢) انظر: «الناسخ والمنسوخ» لابن حزم (ص/ ٤٥).

طرفان لأمن اللبس لقوله في موضع آخر: طرفي النهار، ويجوز أنَّه جمعها نظرًا إلىٰ أجزائها فكان كل طرف منها جزء، كقوله: ﴿وَغَلَّقَتِ ٱلْأَبْوَٰبَ﴾ [يوسف:٢٣] عند من جعله بابًا واحدًا، أو ﴿وَأَطْرَافَ ٱلنَّهَارِ﴾ ساعاته.

وقرئ: ﴿وَأَطْرَافَ ٱلنَّهَارِ﴾ عطفًا علىٰ ﴿ءَانَآيِٕ ٱلَّيْلِ﴾، وأطراف النهار كسرًا اسم للوقت كالإصباح.

تلخيصه: صل الصلوات الخمس في أوقاتها، ويجوز أن يراد حقيقة التسبيح، أي سبحه في جميع الأوقات.

﴿لَعَلَّكَ تَرْضَىٰ﴾: (حس).

القراءة بضم التاء مجهولًا، أي: يرضاك ربك، وبفتحها، أي: ترضىٰ أنت يا محمد بما تعطىٰ، قالوا: ولن يرضىٰ ﷺ بتخليد أحد من أمته.

﴿ وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴿١٣١﴾ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا ۖ لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكَ ۗ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ ﴿١٣٢﴾ وَقَالُوا۟ لَوْلَا يَأْتِينَا بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّهِۦٓ ۚ أَوَلَمْ تَأْتِهِم بَيِّنَةُ مَا فِى ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ ﴿١٣٣﴾ وَلَوْ أَنَّآ أَهْلَكْنَٰهُم بِعَذَابٍ مِّن قَبْلِهِۦ لَقَالُوا۟ رَبَّنَا لَوْلَآ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ ءَايَٰتِكَ مِن قَبْلِ أَن نَّذِلَّ وَنَخْزَىٰ ﴿١٣٤﴾ قُلْ كُلٌّ مُّتَرَبِّصٌ فَتَرَبَّصُوا۟ ۖ فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ أَصْحَٰبُ ٱلصِّرَٰطِ ٱلسَّوِىِّ وَمَنِ ٱهْتَدَىٰ ﴿١٣٥﴾ ﴾

﴿وَلَا تَمُدَّنَّ﴾: وقرئ: «تُمِدَّن» لغتان.

﴿عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا﴾ مفعول ﴿مَتَّعْنَا﴾.

﴿مِّنْهُمْ زَهْرَةَ﴾: نصب ذم، أو مفعول ثان لـ«متعنا»، أو بدل من محل «به»، أو من «أزواجًا»، أي: ذوي زهرة.

وقرئ بفتح الهاء لغتان بمعنىٰ البهجة والزينة.

المعنىٰ: لا تنظر إلىٰ ما أعطينا الكفار من أصناف[ق/ ١٧٩ جـ] الأموال زينة.

﴿ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ﴾: (تا) لنجعل فتنتهم فيما أعطيناهم، ولقد شدد

العلماء المتقون في وجوب غض البصر عن النظر إلىٰ أبنية الفسقة وعَددهم وعِددهم ومراكبهم؛ لئلا يحصل مطلوبهم؛ لأنَّهم اتخذوها زينة وخيلاء.

﴿وَرِزْقُ رَبِّكَ﴾: هو ثوابه [ق/ ٢٥٠ب] في المعاد، أو القناعة، أو ما رُزقه عليه الصلاة والسّلام من الإسلام والنبوة.

﴿خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ﴾: (تا) مما رزقوا.

أبي بن كعب[1]: من لم يتعز بعزاء الله تقطعت نفسه حسرات، ومن يتبع نفسه ما في أيدي الناس يطل حزنه، ومن ظن أن نعمة الله في مطعمه ومشربه وملبسه فقد قلَّ عمله وحضر عذابه.

﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ﴾: مع ائتمارك بها ﴿وَٱصْطَبِرْ﴾: أنت وهم ﴿عَلَيْهَا﴾: علىٰ الإتيان بالصلاة، فإنَّها تنهىٰ عن الفحشاء والمنكر، فإنَّا ﴿لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا﴾ لا نكلفك رزق نفسك ولا غيرك.

﴿نَّحْنُ نَرْزُقُكَ﴾: وإياهم ﴿وَٱلْعَٰقِبَةُ﴾: المحمودة ﴿لِلتَّقْوَىٰ﴾: [(تا) أي][2] لأهل التقوىٰ.

عن عروة بن الزبير أنَّه كان إذا رأىٰ ما عند السلاطين قرأ: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ...﴾ الآية، ثم يقول: الصلاة الصلاة رحمكم الله[3].

وروي أنَّه ﷺ كان إذا أصاب أهله ضرٌّ أمرهم بالصلاة، وتلا هذه الآية.

قال المشركون: ﴿لَوْلَا يَأْتِينَا﴾: محمد ﴿بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّهِۦٓ﴾: كموسىٰ وعيسىٰ.

القراءة: ﴿أَوَلَمْ تَأْتِهِم بَيِّنَةُ﴾: بالتاء والياء؛ لأنَّها بمعنىٰ البيان.

وقرئ: «بينة» رفعًا منونًا.

---

(١) أخرجه الطبري في «تفسيره» (١٩/ ٢٩٥).

(٢) سقط من ج والمثبت من أ، ب.

(٣) أخرجه الطبري في «تفسيره» (١٨/ ٤٠٥).

فقوله: ﴿مَا فِي ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ﴾: (كا) الكتب المتقدمة بدل من ﴿بَيِّنَةُ﴾: أو خبر مبتدأ محذوف.

وقرئ: «بينة» نصبًا منونًا، فـ«ما» فاعل و«بينة» حال، وقرئ: «الصحف» مخففًا، المعنىٰ: أو لم يأتهم القرآن وفيه بيان لمَّا في الكتب المتقدمة وبرهان عليها؛ لأنَّه معجز علىٰ مرور الأزمان وتلك ذهبت.

والهاء في ﴿مِّن قَبْلِهِۦ﴾: للرسل أو القرآن.

القراءة: ﴿مِن قَبْلِ أَن نَّذِلَّ﴾: يوم بدر.

﴿وَنَخْزَىٰ﴾: (حس) يوم القيامة معلومًا، أو نُذِل يوم القيامة ونخزىٰ في جهنم، وقرئ: (نذل ونخزىٰ) مجهولًا.

﴿كُلٌّ﴾: كل واحد منا ومنكم ﴿مُّتَرَبِّصٌ﴾: منتظر لمَّا يؤول إليه الأمر يوم القيامة.

﴿فَتَرَبَّصُواْ فَسَتَعْلَمُونَ﴾: وقرئ: (فتمتعوا فسوف تعلمون).

﴿مَنْ أَصْحَٰبُ﴾: مبتدأ وخبر محلهما نصب، أي: ستعلمون أصحاب ﴿ٱلصِّرَٰطِ ٱلسَّوِيِّ﴾ المستقيم.

وقرئ: «السواء» الوسط، والسوىٰ وزن حبلىٰ، فالصراط بمعنىٰ الطريقة، والسوىٰ تصغير السَوء، والسَوء بفتح السين بمعنىٰ الشر.

محل ﴿وَمَنِ ٱهْتَدَىٰ﴾: (تا) من الضلالة نحن أم أنتم رفع عطف علىٰ من أصحاب.

سورة الأنبياء
عليهم الصلاة والسلام أجمعين

مكية، وهي مائة وإحدىٰ أو واثنتا عشرة آية.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

نزلت تخويفًا وتحذيرًا لمنكري البعث:

﴿ٱقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ ﴿١﴾ مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ إِلَّا ٱسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴿٢﴾ لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ وَأَسَرُّوا۟ ٱلنَّجْوَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ هَلْ هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ أَفَتَأْتُونَ ٱلسِّحْرَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ ﴿٣﴾ قَالَ رَبِّي يَعْلَمُ ٱلْقَوْلَ فِي ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٤﴾﴾

﴿ٱقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ﴾ قيل: «اللام» بمعنىٰ «من»، أي: قرب من الناس وقت حسابهم، وهو يوم القيامة ﴿وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ﴾ عما يُفعل بهم ثَمَّ.

﴿مُّعْرِضُونَ﴾: (تا) عن التأهب لذلك المقام، فالاقتراب عام والغفلة والإعراض خاص بالمشركين، فحاسب نفسك قبل أن تُحاسب، وانتبه للعرض قبل أن تُنبه، أيقظنا الله تعالىٰ وإياك من رَقدة الغافلين.

﴿مَا يَأْتِيهِم﴾: أي: المشركين ﴿مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ﴾: صفة (ذكر) لفظًا، وقرئ برفع ﴿مُّحْدَثٍ﴾ صفة ذكر محلًا؛ لأنَّ «من» زائدة، وبنصبه حالًا أو مصدرًا، و الذكر القرآن لقوله: ﴿وَهَٰذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ﴾ [الأنبياء: ٥٠] وإحداثه: إنزاله شيئًا بعد شيء لا نفس القرآن، المعنىٰ: ما يأتيهم شيء من القرآن ﴿إِلَّا ٱسْتَمَعُوهُ﴾: مستهزئين، أو الذكر محمد ﷺ، فتقديره: استمعوا منه.

﴿وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴿٢﴾ لَاهِيَةً﴾: حال من ضمير ﴿يَلْعَبُونَ﴾، أو: ﴿وَهُمْ يَلْعَبُونَ﴾، و﴿لَاهِيَةً﴾ حالان مترادفان من واو ﴿ٱسْتَمَعُوهُ﴾.

وقرئ: (لاهية) رفعًا خبر بعد خبر، المعنىٰ: ﴿قُلُوبُهُمْۗ﴾: (كـا) غافلة عما يراد منها.

﴿وَأَسَرُّواْ﴾: أخفوا ﴿ٱلنَّجْوَى﴾: هي [التناجي في][1] خفاء، أي: كتموا ما تناجوه بحيث لا يفطن له، أو أسروا: أظهروا تناجيهم الذي تناجوه بينهم للناس، لا يجوز الوقف هنا إن رفعت ﴿ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ﴾ بدلًا من واو ﴿أَسَرُّواْ﴾، أو فاعلًا علىٰ زعم بعضهم، وهي لغة رديئة قلَّ وقوعها في محل الضرورات، فكيف في المعجز؟ وكذلك إن جررته صفة للناس، ولا أحبه إن رفعت أو نصبت (الذين) ذمًا، ولا يجوز إن رفعته مبتدأ خبره ﴿أَسَرُّواْ﴾ مقدم عليه، وكذلك إن نصبت محل ﴿هَلْ هَٰذَآ﴾: أي محمد ﷺ ﴿إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْۖ﴾: في المأكل والمشرب والموت وما يحتاج إليه البشر.

﴿أَفَتَأْتُونَ﴾: أفتحضرون ﴿ٱلسِّحْرَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ﴾: (تا) تعلمون أنَّه سحر، بدلًا من النجوىٰ، أي: أسروا هذا الكلام.

القراءة: (قُلْ) أمرٌ للنبي ﷺ، وبألف إخبار، أي: أخبرهم ﷺ أنَّ ربه ﴿يَعْلَمُ ٱلْقَوْلَ﴾ وإذا علم القول علم الفعل ﴿فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِۖ﴾: حال من (القول).

تلخيصه: لا يعزب عنه شيء ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ .

﴿ بَلْ قَالُوٓاْ أَضْغَٰثُ أَحْلَٰمٍۭ بَلِ ٱفْتَرَىٰهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَأْتِنَا بِـَٔايَةٍ كَمَآ أُرْسِلَ ٱلْأَوَّلُونَ ﴿٥﴾ مَآ ءَامَنَتْ قَبْلَهُم مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَآۖ أَفَهُمْ يُؤْمِنُونَ ﴿٦﴾ وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِمْۖ فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٧﴾ وَمَا جَعَلْنَٰهُمْ جَسَدًا لَّا يَأْكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَمَا كَانُواْ خَٰلِدِينَ ﴿٨﴾ ﴾

ثم نقضوا أقوالهم في القرآن، فقالوا: هو ﴿أَضْغَٰثُ﴾: أخلاط ﴿أَحْلَٰمٍۭ﴾ رآها في النوم، ﴿بَلِ ٱفْتَرَىٰهُ﴾ اختلقه ﴿بَلْ هُوَ شَاعِرٌ﴾: أي: كذاب فيما يأتي به كذب، ويعبر

(١) سقط من ج، والمثبت من أ، ب.

[بالشعر عن الكذب][١]، وبالشاعر عن الكذاب؛ لكون الشعر مقرًّا للكذب، ومنه: «أحسن الشعر أكذبه»، قالوا: لم يُر شاعر متدين صادق اللهجة مفلقًا في شعره، وزعم بعضهم أنَّه جاء بكلام مقفىٰ كالشعر وتتبع من ذلك ما يشبه الموزون، نحو: ﴿ وَجِفَانٍ كَٱلْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَـٰتٍ ﴾، ونحو ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ﴾ [المسد:١]، وهذا ظاهر أنَّه ليس علىٰ أساليب الشعر، ولم يشكل ذلك علىٰ بعض العجم فضلًا عن فصحاء العرب، فبعد اختلافهم في القرآن رجعوا إلىٰ مقترحهم من الآيات، فقالوا: ﴿فَلْيَأْتِنَا بِـَٔايَةٍ﴾: إتيانًا ﴿كَمَآ أُرْسِلَ ٱلْأَوَّلُونَ﴾: بالآيات، فنزل ﴿مَآ ءَامَنَتْ قَبْلَهُم مِّن قَرْيَةٍ﴾ : أي أهلها عند مجيء الآيات التي اقترحوها، فلذلك ﴿أَهْلَكْنَـٰهَآ﴾: (كا) وهذه الأمة موعودة ألَّا تستأصل إلىٰ قيام الساعة، فلذلك لم تُعط مقترحها.

تلخيصه: من اقترح آية فجاءته فلم يؤمن استؤصل.

﴿أَفَهُمْ﴾: أي: كفار قريش ﴿يُؤْمِنُونَ﴾: (تا) عند مجيء الآيات[ق/ ١٥٠أ] هم أعتىٰ من ذلك. ونزل جواب ﴿هل هذا إلا بشر مثلكم﴾: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِمْ ۖ فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ﴾ العلماء بالكتابين، فإنهم يعرفون ذلك، أو الذكر القرآن، أي فسألوا المؤمنين فإنَّه في كتابهم.

﴿إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾: (حس) ذلك، ثم أعلمه تعالىٰ أنَّه كمن تقدمه من الأنبياء بقوله: ﴿وَمَا جَعَلْنَـٰهُمْ﴾ أي: الأنبياء ﴿جَسَدًا﴾ أي: أجسامًا ﴿لَّا يَأْكُلُونَ ٱلطَّعَامَ﴾: (كا) ويمشون في الأسواق.

﴿وَمَا كَانُواْ خَـٰلِدِينَ﴾: (كا).

﴿ ثُمَّ صَدَقْنَـٰهُمُ ٱلْوَعْدَ فَأَنجَيْنَـٰهُمْ وَمَن نَّشَآءُ وَأَهْلَكْنَا ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿٩﴾ لَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ كِتَـٰبًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ ۖ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٠﴾ وَكَمْ قَصَمْنَا مِن قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا ءَاخَرِينَ ﴿١١﴾ فَلَمَّآ أَحَسُّواْ بَأْسَنَآ إِذَا هُم مِّنْهَا يَرْكُضُونَ ﴿١٢﴾ ﴾

(١) في ج: بالكذب عن الشعر، والمثبت من أ، ب.

﴿ثُمَّ صَدَقْنَٰهُمُ ٱلْوَعْدَ﴾ بإنجائهم.

﴿وَأَهْلَكْنَا ٱلْمُسْرِفِينَ﴾: (تا).

﴿لَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ﴾: يا معشر قريش كتابًا فيه ﴿ذِكْرُكُمْ﴾: ذكر شرفكم وما تحتاجون إليه من مصالح دينكم ودنياكم.

﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾: (تا) فتؤمنون.

﴿وَكَمْ﴾: نصب بقوله: ﴿قَصَمْنَا مِن قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً﴾: والمراد أهلها، والقصم بالقاف الكسر بانفصال ظاهر، وبالفاء الخفي، المعنىٰ: كثير من أهل القرىٰ الظالمين أهلكناهم ﴿وَأَنشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا ءَاخَرِينَ﴾: (كا) فسكنوا مساكنهم.

تلخيصه: [ق/ ٢٥١ب] أهلكناهم وجئنا ببدلهم.

﴿فَلَمَّآ أَحَسُّواْ﴾: أي المهلكون ﴿بَأْسَنَآ إِذَا هُم مِّنْهَا﴾: أي القرية.

﴿يَرْكُضُونَ﴾: [(كا)][(١)] يهربون مسرعين، وأصل الركض: الضرب، فثَمَّ قيل لهم استهزاء بهم:

﴿لَا تَرْكُضُواْ وَٱرْجِعُوٓاْ إِلَىٰ مَآ أُتْرِفْتُمْ فِيهِ وَمَسَٰكِنِكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْـَٔلُونَ ﴿١٣﴾ قَالُواْ يَٰوَيْلَنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿١٤﴾ فَمَا زَالَت تِّلْكَ دَعْوَىٰهُمْ حَتَّىٰ جَعَلْنَٰهُمْ حَصِيدًا خَٰمِدِينَ ﴿١٥﴾ وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ ﴿١٦﴾ لَوْ أَرَدْنَآ أَن نَّتَّخِذَ لَهْوًا لَّٱتَّخَذْنَٰهُ مِن لَّدُنَّآ إِن كُنَّا فَٰعِلِينَ ﴿١٧﴾ بَلْ نَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَى ٱلْبَٰطِلِ فَيَدْمَغُهُۥ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمُ ٱلْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ ﴿١٨﴾﴾

﴿لَا تَرْكُضُواْ وَٱرْجِعُوٓاْ إِلَىٰ مَآ أُتْرِفْتُمْ﴾: نُعِمتُم ﴿فِيهِ﴾ من الدنيا ﴿وَمَسَٰكِنِكُمْ﴾: التي كانت لكم ﴿لَعَلَّكُمْ تُسْـَٔلُونَ﴾ بقصدكم السُؤَّال ونحتاج إليكم كعادتكم، أو المعنىٰ: ستسألون عن فعلكم، فثَمَّ ﴿قَالُواْ يَٰوَيْلَنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ﴾: [(كا)][(٢)] اعترفوا حين لا ينفع الاعتراف.

---

(١) في أ، ب: (تا) والمثبت من ج.

(٢) سقط من ج والمثبت من أ، ب.

﴿فَمَا زَالَت تِّلْكَ﴾: أي قولهم: ﴿يَٰوَيْلَنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ﴾.

﴿دَعْوَىٰهُمْ﴾: سميت دعوىٰ؛ لأنَّهم دعوا ويلهم.

﴿حَتَّىٰ جَعَلْنَٰهُمْ حَصِيدًا﴾: أي: مثل حصيد، وهو الزرع المحصود، ولم يجمع كما لم يجمع مثل المقدر، ونصبه مفعول ثان، وكذلك ﴿خَٰمِدِينَ﴾: (تا) رمادًا، أي مثل رماد؛ لأنهما في حكم المفرد، ونحو هذا: حلو حامض، أي:[هو](1) جامع الوصفين، المعنىٰ: جعلناهم جامعين لمماثلة الحصيد والرماد، ويجوز جعل خامدين صفة لحصيدًا.

﴿لَٰعِبِينَ﴾: (كا) حال من فاعل خلقنا، المعنىٰ: لم نخلقهما وما بينهما عبثًا، بل لمصالح الدارين، ثم نزل تنزيهًا له تعالىٰ عن [العبث](2) والولد، فقيل: ﴿لَوْ أَرَدْنَآ أَن نَّتَّخِذَ لَهْوًا﴾: أي ولدًا وما يلهىٰ به ﴿لَّٱتَّخَذْنَٰهُ مِن لَّدُنَّآ﴾: (تا) إن جعلت «إن» في ﴿إِن كُنَّا فَٰعِلِينَ﴾ نافية، ولا وقف علىٰ ﴿لَّدُنَّآ﴾ إن جعلتها شرطًا، تقديره ومعناه: لو أردنا اتخاذ ولدًا لاتخذناه من الحور والولدان والملائكة؛ لأنَّ ولد الرجل يكون عنده، ولكن لم نفعل لاستحالته في حقنا، ثم أضرب تعالىٰ عن إفكهم منزهًا نفسه عما نُسب إليه فقال: ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ﴾ الإيمان ﴿عَلَى ٱلْبَٰطِلِ﴾ الكفر ﴿فَيَدْمَغُهُۥ﴾ يكسر غشاوة دماغه، وقرئ: (فيدمُغَه) ضمًا للميم ونصبًا للغين نحو(3):

سأترك منزلي لبني تميم　　　وألحق بالحجاز فأستريحا

المعنىٰ: نبطل [ق/ ١٨٠ جـ] شركهم وكذبهم بظهور الإيمان.

﴿فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ﴾: (كا) هالك.

---

(١) سقط من ج، والمثبت من أ، ب.

(٢) في ج: اللعب، والمثبت من أ، ب.

(٣) القائل: هو المغيرة ابن حبناء، وحبناء أمه: كنىٰ بتركه منزله لبني تميم عن أنهم لا يحافظون علىٰ حرمة جارهم، ولا يرعون حقوقه، انظر: «خزانة الأدب» (٨/ ٥٥٢).

﴿وَلَكُمُ ٱلْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ﴾: (حس) الله تعالىٰ به من الولد ونحوه.

﴿ وَلَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۚ وَمَنْ عِندَهُۥ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ﴿١٩﴾ يُسَبِّحُونَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ﴿٢٠﴾ أَمِ ٱتَّخَذُوٓاْ ءَالِهَةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ هُمْ يُنشِرُونَ ﴿٢١﴾ لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَاۚ فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٢٢﴾ لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾

﴿وَلَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۚ﴾: (كا) إن استأنفت ﴿وَمَنْ عِندَهُۥ﴾: من الملائكة، نسبوا إليه تشريفًا؛ لأنَّه تعالىٰ في مكان مبتدأ وخبره ﴿لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾، وإن عطفت ﴿وَمَنْ﴾ علىٰ ﴿ومن قبل﴾ لم تقف علىٰ الأرض ووقفت علىٰ ﴿عِندَهُۥ﴾ مستأنفًا ﴿لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾.

المعنىٰ: له الكل، والملائكة لا يتعظمون ﴿عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ﴾: (كا) لا يعيون حسر، واستحسر: أعيا، واستحسر: أبلغ، تقف هنا إن استأنفت ولم تجعل حالًا ﴿يُسَبِّحُونَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ﴾: حال من فاعل (يسبحون)، وأصل الفتور السكون بعد حدة، أي: لا يسكنون؛ لأنَّ التسبيح لهم كالنفس لبني آدم، لا أحب الوقف علىٰ ﴿يفترون﴾ ولا علىٰ ﴿الليل﴾.

تلخيصه: هم منقادون [للطاعة][1] وتسبيحهم دائم في جميع الأوقات.

ثم أضرب عن عمل المشركين منكرًا عليهم وموبخًا فجاء بـ«أم» التي بمعنىٰ «بل» والهمزة فقال: ﴿أَمِ ٱتَّخَذُوٓاْ ءَالِهَةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ﴾: صفة آلهة؛ لأنَّ آلهتهم كانت متخذة من جواهر الأرض كالحجر والذهب والفضة، ويعبدونها فيها، فنسبت إليها، نحو: فلان من مكة، أي: مكي.

وفي قوله تعالىٰ: ﴿هُمْ يُنشِرُونَ﴾: (تا) زيادة توبيخ وإن لم يدَّعوا أنَّ أصنامهم تحيي؛ لأنَّه يلزم من دعوىٰ الألوهية فيها دعوىٰ الإنشار لها؛ لأنَّ العاجز عن ذلك

---

(١) في أ، ب: للطاعات، والمثبت من ج.

لا يجوز أن يكون إلهًا، وقرئ (يَنشرون): بفتح الياء، نشر الله الموتىٰ، وأنشرهم أحياهم، و(إلا) في ﴿لَوۡ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ﴾: بمعنىٰ «غير»؛ ولذلك ارتفع ما بعدها نعتًا لآلهة، ولا يجوز رفعه بدلًا؛ لأنَّ المعنىٰ يصير: «لو كان فيهما الله لفسدتا»، وذلك فاسد، ولأنَّ البدل لا يجوز إلا فيما كان قبله غير موجب نحو: ﴿وَلَا يَلۡتَفِتۡ مِنكُمۡ أَحَدٌ إِلَّا ٱمۡرَأَتَكَ﴾ [هود:٨١].

و«لو» بمنزلة «إن» في أنَّ الكلام معها إيجاب، ولا يجوز نصبه استثناءً؛ لأنَّه يصير المعنىٰ: إن فسادهما لوجود الله تعالىٰ مع الآلهة فيهما، فقد أثبت آلهةً غيره، نحو: لو كان في الدار قوم إلا زيدًا لقتلتهم، امتنع القتل لوجود زيد معهم في الدار، أو لأنَّ آلهة نكرة، والجمع إذا كان نكرة لا يستثنىٰ منه عند محققيهم؛ لأنَّه لا يعم المستثنىٰ لولا الاستثناء، وقوله: ﴿إِلَّا ٱللَّهُ﴾ يوجب ألا يدبّرهما إلا واحد، ويوجب أن لا يكون إلا هو تعالىٰ علاؤه وشأنه.

المعنىٰ: لو كان في السموات والأرض مدبر غير الله تعالىٰ ﴿لَفَسَدَتَا﴾ [(تا)][(١)] لهلكتا وهلك من فيهما لوجود [المانع][(٢)]؛ لأنَّ كل أمر بين اثنين أو أكثر لا يجري علىٰ نظام واحد، [وإن كانا][(٣)] حكيمين ويريان المصلحة؛ لأنَّ الشيء قد تتساوىٰ جهتا الحكمة فيه ولابد من إيقاع إحداهما حسب، فربما اختار أحدهما خلاف الآخر، ونرىٰ ظاهرًا أنَّ الرعية تفسد بتدبير ملكين لوقوع التغالب والتناكر بينهما.

﴿فَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلۡعَرۡشِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾: (تا) له من الشريك والولد ﴿لَا يُسۡـَٔلُ عَمَّا يَفۡعَلُ﴾: (كا) ويحكم، سؤال إنكار؛ لأنَّه المالك حقيقة، ولعدم الجامع بينه وبين خلقه، ولاستحالة جواز الخطأ عليه، ولو اعترض علىٰ السلطان بعض عبيده مع وجود المجانسة وجواز الخطأ وعدم الملك الحقيقي لاستقبح ذلك وعُدَّ سفهًا.

---

(١) في أ، ب: (كا)، والمثبت من ج.

(٢) في أ، ب: التمانع، والمثبت من ج.

(٣) في أ، ب: ولكانا، والمثبت من ج.

﴿وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ﴾: (كا) لأنهم عبيده حقيقة.

﴿ أَمِ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً ۖ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَـٰنَكُمْ ۖ هَـٰذَا ذِكْرُ مَن مَّعِىَ وَذِكْرُ مَن قَبْلِى ۗ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْحَقَّ ۖ فَهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٢٤﴾ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾ وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَـٰنُ وَلَدًا ۗ سُبْحَـٰنَهُۥ ۚ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴿٢٦﴾ لَا يَسْبِقُونَهُۥ بِٱلْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِۦ يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِۦ مُشْفِقُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾

وكرر ﴿أَمِ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً﴾: (كا) لزيادة إنكار عليهم حيث جعلوا له شريكًا، فقيل لهم: ﴿هَاتُوا۟ بُرْهَـٰنَكُمْ﴾: (كا) علىٰ ذلك، ولا سبيل إليه.

﴿هَـٰذَا ذِكْرُ﴾: أي القرآن، خبر وعظة ﴿مَن مَّعِىَ﴾: علىٰ ديني إلىٰ يوم القيامة ﴿وَذِكْرُ مَن قَبْلِى﴾: (كا) من الأمم والكتب السالفة.

وقرئ: (ذكرٌ) منونًا فيهما، فمَن نصب فيهما بذكر نحو ﴿أوإطعام فى يوم ذى مسغبة يتيما﴾: وقرئ بالتنوين وكسر «من» فيهما، تقديره: هذا ذكر من كتاب معي ومن كتاب قبلي، فحذف كتاب، وقرئ: (ذكر معي وذكر قبلي)، فلمَّا لم يرعووا عن كفرهم أضرب عنهم فقال: ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ﴾: أي جميع الكفار ﴿لَا يَعْلَمُونَ ٱلْحَقَّ﴾: القرآن والتوحيد، لجهلهم و﴿الحق﴾ : نصب بـ﴿يعلمون﴾.

وقرئ برفعه خبر مبتدأ، أي: هو الحق، فيجوز الوقف علىٰ ﴿يَعْلَمُونَ﴾.

﴿فَهُم مُّعْرِضُونَ﴾: (تا) عن النظر فيما يجب عليهم ﴿فَٱعْبُدُونِ﴾: (حس).

ونزل لمَّا قيل: الملائكة بنات الله: ﴿وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَـٰنُ وَلَدًا ۗ سُبْحَـٰنَهُۥ﴾: (كا) عن ذلك ﴿بَلْ عِبَادٌ﴾ أي: بل هم عباد ﴿مُّكْرَمُونَ﴾: مشرَّفون، والعبودية تنافي الولادة، وقرئ: ﴿مُكَرَّمون﴾.

﴿لَا يَسْبِقُونَهُۥ بِٱلْقَوْلِ﴾ أي: بقولهم، فاللام نابت مناب الإضافة، نحو: ﴿ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ﴾، وقرئ بضم الياء من سابقته فسبقته أسبقه.

المعنىٰ: يتبعون أمره ولا يتقدمون قوله بقولهم، نحو: سبقت فرسه بفرسي.

تلخيصه: لا يأتون إلا مراده.

﴿وَهُم بِأَمْرِهِۦ يَعْمَلُونَ﴾: (كا)؛ لأنَّهم عارفون مراقبون.

﴿وَمَا خَلْفَهُمْ﴾: (كا).

ولا أحب الوقف علىٰ ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ﴾: تعالىٰ أن يشفع له ﴿وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِۦ﴾: من هيبته وهيبتهم إياه ﴿مُشْفِقُونَ﴾: (حس) خائفون يرتعدون لا يأمنون مكره تعالىٰ، [ثم تهدد][1] [ق/ ٢٥٢ب] المشركين بتهديد مدعي الربوبية، فقال:

﴿ ۞ وَمَن يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّىٓ إِلَٰهٌ مِّن دُونِهِۦ فَذَٰلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾ أَوَلَمْ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَٰهُمَا ۖ وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ ۖ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٠﴾ وَجَعَلْنَا فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا لَّعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٣١﴾﴾

﴿وَمَن يَقُلْ مِنْهُمْ﴾: من جميع الخلائق فرضًا: ﴿إِنِّىٓ إِلَٰهٌ مِّن دُونِهِۦ فَذَٰلِكَ﴾: مبتدأ خبره ﴿نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ﴾: (كا) وهما جواب الشرط.

﴿ٱلظَّٰلِمِينَ﴾: (تا).

القراءة: ﴿أَوَلَمْ يَرَ﴾: بواو قبل اللام كما هي في المصحف، وبغير واو كما هي في مصحف آخر[2] مع تواتر النقل بهما.

المعنىٰ: ألم يعلم الكافرون ﴿أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ كَانَتَا﴾: أي: جنساهما ﴿رَتْقًا﴾ ذات رتق، وهو الضم والالتحام خلقة كانت أو صنعة، أي: كانتا شيئًا واحدًا ﴿فَفَتَقْنَٰهُمَا﴾: أبنَّا إحداهما من الأخرىٰ بالهواء، فجعلت السماء سبعًا والأرض سبعًا، وعلم الكفار ذلك؛ لأنَّ رتقهما وفتقهما ممكن عقلًا، فجاز وقوعه

---

(١) في ج: بتهدد، والمثبت من أ، ب.

(٢) انظر: «الكشاف» (٣/ ١١٣).

وقد أخبر بذلك القرآن وهو معجز فوجب تصديقه، أو رتق السموات أن كانت لا تمطر فمطرت، وفتق الأرض أن كانت لا تنبت فأنبتت.

﴿وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ﴾: النازل من السماء ﴿كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ﴾: [(كا)][1] المعنىٰ: أحييناه به؛ لأنَّه سبب حياته والنبات داخل فيه، أو المعنىٰ: كل مخلوق غالبًا من الماء النازل من السماء.

وقرئ: (حيًّا) مفعولًا ثانيًا، والظرف لغو.

﴿أَفَلَا يُؤْمِنُونَ﴾: (حس).

﴿رَوَٰسِىَ﴾ جبالًا ثوابت.

﴿أَن تَمِيدَ بِهِمْ﴾: أي لأنْ لا تميد، فحذفت «لا» لأمن اللبس؛ كما زيدت في ﴿لِّئَلَّا يَعْلَمَ﴾.

﴿وَجَعَلْنَا فِيهَا﴾: في الرواسي أو [في][2] الأرض.

﴿فِجَاجًا﴾: جمع فج، وهو الشق بين الجبلين، أو الطريق الواسع، ونصبها حال مقدمة من ﴿سُبُلًا﴾: طرقًا، نحو[3]:

لعزة موحشًا طلل

أو ﴿سبلًا﴾: بدل من ﴿فجاجًا﴾.

﴿لَّعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ﴾: (كا) إلىٰ مصالحهم.

﴿ وَجَعَلْنَا ٱلسَّمَآءَ سَقْفًا مَّحْفُوظًا ۖ وَهُمْ عَنْ ءَايَـٰتِهَا مُعْرِضُونَ ﴿٣٢﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ كُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٣٣﴾ وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ ٱلْخُلْدَ ۖ أَفَإِي۟ن مِّتَّ فَهُمُ ٱلْخَـٰلِدُونَ ﴿٣٤﴾ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ۗ وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً ۖ وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾

---

(١) سقط من ج، والمثبت من أ، ب.

(٢) سقط من أ، ب، والمثبت من ج.

(٣) الشاعر هو: كثير عزة، والبيت في «ديوانه» (ص/ ٥٦)، والبيت بتمامه:

لعزة موحشًا طلل يلوح كأنه خلل

﴿وَجَعَلْنَا ٱلسَّمَآءَ سَقْفًا مَّحْفُوظًاۖ﴾: عن الوقوع، أو بالشهب عن استراق السمع.

﴿وَهُمْ عَنْ ءَايَٰتِهَا﴾: التي فيها من الشمس والقمر [والنيرات][1].

﴿مُعْرِضُونَ﴾: (تا) عن الاستدلال بها على صانعها فيؤمنون، وقرئ: (آيتها) لدلالة الواحد على الجنس، لا أحب الوقف من ﴿يؤمنون﴾ إلى هنا.

ثم أوضح ذلك بقوله: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَۖ﴾: (حس).

﴿كُلٌّ﴾ تنوينه بدل من محذوف، أي: كل واحد من المذكور، أو كل النيرات ﴿فِى فَلَكٍ﴾ في مجاريها، والفلك السماء، وكل مستدير فلك، فـ(كل) مبتدأ خبره ﴿يَسْبَحُونَ﴾: (تا) يسيرون بسرعة، أو خبره ﴿فِى فَلَكٍ﴾، فـ﴿يَسْبَحُونَ﴾: حال أو هي استئناف، وذكر ضمير ﴿يسبحون﴾ وجُمع [جمع][2] ضمير العقلاء لوصفهم بالسباحة، والمراد بـ(فلك) الجنس.

ونزل نفيًا للشماتة بالموت لمَّا قال المشركون: إنَّ محمدًا سيموت: ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ ٱلْخُلْدَۖ﴾ البقاء ﴿أَفَإِيْن مِّتَّ فَهُمُ ٱلْخَٰلِدُونَ﴾: (تا) وحذفت الهمزة من (أفهم) لدلالة الأولى عليها.

تلخيصه: كل البشر يموتون، دليله: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِۗ﴾.

وقرئ: (ذائقةٌ) رفعًا منونًا[ق/ ١٥١أ]، ونصب (الموت) على الأصل، المعنى: إنَّ النفوس تزهق بملابسة أيسر جزء من الموت، وهذا تهويل لشأنه.

﴿فِتْنَةًۖ﴾ مفعول له أو مصدر مؤكد لـ(نبلوكم) من غير لفظه، ثم تهددهم فقال: ﴿وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾: (كا) فنجازيكم.

﴿وَإِذَا رَءَاكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَٰذَا ٱلَّذِى يَذْكُرُ ءَالِهَتَكُمْ وَهُم بِذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ هُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٣٦﴾ خُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ مِنْ عَجَلٍۚ سَأُوْرِيكُمْ ءَايَٰتِى فَلَا

(١) سقط من ج، والمثبت من أ، ب.

(٢) في ج: ضمير، والمثبت من أ، ب.

تَسۡتَعۡجِلُونِ ﴿٣٧﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلۡوَعۡدُ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴿٣٨﴾ ﴾

﴿إِلَّا هُزُوًا﴾ مفعول ثان لـ ﴿يتخذونك﴾.

﴿يَذۡكُرُ﴾: يعيب ﴿ءَالِهَتَكُمۡ﴾: (كا) والذكر نعم الخير والشر، فإن كان من عدو فهو ذم، وإن كان من صديق فهو مدح، تقف هنا إن استأنفت ولم تنصب حالًا﴿وَهُم بِذِكۡرِ ٱلرَّحۡمَٰنِ﴾: أي: بما يذكر به من الوحدانية ﴿هُمۡ كَٰفِرُونَ﴾: (تا) جاحدون، أو ذكره القرآن.

تلخيصه: يتخذونك هزءًا وهم علىٰ حال يستهزأ بهم فيها، وهي الكفر بالرحمن.

﴿خُلِقَ ٱلۡإِنسَٰنُ﴾: أي آدم، أو الجنس، أو النضر بن الحارث حيث طلب نزول العذاب به.

ومحل ﴿مِنۡ عَجَلٍ﴾: (كا) إسراع[ق/ ١٨١ جـ] نصب بـ﴿خلق﴾، أو حال، أي: عجلًا؛ لأنَّ آدم لمَّا دخلت الروح رأسه أبصر ثمار الجنة، فقام نحوها عجلًا قبل أن تبلغ الروح رجليه، أو خلق يوم الجمعة فقال: يا رب، أسرع بخلقي قبل الغروب.

ابن عباس: خلقت العجلة من الإنسان، فتكون من المقلوب، نحو: ﴿ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلۡعُصۡبَةِ ﴾ أي: لتنوء العصبة بالمفاتح، أو خلق آدم بعجلة من غير ترتيب نطفة ثم علقة ثم مضغة كغيره بأن قيل له: كن فكان، أو العجل الطين.

وقرئ: (خَلَقَ الإنسانَ) معلومًا الفاعل الله تعالىٰ.

تلخيصه: جنس الإنسان [مجبول](١) علىٰ العجلة.

﴿سَأُوْرِيكُمۡ ءَايَٰتِي﴾ نقماتي ﴿فَلَا تَسۡتَعۡجِلُونِ﴾: (كا) بالإتيان بها، نهوا عن الاستعجال مع خلق العجلة فيهم ليصدوا نفوسهم عن مرادها.

﴿ لَوۡ يَعۡلَمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ حِينَ لَا يَكُفُّونَ عَن وُجُوهِهِمُ ٱلنَّارَ وَلَا عَن ظُهُورِهِمۡ وَلَا هُمۡ

---

(١) سقط من ج، والمثبت من أ، ب.

يُنصَرُونَ ﴿٣٩﴾ بَلْ تَأْتِيهِم بَغْتَةً فَتَبْهَتُهُمْ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ رَدَّهَا وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٤٠﴾
وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِٱلَّذِينَ سَخِرُواْ مِنْهُم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٤١﴾﴾

﴿صَٰدِقِينَ﴾: (تا) وجواب ﴿لَوْ﴾ محذوف، وحذف الجواب في مثل هذا أبلغ؛ لأنَّ النفس تذهب فيه كل مذهب ﴿يَعْلَمُ﴾ مفعوله ﴿حِينَ لَا يَكُفُّونَ عَن وُجُوهِهِمُ ٱلنَّارَ وَلَا عَن ظُهُورِهِمْ﴾؛ لإحاطتها بهم.

﴿بَلْ تَأْتِيهِم﴾ الساعة أو النار ﴿بَغْتَةً﴾ مصدر في موضع الحال.

تلخيصه: لا [يمنعونها][(1)] بل تفجؤهم ﴿فَتَبْهَتُهُمْ﴾ تحيرهم.

﴿فَلَا يَسْتَطِيعُونَ رَدَّهَا وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ﴾: (تا) لا يمهلون.

وقرئ بتذكير (تأتيهم)، و(تبهتهم) أي: يأتهم الوعد أو العذاب ﴿يَسْتَهْزِءُونَ﴾: (تا) المعنىٰ: استهزئ بالرسل قبلك كما استهزئ بك فصبروا، فنزل بالمستهزئين العذاب جزاء استهزائهم، فاصبر أنت.

﴿ قُلْ مَن يَكْلَؤُكُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ مِنَ ٱلرَّحْمَٰنِ ۗ بَلْ هُمْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِم مُّعْرِضُونَ ﴿٤٢﴾
أَمْ لَهُمْ ءَالِهَةٌ تَمْنَعُهُم مِّن دُونِنَا ۚ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَ أَنفُسِهِمْ وَلَا هُم مِّنَّا يُصْحَبُونَ ﴿٤٣﴾
بَلْ مَتَّعْنَا هَٰٓؤُلَآءِ وَءَابَآءَهُمْ حَتَّىٰ طَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْعُمُرُ ۗ أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِي ٱلْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ
أَطْرَافِهَآ ۚ أَفَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿٤٤﴾﴾

و﴿قُلْ﴾ للمستهزءين.

﴿مَن يَكْلَؤُكُم﴾ يحفظكم ﴿بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ مِنَ ٱلرَّحْمَٰنِ﴾: (كا) من عذابه إن نزل بكم ﴿أَمْ لَهُمْ ءَالِهَةٌ تَمْنَعُهُم مِّن دُونِنَا﴾: (كا) لاستئنافك ﴿لَا يَسْتَطِيعُونَ﴾ أي: الأصنام أو عابدوها ﴿وَلَا هُم مِّنَّا﴾ من عذابنا ﴿يُصْحَبُونَ﴾: (كا) يجازون، من قولهم: أنا صاحب لفلان، وجار له.

﴿طَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْعُمُرُ﴾: (تا).

---

(١) في ج: يمنعون منها، والمثبت من أ، ب.

﴿مِنۡ أَطۡرَافِهَآۚ﴾: (كا).

﴿أَفَهُمُ ٱلۡغَٰلِبُونَ﴾: (تا).

﴿قُلۡ إِنَّمَآ أُنذِرُكُم بِٱلۡوَحۡيِۚ وَلَا يَسۡمَعُ ٱلصُّمُّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا مَا يُنذَرُونَ ﴿٤٥﴾ وَلَئِن مَّسَّتۡهُمۡ نَفۡحَةٞ مِّنۡ عَذَابِ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ يَٰوَيۡلَنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿٤٦﴾ وَنَضَعُ ٱلۡمَوَٰزِينَ ٱلۡقِسۡطَ لِيَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ فَلَا تُظۡلَمُ نَفۡسٞ شَيۡـٔٗاۖ وَإِن كَانَ مِثۡقَالَ حَبَّةٖ مِّنۡ خَرۡدَلٍ أَتَيۡنَا بِهَاۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ ﴿٤٧﴾﴾

﴿إِنَّمَآ أُنذِرُكُم بِٱلۡوَحۡيِۚ﴾: (تا) بالقرآن.

القراءة: ﴿وَلَا يَسۡمَعُ﴾ بضم التاء من أسمع خطابًا للنبي ﷺ، وبنصب ﴿ٱلصُّمُّ ٱلدُّعَآءَ﴾ مفعولين، وبياء مفتوحة ورفع (الصمُّ) فاعلًا ونصب (الدعاء) مفعولًا من سمع أخبار عن الكفار، وقرئ بضم الياء مجهولًا ورفع (الصمُّ) وتنصب ﴿إِذَا مَا يُنذَرُونَ﴾: (كا) بـ(تُسمع)، أو بـ(الدعاء).

تلخيصه: هم صم عن الدعاء إلىٰ الإيمان وقت الإنذار.

﴿وَلَئِن مَّسَّتۡهُمۡ نَفۡحَةٞ﴾ قطعة ﴿مِّنۡ عَذَابِ رَبِّكَ﴾ الذي خوفوا به ﴿لَيَقُولُنَّ﴾ عند نزولها بهم: ﴿إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ﴾: (تا) بشركنا.

المعنىٰ: لو نزل بهم في الدنيا بعض عذاب الأخرىٰ لاعترفوا بالظلم ولذلوا.

﴿وَنَضَعُ ٱلۡمَوَٰزِينَ ٱلۡقِسۡطَ﴾ العدل، أي: ذوات العدل، أو صفت الموازين بالقسط؛ لأنَّه مصدر.

﴿لِيَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ﴾ أي: لأجله.

﴿فَلَا تُظۡلَمُ نَفۡسٞ شَيۡـٔٗاۖ﴾: (كا) من الظلم.

القراءة: ﴿وَإِن كَانَ مِثۡقَالَ﴾ نصبًا فـ(كان) ناقصة، ورفعًا فـ(كان) تامة، أي: وقع زنة ﴿حَبَّةٖ مِّنۡ خَرۡدَلٍ﴾ صفة حبة، أو مثقال وهو حب معروف ﴿أَتَيۡنَا بِهَاۗ﴾ جئنا بها، وقرئ بها، وقرئ: (أثبنا بها) من الثواب، و(آتينا بها) أي: جازينا بها، فوزنه

فاعلنا دون أفعلنا لأجل الباء في (بها).

﴿وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ﴾: (تا) مُحصين، [ق/ ٢٥٣ب] الزجاج[(١)]: هذا خبر ومعناه أمر، أي: اكتفوا.

﴿ٱلْفُرْقَانَ﴾: التوراة.

﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ٱلْفُرْقَانَ وَضِيَآءً وَذِكْرًا لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٨﴾ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ وَهُم مِّنَ ٱلسَّاعَةِ مُشْفِقُونَ ﴿٤٩﴾ وَهَٰذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنزَلْنَٰهُ أَفَأَنتُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ ﴿٥٠﴾ ﴾

﴿وَضِيَآءً﴾: التوراة أيضًا، دخلت الواو عليها وإن كانت صفة كمررت بزيد العالم والصالح، فنصبه حال، أي: آتيناهما الفرقان مضيئًا، وقرئ: (ضياء) بغير واو، فنصبه حال، أو (الفرقان) انفراق البحر، أو الفرق بين الحق والباطل، أو المخرج من الشبهات، فضياء غير صفة، أي: آتيناهما التوراة، و(ضياء) تبصرة لدينهم ﴿وَذِكْرًا﴾: عظة وتذكيرًا.

﴿لِّلْمُتَّقِينَ﴾: أو ذكر ما يحتاجون إليه للدارين، لا وقف هنا إن جررت ما بعد صفة للمتقين، ويكفي إن رفعت أو نصبت مدحًا.

﴿ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ﴾ حال، المعنىٰ: يخافونه في الخلاء [كخوفه][(٢)] بين الناس.

﴿وَهُم مِّنَ ٱلسَّاعَةِ﴾: وأهوالها ﴿مُشْفِقُونَ﴾: (حس) خائفون.

﴿وَهَٰذَا﴾: أي: القرآن ﴿ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ﴾: لمن تذكر به وتبرك به، وقرئ: (مباركًا) حال.

﴿مُنكِرُونَ﴾: (تا).

﴿ ۞ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَآ إِبْرَٰهِيمَ رُشْدَهُۥ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِۦ عَٰلِمِينَ ﴿٥١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا هَٰذِهِ

---

(١) «معاني القرآن» (٣/ ٣٩٤).

(٢) في ج: كخوفهم، والمثبت من ج.

ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِيٓ أَنتُمۡ لَهَا عَٰكِفُونَ ﴿٥٢﴾ قَالُواْ وَجَدۡنَآ ءَابَآءَنَا لَهَا عَٰبِدِينَ ﴿٥٣﴾ قَالَ لَقَدۡ كُنتُمۡ أَنتُمۡ وَءَابَآؤُكُمۡ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ﴿٥٤﴾ قَالُوٓاْ أَجِئۡتَنَا بِٱلۡحَقِّ أَمۡ أَنتَ مِنَ ٱللَّٰعِبِينَ ﴿٥٥﴾﴾

﴿إِبۡرَٰهِيمَ رُشۡدَهُۥ﴾: وقرئ: [رَشَدَه][1] لغتان، أي: هداه.

﴿مِن قَبۡلُ﴾: أي: قبل بلوغه.

روي أنَّه لمَّا ولد بعث إليه مَلَك، فقال: إن الله يأمرك أن تعرفه بقلبك وتذكره بلسانك، فقال: قد فعلت، ولم يقل: أفعل، أو قبل موسىٰ وهارون، فالرشد النبوة، أو الخلة،أو محاجة قومه.

المعنىٰ: كما هديناهما وآتيناهما النبوة هدينا إبراهيم واصطفيناه من قبل ذلك.

ثم أخبر أنَّه آتاه ذلك وهو عالم أنَّه لذلك أهل فقال: ﴿وَكُنَّا بِهِۦ عَٰلِمِينَ﴾: في هذا إشارة إلىٰ أنَّ الأشياء لا تصدر عنه إلا باختيار منه، وأنَّه عالم بجزئياتها تعالىٰ، لا [وقف هنا][2] إن نصبت (إذ) بعد ظرفًا لـ (عالمين) أو لـ (رشده) أولـ(آتينا)، ويكفي إن نصبته بمضمر، أي: اذكر وقت قوله لهم تهاونًا بهم وبها: ﴿مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ﴾ جمع التمثال وهو الصنم ﴿ٱلَّتِيٓ أَنتُمۡ لَهَا عَٰكِفُونَ﴾: (كا) لأجل عبادتها واقفون، أو «اللام» بمعنىٰ «علىٰ»، فلمَّا عجزوا عن الإتيان بالدليل علىٰ ذلك ﴿قَالُواْ وَجَدۡنَآ ءَابَآءَنَا لَهَا عَٰبِدِينَ﴾: (كا) فقلدناهم، فقال: ﴿لَقَدۡ كُنتُمۡ﴾ أيها المقلدون ﴿وَءَابَآؤُكُمۡ﴾ المقلدون في ﴿ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ﴾: [(تا)][3] ظاهر لا يخفىٰ علىٰ عاقل.

﴿مِنَ ٱللَّٰعِبِينَ﴾: (كا).

تلخيصه: أحقًّا ما تقول أم تلعب؟ فثمَّ أضرب عنهم مخبرًا أنَّه جِدٌّ، ومثبتًا الربوبية وحدوث الأصنام، فقال:

(١) سقط من ج، والمثبت من أ، ب.
(٢) سقط من ج، والمثبت من أ، ب.
(٣) في أ، ب: (كا)، والمثبت من ج.

﴿قَالَ بَل رَّبُّكُمْ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلَّذِى فَطَرَهُنَّ وَأَنَا۠ عَلَىٰ ذَٰلِكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٥٦﴾ وَتَٱللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَٰمَكُم بَعْدَ أَن تُوَلُّوا۟ مُدْبِرِينَ ﴿٥٧﴾ فَجَعَلَهُمْ جُذَٰذًا إِلَّا كَبِيرًا لَّهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ ﴿٥٨﴾ قَالُوا۟ مَن فَعَلَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَآ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٩﴾ قَالُوا۟ سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُۥٓ إِبْرَٰهِيمُ ﴿٦٠﴾﴾

﴿بَل رَّبُّكُمْ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلَّذِى فَطَرَهُنَّ﴾ أي: الأصنام، فكيف يعبد المخلوق ويجحد الخالق؟!

﴿وَأَنَا۠ عَلَىٰ ذَٰلِكُم﴾ المذكور من التوحيد مقيم وشاهد ﴿مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾: (كا) بصحته ومبرهن عليه كتحقيق الشاهد لشاهدته.

﴿وَتَٱللَّهِ﴾ وقرئ: (وبالله) ﴿لَأَكِيدَنَّ﴾: لأكسرن ﴿أَصْنَٰمَكُم بَعْدَ أَن تُوَلُّوا۟﴾: عنها ﴿مُدْبِرِينَ﴾: (كا) إلىٰ عيدكم، وكانوا قد وضعوا طعامهم لدىٰ أصنامهم - زعموا التبرك عليه - فإذا رجعوا أكلوه، فلمَّا لم يبق عندهم أحد أخذ الفأسَ ودخل عليهم والطعام لديهم، فقال استهزاءً بهم: ألا تأكلون؟ فلم يجيبوه، فأكب عليهم به.

﴿فَجَعَلَهُمْ جُذَٰذًا﴾ قطعًا.

﴿إِلَّا كَبِيرًا لَّهُمْ﴾ القراءة بكسر الجيم وضمها لغتان، وقرئ بفتحها مصدر، أي: ذوي جذاذ، وجُذذًا جمع جذيذ، وجُذذًا جمع جذة كقبة، المعنىٰ: كسَّر جميع أصنامهم إلا كبيرها علق الفأس في عنقه وتركه.

﴿لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ﴾: إلىٰ الصنم الأعظم ﴿يَرْجِعُونَ﴾: (كا) فيسألونه عن كاسرها، وهذا تبكيت لهم وإثبات للحجة [عليهم][1]، أو يرجعون إلىٰ دينه عند تحققهم عجز آلهتهم، فلمَّا رأوا ذلك ﴿قَالُوا۟ مَن فَعَلَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَآ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾: (كا) فقال من سمع قوله: ﴿لأكيدن أصنامكم﴾: ﴿سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُۥٓ

---

(١) في أ، ب: عليه، والمثبت من ج.

إِبۡرَٰهِيمُ﴾: (كا) ويذكرهم ويقال له، الجملتان صفتان لـ(فتىٰ)، ورفع (إبراهيم) خبر مبتدأ محذوف، أو منادىٰ، أو مفعولًا، يقال: فالمراد: الاسم لا المسمىٰ، أي: الذي يقال له هذا الاسم، فقال نمروذ وأصحابه .

﴿ قَالُواْ فَأۡتُواْ بِهِۦ عَلَىٰٓ أَعۡيُنِ ٱلنَّاسِ لَعَلَّهُمۡ يَشۡهَدُونَ ﴿٦١﴾ قَالُوٓاْ ءَأَنتَ فَعَلۡتَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَا يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُ ﴿٦٢﴾ قَالَ بَلۡ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمۡ هَٰذَا فَسۡـَٔلُوهُمۡ إِن كَانُواْ يَنطِقُونَ ﴿٦٣﴾ فَرَجَعُوٓاْ إِلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ فَقَالُوٓاْ إِنَّكُمۡ أَنتُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٦٤﴾ ثُمَّ نُكِسُواْ عَلَىٰ رُءُوسِهِمۡ لَقَدۡ عَلِمۡتَ مَا هَٰٓؤُلَآءِ يَنطِقُونَ ﴿٦٥﴾ ﴾

ومحل ﴿عَلَىٰٓ أَعۡيُنِ ٱلنَّاسِ﴾ حال، أي: ظاهرًا ﴿لَعَلَّهُمۡ يَشۡهَدُونَ﴾: (كا) عليه أنَّه كسرها لئلا نأخذه بلا بينة، أو يشهدون عقابه، فلمَّا جيء به ﴿قَالُوٓاْ ءَأَنتَ فَعَلۡتَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَا يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُ﴾: (كا).

﴿قَالَ بَلۡ فَعَلَهُۥ﴾: (كا) إن حذفت الفاعل، أي: فعله [من فعله](1)، وغير جائز إن رفع ﴿كَبِيرُهُمۡ﴾: فاعلًا، (هَٰذَا) صفته، أو بدل منه، ونسب ذلك إلىٰ كبيرهم إثباتًا للحجة عليهم؛ لأنَّهم إذا نظروا النظر الصحيح علموا عجز كبيرهم، فلا يجوز أن يكون إلهًا، وهذا من المعاريض.

وقرئ: (فعلَّه) أي: فلعله، ويوضح أنَّه قصد إثبات الحجة عليهم إن أقرهم بسؤال جميع الأصنام، فقال: ﴿فَسۡـَٔلُوهُمۡ﴾ عن حالهم.

﴿إِن كَانُواْ يَنطِقُونَ﴾: (كا) وأنتم تعلمون عجزهم عن ذلك، والعاجز لا يجوز أن يعبد، ولا يكون إلهًا، فثَمَّ قال بعضهم لبعض: ﴿إِنَّكُمۡ أَنتُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ بعبادتكم من لا يتكلم، أو بسؤالكم هذا الرجل وآلهتكم حضور.

﴿ثُمَّ نُكِسُواْ عَلَىٰ رُءُوسِهِمۡ﴾ أي: ردوا إلىٰ الكفر بعد اعترافهم بالظلم، ومنه نكس المريض، عاد إلىٰ المرض بعد العافية، وأصله قلبُ أعلىٰ الشيء أسفله.

(١) سقط من ج، والمثبت من أ، ب.

وقرئ: (نُكِّسوا) مشددًا، (ونكِسوا) مخففًا، أي: نكسوا أنفسهم على رؤوسهم، أو نكسوا على رؤوسهم حقيقة، بأن طأطؤوها؛ حياءً وخجلًا لمَّا لزمتهم الحجة، والساد مسد مفعولي ﴿عَلِمْتَ مَا هَٰٓؤُلَآءِ يَنطِقُونَ﴾: (كا) المعنىٰ: لقد علمت عجزهم عن النطق، فكيف نسألهم؟ فقال متكرهًا متضجرًا منهم [ق/ ١٨٢ جـ] ومن معبوديهم:

﴿قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْـًٔا وَلَا يَضُرُّكُمْ ﴿٦٦﴾ أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾ قَالُوا۟ حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓا۟ ءَالِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ ﴿٦٨﴾ قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾ وَأَرَادُوا۟ بِهِۦ كَيْدًا فَجَعَلْنَٰهُمُ ٱلْأَخْسَرِينَ ﴿٧٠﴾﴾

﴿أُفٍّ لَّكُمْ﴾ اللام للبيان، أي: لكم ولمعبوديكم هذا التكره.

﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾: (كا) هذا المقدار الظاهر الذي يعرفه كل عاقل فتؤمنون، فثَمَّ أضربوا عن محاجته انقطاعًا ﴿قَالُوا۟ حَرِّقُوهُ﴾: بالنار؛ لأنَّها أوجع وأبشع وأشنع ﴿وَٱنصُرُوٓا۟ ءَالِهَتَكُمْ﴾: علىٰ الذي أهانهم ﴿إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ﴾: (كا) النصر والانتقام، ثم حبسوه في بيت بكوثىٰ شهرًا وجمعوا جملة عظيمة من الحطب، وأضرموا في نواحيها النيران فصارت نارًا واحدة شديدة حتىٰ إنَّ الطير لتحترق إذا مرت بها، ثم غلُّوه ووضعوه في كفة المنجنيق، فثَمَّ قال إبراهيم: «لا إله إلا أنت سبحانك، لك الحمد، ولك الملك لا شريك لك». فاستغاثت السماء والأرض ومن فيهما إلا الثقلين: خليلك يلقىٰ في النار، وليس في أرضك من يعبدك غيره، فأذن لنا في نصرته. فقال تعالىٰ: إنَّه خليلي ليس لي خليل سواه، وأنا إلهه ليس له إله غيري، فإن استغاث بشيء منكم فانصروه فقد أذنت له في ذلك، وإن لم يدع غيري فأنا أعلم به، وأنا وليه فخلوا بيني وبينه. فأتاه خازن المياه وخازن [ق/ ١٥٢أ] الرياح واستأذناه في نصره، فقال: لا حاجة [ق/ ٢٥٤ب] بي إليكم، حسبي الله ونعم الوكيل.

ولمَّا رُمي قال له جبريل في الهواء: ألك حاجة؟ فقال: أما إليك فلا، فقال: سل

الله إن لم تسألني. فقال: حسبي من سؤالي علمه بحالي[(١)]، ولمَّا وقع في النار لم يحترق سوىٰ وثاقه.

﴿قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَٰمًا﴾ أي: ذا برد وذا سلام، أي: أبردي بردًا غير ضار، فذهبت حرارتها [وإحراقها][(٢)] وبقيت إضاءتها وإشراقها.

ابن عباس[(٣)]: لو لم يقل بردًا وسلامًا لمات إبراهيم من بردها، ولو لم يقل: ﴿عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ﴾: (حس) لبقيت بردًا وسلامًا أبدًا.

ولمَّا سقط في النار أخذت الملائكة بضبعَيه فأجلسوه علىٰ الأرض، فإذا بعين ماء عذب وروضة تهتز وورد أحمر ونرجس، فأقام فيها سبعة أيام، أو أربعين، أو خمسين يومًا.

وروي أنَّه جاء ملك بقميص من حرير الجنة وطنفسة، فألبسه القميص وأجلسه علىٰ الطنفسة، وجعل يحدثه ويقول له: إن ربك يقول لك: أما علمت أنَّ النار لا تضر أحبائي؟

وروي أنَّه قال: ما كنت قط أنعم مني من الأيام التي كنت فيها في النار.

﴿وَأَرَادُواْ بِهِۦ كَيْدًا﴾ إحراقًا.

﴿فَجَعَلْنَٰهُمُ ٱلْأَخْسَرِينَ﴾: (حس) في نفقاتهم علىٰ [كيدهم][(٤)]، أو الهالكين بأن سُلِّط عليهم البعوضُ فقتلهم، ودخلت بعوضة دماغ نمروذ فأهلكته.

---

(١) هذا متلقىٰ عن أهل الكتاب، وقد ذكره غير واحد من المفسرين في كتبهم، كالثعلبي في «الكشف والبيان» (٦/ ٢٨١)، والبغوي في «تفسيره» (٣/ ٢٩٤)، والزمخشري في «الكشاف» (٣/ ١٢٦)، وهذا معارض لما رواه البخاري (٤٢٨٧) عن ابن عباس رضي الله عنهما: «**حسبنا الله ونعم الوكيل**»، **قالها إبراهيم عليه السلام حين ألقي في النار، وقالها محمد** ﷺ **حين قالوا:** ﴿إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُواْ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ﴾.

(٢) سقط من ج، المثبت من أ، ب.

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٩/ ٣٠٤٨).

(٤) في أ، ب: كيده، والمثبت من ج.

﴿ وَنَجَّيْنَـٰهُ وَلُوطًا إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِي بَـٰرَكْنَا فِيهَا لِلْعَـٰلَمِينَ ﴿٧١﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَـٰقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً ۖ وَكُلًّا جَعَلْنَا صَـٰلِحِينَ ﴿٧٢﴾ وَجَعَلْنَـٰهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِمْ فِعْلَ ٱلْخَيْرَٰتِ وَإِقَامَ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءَ ٱلزَّكَوٰةِ ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا عَـٰبِدِينَ ﴿٧٣﴾ ﴾

﴿وَنَجَّيْنَـٰهُ﴾: أي: إبراهيم وقومه من العراق ومن نمروذ.

﴿وَلُوطًا﴾: ولد هاران أخي إبراهيم أيضًا.

﴿إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِي بَـٰرَكْنَا فِيهَا﴾: بالخصب وكثرة الأنهار والأشجار، ولأنَّ أكثر الأنبياء بعثوا منها.

﴿لِلْعَـٰلَمِينَ﴾: (كا).

روي أنَّه نزل بفلسطين ولوطًا بالمؤتفكة وبينهما يوم، فطلب الولد.

فـ﴿وَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَـٰقَ﴾: بعضهم يقف [هنا][1] ويبتدئ ﴿وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً ۖ﴾: (حس) حال من يعقوب، أي: زيادة من غير طلب، أو النافلة ولد الولد، ولا أحب الوقف علىٰ إسحاق؛ لأنَّ يعقوب من نتيجة الطلب؛ لأنَّه طلب ولدًا فأعطي ولدين، ولأنَّ العامل في ﴿نَافِلَةً ۖ﴾ (وهبنا).

﴿وَكُلًّا﴾: أي: هو وولداه، مفعول أول لـ(جعلنا) الثاني.

﴿صَـٰلِحِينَ﴾: (حس).

﴿أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا﴾: إلىٰ عبادتنا، قالوا: فيه دليل أنَّ من صلح أن يكون قدوة في الدين فالهداية واجبة عليه، وهو مأمور بها من جهة الله تعالىٰ، ليس له أن يُخل بها أو يتثاقل عنها، وأول ذلك أن يهتدي بنفسه؛ لأنَّ الانتفاع بهداه أعم، والنفوس إلىٰ الاقتداء بالمهدي أميل، أصل فعل الخيرات أن تُفعَل الخيرات ثم فعلا الخيرات ثم فِعلَ الخيرات، وهي جميع الأعمال الصالحة، وكذلك ﴿وَإِقَامَ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءَ ٱلزَّكَوٰةِ ۖ﴾: وحذفت الهاء من «إقامة» لإضافتها إلىٰ (الصلاة).

---

(١) سقط من ج، والمثبت من أ، ب.

﴿ وَلُوطًا ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِي كَانَت تَّعْمَلُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ ۗ إِنَّهُمْ كَانُوا۟
قَوْمَ سَوْءٍ فَٰسِقِينَ ﴿٧٤﴾ وَأَدْخَلْنَٰهُ فِي رَحْمَتِنَآ ۖ إِنَّهُۥ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٧٥﴾ وَنُوحًا إِذْ نَادَىٰ مِن قَبْلُ
فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥ مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٦﴾ وَنَصَرْنَٰهُ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟
بِـَٔايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمَ سَوْءٍ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٧٧﴾ ﴾

﴿عَٰبِدِينَ﴾: (كا) وتنصب ﴿وَلُوطًا﴾ بفعل يفسره: ﴿ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا﴾: حكمة وفصلًا بين الخصوم.

﴿مِنَ ٱلْقَرْيَةِ﴾: سدوم.

﴿كَانَت تَّعْمَلُ﴾: أي أهلها ﴿ٱلْخَبَٰٓئِثَ﴾: (كا) اللواطة والمكس ورمي البندق واللعب بالطيور ونحوها.

﴿فَٰسِقِينَ﴾: [(تا)][1].

﴿فِي رَحْمَتِنَآ﴾: في أهل رحمتنا، أو هي الجنة، في الحديث: «**هذه رحمتي أرحم بها من أشاء**»[2].

﴿مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾: (تا).

﴿وَنُوحًا إِذْ نَادَىٰ﴾ دعا علىٰ قومه ﴿مِن قَبْلُ﴾: أي: قبل إبراهيم ولوط.

﴿فَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥ مِنَ ٱلْكَرْبِ﴾: من تكذيب قومه والغرق.

﴿ٱلْعَظِيمِ﴾: (كا).

﴿وَنَصَرْنَٰهُ﴾: أي: جعلناه منتصرًا من المكذبين ﴿بِـَٔايَٰتِنَآ﴾: لا أحب الوقف إلىٰ ﴿فَأَغْرَقْنَٰهُمْ أَجْمَعِينَ﴾: (كا).

﴿ وَدَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي ٱلْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ ٱلْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ
شَٰهِدِينَ ﴿٧٨﴾ فَفَهَّمْنَٰهَا سُلَيْمَٰنَ ۚ وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُۥدَ ٱلْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ

(١) في أ، ب: (كا)، والمثبت من ج.

(٢) أخرجه البخاري (٤٥٦٩)، ومسلم (٢٨٤٦) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

وَٱلطَّيْرَۚ وَكُنَّا فَٰعِلِينَ ﴿٧٩﴾ وَعَلَّمْنَٰهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِتُحْصِنَكُم مِّنۢ بَأْسِكُمْۖ فَهَلْ أَنتُمْ شَٰكِرُونَ ﴿٨٠﴾﴾

﴿وَدَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ﴾: أي: اذكرهما ﴿إِذْ يَحْكُمَانِ فِى ٱلْحَرْثِ﴾: كان زرعًا أو كرمًا، بدل منهما ﴿إِذْ نَفَشَتْ﴾ دخلت ﴿فِيهِ غَنَمُ ٱلْقَوْمِ﴾: فأكلته، ظرف لـ(يحكمان) فالنفش انتشار الغنم ليلًا بلا راعٍ وأصله الانتشار.

﴿وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ﴾: أي هما والمتحاكمين إليهما.

وقرئ: (لحكمهما) أي: هما.

﴿شَٰهِدِينَ ﴿٧٨﴾ فَفَهَّمْنَٰهَا﴾: أي الحكومة، أو الفتوىٰ، وقرئ: (فأفهمناها).

﴿سُلَيْمَٰنَۚ﴾: [(حس)][1] فيه دليل أنَّ الصواب كان مع سليمان؛ لأنَّ الغنم رعت الزرع بلا راعٍ ليلًا، فتحاكما إلىٰ داود فحكم لصاحب الزرع بالغنم، فقال سليمان: غير هذا أرفق بهما، وكان سنه إحدىٰ عشرة سنة، فعزم عليه داود بالأبوة والبنوة ليحكمنّ بينهما، فدفع الغنم إلىٰ صاحب الزرع ينتفع بدَرّها ونسلها وصوفها، وإلىٰ صاحب الغنم الحرث يصلحه، فإذا عاد كحاله حين هلك ترادّا، فقال له: القضاء ما قضيت، هذا كان في شريعتهم، وأما في شريعتنا فما أفسدته نهارًا بلا راعٍ فلا ضمان عند الشافعي، وما أفسدته ليلًا ففيه الضمان عنده.

وعند أبي حنيفة: لا ضمان في ذلك إلا أن يكون معها سائق أو قائد، إلا أن ترسل تعمدًا، وكان حكمهما بوحي عند بعض، ومنع الأنبياء من الاجتهاد لاكتفائهم بالوحي، فكان حكم سليمان ناسخًا لحكم داود باجتهاد عند بعض؛ ليدركوا فضيلة المجتهدين، وجوز الخطأ عليهم؛ لأنَّ المجتهد لا يقدر علىٰ إصابة الحق في كل حادثة، ومما يوضح أنهما كانا علىٰ الصواب قوله: ﴿وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًاۚ﴾ الفهم في القضاء والنبوة، لا أحب الوقف هنا لأجل الواو في

---

(١) سقط من ج، والمثبت من أ، ب.

﴿وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُدَ ٱلْجِبَالَ﴾ لا تقف هنا، وإن استأنفت ﴿يُسَبِّحْنَ﴾ أو جعلتها حالًا؛ لأنَّ ﴿وَٱلطَّيْرَ﴾: (كا) عطف علىٰ (الجبال)، أو مفعول معه، وقدمت (الجبال)؛ لأنَّ تسبيحها أغرب؛ لأنها جماد، فكان إذا سبح سبح معه الجبال والطير، أو كان يسمع تسبيحها إذا فتر عنه فيسبح بنشاط، أو كان إذا سار سارت معه الجبال مسبحة.

وقرئ: برفع الطير، أي: والطير كذلك.

﴿وَكُنَّا فَٰعِلِينَ﴾: (كا) قادرين علىٰ المذكور من التسبيح والتفهيم ﴿وَعَلَّمْنَٰهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ﴾: صفة (لبوس) وهو كل ما يلبس، والمراد الدروع؛ لأنها كانت صفائح، فهو أول من سرَدها وحلَّقها لتجمع الخفة والحصانة.

﴿لِتُحْصِنَكُم﴾ لتحفظكم ﴿مِّنۢ بَأْسِكُمْ﴾ من شدة وقع السلاح فيكم.

القراءة بالتاء، أي: الصنعة، وبالياء أي: داود، وبالنون أي: الله تعالىٰ، وقرئ بتاء خطابًا مشددًا من «حصَّن» تحصينًا.

﴿شَٰكِرُونَ﴾: (حس).

﴿وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِهِۦٓ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِي بَٰرَكْنَا فِيهَا ۚ وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَٰلِمِينَ ﴿٨١﴾ وَمِنَ ٱلشَّيَٰطِينِ مَن يَغُوصُونَ لَهُۥ وَيَعْمَلُونَ عَمَلًا دُونَ ذَٰلِكَ ۖ وَكُنَّا لَهُمْ حَٰفِظِينَ ﴿٨٢﴾ ۞ وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٨٣﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَكَشَفْنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرٍّ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَٰبِدِينَ ﴿٨٤﴾﴾

وتنصب ﴿ٱلرِّيحَ عَاصِفَةً﴾ حال بـ(سخرنا) مضمرة، وقرئ برفعها مبتدأ، وصفت مرة بالرخاء ومرة بالعصوف؛ لأنها كانت باختياره، إن شاء أن تشتد اشتدت، وإن شاء أن تسهل سهلت.

﴿بِأَمْرِهِۦٓ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِي بَٰرَكْنَا فِيهَا﴾: (كا) هي الشام، فكانت تسير به وبجنده علىٰ البساط، وكان عرضه فرسخًا في فرسخ منسوج بإبريسم، عملته له الجن

حيث شاء، ثم يعود من يومه إلىٰ منزله، فكان يقيل بمكان بينه وبينه شهر، ويمشي بآخر بينه وبينه شهر، وكان مقامه بتدمر بناها له الشياطين بالصفاح والعمد وألوان الرخام.

﴿وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَٰلِمِينَ﴾: (كا) فنفعل مقتضىٰ الحكمة.

﴿وَمِنَ ٱلشَّيَٰطِينِ﴾: أي: وسخرنا منهم.

﴿مَن يَغُوصُونَ لَهُۥ﴾: يدخلون في البحار فيخرجون الجواهر لسليمان.

﴿وَيَعْمَلُونَ﴾ من القصور والصناعات العجيبة ﴿عَمَلًا دُونَ﴾: سوىٰ ﴿ذَٰلِكَ﴾: الغوص.

﴿وَكُنَّا لَهُمْ حَٰفِظِينَ﴾: (تا) لئلا يعصوه، ولئلا يفسدوا عملهم؛ لأنهم كانوا إذا فرغوا من عمل قبل الليل أفسدوه وإن لم يشغلوا بغيره.

﴿وَأَيُّوبَ﴾: أي واذكره ﴿إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ﴾: لمَّا ابتلي بفقد جميع ماله وولده وتمزيق جسده وهجره جميع الناس له إلا زوجته، وإبعاده عنهم [ق/ ٢٥٥ب] وإلقائه علىٰ كناسة وبقائه كذلك ثلاث، أو سبع سنين، أو ثماني عشرة سنة، وضيق عيشه بعد سعته حتىٰ باعت زوجته ضفيرتها بشيء أكله.

﴿أَنِّي﴾: أي بأني ﴿مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ﴾: الضرر والشدة.

وقرئ بكسر (إني) استئناف ﴿وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾: (كا) وشكواه لم تخرجه عن الصبر، ولذلك وصف بالصبر بقوله تعالىٰ: ﴿إنا وجدناه صابرا﴾: لأنها إلىٰ الخالق بأوجز عبارة وألطف، إشارة إلىٰ أنَّه تعالىٰ أهل أن يَرْحَم، وأيوب أهل أن يُرْحَم [ق/ ١٨٣جـ].

﴿فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ﴾: نداءه ﴿فَكَشَفْنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرٍّ﴾: (كا).

﴿وَءَاتَيْنَٰهُ أَهْلَهُۥ﴾: أولاده.

روي أنهم أُحيوا أو أُعطي أولادًا مثلَهم ولم يُحيوا، وإنما رُزق ثوابهم ثَمَّ،

ورزق مثلهم هنا.

وروي أنَّ امرأته ولدتْ بعد ستة وعشرين ابنًا.

ابن عباس[(١)]: أبدل بكل شيء [ذهب][(٢)] منه ضعفان.

﴿رَحۡمَةً﴾ مفعول له، وكذلك ﴿وَذِكۡرَىٰ لِلۡعَٰبِدِينَ﴾: (تا) المعنىٰ: رحمة منا لأيوب، وتذكرة للمطيعين ليصبروا كصبره فيثابوا كثوابه.

﴿وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِدۡرِيسَ وَذَا ٱلۡكِفۡلِۖ كُلّٞ مِّنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٨٥﴾ وَأَدۡخَلۡنَٰهُمۡ فِي رَحۡمَتِنَآۖ إِنَّهُم مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٦﴾ وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبٗا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقۡدِرَ عَلَيۡهِ فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٧﴾ فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ وَنَجَّيۡنَٰهُ مِنَ ٱلۡغَمِّۚ وَكَذَٰلِكَ نُـۨجِي ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٨٨﴾ وَزَكَرِيَّآ إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥ رَبِّ لَا تَذَرۡنِي فَرۡدٗا وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلۡوَٰرِثِينَ ﴿٨٩﴾ فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ وَوَهَبۡنَا لَهُۥ يَحۡيَىٰ وَأَصۡلَحۡنَا لَهُۥ زَوۡجَهُۥٓۚ إِنَّهُمۡ كَانُواْ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَيَدۡعُونَنَا رَغَبٗا وَرَهَبٗاۖ وَكَانُواْ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴿٩٠﴾﴾

﴿وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِدۡرِيسَ وَذَا ٱلۡكِفۡلِۖ﴾: (حس) هو إلياس، أو زكريا، أو يوشع بن نون، أو كان رجلًا صالحًا، أو نبيًّا، سمي بذلك؛ لأنَّه تكفل بصيام جميع نهاره وقيام جميع ليله، وأن يقضي بين الناس ولا يغضب فوفَّىٰ، أو ذو الكفل ذو الحظ من الله تعالىٰ.

﴿كُلّٞ مِّنَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾: (كا).

﴿إِنَّهُم مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾: (تا).

﴿وَذَا ٱلنُّونِ﴾ أي: اذكر صاحب الحوت.

﴿إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبٗا﴾: حال، أي: مراغمًا.

وقرئ: (مغضبًا)، أي: شديد الغضب علىٰ قومه؛ لأنَّه وعظهم فلم يتعظوا، أو

(١) أخرجه الطبري في «تفسيره» (١٨/ ٥٠٦).

(٢) في أ، ب: ذهبت، والمثبت من ج.

وعدهم بنزول العذاب بهم فتابوا، فلم ينزل فخرج عنهم.

وهب: كان في خلق يونس ضيق، فلمَّا حُمِّل أثقال النبوة تفسَّخ تحتها تفسُّخَ الزيغ تحت الحمل الثقيل، فقذفها بين يديه وخرج هاربًا.

القراءة: ﴿لَّن نَّقۡدِرَ عَلَيۡهِ﴾: بنون مخففًا، وقرئ بها مشددًا، وبياء مخففًا، وبضم الياء مجهولًا مخففًا ومشددًا، كلها بمعنى التضييق، أي: أفظن أنَّا لن نضيق عليه الحبسَ إذا ابتلعه الحوت؟ فبقي في بطنه سبعة أيام، أو أربعين يومًا.

﴿فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ﴾: ظلمة بطن الحوت، وظلمة البحر، وظلمة الليل، أو ابتلعَ حوته حوت فهو في ظلمتيهما وظلمة البحر اعترافًا بذنبه.

﴿أَن﴾: أي: بأن ﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾: (تا) بمغاضبتي، عنه ﷺ: «**ما من مكروب يدعو بهذا إلا استجيب له**»[1].

الحسن[2]: والله ما نجاه إلا إقراره على نفسه بالظلم.

﴿مِنَ ٱلۡغَمِّۚ﴾: (كا).

القراءة: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُـۨجِي ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾: (تا) بنونين مستقبل أنجينا، وبنون واحدة وتشديد الجيم مجهولًا، ومع إسكان الياء تخفيفًا أقيم المصدر مقام الفاعل تنبيهًا على قوته؛ لأنه الأصل، ولأنَّ الفعل يقتضيه أبلغ من اقتضائه المفعول به؛ لأنَّ الفعل المتعدي واللازم لابد له من مصدر إلا ما شذ وكان قيامه مقام الفاعل أولى من قيام المفعول به، فنصب (المؤمنين) بالمصدر أو (ننجي)؛ لأنَّ المصدر قام مقام الفاعل، فبقي (المؤمنين) مفعولًا به صريحًا، تقديره: نجي نجاء المؤمنين.

وزعم بعضهم أنَّ هذا لحن لا وجه له، وزعم آخر أنَّه غلط من الراوي، وزعم

---

(١) أخرجه الترمذي (٣٥٠٥)، والنسائي في «السنن الكبرى» (١٠٤٩١)، والحاكم(١٨٦٢)، والبزار(١١٦٣)، وأبو يعلى (٧٠٧)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (١٠٢٢٤) من حديث سعد بن أبي وقاص ﷺ.

(٢) انظر: «الكشاف» (٣/ ١٣٢).

آخر أنَّه إنما قرأها لأنه رآها في بعض المصاحف بنون واحدة، وزعم آخر أنَّ من تحمل لصحته فجعله فُعْل وقال: نجي النجاء المؤمنين، فأرسل الياء وأسنده إلىٰ مصدره[ق/ ١٥٣أ] ونصب (المؤمنين) بالنجاء متعسّف بارد التعسف، هذا قول الزمخشري[(١)] هنا.

وقال في الجاثية قرئ ﴿لِيَجْزِيَ قَوْمًا﴾ [الجاثية:١٤] : قال: معناه: ليجزىٰ الجزاء قومًا، ولا شك أنَّ هذه أقوال من غفل عن أثبت أصل أخذت منه العربية، فظن أنها أخذت من أقوال وأشعار نقلها عن العرب من لا يعتمد عليه الجهلة، أو لعدم عدالته أو لجهالتها، وجعل ذلك أصلًا وميزانًا يعتبر به [صحة][(٢)] ما صح بل تواتر من فساده وهو القرآن العظيم، ولو لم يجعل المنقول عن العرب أصلًا يعتبر به لما طعن في هذه القراءة ونحوها؛ لأنَّه يقول: لم يأت مثلها عن العرب، يشير إلىٰ أنَّه قد أحاط بجميع كلام العرب، وهذا تحجُّر واسع وسهو ظاهر؛ لأنَّه قد رآها وهي عين ما أنكر في أفصح كلام العرب وأصحه نقلًا، وهو لا يشعر وهو القرآن المنزل بلغة العرب الذي نقله وشهد بصحته العدل عن العدل عن أفصح العرب محمد ﷺ، ولا يلتفت إلىٰ الطاعن في الرواة؛ لثبوت عدالتهم وضبطهم عند أهل الجرح والتعديل، وفي قول من قال: إنما قرأها؛ لأنَّه رآها في بعض المصاحف بنون واحدة إشارة إلىٰ بطلانها؛ لأنها علىٰ زعمه لم ينقلها العدل عن العدل، فكانت غير مقطوع بصحتها، ومن قال: إنَّه متعسَّف بارد التعسُّف، فاعتباره ما ثبت صحته بما لم يثبت صحته أبشع وأشنع تعسفًا، ولا ينكر علينا ذلك، فإنَّ العاقل يتبع الدليل ويترك ما قيل بلا دليل، ولا يحمله التقليد علىٰ الطعن في المعجز علىٰ مرور الأزمان؛ لأنَّ أرباب النظر المعتمد عليهم يقولون: أفراد السبعة كجمعها في الصحة والتواتر.

(١) «الكشاف» (٣/ ١٣٢).

(٢) سقط من ج، والمثبت من أ، ب.

تلخيصه: هم المخطئون، وليست تخطئتي لهم بأقبح من تخطئتهم لمَّا صح، بل تواتر عن النبي ﷺ، وقد ذكرت في الأنعام في قوله: ﴿وَكَذَٰلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَٰدِهِمْ شُرَكَآؤُهُمْ﴾: الكلام على مثل هذا في الغرابة على زعمهم مستوفًى.

وقرئ بنونين مشددًا من «نجينا»، وبعث يونس نبيًّا قبل ابتلاع الحوت أو بعد ﴿لَا تَذَرْنِى فَرْدًا﴾: بلا ولد يرثني.

﴿وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْوَٰرِثِينَ﴾: (كا) رزقتني ولدًا أو لم ترزقني ﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥ يَحْيَىٰ﴾: ولدًا ﴿وَأَصْلَحْنَا لَهُۥ زَوْجَهُۥٓ﴾: (حس) بتحسيننا خلقها بعد دمامته، وخُلقها بعد شراسته، وجعلناها ولودًا بعد العقم.

﴿إِنَّهُمْ﴾: أي: من ذكر من الأنبياء ﴿كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا﴾: وقرئ بسكون العين فيهما مفعول له، أي: للرغبة فينا والرهبة منا.

﴿خَٰشِعِينَ﴾: (تا) متواضعين ذلًا، أو الخشوع الخوف، اللام للقلب، أو هو من: إذا أغلق بابه وأرخى ستره يرى الله منه خيرًا لا الذي يأكل [الخشن](1) ويلبس [الخشن](2) ويطأطئ رأسه.

﴿وَٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا وَجَعَلْنَٰهَا وَٱبْنَهَآ ءَايَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٩١﴾ إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ ﴿٩٢﴾ وَتَقَطَّعُوٓا۟ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ ۖ كُلٌّ إِلَيْنَا رَٰجِعُونَ ﴿٩٣﴾ فَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِۦ وَإِنَّا لَهُۥ كَٰتِبُونَ ﴿٩٤﴾ وَحَرَٰمٌ عَلَىٰ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَآ أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿٩٥﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ ﴿٩٦﴾ وَٱقْتَرَبَ ٱلْوَعْدُ ٱلْحَقُّ فَإِذَا هِىَ شَٰخِصَةٌ أَبْصَٰرُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يَٰوَيْلَنَا قَدْ كُنَّا فِى غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا بَلْ كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿٩٧﴾﴾

---

(١) في أ، ب: خشنا، والمثبت من ج.

(٢) في أ، ب: خشنا، والمثبت من ج.

واذكر التي ﴿أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا﴾: من كل وطء، أو فرجها جيبها؛ لأنَّها إذا منعته عن أن ينال كانت [لما سواه](١) أمنع.

﴿فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا﴾: أي: أمرنا جبريل فنفخ في جيبها، فحدث بسبب النفخ عيسىٰ فيها حيًّا، وأضاف تعالىٰ الروح إليه تشريفًا لعيسىٰ.

﴿وَجَعَلْنَاهَا وَٱبْنَهَآ ءَايَةً﴾: ولم يقل: آيتين؛ لأنَّ بهما حصلت الدلالة علىٰ خلق ولد من غير فحل.

﴿لِّلْعَٰلَمِينَ﴾: (كا) أو اكتفىٰ بذكر أحدهما عن الآخر، يوضحه أنَّه قرئ: (آيتين).

القراءة: ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ﴾: رفعًا خبر «إن»، وهي أمة الأنبياء عليهم السلام، أو أمة محمد ﷺ ﴿أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾: نصب حال.

وقرئ بنصب (أمتكم) بدل من (هذه)، أو عطف بيان ورفع (أمة) خبر (إن) وبرفعهما خبر إن لهذه، [ق/ ٢٥٦ب] أو (أمة) بدل من (أمتكم)، أو خبر مبتدأ، المعنىٰ: جميع الملل كانت علىٰ دين واحد وهو الإسلام، **تلخيصه**: الناجون الموحدون.

﴿فَٱعْبُدُونِ﴾: (كا) ثم التفت من الخطاب إلىٰ الغيبة فقال: ﴿وَتَقَطَّعُوٓاْ﴾: أي: تفرق الأمم ﴿أَمْرَهُم﴾ أي: في أمر دينهم بعد ذلك أحزابًا ﴿بَيْنَهُمْ﴾: (حس) فكل حزب يخالف الآخر، وهذا كقوله: ﴿وَمَا كَانَ ٱلنَّاسُ إِلَّآ أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾: ثم توعّدهم بقوله: ﴿كُلٌّ إِلَيْنَا رَٰجِعُونَ﴾: (حس) فنجازيه بعمله ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾: شيئًا ما ﴿وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِۦ﴾: (كا) لا يجحد عمله ﴿وَإِنَّا لَهُۥ﴾: للسعي ﴿كَٰتِبُونَ﴾: [(تا)](٢) في صحيفة عمله، فنثيبه به.

(١) في جـ: لما سواه، والمثبت من أ، ب.

(٢) سقط من أ، ب والمثبت من ج.

القراءة: ﴿وَحَرَٰمٌ﴾ : بلا ألف وكسر الحاء، وبألف وفتحها لغتان كحل وحلال وزنًا وضده معنىٰ.

﴿عَلَىٰ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَآ﴾: وقرئ: (وحَرْمٌ) [كَعَظْم، وحَرِم][(١)] كقَمِن وحرَّم، وأهلكتها بتاء وجميع المستعمل من «ح ر م» وتعكيسه يشمل معنىٰ المنع، و﴿حَرَامٌ﴾ [النحل:١١٦] : خبر مبتدأ محذوف، أي: هو حرام علىٰ أهل قرية حكمنا بإهلاكهم بألَّا تُقبل توبتهم؛ لأنهم ﴿لَا يَرْجِعُونَ﴾: (كا) عن كفرهم فـ«لا» ثابتة، أو المعنىٰ: حرام عليهم الرجوع إلىٰ الدنيا بعد الهلاك، فـ«لا» زائدة، **تلخيصه**: الهالكون ممنوعون من الرجوع علىٰ التأويلين.

القراءة: ﴿فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ﴾ مخففًا ومثقلًا، أي: فتح سدهما، فحذف المضاف وأقيما مقامه.

(وَهُم) [أي: هما، أو الناس][(٢)] ﴿مِّن كُلِّ حَدَبٍ﴾ نَشزٍ وأكمه.

﴿يَنسِلُونَ﴾: يسرعون، وقرئ بالجيم والتاء المثلثة، وهو القبر، وهي حجازية، وبضم سين ينسلون إن جعل جواب حتىٰ ﴿وَٱقْتَرَبَ﴾ : الواو زائدة، تقديره: حتىٰ إذا فتحت يأجوج قَرُبَ ﴿ٱلْوَعْدُ ٱلْحَقُّ﴾ : هو يوم القيامة، وإن جعل ﴿فَإِذَا هِيَ شَٰخِصَةٌ أَبْصَٰرُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ : سادًّا مسد الجواب وقف هنا علىٰ التقديرين، ولا وقف هنا إن جعل الجواب ﴿يَٰوَيْلَنَا قَدْ كُنَّا فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا بَلْ كُنَّا ظَٰلِمِينَ﴾: (كا) وإن علقت (حتىٰ) بـ(حرام)؛ لأنَّ امتناع رجوعهم إلىٰ وقت القيامة يكون، وهي «حتىٰ» التي تحكىٰ بعدها الجمل، والجملة المحكية هي (إذا فتحت) والمتصل بها من الجزاء، فلا أحب الوقف من ﴿كاتبون﴾ إلىٰ ﴿كفروا﴾، وتبتدئ [ق/ ١٨٤ جـ] علىٰ تقدير: يقولون يا ويلنا، وبعضهم يقف علىٰ (هي)، أي: فإذا هي بارزة، ويبتدئ ﴿شاخصة﴾، والظاهر أنَّ (هي) ضمير مبهم يفسره الأبصار،

---

(١) سقط من ج، والمثبت من أ، ب.

(٢) سقط من ج، والمثبت من أ، ب.

المعنىٰ: تشخص أبصار الكفار، فلا تكاد تطرق؛ لهول ما ترىٰ، ثم أيدنا الله تعالىٰ وإياك [ثمَّ و] [1] في كل مقام، ونزل خطابًا لعابدي الأصنام وإبليس وأتباعه:

﴿ إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَٰرِدُونَ ﴿٩٨﴾ لَوْ كَانَ هَٰٓؤُلَآءِ ءَالِهَةً مَّا وَرَدُوهَا ۖ وَكُلٌّ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٩٩﴾ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ ﴿١٠٠﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ﴿١٠١﴾ لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا ۖ وَهُمْ فِي مَا ٱشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ خَٰلِدُونَ ﴿١٠٢﴾ لَا يَحْزُنُهُمُ ٱلْفَزَعُ ٱلْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ هَٰذَا يَوْمُكُمُ ٱلَّذِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿١٠٣﴾ ﴾

﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾ : هو ما تحصب به، أي: توقد، وقرئ بسكون الصاد مصدر حصب رمىٰ، وبضاد معجمة محركة، وهو الوقود وبسكونها مصدر وبطاء مهملة.

﴿أَنتُمْ لَهَا وَٰرِدُونَ﴾ : فيها داخلون بدل من ﴿حصبُ جهنم﴾ .

ثم وبخهم وأخبرهم أنَّ آلهتهم يدخلون النار بقوله: ﴿لَوْ كَانَ هَٰٓؤُلَآءِ ءَالِهَةً مَّا وَرَدُوهَا ۖ﴾: (حس).

﴿وَكُلٌّ﴾: من العابد والمعبود منهم ﴿فيهَا خَٰلِدُونَ﴾: (حس).

﴿لَهُمْ﴾: للعابدين منهم ﴿فيهَا زَفِيرٌ وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ﴾: (تا) شيئًا ما لشدة غليان النار ولما بهم من الألم أعاذنا الله تعالىٰ وإياك، أو نجعل في آذانهم مسامير من نار، أو يجعلون في توابيت من نار، ثم يجعلون في توابيت أخر، ومنعوا السمع؛ لأنَّ فيه أُنسًا، فقال ابن الزبعرىٰ للنبي ﷺ لمَّا سمع ذلك: أليس اليهود عبدوا عزيرًا، والنصارىٰ المسيح، وبنو مليح الملائكة؟ فنزل ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا﴾: المنزلة ﴿ٱلْحُسْنَىٰٓ﴾: السعادة أو الجنة، أو «إنَّ» بمعنىٰ «إلا»، وقرئ بها.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ أي: الصالحون ﴿عَنْهَا مُبْعَدُونَ ﴿١٠١﴾ لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا ۖ﴾: صوتها الخفي إذا دخلوا الجنة.

(١) سقط من ج، والمثبت من أ، ب.

﴿وَهُمۡ فِي مَا ٱشۡتَهَتۡ أَنفُسُهُمۡ﴾: من النعيم ﴿خَٰلِدُونَ﴾: (حس).

﴿لَا يَحۡزُنُهُمُ﴾: وقرئ بضم الياء وكسر الزاء.

﴿ٱلۡفَزَعُ ٱلۡأَكۡبَرُ﴾: هو أن يجاء بالموت في صورة كبش أملح، فيذبح بين الجنة والنار، وينادىٰ: يا أهل الجنة، خلود فلا موت، ويا أهل النار، خلود فلا موت، أو هو انطباق النار علىٰ أهلها، أو النفخة الأخيرة والقيام من القبور.

﴿وَتَتَلَقَّىٰهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ﴾: ثمَّ عند باب الجنة ممتنين يقولون لهم: ﴿هَٰذَا يَوۡمُكُمُ ٱلَّذِي كُنتُمۡ تُوعَدُونَ﴾: (كا) فيه الجنة والثواب إن نصبت «يوم» بعد بـ«اذكر» مقدرة، ولا أحبه ولا أحب الوقف من ﴿خالدون﴾ إلىٰ هنا إن جعلت ﴿لَا يَحۡزُنُهُمُ﴾: العامل في ﴿يَوۡمَ نَطۡوِي ٱلسَّمَآءَ﴾.

﴿ يَوۡمَ نَطۡوِي ٱلسَّمَآءَ كَطَيِّ ٱلسِّجِلِّ لِلۡكُتُبِۚ كَمَا بَدَأۡنَآ أَوَّلَ خَلۡقٖ نُّعِيدُهُۥۚ وَعۡدًا عَلَيۡنَآۚ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ ﴿١٠٤﴾ وَلَقَدۡ كَتَبۡنَا فِي ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعۡدِ ٱلذِّكۡرِ أَنَّ ٱلۡأَرۡضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ ٱلصَّٰلِحُونَ ﴿١٠٥﴾ إِنَّ فِي هَٰذَا لَبَلَٰغٗا لِّقَوۡمٍ عَٰبِدِينَ ﴿١٠٦﴾ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾ قُلۡ إِنَّمَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ فَهَلۡ أَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴿١٠٨﴾﴾

وقرئ: (تُطوىٰ) بضم التاء ورفع (السماء) مجهولًا، فطيها تكوير نجومها ومحو رسومها، أو هو ضد النشر، أي: نجمعها ونطويها ﴿كَطَيِّ ٱلسِّجِلِّ﴾: وقرئ بضمتين كـ﴿عُتُلٍّ﴾، وبكسر السين وفتحها مخففًا كشهر وعدل لغات في الصحيفة، أو هو ملك يطوي كتب بني آدم إذا رفعت إليه، أو رجل كان يكتب لرسول الله ﷺ.

القراءة: ﴿لِلۡكُتُبِۚ﴾: جمعًا ومفردًا إرادة للجنس، فإن أريد بـ(السجل) الصحيفة فـ(الكتاب) بمعنىٰ المكتوب فـ«طيًّا» مضاف إلىٰ المفعول، واللام بمعنىٰ علىٰ، تقديره: نطوي السماء طيًّا مثل طي الصحيفة علىٰ مكتوبها، وإن أريد بـ(السجل) الملك أو الرجل فـ(الكتاب) الصحيفة، فـ(طي) مضاف إلىٰ الفاعل واللام زائدة، أي: كطي الرجل الصحيفة.

ثم أومأ إلىٰ تبديل السماء فقال: ﴿كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ﴾ : نصب بـ(بدأنا)، أي: خلقنا أول، أو حال من الهاء في ﴿خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ﴾: (كا) نرده مثل أول خلقه، وأول خلقه إيجاده [من][1] عدم، والكاف صفة مصدر محذوف، أي: نعيده عودًا مثل بدئه، والخلق هنا يعم جميع الخلائق؛ لأنَّه مصدر، ولأنَّه نكرة فهو شائع في جميع المخلوقات، فالمعنىٰ: كما أوجدناه عن عدم فكذلك نعيده عند البعث عن عدم، نحو ﴿كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ﴾ [الأعراف:٢٩] : أو المعنىٰ: يحشر الناس حفاة عراة غرلًا، يدل عليه أنَّه ﷺ قال: «**يحشر الناس حفاة عراة غرلًا**»[2]، ثم قرأ ﴿كَمَا بَدَأْنَآ...﴾ : الآية، أو المعنىٰ: نهلك الأشياء فتعود عدمًا كحالها الأول، **تلخيصه**: نفعل ما نشاء.

﴿وَعْدًا عَلَيْنَآ﴾: (كا) مصدر مؤكد؛ لأنْ نعيده عدة بالإعادة.

﴿فَٰعِلِينَ﴾: (تا) ذلك.

﴿فِى ٱلزَّبُورِ﴾ : في جميع الكتب المنزلة.

﴿مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ﴾ : اللوح [المحفوظ][3]؛ لأنَّها كلها أخذت منه، أو [الزبور][4] التوراة و[الذكر][5] ما نزل بعدها، أو هو زبور داود، والذكر القرآن، فـ(بعد) بمعنىٰ قبل، المعنىٰ: كتبنا في هذه الكتب ﴿أَنَّ ٱلْأَرْضَ﴾ أرض الجنة، أو أرض الدنيا.

﴿يَرِثُهَا عِبَادِىَ ٱلصَّٰلِحُونَ﴾: (تا) هو محمد ﷺ وأمته يفتحون أرض الكفار ويدخلون الجنة، أو هو عام في كل صالح.

---

(١) في أ، ب: عن، والمثبت من ج.
(٢) أخرجه البخاري (٦١٦٢)، ومسلم (٢٨٥٩) من حديث عائشة رضي الله عنها.
(٣) سقط من أ، ب، والمثبت من ج.
(٤) في ج: الذكر، والمثبت من أ، ب.
(٥) في ج: الزبور، والمثبت من أ، ب.

﴿إِنَّ فِي هَٰذَا﴾ : القرآن ﴿لَبَلَٰغًا﴾ : لكفاية ﴿لِّقَوْمٍ عَٰبِدِينَ﴾: (تا) عاملين، وهم أمته ﷺ.

﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً﴾: مفعول له، أو حال، أي: ذا رحمة قال ﷺ: «إنما [ق/ ٢٥٧ب] أنا رحمة مهداة»[(١)].

﴿لِّلْعَٰلَمِينَ﴾: (تا) جميعًا، فهو رحمة للمؤمنين في الدارين، وللكافر في الدنيا بتأخير عذاب الاستئصال والمسخ ونحوه بسببه عنه، ويجوز أن تكون رحمة معدة للمؤمن والكافر، فيرزقها المؤمن ويحرمها الكافر.

﴿إِنَّمَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ﴾ : فاعله ﴿أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾: منزه عما لا يليق بصفات الوحدانية، و«أنَّ» الثانية مصدرية، و«ما» الكافة لا تمنع من ذلك، تقديره: إنما يوحىٰ إليَّ توحيد إلهي، و(إنما) للحصر.

﴿فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾: (تا) استفهام بمعنىٰ الأمر، أي: آمنوا بالمذكور.

﴿ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُلْ ءَاذَنتُكُمْ عَلَىٰ سَوَآءٍ وَإِنْ أَدْرِىٓ أَقَرِيبٌ أَم بَعِيدٌ مَّا تُوعَدُونَ ﴿١٠٩﴾ إِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلْجَهْرَ مِنَ ٱلْقَوْلِ وَيَعْلَمُ مَا تَكْتُمُونَ ﴿١١٠﴾ وَإِنْ أَدْرِى لَعَلَّهُۥ فِتْنَةٌ لَّكُمْ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿١١١﴾ قَٰلَ رَبِّ ٱحْكُم بِٱلْحَقِّ وَرَبُّنَا ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴿١١٢﴾ ﴾

﴿فإن تولوا﴾ : عن الإيمان[ق/ ١٥٤أ] ﴿فَقُلْ ءَاذَنتُكُمْ﴾ : بالحرب ﴿عَلَىٰ سَوَآءٍ﴾: (كا) حال مني ومنكم، أي: مستوين لتتأهبوا، إذ ليس الغدر من شِيَم الأنبياء، نحو: ﴿فَٱنۢبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَآءٍ﴾.

﴿أَقَرِيبٌ أَم بَعِيدٌ﴾ مبتدأ ﴿مَّا تُوعَدُونَ﴾: (حس) فاعله؛ لأنَّه قد اعتمد علىٰ الهمزة، أو هو رفع بـ(بعيد)؛ لأنَّه أقرب، المعنىٰ: لا أعلم متىٰ يحل بكم العذاب؟

﴿تَكْتُمُونَ﴾ [(كا)][(٢)] المعنىٰ: يعلم كل شيء.

(١) أخرجه الحاكم(١٠٠)، والطبراني في «الأوسط» (٢٩٨١)، وفي الصغير» (٢٦٤)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (١٤٤٦) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) في جـ: (تا)، والمثبت من أ، ب.

﴿وَإِنْ أَدْرِى لَعَلَّهُۥ﴾ : لعل تأخير العذاب عنكم، أو ما أعلمتكم به ﴿فِتْنَةٌ لَّكُمْ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ﴾: (تا) إلىٰ انقضاء آجالكم.

القراءة بسكون ياء ﴿وَإِنْ أَدْرِيٓ أَقَرِيبٌ﴾، ﴿وَإِنْ أَدْرِى لَعَلَّهُۥ﴾؛ لأنَّ «إن» بمعنىٰ «ما»، وقرئ بفتحها، قالوا: تشبيهًا لها بياء غلامي، وهم يحملون الشيء علىٰ الشيء لأدنىٰ شبه بينهما، حتىٰ أنهم يحملون النقيض علىٰ النقيض فيبنون «كم» للتكثير حملًا علىٰ «رُبَّ» للتقليل، ويجوز أنها فتحت لأجل الفتحة بعدها ليجري اللسان جريانًا واحدًا، ولأنَّ الياء محسوبة بكسرتين وقبلها كسرة فاجتمعت ثلاث كسرات وذلك ثقيل، ففتحت تخفيفًا، ولا يستثقل اجتماع الفتحات.

والقراءة: ﴿قَٰلَ﴾ : بألف إخبار عن النبي ﷺ، وبغير ألف أمرًا له.

والقراءة: ﴿رَبِّ﴾ : بكسر الباء اكتفي بها عن الياء، وقرئ: (ربُّ) بضم الباء إتباعًا لضمة الكاف في ﴿ٱحْكُم﴾ : بعد حذف الياء ثم الكسرة تخفيفًا، ثم حذف همزة الوصل، ولم تمنع الحاء الاتباع لسكونها، وربي احكم علىٰ التفصيل، وربي أحكم من الإحكام، ومعنىٰ احكم [بالحق: افصل بيني وبين مكذبي بالعذاب، فالحق بمعنىٰ العذاب هنا، ويجوز أنَّ المعنىٰ: احكم][1] بالنصر عليهم؛ لأنَّه عليه السلام كان قد وعِدَ بالنصر، ووعده تعالىٰ حق، فعُذِّبوا ببدر ونُصِرَ عليهم.

القراءة: ﴿تَصِفُونَ﴾: (تا) بالتاء خطابًا، وقرئ بالياء.

(١) سقط من ج، والمثبت من أ، ب.

سورة الحج

مكيـة إلا ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعۡبُدُ ٱللَّهَ ....﴾ الآيتـين، أو إلا ﴿ هَٰذَانِ خَصۡمَانِ.....﴾ الست مدنيات، أو مدنية إلا ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ....﴾ الآيات الأربع، وهي أربع أو خمس أو ست أو سبع وسبعون آية.

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمۡۚ إِنَّ زَلۡزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَيۡءٌ عَظِيمٞ ١ يَوۡمَ تَرَوۡنَهَا تَذۡهَلُ كُلُّ مُرۡضِعَةٍ عَمَّآ أَرۡضَعَتۡ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمۡلٍ حَمۡلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٞ ٢ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٖ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيۡطَٰنٖ مَّرِيدٖ ٣ كُتِبَ عَلَيۡهِ أَنَّهُۥ مَن تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُۥ يُضِلُّهُۥ وَيَهۡدِيهِ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ٤﴾

﴿ٱتَّقُواْ رَبَّكُمۡۚ﴾: (كا) احذروا عقابه، فبعد الأمر بالتقوىٰ جاء بما يحث عليها من ذكر الساعة وشدائدها، فقال: ﴿إِنَّ زَلۡزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ﴾ : أي: حركتها الشديدة بإزعاج ﴿شَيۡءٌ عَظِيمٞ﴾: لا يوصف لعظمته، فلذلك نكَّرَ «شيئًا»، والزلزلة بمعنىٰ الزلزال، وهي مصدر مضاف إلىٰ الفاعل، أي: تُحرُّك الساعةُ الأشياءَ مجازًا، أو إلىٰ الظرف، أي: تحرك الأشياء في الساعة، وتكون هذه الزلزلة في الدنيا أو في الآخرة، يكفي الوقف هنا إن نصبت ﴿يَوۡمَ تَرَوۡنَهَا﴾ : أي الزلزلة أو الساعة بـ﴿تَذۡهَلُ﴾ أو بـ«اذكر» مقدرة، ولا يجوز إن نصبته بدلًا من ﴿الساعة﴾ : أو ظرفًا لـ﴿عظيم﴾، وقرئ: ﴿تُذهِلُ﴾ : مجهولًا، وتذهل، أي: الزلزلة، ونصب كلٍّ من أذهلت غيري، وأصل الذهول: ترك بدهشة ونسيان المعنىٰ تسده.

﴿كُلُّ مُرۡضِعَةٍ عَمَّآ أَرۡضَعَتۡ﴾: من الولد، فتترك إرضاعه في حال إلقامه ثديها لشدة الأمر؛ لأنَّ المرضعة مَنْ تفعل الإرضاع في الحال، وبلا هاء من يُنسب إليها

الإرضاع كحائض، وفي ﴿وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ﴾: أي: حبلىٰ ﴿حَمْلَهَا﴾ : ولدها قبل تمامه؛ خوفًا دليل لمن قال: الزلزلة تكون في الدنيا، ومن قال: هي ثَمَّ جعل ذلك؛ تهويلًا لشأنها، يعني: لو فرض ثَمَّ حامل لوضعت[1].

﴿وَتَرَى ٱلنَّاسَ﴾ : وقرئ بضم التاء ونصب «الناس»، أي: أنت، من أريتك الشيء، وبضمها مجهولًا ورفع الناس وأنث الفعل؛ إرادة الجماعة، وبالياء مجهولًا ورفع الناس.

القراءة: ﴿سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ﴾: ـ بفتح سينهما ـ كصرعىٰ، جمع سكران، وبضمهما وألف ككسالىٰ جمع سكران أيضًا، وقرئ بضمها بلا ألف، وبفتحها بألف لغتان، جعفر: أسكرهم ما شاهدوه من بساط العزة وسلطان الجبروت وسرادق الكبرياء، حتىٰ ألجأ النبيين إلىٰ أن قالوا: نفسي نفسي، فتراهم سكارىٰ خوفًا، وما هم بسكارىٰ حقيقة بشراب، ولكنَّ ﴿عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ﴾ [(تا)][2] ونزل في نضر بن الحارث وجدًا له في الله تعالىٰ بالباطل.

﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ﴾ : ومحل ﴿بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾: نصب حال ﴿وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَٰنٍ مَّرِيدٍ﴾: (حس) عاتٍ مستمر [ق/ ١٨٥ جـ] في الشر، القراءة بفتح

---

(١) قال البغوي: واختلفوا في هذه الزلزلة فقال علقمة والشعبي: هي من أشراط الساعة.
وقيل: قيام الساعة.
وقال الحسن والسدي: هذه الزلزلة تكون يوم القيامة.
وقال ابن عباس: زلزلة الساعة قيامها فتكون معها.
وقوله: ﴿ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا ﴾
أي: تسقط ولدها من هول ذلك اليوم، قال الحسن: تذهل المرضعة عن ولدها بغير فطام وتضع الحامل ما في بطنها لغير تمام، وهذا يدل علىٰ أن هذه الزلزلة تكون في الدنيا؛ لأن بعد البعث لا يكون حمل. ومن قال: تكون في القيامة قال هذا علىٰ وجه تعظيم الأمر لا علىٰ حقيقته كقولهم: أصابنا أمر يشيب منه الوليد يريد به شدته.
«تفسير البغوي» (٣/ ٣٢٢).

(٢) سقط من ج، والمثبت من أ، ب.

﴿أَنَّهُۥ﴾ فاعل (كتب)، وبفتح ﴿فَأَنَّهُۥ﴾ : عطف على ﴿أنَّه﴾ عند الزجاج وغيره، وفيه نظر إن جعل (من) شرطًا جوابه (فأنَّه)، أو بمعنى الذي مبتدأ خبره (فأنَّه)، فعلى التقديرين هما خبر «إنَّ»، ولا يعطف على «إنَّ» قبل تمامها كما لا يعطف على الموصول قبل تمامه، وهل تكون الفاء العاطفة جوابًا للشرط، فإنَّه على هذا خبر مبتدأ، تقديره: فشأنه أنَّه ﴿يُضِلُّهُۥ﴾ : أي: فشأنه الإضلال، أو تقديره: فله أن يضله، أي: استقر إضلاله، وقرئ: (إنه)، فإنَّه بكسرهما إرادة للقول، أو حكاية للمكتوب نحو: كتبنا إن الله هو الغني، وقرئ: (كَتَبَ) معلومًا، الفاعل الله تعالى، فمحل (أنَّه) والمتصل بها نصب، **تلخيصه**: حكم على الشيطان أنَّه يضل من اتبعه ﴿وَيَهْدِيهِ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ﴾: (تا) .

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ ٱلْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَـٰكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ ۚ وَنُقِرُّ فِي ٱلْأَرْحَامِ مَا نَشَآءُ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓا۟ أَشُدَّكُمْ ۖ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنۢ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْـًٔا ۚ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنۢبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ﴿٥﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّهُۥ يُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ وَأَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٦﴾ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِي ٱلْقُبُورِ ﴿٧﴾ ﴾

ومحل ﴿مِّنَ ٱلْبَعْثِ﴾ : جر صفة (ريب)، وقرئ بتحريك العين لغتان، المعنى: إن ارتبتم في البعث فاستدلوا على صحته ببدأ خلقكم.

﴿فَإِنَّا خَلَقْنَـٰكُم﴾ أي: أصلكم وهو آدم ﴿مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ﴾ مني خلقتم أنتم منها ﴿ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ﴾: قطعة دم جامدة ﴿ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ﴾: لحمة صغيرة قدر ما يمضغ، ﴿مُّخَلَّقَةٍ﴾: صفة (مضغة)، أي: مسواة مملسة من: خلقت السواك: سويته ﴿وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ﴾: غير مسواة فهي ناقصة، أو هي التي ألقتها الأرحام قبل أن تكون خلقًا، أو المخلق ما نفخ فيه الروح وغيره ما لم ينفخ فيه وكان سقطًا، فـ(من) الأخيرة على هذا وعلى جعل غير المخلقة ما ألقته الأرحام ابتدائية لا غير كـ(من)

الأولىٰ في قوله تعالىٰ: ﴿وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن جِبَالٍ فِيهَا مِنۢ بَرَدٍ﴾[النور:٤٣]، وفي الكلام حذف تقديره: ابتداء خلقكم من مكان الشيء الذي ألقته الأرحام أو كان سقطًا، **تلخيصه**: نقلناكم هذا النقل.

﴿لِّنُبَيِّنَ لَكُمْۚ﴾ قدرتنا علىٰ البعث، أو لنبين لكم صلاح الدارين، يحسن الوقف هنا علىٰ القراءة برفع ﴿وَنُقِرُّ﴾ استئناف، أي: نحن نثبت في ﴿ٱلْأَرْحَامِ مَا نَشَآءُ﴾ ثبوته ﴿إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ وقت ولادته ﴿ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ﴾ من الرحم ﴿طِفْلًا﴾ أراد الجنس أو نخرج كل واحد، وقرئ بنصب (ونقرَ)، (ونخرجكم) عطفًا علىٰ لـ(نبين) لفظًا، فهذا عطف تعليل علىٰ تعليل، تقديره: خلقناكم لنبين لكم، ولتصيروا قارِّين في الرحم، ولنخرجكم [ق/ ٢٥٨ب] صغارًا، فلا يوقف علىٰ (لكم)، وقرئ: (ويقر)، (ويخرجكم) بالياء نصبًا ورفعًا عطفًا واستئنافًا، (ونَقُر) بفتح النون وضم القاف، أي: كصُبَّ ونُثْبِتُ ﴿لِتَبْلُغُوٓاْ أَشُدَّكُمْۖ﴾: (حس) كمال عقلكم وقوتكم، المعنىٰ: نقركم في الأرحام ثم نخرجكم [طفلًا][1] صغارًا ثم نمهلكم لتصيروا كبارًا.

﴿إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ﴾: أخسه وهو الخرف، وقرئ بسكون الميم ﴿لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنۢ بَعْدِ عِلْمٍ﴾: علمه قبل ﴿شَيْـًٔاۚ﴾: (تا) فيصير نسيًا بحيث إذا حصَّلَ علمًا نسيه في الحال، وربما سئل عنه مرارًا ولا يضبطه.

﴿هَامِدَةً﴾: يابسة.

﴿ٱهْتَزَّتْ﴾: تحركت بالنبات ﴿وَرَبَتْ﴾: زادت وعلت.

وقرئ: (ربأت) همزًا ﴿وَأَنۢبَتَتْ﴾: ألوانًا ﴿مِن كُلِّ زَوْجٍ﴾: صنف ﴿بَهِيجٍ﴾: (كا) حسن يسر من رآه، فالمفعول محذوف، أي: زوجًا، أو «من» زائدة .

﴿ذَٰلِكَ﴾ أي: المذكور مبتدأ خبره ﴿بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ﴾: والمعطوف عليه إلىٰ ﴿فِى ٱلْقُبُورِ﴾: (تا) .

---

(١) سقط من أ، ب والمثبت من ج.

﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٖ وَلَا هُدٗى وَلَا كِتَٰبٖ مُّنِيرٖ ۝٨ ثَانِيَ عِطۡفِهِۦ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۖ لَهُۥ فِي ٱلدُّنۡيَا خِزۡيٞۖ وَنُذِيقُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ عَذَابَ ٱلۡحَرِيقِ ۝٩ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتۡ يَدَاكَ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيۡسَ بِظَلَّٰمٖ لِّلۡعَبِيدِ ۝١٠ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعۡبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرۡفٖۖ فَإِنۡ أَصَابَهُۥ خَيۡرٌ ٱطۡمَأَنَّ بِهِۦۖ وَإِنۡ أَصَابَتۡهُ فِتۡنَةٌ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجۡهِهِۦ خَسِرَ ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةَۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡخُسۡرَانُ ٱلۡمُبِينُ ۝١١﴾

وكرر ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٖ وَلَا هُدٗى﴾ : حجة ﴿وَلَا كِتَٰبٖ مُّنِيرٖ﴾: واضح؛ لأنَّه يجادل بظن من غير تحقيق؛ ردعًا للجاهل، أو الأولىٰ في المقلِّدين وهذه في المقلَّدين، لا وقف من «القبور» إلىٰ هنا؛ لأنَّ ﴿ثَانِيَ عِطۡفِهِۦ﴾ : حال، أي: معرضًا لاويًا عنقه وجانبه عن طاعة الله تعالىٰ والإيمان كبرًا وخيلاء، والإضافة هنا غير محضة، وقرئ بفتح العين مصدر، أو ثُنِّي العطف عبارة عن الكبر وإن لم يكن ثَمَّ ليٌّ.

ولمَّا كان جداله مفضيًا إلىٰ الضلال قيل: ﴿لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۖ﴾: (حس).

﴿لَهُۥ فِي ٱلدُّنۡيَا﴾ : حال، أي: مستحقًّا ﴿خِزۡيٞۖ﴾: (كا) عذاب فقتل النضر وابن أبي معيط ببدر صبرًا.

﴿عَذَابَ ٱلۡحَرِيقِ﴾: (كا) ذلك، أي: النازل بك مبتدأ خبره ﴿بِمَا قَدَّمَتۡ يَدَاكَ﴾ من العمل، ولا وقف هنا؛ لأنَّ ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيۡسَ بِظَلَّٰمٖ لِّلۡعَبِيدِ﴾: (تا) عطف علىٰ (بما).

ومحل ﴿عَلَىٰ حَرۡفٖۖ﴾: شك واضطراب [نصب][1] حال من (يعبد)، أي: متزلزلًا؛ لأنَّ الحال علىٰ حرف الشيء وهو طرفه يقلق ولا يثبت، وهذا استعارة، نزلت هذه الآية فيمن دخل في الإسلام من غير اعتقاد صحته ﴿فَإِنۡ أَصَابَهُۥ خَيۡرٌ﴾ : صحة وسلامة في نفسه وماله ﴿ٱطۡمَأَنَّ بِهِۦۖ﴾: سكن إليه ﴿وَإِنۡ أَصَابَتۡهُ فِتۡنَةٌ﴾ : محنة وسقم في نفسه وماله ﴿ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجۡهِهِۦ﴾ : جهته، أي: رجع إلىٰ الكفر ﴿خَسِرَ ٱلدُّنۡيَا﴾ : حال و«قد» مقدرة، وقرئ: (خاسرًا الدنيا) .

(١) سقط من أ، ج والمثبت من ب.

﴿وَٱلۡأٓخِرَةَۚ﴾: بنصب (خاسرًا) حالًا، وبرفعه خبر مبتدأ محذوف، وبإضافة (خاسر) إلىٰ (الدنيا) رفعًا ونصبًا، لا أحب الوقف من (للعبيد) إلىٰ هنا، وخسرانه إياهما ذهاب دينه وخلوده في النار.

﴿هُوَ ٱلۡخُسۡرَانُ ٱلۡمُبِينُ﴾: (حس) إن استأنفت:

﴿ يَدۡعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُۥ وَمَا لَا يَنفَعُهُۥۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلۡبَعِيدُ ١٢ يَدۡعُواْ لَمَن ضَرُّهُۥٓ أَقۡرَبُ مِن نَّفۡعِهِۦۚ لَبِئۡسَ ٱلۡمَوۡلَىٰ وَلَبِئۡسَ ٱلۡعَشِيرُ ١٣ إِنَّ ٱللَّهَ يُدۡخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفۡعَلُ مَا يُرِيدُ ١٤ مَن كَانَ يَظُنُّ أَن لَّن يَنصُرَهُ ٱللَّهُ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ فَلۡيَمۡدُدۡ بِسَبَبٍ إِلَى ٱلسَّمَآءِ ثُمَّ لۡيَقۡطَعۡ فَلۡيَنظُرۡ هَلۡ يُذۡهِبَنَّ كَيۡدُهُۥ مَا يَغِيظُ ١٥﴾

﴿يَدۡعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُۥ﴾ : إن لم يعبده.

﴿وَمَا لَا يَنفَعُهُۥۚ﴾: (كا) إن عبده ﴿ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلۡبَعِيدُ﴾: عن الهداية بحيث لا يدرك، فيرجىٰ زواله، لا يحسن الوقف هنا إن جعلت ﴿يَدۡعُواْ﴾ تكريرًا تأكيدًا لكفره، فتقف هنا؛ لأنَّه لا تعلق لـ﴿يدعونا﴾ بـ(من)، تقديره: يدعو من دون الله ما لا يضره ولا ينفعه، ثم تبتدئ مقسمًا.

﴿لَمَن ضَرُّهُۥٓ﴾: إن عبَده ﴿أَقۡرَبُ مِن نَّفۡعِهِۦۚ﴾: إن استشفعه، فـ«من» مبتدأ خبره ﴿لَبِئۡسَ ٱلۡمَوۡلَىٰ﴾: الناصر، وكذلك إن جعلت الهاء مقدرة في (يدعو) وذلك مبتدأ، وهو بدل منه، والضلال خبر المبتدأ، و«يدعوه» حالًا، أي: مدعوًا، وقدر هذا التقدير لأنَّ الفعل يتعلق باللام بعده إذا كان من أفعال القلب، ويدعو ليس من أفعاله، ويحسن الوقف علىٰ البعيد إن نصبت (من) بـ(يدعو) وجعلت اللام مؤخرة وتجعل (يدعو) بمعنىٰ «يزعم»؛ [لأنَّ الزعم][(١)] قول باعتقاد، تقديره: من لضره أقرب من نفعه، وجاز الفصل باللام لدخولها علىٰ مبني للفراء؛ لأنها اعتراض، وكذلك إن جعلت (يدعو) بمعنىٰ «يقول»، فـ«من» مبتدأ محذوف

---

(١) سقط من ج والمثبت من أ، ب.

الخبر، (ضره) مبتدأ ثان خبره (أقرب)، وهما صلة (من)، و(من) وصلتها وخبرها نصب بالقول، تقديره: يقول لمن ضره أقرب من نفعه: إلهي فعل هذا، يحسن الوقف هنا إن جعلت خبر (من): ﴿لَبِئْسَ ٱلْمَوْلَىٰ﴾ وتعطف عليه ﴿وَلَبِئْسَ ٱلْعَشِيرُ﴾: (تا) الصاحب المعاشر، فلا وقف من (لمن) إلى هنا، والمعنىٰ: إن لم تجعل (يدعو) مكررًا أنَّ الكافر يعبد ويدعو في الدنيا مالا يملك ضرًّا ولا نفعًا؛ لأنَّه جماد، وهو يعتقد أنَّه يدعوه في الآخرة فيشفع له.

تلخيصه: يعتمد علىٰ غير معتمد.

﴿ٱلْأَنْهَٰرُ﴾: (حس).

﴿مَا يُرِيدُ﴾: (تا) ظن الكفار أنَّ محمدًا ﷺ لن ينصر فنزل ﴿مَن كَانَ يَظُنُّ أَن لَّن يَنصُرَهُ ٱللَّهُ﴾ : المعنىٰ: إنَّ الله ينصر نبيه ﴿فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ﴾ [ق/ ١٥٥أ]: فمن ظن غير ذلك ﴿فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى ٱلسَّمَآءِ﴾ : أو الهاء في (ينصره) لمن ارتد بسبب ضيق عيشه، فالنصر علىٰ هذا بمعنىٰ الرزق، ومنه: من نصرني نصره الله أي أعطاني، المعنىٰ علىٰ التأويلين: من لم يرض بقضاء الله، فليشدَّ حبلًا في سقف بيته ﴿ثُمَّ لْيَقْطَعْ﴾: ليختنق به فيموت خنقًا، ويجوز أن يكون المعنىٰ: فليقطع عنقه بالحبل.

﴿فَلْيَنظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُۥ﴾ : فعله بنفسه ﴿مَا يَغِيظُ﴾: (حس) الهاء محذوفة و«ما» مصدرية، أو بمعنىٰ «الذي»، أي: يذهب [غيظه. **تلخيصه**: فلينظر هل يذهب][1] فعله غيظه، وهذا مبالغة في الزجر، كما يقال للعدو: وإن لم ترض فاختنق ومت غيظًا، وإلا فلا نظر بعد الموت، وإن أريد بالسماء حقيقتها كان المعنىٰ: ليمد حبلًا [إليها][2] فليصعد فيه إليها ليقطع الوحي عن النبي ﷺ، يقال له هذا؛ احتقارًا به واستهزاءً.

---

(١) سقط من ج والمثبت من أ، ب.

(٢) سقط من ج والمثبت من أ، ب.

القراءة: (ثم ليقطع)، (ثم ليقضوا)، (وليوفوا)، (وليطوفوا) بكسر اللام؛ لأنها لام أمر أصلها الكسر، كما لو ابتدأ بها، ولا اعتداد بحرف العطف، وبإسكانها تخفيفًا واعتدادًا بحرف العطف مبتدأ به، وبتشديد (وليوفُّوا) من «وفَّىٰ»، وبتخفيفها من «أوفىٰ».

﴿وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ وَأَنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يُرِيدُ ﴿١٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلْمَجُوسَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿١٧﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسْجُدُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلْجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ ٱلنَّاسِ ۖ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ ٱلْعَذَابُ ۗ وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ ۩ ﴿١٨﴾﴾

﴿وَأَنَّ﴾ أي: وأنزلنا ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يُرِيدُ﴾: (تا).

و«إن» في ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾: خبرها ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَفْصِلُ﴾: الجملة إلىٰ ﴿ٱلْقِيَٰمَةِ﴾: (حس) أو محذوف، أي: مفترقون؛ فإن الثانية تكرير للأولىٰ؛ لزيادة تأكيد المعنىٰ أنَّه تعالىٰ يحكم بين الفرق المذكورة، فيدخل الكافر النار والمؤمن الجنة، ﴿شَهِيدٌ﴾: (تا).

ولمَّا كان من يختص بذي العلم وصف من في السموات والأرض [بالسجود مجملًا، ثم فصل ما لم يدخل تحتها من شمس وقمر ونجم وجبل ودواب، وقرئ بتخفيف باء الدواب تخفيفًا، قالوا: والمراد][1] بسجود من ليس من أهله انقياده لما أريد منه، ويجوز أن لها سجودًا حقيقة، ثم عطف الناس علىٰ «من» وإن عمتهم [ق/ ١٨٦ جـ] تفضيلًا فقال:

﴿وَكَثِيرٌ مِّنَ ٱلنَّاسِ﴾: (تا) إن رفع (وكثير) مبتدأ خبره ﴿حَقَّ عَلَيْهِ ٱلْعَذَابُ﴾: (تا) وتقف علىٰ «الدواب» إن استأنفت و«كثير» مبتدأ [ق/ ٢٥٩ب] صفته من الناس، خبره محذوف، أي: مُثاب، فالسجود مختص بالمؤمنين، وإن عطف

---

(١) سقط من ج والمثبت من أ، ب.

(وكثير) حق علىٰ من قبل، أي: كثير من الكفار يسجد كاليهود والنصارىٰ، فلا وقف من (ألم تر) إلىٰ (العذاب)، وقرئ: (حقٌّ) ضمًّا و(حقا) مصدر، القراءة بكسر راء ﴿مُّكْرِمٍۚ﴾: (حس) وقرئ بفتحها مصدر بمعنىٰ الإكرام، المعنىٰ من يذله الله تعالىٰ فلا معزَّ له. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ﴾: (تا).

﴿ ۞ هَٰذَانِ خَصْمَانِ ٱخْتَصَمُوا۟ فِى رَبِّهِمْ ۖ فَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ ٱلْحَمِيمُ ﴿١٩﴾ يُصْهَرُ بِهِۦ مَا فِى بُطُونِهِمْ وَٱلْجُلُودُ ﴿٢٠﴾ وَلَهُم مَّقَٰمِعُ مِنْ حَدِيدٍ ﴿٢١﴾ كُلَّمَآ أَرَادُوٓا۟ أَن يَخْرُجُوا۟ مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا۟ فِيهَا وَذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴿٢٢﴾ ﴾

ونزل في حمزة وعلي وعبيدة بن الحارث حين برزوا ببدر إلىٰ عتبة وشيبة ابني ربيعة والوليد بن عتبة ﴿هَٰذَانِ خَصْمَانِ﴾: أي: طائفتان، والخصم مصدر يعم المفرد والجمع والذكر والأنثىٰ، فلذلك قال: ﴿ٱخْتَصَمُوا۟﴾ : ردًّا إلىٰ المعنىٰ، وقرئ: (اختصما)، أو نزلت في اليهود والمؤمنين حين تجادلوا[1].

﴿فِى رَبِّهِمْ ۖ﴾: (كا) فقال اليهود: نحن أحق به منكم لسبق ديننا ونبينا، وقال المؤمنون: نحن أحق به لإيماننا بنبينا ونبيكم وجميع الكتب المنزلة، وأنتم كفرتم بنبينا وكتابنا.

﴿فَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ قُطِّعَتْ﴾: هُيئت ﴿لَهُمْ ثِيَابٌ﴾: يلبسونها ﴿مِّن نَّارٍ﴾: نحو: ﴿سَرَابِيلُهُم مِّن قَطِرَانٍ﴾ [إبراهيم:٥٠]، وسمي ما يتخذ من النار ثيابًا؛ لإحاطته باللابس كالثوب، وتقف هنا إن استأنفت ﴿يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ ٱلْحَمِيمُ﴾ : الماء البالغ نهاية الحر، ابن عباس[2]: لو سقطت قطرة منه علىٰ جبال الدنيا لأذابتها.

﴿يُصْهَرُ بِهِۦ﴾ : يذاب بالحميم المسكوب علىٰ رؤوسهم ﴿مَا فِى بُطُونِهِمْ﴾ من شحوم وغيرها فيقطعها وتخرج من أدبارهم .

---

(١) انظر: «أسباب النزول» (ص/ ص/ ٣٠٨).

(٢) انظر: «الكشاف» (٣/ ١٥٠).

﴿وَٱلْجُلُودُ﴾: (كا) أيضًا تذاب، وقرئ بكسر (خِصمان) وتخفيف (قُطِعت) و(يُصَّهَر) مشددًا مبالغة، و(يُصَّهِر) مشددًا بكسر الهاء ونصب (الجلود) الفاعل الله تعالىٰ.

﴿وَلَهُم مَّقَٰمِعُ﴾ : سياط مختصة بهم، جمع مقمعة ﴿مِنْ حَدِيدٍ﴾: (كا) يضربون بها ﴿مِنْ غَمٍّ﴾: بدل اشتمال من (منها) بإعادة الجار، أو «من» الأولىٰ ابتدائية والثانية بمعنىٰ «من أجل»، تقديره: كلما أرادوا الخروج من النار من أجل غمٍّ يلحقهم فخرجوا ﴿أُعِيدُواْ فِيهَا﴾: (كا) ردوا فيها، وقرئ بها، وذلك أنَّ النار تضربهم بلهبها فتلقيهم إلىٰ أعلاها، فيريدون الخروج منها فتضربهم الزبانية بمقامع الحديد فيهوون إلىٰ قعرها سبعين خريفًا، فالمراد إعادتهم إلىٰ معظم النار، لا أنهم ينفصلون عنها بالكلية ثم يعودون إليها، ويقال لهم: ذوقوا ﴿عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ﴾: (تا) البالغ نهاية الإحراق.

﴿ٱلْأَنْهَٰرُ﴾: (تا).

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُدْخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴿٢٣﴾ وَهُدُوٓاْ إِلَى ٱلطَّيِّبِ مِنَ ٱلْقَوْلِ وَهُدُوٓاْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْحَمِيدِ ﴿٢٤﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ٱلَّذِى جَعَلْنَٰهُ لِلنَّاسِ سَوَآءً ٱلْعَٰكِفُ فِيهِ وَٱلْبَادِ ۚ وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍۭ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٥﴾ ﴾

القراءة: ﴿يُحَلَّوْنَ فِيهَا﴾ : بضم الياء مشددًا، وقرئ بفتحها مخففًا، من حليت المرأة تحلىٰ لبست الحلىٰ، أو من: أحليتها أنا: جعلت لها حليًّا، أو من حَليت بالشيء: ظفرت به، المعنىٰ: يلبسون الحلي في الجنة ﴿مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ﴾: (كا) إن نصبت ﴿وَلُؤْلُؤًا﴾ بمضمر [وهي القراءة][1] أي: يحلون، ولا يجوز إن عطفته علىٰ موضع (من أساور)، ولا يجوز علىٰ القراءة أيضًا بجر (لؤلؤ) عطفًا علىٰ

(١) سقط من ج والمثبت من أ، ب.

(أساور)، و(اللؤلؤ) اسم جامع للحب يخرج من البحر.

﴿حَرِيرٌ﴾: (كا) هو الإبريسم المحرم لبسه على الرجال ﴿ٱلطَّيِّبِ مِنَ ٱلْقَوْلِ﴾: القرآن، أو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ﴿إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْحَمِيدِ﴾: (تا) طريق الجنة ﴿وَيَصُدُّونَ﴾: حال من الفاعل في (كفروا)، أي: صادين، المعنىٰ: صدهم مستمر، إن جعلت ﴿جَعَلْنَٰهُ﴾: بمعنىٰ «أصبنا» غير متعد إلىٰ مفعولين حسن الوقف علىٰ ﴿لِلنَّاسِ﴾ حال، ويرتفع ﴿سَوَآءً﴾: علىٰ القراءة خبر مبتدؤه، ﴿ٱلْعَٰكِفُ فِيهِ وَٱلْبَادِ﴾: (حس) الخارج عنه، عطف علىٰ العاكف، والجملة حال من ضمير الجار والمجرور، وتنصب (سواء) علىٰ هذا علىٰ القراءة أيضًا مصدر وإن عُدّي جعل إلىٰ مفعولين الأول الهاء في ﴿جَعَلْنَٰهُ﴾ الثاني (سواء) علىٰ القراءة بالنصب، وعلىٰ القراءة بالرفع الجملة من (سواء...) إلىٰ (البادي)، فإن أريد بالمسجد الحرام [الحرم][1] فالمعنىٰ: المقيم فيه والخارج عنه الوارد إليه سواء، لا يخص بعضًا دون بعض، غير أنَّه لا يزعج أحد عن منزل نزله إذا كان قد سبق إليه عند محمد وإحدىٰ الروايتين عن أبي حنيفة، والشافعي يخص المكي بمنزله، ولا يجوز بيع دور مكة عند محمد، وإحدىٰ الروايتين عن أبي حنيفة، وجوَّزه الشافعي.

وإن أريد بالمسجد الحرام نفس البيت، فالمعنىٰ: أنَّه قبلة لجميع الناس.

﴿وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ﴾: الباء زائدة، وقرئ بفتح الياء من الورود، فمحل (بإلحاد) حال،أي: إلحادًا، ومحل ﴿بِظُلْمٍ﴾: حال، أي: إلحادًا ظالمًا، والمراد بـ«إلحاد» هنا الشرك، أو كل ما نهي عنه حتىٰ شتم الخادم واحتكار الطعام، وخبر «إنَّ» محذوف، أي: معذبون، يدل عليه جواب الشرط وهو:

﴿نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾: (تا) لنصبك بـ«اذكر» مقدرة.

﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَٰهِيمَ مَكَانَ ٱلْبَيْتِ أَن لَّا تُشْرِكْ بِى شَيْـًٔا وَطَهِّرْ بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ

(١) سقط من ج والمثبت من أ، ب.

وَٱلْقَآئِمِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴿٢٦﴾ وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴿٢٧﴾ لِّيَشْهَدُوا۟ مَنَٰفِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ فِىٓ أَيَّامٍ مَّعْلُومَٰتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَٰمِ ۖ فَكُلُوا۟ مِنْهَا وَأَطْعِمُوا۟ ٱلْبَآئِسَ ٱلْفَقِيرَ ﴿٢٨﴾﴾

﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا﴾ : بينَّا ﴿لِإِبْرَٰهِيمَ مَكَانَ ٱلْبَيْتِ﴾ : أي: ليبنيه ويكون مباءة له ولعقبه يرجعون إليه ويحجونه؛ لأنَّه كان قد رفع زمن الطوفان، وكان من ياقوتة حمراء، أو (مكان) ظرف، واللام زائدة في (لإبراهيم)، و«أن» في ﴿أَن لَّا تُشْرِكْ﴾ وقرئ بالياء غيبة مفسرة للقول المقدر، أي: قلنا له: لا تشرك.

﴿وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْقَآئِمِينَ﴾ : [أي:][1] المقيمين به.

﴿وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ﴾: (كا) المصلين .

﴿وَأَذِّن﴾ ناد ﴿فِي ٱلنَّاسِ﴾، وقرئ: (آذن) مدًّا أَعْلِمْ ﴿بِٱلْحَجِّ﴾ : فقام إبراهيم صلوات الله عليه على أبي قبيس، فقال: أيها الناس، ألا إن ربكم قد بنى بيتًا، وكتب عليكم الحج، فأجيبوا ربكم، والتفت بوجهه يمينًا وشمالًا وشرقًا وغربًا، فأجابه كل من كتب [له][2] أنَّه يحج من أصلاب الرجال وأرحام الأمهات: «لبيك اللهم لبيك»، وجواب الأمر ﴿يَأْتُوكَ رِجَالًا﴾ مشاة جمع راجل كقائم وقيام، وقرئ بضم الراء مشددًا ورجالى كعجالى، ومحل ﴿وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ﴾: حال، أي: ركبانًا على إبل مهازيل، لا أحب الوقف هنا؛ لأنَّ ﴿يَأْتِينَ﴾ : أي النوق أو الإبل نعت لـ(ضامر)، والضامر بمعنى الضوامر، وقرئ: (يأتون) نعتًا لـ(رجالًا) ﴿مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾: طريق بعيد، وقرئ: (معيق) لغتان، ويتعلق بـ(أذن)، أو بـ(يأتوك)، اللام في ﴿لِّيَشْهَدُوا۟ مَنَٰفِعَ لَهُمْ﴾ دينية ودنيوية ﴿وَيَذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ﴾ [عند][3] التذكية ﴿فِىٓ أَيَّامٍ مَّعْلُومَٰتٍ﴾: عندهم؛ لأنهم كانوا يحرصون على عملها وعدها لأجل الحج،

---

(١) سقط من أ، ب والمثبت من ج.
(٢) في ج: عليه، والمثبت من أ، ب.
(٣) في ج: على، والمثبت من أ، ب.

وهي: عشر ذي الحجة، أو هي يوم النحر وثلاثة بعده. ﴿عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَـٰمِ﴾: (كـا) هي الإبل والبقر والغنم، فلا تجوز الأضحية من غيرها، أو يذكرونه عند الجمرات [ق/ ٢٦٠ب].

﴿فَكُلُواْ مِنْهَا وَأَطْعِمُواْ ٱلْبَآئِسَ﴾: الشديد البؤس ﴿ٱلْفَقِيرَ﴾: وأصل البؤس [والبأس][(١)] الشدة، فالبؤس في الفقر والحرب أكثر، والبأس والبأساء في النكاية والتنكيل أكثر.

﴿ ثُمَّ لْيَقْضُواْ تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُواْ نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُواْ بِٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ ﴿٢٩﴾ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَـٰتِ ٱللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ ۗ وَأُحِلَّتْ لَكُمُ ٱلْأَنْعَـٰمُ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ۖ فَٱجْتَنِبُواْ ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَـٰنِ وَٱجْتَنِبُواْ قَوْلَ ٱلزُّورِ ﴿٣٠﴾ حُنَفَآءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِۦ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ أَوْ تَهْوِى بِهِ ٱلرِّيحُ فِى مَكَانٍ سَحِيقٍ ﴿٣١﴾ ﴾

﴿ثُمَّ لْيَقْضُواْ﴾: ليزيلوا ﴿تَفَثَهُمْ﴾: أوساخهم وكل ما يستقذر كشعث وطول الظفر تفث، أو التفث مناسك الحج، فالمراد الخروج من الإحلال إلىٰ الإحرام بأفعاله ﴿وَلْيَطَّوَّفُوا﴾: ليدوروا طواف الإفاضة ﴿بِٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ﴾: (حس) القديم؛ لأنَّه أول بيت وضع للناس، أو الكريم ومنه: عتاق الخيل لكرامها، أو عتيق من الغرق؛ لأنَّه رفع زمن الطوفان، وخبر المبتدأ المحذوف ﴿ذَٰلِكَ﴾: أي: المذكور من [أفعال][(٢)] الحج، تقف هنا إن جعلت ﴿وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَـٰتِ ٱللَّهِ﴾ هي ما لا يحل انتهاكه شرطًا مستأنفًا، جوابه ﴿فَهُوَ﴾: أي: التعظيم الدال عليه (يعظم)، والأولىٰ تعلق ذلك بما بعده، فتقديره: ذلك لازم لكم، ومن يفعل ما يلزمه فلزومه ﴿خَيْرٌ لَّهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ﴾: في الدار الآخرة ﴿وَأُحِلَّتْ لَكُمُ ٱلْأَنْعَـٰمُ﴾: [أكلًا][(٣)] بعد

---

(١) سقط من ج والمثبت من أ، ب.

(٢) في أ، ب: أعمال، والمثبت من ج.

(٣) سقط من ج، والمثبت من أ، ب.

الذبح، وهي الإبل والبقر والغنم ﴿إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ﴾: تحريمه في قوله: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ..﴾ الآية استثناء منقطع؛ لأنَّ المحرم ليس من جنس الأنعام، أو متصل، فالمراد ما حرم منها لسبب عارض كالميتة ﴿فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ﴾: القذر ﴿مِنَ الْأَوْثَانِ﴾: بيان للرجس؛ لأنَّ الرجس الأوثان وغيرها، أي: اجتنبوا الرجس من هذا القبيل، أو اجتنبوا الرجس الذي هو الأوثان.

﴿وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ﴾: البهتان ﴿حُنَفَاءَ لِلَّهِ غَيْرَ﴾: حالان، **تلخيصه**: اجتنبوا معصية الله تعالىٰ مخلصين غير ﴿مُشْرِكِينَ بِهِ﴾: (كا) شيئًا ما.

القراءة: ﴿فَتَخْطَفُهُ﴾: أي: فهو تستلبه ﴿الطَّيْرُ﴾: بسرعة بفتح الخاء مشددًا، أي: تتخطفه، فحذفت إحدىٰ التاءين، وبإسكانها مخففًا من خطف يخطف، وقرئ بكسر الخاء والطاء، وبكسر التاء مع كسرهما، المعنىٰ: من أشرك بالله، فلا يرجىٰ فلاحه كمن حصل ﴿فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾: (كا) بعيد مهلك بسلب طير أو هوي ريح لا يرجىٰ خلاصه منه.

﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى الْقُلُوبِ ﴿٣٢﴾ لَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ مَحِلُّهَا إِلَى الْبَيْتِ الْعَتِيقِ ﴿٣٣﴾ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا لِّيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّن بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَلَهُ أَسْلِمُوا وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ ﴿٣٤﴾ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَالصَّابِرِينَ عَلَىٰ مَا أَصَابَهُمْ وَالْمُقِيمِي الصَّلَاةِ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣٥﴾﴾

والكلام علىٰ ﴿ذَٰلِكَ﴾: أي: المذكور من اجتناب الرجس وقول الزور، كالكلام علىٰ ذلك قبل، وتعظيم ﴿شَعَائِرَ اللَّهِ﴾: وهي الهدي المشعرة ليعرف أنها هدي استسمانها واستحسانها[ق/ ١٨٧ جـ] وجواب الشرط ﴿فَإِنَّهَا﴾: أي الفعلة، وهي اجتناب الرجس وتعظيم الشعائر، أو [أنَّ][(١)] تعظيمها ﴿مِن﴾: أفعال ذوي ﴿تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾: منهم، والضمير في (منهم) المقدر راجع من الجزاء إلىٰ الشرط

(١) سقط من ج، والمثبت من أ، ب.

ليستقيم المعنىٰ، ثم حذفت هذه المقدرات تخفيفًا، لا أحب الوقف هنا إن جعلت الهاء في ﴿لَكُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ﴾ [ق/ ١٥٦أ] من درٍّ ونسلٍ ولحمٍ وغيرها للشعائر ﴿إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾: وقت انقضاء الحج، أو يوم القيامة.

تلخيصه: لكم في الهدايا منافع دينية ودنيوية، وإن جعلت الهاء للأنعام، فلا أحب الوقف بينهما.

﴿ثُمَّ مَحِلُّهَآ﴾: الذي تنحر فيه ﴿إِلَى﴾: أي عند ﴿ٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ﴾: (حس) والمراد جميع الحرم فتنحر فيه.

القراءة: ﴿مَنسَكًا﴾: أي: مذبحًا، أو عيدًا بفتح السين وكسرها لغتان، أو الفتح للمصدر والمكان والكسر للمكان، خارج عن القياس، المعنىٰ: لكل أمة جعلنا مكانًا ووقتًا ينحرون فيه ﴿لِّيَذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ﴾: عند النحر ﴿عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَٰمِ﴾: وقيد بـ(بهيمة الأنعام)؛ لأنَّ من البهائم ما لا يجوز في القراءتين كالخيل والحمر.

﴿فَلَهُۥٓ أَسْلِمُوا۟﴾: (حس) أخلصوا وأطيعوا.

﴿وَبَشِّرِ ٱلْمُخْبِتِينَ﴾ : المطيعين المتواضعين، تقف هنا إن رفعت أو نصبت ما بعد مدحًا، ولا تقف هنا إن جررت وصفًا ﴿ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ﴾: أي: خافت واضطربت ﴿قُلُوبُهُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ عَلَىٰ مَآ أَصَابَهُمْ﴾: من المحن ﴿وَٱلْمُقِيمِى ٱلصَّلَوٰةِ﴾ : في أوقاتها.

وقرئ: (والمقيمي الصلاةَ) نصبًا علىٰ تقدير النون، والمقيمين الصلاة.

﴿يُنفِقُونَ﴾: [(حس)][1] يتصدقون.

﴿ وَٱلْبُدْنَ جَعَلْنَٰهَا لَكُم مِّن شَعَٰٓئِرِ ٱللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ ۖ فَٱذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهَا صَوَآفَّ ۖ فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُوا۟ مِنْهَا وَأَطْعِمُوا۟ ٱلْقَانِعَ وَٱلْمُعْتَرَّ ۚ كَذَٰلِكَ سَخَّرْنَٰهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٣٦﴾ لَن

(١) سقط من ج، والمثبت من أ، ب.

يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا وَلَٰكِن يَنَالُهُ ٱلتَّقْوَىٰ مِنكُمْ كَذَٰلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ وَبَشِّرِ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٣٧﴾﴾

﴿وَٱلْبُدْنَ﴾ : جمع بادن، كبازل وبزل نصب بمضمر، وقرئ برفعها مبتدأ، وقرئ بضمتين جمع بدنة، وبضمتين وتشديد النون على لفظ الوقف، وسميت بدنًا لعظم أبدانها، وهي الإبل خاصة، يدل عليه الآية وقوله ﷺ: «**البدنة عن سبعة، والبقرة عن سبعة**»[(١)]. وبعضهم يجعل البدنة في الشريعة متناولة الجنسين لتسوية الشارع بينهما في الإجزاء، وثاني مفعولي ﴿جَعَلْنَٰهَا لَكُم﴾ قوله: ﴿مِّن شَعَٰٓئِرِ ٱللَّهِ﴾ : أعلام دينه ﴿فَٱذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهَا﴾ : عند نحرها ﴿صَوَآفَّ﴾: حال من الهاء، أي: قائمة على ثلاث قد عقلت يدها الواحدة، أو هي التي عقلت رجلها اليسرى حسب، وهي جمع صَافة، وقرئ: (صوافن) جمع صافن من صفن الفرس، قام على ثلاث وعلى سنبك الرابعة، وصوافنا وصوافي بفتح الياء، أي: خوالص، وصوافي بسكونها نحو: أعط القوس باريها.

﴿فَإِذَا وَجَبَتْ﴾: سقطت ﴿جُنُوبُهَا﴾ : على الأرض بعد نحرها وسكنت حركتها ﴿فَكُلُوا۟ مِنْهَا﴾ : إن شئتم ﴿وَأَطْعِمُوا۟ ٱلْقَانِعَ﴾ : الذي يقنع بما يعطى [ولا يسأل و][(٢)] لا يتعرض.

﴿وَٱلْمُعْتَرَّ﴾: (كا) السائل أو المتعرض، وقرئ: (القَنِع)، قَنِعَ يَقْنَع فهو قانع وقنِع، ومعناهما التعفف والرضى، أو القانع: أهل مكة، والمعتر: من يعتريهم من غيرهم، أو القانع: الجار وإن كان غنيًّا، والمعتر: الصديق الزائر، وقرئ: (والمعتري) من اعتراه غشيه وطلب سؤالًا، لا أحب الوقف من (ينفقون) إلى هنا.

﴿كَذَٰلِكَ﴾ : أي: مثل ذلك التسخير ﴿سَخَّرْنَٰهَا لَكُمْ﴾ بأن تنحر وتركب، ولولا ذلك لم تطق ﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾: (حس).

---

(١) أخرجه مسلم(١٣١٨) من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما.

(٢) سقط من أ، ب والمثبت من ج.

﴿لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا وَلَـٰكِن يَنَالُهُ ٱلتَّقْوَىٰ مِنكُمْ﴾: (كا) وقرئ: (تنال) و(تناله) مؤنثًا فيهما لتأنيث الجماعة وتأنيث التقوىٰ، والمعنىٰ: لن يرفع إليه لحم ولا دم بل يرفع إليه منكم العمل [الصالح][1] الخالص له مع الإيمان ﴿لِتُكَبِّرُواْ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ﴾: (كا) إلىٰ معالم دينه ومناسك حجه.

﴿وَبَشِّرِ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾: (تا) الموحدين.

﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ ﴿٣٨﴾ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُواْ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ أَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُواْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْاْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴿٤١﴾﴾

﴿ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ﴾ بدلًا من ﴿ٱلَّذِينَ أُخْرِجُواْ﴾ فلا أحب الوقف بينهما اختيارًا، ومعنىٰ تمكينهم ﴿فِى ٱلْأَرْضِ﴾ أن ينصرهم علىٰ عدوهم، قتادة[2]: هم الصحابة ﴿أَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُواْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْاْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾: (حس).

﴿وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ﴾: (تا).

القراءة: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ﴾ بألف وبغير ألف، أي: يذهب غوائل المشركين وأذاهم ﴿عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾: (تا) ونحوه: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ [غافر: ٥١].

ثم صرح ببعض أضدادهم فقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ﴾ خائن في أمانته ﴿كَفُورٍ﴾: (تا) بالله تعالىٰ حيث أشرك.

---

(١) سقط من أ، ب والمثبت من ج.

(٢) انظر: «الكشاف» (٣/ ٢٠٥).

طلب المسلمون قتال المشركين لمَّا آذوهم، فمنعوا، ثم نزل ﴿أُذِنَ﴾ الآية، قالوا: نسخت هذه الآية سبعين آية[(١)]؛ لأنها أول آية نزلت في الإذن بالقتال، [القراءة][(٢)] بضم الهمزة مجهولًا، فمحل ﴿لِلَّذِينَ﴾: رفع، وبفتحها معلومًا فمحله نصب، أي: أذن الله.

والقراءة أيضًا ﴿يُقَٰتَلُونَ﴾: بفتح التاء مجهولًا، أي: يقاتلهم عدوهم، وبكسرها معلومًا، أي: يقاتلون هم عدوهم ﴿بِأَنَّهُمْ ظُلِمُواْ﴾ [ق/ ٢٦١ب] (تا) **تلخيصه**: أذن لهم في القتال بسبب ظلم الكفار إياهم وأذاهم.

﴿لَقَدِيرٌ﴾: (تا) إن رفعت أو نصبت مدحًا ﴿ٱلَّذِينَ أُخْرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ﴾ أي: بغير ذنب، وإن جررته بدلًا من ﴿لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ﴾ فلا أحب الوقف بينهما، ومحل ﴿أَن يَقُولُواْ﴾ جر بدل من (حق)، المعنىٰ: لم يخرجوا من ديارهم إلا بسبب قولهم ﴿رَبُّنَا ٱللَّهُ﴾: (حس) **القراءة**: ﴿لَّهُدِّمَتْ﴾ لخربت [مخففًا ومثقلا][(٣)] ﴿صَوَٰمِعُ﴾: للرهبان ﴿وَبِيَعٌ﴾: للنصارىٰ ﴿وَصَلَوَٰتٌ﴾: أي: مواضع الصلوات، والمراد كنائس اليهود، أو المراد حقيقة صلوات الإسلام؛ لأنها تنقطع عند دخول العدو ﴿وَمَسَٰجِدُ﴾: للمسلمين ﴿يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا﴾: (تا) المعنىٰ: لولا دفع الله عن المتعبدين بالمجاهدين لانقطعت العبادات وخربت المتعبدات، أو هدمها تعطيلها.

تلخيصه: لولا الله لهلكوا، ثم أكد ذلك بقوله: ﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ﴾: (حس) ينصر دينه وأولياءه .

﴿عَزِيزٌ﴾: (تا) إن رفعت أو نصبت ما بعد مدحًا، وإن جررت.

﴿وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَثَمُودُ ﴿٤٢﴾ وَقَوْمُ إِبْرَٰهِيمَ وَقَوْمُ لُوطٍ ﴿٤٣﴾

---

(١) انظر: «تفسير البغوي» (١/ ٢٣٦).

(٢) في ج: وقرئ، والمثبت من أ، ب.

(٣) في جـ: تقديم وتأخير.

﴿وَأَصۡحَٰبُ مَدۡيَنَۖ وَكُذِّبَ مُوسَىٰۖ فَأَمۡلَيۡتُ لِلۡكَٰفِرِينَ ثُمَّ أَخَذۡتُهُمۡۖ فَكَيۡفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٤٤﴾﴾

﴿وَأَصۡحَٰبُ مَدۡيَنَۖ﴾: (حس) وقال: ﴿وَكُذِّبَ مُوسَىٰۖ﴾: (كا) مجهولًا؛ لأنَّ موسىٰ لم يكذبه قومه بنو إسرائيل، وإنما كذبه القبط.

﴿ثُمَّ أَخَذۡتُهُمۡۖ﴾: (كا) لا أحب الوقف علىٰ ﴿فَكَيۡفَ كَانَ نَكِيرِ﴾ إنكاري عليهم بإهلاكهم لأنَّ ﴿فَكَأَيِّن مِّن قَرۡيَةٍ﴾ بدل عنه، ولذلك عطف عليه بالفاء.

﴿فَكَأَيِّن مِّن قَرۡيَةٍ أَهۡلَكۡنَٰهَا وَهِيَ ظَالِمَةٞ فَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَبِئۡرٖ مُّعَطَّلَةٖ وَقَصۡرٖ مَّشِيدٍ ﴿٤٥﴾ أَفَلَمۡ يَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَتَكُونَ لَهُمۡ قُلُوبٞ يَعۡقِلُونَ بِهَآ أَوۡ ءَاذَانٞ يَسۡمَعُونَ بِهَاۖ فَإِنَّهَا لَا تَعۡمَى ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَلَٰكِن تَعۡمَى ٱلۡقُلُوبُ ٱلَّتِي فِي ٱلصُّدُورِ ﴿٤٦﴾ وَيَسۡتَعۡجِلُونَكَ بِٱلۡعَذَابِ وَلَن يُخۡلِفَ ٱللَّهُ وَعۡدَهُۥۚ وَإِنَّ يَوۡمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلۡفِ سَنَةٖ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴿٤٧﴾﴾

القراءة: ﴿أَهۡلَكۡنَٰهَا﴾ بنون جمعًا وبتاء مفرد، أو تنصب (فكأين) بما دل عليه (أهلكتها)، ولا محل لهذا الفعل، وتقدير العامل في «كأين» بعدها لأجل الاستفهام، ومحل ﴿وَهِيَ ظَالِمَةٞ﴾: أي: مشرك أهلها حال، ولا محل لـ ﴿فَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا﴾: ساقطة علىٰ سقوفها، بأن سقطت السقوف ثم سقطت عليها الحيطان؛ لأنها معطوفة علىٰ أهلكتها، وإن رفعت (فكأين) مبتدأ (من قرية) صفته، أو (من قرية) بيان؛ لأنَّ (قرية) بمعنىٰ قرىٰ، خبره (أهلكتها)، فمحل (فهي خاوية) رفع عطف علىٰ الخبر [وعطف][1] ﴿وَبِئۡرٖ مُّعَطَّلَةٖ﴾ متروكة مع وجود الماء وآلاتها فيها لهلاك أربابها.

وقرئ: (معطلة) من أعطله بمعنىٰ عطله [عطفًا][2] علىٰ قرية، المعنىٰ: وكثيرًا من قرية أهلكتها وبئر عطلتها ﴿وَقَصۡرٖ مَّشِيدٍ﴾: (تا) مجصص مرتفع محكم أخليته بإهلاك أربابها، أفلم يعتبر كفار مكة بذلك إذا سافروا فيؤمنوا ﴿فَإِنَّهَا﴾: أي: القصة، وقرئ: (فإنه) أي: الشأن، وقوله: ﴿لَا تَعۡمَى ٱلۡأَبۡصَٰرُ﴾: تفسير للضمير

---

(١) سقط من ج والمثبت من أ، ب.

(٢) سقط من أ، ب والمثبت من ج.

﴿وَلَٰكِن تَعۡمَى ٱلۡقُلُوبُ ٱلَّتِي فِي ٱلصُّدُورِ﴾: (حس).

تلخيصه: أعينهم صحيحة وقلوبهم عميٌ.

لمَّا قالوا: متىٰ هذا الوعد؟ نزل ﴿وَيَسۡتَعۡجِلُونَكَ بِٱلۡعَذَابِ وَلَن يُخۡلِفَ ٱللَّهُ وَعۡدَهُۥۚ﴾: (كا) بإهلاك الكفار وعذابهم ﴿وَإِنَّ يَوۡمًا﴾ من أيام العذاب الذي استعجلوه.

﴿عِندَ رَبِّكَ كَأَلۡفِ سَنَةٖ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾: (حس) في الدنيا في الشدة، فكيف تستعجلونه، **القراءة:** تعدون غيبة وخطابًا، أو المعنىٰ: وإن يومًا في الإمهال والإهمال وألف سنة عنده سواء؛ لأنَّه متىٰ شاء فعل.

﴿وَكَأَيِّن مِّن قَرۡيَةٍ أَمۡلَيۡتُ لَهَا وَهِيَ ظَالِمَةٞ ثُمَّ أَخَذۡتُهَا وَإِلَيَّ ٱلۡمَصِيرُ ٤٨ قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَآ أَنَا۠ لَكُمۡ نَذِيرٞ مُّبِينٞ ٤٩ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَرِزۡقٞ كَرِيمٞ ٥٠ وَٱلَّذِينَ سَعَوۡاْ فِيٓ ءَايَٰتِنَا مُعَٰجِزِينَ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَحِيمِ ٥١ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٖ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلۡقَى ٱلشَّيۡطَٰنُ فِيٓ أُمۡنِيَّتِهِۦ فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلۡقِي ٱلشَّيۡطَٰنُ ثُمَّ يُحۡكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ٥٢﴾

﴿وَإِلَيَّ ٱلۡمَصِيرُ﴾: (تا).

﴿مُّبِينٞ﴾: (كا).

﴿وَرِزۡقٞ كَرِيمٞ﴾: (كا) هو الجنة.

القراءة: [﴿مُعَٰجِزِينَ﴾][(1)] هنا وسبأ مشددًا: مثبطين الناس عن الإيمان، ومخففًا بألف بمعناه، أو معاندين، المعنىٰ: من سعىٰ في إبطال آياتنا وثبط عنها وعاند في ﴿ٱلۡجَحِيمِ﴾: (تا).

ونزل لمَّا ألقىٰ الشيطان في قراءة النبي ﷺ: «تلك الغرانيق العلىٰ، وإن شفاعتهن لترتجىٰ»، فحزن لذلك عليه السلام تسلية له ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٖ

(١) سقط من أ، ب والمثبت من ج.

وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ﴾[1] والاستثناء منقطع، أو محل جميع الكلام جر صفة نبي ﴿أَلْقَى ٱلشَّيْطَٰنُ فِىٓ أُمْنِيَّتِهِۦ﴾: في قراءته، المعنىٰ: ما من رسول ولا نبي قبلك إلا مكنًّا الشيطان أن يلقي في قراءتهم مثل ما ألقىٰ في قراءتك، فلا تهتم لذلك.

﴿ فينسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَٰنُ ثُمَّ يُحْكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ﴾: أي: يثبتها.

﴿ لِّيَجْعَلَ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَٰنُ فِتْنَةً لِّلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَفِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ ﴿٥٣﴾ وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَيُؤْمِنُوا۟ بِهِۦ فَتُخْبِتَ لَهُۥ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٤﴾ وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى مِرْيَةٍ مِّنْهُ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغْتَةً أَوْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَقِيمٍ ﴿٥٥﴾﴾

﴿لِّيَجْعَلَ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَٰنُ فِتْنَةً﴾: للكافرين.

﴿وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ﴾ التوحيد والقرآن، وهم المؤمنون ﴿أَنَّهُ﴾ أي: القرآن ﴿ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ﴾: وتعطف علىٰ ليعلم: ﴿فيؤْمِنُوا۟ بِهِۦ فَتُخْبِتَ﴾ أي: تطمئن وتسكن ﴿لَهُۥ قُلُوبُهُمْ﴾: (كا) لا أحب الوقف من (الجحيم) إلىٰ هنا اختيارًا؛ لأنَّ الفاء في (فينسخ) عاطفة علىٰ جواب (إذا)، واللام في (لنجعل) لام كي متعلقة بما قبلها، واللام في (ليعلم) لام كي أيضًا معطوفة علىٰ اللام قبلها[ق/ ١٨٨ جـ]، ﴿وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَفِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ﴾: اعتراض بين اللامين [(تا)][2].

تلخيصه: فعلنا ذلك لإضلال قوم وهداية آخرين.

﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾: (تا) دين الإسلام، وقرئ: (لهادٍ) منونًا فـ(الذين) نصب بـ(هاد).

﴿وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾: في شك من القرآن ﴿حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغْتَةً أَوْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَقِيمٍ﴾: (حس) هو يوم القيامة، وأراد عذابها، فوضع عقيم موضع الضمير، أو هو يوم بدر، سمي بذلك؛ لأنَّ الكفار منعوا عن النظر إلىٰ الليل؛ لأنهم

(١) انظر: «أسباب النزول» (ص/ ٣١١).
(٢) سقط من أ، ب والمثبت من ج.

قتلوا قبل المساء، ويجوز أنهم منعوا عن الإيمان؛ لأنَّ أصل العقم المنع .

﴿ ٱلْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٥٦﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا فَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٥٧﴾ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ قُتِلُوٓا۟ أَوْ مَاتُوا۟ لَيَرْزُقَنَّهُمُ ٱللَّهُ رِزْقًا حَسَنًا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿٥٨﴾ لَيُدْخِلَنَّهُم مُّدْخَلًا يَرْضَوْنَهُۥ ۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَعَلِيمٌ حَلِيمٌ ﴿٥٩﴾ ﴾

﴿يَوْمَئِذٍ﴾ نصب بقوله ﴿لِّلَّهِ﴾ والتنوين عوض من محذوف، تقديره: الملك لله يوم يزول شك الكافرين وهو يوم القيامة.

﴿يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ ۚ﴾: (كا) بين المؤمنين والكافرين، حال أو استئناف، فالمؤمنون ﴿فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ﴾: (كا).

والكافرون ﴿لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾: (تا) يهانون فيه، وثاني مفعول ﴿لَيَرْزُقَنَّهُمُ ٱللَّهُ رِزْقًا حَسَنًا ۚ﴾: (تا) أو رزقًا مصدر مؤكد ﴿لَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾: (حس) إن استأنفت ﴿لَيُدْخِلَنَّهُم﴾ ولا يجوز إن أبدلت ﴿لَيُدْخِلَنَّهُم﴾ من ﴿لَيَرْزُقَنَّهُمُ﴾.

﴿مُّدْخَلًا يَرْضَوْنَهُۥ ۗ﴾: (كا) هو الجنة؛ لأنَّ فيها ما تشتهي الأنفس وتلذ الأعين.

﴿حَلِيمٌ﴾: (حس) عن المسيء فلا يعجل عليه بالعقوبة.

ونزل في الذين قالوا للنبي ﷺ: «ما لنا إذا هاجرنا فقتلنا أو متنا؟» هاتان الآيتان، أو نزل في المسلمين الذين طلب المشركون قتالهم في الأشهر الحرم فامتنعوا عليهم، ثم قاتلوا.

﴿ ۞ ذَٰلِكَ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِۦ ثُمَّ بُغِىَ عَلَيْهِ لَيَنصُرَنَّهُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ ﴿٦٠﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴿٦١﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ ﴿٦٢﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَتُصْبِحُ ٱلْأَرْضُ مُخْضَرَّةً ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴿٦٣﴾ ﴾

﴿ذَٰلِكَۖ﴾ الآية[1]، لا أحب الوقف هنا، وإن استأنفت ﴿وَمَنۡ عَاقَبَ بِمِثۡلِ مَا عُوقِبَ بِهِۦ﴾ سمي الابتداء بالجزاء لملابسته له؛ لأنَّ ذلك سبب وذا مسبب عنه والباء فيهما سببية، المعنىٰ: جازىٰ الظالم بمثل ظلمه ﴿ثُمَّ بُغِيَ﴾ تُعدّي ﴿عَلَيۡهِ لَيَنصُرَنَّهُ ٱللَّهُۚ﴾: (حس) علىٰ ظالمه .

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ﴾ عن المؤمنين .

﴿غَفُورٌ﴾: (حس) لهم قتالهم في الأشهر الحرم.

ومعنىٰ ﴿يُولِجُ ٱلَّيۡلَ فِي ٱلنَّهَارِ﴾ وبالعكس، يدخل ظلمة هذا في مكان ضياء ذلك بمغيب الشمس، وضياء ذلك في مكان [ق/ ٢٦٢ب] ظلمة هذا بطلوعها، أو هو زيادة أحدهما ونقصان الآخر.

﴿بَصِيرٌ﴾: (حس).

﴿ذَٰلِكَ﴾ المذكور من الدلالة علىٰ القدرة المذكورة ﴿بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ﴾ الذي لا يجوز أن يعبد إلا هو.

﴿وَأَنَّ مَا يَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ﴾ من الآلهة ﴿هُوَ ٱلۡبَٰطِلُ﴾ **القراءة**: يدعون معلومًا بالتاء والياء، وقرئ بالياء غيبة مجهولًا، فاعله الواو في (يدعون)؛ لرجوعها إلىٰ (ما)؛ لأنها في معنىٰ الآلهة، **تلخيصه**: المتصرف في جميع الأشياء إنما هو الله ﴿ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡكَبِيرُ﴾: (تا) .

وترفع ﴿فَتُصۡبِحُ ٱلۡأَرۡضُ مُخۡضَرَّةًۚ﴾: (حس) بالنبات؛ لأنَّ الاستفهام هنا بمعنىٰ الخبر،[ق/ ١٥٧أ] أي: رأيت، فلا يكون له جواب، أو إنما ينتصب ما بعد الفاء إذا كان ما بعد المستفهم عنه سببًا له، ورؤيته لإنزال الماء ليست الإخضرار، ولو نصبت لاختل المعنىٰ، نحو: ألم ترني أنعمت عليك فتشكر، إن رفعتَ أثبتَّ شكره، وإن نصبتَ نفيتَ شكره وشكوتَ من تفريطه فيه، وقرئ: (مُخْضِرة) كـ«مُقْبِلة»، أي: ذات خضرة .

---

(١) انظر «الكشف والبيان» للثعلبي (٧/ ٢٩).

﴿خَبِيرٌ﴾: (تا) بما ظهر و[ما][(١)] بطن.

﴿لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٦٤﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلْفُلْكَ تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ وَيُمْسِكُ ٱلسَّمَآءَ أَن تَقَعَ عَلَى ٱلْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٥﴾ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ۗ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَكَفُورٌ ﴿٦٦﴾ لِّكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا هُمْ نَاسِكُوهُ ۖ فَلَا يُنَٰزِعُنَّكَ فِى ٱلْأَمْرِ ۚ وَٱدْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ ۖ إِنَّكَ لَعَلَىٰ هُدًى مُّسْتَقِيمٍ ﴿٦٧﴾﴾

﴿وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ﴾: (حس).

﴿ٱلْحَمِيدُ﴾: (تا).

القراءة: ﴿وَٱلْفُلْكَ﴾ نصبًا بـ(سخر) عطفًا على (ما)، أو على اسم (أن) و[قوله:][(٢)] ﴿تَجْرِى﴾ على الأول حال، وعلى الثاني خبر، وقرئ برفع الفلك مبتدأ خبره ﴿فِى ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ﴾: (كا).

﴿وَيُمْسِكُ ٱلسَّمَآءَ﴾ كراهة ﴿أَن تَقَعَ عَلَى ٱلْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِۦٓ ۚ﴾: (حس).

﴿رَّحِيمٌ﴾: (تا).

﴿أَحْيَاكُمْ﴾ في الأرحام ﴿ثُمَّ يُمِيتُكُمْ﴾ عند انقضاء الآجال ﴿ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ۗ﴾: (حس) للبعث.

﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ﴾: هو بديل بن ورقاء ﴿لَكَفُورٌ﴾: (تا) بالله تعالى وبأنعمه.

﴿نَاسِكُوهُ ۖ﴾: (كا) المعنى: لكل أمة جعلنا شريعة ومنحرًا يعملون بها وينحرون فيه.

لمَّا قال المشركون للنبي ﷺ: «كيف تأكلون ما قتلتم ولا تأكلون ما قتله الله؟» نزل ﴿فَلَا يُنَٰزِعُنَّكَ﴾ [(٣)] وهذا نهي عن منازعتهم، أي: لا تنازعهم ﴿فِى ٱلْأَمْرِ ۚ﴾ أمر

(١) سقط من أ، ب والمثبت من ج.

(٢) سقط من أ، ب والمثبت من ج.

(٣) انظر: «تفسير الطبري» (١٦/ ٦٧٨).

[الذبح](١)، أو الدّين ﴿وَٱدۡعُ إِلَىٰ رَبِّكَۖ﴾ إلىٰ دينه ﴿لَعَلَىٰ هُدٗى مُّسۡتَقِيمٖ﴾: (تا).

﴿وَإِن جَٰدَلُوكَ فَقُلِ ٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا تَعۡمَلُونَ ٦٨ ٱللَّهُ يَحۡكُمُ بَيۡنَكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ فِيمَا كُنتُمۡ فِيهِ تَخۡتَلِفُونَ ٦٩ أَلَمۡ تَعۡلَمۡ أَنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِۚ إِنَّ ذَٰلِكَ فِي كِتَٰبٍۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ ٧٠ وَيَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَمۡ يُنَزِّلۡ بِهِۦ سُلۡطَٰنٗا وَمَا لَيۡسَ لَهُم بِهِۦ عِلۡمٞۗ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٖ ٧١﴾

﴿بِمَا تَعۡمَلُونَ﴾: (تا).

﴿ٱللَّهُ يَحۡكُمُ بَيۡنَكُمۡ﴾ أيها المؤمنون والكافرون ﴿يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ فِيمَا كُنتُمۡ فِيهِ تَخۡتَلِفُونَ﴾: (تا) فيه من الدين؛ لأنَّه ﴿يَعۡلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ﴾: (كا).

﴿إِنَّ ذَٰلِكَ﴾: الموجود فيهما ﴿فِي كِتَٰبٍۚ﴾: في اللوح: ﴿يَسِيرٞ﴾: (تا) ثم أومأ إلىٰ جهالة الكفار بعبادتهم غير المستحق لها، فقال: ﴿وَيَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَمۡ يُنَزِّلۡ بِهِۦ سُلۡطَٰنٗا وَمَا لَيۡسَ لَهُم بِهِۦ عِلۡمٞۗ﴾: (كا).

﴿مِن نَّصِيرٖ﴾: (تا).

﴿وَإِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٖ تَعۡرِفُ فِي وُجُوهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلۡمُنكَرَۖ يَكَادُونَ يَسۡطُونَ بِٱلَّذِينَ يَتۡلُونَ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِنَاۗ قُلۡ أَفَأُنَبِّئُكُم بِشَرّٖ مِّن ذَٰلِكُمُۗ ٱلنَّارُ وَعَدَهَا ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ ٧٢ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٞ فَٱسۡتَمِعُواْ لَهُۥٓۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخۡلُقُواْ ذُبَابٗا وَلَوِ ٱجۡتَمَعُواْ لَهُۥۖ وَإِن يَسۡلُبۡهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيۡـٔٗا لَّا يَسۡتَنقِذُوهُ مِنۡهُۚ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلۡمَطۡلُوبُ ٧٣ مَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ٧٤ ٱللَّهُ يَصۡطَفِي مِنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلٗا وَمِنَ ٱلنَّاسِۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٞ ٧٥﴾

﴿وَإِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُنَا﴾ أي: القرآن ﴿تَعۡرِفُ فِي وُجُوهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلۡمُنكَرَۖ﴾ الإنكار، لا أحب الوقف هنا؛ لأنَّ محل ﴿يَكَادُونَ يَسۡطُونَ﴾ يبطشون بشدة ﴿بِٱلَّذِينَ يَتۡلُونَ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِنَاۗ﴾: (حس) هم ﷺ وأصحابه، الجملة حال من

---

(١) في أ، ب: الذبائح، والمثبت من ج.

(الذين) أو من (الوجوه)، والمراد أربابها ﴿أَفَأُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكُمُۗ﴾ [(كا)][(١)] من سماع القرآن عليكم ﴿ٱلنَّارُ﴾ مبتدأ خبره ما بعده، وقرئ بنصب (النار) بفعل يفسره ﴿وَعَدَهَا ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾: (تا) .

ولمَّا كانت دعواهم بأنَّ لله شريكًا جارية في الغرابة والشهرة مجرىٰ الأمثال التىٰ يسار بها قال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَٱسْتَمِعُواْ لَهُۥٓۚ﴾: (تا)، ثم جهلهم لذلك فقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ آلهة، وقرئ بالياء غيبة، وقرئ بضم الياء مجهولًا، أي: الأصنام ﴿لَن يَخْلُقُواْ ذُبَابًا﴾.

ومحل ﴿وَلَوِ ٱجْتَمَعُواْ لَهُۥۖ﴾: (حس) لخلق الذباب، حال، ﴿وَإِن يَسْلُبْهُمُ﴾ أي: يسلب ﴿ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا﴾ من حلي الأصنام مع ضَعفه ﴿لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُۚ﴾ لعجزهم، وهذه صفة العاجز، فكيف تعبدونه؟ ابن عباس[(٢)]: كانوا يطلون أصنامهم بالزعفران، فإذا جف سلبه الذباب، فتعجز الأصنام وعابدوها عن أخذه منه.

﴿ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ﴾: العابد ﴿وَٱلْمَطْلُوبُ﴾: (تا) المعبود.

﴿مَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓۚ﴾: (تا) ما عرفوه حق معرفته ولا وصفوه حق وصفه، وكيف يعرفه حق معرفته من لم يعرف نفسه ولا حقيقة جزء من ذاته؟! وقرئ بتشديد (قدّروا) وتحريك (قدره) لغتان .

﴿عَزِيزٌ﴾: (تا) .

﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِۚ﴾: (حس).

﴿بَصِيرٌ﴾: (تا).

﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْۗ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴿٧٦﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرْكَعُواْ وَٱسْجُدُواْ وَٱعْبُدُواْ رَبَّكُمْ وَٱفْعَلُواْ ٱلْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۩ ﴿٧٧﴾

(١) سقط من أ، ب والمثبت من ج.
(٢) انظر: «تفسير البغوي» (٣/ ٣٥١).

وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦۚ هُوَ ٱجۡتَبَىٰكُمۡ وَمَا جَعَلَ عَلَيۡكُمۡ فِي ٱلدِّينِ مِنۡ حَرَجٖۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمۡ إِبۡرَٰهِيمَۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ مِن قَبۡلُ وَفِي هَٰذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيۡكُمۡ وَتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِۚ فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱعۡتَصِمُواْ بِٱللَّهِ هُوَ مَوۡلَىٰكُمۡۖ فَنِعۡمَ ٱلۡمَوۡلَىٰ وَنِعۡمَ ٱلنَّصِيرُ ﴿٧٨﴾ ﴾

﴿وَإِلَى ٱللَّهِ﴾: في الآخرة ﴿تُرۡجَعُ ٱلۡأُمُورُ﴾: (تا).

﴿ٱرۡكَعُواْ وَٱسۡجُدُواْ﴾: في صلواتكم ﴿وَٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمۡ﴾: وحده ﴿تُفۡلِحُونَ﴾: (حس) وتنصب ﴿حَقَّ جِهَادِهِۦۚ﴾: مصدرًا وهو الإتيان بكل الطاعات، أو هو جهاد الكفار أو النفس، قال ﷺ عند عودته من تبوك: «**رجعنا من الجهاد الأصغر إلىٰ الجهاد الأكبر**»[1]، يعني: جهاد النفس، أو هو ألا يخاف في الله لومة لائم ﴿هُوَ ٱجۡتَبَىٰكُمۡ﴾ اختاركم ﴿مِنۡ حَرَجٖۚ﴾ [(حس) ضيق][2] إن نصبت بـ(اتبعوا) مضمرة .

﴿مِّلَّةَ أَبِيكُمۡ إِبۡرَٰهِيمَۚ﴾: (حس).

﴿هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ مِن قَبۡلُ﴾: لأنَّه سمىٰ كل من يؤمن بمحمد ﷺ مسلمًا، المعنىٰ: الله تعالىٰ سماكم من قبل هذا الكتاب ﴿وَفِي هَٰذَا﴾ الكتاب وهو القرآن مسلمين ﴿لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ﴾ محمد ﷺ ﴿شَهِيدًا عَلَيۡكُمۡ وَتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِۚ﴾: (كا) تبليغ الرسالة.

﴿وَٱعۡتَصِمُواْ﴾ ثقوا ﴿بِٱللَّهِ﴾ توكلوا عليه وسَلوه العصمة، لا أحب الوقف من ﴿ٱلنَّاسِۚ﴾ إلىٰ ﴿وَنِعۡمَ ٱلنَّصِيرُ﴾: (تا) الناصر.

---

(١) قال الزيلعي : قلت: غريب جدًّا وذكره الثعلبي هكذا من غير سند.
«تخريج أحاديث الإحياء» (٢/ ٣٩٥).
وقال المناوي: قال السيوطي: لا أعرفه مرفوعًا، وأقول: هذا عجيب منه مع سعة نظره، فقد أخرجه الديلمي في «مسند الفردوس» والخطيب البغدادي في «تاريخه» من حديث جابر مرفوعا بلفظ: «**قدمتم من الجهاد الأصغر إلىٰ الجهاد الأكبر: جهاد النفس وهواها**» «الفتح السماوي» (٢/ ٥١٤).

(٢) في أ،ب : ضيق (حس) ، والمثبت من جـ.

سورة (المؤمنون)

مكية وهي مائة وثماني أو تسع عشرة آية .

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ﴿٢﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنِ ٱللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَوٰةِ فَٰعِلُونَ ﴿٤﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ ﴿٥﴾ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٦﴾ ﴾

قال ﷺ: «لقد أنزلت علي عشر آيات، من قام بهن دخل الجنة»[(١)]، وقرأ ﴿قَدْ أَفْلَحَ﴾: العشرَ، وقرئ: (أفلحوا) و(أفلح) بضم الحاء اجتزاءً بالضمة عن الواو، و(أفلح) بضم الهمزة وكسر اللام مجهولًا، أي: صُيِّروا إلىٰ الفلاح، وهو الظفر بالمراد الصالح، وجاء بـ(قد)؛ لأنها تثبت المتوقع ولـ«ما» تنفيه، يحسن الوقف علىٰ ﴿ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾: إن استأنفت ﴿ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ﴾: رقيقو القلوب والخشوع الضراعة، والضراعة أكثر استعمالها في القلوب، والخشوع في الجوارح، في الحديث: «إذا ضرع القلب خشعت الجوارح»[(٢)]، وأضيفت الصلاة إلىٰ المؤمنين لأنهم [هم][(٣)] المنتفعون بها، لا أحب الوقف هنا ولا علىٰ أواخر هذه الآيات لأجل العطف في ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنِ ٱللَّغْوِ﴾: الشرك، أو كل باطل، أو كل ما سوىٰ الله تعالىٰ ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَوٰةِ﴾: المفروضة، أو [كل][(٤)] عمل صالح

---

(١) أخرجه الترمذي (٣١٧٣)، والنسائي في «السنن الكبرىٰ» (١٤٣٩)، وأحمد (٢٢٣)، والحاكم(١٩٦١)، وعبد الرزاق في «مصنفه» (٦٠٣٨) من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

(٢) أخرجه عبد الرزاق في «مصنفه» (٣٣٠٨)، وابن أبي شيبة في «مصنفه» (٢/ ٨٦)، والبيهقي في «السنن الكبرىٰ» (٣٣٦٥) عن سعيد بن المسيب من قوله.

(٣) سقط من ج، والمثبت من أ، ب.

(٤) سقط من ج، والمثبت من أ، ب.

﴿فَٰعِلُونَ ۝٤﴾ [أي: مؤدون][(1)] ﴿وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِفُرُوجِهِمۡ حَٰفِظُونَ﴾: أي يعفونها عن الحرام، وتنصب بـ﴿حَٰفِظُونَ﴾: ﴿إِلَّا عَلَىٰٓ أَزۡوَٰجِهِمۡ أَوۡ مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُهُمۡ﴾: أي السراري، أو محل ﴿إِلَّا عَلَىٰٓ أَزۡوَٰجِهِمۡ﴾ الجملة حال، أي: يحفظونها في كل حال إلا في حال تزويجهم وتسرِّيهم.

﴿فَإِنَّهُمۡ غَيۡرُ مَلُومِينَ﴾: على إتيانهن [ق/ ١٨٩ جـ] في المآتي وهن لهم حلال.

﴿فَمَنِ ٱبۡتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡعَادُونَ ۝٧ وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِأَمَٰنَٰتِهِمۡ وَعَهۡدِهِمۡ رَٰعُونَ ۝٨ وَٱلَّذِينَ هُمۡ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمۡ يُحَافِظُونَ ۝٩ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡوَٰرِثُونَ ۝١٠ ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلۡفِرۡدَوۡسَ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ۝١١ وَلَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٖ مِّن طِينٖ ۝١٢ ثُمَّ جَعَلۡنَٰهُ نُطۡفَةٗ فِي قَرَارٖ مَّكِينٖ ۝١٣﴾

﴿فَمَنِ ٱبۡتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ﴾: سوى الزوجات والسراري ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡعَادُونَ﴾: المتجاوزون الحلال إلى الحرام، في هذا دليل على تحريم ما سوى الزوجات والسراري حتى الاستمناء بيده أو يد من لا تحل له.

القراءة: ﴿لِأَمَٰنَٰتِهِمۡ﴾ مفردًا وجمعًا هنا وسأل [ق/ ٢٦٣ب] سائل جمع أمانة، وهي كل ما يؤتمن عليه كأموال وحرم وأسرار.

﴿وَعَهۡدِهِمۡ﴾: لمن عاهدهم أو عاهدوه ﴿رَٰعُونَ﴾ حافظون وأمانة السرّ أولى بالحفظ.

القراءة: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمۡ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمۡ يُحَافِظُونَ﴾ يداومون بمراعاة أوقاتها مفردًا وجمعًا، وكررت الصلاة لأنها أعظم العبادات إن جعلت ﴿ٱلَّذِينَ هُمۡ فِي صَلَاتِهِمۡ خَٰشِعُونَ﴾ صفة للمؤمنين، فلا وقف من أول السورة إلى ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡوَٰرِثُونَ﴾: (تا) إن رفعت أونصبت ما بعد اختصاصًا، المعنى: يرثون منازل الكفار من الجنة؛ لأنَّ لكل واحد منزلين منزل في الجنة ومنزل في النار، فالمؤمن يرث منزل الكافر

---

(١) سقط من ج، والمثبت من أ، ب.

من الجنة، والكافر يرث منزل المؤمن من النار، لا أحب الوقف هنا إن جعلت ﴿ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْفِرْدَوْسَ﴾ هو أعلىٰ الجنة صفة للوارثين، في التوراة مكتوب أنَّه لا يدخله مدمن خمر ولا ديوث.

﴿ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾: (تا) حال مقدرة من الفاعل، أو المفعول ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ﴾: أي آدم ﴿مِن سُلَٰلَةٍ﴾ لأنَّه سُلَّ، أي: أخذ من جميع الأرض ﴿مِّن طِينٍ﴾: (كا) فـ«من» الأولىٰ ابتداءً والثانية بيان، والأولىٰ متعلقة بـ(خلقنا) والثانية بمحذوف يكون صفة (سلالة).

﴿ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ﴾: أي ابن آدم ﴿نُطْفَةً﴾ من مني ﴿فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ﴾: في الرحم.

﴿ ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴿١٤﴾ ثُمَّ إِنَّكُم بَعْدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ تُبْعَثُونَ ﴿١٦﴾ وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَآئِقَ وَمَا كُنَّا عَنِ ٱلْخَلْقِ غَٰفِلِينَ ﴿١٧﴾﴾

﴿ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً﴾: قطعة دم: ﴿فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا﴾.

و(خلقنا) في الثلاثة المواضع بمعنىٰ «صيرنا»، فلذلك عُديَ إلىٰ مفعولين: ﴿فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا﴾ **القراءة:** (عظمًا) الموضعان مفردًا وجمعًا.

﴿ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ﴾: (كا) حيوانًا بعد الجماد، وناطقًا بعد البكم، وسميعًا بعدَ الصمم، أو هو تغير أحواله من ولادة إلىٰ رضاع إلىٰ قعود إلىٰ قيام إلىٰ [مشي إلىٰ][1] أكل و شرب إلىٰ تقلب في البلاد ﴿فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ﴾: وتبدل منه ﴿أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ﴾: (كا) المقدرين أو المصورين، وهذا كقوله[2]:

---

(١) سقط من ج، والمثبت من أ، ب.

(٢) القائل هو زهير بن أبي سلمىٰ، والبيت في «ديوانه» (ص/ ٨٢)، والبيت بتمامه:

ولأنت تفري ما خلقت وبعض ... القوم يخلق ثم لا يفري

ولأنت تفري ما خلقت

أي: قدرت، وهو كقوله تعالىٰ: ﴿خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾، أو (أحسَنُ) خبر مبتدأ محذوف وليس بصفة؛ لأَنَّه نكرة وإن أضيف؛ لأنَّ المضاف إليه عوض من «مِنْ»، وكذلك كل باب أفعل منك، روي أنَّ ابن [أبي][1] السَّرْح كان يكتبها لدىٰ النبي ﷺ، فقال: تبارك الله أحسن الخالقين، فقال ﷺ: **«اكتبها فهكذا نزلت»**[2]، فارتد وقال: إن كان محمد يوحىٰ إليه فأنا يوحىٰ إليّ، ثم أسلم يوم الفتح، وليس لأحد بهذه الحكاية طعن في القرآن ولا في إعجازه؛ لأنَّ الكلمة والكلمتين قد تتفق لمن لم يتقدم له قدم في قرآن ولا كلام ولا شعر ولا يتحصل بالكلمة والكلمتين إعجاز، وأقل ما يحصل الإعجاز بالسورة الواحدة، ولذلك تُحدوا بها.

ابن جريج[3]: إنما جمع الخالقين لأنَّ عيسىٰ كان يخلق.

﴿ثُمَّ إِنَّكُم بَعْدَ ذَٰلِكَ﴾ بعد تمام خلقكم ﴿لَمَيِّتُونَ﴾: (كا) عند انقضاء آجالكم، الميت من مات والمائت من سيموت، وقرئ (لمائتون)[4] و ﴿يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ تُبْعَثُونَ﴾: (تا) ﴿سَبْعَ طَرَآئِقَ﴾: (حس) يعني سبع سموات، جمع طريقة، سميت بذلك لتطارق بعضها فوق بعض، أو لأنها طرق الملائكة، أو الكواكب.

﴿وَمَا كُنَّا عَنِ ٱلْخَلْقِ غَٰفِلِينَ﴾: (حس) فيسقط السماء عليهم، أو لم نغفل عنهم فنتركهم هملًا.

﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءًۢ بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّٰهُ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ وَإِنَّا عَلَىٰ ذَهَابٍۭ بِهِۦ لَقَٰدِرُونَ ﴿١٨﴾ فَأَنشَأْنَا لَكُم بِهِۦ جَنَّٰتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَٰبٍ لَّكُمْ فِيهَا فَوَٰكِهُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿١٩﴾ وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِن طُورِ سَيْنَآءَ تَنۢبُتُ بِٱلدُّهْنِ وَصِبْغٍ لِّلْءَاكِلِينَ ﴿٢٠﴾ وَإِنَّ لَكُمْ فِى ٱلْأَنْعَٰمِ لَعِبْرَةً ۖ نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِى بُطُونِهَا وَلَكُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ كَثِيرَةٌ

(١) سقط من أ، ب، والمثبت من ج.
(٢) أخرجه الطبري في «تفسيره» (١٩/ ١٧).
(٣) انظر «تفسير البغوي» (٣/ ٣٦١).
(٤) سقط من ج، والمثبت من أ، ب.

وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٢١﴾ وَعَلَيْهَا وَعَلَى ٱلْفُلْكِ تُحْمَلُونَ ﴿٢٢﴾﴾

﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءًۢ بِقَدَرٍ﴾ من كفايتهم ﴿فَأَسْكَنَّٰهُ﴾ أدخلناه ﴿فِى ٱلْأَرْضِ﴾: (حس) ثم أخرجنا منه ينابيع، وكل ماء في الأرض من السماء، ثم امتنّ عليهم بإبقاء الماء فقال: ﴿وَإِنَّا عَلَىٰ ذَهَابٍۭ بِهِۦ﴾ بالماء ﴿لَقَٰدِرُونَ﴾: (حس) فيموتون مع دوابهم عطشًا، فـ(على) متعلقة بـ(لقادرون) و(به) بـ(ذهاب).

القراءة: ﴿وَشَجَرَةً﴾ نصبًا، أي: وإنشاءً، عطفًا على (وأنشأنا جنات)، وقرئ برفعها، أي: ومما أنشيء شجرة ﴿تَخْرُجُ مِن طُورِ سَيْنَآءَ﴾ والمراد بها شجرة الزيتون، وخص النخل والعنب والزيتون بالذكر لأنها أكثر الشجر نفعًا، القراءة بفتح (سيناء) غير مصروف كحمراء للتأنيث والصفة، وبكسرها غير مصروف للتعريف والتأنيث؛ لأنها اسم بقعة، أو للتأنيث والعجمة، قالوا: والطور الجبل، وسيناء وسنين وسينين الحَسَن بالنبطية، أي: من الجبل الحسَنِ، أو الجبل الملتف بالأشجار، أو هو من السناء: الارتفاع، وهو الجبل الذي نودي منه موسى، وهو بين مصر وأيلة.

القراءة: (تُنبِت)[1] بضم التاء وكسر الباء من أنبت، فالباء في ﴿بِٱلدُّهْنِ﴾ زائدة، وفائدة زيادتها دلالتها على ملازمة الإنبات للدهن، أو لا تكون زائدة بل تتعلق بمحذوف تقديره: «تنبت زيتونها بالدهن»، أي: وفيه الدهن، فمحل (بالدهن) حال كخرج بثيابه، وبفتح التاء وضم الباء من تنبت، فتكون الباء للتعدية، وقرئ: (تنبت بالدهان) و(تثمر بالدهن) و(تخرج الدهن)، ﴿وَصِبْغٍ﴾: وقرئ: (وصباغٍ) جرا فيهما عطفًا على (بالدهن)، ونصبًا على موضع (بالدهن)، والصبغ والصباغ الإدام يصبغ اللقمة [ق/ ١٥٨أ]، والإدام ما يؤكل مع الخبز وإن لم يصبغ اللقمة.

﴿لِّلْءَاكِلِينَ﴾: (حس).

---

(١) سقط من أ، ب والمثبت من ج.

القراءة: ﴿نُّسْقِيكُم﴾ بالنون، أي: نحن، وقرئ بالتاء، أي: الأنعام ﴿مِّمَّا فِى بُطُونِهَا﴾: (كا).

﴿تُحْمَلُونَ﴾: (تا).

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۚ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ ٱلْمَلَؤُا۟ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُرِيدُ أَن يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةً مَّا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِىٓ ءَابَآئِنَا ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٤﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌۢ بِهِۦ جِنَّةٌ فَتَرَبَّصُوا۟ بِهِۦ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٢٥﴾ قَالَ رَبِّ ٱنصُرْنِى بِمَا كَذَّبُونِ ﴿٢٦﴾﴾

﴿أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾: (حس).

ومعنىٰ ﴿أَن يَتَفَضَّلَ﴾: يطلب الفضل ﴿عَلَيْكُمْ﴾ لا أحب الوقف من ﴿تَتَّقُونَ﴾ إلىٰ ﴿فَتَرَبَّصُوا۟ بِهِۦ حَتَّىٰ حِينٍ﴾: (كا) حتىٰ يموت، أو يفيق من جنونه.

﴿قَالَ﴾ نوح: ﴿رَبِّ ٱنصُرْنِى﴾ بإهلاكهم.

﴿بِمَا كَذَّبُونِ﴾: (كا) بسبب تكذيبهم إياي.

﴿فَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ أَنِ ٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا فَإِذَا جَآءَ أَمْرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ ۙ فَٱسْلُكْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ مِنْهُمْ ۖ وَلَا تُخَٰطِبْنِى فِى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ ۖ إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ ﴿٢٧﴾ فَإِذَا ٱسْتَوَيْتَ أَنتَ وَمَن مَّعَكَ عَلَى ٱلْفُلْكِ فَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى نَجَّىٰنَا مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٨﴾ وَقُل رَّبِّ أَنزِلْنِى مُنزَلًا مُّبَارَكًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْمُنزِلِينَ ﴿٢٩﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ وَإِن كُنَّا لَمُبْتَلِينَ ﴿٣٠﴾﴾

ومحل ﴿بِأَعْيُنِنَا﴾: بحفظنا حال، أي: محفوظة؛ لأنَّه كان يعمل السفينة ولا يخطئ في عملها، لا أحب الوقف من ﴿وَوَحْيِنَا﴾: (كا) إلىٰ ﴿مُّغْرَقُونَ﴾: (كا).

﴿ٱلظَّٰلِمِينَ﴾: (حس).

القراءة: ﴿أَنزِلْنِى مُنزَلًا﴾: بفتح الميم وكسر الزاي مكان، والمراد بطن السفينة، وبضم الميم وفتح الزاي مصدر، أي: إنزالًا ﴿مُّبَارَكًا﴾: وبركة السفينة النجاة فيها.

﴿وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْمُنزِلِينَ﴾ [(كا)][1] و«إن» مخففة من الثقيلة في ﴿وَإِن كُنَّا﴾:

(١) سقط من ج، والمثبت من أ، ب.

الفارق بينهما اللام في ﴿لَمُبْتَلِينَ﴾: (كا) والمعنىٰ: إنَّ الشأن كنا مختبرين ومهلكين قوم نوح بالبلايا ليعتبر بهم من بعدهم.

﴿ثُمَّ أَنشَأْنَا مِنۢ بَعْدِهِمْ قَرْنًا ءَاخَرِينَ ﴿٣١﴾ فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣٢﴾ وَقَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِلِقَآءِ ٱلْءَاخِرَةِ وَأَتْرَفْنَٰهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ ﴿٣٣﴾ وَلَئِنْ أَطَعْتُم بَشَرًا مِّثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَٰسِرُونَ ﴿٣٤﴾ أَيَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنتُمْ تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَنَّكُم مُّخْرَجُونَ ﴿٣٥﴾﴾

﴿ثُمَّ أَنشَأْنَا مِنۢ بَعْدِهِمْ﴾: من بعد هلاك قوم نوح [قرنًا][1] ﴿ءَاخَرِينَ﴾: (كا) هم قوم عاد، فقال لهم هود: ﴿أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾: (حس) فتؤمنون.

و(إذًا) في ﴿إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَٰسِرُونَ﴾: إن لم تؤمنوا واقع موقع جواب الشرط المحذوف، وجواب من قاوله من قومه.

﴿أَيَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ﴾ اسم «إنَّ» محذوف أقيم المضاف إليه مقامه، تقديره: أيعدكم بأن إخراجكم، خبرها ﴿إِذَا مِتُّمْ﴾.

وقوله: ﴿وَكُنتُمْ تُرَابًا وَعِظَٰمًا﴾: عطف علىٰ الخبر، وقوله: ﴿أَنَّكُم مُّخْرَجُونَ﴾ من قبوركم، تكرير تأكيدًا، وليدل علىٰ المحذوف، فالعامل في (إذًا) محذوف وهو المقدر من الاستقرار، أو اسم «أنَّ» الأولىٰ «كم» و«إذًا» شرط جوابه محذوف، و«إنَّ» الثانية ومعمولها فاعل جواب «إذًا» المحذوف، تقديره: أيعدكم أنكم إذا متم يقع أنكم مخرجون، فـ«إذًا» والمتصل بها خبر «إن» الأولىٰ، فالعامل في «إذًا» جوابها المحذوف، ولا يعمل في (إذا متم) لإضافتها إليه.

وقرئ: (أيعدكم إذا متم) بحذف (أنكم).

﴿۞ هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ ﴿٣٦﴾ إِنْ هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴿٣٧﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا وَمَا نَحْنُ لَهُۥ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٣٨﴾ قَالَ رَبِّ ٱنصُرْنِى بِمَا كَذَّبُونِ

(١) سقط من ج، والمثبت من أ، ب.

﴿٣٩﴾ قَالَ عَمَّا قَلِيلٍ لَّيُصْبِحُنَّ نَٰدِمِينَ ﴿٤٠﴾ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّيْحَةُ بِٱلْحَقِّ فَجَعَلْنَٰهُمْ غُثَآءً فَبُعْدًا لِّلْقَوْمِ
ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤١﴾ ثُمَّ أَنشَأْنَا مِنۢ بَعْدِهِمْ قُرُونًا ءَاخَرِينَ ﴿٤٢﴾ مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَـْٔخِرُونَ ﴿٤٣﴾
ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَا كُلَّ مَا جَآءَ أُمَّةً رَّسُولُهَا كَذَّبُوهُ فَأَتْبَعْنَا بَعْضَهُم بَعْضًا وَجَعَلْنَٰهُمْ أَحَادِيثَ فَبُعْدًا لِّقَوْمٍ
لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٤٤﴾﴾

القراءة: [ق/ ٢٦٤ب] ﴿هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ﴾ بالهاء والتاء وقفًا؛ لأنها بمنزلة ثمت، وبفتح التاء بناءً كأين، وقرئ بفتحها منونًا وبكسرها [وضمها](١) منونًا وغير منون، وبسكونها على لفظ الوقف لغات كلها، وهي اسم للفعل واقع موقع بعد، ففاعلها مضمر، أي: بعد التصديق ﴿لِمَا تُوعَدُونَ﴾ من العذاب، أو فاعلها (ما توعدون) واللام زائدة لبيان المستبعد، فلا محل لـ﴿هَيْهَاتَ﴾ من الإعراب على التقديرين، وإن جعلتها بمعنى البعد وهو منقول فمحلها مبتدأ خبره (ما توعدون).

﴿إِنْ هِىَ﴾: أي ما الحياة ﴿إِلَّا حَيَاتُنَا﴾: التي نحن فيها، وهي حياة ﴿ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا﴾: فيها، أي: يموت بعض ويحيى بعض ﴿وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ﴾: بعد الموت كما تزعم، لا أحب الوقف [اختيارا من](٢) ﴿أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ إلى ﴿وَمَا نَحْنُ لَهُۥ﴾: للرسول ﴿بِمُؤْمِنِينَ﴾: (حس) بمصدقين بالبعث ﴿بِمَا كَذَّبُونِ﴾: (حس).

و(ما) زائدة في ﴿عَمَّا قَلِيلٍ﴾: أو هي بمعنى شيء، فـ(قليل) بدل منها، وجواب القسم المحذوف ﴿لَّيُصْبِحُنَّ﴾ : على تكذيبهم ﴿نَٰدِمِينَ﴾: (كا)، و(عن) تتعلق بـ(يصبحن)، و(لن) بمعنى لام القسم من ذلك؛ لأنها للتأكيد، بخلاف لام الابتداء، فقد أجازوا: زيدًا لأضربن.

﴿فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّيْحَةُ بِٱلْحَقِّ﴾: (كا) بالعذاب الواجب وقوعه بأن صيح بهم فهلكوا [أجمعون](٣).

(١) سقط من أ، ب والمثبت من ج.
(٢) سقط من ج والمثبت من أ، ب.
(٣) في ج: أجمعين، والمثبت من أ، ب.

﴿فَجَعَلۡنَٰهُمۡ غُثَآءٗ﴾: هلكىٰ كغثاء السيل لا ينتفع به، وهو ما يحمله الماء علىٰ وجهه من الزبد والبالي من النبات.

﴿ٱلظَّٰلِمِينَ﴾: (كا).

﴿قُرُونًا ءَاخَرِينَ﴾: (حس) كقوم صالح ولوط وشعيب.

﴿مَا تَسۡبِقُ مِنۡ أُمَّةٍ أَجَلَهَا﴾: [المكتوب لها][1] ﴿وَمَا يَسۡتَـٔۡخِرُونَ﴾: (كا) عنه القراءة: ﴿تَتۡرَاۖ﴾ منونًا مصدر من المواترة، فألفه بدل من التنوين، أو ملحقة بجعفر كأرطىٰ، وبغير تنوين فألفه للتأنيث [ق/ ١٩٠جـ] كتقوىٰ، ونصبُها علىٰ القراءتين حال، أو مصدر في موضع الحال، وتاؤها عليهما بدل من واو؛ لأنها من واترت الخبر: أتبعت بعضه بعضًا، المعنىٰ: وأنزلنا الرسل إلىٰ أممهم.

﴿كُلَّ مَا جَآءَ أُمَّةٗ رَّسُولُهَا كَذَّبُوهُۖ﴾: (كا).

﴿فَأَتۡبَعۡنَا بَعۡضَهُم بَعۡضٗا﴾ في الإهلاك، ﴿وَجَعَلۡنَٰهُمۡ﴾: بعد إهلاكهم ﴿أَحَادِيثَۚ﴾: (كا) يتحدث بهم من بعدهم ﴿لِّقَوۡمٖ لَّا يُؤۡمِنُونَ﴾: (حس).

﴿ثُمَّ أَرۡسَلۡنَا مُوسَىٰ وَأَخَاهُ هَٰرُونَ بِـَٔايَٰتِنَا وَسُلۡطَٰنٖ مُّبِينٍ ٤٥ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ وَمَلَإِيْهِۦ فَٱسۡتَكۡبَرُواْ وَكَانُواْ قَوۡمًا عَالِينَ ٤٦ فَقَالُوٓاْ أَنُؤۡمِنُ لِبَشَرَيۡنِ مِثۡلِنَا وَقَوۡمُهُمَا لَنَا عَٰبِدُونَ ٤٧ فَكَذَّبُوهُمَا فَكَانُواْ مِنَ ٱلۡمُهۡلَكِينَ ٤٨ وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَى ٱلۡكِتَٰبَ لَعَلَّهُمۡ يَهۡتَدُونَ ٤٩ وَجَعَلۡنَا ٱبۡنَ مَرۡيَمَ وَأُمَّهُۥٓ ءَايَةٗ وَءَاوَيۡنَٰهُمَآ إِلَىٰ رَبۡوَةٖ ذَاتِ قَرَارٖ وَمَعِينٖ ٥٠﴾

وتنصب ﴿هَٰرُونَ﴾: بدلًا من ﴿وَأَخَاهُ﴾.

﴿وَسُلۡطَٰنٖ مُّبِينٍ﴾: (كا) حجة ظاهرة كالعصا والحية.

﴿عَالِينَ﴾: (كا) ولم يثن مثل من ﴿لِبَشَرَيۡنِ مِثۡلِنَا﴾: في البشرية؛ لأنَّ المراد المماثلة في البشرية دون المماثلة في الكمية، أو لأنَّ المثل بمعنىٰ المصدر، تلخيصه: لن نؤمن لهما.

---

(١) سقط من ج والمثبت من أ، ب.

﴿وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَٰبِدُونَ﴾: (كا).

﴿فَكَانُواْ مِنَ ٱلْمُهْلَكِينَ﴾: (تا).

﴿لَعَلَّهُمْ﴾: أي قوم موسىٰ ﴿يَهْتَدُونَ﴾: (حس) بالتوراة، وجعلنا ﴿ٱبْنَ مَرْيَمَ﴾ [أي: عيسىٰ][(1)] ﴿وَأُمَّهُۥٓ ءَايَةً﴾: (كا) فحذف إحداهما اكتفاء بالأخرىٰ.

﴿وَءَاوَيْنَٰهُمَآ إِلَىٰ رَبْوَةٍ﴾: مكان مرتفع، وهو دمشق أو غوطتها أو بيت المقدس أو الرملة أو فلسطين.

﴿ذَاتِ قَرَارٍ﴾: سهلة يستقر عليها ساكنوها.

﴿وَمَعِينٍ﴾: (تا) ماء جار، من المعن الإسراع والإبعاد، أو من عانت الركيّة سالت، فميمه زائدة.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعْمَلُواْ صَٰلِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٥١﴾ وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱتَّقُونِ ﴿٥٢﴾ فَتَقَطَّعُوٓاْ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ زُبُرًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿٥٣﴾ فَذَرْهُمْ فِي غَمْرَتِهِمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٥٤﴾ أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِۦ مِن مَّالٍ وَبَنِينَ ﴿٥٥﴾ نُسَارِعُ لَهُمْ فِي ٱلْخَيْرَٰتِ بَل لَّا يَشْعُرُونَ ﴿٥٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴿٥٧﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٨﴾ ﴾

﴿عَلِيمٌ﴾: (تا) علىٰ القراءة: ﴿وَإِنَّ﴾ كسرًا استئنافًا، وكذلك أيضًا علىٰ القراءة بفتح «إن» بمضر، أي: اعلموا أنَّ، وكذلك إن قدرت لامًا متعلقة بفاء ﴿فَٱتَّقُونِ﴾، أي: فاتقون لأنَّ هذه، وغير جائز إن عطفته علىٰ ما قبل، أي: بما تعملون عليم.

﴿وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ﴾ [أيها الرسل، ﴿أُمَّةً﴾][(2)]: شريعة ﴿وَٰحِدَةً﴾ وهي الإسلام.

﴿فَٱتَّقُونِ﴾: (كا).

﴿فَتَقَطَّعُوٓاْ﴾: أي الأتباع ﴿أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ زُبُرًا﴾: (تا) جمع زبور، وقرئ بسكون

(١) سقط من ج، والمثبت من أ، ب.

(٢) سقط من ج، والمثبت من أ، ب.

الباء تخفيفًا، فـ﴿زُبُرًا﴾ حال من ﴿أَمْرَهُم﴾، أي: مثل كتب، وبفتح الباء جمع زبرة، أي: قطعة، فـ﴿زُبُرًا﴾ حال من الفاعل، المعنىٰ: تحزبت الأمم في أمر دينهم أحزابًا.

﴿كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ﴾: من الباطل ﴿فَرِحُونَ﴾: (كا) معتقد أنَّ دينه حق، ثم قال تهديدًا لهم وتسلية له ﷺ: ﴿فَذَرْهُمْ فِي غَمْرَتِهِمْ﴾: جهلهم، وقرئ: (غمراتهم) ﴿حَتَّىٰ حِينٍ﴾: (حس) حتىٰ يقتلوا أو يموتوا، وخبر «إن» ﴿نُسَارِعُ لَهُمْ﴾ و«ما» بمعنىٰ «الذي»، وفي الكلام حذف تقديره: أيحسبون أنَّ الذي نمدهم به من مال وبنين نسارع لهم به ﴿فِى ٱلْخَيْرَٰتِ﴾: (كا) بعضهم التسارع في الخيرات التقلل من الدنيا وترك الاهتمام، تلخيصه: لا يتوهمون أنَّ تعجيلنا لرضانا عنهم.

﴿بَل لَّا يَشْعُرُونَ﴾: (تا) أنَّ ذلك استدراج، وقرئ: (نسرع) بنون، و(يسارع) بياء وكسر الراء معلومًا، وبياء وفتح الراء مجهولًا، ثم أخبر عن المسارعين إلىٰ الخيرات، فقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ...﴾ الآيات.

القراءة: ﴿يُؤْتُونَ مَا آتَوْا﴾ أي: يعطون ما أعطوا من الزكوات والصدقات، وقرئ: (يأتون).

﴿مَآ ءَاتَواْ﴾ أي: يعملون ما عملوا من الخيرات.

﴿وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ﴾: خائفة ألَّا تقبل منهم؛ لأنهم ﴿إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ﴾ بعد الموت.

﴿ وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾ وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ ﴿٦٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَهُمْ لَهَا سَٰبِقُونَ ﴿٦١﴾ وَلَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَلَدَيْنَا كِتَٰبٌ يَنطِقُ بِٱلْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٦٢﴾ بَلْ قُلُوبُهُمْ فِى غَمْرَةٍ مِّنْ هَٰذَا وَلَهُمْ أَعْمَٰلٌ مِّن دُونِ ذَٰلِكَ هُمْ لَهَا عَٰمِلُونَ ﴿٦٣﴾ ﴾

وخبر ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ﴾ ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ الموصوفون بهذه الصفات ﴿يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ﴾ وفي عملها خوف فوتها، فكأنهم لسرعة مبادرتهم إلىٰ الطاعات ﴿وَهُمْ لَهَا سَٰبِقُونَ﴾: (تا).

﴿إِلَّا وُسْعَهَا﴾: (كا) طاقتها.

﴿وَلَدَيْنَا كِتَابٌ﴾ هو اللوح.

﴿يَنطِقُ بِالْحَقِّ﴾ بما سُطر فيه من الأعمال والأقوال.

﴿وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾: لا أحب الوقف من ﴿إِلَّا وُسْعَهَا﴾ إلىٰ ﴿بَلْ قُلُوبُهُمْ فِي غَمْرَةٍ مِّنْ هَٰذَا﴾: الذي عليه المؤمنون والذي أعد لهم من العذاب، يتم الوقف هنا إن جعلت الضمير في ﴿وَلَهُمْ أَعْمَالٌ مِّن دُونِ ذَٰلِكَ﴾ المذكور للمؤمنين للمسلمين، المعنىٰ: للمسلمين أعمال سوىٰ ما عملوا من الخيرات.

﴿هُمْ لَهَا عَامِلُونَ﴾: (حس) بعد فيثابون، وإن جعلته للكافرين حسُن الوقف علىٰ من هذا، المعنىٰ: للكافرين أعمال خبيثة سوىٰ أعمال المؤمنين يعملونها فيعذبون.

﴿ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذۡنَا مُتۡرَفِيهِم بِٱلۡعَذَابِ إِذَا هُمۡ يَجۡـَٔرُونَ ﴿٦٤﴾ لَا تَجۡـَٔرُواْ ٱلۡيَوۡمَۖ إِنَّكُم مِّنَّا لَا تُنصَرُونَ ﴿٦٥﴾ قَدۡ كَانَتۡ ءَايَٰتِي تُتۡلَىٰ عَلَيۡكُمۡ فَكُنتُمۡ عَلَىٰٓ أَعۡقَٰبِكُمۡ تَنكِصُونَ ﴿٦٦﴾ مُسۡتَكۡبِرِينَ بِهِۦ سَٰمِرٗا تَهۡجُرُونَ ﴿٦٧﴾ أَفَلَمۡ يَدَّبَّرُواْ ٱلۡقَوۡلَ أَمۡ جَآءَهُم مَّا لَمۡ يَأۡتِ ءَابَآءَهُمُ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴿٦٨﴾ أَمۡ لَمۡ يَعۡرِفُواْ رَسُولَهُمۡ فَهُمۡ لَهُۥ مُنكِرُونَ ﴿٦٩﴾ أَمۡ يَقُولُونَ بِهِۦ جِنَّةُۢۚ بَلۡ جَآءَهُم بِٱلۡحَقِّ وَأَكۡثَرُهُمۡ لِلۡحَقِّ كَٰرِهُونَ ﴿٧٠﴾ ﴾

﴿حَتَّىٰٓ﴾: هي التي يبتدئ بعدها الكلام، والكلام الجملة الشرطية، وهي ﴿إِذَآ أَخَذۡنَا مُتۡرَفِيهِم﴾ متنعمي قريش ﴿بِٱلۡعَذَابِ﴾ بالسيف يوم بدر، أو بالجوع حين دعا عليهم ﷺ ﴿إِذَا هُمۡ يَجۡـَٔرُونَ﴾: (كا) يصرخون استغاثة.

﴿لَا تُنصَرُونَ﴾: (حس) لا تمنعون، المعنىٰ: استغاثتكم غير مانعتكم من عذابنا، ومحل ﴿عَلَىٰٓ أَعۡقَٰبِكُمۡ﴾: حال من فاعل ﴿تَنكِصُونَ﴾: ترجعون.

﴿مُسۡتَكۡبِرِينَ﴾: (كا) حال أيضًا من ﴿تَنكِصُونَ﴾، فلا وقف علىٰ (ينكصون)، وتقف علىٰ ﴿تَنكِصُونَ﴾ دون (مستكبرين) إن جعلت الهاء في ﴿بِهِۦ﴾ للبيت أو للقرآن أو لمحمد ﷺ وعلقتها بـ(مستكبرين).

﴿سَٰمِرًا﴾ حال واستكبارهم بالبيت؛ لأنهم لا يقصدهم أحد بسوء، وإن قصدهم بسوء هلك، ويفتخرون بذلك في حال سمرهم، واستكبارهم بالقرآن ومحمد ﷺ أنهم كانوا إذا سمعوه أو رأوا محمدًا ﷺ كذبوهما وازدادوا كبرًا وعتوًا، وتقف علىٰ (مستكبرين) [ق/ ٢٦٥ب] إن علقت الباء بـ(سامرًا) والهاء للبيت، المعنىٰ: تسمُرون بالطعن في القرآن ومحمد ﷺ حول البيت؛ لأنَّ عنده كان عامة سَمَرهم، وهو الحديث بالليل، و(سامرًا) مفرد يدل علىٰ الجمع، وقرئ: (سُمَّرًا) و(سُمَّارًا) و(سُمُرًا) جمع سامر كشاهد وشُهُد.

ومحل ﴿تَهۡجُرُونَ﴾ [(تا)][(١)] حال من (سامرًا)، القراءة؛ بضم التاء وكسر الجيم من أهجر في منطقة هجرًا أفحش، وبفتح التاء وضم الجيم من هجر ترك، أي: تتركون الإيمان بالله والقرآن، والهجر ضمًّا الإفحاش في المنطق، وفتحًا الهذيان.

وقرئ: (تهجَّرون) مشددًا مبالغة من هجَّر بمعنىٰ هذي، وترك الصواب، وجميع المستعمل من «هـ ج ر» وتعكيسه يشمله معنىٰ الترك والقوة.

﴿أَفَلَمۡ يَدَّبَّرُواْ ٱلۡقَوۡلَ﴾: ألم يعتبر المشركون القرآن فيعلموا حال من تقدمهم فيؤمنوا ﴿أَمۡ جَآءَهُم﴾: من الأمان من العذاب ﴿مَّا لَمۡ يَأۡتِ ءَابَآءَهُمُ ٱلۡأَوَّلِينَ﴾: الأمم المتقدمة، تلخيصه: أجاءتهم براءة من العذاب لم تأت آباءهم؟ أو المعنىٰ: بل جاءهم من الأمر الشديد ما لم يأت آباءهم إبراهيم وإسماعيل وعَقِبَهُ حين خافوا الله فآمنوا به وبكتبه ورسله، في الحديث: «**لا تسبوا مضر ولا ربيعة؛ فإنهما كانا مسلمين، ولا تسبوا قسًا؛ فإنه كان مسلمًا، ولا تسبوا الحارث بن كعب ولا أسد ابن خزيمة ولا تميم بن مر؛ فإنهم كانوا علىٰ الإسلام، وما شاككتم فلا تشكوا أنَّ تبعًا كان مسلمًا**»[(٢)]. وروي أنَّ ضبة كان مسلمًا وكان علىٰ شرطة سليمان بن داود.

(١) سقط من ج، والمثبت من أ، ب.

(٢) أخرجه ابن سعد في «الطبقات» (١/ ٤٨) عن عبد الله بن خالد مرسلا.

﴿أَمْ لَمْ يَعْرِفُواْ رَسُولَهُمْ﴾ محمدًا ﷺ ﴿فَهُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ﴾: جاحدون، وهذا استفهام توبيخ وإنكار عليهم لإعراضهم عنه بعد معرفتهم إياه، لا أحب الوقف من (تهجرون) إلىٰ ﴿أَمْ يَقُولُونَ بِهِۦ جِنَّةٌۢ﴾: (كا) جنون، وليس كذلك ﴿بَلْ جَآءَهُم بِٱلْحَقِّ﴾: بالقرآن وما فيه من التوحيد وشرائع الإسلام ﴿وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَٰرِهُونَ﴾: (حس).

﴿وَلَوِ ٱتَّبَعَ ٱلْحَقُّ أَهْوَآءَهُمْ لَفَسَدَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ بَلْ أَتَيْنَٰهُم بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَن ذِكْرِهِم مُّعْرِضُونَ ﴿٧١﴾ أَمْ تَسْـَٔلُهُمْ خَرْجًا فَخَرَاجُ رَبِّكَ خَيْرٌ ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿٧٢﴾ وَإِنَّكَ لَتَدْعُوهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٧٣﴾ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ عَنِ ٱلصِّرَٰطِ لَنَٰكِبُونَ ﴿٧٤﴾﴾

﴿وَلَوِ ٱتَّبَعَ ٱلْحَقُّ﴾: أي الله أو القرآن ﴿أَهْوَآءَهُمْ﴾ المعنىٰ: لو شرعت الشرائع أو نزل القرآن بمرادهم ﴿لَفَسَدَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ﴾: (كا).

تلخيصه: لفسد العالم ﴿بِذِكْرِهِمْ﴾ [بما يذكرهم][1] ويخوفهم وهو القرآن فيؤمنوا ﴿فَهُمْ عَن ذِكْرِهِم﴾ وقرئ: (بذكراهم فهم عن ذكراهم) ﴿مُّعْرِضُونَ﴾.

القراءة: ﴿خَرْجًا﴾ جُعلًا ﴿فَخَرَاجُ رَبِّكَ﴾ أي: ثوابه، بألف فيهما، وبغير ألف فيهما، وبألف في الثاني دون الأول، وقد ذكر في الكهف.

﴿وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾ [(حس)][2] أفضل المعطين.

﴿إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾: (حس) الإسلام ﴿عَنِ ٱلصِّرَٰطِ لَنَٰكِبُونَ﴾ [ق/ ١٥٩أ]: (حس) عادلون، ولمَّا أراد ﷺ [الدعاء][3] برفع القحط عن قريش نزل:

﴿۞ وَلَوْ رَحِمْنَٰهُمْ وَكَشَفْنَا مَا بِهِم مِّن ضُرٍّ لَّلَجُّواْ فِي طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿٧٥﴾ وَلَقَدْ أَخَذْنَٰهُم بِٱلْعَذَابِ فَمَا ٱسْتَكَانُواْ لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ ﴿٧٦﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا ذَا عَذَابٍ شَدِيدٍ إِذَا هُمْ فِيهِ

(١) سقط من ج، والمثبت من أ، ب.
(٢) سقط من ج، والمثبت من أ، ب.
(٣) سقط من أ، ب، والمثبت من ج.

مُبۡلِسُونَ ﴿٧٧﴾ وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَنشَأَ لَكُمُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَٱلۡأَفۡـِٔدَةَۚ قَلِيلٗا مَّا تَشۡكُرُونَ ﴿٧٨﴾ وَهُوَ ٱلَّذِي ذَرَأَكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَإِلَيۡهِ تُحۡشَرُونَ ﴿٧٩﴾ وَهُوَ ٱلَّذِي يُحۡيِۦ وَيُمِيتُ وَلَهُ ٱخۡتِلَٰفُ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ﴿٨٠﴾﴾

﴿وَلَوۡ رَحِمۡنَٰهُمۡ وَكَشَفۡنَا مَا بِهِم مِّن ضُرّٖ﴾: قحط وجوع ﴿لَّلَجُّواْ﴾ لتمادّوا ﴿فِي طُغۡيَٰنِهِمۡ﴾ وكفرهم بمحمد ﷺ.

﴿يَعۡمَهُونَ﴾: (حس) ﴿وَلَقَدۡ أَخَذۡنَٰهُم بِٱلۡعَذَابِ﴾ بالقتل ببدر، والسنين ﴿فَمَا ٱسۡتَكَانُواْ﴾: ما خضعوا ﴿لِرَبِّهِمۡ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ﴾: (كا) لم يتضرعوا ولعادوا إلىٰ كفرهم، والمراد بـ﴿بَابٗا ذَا عَذَابٖ﴾: القتل ببدر أو القحط أو الموت أو باب من أبواب جهنم.

﴿إِذَا هُمۡ فِيهِ مُبۡلِسُونَ﴾: (حس) آيسون من كل خير ﴿وَٱلۡأَفۡـِٔدَةَۚ﴾: (كا) و«ما» نافية في ﴿قَلِيلٗا مَّا تَشۡكُرُونَ﴾: (حس) المعنىٰ: لم تشكروا قليلًا ولا كثيرًا، وزعم بعضهم أنها زائدة، أي: تشكرون شكرًا قليلًا، وكذلك الكلام عليها أول الأعراف.

﴿وَإِلَيۡهِ تُحۡشَرُونَ﴾: (حس).

﴿وَيُمِيتُ﴾: (حس).

﴿وَٱلنَّهَارِۚ﴾: (تا).

﴿ بَلۡ قَالُواْ مِثۡلَ مَا قَالَ ٱلۡأَوَّلُونَ ﴿٨١﴾ قَالُوٓاْ أَءِذَا مِتۡنَا وَكُنَّا تُرَابٗا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبۡعُوثُونَ ﴿٨٢﴾ لَقَدۡ وُعِدۡنَا نَحۡنُ وَءَابَآؤُنَا هَٰذَا مِن قَبۡلُ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴿٨٣﴾ قُل لِّمَنِ ٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿٨٤﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِۚ قُلۡ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٨٥﴾ قُلۡ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبۡعِ وَرَبُّ ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡعَظِيمِ ﴿٨٦﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِۚ قُلۡ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٨٧﴾﴾

﴿أَفَلَا تَعۡقِلُونَ﴾: (حس) فتستدلون بالصنعة علىٰ صانعها فتؤمنون، لا أحب الوقف من هنا إلىٰ ﴿ٱلۡأَوَّلُونَ﴾: (تا) ثم أمر تعالىٰ نبيه ﷺ بإقامة الحجة علىٰ المشركين، فقال: ﴿قُل لِّمَنِ ٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ﴾: (كا) فإنهم

﴿سَيَقُولُونَ لِلَّهِۚ﴾، فثمَّ ﴿قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾: (تا) الأدلة الدالة على الصانع فتؤمنون.

﴿وَرَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ﴾: (كا).

﴿أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾: (تا) الله تعالى.

﴿قُلْ مَنۢ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٨﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِۚ قُلْ فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ ﴿٨٩﴾ بَلْ أَتَيْنَٰهُم بِٱلْحَقِّ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿٩٠﴾ مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٩١﴾ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٩٢﴾ قُل رَّبِّ إِمَّا تُرِيَنِّي مَا يُوعَدُونَ ﴿٩٣﴾ رَبِّ فَلَا تَجْعَلْنِي فِي ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٩٤﴾﴾

﴿وَهُوَ يُجِيرُ﴾ يغيث ويمنع ﴿وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾: (كا).

﴿فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ﴾: (حس) عن الإيمان، **القراءة**: (سيقولون الله) الثاني والثالث بألف، وبرفعهما لأنَّه جواب على ظاهر السؤال، لأنَّك تقول: من رب هذا؟ فالجواب: فلان؛ لأنَّه [ق/ ١٩١ جـ] جواب (من) لفظًا، وبلام فيهما مجرورين بهما، فهما جواب الاستفهام في المعنى؛ لأنَّك إذا قلت: من رب هذا؟ فمعناه: لمن هذا؟ فالجواب: لفلان؛ ليوافق الجواب السؤال، قالوا: فالثاني والثالث في جميع المصاحف بغير ألف كالأول، إلا في مصحف البصريين فإنهما وجداهما بألف، تلخيصه: إنهم ضالون لا يهتدون.

﴿وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ﴾: (تا) في ادعائهم الشريك وتكذيب الرسل، ثم أكد كذبهم بقوله: ﴿مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍۚ﴾: [يدل على شرط محذوف جوابه في الآية، تقديره: ولو كان معه آلهة][1] ﴿إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍۭ﴾: منفردًا ﴿بِمَا خَلَقَ﴾: دون الإله الآخر ﴿وَلَعَلَا﴾: ارتفع ﴿بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍۚ﴾: (حس) مغالبة

(١) سقط من ج، والمثبت من أ، ب.

وتكبرًا؛ لأنَّ كل إله يطلب انفراده بالألوهية وخلقه، ولو وجد ذلك لاختل نظام العالم، فحيث لم يختل علم أن لا إله إلا الله سبحانه ﴿عَمَّا يَصِفُونَ﴾: له من الشريك والولد، يتم الوقف هنا لرفعك على القراءة ﴿عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ﴾: خبر مبتدأ، ولا أحبه على القراءة أيضًا بجر (عالم) صفة لله تعالى ﴿عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾: (تا) به من الأصنام وغيرها و«إن» شرط في ﴿إِمَّا تُرِيَنِّي مَا يُوعَدُونَ﴾: من العذاب في الدارين، ولا أحب الوقف هنا وإن استحسن؛ لأنَّ جواب الشرط ﴿فَلَا تَجْعَلْنِي﴾: معذبًا ﴿فِى ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾: (تا) إذا نزل بهم العذاب، وما بينهما اعتراض.

﴿ وَإِنَّا عَلَىٰٓ أَن نُّرِيَكَ مَا نَعِدُهُمْ لَقَٰدِرُونَ ﴿٩٥﴾ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ٱلسَّيِّئَةَ ۚ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ ﴿٩٦﴾ وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَٰتِ ٱلشَّيَٰطِينِ ﴿٩٧﴾ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ ﴿٩٨﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ٱرْجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّىٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُ ۚ كَلَّآ ۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَا ۖ وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٠٠﴾ ﴾

ثم أومأ إلى حلول العذاب بهم فقال: ﴿وَإِنَّا عَلَىٰٓ أَن نُّرِيَكَ مَا نَعِدُهُمْ﴾: [به][(١)] من العذاب ﴿لَقَٰدِرُونَ﴾: (حس) [وقد أراه عذاب المشركين ببدر وغيرها، و(على) متعلقة بـ﴿لقادرون﴾، ثم أمره بالعفو عنهم، فقال:][(٢)] ﴿ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾: وهي كلمة الشهادة ﴿ٱلسَّيِّئَةَ﴾: (حس) الصادرة منهم إليك، وهذا نسخ بآية السيف[(٣)]، ثم تهددهم بقوله: ﴿نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ﴾: (حس) [من الشريك][(٤)] والمراد بـ﴿هَمَزَٰتِ ٱلشَّيَٰطِينِ﴾: وساوسهم ونزغاتهم.

﴿وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ﴾: (كا) مطلقًا، أو عند تلاوة القرآن؛ لأنهم إذا حضروا وسوسوا، إن علقت (حتى) بـ(يصفون)، فما بينهما اعتراض، فلا أحب

(١) سقط من أ، ب، والمثبت من ج.
(٢) سقط من ج، والمثبت من أ، ب.
(٣) انظر «الناسخ والمنسوخ» لابن حزم(ص/ ٤٦).
(٤) سقط من ج، والمثبت من أ، ب.

الوقف بينهما، المعنىٰ: لا يزالون يشركون إلىٰ وقت مجيء الموت، في الحديث: «**إذا عاين المؤمنُ الملائكةَ قالت له: نرجعُك إلىٰ الدنيا؟ فيقول: إلىٰ دار الأحزان والهموم؟! بل قدومًا إلىٰ الله تعالىٰ**»(١)، وأما الكافر فيقول: ﴿رَبِّ ٱرْجِعُونِ﴾: جمع الضمير تعظيمًا لله تعالىٰ، المعنىٰ: ردوني إلىٰ الدنيا ﴿لَعَلِّيٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا﴾: بأن أقول: لا إله إلا الله ﴿فِيمَا تَرَكْتُۚ﴾: ضيعت من عمرىٰ، أو فيما تركت من المال، يحسن الوقف هنا إن جعلت ﴿كَلَّآۚ﴾: بمعنىٰ «حقًّا»، وإن جعلتها ردعًا عن طلب الرجعة واستبعادًا لذلك وقفت هنا [ق/ ٢٦٦ب] وتبتدئ ﴿إِنَّهَا﴾ أي: مقالته، وهي ﴿لَعَلِّيٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا﴾.

﴿كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَاۖ﴾: (حس) تحسرًا علىٰ تفريطه قبلُ، ثم أكد عدم الرجوع فقال: ﴿وَمِن وَرَآئِهِم﴾: أمامهم ﴿بَرْزَخٌ﴾: حاجز يصدهم عن الرجوع ﴿إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾: (كا) فلا يرجعون أبدًا؛ لأنَّه قد علم أن لا رجوع بعد البعث.

﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ ﴿١٠١﴾ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٢﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ﴿١٠٣﴾ تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَٰلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ أَلَمْ تَكُنْ ءَايَٰتِي تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿١٠٥﴾ قَالُواْ رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَآلِّينَ ﴿١٠٦﴾ رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَٰلِمُونَ ﴿١٠٧﴾ قَالَ ٱخْسَـُٔواْ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ﴿١٠٨﴾﴾

﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ﴾: وقرئ: (الصور) والصور جمع الصورة، المعنىٰ: إذا بُعث الناس ﴿فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ﴾: يتواصلون بها أو يتفاخرون؛ فإنَّ الأنساب تقطع ثمَّ إلا نسب الدين، والعامل في (بينهم) محذوف لا أنساب؛ لأنَّ اسم لا إذا بُني لا يعمل، وذلك المحذوف أيضًا العامل في ﴿يَوْمَئِذٍ﴾: الزمانية ﴿وَلَا يَتَسَآءَلُونَ﴾: (كا) لأنَّ كلًّا مشغول عن سؤال صاحبه بحالته، والقيامة مواطن، فموطن لا يتساءلون فيه، وفي موطن يفيقون فيتساءلون ﴿فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ﴾ بالحسنات

(١) أخرجه الطبري في «تفسيره» (١٩/ ٦٩) من حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

فهم ﴿ٱلۡمُفۡلِحُونَ﴾: [(كا)][(١)] .

﴿وَمَنۡ خَفَّتۡ مَوَٰزِينُهُۥ﴾: بالسيئات فهم ﴿فِي جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ﴾: (كا).

﴿تَلۡفَحُ﴾: تحرق وتسفع ﴿وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ وَهُمۡ فِيهَا كَٰلِحُونَ﴾: (تا) عابسون بَادية أسنانُهم لتشمير شفاههم عنها لشدة ما يَلقون، في الحديث: «**إن النار لتشويه فتقلَّص شَفتُه العُليا حتىٰ تَبلُغَ وسَط [رأسه]**[(٢)] **وتسترخي شفتُه السفلىٰ حتىٰ تضرب سرته**»[(٣)]. ﴿تُكَذِّبُونَ﴾: (حس).

القراءة: ﴿شِقۡوَتُنَا﴾: بفتح الشين وألف بعد القاف، وبكسر بلا ألف مصدران، وقرئ بفتح الشين بلا ألف كالفعلة الواحدة، المعنىٰ: غلبنا الشقاء بسوء الخاتمة فلم نهتد.

﴿وَكُنَّا قَوۡمٗا ضَآلِّينَ﴾: [(كا)][(٤)] عن الهداية، فعند دخولهم النار يقولون: ﴿رَبَّنَآ أَخۡرِجۡنَا مِنۡهَا فَإِنۡ عُدۡنَا﴾ خالفناك ﴿فَإِنَّا ظَٰلِمُونَ﴾: (كا) فيتركون مدة الدنيا مرتين، ثم يقول لهم مالك: ﴿ٱخۡسَـُٔواْ فِيهَا﴾: ابعدوا في جهنم أذلاء ﴿وَلَا تُكَلِّمُونِ﴾: (حس) في رفع العذاب عنكم؛ فلا سبيل إليه، فانقطع رجاؤهم فما ينبسوا بعدها بكلمة، إن هو إلا الزفير والشهيق، وأقبلوا ينبحون كالكلب لا يَفهمون ولا يُفهمون.

﴿إِنَّهُۥ كَانَ فَرِيقٞ مِّنۡ عِبَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغۡفِرۡ لَنَا وَٱرۡحَمۡنَا وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿١٠٩﴾
فَٱتَّخَذۡتُمُوهُمۡ سِخۡرِيًّا حَتَّىٰٓ أَنسَوۡكُمۡ ذِكۡرِي وَكُنتُم مِّنۡهُمۡ تَضۡحَكُونَ ﴿١١٠﴾ إِنِّي جَزَيۡتُهُمُ ٱلۡيَوۡمَ بِمَا صَبَرُوٓاْ
أَنَّهُمۡ هُمُ ٱلۡفَآئِزُونَ ﴿١١١﴾ قَٰلَ كَمۡ لَبِثۡتُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ عَدَدَ سِنِينَ ﴿١١٢﴾ قَالُواْ لَبِثۡنَا يَوۡمًا أَوۡ بَعۡضَ يَوۡمٖ
فَسۡـَٔلِ ٱلۡعَآدِّينَ ﴿١١٣﴾ قَٰلَ إِن لَّبِثۡتُمۡ إِلَّا قَلِيلٗاۖ لَّوۡ أَنَّكُمۡ كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿١١٤﴾﴾

---

(١) سقط من ج، والمثبت من أ، ب.

(٢) سقط من ج، والمثبت من أ، ب.

(٣) أخرجه الترمذي (٢٥٨٧)، وأحمد (١١٨٥٤)، والحاكم (٢٩٧١)، وأبو يعلىٰ (١٣٦٧)، من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

(٤) سقط من ج، والمثبت من أ، ب.

القراءة: ﴿سِخۡرِيًّا﴾: مفعول ثان لـ(اتخذتموهم) بضم السين هنا وصاد من التسخير والخدمة، أو هو بمعنىٰ الهز، وبكسرها من الهزاء والسخرية، يؤكده ﴿وَكُنتُم مِّنۡهُمۡ تَضۡحَكُونَ﴾: (حس) وكلهم بضم السين في الزخرف، سيبويه: الضم والكسر واحد، وقرئ بكسر السين في جميع القرآن، والذين اتُخذوا سخريا هم جماعة من المسلمين كبلال وصهيب وعمار وسلمان، كان المشركون يسخرون بهم [وبإسلامهم][1] ويؤذونهم.

﴿إِنِّي جَزَيۡتُهُمُ ٱلۡيَوۡمَ﴾: النعيم المقيم ﴿بِمَا صَبَرُوٓاْ﴾: (كا) إن كسرت استئنافًا على **القراءة:** ﴿أَنَّهُمۡ هُمُ ٱلۡفَآئِزُونَ﴾: (كا) بمطلوبهم، ولا تقف علىٰ (صبروا) علىٰ القراءة بفتح (أنهم)؛ لأنها والمتصل بها مفعول ثان لـ(جزيتهم)، تلخيصه: أعاقب الكفار بكفرهم وأثيب الأبرار بإيمانهم وصبرهم، القراءة: ﴿قَٰلَ كَمۡ﴾ و(قل إن) بلا ألف فيهما أمر لمالك أن يسألهم، وبألف فيهما إخبار عن الله تعالىٰ أنَّه هو يسألهم، و(كم) نصب بـ(لبثتم) وتنصب تمييزًا ﴿عَدَدَ سِنِينَ﴾: (كا) أو (عدد) بدل من (كم)، وقرئ: (عددًا) منونًا تمييز، فسنين بدل منه، المعنىٰ: إنهم سئلوا عن مدة لبثهم في الدنيا أو في القبور فاستقصروها وشكوا فيها، فقالوا: ﴿لَبِثۡنَا يَوۡمًا أَوۡ بَعۡضَ يَوۡمٍ فَسۡـَٔلِ ٱلۡعَآدِّينَ﴾: (كا) الملائكة المحصين أعمال الخلق وأعمارهم؛ فإنا مشغولون عن ذلك بما بنا من الشدة، وقرئ: (العادين) مخففًا، أي: الظلمة؛ فإنهم كانوا يقولون مثلنا، وقرئ: (العاديين) بياءين، أي: المعمرين، منه بئر عادية، قديمة، أي: سل من تقدمنا.

﴿قَٰلَ إِن لَّبِثۡتُمۡ﴾: في الدنيا أو في القبور ﴿إِلَّا﴾: لبثًا ﴿قَلِيلٗاۖ﴾: لأنَّ أيام السرور قليلة.

﴿لَّوۡ أَنَّكُمۡ كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ﴾: (حس) مدة لبثكم لمَّا أجبتم بهذا الجواب ﴿عَبَثٗا﴾ حال، أي: نخلقكم عابثين، أو مفعول له، أي: لم نخلقكم لتعبثوا وتكونوا

---

(١) في أ، ب: وبالإسلام، والمثبت من ج.

كالبهائم، بل لتعرفونا وتعبدونا، تلخيصه: أفحسبتم أنكم مهملون ﴿وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾: (تا) في الآخرة فنجازيكم، القراءة: بفتح التاء وكسر الجيم، وبضم التاء وفتح الجيم.

﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾ فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ ﴿١١٦﴾ وَمَن يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِندَ رَبِّهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ ﴿١١٧﴾ وَقُل رَّبِّ اغْفِرْ وَارْحَمْ وَأَنتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ ﴿١١٨﴾﴾

القراءة: ﴿رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ﴾: (تا) جرًا صفة للعرش، وقرئ برفع (الكريم) صفة لرب، وقوله: ﴿لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ﴾: تأكيد لـ(إلهًا) آخر كـ﴿يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ﴾، لا أنَّ في الآلهة من يقوم على الألوهية برهان، وجواب «من»: ﴿فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِندَ رَبِّهِ﴾: [(كا) على][(1)] القراءة استئنافًا ﴿إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ﴾: وقرئ بفتح (أنَّه) فلا وقف على (ربه)؛ لأنَّ تقديره: حسابه أنَّه لا يفلح ﴿الْكَافِرُونَ﴾: (تا) تلخيصه: حسابه عدم الفلاح، وجمع بين المغفرة والرحمة في ﴿وَقُل رَّبِّ اغْفِرْ وَارْحَمْ﴾: لأنَّه قد يوجد مغفرة بلا رحمة.

﴿وَأَنتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ﴾: (تا).

---

(١) سقط من ج، والمثبت من أ، ب.

سورة (النور)

مدنية وهي ثنتان أو أربع وستون آية

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿سُورَةٌ أَنزَلْنَٰهَا وَفَرَضْنَٰهَا وَأَنزَلْنَا فِيهَآ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ لَّعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿١﴾ ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِى فَٱجْلِدُوا۟ كُلَّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا مِا۟ئَةَ جَلْدَةٍ ۖ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِى دِينِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۖ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾ ٱلزَّانِى لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَٱلزَّانِيَةُ لَا يَنكِحُهَآ إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ ۚ وَحُرِّمَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾﴾

في الحديث: «**لا تنزلوهن الغرف، ولا تعلموهن الكتابة، وعلموهن الغزل وسورة النور**»[1]، يعني: النساء.

القراءة: ﴿سُورَةٌ﴾: رفعًا خبر مبتدأ محذوف صفته ﴿أَنزَلْنَٰهَا﴾: وقرئ بنصبها بـ«أنزلنا» مضمرًا، يفسره (أنزلناها)، فلا محل لـ(أنزلناها) من الإعراب؛ لأنها مفسرة للمضمر، فحكمها حكمه، وإن نصبتها بـ(اتل) مقدرة، فمحل (أنزلناها) نصب صفة سورة.

القراءة: ﴿وَفَرَضْنَٰهَا﴾: مخففًا ومثقلًا، يقال: فرضت الفريضة وفرضت الفرائض، وتقديره: وفرضنا فرائضها، فحذفت فرائض فاتصل «ها» بـ«فرضنا»، المعنىٰ: أوجبنا أحكامها ﴿وَأَنزَلْنَا فِيهَآ ءَايَٰتٍۭ﴾: بالأمر والنهي ﴿بَيِّنَٰتٍ لَّعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾: (تا) **القراءة**: ﴿ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِى﴾: رفعًا مبتدأ محذوف الخبر، أي: فيما فرضنا عليكم الزانية والزاني، أي: جلدهما، فما بعد استئناف، أو الخبر ﴿فَٱجْلِدُوا۟﴾: فدخلت الفاء؛ لأنَّ الألف واللام بمعنىٰ الموصول؛ وهو متضمن

---

(١) أخرجه الحاكم (٣٤٩٤)، والطبراني في «المعجم الأوسط» (٥٧١٣)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٢٤٥٣) من حديث عائشة رضي الله عنها.

معنىٰ الشرط؛ كأنَّه قيل: من زنىٰ فاجلدوه، وقرئ بنصبهما بفعل يفسره (فاجلدوا) ﴿كُلَّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا﴾: وتنصب ﴿مِاْئَةَ جَلْدَةٍۖ﴾: (كا) نصب المصادر، وقرئ: (الزان) بلا ياء، قالوا: وقدمت الزانية لأنَّ الزنا في النساء أكثر، ولأنهن أحرص عليه، والزانية والزاني يدلان علىٰ الجنسين غير العفيفين من الزاني المحصن وغير المحصن دلالة مطلقة كالاسم المشترك، فللمتكلم أن يصرفه إلىٰ أي الجنسين شاء، ولهذا لم يدخل في هذا الحد المحصن؛ لأنَّ حده الرجم، فإذا زنىٰ البكر بالبكر جلده الشافعي مائة وغرَّبه سنة، وأبو حنيفة رَحِمَهُ ٱللَّهُ يجلده مائة ولا يغرِّبه.

القراءة: ﴿وَلَا تَأْخُذْكُم﴾: مؤنثًا، وقرئ مذكرًا [ق/ ١٦٠أ]، والباء في ﴿بِهِمَا﴾: متعلقة بـ(تأخذكم) لا بـ(رأفة) [ق/ ٢٦٧ب] لأنَّ المصدر لا يتقدمه معموله، القراءة: ﴿رَأْفَةٌ﴾: بهمزة ساكنة ومبدلة بألف ومُحركة بالفتح، وقرئ: (رآفة) كسآمة لغات كلها، المعنىٰ: لا تخفقوا جلدهما رأفة بهما، ولكن تَصَلَّبوا ﴿فِى دِينِ ٱللَّهِ﴾: في حكمه، وأقيموا حدوده كما أمركم.

﴿إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِۖ﴾: (حس) اقتداء برسول الله ﷺ؛ لأنَّه قال: «**والله لو سرقت فاطمة [بنت][1] محمد لقطعت يدها**»[2]، وفي الحديث: «**يؤتىٰ بوالٍ نقص من حدٍ سوطًا، فيقول: رحمة لعبادك، فيقال له: أنت أرحمُ مني؟! انطلقوا به إلىٰ النار، ويؤتىٰ بمن زاد سوطًا فيقول: لينتهوا عن معصيتك، فيؤمر به إلىٰ النار**»[3] [ق/ ١٩٢جـ]، وفيه: «**إقامةُ حدٍّ بأرضٍ خيرٌ لأهلِها من مطرِ أربعين ليلة**»[4]، فيجلد الرجل مجردًا قائمًا ليس عليه إلا إزاره، جلدًا وسطًا لا صلبًا ولا لينًا، مفرقًا علىٰ جميع أعضائه إلا الوجه والرأس والفرج، والمرأة تجلد

(١) في أ، ب: ابنة، والمثبت من ج.
(٢) أخرجه البخاري (٣٢٨٨)، ومسلم (١٦٨٨) من حديث عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا.
(٣) قال الزيلعي: رواه أبو يعلىٰ من حديث حذيفة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.
«تخريج أحاديث الكشاف» (٢/ ٤١٤).
(٤) أخرجه الثعلبي في «الكشف والبيان» (٧/ ٦٤) من حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

قاعدة، ولا ينزع عنها شيء من ثيابها إلا الحشو والفرو وما يقيها ألم الضرب.

﴿وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا﴾ [حدهما][١] ﴿طَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾: (تا) أقلهم واحد أو اثنان أو أربعة أو عشرة أو أربعون؛ ليكونوا ردءًا للإمام إن احتاج إليهم، و لأنَّه [أبلغ في الزجر][٢]، في الحديث: «**اتقوا الزنا؛ فإن فيه ست خصال: ثلاث في الدنيا: يُذهبُ البهاءَ، ويورثُ الفقرَ، ويُنقصُ العمرَ، وثلاث في الآخرة: السخطُ، وسوءُ الحسابِ، والخلودُ في النار**»[٣].

ونزل نهيًا عن نكاح البغايا؛ لأنَّه خبر بمعنىٰ النهي ﴿ٱلزَّانِي لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَٱلزَّانِيَةُ لَا يَنكِحُهَآ إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ﴾: (كا).

﴿وَحُرِّمَ ذَٰلِكَ﴾ أي: الزنا أو النكاح، ذكر تأكيدًا ﴿عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾: (تا) قالوا: التحريم خاص بمن نزلت الآية في حقه، أو هي منسوخة بقوله: ﴿وَأَنكِحُواْ ٱلْأَيَٰمَىٰ مِنكُمْ﴾[٤]، فدخلت الزانية في أيامىٰ المسلمين، وعن ابن مسعود[١] رضي الله عنه أنَّه كان

---

(١) سقط من ج، والمثبت من أ، ب.

(٢) سقط من ج، والمثبت من أ، ب.

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١١٨٣).

(٤) قال النحاس: للعلماء في الآية أربعة أقوال: منهم من قال: هي منسوخة، ومنهم من قال: النكاح هاهنا الوطء، ومنهم من قال: الزاني ههنا المجلود في الزنا لا ينكح إلا زانية مجلودة في الزنا أو مشركة وكذا الزانية، ومنهم من قال: هي الزانية التي تتكسب بزناها وتنفق علىٰ زوجها، واحتج بأن الآية في ذلك أنزلت فممن قال: هي منسوخة سعيد بن المسيب كما حدثنا إسحاق بن إبراهيم القطان، قال حدثنا يحيىٰ بن عبد الله بن بكير، قال: حدثني الليث بن سعد، قال: حدثنا يحيىٰ بن سعيد بن قيس الأنصاري، عن سعيد بن المسيب، في قول الله تعالىٰ ﴿ٱلزَّانِي لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَٱلزَّانِيَةُ لَا يَنكِحُهَآ إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ﴾ [النور: ٣] قال: « يزعمون أنها نسخت بالآية التي بعدها ﴿وَأَنكِحُواْ ٱلْأَيَٰمَىٰ ﴾ [النور: ٣٢] منكم فدخلت الزانية في أيامىٰ المسلمين ».

وهذا القول الذي عليه أكثر العلماء وأهل الفتيا يقولون: إن من زنىٰ بامرأة فله أن يتزوجها ولغيره أن يتزوجها وهو قول ابن عمر، وسالم، وجابر بن زيد، وعطاء، وطاوس، ومالك ابن أنس، روىٰ عنه ابن وهب أنه سئل عن الرجل يزني بامرأة ثم يريد نكاحها، قال ذلك =

=له بعد أن تستبرئ من وطئها وهو قول أبي حنيفة وأصحابه.
وقال الشافعي في الآية: القول فيها كما قال سعيد بن المسيب إن شاء الله: إنها منسوخة
وممن قال بالقول الثاني: إن النكاح ههنا الوطء ابن عباس
كما حدثنا بكر بن سهل، قال: حدثنا أبو صالح، قال حدثني معاوية بن صالح، عن علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس، وقوله تعالىٰ: ﴿ٱلزَّانِي لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً﴾ [النور: ٣] الآية، قال: «**الزاني من أهل الملة لا يزني إلا بزانية مثله من أهل القبلة أو مشركة والزانية من أهل القبلة لا تزني إلا بزان مثلها من أهل القبلة أو مشرك وحرم الزنا علىٰ المؤمنين**».
واختار محمد بن جرير هذا القول وأومأ إلىٰ أنه أولىٰ الأقوال واحتج بأن الزانية من المسلمين لا يجوز لها أن تتزوج مشركا بحال وأن الزاني من المسلمين لا يجوز له أن يتزوج مشركة وثنية بحال فقد تبين أن المعنىٰ الزاني من المسلمين لا يزني إلا بزانية لا تستحل الزنا من المسلمين أو مشركة تستحل الزنا والزانية لا تزني إلا بزان من المسلمين لا يستحل الزنا أو مشرك يستحل الزنا، وحرم ذلك الزنا وهو النكاح المذكور قبل هذا .
والقول الثالث: إن الزاني المجلود لا ينكح إلا زانية مجلودة أو مشركة وكذا الزانية قول الحسن
كما قرئ علىٰ إبراهيم بن موسىٰ الجوزي، عن يعقوب الدورقي، قال: حدثنا وكيع، عن يزيد بن إبراهيم، عن الحسن، قال: «**الزاني المجلود لا ينكح إلا زانية مجلودة مثله أو مشركة والزانية المجلودة لا ينكحها إلا زان مجلود مثلها أو مشرك**».
وحدثنا علي بن الحسين، قال: قال الحسن بن محمد الزعفراني، حدثنا عفان، قال: حدثنا يزيد بن زريع، قال: حدثنا حبيب المعلم، قال: جاء رجل من أهل الكوفة إلىٰ عمرو بن شعيب فقال: ألا تعجب من الحسن يزعم أن الزاني المجلود لا ينكح إلا مثله ويتأول هذه الآية ﴿ٱلزَّانِي لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً﴾ [النور: ٣] فقال: ما يعجبك من هذا؟ حدثني سعيد بن أبي سعيد عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ قال: «**الزاني المجلود لا ينكح إلا مثله**» قال أبو جعفر: وهذا الحديث يجوز أن يكون منسوخا كما نسخت الآية في قول سعيد بن المسيب .
والقول الرابع: أن هذا كان في نسوة كان الرجل يتزوج إحداهن علىٰ أن تنفق عليه مما تكسبه من الزنا فحرم الله تعالىٰ نكاحهن، قول مجاهد
كما قرئ علىٰ أحمد بن محمد بن الحجاج، عن يحيىٰ بن سليمان، قال: حدثنا أسباط بن محمد، قال: حدثنا عبد الملك بن أبي سليمان، عن القاسم بن أبي بزة، عن مجاهد، في قوله تعالىٰ: ﴿ٱلزَّانِي لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً﴾ [النور: ٣] قال: «كن نساء بغايا وكانت=

يحرمه ويقول: «إذا تزوج الزاني بالزانية فهما زانيان»، وشرائط الإحصان الموجبة للحد علىٰ القاذف لمن وجدت فيه خمسة عند الشافعي وأبي حنيفة: الإسلام، والعقل، والبلوغ، والحرية، والعفة عن الزنىٰ.

وشرائط الإحصان الموجبة لرجم الشخص إذا زنىٰ بعد وجودها فيه أربعة: العقل، والحرية، والبلوغ، والوطء في نكاح صحيح عند الشافعي وأحمد، ولم يشترطا الإسلام خلافًا لمالك وأبي حنيفة [رحمهما الله](٢).

﴿ وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٤﴾ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٥﴾ وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ شُهَدَاءُ إِلَّا أَنْفُسُهُمْ فَشَهَادَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ ۙ إِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٦﴾ وَالْخَامِسَةُ أَنَّ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَيْهِ إِنْ كَانَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٧﴾ وَيَدْرَأُ عَنْهَا الْعَذَابَ أَنْ تَشْهَدَ أَرْبَعَ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ ۙ إِنَّهُ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٨﴾ وَالْخَامِسَةَ أَنَّ غَضَبَ اللَّهِ عَلَيْهَا إِنْ كَانَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٩﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾ ﴾

القراءة: ﴿بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ﴾ إضافة، وقرئ: (بأربعةٍ) منونًا، فـ(شهداء) صفة لهم، المعنىٰ: من قذف المحصنات بالزنا ثم لم يأت بأربعة شهود يشهدون بذلك

= منهن امرأة تدعىٰ أم مهزم فكان الرجل يتزوج إحداهن لتنفق عليه من كسبها فنهاهم الله تعالىٰ عن ذلك أن يتزوجهن أحد من المسلمين»

قرئ علىٰ أحمد بن شعيب، عن عمرو بن علي، قال: حدثنا المعتمر، عن أبيه، عن الحضرمي يعني ابن لاحق، عن القاسم بن محمد، عن عبد الله بن عمرو، قال: «كانت امرأة يقال لها: أم مهزول وكانت بأجياد وكانت تسافح فأراد رجل من المسلمين أن يتزوجها فأنزل الله تعالىٰ: ﴿وَالزَّانِيَةُ لَا يَنْكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ ۚ وَحُرِّمَ ذَٰلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ [النور: ٣]».

قال أبو جعفر: وهذا الحديث من أحسن ما روي في هذه الآية ذكر فيه السبب الذي نزلت فيه الآية فإذا صح جاز أن تكون الآية الناسخة بعده، والله تعالىٰ أعلم بحقيقة ذلك.

«الناسخ والمنسوخ» (ص/ ٥٨٣-٥٨٥).

(١) انظر «تفسير البغوي» (٣/ ٣٨٠).

(٢) زيادة من ج.

﴿فَٱجۡلِدُوهُمۡ ثَمَٰنِينَ جَلۡدَةٗ﴾ إن كان القاذف حرا، وأربعين إن كان عبدًا، ونصب (ثمانين) نصب المصادر، والمراد هنا القذف بالزنا لذكره أربعة [شهداء][١]، فإن القذف بغيره يكفي فيه شاهدان، ولأنَّه ذكره عقيب ذكر المحصنات، وإن كان المقذوف زانيًا عُزِّر القاذف ولم يُحد، والليث: يُحد قاذف المجنون، ومالك: يُحدُّ قاذفُ الصبية التي يوطأ مثلها، ولا يُحدُّ قاذف الصبي الذي يطأ مثله.

﴿وَلَا تَقۡبَلُواْ لَهُمۡ شَهَٰدَةً أَبَدٗاۚ﴾: (كا) إن جعلت الاستثناء بعد من ﴿ٱلۡفَٰسِقُونَ﴾ فجواب (يرمون) (الجلد) وتعطف عليه رد الشهادة مؤبدًا، قال جماعة: ترد شهادة القاذف المحدود [أبدًا][٢] وإن تاب وحسنت حاله، منهم فقهاء الكوفة، ولكن يزول عنه اسم الفسق؛ لأنك تبتدئ بقوله: ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ﴾ ثم تستثني ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ﴾ القذف، ﴿وَأَصۡلَحُواْ﴾ حالهم، فيكون المستثنىٰ منصوبًا؛ لأنَّه من موجب، وإن جعلت الاستثناء من ﴿وَلَا تَقۡبَلُواْ لَهُمۡ شَهَٰدَةً﴾، فلا وقف علىٰ (أبدًا) ويكون المستثنىٰ مجرورًا بدلًا من (هم) في (لهم)، فتقبل شهادة القاذف المحدود إذا تاب وحسنت حاله عند جماعة منهم الشافعي ومالك، لكن فقهاء الكوفة لا يردون شهادته بنفس القذف، والشافعي وأحمد يردان شهادته بنفس القذف، أو محل المستثنىٰ رفع مبتدأ خبره.

﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾: (تا) فظاهر النص يدل علىٰ أنَّ الجمل الثلاث جواب الشرط؛ لأنَّ الجلد جواب الرمي، ورد الشهادة والفسق معطوفان عليه، تقديره: من قذف المحصنات فاجلدوه وردوا شهادته وفسقوه.

تلخيصه: أجمعوا له الجلد مع الرد والتفسيق، فلا وقف من أول الآية إلىٰ آخرها.

---

(١) في أ، ب: شهود، والمثبت من ج.

(٢) في ج: مؤبدا، والمثبت من أ، ب.

﴿إِلَّآ أَنفُسُهُمْ﴾ نعت لـ(شهداء)، **القراءة**: (أربع) رفعًا، ولا خلف في الثاني خبر مبتدئه ﴿فَشَهَٰدَةُ أَحَدِهِمْ﴾ فيتعلق بـ(الله) بعد بـ(شهادات) لا بـ(شهادة)؛ لئلا يفصل بين صلة (الذين) وموصولها بالخبر، ونصبًا بمضمر يدل عليه (فشهادة) وترفع (فشهادة) مبتدأ محذوف الخبر، تقديره: فشهادة أحدهم واجب أن يشهد ﴿أَرْبَعُ شَهَٰدَٰتٍ بِٱللَّهِ﴾ ليدرأ عنه الحد إن لم يكُ الاعتراف، أو نصب بـ(شهادة)؛ لأنَّه مصدر مضاف، فيتعلق بـ(الله) علىٰ هذا بـ(شهادات) عند البصري لقربه منه، وبـ(شهادة) عند الكوفي؛ لأنَّه أول العاملين ومعمول بـ(شهادات).

﴿إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾: (كا) ولولا اللام في الخبر لفتحت إنَّ، القراءة ﴿أَنَّ لَعْنَتَ ٱللَّهِ﴾ و﴿أَنَّ غَضَبَ ٱللَّهِ﴾ بتخفيف «أن» ورفع اللعنة مبتدأ خبره ﴿عَلَيْهِ﴾ وكسر الضاد من (غضب) فعل ماض، وبتشديد «إن» ونصب (اللعنة)، وفتح الضاد ونصب الباء بأن وجر الاسم بعده جعله مصدرًا مضافًا، المعنىٰ: إنَّ الزوج يلعن نفسه.

﴿إِن كَانَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾ [(كا)][(١)] فيما قذف زوجته به من الزنا، فإذا لاعنها الزوج وجب عليها الحد، وفاعل ﴿وَيَدْرَؤُا۟﴾ أي: يدفع ﴿عَنْهَا ٱلْعَذَابَ﴾ [(كا)][(٢)] أي: حد الزنا ﴿أَن تَشْهَدَ أَرْبَعَ شَهَٰدَٰتٍ﴾ وقوله: ﴿بِٱللَّهِ﴾ متعلق بـ(تشهد)، أي: تشهد بالله أو بالكاذبين، أي: الكاذبين بالله، ومحل ﴿إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾ [(كا)][(٣)] فيما قذفها به نصب بـ(تشهد)، قالوا: نزلت هذه الآيات في هلال بن أمية وامرأته حين وجد معها رجلًا، أو في أمية بن هلال حين قذف امرأته بشريك بن السحماء فلاعن ﷺ بينهما، فإذا لاعن الإمام أقام الرجل أولًا ولقنه كلمات اللعان، فيقول: «قل: أشهد بالله أني لمن الصادقين فيما رميت به فلانة بالزنا»، وإن

(١) سقط من ج، والمثبت من أ، ب.
(٢) سقط من ج، والمثبت من أ، ب.
(٣) سقط من ج، والمثبت من أ، ب.

رماها برجل بعينه سمياه، وإن رماها بجماعة سماهم، ويقول الزوج كما يلقنه الإمام، وإن كان ثَمَّ ولد أو حمل يريد نفيه يقول: وإن هذا الولد أو الحمل ليس مني وإنه من الزنا، ويقول في الخامسة: عليَّ لعنة الله إن كنت من الكاذبين فيما رميت به فلانة، وإذا أتىٰ بكلمة [ق/ ٢٦٨ب] «منها» بلا تلقين الحاكم لم تحسب، فإذا فرغ من اللعان وقعت الفرقة وحرمت عليه أبدًا، وانتفىٰ عنه النسب، وسقط عنه حد القذف، ووجب عليها الرجم إن كانت محصنة، والجلد والتغريب إن لم تكن محصنة عند الشافعي، وأبو حنيفة وأصحابه لا يوقعون الفرقة إلا بتفريق الإمام، إلا زفر فإنَّه يوقعها بنفس اللعان، ويدرأ [عنها الحد](١) إذا لاعن الزوج أن تشهد أربع شهادات بالله إن زوجي لمن الكاذبين فيما رماني به، وتقول في الخامسة: وغضب الله عَلَيَّ إن كان من الصادقين فيما رماني به، ويكون ذلك بتلقين الحاكم، وإذا لاعن الزوج وامتنعت الزوجة حبست حتىٰ تُلاعنَ أو تعترف، ويقال للزوج إذا بلغ اللعنة: اتق الله؛ فإنها الموجبة وإنَّ عذاب الدنيا أهون من عذاب الآخرة، وكذلك يقال للزوجة إذا بلغت الغضب، وإذا لاعن الزوج بعض اللعان لا يتعلق به الحكم عند الشافعي.

وأبو حنيفة رَحِمَهُ اللَّهُ: إذا لاعن أكثر كلمات اللعان قام مقام الكل في تعلق الحكم به، ومن صحت يمينه صح لعانه، حرًّا كان أو عبدًا، مسلمًا [كان](٢) أو كافرًا، وعند أبي حنيفة: لا لعان إلا بين مسلمين حرين غير محدودين، ولا يصح إلا عند الحاكم أو نائبه، وجواب: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ﴾: لعذبكم، محذوف.

﴿حَكِيمٌ﴾: (تا) .

---

(١) في أ، ب تقديم وتأخير.

(٢) سقط من أ، ب والمثبت من ج.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْۚ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُمۖ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْۚ لِكُلِّ ٱمْرِيٍٕ مِّنْهُم مَّا ٱكْتَسَبَ مِنَ ٱلْإِثْمِۚ وَٱلَّذِى تَوَلَّىٰ كِبْرَهُۥ مِنْهُمْ لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١﴾ لَّوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُواْ هَٰذَآ إِفْكٌ مُّبِينٌ ﴿١٢﴾ لَّوْلَا جَآءُو عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَۚ فَإِذْ لَمْ يَأْتُواْ بِٱلشُّهَدَآءِ فَأُوْلَٰٓئِكَ عِندَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ ﴿١٣﴾﴾

ونزل في شأن قذف عائشة بصفوان بن المعطل ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ﴾: خبر «إن» نعته ﴿مِّنكُمْۚ﴾: الآيات العشر ﴿لَا تَحْسَبُوهُ﴾: أي الإفك أيها المقذوفون ﴿شَرًّا لَّكُمۖ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْۚ﴾: (كا) بأن تثابوا وتظهر براءتكم ﴿لِكُلِّ ٱمْرِيٍٕ مِّنْهُم﴾: من الأفاكين، وهم ابن أبي ابن سلول، ومسطح بن أثاثة، وحسان ابن ثابت، وحمنة بنت جحش ﴿مَّا ٱكْتَسَبَ مِنَ ٱلْإِثْمِۚ﴾: (حس).

القراءة: ﴿كِبْرَهُۥ مِنْهُمْ﴾: بكسر الكاف، وقرئ بضمها لغتان في معظم الشيء، أو بالضم في النسب والولاء، ومنه الولاء للكبر، أي: لأكبرهم، أي: تولىٰ أكبره، وبالكسر معظم الشيء، المعنىٰ: فالذي تحمل معظم الإفك [من][1] الأفاكين وهو ابن أبي، أو حسان.

﴿لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾: (كا) أما ابن أبي فمات منافقًا، وأما حسان فعَمي بعد ذلك، وقالت عائشة: أي عذاب أشد من العمىٰ؟! وأنَّه ينافح عن رسول الله [ﷺ][2]، وروي عنها أنها قالت: ما سمعت شعره إلا ورجوت له الجنة، ثم وبخ الخائضين فقال: ﴿لَّوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ﴾ [المعنىٰ:][3] هلا إذ سمعتم الإفك أضربتم عنه وظننتم كما ﴿ظَنَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمْ﴾ بأمهاتهم أو أهل دينهم ﴿خَيْرًا﴾: لأنَّ المؤمنين كنفس واحدة، تلخيصه: هلا ظننتم كظنهم وقلتم كقولهم ﴿هَٰذَآ إِفْكٌ مُّبِينٌ﴾: (كا) ظاهر، ثم بين الحكم في القذف فقال: ﴿لَّوْلَا جَآءُو عَلَيْهِ

(١) سقط من ج والمثبت من أ، ب.
(٢) زيادة من ج.
(٣) سقط من ج، والمثبت من أ، ب.

بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَۚ فَإِذْ لَمْ يَأْتُواْ بِٱلشُّهَدَآءِ﴾: على القذف ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ عِندَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ﴾: (حس).

﴿ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِى مَآ أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٤﴾ إِذْ تَلَقَّوْنَهُۥ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُۥ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾ وَلَوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا سُبْحَٰنَكَ هَٰذَا بُهْتَٰنٌ عَظِيمٌ ﴿١٦﴾ ﴾

﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾: أيها الخائضون بالإمهال لتتوبوا ﴿لَمَسَّكُمْ فِى مَآ أَفَضْتُمْ﴾: جريتم ﴿فيه﴾: من القذف ﴿عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾: دائم في الآخرة.

تلخيصه: لولا حلمه لهلكتم، لا أحب الوقف هنا؛ لأنَّ (مسكم) أو (أفضتم) العامل في ﴿إِذْ تَلَقَّوْنَهُۥ﴾: أي تأخذون حديث الإفك من الأفاكين ﴿بِأَلْسِنَتِكُمْ﴾ بأن يرويه بعض عن بعض، **وقرئ**: (تتلقونه) بتاءين مشددًا، و(تلقونه) من ألقى يُلقي، و(تألقونه) و(تلقونه) من الولق وهو الكذب، وأصله الخفة والإسراع، و(تتقفونه) من تقفيت تتبعت، ولمَّا كان خوضهم تخرصًا لا ثبوت له في القلب، قال: ﴿وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُۥ﴾: أي خوضكم في عائشة ﴿هَيِّنًا﴾ صغيرة ﴿وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٌ﴾: (كا) كثير الوزر، وجاز الفصل بين ﴿وَلَوْلَآ﴾ و﴿قُلْتُم﴾ بالظرف اتساعًا؛ لأنَّ الظروف تتنزل من الأشياء منزلة أنفسها؛ لأنها محال لها ولا تنفك عنها، المعنى: هلا قلتم إذ سمعتم الإفك: ما يجوز ﴿لَنَآ أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا سُبْحَٰنَكَ هَٰذَا بُهْتَٰنٌ﴾ كذب ﴿عَظِيمٌ﴾: (حس).

﴿ يَعِظُكُمُ ٱللَّهُ أَن تَعُودُواْ لِمِثْلِهِۦٓ أَبَدًا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧﴾ وَيُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٨﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٩﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ وَأَنَّ ٱللَّهَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٠﴾ ﴾

﴿يَعِظُكُمُ ٱللَّهُ﴾: أي ينهاكم كراهة ﴿أَن تَعُودُواْ لِمِثْلِهِۦٓ﴾: أي الخوض ﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾: (كا).

﴿حَكِيمٌ﴾: (تا).

ونزل في ابن أبيّ وأصحابه ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ﴾: تظهر ﴿ٱلْفَٰحِشَةُ﴾: أي الزنا ﴿ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا ﴾ الجلد ﴿وَٱلْآخِرَةِ﴾: (حس) النار ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ﴾: براءة عائشة وكذب الخائضين.

﴿وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾: (حس) ذلك، ونزل في مسطح ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ وَأَنَّ ٱللَّهَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾: (تا) والجواب (لعذبكم) وفي حذف الجواب وتكرير ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ زيادة مبالغة في المنة عليهم والتوبيخ لهم [ق/ ١٦١أ]، والمراد ﴿خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾ تزينه في قذف عائشة.

﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ وَمَن يَتَّبِعْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَإِنَّهُۥ يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۚ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُزَكِّى مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢١﴾ وَلَا يَأْتَلِ أُوْلُواْ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤْتُوٓاْ أُوْلِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ وَلْيَعْفُواْ وَلْيَصْفَحُوٓاْ ۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٢﴾ ﴾

﴿فَإِنَّهُۥ﴾ أي: الشأن، أو الضمير يرجع إلىٰ من ﴿يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ﴾ بالقبيح ﴿وَٱلْمُنكَرِ﴾ [(كا)][(١)] هو ما لا يعرف شرعًا ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ أيها الناس ﴿وَرَحْمَتُهُۥ﴾ لكم في الدارين ﴿مَا زَكَىٰ﴾ ما ظهر وما اهتدىٰ ﴿مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا﴾ وقرئ: (زكّىٰ) مشددًا، يوضحه ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُزَكِّى مَن يَشَآءُ﴾: (كا).

﴿عَلِيمٌ﴾: (تا).

ولمَّا حلف أبو بكر أن يقطع نفقته عن مسطح ابن خالته لخوضه في عائشة، وكان مسكينًا بدريًّا مهاجرًا نزل ﴿وَلَا يَأْتَلِ﴾[(٢)] يفتعل، وقرئ: (يتأل)، وهما من الآلية الحلف، والمعنىٰ: لا يحلف.

﴿أُوْلُواْ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ﴾ في المال ﴿أَن يُؤْتُوٓاْ أُوْلِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ

---

(١) سقط من ج، والمثبت من أ، ب.

(٢) انظر «أسباب النزول» (ص/ ٣٢٣).

وَٱلْمُهَٰجِرِينَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلْيَعْفُواْ وَلْيَصْفَحُوٓاْ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾: (كا) إذا عفوتم، فقال أبو بكر: بلىٰ، أحب أن يغفر الله لي، ورد إلىٰ مسطح نفقته ﴿وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾: (تا).

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ٱلْغَٰفِلَٰتِ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ لُعِنُواْ فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْأَخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾ يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٢٤﴾ يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ ٱللَّهُ دِينَهُمُ ٱلْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ ٱلْمُبِينُ ﴿٢٥﴾ ٱلْخَبِيثَٰتُ لِلْخَبِيثِينَ وَٱلْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَٰتِ وَٱلطَّيِّبَٰتُ لِلطَّيِّبِينَ وَٱلطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٢٦﴾﴾

ونزل في شأن قذف ابن أُبي عائشة ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ﴾ أي: العفائف عن الفواحش ﴿ٱلْغَٰفِلَٰتِ﴾ عن الاهتمام بالفاحشة، وجمع وإن أريدت عائشة وحدها؛ لأنَّ من قذف واحدة من نساء النبي ﷺ فكأنَّه قد قذفهن، قيل لابن جبير: من قذف مؤمنة يلعنه الله ﴿فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْأَخِرَةِ﴾؟ قال: ذلك لمن قذف عائشة خاصة[(١)].

ابن عباس[(٢)]: هذا فيمن قذف زوجات النبي ﷺ [ق/ ١٩٣ جـ]، ليس له توبة، ومن قذف مؤمنة فقد جعل الله له توبة.

﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ لا أحب الوقف هنا إن نصبت ﴿يَوْمَ﴾ بما في لهم من الاستقرار، وأحبه إن نصبت (يوم) بـ«اذكر» مقدرة.

القراءة: ﴿تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ﴾ مذكرًا ومؤنثًا للفصل بـ(عليهم) ﴿بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾: (حس) إن نصبت ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ بقوله: ﴿يُوَفِّيهِمُ ٱللَّهُ دِينَهُمُ ٱلْحَقَّ﴾ نصب صفة (الذين)، أي: جزاؤهم الواجب أن يجازوا عليه، وقرئ برفع «الحق» صفة «لله» تعالىٰ، المعنىٰ: [يوم القيامة يحاسبون][(٣)] ويجازون [ق/ ٢٦٩ ب] بحسناتهم أحسن جزاء أعد له.

---

(١) أخرجه الطبري في «تفسيره» (١٩/ ١٠٢)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٨/ ٢٥٥٧).
(٢) أخرجه الطبري في «تفسيره» (١٩/ ١٠٢)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٨/ ٢٥٥٧).
(٣) في جـ: تقديم وتأخير.

﴿وَيَعْلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ ٱلْمُبِينُ﴾: (تا) الذي لا شك فيه ﴿ٱلْخَبِيثَٰتُ﴾: الزناة ﴿لِلْخَبِيثِينَ﴾: للزواني وبالعكس، أو الأعمال الخبيثات تعد للخبيثين من الناس وبالعكس، أو لا يتكلم بالخبيثات إلا الخبيث من الرجال والنساء، والتكرير للتأكيد إيذانًا أن كل واحد منهما لا يصلح إلا لصاحبه.

﴿وَٱلطَّيِّبَٰتُ﴾: العفائف ﴿لِلطَّيِّبِينَ﴾: العفيفين وبالعكس، أو الأعمال الطيبات للطيبين من الناس وبالعكس، أو لا يتكلم بالكلمات الطيبات إلا الطيبون من الرجال والنساء ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ أي: الطيبون والطيبات، أو عائشة وصفوان ﴿مُبَرَّءُونَ﴾ منزهون ﴿مِمَّا يَقُولُونَ﴾ الخبيثون والخبيثات فيهم من القذف، وجُمِعَا لأنَّ أقل الجمع اثنان في أصل اللغة ﴿لَهُم مَّغْفِرَةٌ﴾ تغفر ذنوبهم ﴿وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾: (تا) الجنة.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدْخُلُواْ بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُواْ وَتُسَلِّمُواْ عَلَىٰٓ أَهْلِهَا ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٢٧﴾ فَإِن لَّمْ تَجِدُواْ فِيهَآ أَحَدًا فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّىٰ يُؤْذَنَ لَكُمْ وَإِن قِيلَ لَكُمُ ٱرْجِعُواْ فَٱرْجِعُواْ هُوَ أَزْكَىٰ لَكُمْ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٢٨﴾ لَّيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَدْخُلُواْ بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ فِيهَا مَتَٰعٌ لَّكُمْ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ ﴿٢٩﴾ قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّواْ مِنْ أَبْصَٰرِهِمْ وَيَحْفَظُواْ فُرُوجَهُمْ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾

ومعنىٰ ﴿حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُواْ﴾: تستأذنوا، وقرئ بها، وزعم بعضهم أنها القراءة وأنَّ (تستأنسوا) خطأ، وزعمه خطأ؛ لأنَّ (تستأنسوا) ثبت بالتواتر و(تستأذنوا) أخبار آحاد لا اعتماد عليها، وعنه ﷺ أنَّ الاستئناس التسبيحة والتكبيرة والتحميدة، والمعنىٰ: لا تدخلوا غير بيوتكم حتىٰ تستأذنوا ﴿وَتُسَلِّمُواْ عَلَىٰٓ أَهْلِهَا ذَٰلِكُمْ﴾ [أي:][1] الاستئذان والتسليم ﴿خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ من تركه ومن تحية الجاهلية؛ لأنَّ أحدهم كان يقول: حُييتم صباحًا، وحييتم مساءً، ثم يدخل، فربما صادف الرجل مع امرأته في ثوب واحد، فنهوا عن ذلك بهذه الآية، في الحديث: «**من سبق عينيه**

---

(١) سقط من أ، ب والمثبت من ج.

استئذانه فقد دمر»[(١)] أي: هلك، فبعضهم يحمل الآية علىٰ ظاهرها، فيقول: أأدخل؟ السلام عليكم، وأكثرهم يقول: السلام عليكم، أدخل؟ وبعضهم إن رأىٰ إنسانًا قدم السلام، وإن لم يره قدم الاستئذان ثم سلم، وحذيفة وأبو موسىٰ الأشعري يريان الاستئذان علىٰ ذوات المحارم، فإن كانوا معه في دار تنحنح وتحرك أدنىٰ حركة، قال رجل: يا رسول الله، أستأذن علىٰ أمي؟ فقال: «نعم». فقال: ليس لها خادم غيري، أأستأذن عليها؟ قال: «**أتحب أن تراها عريانة؟!**» قال: لا. قال: «**فاستأذن**»[(٢)].

والسنة الاستئذان مع السّلام بأن يقول: السلام عليكم أأدخل، ثلاثًا فإن أذن له وإلا ذهب.

﴿لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ﴾ [(تا)][(٣)].

﴿فَإِن لَّمۡ تَجِدُواْ فِيهَآ أَحَدًا﴾ له الإذن ﴿فَلَا تَدۡخُلُوهَا حَتَّىٰ يُؤۡذَنَ لَكُمۡۖ وَإِن قِيلَ لَكُمُ﴾ عند الاستئذان للدخول ﴿ٱرۡجِعُواْ فَٱرۡجِعُواْۖ﴾: ولا تلحوا في الدخول ﴿هُوَ﴾ أي: الرجوع ﴿أَزۡكَىٰ لَكُمۡۚ﴾: (كا) أطهر لقلوبكم من الريبة والدخول بغير إذن.

[وإن عرض حريق في دار أو قتل نفس بغير حق أو منكر يجب زواله، جاز الدخول بغير إذنه][(٤)] ﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ عَلِيمٞ﴾: (تا).

ونزل في الخانات والبيوت علىٰ ظهر الطريق لا ساكن فيها ﴿لَّيۡسَ عَلَيۡكُمۡ جُنَاحٌ أَن تَدۡخُلُواْ بُيُوتًا غَيۡرَ مَسۡكُونَةٖ فِيهَا مَتَٰعٞ لَّكُمۡۚ﴾: (كا) منفعة لتأووا إليها وتحفظوا أمتعتكم، أو هي جميع البيوت التي لا ساكن لها ﴿تَكۡتُمُونَ﴾: (تا).

﴿ وَقُل لِّلۡمُؤۡمِنَٰتِ يَغۡضُضۡنَ مِنۡ أَبۡصَٰرِهِنَّ وَيَحۡفَظۡنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبۡدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا

---

(١) أخرجه الطبراني في «المعجم الكبير» (٧٥٠٧) من حديث أبي أمامة رضي الله عنه.
(٢) أخرجه الطبري في «تفسيره» (١٩/ ١٤٨).
(٣) في أ، ب: (كا) والمثبت من ج.
(٤) سقط من ج، والمثبت من أ، ب.

ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ ءَابَآئِهِنَّ أَوْ ءَابَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَآئِهِنَّ أَوْ أَبْنَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ أَخَوَٰتِهِنَّ أَوْ نِسَآئِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُنَّ أَوِ ٱلتَّٰبِعِينَ غَيْرِ أُوْلِى ٱلْإِرْبَةِ مِنَ ٱلرِّجَالِ أَوِ ٱلطِّفْلِ ٱلَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُواْ عَلَىٰ عَوْرَٰتِ ٱلنِّسَآءِ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣١﴾ وَأَنكِحُواْ ٱلْأَيَٰمَىٰ مِنكُمْ وَٱلصَّٰلِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَآئِكُمْ إِن يَكُونُواْ فُقَرَآءَ يُغْنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٢﴾ ﴾

و«من» تبعيض في ﴿مِنْ أَبْصَٰرِهِمْ﴾: لأنهم إنما نهوا عن النظر إلىٰ ما لا يحل لهم، أو لبيان الجنس ﴿وَيَحْفَظُواْ فُرُوجَهُمْ﴾: عن الزنا، ولم يدخل «من» في حفظ الفروج؛ لأنَّ الزنا لا رخصة فيه بوجه ما، أو حفظها سترها عن النظر إليها.

﴿ذَٰلِكَ﴾ أي: غض البصر وحفظ الفرج ﴿أَزْكَىٰ لَهُمْ﴾: (حس) بعضهم: قل للمؤمنين يغضوا أبصار الرؤوس عن المحارم، وأبصار القلوب عما سواه، و«من» في ﴿مِنْ أَبْصَٰرِهِنَّ﴾ نحوها في ﴿مِنْ أَبْصَٰرِهِمْ﴾ ﴿وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ﴾: عن الزنا، أو ويسترنها ﴿وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ﴾: المستترة كالسوار والخلخال والقلادة لمن لا يحل له النظر إليها، ونهيه عن كشف الزينة دون مواضعها تحريض علىٰ الصون التام؛ لأنهن إذا سترن زينتهن كن لمَّا سواها أستر، ولأنَّ النظر إلىٰ الزينة منفصلة من غير ضرورة جائز إجماعًا.

﴿إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا﴾: (كا) من الزينة التي لا تستر غالبًا كالثياب، قالوا: فما كان من الزينة الظاهرة المتصلة جاز للأجنبي النظر إليها ما لم يخف فتنة أو ميلًا، فإن خاف لزمه غض البصر، والأولىٰ عدم النظر بكل حال، وسومح في النظر إلىٰ الزينة الظاهرة؛ لأنَّ الاحتراز عن إظهارها والنظر إليها خرج، ونزل أمرًا بستر الصدور، فقيل: ﴿وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ﴾ جمع خمار، وهو ما يستتر به كنقاب ومقنعة ﴿عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ﴾: (حس) صدورهن ﴿وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ﴾: التي أمرن بسترها فلا يضعن خمرهن ﴿إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ﴾ أي: أزواجهن إلىٰ ﴿أَوْ بَنِىٓ أَخَوَٰتِهِنَّ﴾: فيجوز

لجميع المذكورين قبل من النسب أو اللبن النظر إلىٰ الزينة الباطنة، ولا ينظرون إلىٰ ما بين السرة والركبة إلا الزوج، فيكره له النظر إلىٰ ذات الفرج.

﴿أَوْ نِسَآئِهِنَّ﴾: أي المسلمات، فيجوز للمسلمة النظر إلىٰ المرأة المسلمة سوىٰ ما بين السرة والركبة، ولا يجوز للمسلمة أن تنكشف للكافرة؛ لأنها ليست من نسائنا، وكتب عمر إلىٰ أبىٰ عبيدة أن يمنع الكتابيات من دخول الحمامات مع المسلمات، فلا يجوز للمسلمة كشف بدنها للمشركة إلا أن تكون أمة لها، وجوز ذلك بعضهم، قال: لأنهن من جملة النساء.

﴿أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُهُنَّ﴾: من العبيد إذا كان عفيفًا، فيجوز له النظر إلىٰ [بدن][1] مولاته سوىٰ ما بين السرة والركبة لظاهر الآية، وابن المسيب لا يجيز ذلك خصيًّا كان أو فحلًا، ويقول: المراد من الآية الإماء دون العبيد.

القراءة بنصب ﴿غَيْرِ﴾ استثناء أو حال، وبجرها صفة للتابعين، أو بدل منه، والإرب والإربة الحاجة، ومحل ﴿مِنَ ٱلرِّجَالِ﴾: حال، والمعنىٰ: غير ذوي الحاجة إلىٰ النساء، وهو من لا ينشر عليه ولا يطيق غشيانهن [ولا يشتهيهن][2] ولا يشتهينه.

﴿أَوِ ٱلطِّفْلِ﴾: أي الأطفال، بدليل وصفه بـ«الذين» ﴿لَمْ يَظْهَرُوا۟﴾: لم يطلعوا ﴿عَلَىٰ عَوْرَٰتِ ٱلنِّسَآءِ﴾: أو لم يعرفوا العورة من غيرها، وقرئ بفتح واو ﴿عَوَرَٰتِ﴾، ونزل نهيًا عن الإعلام بالخلخال ﴿وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ﴾: (حس).

القراءة: ﴿أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾: و﴿أَيُّهَ ٱلثَّقَلَانِ﴾ [الرحمن:٣١] و﴿يَـٰٓأَيُّهَ ٱلسَّاحِرُ﴾ [الزخرف:٤٩] بضم الهاء اتباعًا للضمة قبلها بعد حذف الألف للساكنين، وبفتحها للدلالة علىٰ الألف المحذوفة وصلًا، والوقف عليها بغير ألف للوصل، وبألف

---

(١) سقط من أ، ب والمثبت من ج.

(٢) سقط من ج والمثبت من أ، ب.

علىٰ الأصل، المعنىٰ: أيها المؤمنون، توبوا إلىٰ الله جميعًا.

﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾: (حس) فبعد الأمر بصد النفس عن إرادتها أمر بما فيه صيانتها ولذتها، فقال: ﴿وَأَنكِحُواْ﴾: أي زَوِّجوا ﴿ٱلْأَيَـٰمَىٰ﴾: جمع أيم، وأصله أيايم [فغلبت](١)، وهو من لا زوج له من الرجال والنساء، بكرًا كان أو ثيبًا.

﴿وَٱلصَّـٰلِحِينَ﴾: أي الخيّرين أو المؤمنين ﴿مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَآئِكُمْ﴾: (كا) وهذا أمر ندب، في الحديث: [ق/ ٢٧٠ب] «**من أحبَّ فطرتي فليستنَّ بسنتي، ومن سُنَّتي النِّكاح**»(٢). ومن لا تتوق نفسه إليه فالأولىٰ به التخلِّي للعبادة عند الشافعي، وعند أبي حنيفة النكاح أفضل، بعضهم: ربما كان واجب الترك إذا أدىٰ إلىٰ معصية أو مفسدة، عنه ﷺ: «**إذا أتىٰ علىٰ أمتي مائة وثمانون سنة فقد حلَّت لهم العِزْبة والعُزلة والترهُّبُ علىٰ رؤوس الجبال**»(٣)، وعنه ﷺ: «**يأتي علىٰ الناس زمانٌ لا تنالُ فيه المعيشةُ إلا بالمعصية، فإذا كان ذلك الزمان حلَّت العزوبة**»(٤).

---

(١) في أ، ب: فقلب، والمثبت من ج.

(٢) أخرجه أبو يعلىٰ (٢٧٤٨)، وعبد الرزاق في «مصنفه» (١٠٣٧٨)، والبيهقي في «السنن الكبرىٰ» (١٣٢٢٩) من حديث عبيد بن سعد.

(٣) قال الزيلعي: رواه علي بن معبد في كتابه المعروف بالطاعة والمعصية.
«تخريج أحاديث الكشاف» (٢/ ٤٤١).

(٤) **قال الزيلعي**: رواه الخطابي في كتاب العزلة حدثنا أحمد بن سليمان النجاد، حدثنا محمد ابن يونس الكديمي، حدثنا محمد بن منصور الجشمي، حدثنا سليم بن سالم، حدثنا السري بن يحيىٰ، عن الحسن، عن أبي الأحوص، عن عبد الله بن مسعود، عن النبي ﷺ قال: «**يأتي علىٰ الناس زمان لا يسلم لذي دين دينه إلا من فر بدينه من شاهق إلىٰ شاهق ومن حجر إلىٰ حجر فإذا كان ذلك لم تنل المعيشة إلا بمعصية الله، فإذا كان ذلك حلت العزبة**» قال: وكيف تحل العزبة يا رسول الله وأنت تأمر بالتزويج؟ قال: «**إذا كان ذلك كان هلاك الرجل علىٰ أيدي أبويه، فإن لم يكن له أبوان كان هلاكه علىٰ يدي زوجته، فإن لم تكن له زوجة كان هلاكه علىٰ يدي ولده، فإن لم يكن له ولد كان هلاكه علىٰ يدي القرابات والجيران**» قالوا: وكيف ذلك يا رسول الله؟ قال: «**يعيرونه بضيق المعيشة ويكلفونه ما لا يطيق فعند ذلك يورد نفسه الموارد التي يهلك فيها**». =

و في قوله: ﴿إِن يَكُونُواْ فُقَرَآءَ يُغْنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ﴾: (كا) دليل على أنَّ للعبد ملكًا.

﴿وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾: (حس).

﴿وَلْيَسْتَعْفِفِ ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّىٰ يُغْنِيَهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَٱلَّذِينَ يَبْتَغُونَ ٱلْكِتَٰبَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا وَءَاتُوهُم مِّن مَّالِ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ ءَاتَىٰكُمْ وَلَا تُكْرِهُواْ فَتَيَٰتِكُمْ عَلَى ٱلْبِغَآءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا لِّتَبْتَغُواْ عَرَضَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَمَن يُكْرِههُّنَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ مِنۢ بَعْدِ إِكْرَٰهِهِنَّ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٣﴾ وَلَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ ءَايَٰتٍ مُّبَيِّنَٰتٍ وَمَثَلًا مِّنَ ٱلَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلِكُمْ وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٣٤﴾﴾

﴿وَلْيَسْتَعْفِفِ﴾ ليطلب العفة عن الزنا ﴿ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا﴾ قدرة على النكاح، أو ما يتزوجون به من مهر ونفقة ﴿حَتَّىٰ يُغْنِيَهُمُ ٱللَّهُ﴾: يوسع عليهم.

﴿مِن فَضْلِهِۦ﴾: (تا) قال ﷺ: «**يا معشرَ الشبابِ، من استطاع منكم الباءةَ فليتزوجْ؛ فإنَّه أغضُّ للبصرِ وأحصنُ للفرجِ، ومن لم يستطعْ فعليه بالصومِ؛ فإنَّه له وجاء**»(١).

﴿وَٱلَّذِينَ يَبْتَغُونَ﴾ مبتدأ، أو نصب بفعل يفسره (فكاتبوهم)، ودخلت الفاء لمعنى الشرط، والكتاب والمكاتبة واحد، وهو أن يقول لمملوكه: كاتبتك على كذا - لمال معلوم- تؤدي ذلك في نجمين أو أكثر، مؤجلًا عند الشافعي، ولا يجيزه حالًا ولا على نجم واحد، وجوزه أبو حنيفة منجَّمًا وغير منجَّم وحالًا ومؤجلًا، فإذا أديت إليَّ ذلك فأنت [حر](٢) ويقبل العبد.

= ورواه علي بن معبد أيضا في كتاب الطاعة والمعصية حدثنا عبد الله بن المبارك، عن مبارك ابن فضالة عن الحسن قال: قال رسول الله ﷺ: «**يأتي على الناس زمان**» إلى آخره سواء وهو مرسل.

«تخريج أحاديث الكشاف» (٢/ ٤٤٣).

(١) أخرجه البخاري (١٨٠٦)، ومسلم (١٤٠٠) من حديث ابن مسعود رضي الله عنه.

(٢) سقط من ج، والمثبت من أ، ب.

وتلخيصه: كتبت عليك الوفاء بالمال، وكتبت عليَّ العتق عند أدائه، فإذا أدىٰ المال عتق وملك كسبه، ويتبعه أولاده الحاصلة في حال الكتابة في العتق، وولاؤه لمولاه؛ لأنَّه جاد عليه بالكسب الذي هو له في الأصل، فإن عجز فلمولاه فسخ الكتابة ورده إلىٰ الرق، المعنىٰ: إذا طلب عبيدكم منكم الكتابة علىٰ قدر القيامة أو أكثر.

﴿فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا﴾: صدقًا وأداء أمانة، وهذا أمر ندب عند [ق/ ١٩٤ جـ] أكثرهم ﴿وَءَاتُوهُم مِّن مَّالِ ٱللَّهِ ٱلَّذِيٓ ءَاتَىٰكُمْ﴾: (تا) وهذا أمر وجوب عند بعض واستحباب عند بعض، ونزل نهيًا عن إكراه الإماء علىٰ الزنا ﴿وَلَا تُكْرِهُواْ فَتَيَٰتِكُمْ عَلَى ٱلْبِغَآءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا﴾: أي طلبن امتناعًا عن الزنا، و«إن» هنا بمعنىٰ «إذ»؛ لأنَّه لا يجوز إكراههن علىٰ الزنا إن لم يردن التحصن، أو هو شرط مقحم؛ لأنَّ ذكر الإكراه يدل عليه؛ لأنهن لا يكرهن إلا عند إرادة التحصن، وفائدة إقحامه المبالغة في النهي عن الإكراه، المعنىٰ: إذا أردن العفة فالمولىٰ أحق بإرادة ذلك، وبعضهم يختار الوقف علىٰ البغاء، ثم يبتدئ بالشرط مقدرًا له جوابًا تقديره: إن أردن تحصنًا فقد أصبن، كقوله ﷺ لعائشة في بعض الروايات: «**ناوليني الخمرة**»، فقالت [ق/ ١٦٢أ]: إني حائض، فقال: «**وإن لم يرد علي وإن يريد وإن كنت حائضًا فلا بأس**» (١)، أو تقدير الآية: وأنكحوا الأيامىٰ منكم إن أردن تحصنًا ولا تكرهوا فتياتكم علىٰ البغاء.

﴿لِّتَبْتَغُواْ عَرَضَ﴾: أي أموال ﴿ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾: (حس) بكسبهن وبيع أولادهن ﴿وَمَن يُكْرِههُّنَّ﴾: علىٰ الزنا ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ مِنۢ بَعْدِ إِكْرَٰهِهِنَّ غَفُورٌ﴾: لهن، أو لهم، أو لهم ولهن ﴿رَّحِيمٌ﴾: (تا) **وقرئ**: (لهن غفور رحيم)، والمغفرة هنا عدم الإثم؛ لأنها لا إثم عليها إذا أكرهت علىٰ الزنا بقتل أو ضرب مفض إلىٰ التلف أو تلف العضو، وأما الرجل فلا يحل له الزنا وإن أكره عليه؛ لأنَّ الفعل من جهته ولا يتأتىٰ

(١) أخرجه مسلم(٢٩٨)، بلفظ : «**فقال: إن حيضتك ليست في يدك**».

إلا برغبة منه فيه، فكان كالقتل بغير حق لا يبيحه الإكراه بحال، ومعنىٰ ﴿ءَايَـٰتٍ مُّبَيِّنَـٰتٍ﴾: مفصلات بالحلال والحرام، أو هي مبينات الحلال والحرام علىٰ القراءتين، والمعنىٰ: أنزلنا في الآيات الحدود والأحكام.

﴿وَمَثَلًا﴾: من أمثال ﴿ٱلَّذِينَ خَلَوۡاْ﴾: مضوا ﴿مِن قَبۡلِكُمۡ﴾: وقصصهم كقصة يوسف ومريم وعائشة.

﴿وَمَوۡعِظَةً لِّلۡمُتَّقِينَ﴾: (حس).

تلخيصه: أخبرناكم بحالهم لتتعظوا بهم.

﴿ ۞ ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشۡكَوٰةٖ فِيهَا مِصۡبَاحٌۖ ٱلۡمِصۡبَاحُ فِي زُجَاجَةٍۖ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوۡكَبٞ دُرِّيّٞ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٖ مُّبَٰرَكَةٖ زَيۡتُونَةٖ لَّا شَرۡقِيَّةٖ وَلَا غَرۡبِيَّةٖ يَكَادُ زَيۡتُهَا يُضِيٓءُ وَلَوۡ لَمۡ تَمۡسَسۡهُ نَارٞۚ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٖۚ يَهۡدِي ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَيَضۡرِبُ ٱللَّهُ ٱلۡأَمۡثَٰلَ لِلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ﴿٣٥﴾ فِي بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرۡفَعَ وَيُذۡكَرَ فِيهَا ٱسۡمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلۡغُدُوِّ وَٱلۡأٓصَالِ ﴿٣٦﴾ ﴾

﴿ٱللَّهُ نُورُ﴾: أي صاحب نور ﴿ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ ﴾: (حس) ونورهما الشمس والقمر، أو نورهما الحق، شُبّه لظهوره فيهما بالنور، كقوله: ﴿يُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾، فالمعنىٰ: هو هاد من فيهما بنوره.

وقرئ بتشديد الواو وكسر التاء ونصب الأرض ﴿مَثَلُ نُورِهِۦ﴾ أي: صفة نور الله تعالىٰ في قلب المؤمن، أو نور محمد، أو القرآن، وقرئ: (مثل نور المؤمن).

﴿كَمِشۡكَوٰةٖ﴾: هي الفرضة في الجدار غير نافذة، فإن كانت نافذة فهي كوة ﴿فيهَا مِصۡبَاحٌۖ﴾: (حس) سراج صفة (مشكاة)، والمعنىٰ: مثل مصباح في مشكاة، أو المشكاة القنديل والمصباح موضع الفتيلة منه، [أو المشكاة الأنبوب في القنديل والمصباح الفتيلة][1] ﴿ٱلۡمِصۡبَاحُ فِي زُجَاجَةٍۖ﴾: (حس) في قنديل؛ لأنَّ الضوء في الزجاج أظهر، ثم شبه القنديل بالكوكب فقال: ﴿ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوۡكَبٞ

(١) سقط من أ، ب والمثبت من ج.

دُرِّيٌّ﴾: مضيء، القراءة بضم الدال وتشديد الياء بلا مد ولا همز نسب الكوكب إلىٰ الدر لفرط ضيائه، فوزنه فعلي، وكذلك مع مده وهمزه من الدر الدفع؛ لأنَّ الكوكب يدفع الظلام بضيائه، [فوزنه][1] فعيل، ومثله في الصفات السرية والعلية، وكذلك مع كسر الدال وزن فسيق، وقرئ بفتح الدال وكسر الراء وتشديد الياء كرغيف، **القراءة**: ﴿يُوقَدُ﴾: بفتح التاء والواو والدال مع التشديد، أي: توقد المصباح وبضم التاء والدال مع التخفيف مجهول مستقبل، أي: توقد الزجاجة، وبياء مضمومة وضم الدال مع التخفيف مجهول مستقبل أيضًا، [أي:][2] يوقد المصباح.

وقرئ كذلك مع التشديد مبالغة، المعنىٰ: ابتداء توقد المصباح، أو الزجاجة ﴿مِن شَجَرَةٍ﴾: أي زيت شجرة ﴿مُّبَٰرَكَةٍ﴾: كثيرة النفع؛ لأنَّ دهنها الزيت، فهو إدام وفاكهة ومصحة من الباسور ﴿زَيْتُونَةٍ﴾: بدل من ﴿شَجَرَةٍ﴾ نعتها ﴿لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ﴾: لأنها بين الشجر لا تصيبها الشمس، فهي ناعمة غضة، أو هي بارزة تصيبها الشمس عند طلوعها وغروبها، ونحوه: فلان ليس بأبيض ولا أسود، أي: لم يخلص له أحد الوصفين، ويجوز أنها في خط الاستواء بين الشرق والغرب، فلا توصف بأحدهما، فلا يتمكن منها حر ولا برد مضرين، الحسن: هي مثل وليست بشجرة، لأنها لو كانت [شجرة لكانت][3] شرقية أو غربية، ثم تصف الزيتونة بجملة، قوله: ﴿يَكَادُ زَيْتُهَا﴾: لصفائه ﴿يُضِيٓءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ﴾: (حس) فكأنَّه لفرط ضيائه ﴿نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ﴾: (حس) يعني: نور المصباح علىٰ نور الزجاجة، أو نور النار ونور الزيت ونور الزجاجة، وفائدة جعل المصباح في زجاجة والزجاجة في كوة غير نافذة شدة الإضاءة؛ لأنَّ المكان كلما تضايق كان أجمع للضوء،

(١) سقط من أ، ب والمثبت من ج.
(٢) سقط من ج والمثبت من أ، ب.
(٣) سقط من ج والمثبت من أ، ب.

بخلاف الواسع فالضوء ينتشر فيه، وخص الزجاج لأنَّه أحكىٰ الجواهر لما فيه، وهذا تمثيل للنبي ﷺ فـ(المشكاة) صدره، و(الزجاجة) قلبه، و(المصباح) النبوة فيه، و(من شجرة مباركة) شجرة النبوة، (يكاد زيتها يضيء) [ق/ ٢٧١ب] يكاد أمر محمد يتبين للناس أنَّه نبي ولو لم يتكلم كما يكاد ذلك الزيت [يضيء](١) ولو لم تمسه نار، أو (المشكاة) محمد ﷺ و(الزجاجة) قلبه، و(المصباح) النور الذي جعل فيه، و(لا شرقية ولا غربية) ليس بيهودي ولا نصراني، و(من شجرة مباركة) إبراهيم، و(نور علىٰ نور) نور قلب إبراهيم علىٰ نور قلب محمد عليهما الصلاة والسلام، أو (المشكاة) إبراهيم، و(الزجاجة) إسماعيل، و(المصباح) محمد ﷺ و(الشجرة المباركة) إبراهيم؛ لأنَّ أكثر الأنبياء من صلبه، و(لا شرقية ولا غربية) لم يكن إبراهيم يهوديًا ولا نصرانيًا، (يكاد زيتها يضيء) [تكاد](٢) محاسن محمد تظهر للناس قبل أن أوحي إليه، (نور علىٰ نور)، أي: نور محمد علىٰ نور إبراهيم، أو مثل للقرآن فـ(المصباح) القرآن، و(الزجاجة) قلب المؤمن، و(المشكاة) فمه ولسانه، و(الشجرة المباركة) شجرة الوحي، (يكاد زيتها يضيء) تكاد حجة القرآن تظهر وإن لم يُقرأ، (نور علىٰ نور) [نور](٣) من الله علىٰ خلقه مع ما آتاهم من الدلائل قبل نزول القرآن، فازدادوا بذلك نورًا.

﴿يَهۡدِى ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ﴾: لدين الإسلام، أو نور البصيرة ﴿مَن يَشَآءُۚ﴾: (حس) ﴿وَيَضۡرِبُ ٱللَّهُ﴾: أي يبين ﴿ٱلۡأَمۡثَٰلَ لِلنَّاسِۗ﴾: (حس) منة عليهم وتقريبًا إلىٰ أفهامهم ليعتبروا فيؤمنوا ﴿وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىۡءٍ عَلِيمٌ﴾: (تا) قالوا ولا أحبه؛ لأنَّ ﴿فِى بُيُوتٍ﴾ متعلق بـ(مشكاة)، أي: كمشكاة في بيوت، أو بـ(مصباح)، أي: كمشكاة فيها مصباح، المصباح في بيوت، أو بـ(توقد)، أي: توقد في بيوت، و[لا](٤) أحبه إن

(١) سقط من ج، والمثبت من أ، ب.
(٢) سقط من ج، والمثبت من أ، ب.
(٣) سقط من ج، والمثبت من أ، ب.
(٤) سقط من أ، ب، والمثبت من ج.

علقتها بـ(يسبح) بعد، أي: يسبح في بيوت، ولا يجوز أن يتعلق بـ(يذكر)؛ لأنَّه معطوف على (ترفع) وهو في صلة «أن» ولا يعمل فيما قبله، والمراد بـ(بيوت) ﴿أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرۡفَعَ﴾: أي تعظم، أو تبنىٰ المساجد، ابن عباس[1]: المساجد بيوت الله في الأرض، تضيء لأهل السماء كما تضيء النجوم لأهل الأرض، وهي أربعة بناها الأنبياء: مكة بناها إبراهيم، والمقدس بناه سليمان بن داود، ومسجد المدينة ومسجد قباء بناهما محمد عليه وعليهم الصلاة والسّلام أجمعين.

﴿وَيُذۡكَرَ فِيهَا ٱسۡمُهُۥ﴾: توحيده، أو يتلىٰ فيها كتابه، يكفي الوقف هنا إن استأنفت ولم تعلق (في بيوت) بقوله: ﴿يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلۡغُدُوِّ وَٱلۡأٓصَالِ﴾: بالبكر والعشايا، أو التسبيح هنا الصلوات المفروضة، فالمراد بـ(الغدو) صلاة الصبح، وبـ(الآصال) صلاة الظهر والعصر والعشاءان؛ لأنَّ الأصل يجمعها، أو المراد بـ(الغدو) صلاة الضحىٰ، وبـ(الآصال) صلاة العصر، وقرئ: (والإيصال) مصدر آصل يوأصل دخل في الأصل، **القراءة**: (يُسبَّح) بفتح الباء مجهولًا القائم مقام الفاعل له، فيحسن الوقف هنا؛ لأنك تضمر فعلًا، كأنه لمَّا قيل: (يسبح له)، قيل: من يسبحه؟ قيل: يسبحه رجال، ولا يجوز الوقف علىٰ القراءة أيضًا بكسر الباء معلومًا؛ لأنَّ الفاعل

﴿رِجَالٞ لَّا تُلۡهِيهِمۡ تِجَٰرَةٞ وَلَا بَيۡعٌ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ يَخَافُونَ يَوۡمٗا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلۡقُلُوبُ وَٱلۡأَبۡصَٰرُ ٣٧ لِيَجۡزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحۡسَنَ مَا عَمِلُواْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضۡلِهِۦۗ وَٱللَّهُ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيۡرِ حِسَابٖ ٣٨ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَعۡمَٰلُهُمۡ كَسَرَابِۭ بِقِيعَةٖ يَحۡسَبُهُ ٱلظَّمۡـَٔانُ مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمۡ يَجِدۡهُ شَيۡـٔٗا وَوَجَدَ ٱللَّهَ عِندَهُۥ فَوَفَّىٰهُ حِسَابَهُۥۗ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ ٣٩ أَوۡ كَظُلُمَٰتٖ فِي بَحۡرٖ لُّجِّيّٖ يَغۡشَىٰهُ مَوۡجٞ مِّن فَوۡقِهِۦ مَوۡجٞ مِّن فَوۡقِهِۦ سَحَابٞۚ ظُلُمَٰتُۢ بَعۡضُهَا فَوۡقَ بَعۡضٍ إِذَآ أَخۡرَجَ يَدَهُۥ لَمۡ يَكَدۡ يَرَىٰهَاۗ وَمَن لَّمۡ يَجۡعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورٗا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ ٤٠﴾

﴿رِجَالٞ لَّا تُلۡهِيهِمۡ تِجَٰرَةٞ﴾: هي صنعة التاجر من بيع وشراء، أو التجارة الشراء؛

---

(١) انظر «الكشف والبيان» للثعلبي (٧/ ١٠٧)، و«تفسير البغوي» (٦/ ٤٩).

لأنَّ بعده ﴿وَلَا بَيْعٌ﴾.

الفراء[1]: التجارة لأهل الجلب والبيع ما باعه الرجل علىٰ يديه، أو خص البيع بالذكر؛ لأنَّه أوغل في الإلهاء من الشري خصوصًا عند معاينة الغبطة؛ لأنَّ الكسب ثمَّ متحقق، وفي الشري مظنون، تلخيصه: لا يشتغلون بشيء.

﴿عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾: عن الصلاة المكتوبة ﴿وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ﴾: أي لا يشتغلون عن إقامة الصلاة لوقتها وإعطاء الزكاة لمستحقيها عند وجوبها؛ لأنَّ مؤخر الصلاة عن وقتها لا يكون مقيمًا لها، تقف هنا إن استأنفت ﴿يَخَافُونَ يَوْمًا﴾ هو يوم القيامة.

﴿تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَٰرُ﴾: وإن جعلت (يخافون) الجملة صفة لـ(رجال) فلا وقف علىٰ (الزكاة)، و«تقلبها» تنقلها عن أماكنها لهول ذلك اليوم، نحو: ﴿وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ﴾، و﴿زَاغَتِ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾، أو هو تنقل القلوب عن الشرك، فالمؤمنون يزدادون إيمانًا والمشركون يصدقون بالبعث ثَمَّ، أو تقلبها تنقلها بعد الكحل إلىٰ الزرقة وبعد النظر إلىٰ العمىٰ، يتم الوقف هنا إن جعلت اللام [في][2] ﴿لِيَجْزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا۟﴾ [ق/ ١٩٥ جـ] ثواب حسناتهم لام قسم عند أبي حاتم، ولا يجوز إن جُعِلتْ «لام كي»؛ لأنَّ المعنىٰ: كان تسبيحهم وخوفهم ليثيبهم ﴿وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦ﴾: (كا).

﴿بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾: (تا).

والكافرون ﴿أَعْمَٰلُهُمْ كَسَرَابٍۭ﴾: هو ما يخيل للإنسان أنَّه ماء جار، أو الآل ما يخيل أول النهار، والسراب وسطه، والرقراق آخره ﴿بِقِيعَةٍ﴾: [بقاعٍ][3] وهو المنبسط من الأرض صفة سراب، وياؤه بدل من واو لقولهم: أقواع.

(١) «معاني القرآن» (١/ ١٤).

(٢) سقط من ج، والمثبت من أ، ب.

(٣) سقط من ج، والمثبت من أ، ب.

وقرئ: (قيعات) جمع قيعة كديمات، وبعضهم جعله اسمًا مفردًا كعزهات، وصفة سراب أيضًا ﴿يَحْسَبُهُ ٱلظَّمْـَٔانُ مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ﴾: جاء ما غلب علىٰ ظنه أنَّه ماء ﴿لَمْ يَجِدْهُ شَيْـًٔا﴾ مصدر، أو (شيئًا) بمعنىٰ ماء، فيزداد عطشًا، فكذلك الكافر يحسب أن عمله ينفعه، فعند الموت والبعث لم يغن عنه غنىً ما، فيزداد انقطاعًا ﴿وَوَجَدَ ٱللَّهَ﴾: أي قدرته أو أمَانَهُ ﴿عِندَهُۥ فَوَفَّىٰهُ حِسَابَهُۥ﴾: (حس) جزاء كفره فألقي في النار، تلخيصه: المؤمنون يثابون والكافرون يعاقبون.

﴿وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾: لا أحب الوقف هنا لعطفك علىٰ (كسراب).

﴿أَوْ كَظُلُمَٰتٍ﴾: أي كأعمال ذي ظلمات، فتشبه أعمال الكفار بأعمال أصحاب الظلمات، و«أو» هنا كـ«أو» في ﴿أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ [البقرة:١٩].

﴿فِى بَحْرٍ لُّجِّىٍّ﴾: عميق منسوب إلىٰ اللج، أي: ذو لج، وهو معظم الماء ﴿يَغْشَىٰهُ﴾ يعلو البحر ﴿مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ﴾: فوق [الموج][(١)] ﴿مَوْجٌ﴾: آخر؛ لأنَّ الموج يركب بعضه بعضًا لكثرته.

القراءة: ﴿مِّن فَوْقِهِۦ﴾ فوق الموج ﴿سَحَابٌ﴾: رفعًا منونًا مبتدأ خبره (من فوقه)، وخفض ﴿ظُلُمَٰتٌ﴾ بدلًا من (كظلمات)، وكذلك مع حذف التنوين وجر (ظلمات) إضافة، وبرفعهما معًا منونين فـ(ظلمات) خبر مبتدأ محذوف، فشبهت أعمال الكفار واغترارهم بها بسراب يغتر به من طلبه، ثم شبهت لسوادها لكفرهم بظلمات ﴿بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ﴾: (كا) والمراد: ظلمة الموج علىٰ ظلمة البحر، وظلمة الموج علىٰ الموج، وظلمة السحاب علىٰ الموج، فشبه عمل الكافر بالظلمات، وقلبه بالبحر، وما يغشىٰ قلبه من الشرك بالموج، والختم علىٰ قلبه بالسحاب، فكلامه ظلمة وعمله ظلمة وقلبه وجميع أحواله ظلمة، ومصيره إلىٰ جهنم ﴿لَمْ يَكَدْ يَرَىٰهَا﴾: (تا) [لم][(٢)] يقارب رؤيتها عند أكثرهم؛ لأنَّ «كاد» هنا

(١) في ج: البحر، والمثبت من أ، ب.

(٢) سقط من ج، والمثبت من أ، ب.

بمعنىٰ «قرب»، فقد نفىٰ [القرب، فهو لنفي][(١)] الرؤية أنفىٰ، ونحوه بيت ذي الرمّة[(٢)]:

إذا غيَّر النأيُ المحبّين لم يَكَدْ رسيسُ الهوىٰ مِنْ حُبِّ ميّةَ يبرحُ

أي: لم يقارب البراح، روي أنَّه روجع في هذا [ق/ ٢٧٢ب] البيت، فقال: لا أجد غير يكد، وأصل كاد القرب، أو «كاد» زائدة كقولهم: أولئك أصحابي الذين لا أكاد أنزل عليهم، أي: لا أنزل، ويجوز أن في «كاد» معنىٰ النفي، فلذلك إذا دخل عليها نفىٰ وقع الفعل؛ لأنَّ نفي النفي إيجاب، وإذا لم يدخل لم يقع، هذا المشهور، فعلىٰ هذا قد رآها بعد بطء لشدة الظلمة عند بعضهم.

﴿وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا﴾ هداية وإيمانًا في الدنيا ﴿فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ﴾: (تا) هداية في الآخرة إلىٰ الجنة، أو المعنىٰ: من لم يهده الله تعالىٰ لم يهتد، نزلت هذه الآية في جميع الكفار، أو في عتبة بن ربيعة بن أمية كان يطلب الدين ويتعبد ويلبس [ق/ ١٦٣أ] المسوح، فلمَّا جاء الإسلام كفر.

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلطَّيْرُ صَٰٓفَّٰتٍ ۖ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُۥ وَتَسْبِيحَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٤١﴾ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿٤٢﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُزْجِى سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُۥ ثُمَّ يَجْعَلُهُۥ رُكَامًا فَتَرَى ٱلْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَٰلِهِۦ وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن جِبَالٍ فِيهَا مِنۢ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ وَيَصْرِفُهُۥ عَن مَّن يَشَآءُ ۖ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِۦ يَذْهَبُ بِٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٤٣﴾ يُقَلِّبُ ٱللَّهُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُو۟لِى ٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٤٤﴾﴾

القراءة: ﴿وَٱلطَّيْرُ﴾ رفعًا عطفًا علىٰ (من)، وقرئ بنصبها ﴿صَٰٓفَّٰتٍ﴾ حال من (الطير)، أي: باسطات أجنحتهن في الهواء يصفقن بهن، قالوا: هذا تسبيحها، ويجوز أنَّ لها تسبيحًا حقيقة يعلمه الله تعالىٰ ومن يشاء من عباده ﴿كُلٌّ﴾ من المسبحين والمصلين، ﴿قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُۥ وَتَسْبِيحَهُۥ﴾: (كا) المعنىٰ: كل مكلف

---

(١) سقط من ج، والمثبت من أ، ب.

(٢) «ديوانه» (ص/ ٧٦).

علم عبادته، أو الصلاة الدعاء، فيجوز أن الطير تعلم دعاءها وتسبيحها كعلمها بمصالحها، يوضحه ما قرئ: (عُلِّم) مشددًا، أي: عُرِّف، أو الضمير في علم الله تعالىٰ.

﴿وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِمَا يَفۡعَلُونَ﴾: (تا).

﴿ٱلۡمَصِيرُ﴾: (تا).

﴿يُزۡجِي﴾ يدفع [وسمي][1] ﴿سَحَابٗا﴾: أي غيمًا لانسحابه في الهواء ﴿ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيۡنَهُۥ﴾: بين أجزاء الغيم، فيجعله شيئًا واحدًا بعد أن كان قطعًا ﴿ثُمَّ يَجۡعَلُهُۥ رُكَامٗا﴾: متراكمًا بعضه فوق بعض، ﴿فَتَرَى ٱلۡوَدۡقَ﴾ [المطر][2] ﴿يَخۡرُجُ مِنۡ خِلَٰلِهِۦ﴾: فتوقه، وقرئ: (خلله)، و(من) الأولىٰ لابتداء الغاية، والثانية تبعيض، والثالثة بيان أو زائدة في ﴿وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن جِبَالٖ فِيهَا مِنۢ بَرَدٖ﴾؛ لأنَّه يجوز أنَّ ثَمَّ جبالًا غير البرد، فمفعول (ينزل) علىٰ هذا (من جبال)، وعلىٰ تقدير الزيادة (من برد)، أو الأولىٰ ابتداء غاية، والثانية بدل منها، والثالثة تبعيض، قالوا: في السماء جبال [من][3] برد كما في الأرض جبال حجر، وعن ابن عباس: إن في السماء جبالًا من برد، أو الثانية زائدة، والهاء للأرض، و«في» بمعنىٰ «علىٰ»؛ لأنَّ الإنزال علىٰ الأرض يكون غالبًا، تقديره: ينزل من السماء برد كالجبال علىٰ الأرض، يراد به الكثرة، وقد يراد بالسماء السحاب.

﴿فيصِيبُ بِهِۦ﴾ فيهلك بالبرد ﴿مَن يَشَآءُ﴾ إهلاك ماله ﴿وَيَصۡرِفُهُۥ عَن مَّن يَشَآءُۖ﴾: (كا) فلا يضره ﴿يَكَادُ سَنَا﴾ ضوء ﴿بَرۡقِهِۦ﴾ وقرئ بضم الباء وفتح الراء جمع بُرقةٍ كغرفة، وهو المقدار من البرق، وبرقه بضمتين اتباعًا ﴿يَذۡهَبُ بِٱلۡأَبۡصَٰرِ﴾: (تا) يختطفها، وقرئ: (يُذْهِب) من أذهب، فالباء زائدة، ومعنىٰ

---

(١) سقط من أ، ب، والمثبت من ج.
(٢) سقط من ج، والمثبت من أ، ب.
(٣) سقط من أ، ب، والمثبت من ج.

﴿يُقَلِّبُ ٱللَّهُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَۚ﴾: (تا) يذهب بأحدهما ويجيء بالآخر، وينقص من أحدهما ويزيد في الآخر ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ﴾: التقليب ﴿لَعِبۡرَةٗ لِّأُوْلِي ٱلۡأَبۡصَٰرِ﴾: (تا) لأصحاب الاعتبار.

﴿وَٱللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَآبَّةٖ مِّن مَّآءٖۖ فَمِنۡهُم مَّن يَمۡشِي عَلَىٰ بَطۡنِهِۦ وَمِنۡهُم مَّن يَمۡشِي عَلَىٰ رِجۡلَيۡنِ وَمِنۡهُم مَّن يَمۡشِي عَلَىٰٓ أَرۡبَعٖۚ يَخۡلُقُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴿٤٥﴾ لَّقَدۡ أَنزَلۡنَآ ءَايَٰتٖ مُّبَيِّنَٰتٖۚ وَٱللَّهُ يَهۡدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴿٤٦﴾ وَيَقُولُونَ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلرَّسُولِ وَأَطَعۡنَا ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٞ مِّنۡهُم مِّنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَۚ وَمَآ أُوْلَٰٓئِكَ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٤٧﴾ وَإِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحۡكُمَ بَيۡنَهُمۡ إِذَا فَرِيقٞ مِّنۡهُم مُّعۡرِضُونَ ﴿٤٨﴾﴾

القراءة: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَ﴾: رفعًا مبتدأ وخبر، وجر ﴿كُلَّ دَآبَّةٖ﴾: لإضافة اسم الفاعل إليه؛ لأنَّه بمعنىٰ المضي، و(خلق) فعلًا ونصب (كل دابة) ﴿مِّن مَّآءٖۖ﴾ مفعولًا به، وتنكيره (ماء) مؤذن أن كل دابة مخلوقة من ماء مختص بها وهو النطفة، فجميع الحيوان سوىٰ الملائكة والجن مخلوق من نطفة، وتعريفه (الماء) في قوله: ﴿وَجَعَلۡنَا مِنَ ٱلۡمَآءِ كُلَّ شَيۡءٍ حَيٍّۚ﴾ [المؤمنون: ٣٠] نظرًا إلىٰ الجنس الذي خلق منه جميع الحيوان؛ لأنَّ أصل جميع الخلق من الماء، قالوا: خلق الله تعالىٰ ماءً فجعل بعضه ريحًا فخلق منها الملائكة، وجعل بعضه نارًا فخلق منها الجن، وبعضه طينًا فخلق منه آدم، ولمَّا كان اسم الدابة يعم العقلاء وغيرهم غلب العقلاء فجاء بـ(من) مقدمًا ما المشي منه أدل علىٰ القدرة، فقال: ﴿فَمِنۡهُم مَّن يَمۡشِي عَلَىٰ بَطۡنِهِۦ﴾ كالحيات، وسمي الزحف علىٰ البطن مشيًا اتساعًا، لقيامه مقام المشي ﴿وَمِنۡهُم مَّن يَمۡشِي عَلَىٰ رِجۡلَيۡنِ﴾ كالأناسي والطير، و﴿عَلَىٰٓ أَرۡبَعٖۚ﴾ كالبهائم، ولم يذكر الماشي علىٰ أكثر؛ لأنَّه في رأي العين كالماشي علىٰ أربع، [أو إنما يمشي علىٰ أربع][(١)] منها ﴿مَا يَشَآءُۚ﴾ [(كا)][(٢)].

﴿قَدِيرٞ﴾: (تا).

---

(١) سقط من ج، والمثبت من أ، ب.

(٢) في أ، ب: (تا)، والمثبت من ج.

﴿مُّبَيِّنَٰتٍۚ﴾: (كا).

﴿مُّسۡتَقِيمٍ﴾: (تا).

﴿مِّنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَۚ﴾: من بعد قولهم: آمنا بالله وبالرسول، نزلت في المغيرة بن وائل حين خاصم عليًّا وأبىٰ أن يحاكمه إلىٰ النبي ﷺ خوفًا أن يحيف عليه، أو في بشر المنافق ويهودي كان بينهما حكومة، فطلب بشرُ الحكومةَ إلىٰ ابن الأشرف وطلبها اليهودي إلىٰ النبي ﷺ.

﴿وَمَآ أُوْلَٰٓئِكَ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾: [(كا)][1].

﴿وَإِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ﴾: إلىٰ كتابه ﴿وَرَسُولِهِۦ﴾: محمد ﷺ ﴿لِيَحۡكُمَ بَيۡنَهُمۡ إِذَا فَرِيقٞ مِّنۡهُم مُّعۡرِضُونَ﴾: (كا) عن الإتيان إليه خوفًا أن يحكم عليهم.

﴿وَإِن يَكُن لَّهُمُ ٱلۡحَقُّ يَأۡتُوٓاْ إِلَيۡهِ مُذۡعِنِينَ ﴿٤٩﴾ أَفِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَمِ ٱرۡتَابُوٓاْ أَمۡ يَخَافُونَ أَن يَحِيفَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡ وَرَسُولُهُۥۚ بَلۡ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٥٠﴾ إِنَّمَا كَانَ قَوۡلَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ إِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحۡكُمَ بَيۡنَهُمۡ أَن يَقُولُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴿٥١﴾ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَخۡشَ ٱللَّهَ وَيَتَّقۡهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَآئِزُونَ ﴿٥٢﴾﴾

﴿وَإِن يَكُن لَّهُمُ ٱلۡحَقُّ﴾ بأن يعلموا أن الحكم لهم ﴿يَأۡتُوٓاْ إِلَيۡهِ مُذۡعِنِينَ﴾: (كا) منُقادين بسرعة، حال، الزجاج: الإذعان الإسراع بالطاعة، فتعلق (إليه) بـ(مذعنين) أولىٰ من تعلقه بـ(يأتوا)؛ لتقدمه عليه، لدلالته علىٰ الاختصاص؛ لأنَّ الظرف إذا قُدم دل علىٰ ذلك.

﴿أَفِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾: كفر ﴿أَمِ ٱرۡتَابُوٓاْ﴾: شكوا في نبوته أي: هم كذلك؟ ﴿أَمۡ يَخَافُونَ أَن يَحِيفَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡ وَرَسُولُهُۥۚ﴾: (كا) في الحكم، ثم أبطل أنهم يخافون بقوله: ﴿بَلۡ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾: (تا) لإعراضهم عن الحق وطلبهم ما ليس لهم، القراءة بنصب ﴿قَوۡلَ﴾: خبر «كان»، وقرئ برفعه اسمها، والقراءة: ﴿لِيَحۡكُمَ

---

(١) سقط من أ، ب والمثبت من ج.

بَيۡنَهُمۡ﴾: معلومًا، وقرئ: (ليُحكَم) مجهولًا، أقيم المصدر مقام الفاعل، المعنىٰ: إنما كان قول المؤمنين وقت دعائهم إلىٰ الله ورسوله.

﴿أَن يَقُولُواْ سَمِعۡنَا﴾: [قولك][(١)] ﴿وَأَطَعۡنَاۚ﴾: (كا) أمرك، والقائلون هذا القول ﴿هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ﴾: (تا).

القراءة: ﴿وَيَتَّقۡهِ﴾ بإسكان الهاء علىٰ نية الوقف، وبكسرها مع كسر القاف، أصله [يتقيهي][(٢)] حذفت الياء التي بعد الهاء لسكونها وسكون الياء قبل الهاء، ولم يعتد بالهاء حاجزًا لسكونها، وبقيت الكسرة تدل عليها، ثم حذفت الياء الأولىٰ للجزم، وبكسرها مع سكون القاف تخفيفًا تشبيهًا لنقه بكتف، [وبكسر القاف][(٣)] وصلتها بياء وصلًا خاصة.

﴿ٱلۡفَآئِزُونَ﴾: (تا) المعنىٰ: من عمل بهذه الآية فاز بالجنة ونجا من النار، وتنصب

﴿۞ وَأَقۡسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهۡدَ أَيۡمَٰنِهِمۡ لَئِنۡ أَمَرۡتَهُمۡ لَيَخۡرُجُنَّۖ قُل لَّا تُقۡسِمُواْۖ طَاعَةٞ مَّعۡرُوفَةٌۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ٥٣ قُلۡ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَۖ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنَّمَا عَلَيۡهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيۡكُم مَّا حُمِّلۡتُمۡۖ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهۡتَدُواْۚ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ ٥٤ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسۡتَخۡلِفَنَّهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ كَمَا ٱسۡتَخۡلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمۡ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرۡتَضَىٰ لَهُمۡ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعۡدِ خَوۡفِهِمۡ أَمۡنٗاۚ يَعۡبُدُونَنِي لَا يُشۡرِكُونَ بِي شَيۡـٔٗاۚ وَمَن كَفَرَ بَعۡدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ٥٥﴾

﴿جَهۡدَ أَيۡمَٰنِهِمۡ﴾ نصب الحال، أي: جاهدين أيمانهم، وأصل «أقسمَ جهدَ يمينه»، «أقسم بجهد اليمين جهدًا»، فحذف الفعل وقدم المصدر فوضع موضعه مضافًا إلىٰ المفعول، نحو: ﴿فَضَرۡبَ ٱلرِّقَابِ﴾، والقسم بجهد اليمين أبلغ ما يمكن من

(١) سقط من ج والمثبت من أ، ب.

(٢) في أ، ب: يتقيه، والمثبت من ج.

(٣) في ج: يتقيه، وبكسرها، والمثبت من أ، ب.

الإقسام، ابن عباس: من قال: أقسم بالله، فقد جهد يمينه.

المعنىٰ: أقسم اليهود بالله ﴿لَئِنْ أَمَرْتَهُمْ﴾: بالخروج إلىٰ الغزو، أو من أموالهم ﴿لَيَخْرُجُنَّ﴾ فلم يصدقوا، فقيل لهم: ﴿لَّا تُقْسِمُوا۟﴾: (تا) لرفعك (طاعة) خبر مبتدأ محذوف، أي: الذي أمرتم به ﴿طَاعَةٌ مَّعْرُوفَةٌ﴾: (كا) شرعًا بنيّة خالصة، أو مبتدأ محذوف الخبر، أي: طاعة معروفة بنية خالصة أمثل من قسمكم باللسان؛ لأنكم لا تصدقون[ق/ ٢٧٣ب]، وقرئ: (طاعةً) نصبًا، أي: أطيعوا طاعة ﴿إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾: (تا) فيجازيكم [به][1] ﴿وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ﴾: (كا).

﴿فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ﴾ من [إبلاغ الرسالة ﴿وَعَلَيْكُم مَّا حُمِّلْتُمْ﴾ من][2] الطاعة له والقبول.

﴿تَهْتَدُوا۟﴾: (حس).

﴿ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ﴾: (تا) التبليغ المبين، ولمَّا اشتد خوف الصحابة واستبطؤوا النصر نزلت تسلية لهم ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾: كأنَّه قال: وعدهم، وأقسم ﴿ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾: أرض الكفار، بأن يجعلهم خلفاءها وساكنيها بعدهم.

القراءة: ﴿كَمَا ٱسْتَخْلَفَ﴾ بضم التاء مجهولًا، الفاعل ﴿ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ وبفتح التاء معلومًا، الفاعل ضمير يرجع إلىٰ الله تعالىٰ، المعنىٰ: يستخلفكم استخلافًا كاستخلاف الله داود وسليمان وبني إسرائيل أرض الجبارين.

﴿وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ﴾: وهو الإسلام، بأن يظهره علىٰ جميع الأديان.

والقراءة: ﴿وَلَيُبَدِّلَنَّهُم﴾ مخففًا ومثقلًا من بدَّل وأبدل ﴿مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا﴾: (كا) إن استأنفت ﴿يَعْبُدُونَنِى﴾: فلا محل لـ(يعبدونني)، ولا يجوز إن نصبت

(١) سقط من ج، والمثبت من أ، ب.

(٢) سقط من ج، والمثبت من أ، ب.

(يعبدونني) حالًا من ضمير الفاعل في (ليستخلفنهم)، أو (ليبدلنهم)، أو من «وعدهم» في حال عبادتهم، [وكذلك][(١)] لا تقف على أمنًا إن نصبت ﴿لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْـًٔا﴾: (كا) حالًا بدلًا من الحال [ق/ ١٩٦ جـ] الأولى، ويكفي على (أمنًا) إن نصبتها حالًا من فاعل (يعبدونني)، أي: يعبدونني موحدين، المعنى: ليظهرن دينهم وليتمكنن من العبادة كما يختارون، فأظهر تعالى دينهم ونصرهم وأبدلهم من بعد الخوف أمنًا.

﴿وَمَن كَفَرَ﴾: نعمتي عليه بتركها ﴿فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَـٰسِقُونَ﴾: (تا) العاصون.

﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٥٦﴾ لَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مُعْجِزِينَ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ وَلَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٥٧﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِيَسْتَـْٔذِنكُمُ ٱلَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُكُمْ وَٱلَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُواْ ٱلْحُلُمَ مِنكُمْ ثَلَـٰثَ مَرَّٰتٍ مِّن قَبْلِ صَلَوٰةِ ٱلْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُم مِّنَ ٱلظَّهِيرَةِ وَمِنۢ بَعْدِ صَلَوٰةِ ٱلْعِشَآءِ ثَلَـٰثُ عَوْرَٰتٍ لَّكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌۢ بَعْدَهُنَّ طَوَّٰفُونَ عَلَيْكُم بَعْضُكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْـَٔايَـٰتِ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٨﴾ وَإِذَا بَلَغَ ٱلْأَطْفَـٰلُ مِنكُمُ ٱلْحُلُمَ فَلْيَسْتَـْٔذِنُواْ كَمَا ٱسْتَـْٔذَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٩﴾﴾

وزعم بعضهم أن ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾: عطف على ﴿أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ﴾، قال: وليس ببعيد أن يقع بين المعطوف والمعطوف عليه فاصل وإن طال؛ لأنَّ حق المعطوف أن يكون غير المعطوف عليه، وفيه نظر، فلا وقف بينهما، وأكثرهم أن الوقف كما وسمت.

﴿لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾: (تا).

القراءة: ﴿لَا تَحْسَبَنَّ﴾ بالياء، الفاعل ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾.

فقوله: ﴿مُعْجِزِينَ﴾ أي: فائتين الله ﴿فِى ٱلْأَرْضِ﴾: بألَّا يقدر عليهم، فيها

(١) سقط من ج، والمثبت من أ، ب.

المفعولان، أو المفعول الأول محذوف، أي: لا يحسبن أنفسهم معجزين، أو الفاعل النبي ﷺ لتقدم ذكره، فـ(الذين) و(معجزين) المفعولان، وبالتاء خطابًا للنبي ﷺ، فالمفعولان (الذين) و(معجزين) أيضًا.

﴿وَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ ۖ وَلَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾: (تا) عطف على ﴿لَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾، ثم أمر باستئذان العبيد، أو العبيد والإماء والأحرار الذين ﴿لَمْ يَبْلُغُوا۟ ٱلْحُلُمَ مِنكُمْ﴾: وقرئ بسكون اللام تخفيفًا، المعنى: ليستأذنكم من ملكتموه والأحرار منكم في الدخول عليكم ﴿ثَلَٰثَ مَرَّٰتٍ ۚ﴾: في ثلاثة أوقات في اليوم والليلة، وهي: ﴿مِّن قَبْلِ صَلَوٰةِ ٱلْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُم﴾: للقيلولة ﴿مِّنَ ٱلظَّهِيرَةِ﴾: أي وقت الظهر ﴿وَمِنۢ بَعْدِ صَلَوٰةِ ٱلْعِشَآءِ ۚ﴾: (كا) لأنَّ هذه الأوقات أوقات خلوة، فالاستئذان لهؤلاء مشروع فيها، ولغيرهم في جميع الأوقات، **القراءة**: ﴿ثَلَٰثُ عَوْرَٰتٍ لَّكُمْ ۚ﴾: (تا) نصبًا بدلًا من ثلاث مرات، أي: أوقات ثلاث عورات، ورفعًا أي: هذه أوقات ثلاث عورات، فحذف المبتدأ والمضاف وأقيمت (ثلاث) مقامها، ونسبت العورات إلىٰ هذه الأوقات لاحتمال ظهور العورة فيها عند إلقاء الثياب، لا تقف هنا علىٰ قراءة الرفع؛ لأنَّ ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ﴾: الجملة صفة لـ(ثلاث)، وتقف علىٰ قراءة النصب؛ لأنَّه لا محل لـ(ليس) الجملة من الإعراب لاستئنافها، المعنىٰ: لا إثم عليكم ولا علىٰ المذكورين في الدخول بغير استئذان ﴿بَعْدَهُنَّ ۚ﴾: (حس) بعد استئذانهم في هذه الأوقات، ثم حذف ذلك وأقيم «هن» مقامه، تلخيصه: للمذكورين الدخول بغير إذن في جميع الأوقات إلا في العورات الثلاث، ثم بيَّن العذر في ترك الاستئذان عدا هذه الأوقات فقال: ﴿طَوَّٰفُونَ عَلَيْكُم﴾: للخدمة ﴿بَعْضُكُمْ﴾: مبتدأ خبره ﴿عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ﴾: (حس) تقديره: بعضكم طائف علىٰ بعض، فحذف «طائف» لدلالة (طوافون) عليه، فتكون الجملة بدلًا من الجملة قبلها، أو مؤكدة مبينة، وقرئ: (طوافين) حالًا، فلا وقف علىٰ (بعدهن).

﴿ٱلْءَايَٰتِ﴾: (كا).

﴿حَكِيمٌ﴾: (تا) وهذه الآية منسوخة عند بعضهم ومحكمة عند بعضهم، حتىٰ رأىٰ الاستئذان علىٰ الأم والأخت(١).

والمراد بـ﴿ٱلْأَطْفَٰلُ مِنكُمُ﴾: الأحرار، وبـ﴿مِن قَبْلِهِمْ﴾: (كا) من بلغ قبلهم من الأحرار ﴿ءَايَٰتِهِۦ﴾: (كا).

﴿حَكِيمٌ﴾: (تا) واعتبار البلوغ بالسن بثماني عشرة سنة للغلام وسبع عشرة سنة للجارية عند أبي حنيفة، وعند أكثرهم بخمس عشرة سنة فيهما، وعن علي: بالقامة، ويقدرها بخمسة أشبار، وإليه أشار الفرزدق بقوله(٢):

مازال مذ عقدت يداه إزاره وسمًا فأدرك خمسة الأشبار

﴿ وَٱلْقَوَٰعِدُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ ٱلَّٰتِي لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَن يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَٰتٍۭ بِزِينَةٍ ۖ وَأَن يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَّهُنَّ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٦٠﴾ لَّيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْمَرِيضِ حَرَجٌ وَلَا عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَن تَأْكُلُوا۟ مِنۢ بُيُوتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ ءَابَآئِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أُمَّهَٰتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ إِخْوَٰنِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخَوَٰتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَعْمَٰمِكُمْ أَوْ بُيُوتِ عَمَّٰتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخْوَٰلِكُمْ أَوْ بُيُوتِ خَٰلَٰتِكُمْ أَوْ مَا مَلَكْتُم مَّفَاتِحَهُۥٓ أَوْ صَدِيقِكُمْ ۚ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَأْكُلُوا۟ جَمِيعًا أَوْ

---

(١) قال الكرمي: منسوخة بقوله تعالىٰ: ﴿وَإِذَا بَلَغَ ٱلْأَطْفَٰلُ مِنكُمُ ٱلْحُلُمَ فَلْيَسْتَـْٔذِنُوا۟﴾ الآية.
قال ابن عباس لم يكن للقوم ستور ولا حجاب فكان الخدم والأولاد يدخلون، فربما رأوا منهم ما لايحبون أن يروه فأمروا بالاستئذان
وقد بسط الله الرزق للناس حتىٰ اتخذوا الستور فرأىٰ بعضهم إن ذلك أغنىٰ عن الاستئذان وبعضهم رأىٰ أنها محكمة
قالوا: سئل الشعبي عن هذه الآية أمنسوخة هي؟ قال: لا والله، فقيل له: إن الناس لا يعملون بها فقال: المستعان بالله، وقال ابن جبير: الناس يقولون: نسخت هذه الآية لا والله ما نسخت ولكنها مما تهاون به الناس.
«قلائد المرجان» (ص/ ١٥٥).

(٢) «ديوان الفرزدق» (ص/ ٣٧٨).

أَشْتَاتًا فَإِذَا دَخَلْتُم بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِّنْ عِندِ اللَّهِ مُبَارَكَةً طَيِّبَةً كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٦١﴾﴾

﴿وَالْقَوَاعِدُ﴾: مبتدأ جمع القاعد ـ بلا هاء ـ وهي التي قعدت أي: منعت عن الحيض والولد كبراً، وهي بالهاء من القعود الجلوس، وجيء بالهاء للفرق كحامل من حمل البطن وحاملة من حمل الظهر ﴿مِنَ النِّسَاءِ﴾: حال، وصفة المبتدأ ﴿اللَّاتِي لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا﴾ لكبرهن خبره.

﴿فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَن يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ﴾: كالجلباب والإزار الذي فوق الثياب والقناع الذي فوق الخمار، ودخلت الفاء في الخبر لما في (القواعد) من معنىٰ الشرط، وقرئ: (يضعن من ثيابهن) ﴿غَيْرَ مُتَبَرِّجَاتٍ بِزِينَةٍ﴾: (كا) غير مظهرات زينة خفية كالقلادة والسوار والخلخال، وجميع المستعمل من «ب ر ج» وتعكيسه يشمله معنىٰ الظهور [ق/ ١٦٤أ]، القراءة بفتح ﴿وَأَن يَسْتَعْفِفْنَ﴾: يطلبن العفة عن التبرج ووضع الثياب مبتدأ، خبره ﴿خَيْرٌ لَّهُنَّ﴾: (كا).

﴿عَلِيمٌ﴾: (تا).

كان جماعة يذهبون بذوي العاهات إلىٰ بيوت أقاربهم وأصدقائهم ليطعموهم منهم فيتحرج المطعمون من ذلك، أو أن ذوي العاهات كرهوا مؤاكلة الأصحاء لئلا ينغصوا عليهم طعامهم، أو كان الأصحاء يذهبون إلىٰ الجهاد ويتركون مفاتحهم عند هؤلاء المذكورين ويأذنون لهم في الأكل من بيوتهم فيتحرجون، أو طلب ذوو العاهات الجهاد فنزل: ﴿لَّيْسَ عَلَى الْأَعْمَىٰ حَرَجٌ﴾[1]: وكذلك الأعرج والمريض.

والمراد بقوله: ﴿مِن بُيُوتِكُمْ﴾: بيوت أولادكم؛ لقوله ﷺ: **«أنت ومالك لأبيك»**[2]، ولذلك لم يذكر الأولاد في الآية أو بيوت الزوجات، قالوا: لأنَّ بيت

---

(١) انظر «أسباب النزول» (ص/ ٣٢٩).

(٢) أخرجه أبو داود (٣٥٣٠)، وابن ماجة (٢٢٩٢)، وأحمد (٦٩٠٢)، والطبراني في «مسند الشاميين» (٣٧٩)، والبيهقي في «السنن الكبرىٰ» (١٥٥٢٧) من حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده رضي الله عنه.

المرأة كبيت الزوج، والمراد بـ﴿مَا مَلَكْتُم مَّفَاتِحَهُۥٓ﴾: وكيل الرجل، فله أن يأكل من زرعه وضَرعه إن احتاج ولا يدخر أو العبيد؛ لأنَّ السيد يملك بيوت عبيده، وقرئ: (مُلِّكتم) بضم الميم وتشديد اللام مكسورًا، و(مفتاحه) موحدًا ﴿أَوْ﴾ بيوت ﴿صَدِيقِكُمْۚ﴾: (حس) هو من صدقك في مودته، وعن الحسن وقتادة: جواز دخول بيت الصديق وأكل ماله بغير إذنه، وعن الحسن: أنَّه دخل يومًا بيته فرأىٰ جماعة [ق/ ٢٧٤ب] من أصدقائه قد أخذوا طعامًا من تحت سريره وهم يأكلونه، فتهلل وجهه سرورًا، وقال: هكذا وجدناهم، يعني: من لقي من البدريين، كان الرجل يدخل دار صديقه فيسأل جاريته عن كيسه فتعطيه، فيأخذ منه ما شاء، فإذا جاء سيدها أعتقها سرورًا بذلك.

قالوا: ويجوز أكل مال [الصديق][1] بغير إذنه إذا كان راضيًا بذلك، ويجوز أن يقال: إنما يجوز إذا تحقق أنَّه يسره ذلك، أو كان هذا في ابتداء الإسلام فنسخ بقوله ﷺ: «لا يحلُّ مالُ امرئٍ مسلمٍ إلا بطيبِ نفسِه»[2]، وبقوله تعالىٰ: ﴿لَا تَدْخُلُواْ بُيُوتَ ٱلنَّبِيِّ إِلَّآ أَن يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَىٰ طَعَامٍ﴾ [الأحزاب:٥٣].

ونزل فيمن تحرج عن الأكل وحده ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَأْكُلُواْ جَمِيعًا﴾: مجتمعين ﴿أَوْ أَشْتَاتًاۚ﴾: (كا) متفرقين ﴿فَإِذَا دَخَلْتُم بُيُوتًا﴾: من هذه البيوت للأكل أو غيره ﴿فَسَلِّمُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ﴾ فابدؤوا بالسلام علىٰ من فيها علىٰ دينكم، أو المراد بـ(بيوتًا) بيوتكم حقيقة، قال: جماعة وإذا دخلت علىٰ أهلك وعيالك فسلم عليهم، فهم أحق بذلك، وإذا دخلت بيتًا لا أحد فيه أو المسجد فقل: «السلام علينا من ربنا، السلام علينا وعلىٰ عباد الله الصالحين»، أو المراد بها المساجد ﴿تَحِيَّةً﴾: مصدر؛ لأنها في معنىٰ «تسليمًا»، أي: تحية مشروعة ﴿مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ

(١) في ج: صديقه، والمثبت من أ، ب.

(٢) أخرجه أحمد (٢٠٧١٤)، والدارقطني (٣/ ٢٦)، وأبو يعلىٰ (١٥٧٠)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٥٤٩٢)، وفي «السنن الكبرىٰ» (١١٣٢٥) من حديث أبي حرة الرقاشي عن عمه رضي الله عنه.

مُبَٰرَكَةً طَيِّبَةً﴾: وقرئ: (مباركة طيبة) رفعًا فيهما، ووصفت التحية بالبركة والطيب لمَّا فيها من الأجر والثواب؛ لأنَّ البركة ثبوت الخير الإلهي في الشيء، ولمَّا كان الخير الإلهي يصدر من حيث لا يحس به ولا يحصر قيل لمَّا شوهد منه زيادة غير محسوسة: «مبارك»، وإلىٰ هذه الزيادة الإشارة بقوله: «**ما نقصَ مالٌ من صدقة**»(١) لا إلىٰ النقصان المحسوس.

﴿لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾: (تا) أنس: خدمت رسول الله ﷺ عشر سنين، فما قال لشيء فعلته: لم فعلته؟ ولا لشيء كسرته: لم كسرته؟ وكنت قائمًا أصب الماء علىٰ يديه، فرفع رأسه فقال: «**ألا أعلمك ثلاث خصال تنتفع بها؟**»، فقلت: بلىٰ، بأبي أنت وأمي يا رسول الله، قال: «**متىٰ لقيت أحدًا من أمتي فسلِّم عليه يَطُلْ عمرُك، وإذا دخلتَ بيتَك فسلِّم عليهم يكثرْ خيرُ بيتك، وصلِّ صلاةَ الضُّحىٰ؛ فإنها صلاةُ الأبرارِ الأوابين**»(٢).

﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَإِذَا كَانُوا۟ مَعَهُۥ عَلَىٰٓ أَمْرٍ جَامِعٍ لَّمْ يَذْهَبُوا۟ حَتَّىٰ يَسْتَـْٔذِنُوهُ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَـْٔذِنُونَكَ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۚ فَإِذَا ٱسْتَـْٔذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأْذَن لِّمَن شِئْتَ مِنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمُ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٢﴾ لَّا تَجْعَلُوا۟ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَآءِ بَعْضِكُم بَعْضًا ۚ قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمْ لِوَاذًا ۚ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾ أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ قَدْ يَعْلَمُ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ وَيَوْمَ يُرْجَعُونَ إِلَيْهِ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌۢ ﴿٦٤﴾﴾

﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾: مبتدأ خبره ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾: ثم أكد الحصر

---

(١) أخرجه الترمذي (٢٣٢٥)، وأحمد (١٨٠٦٠)، والطبراني في «المعجم الكبير» (٢٢/ ١٤٣) حديث (٨٥٥)، من حديث أبي كبشة الأنماري رضي الله عنه.

(٢) أخرجه أبو يعلىٰ (٤١٨٣)، والطبراني في في «المعجم الأوسط» (٢٨٠٨)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٨٧٥٨).

بقوله: ﴿وَإِذَا كَانُواْ مَعَهُۥ عَلَىٰٓ أَمۡرٖ جَامِعٖ﴾: يجتمع له وعليه كغزو وصلاة، وقرئ: (أمر جمع)، المعنىٰ: إذا وافقوه علىٰ أمر عظيم.

﴿لَّمۡ يَذۡهَبُواْ﴾: لم يفترقوا عنه ﷺ ﴿حَتَّىٰ يَسۡتَـٔۡذِنُوهُۚ﴾: (تا) في الانصراف، وكان ﷺ إذا صعد المنبر وأراد رجل الخروج وقف حيث يراه فيأذن له إن شاء، وإذن الإمام يوم الجمعة بالإشارة، قالوا: وكذلك كل أمر اجتمع عليه المسلمون لا ينصرفون عنه إلا بإذن الإمام، ثم أكد ذلك بقوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسۡتَـٔۡذِنُونَكَ أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۚ﴾: (كا) ﴿فَإِذَا ٱسۡتَـٔۡذَنُوكَ﴾: في الانصراف ﴿لِبَعۡضِ شَأۡنِهِمۡ﴾: قصدهم، ﴿فَأۡذَن لِّمَن شِئۡتَ مِنۡهُمۡ﴾ لا اعتراض عليك ﴿وَٱسۡتَغۡفِرۡ لَهُمُ ٱللَّهَۚ﴾: (كا) إن خرجوا بإذنك لخروجهم عنك ﴿رَّحِيمٞ﴾: (تا).

﴿لَّا تَجۡعَلُواْ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيۡنَكُمۡ﴾: أي دعاءه إياكم إلىٰ الإيمان.

﴿كَدُعَآءِ بَعۡضِكُم بَعۡضٗاۚ﴾: (كا) لا يلتفتون إليه، بل آمنوا مسرعين، أو دعاءكم إياه إذا ناديتموه كدعائكم إخوانكم، بل فخموه وعظموه، أو لا تجعلوا دعاءه عليكم كدعائكم علىٰ إخوانكم، بل احذروه فإنه مجاب الدعوة.

تلخيصه: لا تنسبوه إليكم بشيء ما كان المنافقون في حفر الخندق ينصرفون عنه ﷺ مختفين، أو كان يثقل عليهم المقام في المسجد وسماع الخطبة فيلوذون بمن يستأذن للخروج، فإن أذن له خرجوا معه بغير إذن فنزل: ﴿قَدۡ يَعۡلَمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ﴾: يخرجون قليلًا قليلًا ﴿مِنكُمۡ لِوَاذٗاۚ﴾: (كا) حال، أو مصدر «لاوذ»، وهو أن يستتر الشخص بغيره، و(قد) هنا مؤذنة بقلة المتسللين؛ لأنهم كانوا أقل من غيرهم، أو (قد) هنا بمعنىٰ التكثير، ونحوه بيت زهير[1]:

أخي ثقةٍ لا تُهلكُ الخمرُ مالَه ... ولكنه قد يهلكُ المالَ نائلُ

﴿فَلۡيَحۡذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ﴾: أي يميلون ﴿عَنۡ أَمۡرِهِۦٓ﴾ تعالىٰ، أو أمر محمد ﷺ

(١) «ديوانه» (ص/ ٤٦).

[ق/ ١٩٧ جـ]، أو (عن) زائدة، أي: يخالفون أمره، ومفعول يحذر جملة ﴿أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ﴾ ضلالة، أو ﴿ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾: (تا) قتل هنا وعذاب جهنم ثَمَّ، و(قد) للتكثير في ﴿قَدْ يَعْلَمُ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ﴾: من الأحوال والأعمال، المعنىٰ: علمه محيط بجميع الأشياء، أو للتقليل، أي: هم بالنسبة إلىٰ معلومات الله تعالىٰ قليل، أو (قد) زائدة، ويجوز أن يكون ما أنتم عليه.

﴿وَيَوْمَ يُرْجَعُونَ إِلَيْهِ﴾: جميعًا للمنافقين علىٰ سبيل الالتفات، أو ما أنتم عليه عام، ويوم يرجعون إليه للمنافقين ﴿فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا﴾: (كا).

﴿عَلِيمٌ﴾: (تا).

سورة (الفرقان)

مكية إلا ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدۡعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ...﴾ إلىٰ ﴿رَّحِيمًا﴾ مدني، وهي سبع وسبعون آية .

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِي نَزَّلَ ٱلۡفُرۡقَانَ عَلَىٰ عَبۡدِهِۦ لِيَكُونَ لِلۡعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ۝١ ٱلَّذِي لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلَمۡ يَتَّخِذۡ وَلَدًا وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِي ٱلۡمُلۡكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَيۡءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقۡدِيرًا ۝٢ وَٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً لَّا يَخۡلُقُونَ شَيۡـًٔا وَهُمۡ يُخۡلَقُونَ وَلَا يَمۡلِكُونَ لِأَنفُسِهِمۡ ضَرًّا وَلَا نَفۡعًا وَلَا يَمۡلِكُونَ مَوۡتًا وَلَا حَيَوٰةً وَلَا نُشُورًا ۝٣ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّآ إِفۡكٌ ٱفۡتَرَىٰهُ وَأَعَانَهُۥ عَلَيۡهِ قَوۡمٌ ءَاخَرُونَۖ فَقَدۡ جَآءُو ظُلۡمًا وَزُورًا ۝٤﴾

﴿تَبَارَكَ﴾: تعظم وتقدس، أو جاء بالبركة ﴿عَلَىٰ عَبۡدِهِۦ﴾: محمد ﷺ، وقرئ: عباده أي النبيين ﴿لِيَكُونَ﴾: أي الله تعالىٰ ﴿لِلۡعَٰلَمِينَ﴾: أو عَبدُه ﷺ يوضحه، وقرئ: (للعالَمِيْن) أي: الجن والإنس ﴿نَذِيرًا﴾: (تا) إن رفعت أو نصبت مدحًا ﴿ٱلَّذِي لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾: ولا أحبه إن أبدلته من (الذي) نزل الفرقان أي القرآن.

﴿فِي ٱلۡمُلۡكِ﴾: (كا) إن استأنفت ﴿وَخَلَقَ﴾: أحدث ﴿كُلَّ شَيۡءٍ﴾: يوصف بالمخلوقية، وإن جعلته من تمام صلة (الذي) فلا وقف من ﴿نَذِيرًا﴾ أي منذرًا إلىٰ ﴿فَقَدَّرَهُۥ تَقۡدِيرًا﴾: (كا) المعنىٰ: خلق الخلق فسواه تسوية دينية ودنيوية وأحكمه بحيث لا يقع فيه انعدام دون بلوغ كل ما قسم له من البقاء.

﴿وَٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ﴾: تعالىٰ ﴿ءَالِهَةً﴾ يعبدونهم كعيسىٰ أو الأوثان ﴿لَّا يَخۡلُقُونَ شَيۡـًٔا وَهُمۡ يُخۡلَقُونَ﴾: (كا) قالوا، ولا أحبه ﴿وَلَا نُشُورًا﴾: (تا) بعثًا بعد الموت، تلخيصه: هم عجزة، فكيف يُعبدون؟ وقال الكافرون: ﴿إِنۡ هَٰذَآ﴾: أي القرآن ﴿إِلَّآ

إِفۡكٌ ٱفۡتَرَىٰهُ وَأَعَانَهُۥ عَلَيۡهِ قَوۡمٌ ءَاخَرُونَۖ﴾: أي عداس وجبر ويسار كانوا بمكة، زعم الكفار أن محمدًا اختلق القرآن وأعانوه علىٰ اختلاقه.

﴿فَقَدۡ جَآءُو ظُلۡمًا﴾: كفرًا نصب بـ(جاؤوا)، أو مصدر في موضع الحال ﴿وَزُورًا﴾ كذبًا لنسبتهم القرآن إلىٰ غير قائله، عطف علىٰ (ظلمًا).

﴿ وَقَالُوٓاْ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ٱكۡتَتَبَهَا فَهِيَ تُمۡلَىٰ عَلَيۡهِ بُكۡرَةً وَأَصِيلًا ۝٥ قُلۡ أَنزَلَهُ ٱلَّذِي يَعۡلَمُ ٱلسِّرَّ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ إِنَّهُۥ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ۝٦ وَقَالُواْ مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأۡكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمۡشِي فِي ٱلۡأَسۡوَاقِ لَوۡلَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُۥ نَذِيرًا ۝٧ أَوۡ يُلۡقَىٰٓ إِلَيۡهِ كَنزٌ أَوۡ تَكُونُ لَهُۥ جَنَّةٌ يَأۡكُلُ مِنۡهَاۚ وَقَالَ ٱلظَّٰلِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسۡحُورًا ۝٨﴾

﴿وَقَالُوٓاْ﴾ المشركون: القرآن ﴿أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ﴾ كحديث رستم وأسفنديار، وليس بكلام الله تعالىٰ، لا وقف هنا؛ لأنَّ ﴿ٱكۡتَتَبَهَا﴾: أي انتسخها محمد من جبر وأصحابه حال، أي أساطير مكتتبة، وقرئ بضم التاء الأولىٰ وكسر الثانية مجهولًا، أي: اكتتبها كاتب له، المعنىٰ: طلب من يكتبها له؛ لأنَّه لم يكن يحسن الكتابة.

﴿فَهِيَ تُمۡلَىٰ﴾ أي:تقرأ ﴿عَلَيۡهِ بُكۡرَةً وَأَصِيلًا﴾: (تا) غدوة وعشيًا ﴿يَعۡلَمُ ٱلسِّرَّ﴾: الغيب ﴿ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ ﴾: (كا).

﴿رَّحِيمًا﴾: (كا).

﴿وَقَالُواْ﴾: أي الكافرون إنكارًا وسخرية منهم به ﴿مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ﴾.

ومحل ﴿يَأۡكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمۡشِي فِي ٱلۡأَسۡوَاقِ﴾ حال، العامل فيها هذا ما أكله [ق/ ٢٧٥ب] الطعام فلأنَّه بشر، ومشيه في الأسواق فلقضاء حوائجه تواضعًا ولا ينافيان الرسالة، قالوا: ووُجدت اللام مفصولة عن الهاء في المصحف، واتباعه سنة، ثم جاؤوا بحرف التخصيص، فقالوا: ﴿لَوۡلَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ﴾: نصب

جواب التخصيص، وقرئ برفعه، أي: فهو يكون ﴿مَعَهُۥ نَذِيرًا﴾: يصدقه ﴿أَوْ يُلْقَىٰٓ إِلَيْهِ كَنزٌ﴾: ينفقه.

القراءة: ﴿أَوْ تَكُونُ لَهُۥ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا﴾: (حس) بالياء، أي: يأكل هو، وبالنون، أي: نحن، المعنىٰ: ليس مَلَكًا ولا مَلِكًا ولا غنيًّا فلا نتبعه؛ لأنَّه دوننا، ولا نتبع ﴿رَجُلًا مَّسْحُورًا﴾: له سحر وهي الرية، أو مخدوعًا.

﴿ انظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا۟ لَكَ ٱلْأَمْثَٰلَ فَضَلُّوا۟ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا ﴿٩﴾ تَبَارَكَ ٱلَّذِىٓ إِن شَآءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِّن ذَٰلِكَ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ وَيَجْعَل لَّكَ قُصُورًۢا ﴿١٠﴾ بَلْ كَذَّبُوا۟ بِٱلسَّاعَةِ ۖ وَأَعْتَدْنَا لِمَن كَذَّبَ بِٱلسَّاعَةِ سَعِيرًا ﴿١١﴾ إِذَا رَأَتْهُم مِّن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ سَمِعُوا۟ لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا ﴿١٢﴾ وَإِذَآ أُلْقُوا۟ مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُّقَرَّنِينَ دَعَوْا۟ هُنَالِكَ ثُبُورًا ﴿١٣﴾ لَّا تَدْعُوا۟ ٱلْيَوْمَ ثُبُورًا وَٰحِدًا وَٱدْعُوا۟ ثُبُورًا كَثِيرًا ﴿١٤﴾ ﴾

[﴿انْظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ﴾][1] فقالوا: شاعر ساحر كاهن ﴿فَضَلُّوا﴾: عن الهدىٰ ﴿فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا﴾: (تا) طريقًا إلىٰ صحة دعواهم، أو إلىٰ الهداية ﴿تَبَارَكَ﴾: تكاثر خير ﴿ٱلَّذِىٓ إِن شَآءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِّن ذَٰلِكَ﴾: المعدّ لك في الجنة في الدنيا، ثم بين الخير فقال: ﴿جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾.

القراءة: ﴿وَيَجْعَل لَّكَ قُصُورًا﴾ رفعًا استئنافًا، وجزمًا عطفًا علىٰ محل (جعل)؛ لأنَّه جواب الشرط، أو هما عطف علىٰ (جعل)؛ لأنَّ الشرط إذا وقع ماضيًا جاز في جزائه الرفع والجزم.

وقرئ بالنصب عطفًا علىٰ الجواب بالواو، قال ﷺ: «**عرض عليَّ ربي ليجعل لي بطحاءَ مكةَ ذهبًا، فقلت: لا يا ربِّ، ولكن أشبعُ يومًا وأجوعُ يومًا**»، أو قال: «**ثلاثًا، فإذا جُعت تضرعتُ إليك وذكرتُك، وإذا شبعتُ حمدتُك وشكرتُك**»[2].

---

(١) سقط من ج، والمثبت من أ، ب.

(٢) الترمذي (٢٣٤٧)، وأحمد (٢٢٢٤٤)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (١٤٦٧) من حديث أبي أمامة رضي الله عنه.

وقال ﷺ: «**لو شئتُ لسارت معي جبال الذهب**». وكان ﷺ مع ذلك لا يأكل متكئًا، وقال: «**إنما أنا عبد، آكل كما يأكل العبد**»(١).

لا أحب الوقف هنا إن عطفت ﴿بَلۡ كَذَّبُواْ﴾: على ما حكي من قولهم، تقديره: بل أتوا أعجب من ذلك كله وهو تكذيبهم بالساعة، ويكفي إن علقته بما بعد، تقديره: بل كذبوا ﴿بِٱلسَّاعَةِۖ﴾: فكيف يصدقونك؟ ﴿وَأَعۡتَدۡنَا﴾: للمكذبين بها ﴿سَعِيرًا﴾: [(كا)](٢) نارًا ملتهبة، أو هي من أسماء جهنم، لا أحب الوقف هنا إن جعلت ﴿إِذَا رَأَتۡهُم﴾: الآية صفة لسعيرًا، المعنى: إذا قابلتهم وصاروا بإزائها، كقولهم: داري تنظر دارك، أي: [تقابلها](٣)، ويجوز أن يخلق لها عضو ناصر، أو رأتهم زبانيتها ﴿مِّن مَّكَانِۭ بَعِيدٖ سَمِعُواْ لَهَا تَغَيُّظٗا﴾: غليانًا ﴿وَزَفِيرٗا﴾: أصل الزفير ترديد النفس حتى تنتفخ الضلوع، المعنى: إذا صاروا بعيدًا منها بمرأى العين سمعوا لها غليانًا، والغليان يتردد [فيها](٤) كتردد نفس شديد الغضب في جوفه، ومحل ﴿مِنۡهَا﴾: حال ﴿مَكَانٗا ضَيِّقٗا﴾: ظرف، المعنى: إن جهنم تضيق عليهم كما يضيق الزج في الرمح إذا ألقوا فيها، فيكون أشد لعذابهم ﴿مُّقَرَّنِينَ﴾ مشدودي الأيدي إلى الأعناق في حبل، أو يقرنون مع شياطينهم في سلسلة.

﴿دَعَوۡاْ هُنَالِكَ ثُبُورٗا﴾: (حس) هلاكًا، في الحديث: «**أول من يُكسى حُلَّة من النار إبليسُ، فيضعُها على حاجبيه ويسحبُها من خلفه، وذريَّتُه من خلفِه وهو يقول: واثبوراه، وهم ينادون ثبورهم، حتى يقفوا على النار فينادي: يا ثبوراه، وينادون: يا ثبورَهم، فيقال لهم**: ﴿لَّا تَدۡعُواْ ٱلۡيَوۡمَ ثُبُورٗا وَٰحِدٗا﴾»(٥): لأنَّ عذابكم كثير لا يفنى ﴿وَٱدۡعُواْ ثُبُورٗا كَثِيرٗا﴾ [(تا)](٦) كعذابكم.

---

(١) أخرجه أبو يعلى (٤٩٢٠) من حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

(٢) في ج: (تا)، والمثبت من ج.

(٣) سقط من ج، والمثبت من أ، ب.

(٤) سقط من ج، والمثبت من أ، ب.

(٥) أخرجه أحمد (١٢٥٥٨) من حديث أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٦) سقط من ج، والمثبت من أ، ب.

﴿قُلْ أَذَٰلِكَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ ٱلْخُلْدِ ٱلَّتِي وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ كَانَتْ لَهُمْ جَزَآءً وَمَصِيرًا ﴿١٥﴾ لَّهُمْ فِيهَا مَا يَشَآءُونَ خَٰلِدِينَ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ وَعْدًا مَّسْـُٔولًا ﴿١٦﴾ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَقُولُ ءَأَنتُمْ أَضْلَلْتُمْ عِبَادِى هَٰٓؤُلَآءِ أَمْ هُمْ ضَلُّوا۟ ٱلسَّبِيلَ ﴿١٧﴾ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ مَا كَانَ يَنۢبَغِى لَنَآ أَن نَّتَّخِذَ مِن دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَآءَ وَلَٰكِن مَّتَّعْتَهُمْ وَءَابَآءَهُمْ حَتَّىٰ نَسُوا۟ ٱلذِّكْرَ وَكَانُوا۟ قَوْمًۢا بُورًا ﴿١٨﴾﴾

﴿أَذَٰلِكَ﴾ المذكور من الوعيد وصفة النار [ق/ ١٦٥أ].

﴿خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ ٱلْخُلْدِ ٱلَّتِي وُعِدَ﴾: أي وعدها ﴿ٱلْمُتَّقُونَ كَانَتْ لَهُمْ﴾: معدة في علمه تعالىٰ ﴿جَزَآءً وَمَصِيرًا﴾: ثوابًا ومقرًّا، الوقف هنا صالح قالوا، وأراه كافيًا، لأنَّ ﴿خَٰلِدِينَ﴾ حال من ضمير (يشاؤون) بعد، أو لهم ﴿كَانَ﴾: أي ما وعدوا به من النعيم يدل عليه ﴿وَعْدًا مَّسْـُٔولًا﴾: (كا) مطلوبًا للمؤمنين بقولهم: ﴿رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ﴾[آل عمران:١٩٤]، أو للملائكة للمؤمنين بقولهم: ﴿رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّٰتِ عَدْنٍ ٱلَّتِي وَعَدتَّهُمْ﴾[غافر:٨]، و«ما» موضوعة لتعم العقلاء وغيرهم، يدل عليه أنك إذا رأيت شيئًا فقلت: ما هذا؟ فإذا قيل: إنسان. قلت: من هو؟ فلذلك جاء بها في ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ﴾ وقرئ بكسر الشين ﴿وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ من الملائكة وعيسىٰ وعزير والجن ﴿فيقُولُ﴾ تعالىٰ للمعبودين إثباتًا للحجة علىٰ العابدين ﴿ءَأَنتُمْ أَضْلَلْتُمْ عِبَادِى هَٰٓؤُلَآءِ أَمْ هُمْ ضَلُّوا۟ ٱلسَّبِيلَ﴾: (كا) القياس: ضلوا عن السبيل، فحذف الجار كـ«هديته الطريق»، وأصله «هديته إلىٰ الطريق» و«هديته للطريق»، و(ضل) مطاوع «أضّله»، المعنىٰ: أنتم أوقعتموهم في الضلال أم هم بأنفسهم أخطؤوا طريق الحق؟

﴿قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ مَا كَانَ يَنۢبَغِى﴾: ما يجوز ولا يستقيم ﴿لَنَآ أَن نَّتَّخِذَ﴾: متعد إلىٰ مفعولين، الثاني ﴿مِن دُونِكَ﴾ الأول ﴿مِنْ أَوْلِيَآءَ﴾ فـ«من» زائدة لتأكيد النفي، وقرئ: (نُتخذ) مجهولًا، فالمفعول الأول المسند إليه الفعل الثاني (من أولياء)، فـ«من» تبعيض، أي: بعض أولياء؛ لأنَّ أكثرهم لا يجيز زيادة «من» في المفعول

الثاني، قالوا: لامتناع جوازه في ﴿فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ﴾، وبعضهم جعل (اتخذ) على القراءة متعديًا إلى واحد، وعلى ما قرئ إلى اثنين، المعنى: أنهم نزهوا الله تعالى وأنفسهم عن عبادة غيره، لا أحب الوقف هنا؛ لأنَّ من تمام الحكاية ﴿وَلَٰكِن مَّتَّعْتَهُمْ وَءَابَآءَهُمْ حَتَّىٰ نَسُواْ ٱلذِّكْرَ﴾ القرآن والإيمان به ﴿وَكَانُواْ قَوْمًا بُورًا﴾: (كا) هلكى، يوصف به الواحد والجمع والذكر والأنثى، أو هو جمع باير.

﴿ فَقَدْ كَذَّبُوكُم بِمَا تَقُولُونَ فَمَا تَسْتَطِيعُونَ صَرْفًا وَلَا نَصْرًا وَمَن يَظْلِم مِّنكُمْ نُذِقْهُ عَذَابًا كَبِيرًا ﴿١٩﴾ وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّآ إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِى ٱلْأَسْوَاقِ وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا ﴿٢٠﴾ ﴾

﴿فَقَدْ كَذَّبُوكُم﴾ أيها المشركون بما ﴿تَقُولُونَ﴾ بقولكم فيهم: إنهم آلهة، وقرئ بالياء غيبة، والمعنى: كذبوكم بقولهم: ﴿سُبْحَانَكَ مَا كَانَ يَنبَغِى لَنَآ أَن نَّتَّخِذَ مِن دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَآءَ﴾[الفرقان:١٨]، فالباء على القراءة بالتاء وما اتصل بها بدل من «كم»، أي: فقد كذبوا بما تقولون، كقوله: ﴿ بَلْ كَذَّبُواْ بِٱلْحَقِّ ﴾، وهي مع ما قرئ بالياء نحو: كتبت بالقلم.

القراءة: ﴿فَمَا تَسْتَطِيعُونَ﴾: خطابًا وغيبة، المعنى: لا تستطيعون أنتم ولا معبودوكم ﴿صَرْفًا﴾: للعذاب عنكم ﴿وَلَا نَصْرًا﴾: (كا) من العذاب.

تلخيصه: أنتم وهم عجزة عن جلب نفع أو دفع ضر ﴿وَمَن يَظْلِم﴾: يكذب ﴿مِّنكُمْ﴾ وقرئ بها ﴿نُذِقْهُ﴾ وقرئ بالياء، أي: يذقه الله تعالى ﴿عَذَابًا كَبِيرًا﴾: [(تا)][1] القراءة بكسر ﴿إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشُونَ﴾ للام في الخبر، أو لأنها جملة استئنافية، تقديره: إلا وهم يأكلون الطعام، وجعل بعضهم (إنهم) الجملة صفة محذوف، تقديره: وما أرسلنا قبلك أحدًا من المرسلين إلا آكلين الطعام وماشين في ﴿ٱلْأَسْوَاقِ﴾: (كا) وجاز حذفه لدلالة ﴿مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾ عليه.

---

(١) سقط من أ، ب والمثبت من ج.

وقرئ بفتح (أنهم) على زيادة اللام فـ(إن) مصدرية، المعنىٰ: إلا أنهم يأكلون، إيضاحه: وما أرسلناهم إلىٰ الناس إلا لأنهم مثلهم، و(يُمَشَّون) مجهولًا، أي: يُمشيهم غيرهم، نزل هذا لمَّا أنكر عليه ﷺ أكله الطعام ومشيه في الأسواق، أو نزل في أبي جهل وأصحابه وأبي ذر وأصحابه، أو في الصحيح والمريض.

﴿وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً﴾: (كا) محنة واختبارًا، بأن يقول المريض: لو شاء الله لجعلني مثل الصحيح، أو يقول الشريف: لا أسلم؛ لأنَّ الوضيع سبقني إليه، أو كان المستهزؤون من قريش يقولون: انظروا أتباع محمد موالينا وأراذلنا، فقال تعالىٰ للمؤمنين: ﴿أَتَصْبِرُونَ﴾: (كا) على البلاء ﴿وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا﴾: (تا) فيجازي كلًّا بعمله، قال ﷺ: «**إذا نظر أحدُكم إلىٰ من فُضِّل عليه في المالِ والجسمِ، فلينظرْ إلىٰ من هو دونَه في المالِ والجسمِ**»(١).

﴿۞ وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ نَرَىٰ رَبَّنَا ۗ لَقَدِ ٱسْتَكْبَرُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ وَعَتَوْ عُتُوًّا كَبِيرًا ﴿٢١﴾ يَوْمَ يَرَوْنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ لَا بُشْرَىٰ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُجْرِمِينَ وَيَقُولُونَ حِجْرًا مَّحْجُورًا ﴿٢٢﴾ وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴿٢٣﴾ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُّسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا ﴿٢٤﴾ وَيَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلسَّمَآءُ بِٱلْغَمَٰمِ وَنُزِّلَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ تَنزِيلًا ﴿٢٥﴾﴾

﴿لَا يَرْجُونَ﴾: لا يخافون ﴿لِقَآءَنَا﴾: وقرئ بها، ومنه(٢) [ق/ ٢٧٦ب]:

إذا لسعته النحل لم يرجُ لَسْعَهَا

أو لا يأملون، وأصل الرجاء ظن يقتضي حصول ما فيه مسرة، المعنىٰ: لا يؤمنون بالبعث، فلا يخافون عذابه.

﴿أَوْ نَرَىٰ رَبَّنَا﴾: (حس) وجواب القسم المحذوف ﴿لَقَدِ ٱسْتَكْبَرُوا۟ فِىٓ

---

(١) أخرجه مسلم(٢٩٦٣) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، ولفظه: «**انظروا إلىٰ من أسفل منكم ولا تنظروا إلىٰ من هو فوقكم فهو أجدر ألَّا تزدروا نعمة الله**».

(٢) القائل هو أبو ذؤيب الهذلي، والبيت في «ديوانه» (ص١٤٣)، والبيت بتمامه:

إذا لسعته النحل لم يرج لسعها وخالفها في بيت نوبٍ عوامل

﴿أَنفُسِهِمْ﴾: بالكفر ﴿وَعَتَوْ عُتُوًّا كَبِيرًا﴾: (تا) [لنصبك ﴿يَوْمَ يَرَوْنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ﴾: [ق/ ١٩٨ جـ] بـ«اذكر» مقدرة، أو بـ«يُعذبون» مضمرة، أو بما دل عليه ﴿لا بشرى﴾][١] أي: لا يبشرون ثمَّ، ولا تعمل فيه بشرىٰ؛ لأنها مصدر والمصدر لا يعمل فيما قبله، أو لأنَّ المنفي بـ«لا» لا يعمل فيما قبل «لا»، لا وقف هنا؛ لأنَّ ﴿يَوْمَئِذٍ﴾: تكرير ليوم قبل، أو هو خبر (بشرىٰ)، فالعامل فيه محذوف، فيكون ﴿لِّلْمُجْرِمِينَ﴾: للكافرين بيان، أو (للمجرمين) خبر (بشرىٰ)، فالعامل في (يومئذ) المتعلق بلام المجرمين، المعنىٰ: إن الملائكة تمتنع [ثمَّ][٢] من بشرىٰ المجرمين بالجنة وتخصها بالمؤمنين ﴿وَيَقُولُونَ﴾: أي الملائكة ﴿حِجْرًا﴾: وقرئ بفتح الحاء لغتان، أي: حرامًا ﴿مَّحْجُورًا﴾: (تا) محرمًا علينا أن نبشر بالجنة غير المؤمنين وجميع المستعمل من «ح ج ر» وتعكيسه يشمله معنىٰ الضيق والمنع، وحجرًا مصدر، ومحجورًا تأكيده، أو هما للاستعاذة؛ لأنهم كانوا في الدنيا إذا خافوا إنسانًا قالوا له: حجرًا محجورًا، فَيَكُفَّ عنهم، فإذا رأووا الملائكة قالوا ذلك ظنًّا أنَّه ينفعهم، أبو حاتم: تجعل (حجرًا) من قول المجرمين، فيتم الوقف عليه عنده، و(محجورًا) من قول الله تعالىٰ، المعنىٰ: إنَّ المجرمين قالوا للملائكة: حجرًا، أي: كفوا عنا، فقال تعالىٰ للملائكة: محجورًا عليكم أن تكفوا عنهم.

﴿وَقَدِمْنَآ﴾: أي قصدنا ﴿إِلَىٰ مَا عَمِلُواْ﴾: أي الكفار ﴿مِنْ عَمَلٍ﴾: من الخير كصدقة وصلة رحم في الدنيا ﴿فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً﴾ هو ما يُرىٰ كالغبار إذا وقع ضوء الشمس في الكوىٰ ﴿مَّنثُورًا﴾: (تا) مفرقًا، أو هو الغبار، أو الهباء المنثور ما يرىٰ في ضوء الشمس، والمبثوث ما يظهر من حوافر الخيل، تلخيصه: لا ينتفع الكفار ثمَّ بعمل [ما][٣] ﴿أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ﴾: يوم يستقرون فيها ﴿خَيْرٌ مُّسْتَقَرًّا﴾:

---

(١) سقط من ج، والمثبت من أ، ب.

(٢) سقط من أ، ب والمثبت من ج.

(٣) سقط من ج، والمثبت من أ، ب.

تمييز ﴿وَأَحۡسَنُ مَقِيلٗا﴾: (تا) قيلولة، وهي الاستراحة نصف النهار في الحر وإن لم يكن نوم؛ لأنَّه لا نوم في الجنة، ابن مسعود[1]: لا ينتصف النهار حتىٰ يقيل أهل الجنة في الجنة وأهل النار في النار.

القراءة: ﴿وَيَوۡمَ تَشَقَّقُ﴾: مشددًا، أي: تنشق، فأدغم، ومخففًا علىٰ حذف إحدىٰ التاءين، والباء في ﴿بِٱلۡغَمَٰمِ﴾: أي:الغيم الأبيض بمعنىٰ «عن»، أي: تشقق السماء عن الغمام، أو مع كركب بسلاحه، أي: تشقق وعليها غمام.

و**القراءة:** ﴿وَنُزِّلَ﴾: بنونين رفعًا مخففًا من أنزل ﴿ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ﴾ نصبًا مفعولًا إخبارًا عنه تعالىٰ، و(نُزِّل) مجهولًا مثقلًا ورفع (الملائكة) فاعلًا من نزل، يوضحه ﴿تَنزِيلًا﴾: (تا) **وقرئ:** (وأنزل الملائكة)، و(أنزلت الملائكة)، و(نزل الملائكة) نصبًا، روي أنَّه تنشق سماء سماء، وتنزل الملائكة بأيديهم صحائف أعمال العباد، يتم الوقف علىٰ (مقيلًا) و(تنزيلًا) إن نصبت (يوم تشقق) بفعل مضمر، واستأنفت ما بعد، وإن علقت (يوم تشقق) بـ(الملك) تم علىٰ (مقيلًا) دون (تنزيلًا).

﴿ ٱلۡمُلۡكُ يَوۡمَئِذٍ ٱلۡحَقُّ لِلرَّحۡمَٰنِۚ وَكَانَ يَوۡمًا عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ عَسِيرٗا ﴿٢٦﴾ وَيَوۡمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيۡهِ يَقُولُ يَٰلَيۡتَنِي ٱتَّخَذۡتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلٗا ﴿٢٧﴾ يَٰوَيۡلَتَىٰ لَيۡتَنِي لَمۡ أَتَّخِذۡ فُلَانًا خَلِيلٗا ﴿٢٨﴾ لَّقَدۡ أَضَلَّنِي عَنِ ٱلذِّكۡرِ بَعۡدَ إِذۡ جَآءَنِيۗ وَكَانَ ٱلشَّيۡطَٰنُ لِلۡإِنسَٰنِ خَذُولٗا ﴿٢٩﴾ وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَٰرَبِّ إِنَّ قَوۡمِي ٱتَّخَذُواْ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ مَهۡجُورٗا ﴿٣٠﴾ وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوّٗا مِّنَ ٱلۡمُجۡرِمِينَۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيٗا وَنَصِيرٗا ﴿٣١﴾ ﴾

﴿ٱلۡمُلۡكُ﴾: مبتدأ ﴿يَوۡمَئِذٍ﴾: معمول الملك ﴿ٱلۡحَقُّ﴾: نعته خبره ﴿لِلرَّحۡمَٰنِۚ﴾: يوم تشقق السماء، تلخيصه: الملك حقًّا هو ملك الرحمن ثَمَّ، وإن جعلت ﴿ يَوۡمَ تَشَقَّقُ ﴾ تأكيدًا لـ﴿ يَوۡمَ يَرَوۡنَ ﴾، فلا أحب الوقف بينهما اختيارًا.

﴿وَكَانَ﴾: ذلك اليوم ﴿يَوۡمًا عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ عَسِيرٗا﴾: (كا) شديدًا صعبًا، وعلىٰ

---

(١) أخرجه الطبري في «تفسيره» (٢١/ ٥٦).

المؤمنين يسيرًا، في الحديث: «**يهون يوم القيامة علىٰ المؤمنين حتىٰ يكون عليهم أخف من صلاة مكتوبة صلوها في الدنيا**»(١)، ولمَّا صدّ عقبة بن أبىٰ معيط أبيّ بن خلف عن الإسلام، أو بالعكس نزل ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ﴾(٢) أي:الكافر أبيّ أو عقبة المذكورين، أو جنس الكافر ﴿عَلَىٰ يَدَيْهِ﴾: ندمًا علىٰ تفريطه في جنب الله تعالىٰ، ويجوز أن تكون (علىٰ) زائدة، روي أنَّه يأكل يديه حتىٰ يبلغ مرفقيه، ثم تنبتان ثم يأكل، هكذا كلما أنبتتا أكلهما تحسرًا قائلًا: ﴿يَٰلَيْتَنِي ٱتَّخَذْتُ﴾: في الدنيا ﴿مَعَ ٱلرَّسُولِ﴾: محمد ﷺ ﴿سَبِيلًا﴾: طريقًا إلىٰ الجنة، وهو الإيمان ﴿يَٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا﴾عقبة أو أبيًا أو الشيطان، أو المراد بـ(الظالم) كل ظالم، وبـ(فلانًا) كل من أطيع في معصية الله تعالىٰ ﴿خَلِيلًا﴾: (تا) والخلة هي ألَّا يكون لطمع ولا لخوف بل في الدين.

﴿بَعْدَ إِذْ جَآءَنِي﴾: (تا) لأنَّه آخر كلام الظالم، وهذه الآية عامة في كل متحابين اجتمعا علىٰ معصية الله تعالىٰ، قال ﷺ: «**لا تصاحبْ إلا مؤمنًا، ولا يأكلْ طعامَك إلا تقيٌّ**»(٣)، وقال: «**المرء علىٰ دين خليله، فلينظرْ أحدُكم من يُخالِل**»(٤).

﴿وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِلْإِنسَٰنِ﴾: المطيع له ﴿خَذُولًا﴾: (تا) يخذله ثم يتبرؤه منه، وهذا حكاية كلام الله تعالىٰ، أو كلام الظالم في الدنيا، أو ثمَّ يقول: ﴿ٱلرَّسُولُ﴾: محمد ﷺ: ﴿يَٰرَبِّ إِنَّ قَوْمِي﴾: قريشًا ﴿ٱتَّخَذُواْ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ مَهْجُورًا﴾: (تا) متروكًا

---

(١) أخرجه أحمد (١١٧٣٥)، وابن حبان(٧٣٣٤)، وأبو يعلىٰ (١٣٩٠) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

(٢) انظر «أسباب النزول» (ص/ ٣٣٣).

(٣) أخرجه أبو داود (٤٨٣٢)، والترمذي (٢٣٩٥)، وأحمد (١١٣٥٥)، والدارمي (٢٠٥٧)، وابن حبان(٥٥٤)، والحاكم(٧١٦٩)، والطيالسي (٢٢١٣)، وأبو يعلىٰ (١٣١٥) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

(٤) أخرجه أبو داود (٤٨٣٣)، والترمذي (٢٣٧٨)، وأحمد (٨٠١٥)، والحاكم(٧٣١٩)، والطيالسي (٢٥٧٣)، والبيهقي في « شعب الإيمان» (٩٤٣٦) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

لا يلتفتون إليه، أو مهجورًا من الهجر الهذيان ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾: أي وكجعلنا لك يا محمد عدوا من المشركين ﴿جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا﴾: أي أعداء ﴿مِّنَ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾: المشركين، تلخيصه: أنت كالأنبياء في البلاء، وأنا ناصركم ﴿وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا﴾: (تا) .

﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانُ جُمْلَةً وَٰحِدَةً ۚ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۖ وَرَتَّلْنَٰهُ تَرْتِيلًا ﴿٣٢﴾ وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ﴿٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ أُو۟لَٰٓئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٣٤﴾ ﴾

وقال الكافرون: ﴿لَوْلَا نُزِّلَ﴾: بمعنىٰ أنزل ﴿عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانُ جُمْلَةً وَٰحِدَةً﴾: كنزول الكتب الثلاثة، وهذا اعتراض حيرة وبهت؛ لأنهم تحدّوا بالإتيان بسورة واحدة فعجزوا عن ذلك، حتىٰ أخلدوا إلىٰ بذل المهج والأموال دون الإتيان بها، حال من القرآن، ثم بين تعالىٰ العلة في نزوله نجومًا بقوله: ﴿ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ ﴾: لتزداد به بصيرة، وليكون أوعىٰ لك وأيسر علىٰ العامل والعالم، ﴿وَرَتَّلْنَٰهُ تَرْتِيلًا﴾: (تا) بيناه بيانًا بتثبت بعضهم، نقف علىٰ جملة واحدة ليبين أن بين نزول أول القرآن وآخره كان عشرين، أو ثلاثًا وعشرين سنة، وبعضهم علىٰ كذلك يعلقها بما قبل ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ﴾: يا محمد الكفار ﴿بِمَثَلٍ﴾: يضربونه لك جدلًا.

﴿إِلَّا جِئْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ﴾: أي بالمثل الحق، فيبطل ما جاؤك به ﴿وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾: (تا) إن رفعت أو نصبت ذمًّا ﴿ٱلَّذِينَ يُحْشَرُونَ﴾: ويتم [أيضًا][1] إن جعلت الذين مبتدأ خبره ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا﴾: مصيرًا ﴿وَأَضَلُّ سَبِيلًا﴾: (تا) خطأ طريقًا.

﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلْنَا مَعَهُۥٓ أَخَاهُ هَٰرُونَ وَزِيرًا ﴿٣٥﴾ فَقُلْنَا ٱذْهَبَآ إِلَى ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا فَدَمَّرْنَٰهُمْ تَدْمِيرًا ﴿٣٦﴾ وَقَوْمَ نُوحٍ لَّمَّا كَذَّبُوا۟ ٱلرُّسُلَ أَغْرَقْنَٰهُمْ وَجَعَلْنَٰهُمْ لِلنَّاسِ ءَايَةً ۖ وَأَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٣٧﴾ وَعَادًا وَثَمُودَا۟ وَأَصْحَٰبَ ٱلرَّسِّ وَقُرُونًۢا

(١) سقط من ج، والمثبت من أ، ب.

بَيْنَ ذَٰلِكَ كَثِيرًا ﴿٣٨﴾ وَكُلًّا ضَرَبْنَا لَهُ ٱلْأَمْثَٰلَ ۖ وَكُلًّا تَبَّرْنَا تَتْبِيرًا ﴿٣٩﴾﴾

في قوله تعالىٰ: ﴿ٱذْهَبَآ إِلَى ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا﴾ هم القبط، وتقديره: فذهبا فأنذرا فكذبوهما ﴿فَدَمَّرْنَٰهُمْ﴾: أهلكناهم، وقرئ: (فدمرتهم) و(فدمرناهم) و(فدمر إنهم) أمر لموسىٰ وهارون، فهو معطوف علىٰ (اذهبا).

﴿تَدْمِيرًا﴾: (كا) إيذان أنهم كانوا مكذبين من تقدّمهم من المرسلين؛ إذ التكذيب لا يظهر إلا بعد ظهور الآيات، ومن كذب رسولًا واحدًا فقد كذب جميع الرسل، وتعطف علىٰ ما قبل.

﴿وَقَوْمَ﴾: أي ودمرنا قوم ﴿نُوحٍ لَّمَّا كَذَّبُوا۟ ٱلرُّسُلَ﴾: أي نوحًا، أو تنصب (قوم) بفعل يفسره ﴿أَغْرَقْنَٰهُمْ وَجَعَلْنَٰهُمْ﴾ مغرقين ﴿لِلنَّاسِ ءَايَةً﴾: (كا) يتعظون بها ﴿أَلِيمًا﴾: (كا) قالوا، ولا أحبه لأجل عطف ﴿وَعَادًا وَثَمُودَا۟﴾ علىٰ ما قبل، وكذلك تعطف ﴿وَأَصْحَٰبَ ٱلرَّسِّ﴾: هو بئر، وكان لهم مواش، وكانوا يعبدون الأصنام، فأرسل إليهم شعيب فكذبوه [ق/ ٢٧٧ب] فخسف بهم وبمنازلهم وأموالهم وانهارت بئرهم، أو كان بينهم حنظلة بن صفوان فقتلوه فأهلكوا، أو هم بقية ثمود، أو هم أصحاب البئر المعطلة، أو هي بأذربيجان، أو اليمامة، أو هي بئر بنيت بعظام سوق الأنبياء ﴿وَقُرُونًۢا بَيْنَ ذَٰلِكَ﴾: أي وأهلكنا قرونًا بين عاد وأصحاب الرس ﴿كَثِيرًا﴾: (كا).

﴿وَكُلًّا﴾: من المهلكين، يفسره ﴿ضَرَبْنَا﴾: بينا ﴿لَهُ ٱلْأَمْثَٰلَ﴾: (كا) البراهين علىٰ الإيمان، ولم نهلكهم من غير إنذار ﴿وَكُلًّا﴾ منهم بعد التكذيب، نصب بـ﴿تَبَّرْنَا﴾: كسرنا وأهلكنا ﴿تَتْبِيرًا﴾: (تا) وكل مكسّر كزجاج أو ذهب أو فضة تتبر.

﴿وَلَقَدْ أَتَوْا۟ عَلَى ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِىٓ أُمْطِرَتْ مَطَرَ ٱلسَّوْءِ ۚ أَفَلَمْ يَكُونُوا۟ يَرَوْنَهَا ۚ بَلْ كَانُوا۟ لَا يَرْجُونَ نُشُورًا ﴿٤٠﴾ وَإِذَا رَأَوْكَ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَٰذَا ٱلَّذِى بَعَثَ ٱللَّهُ رَسُولًا ﴿٤١﴾ إِن كَادَ لَيُضِلُّنَا عَنْ ءَالِهَتِنَا لَوْلَآ أَن صَبَرْنَا عَلَيْهَا ۚ وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ حِينَ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ مَنْ

أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٢﴾ أَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَـٰهَهُۥ هَوَىٰهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا ﴿٤٣﴾﴾

وتنصب ﴿مَطَرَ ٱلسَّوْءِ﴾: صفة لمحذوف، أي أمطارًا مثل مطر السوء، والمراد قرىٰ لوط فعلوا الفاحشة فهلكوا.

﴿أَفَلَمْ يَكُونُواْ﴾: أي قريش، ﴿يَرَوْنَهَا﴾: (كا) عند سفرهم إلىٰ الشام فيتفكرون فيؤمنون ﴿بَلْ كَانُواْ لَا يَرْجُونَ نُشُورًا﴾: (حس) لا يخافون بعثًا فلا يؤمنون، أو (لا يرجون) لا يأملون؛ لأنهم كافرون وقالوا استهزاءً بالنبي ﷺ: ﴿أَهَـٰذَا ٱلَّذِى بَعَثَ ٱللَّهُ رَسُولًا﴾: (كا) ليثبت الحجة علينا، و«إن» مخففة من الثقيلة في ﴿إِن كَادَ﴾ أي: محمد، الفارق بينهما اللام في ﴿لَيُضِلُّنَا﴾ ليصرفنا عن عبادة آلهتنا لفرط جهاده في الدين ﴿لَوْلَآ أَن صَبَرْنَا عَلَيْهَا﴾: (كا) لصرفنا عن عبادتها، ثم تهددهم فقال: ﴿وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ حِينَ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ﴾: ثمَّ، ثم استفهم بقوله: ﴿مَنْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾: (تا) أخطأ طريقًا هم أم المؤمنون؟ ﴿أَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَـٰهَهُۥ هَوَىٰهُ﴾ هذا توبيخ لكل من عبد غير الله تعالىٰ، أو لكل من اتبع هواه ﴿أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا﴾: (كا) حافظًا يحفظه عن ارتكاب هواه وعبادة من يهواه، ولمَّا كانوا لا يصغون إلىٰ ما ينذرون به قال:

﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَٱلْأَنْعَـٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٤﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ ٱلظِّلَّ وَلَوْ شَآءَ لَجَعَلَهُۥ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا ٱلشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا ﴿٤٥﴾ ثُمَّ قَبَضْنَـٰهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا ﴿٤٦﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِبَاسًا وَٱلنَّوْمَ سُبَاتًا وَجَعَلَ ٱلنَّهَارَ نُشُورًا ﴿٤٧﴾﴾

﴿إِنْ هُمْ إِلَّا كَٱلْأَنْعَـٰمِ﴾ لا همَّ لهم سوىٰ الأكل والشرب، ثم فضل الأنعام عليهم فقال: ﴿بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾ [(كا)][1]: أخطأ طريقًا من الأنعام؛ لأنَّ الأنعام تنفر من ضرّها وتطلب نفعها، وهؤلاء ينفرون من نفعهم ويطلبون ضرهم ﴿مَدَّ ٱلظِّلَّ﴾: (كا) بسطه وهو ما نسخته الشمس، وهو إلىٰ الزوال، والفيء ما نسخ

---

(١) في أ، ب: (تا)، والمثبت من ج.

الشمس، وهو من الزوال إلىٰ الغروب ﴿وَلَوْ شَآءَ لَجَعَلَهُۥ سَاكِنًا﴾: دائمًا لا تنسخه الشمس ﴿ثُمَّ جَعَلْنَا ٱلشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا﴾: لأنَّه لولا الشمس لمَّا عرف الظل، والأشياء تعرف بأضدادها ﴿ثُمَّ قَبَضْنَٰهُ﴾ ثم جمعنا المنبسط من الظل ﴿إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا﴾: (حس) خفيًّا بتمهل.

﴿لِبَاسًا﴾: سترًا يستترون بظلمته.

﴿وَٱلنَّوْمَ سُبَاتًا﴾: راحة لأبدانكم وقطعًا لأعمالكم، وجاء بـ(ثم) ليفاضل ما بين الأمور، فكان الثاني أعظم من الأول، والثالث أعظم من الثاني.

﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦ ۚ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً طَهُورًا ﴿٤٨﴾ لِّنُحْـِۧىَ بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا وَنُسْقِيَهُۥ مِمَّا خَلَقْنَآ أَنْعَٰمًا وَأَنَاسِىَّ كَثِيرًا ﴿٤٩﴾ وَلَقَدْ صَرَّفْنَٰهُ بَيْنَهُمْ لِيَذَّكَّرُوا۟ فَأَبَىٰٓ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ﴿٥٠﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِى كُلِّ قَرْيَةٍ نَّذِيرًا ﴿٥١﴾ فَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَجَٰهِدْهُم بِهِۦ جِهَادًا كَبِيرًا ﴿٥٢﴾﴾

ومعنىٰ ﴿بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦ﴾: أي قدام المطر ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً طَهُورًا﴾: هو الطاهر في نفسه المطهر غيره، والطهور عند مالك ما يتكرر منه التطهير كالشكور لمن وجد منه الشكر مرارًا، ويكون الطهور اسمًا لمَّا يتطهر به كالسحور لمَّا يتسحر به، وصفة كـ(طهورًا) هنا، ثم بيَّن الحكمة في إنزال الماء فقال: ﴿لِّنُحْـِۧىَ بِهِۦ بَلْدَةً﴾: أي بلدًا ﴿مَّيْتًا﴾ قفرًا ﴿وَنُسْقِيَهُۥ﴾: أي:نسقي الماء، ومحل ﴿مِمَّا خَلَقْنَآ﴾: حال من ﴿أَنْعَٰمًا﴾: أي أنعامًا مما خلقنا، أو تتعلق (من) بـ(نسقيه) لابتداء الغاية كـ«أخذت من زيد مالًا» ﴿وَأَنَاسِىَّ﴾: جمع إنسان، وأصله أناسين كسرحان وسراحين، فأبدلت النون ياء وأدغمت فيها الياء، أو جمع إنسي، **وقرئ**: (أناسي) مخففًا بحذف ياء أفاعيل، كأنعم وأناعم وأناعيم ﴿كَثِيرًا﴾: (تا) وقدمت الأرض علىٰ الأنعام والأناسي لأنَّ حياتها سبب لحياتها.

﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَٰهُ﴾: وقرئ مخففًا، أي: فرقنا المطر ﴿بَيْنَهُمْ﴾: في البلدان

والأوقات المختلفة [ق/ ١٩٩ جـ]، ابن عباس(١): ما عامٌ بأمطرَ من عامٍ، ولكن الله يصرفه في الأرض، أو التصريف يرجع إلىٰ الريح، ثم بين علة التصريف فقال: ﴿لِيَذَّكَّرُواْ﴾: القراءة بسكون الذال وضم الكاف مخففين، وبفتحهما مشددين لغتان، أي: يتفكروا في أنعمه عليهم ﴿فَأَبَىٰٓ أَكۡثَرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُورٗا﴾: (حس) جحودًا للنعمة، وهم الذين يقولون: مطرنا بنوء كذا وكذا ﴿نَّذِيرٗا﴾: (كا).

﴿فَلَا تُطِعِ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾: في الإعراض عنهم وترك الإبلاغ ﴿وَجَٰهِدۡهُم بِهِۦ﴾: بالقرآن، أو بالله ﴿جِهَادٗا كَبِيرٗا﴾: (حس) شديدًا.

﴿۞ وَهُوَ ٱلَّذِي مَرَجَ ٱلۡبَحۡرَيۡنِ هَٰذَا عَذۡبٞ فُرَاتٞ وَهَٰذَا مِلۡحٌ أُجَاجٞ وَجَعَلَ بَيۡنَهُمَا بَرۡزَخٗا وَحِجۡرٗا مَّحۡجُورٗا ٥٣ وَهُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ مِنَ ٱلۡمَآءِ بَشَرٗا فَجَعَلَهُۥ نَسَبٗا وَصِهۡرٗاۗ وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرٗا ٥٤ وَيَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُهُمۡ وَلَا يَضُرُّهُمۡۗ وَكَانَ ٱلۡكَافِرُ عَلَىٰ رَبِّهِۦ ظَهِيرٗا ٥٥ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا مُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ٥٦ قُلۡ مَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ مِنۡ أَجۡرٍ إِلَّا مَن شَآءَ أَن يَتَّخِذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلٗا ٥٧ وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱلۡحَيِّ ٱلَّذِي لَا يَمُوتُ وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِهِۦۚ وَكَفَىٰ بِهِۦ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرًا ٥٨ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۚ ٱلرَّحۡمَٰنُ فَسۡـَٔلۡ بِهِۦ خَبِيرٗا ٥٩﴾

﴿مَرَجَ ٱلۡبَحۡرَيۡنِ﴾: أصل المرج الخلط، المعنىٰ: أرسلهما متلاصقين في مجاريهما ﴿هَٰذَا﴾: أي أحدهما ﴿عَذۡبٞ فُرَاتٞ﴾: التاء أصليّة، أي: شديد العذوبة حتىٰ يقارب الحلاوة ﴿وَهَٰذَا مِلۡحٌ أُجَاجٞ﴾: شديد الملوحة ضد الفرات، زعم أنَّه لا يقال: ماء مالح، وقد روينا مالحًا، يدل عليه ما قرئ: (ملح) مخفف مالح، كبرد مخفف بارد، وعن ابن الأعرابي(٢):

صبّحن قوًّا والحمام واقع وماء قوٍّ مالح وناقع

ومثله: وإني لا أعيج بمالح، ابن جني: مما قرئ علىٰ أحمد بن يحيىٰ فاعترف بصحته: ماء مالح، وسمك مالح، والمراد بهما بحرا فارس والروم.

---

(١) أخرجه الطبري في «تفسيره» (١٩/ ٢٨٠).

(٢) الرجز لأبي زياد الكلابي في لسان العرب(٢/ ٦٠٠).

﴿وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا﴾: ظرف ﴿بَرْزَخًا﴾: حاجزًا [وكل حاجز][1] برزخ، رؤي أو لم ير، المعنىٰ: جعل بينهما حاجزًا لئلا يختلط أحدهما بالآخر ﴿وَحِجْرًا مَّحْجُورًا﴾: (حس) واستعاذة لئلا يجور أحدهما علىٰ الآخر بالاختلاط؛ لأنَّ حجرًا محجورًا وضع للاستعاذة ﴿مِنَ ٱلْمَآءِ بَشَرًا﴾ من المني إنسانًا ﴿فَجَعَلَهُۥ نَسَبًا﴾: أي ذا نسب، بأن يقال: يا فلان ابن فلان.

﴿وَصِهْرًا﴾: ذا صهر، وهو الختن الخليل، لا يقال لأهل بيت الرجل إلا الأختان، وأهل بيت المرأة إلا الأصهار علىٰ النسب ما لا يحل نكاحه، والصهر ما يحل نكاحه، وجميع المستعمل من «ص هـ ر» وتعكيسه يشمله معنىٰ الاختلاط والضم ﴿وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا﴾: (تا) ﴿مَا لَا يَنفَعُهُمْ﴾: إن عبدوه ﴿وَلَا يَضُرُّهُمْ﴾: إن تركوا عبادته ﴿وَكَانَ ٱلْكَافِرُ عَلَىٰ رَبِّهِۦ﴾: بطاعة الشيطان ﴿ظَهِيرًا﴾: (تا) معينًا، أو ظهيرًا علىٰ أوليائه تعالىٰ، أو الظهير الهيّن، من ظهرت الشيء جعلته خلف ظهري لا ألتفت إليه، أي كان الكافر هينًا علىٰ الله ثَمَّ، كقوله: ولا ينظر إليهم ولا يكلمهم الآية ﴿وَنَذِيرًا﴾: (حس).

﴿إِلَّا مَن شَآءَ أَن يَتَّخِذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا﴾: (تا) استثناء منقطع، المعنىٰ: لا أطلب من أموالكم جعلًا لنفسي، لكن من شاء إنفاقها لوجه الله تعالىٰ فلا أمنعه ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَيِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ﴾: لأنَّ من لا يموت حقيقٌ أن يتوكل عليه دون غيره.

﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِۦ﴾: (حس) حقيقة، أو صل شكرًا لله تعالىٰ علىٰ نعمه، لا أحب الوقف علىٰ ﴿وَكَفَىٰ بِهِۦ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرًا﴾: متعلق بـ(ذنوب)، أي: كفىٰ الله خبيرًا بذنوبهم لا وقف هنا إن أبدلت.

﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾: أي في مدتها، لأنَّه لم يكن ثَمَّ [ق/ ٢٧٨ب] شمسٌ ولا قمرٌ من (الحي الذي لا يموت)، ويتم الوقف

(١) سقط من ج، والمثبت من أ، ب.

علىٰ ﴿خَبِيرًا﴾ إن رفعت أو نصبت ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ﴾ مدحًا، فيتم الوقف علىٰ ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ وترفع ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ﴾ مبتدأ خبره ﴿فَسْـَٔلْ﴾ فالفاء زائدة، أو ترفع (الرحمن) خبر مبتدأ محذوف، وتقف بعد (الرحمن) إن رفعته فاعل (استوىٰ)، أو بدل من ضمير (استوىٰ)، أو خبر (الذي خلق)، فالفاء جواب شرط محذوف تقديره: إن شككت فاسأل، ويكون الخطاب له والمراد غيره، وقرئ بجر (الرحمن) صفة لـ(الذي خلق) والباء صلة.

﴿خَبِيرًا﴾: (كا) فـ(خبيرًا) مفعول، أي: سل رجلًا خبيرًا به وبرحمته يخبرك، أو فسل بسؤاله خبيرًا، نحو: رأيت به أسدًا، أو (خبيرًا) حال مؤكدة من الهاء، أي: سله عالمًا بكل شيء، أو الباء بمعنىٰ «عن» فيتعلق بـ(سل)، أي: سل عن الرحمن خبيرًا، فـ(خبيرًا) مفعول أيضًا، ومعنىٰ: (فسل به) كاهتم به، واسأل عنه كابحث عنه.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱسْجُدُوا۟ لِلرَّحْمَٰنِ قَالُوا۟ وَمَا ٱلرَّحْمَٰنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُورًا ۩ ﴿٦٠﴾ تَبَارَكَ ٱلَّذِى جَعَلَ فِى ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَٰجًا وَقَمَرًا مُّنِيرًا ﴿٦١﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ خِلْفَةً لِّمَنْ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا ﴿٦٢﴾﴾

لمَّا أمر المشركون بالسجود للرحمن ﴿قَالُوا۟ وَمَا ٱلرَّحْمَٰنُ﴾: (حس) لأنهم لم يكونوا سمعوا بذكره، المعنىٰ: أي شيء هو؟ أو من هو؟ لم نعرف إلا رحمن اليمامة، يعنون مسيلمة، أو أنهم لم ينكروا اسم الرحمن لغة بل ردا وعنادًا، **القراءة:** ﴿أَنَسْجُدُ لمَّا تَأْمُرُنَا﴾: بالتاء خطابًا للنبي ﷺ، وبالياء غيبة إخبارًا عنه ﷺ، و«ما» موصولة، أو نكرة موصوفة، تقديره: أنسجد لما تأمرنا بالسجود له، أو مصدرية، أي: لأجل أمرك بالسجود للرحمن، فأبوا ﴿وَزَادَهُمْ﴾ الأمر له بالسجود ﴿نُفُورًا﴾: (تا) تباعدًا عن الإيمان في ﴿ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا﴾: هي الاثني عشر برجًا، وهي الحمل إلىٰ الحوت، وهي منازل الكواكب السبعة، سميت بالبروج القصور؛

لأنها [لها][(١)] كالقصور لسكانها، أو لظهورها.

القراءة: ﴿وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا﴾: [جمعًا][(٢)] جمع سراج وهي النيرات، أو أجزاء الشمس، فكان كل جزء منها سراج لوجود ضوئها في مكان دون مكان، ومفردًا، أي: شمسًا ﴿وَقَمَرًا مُّنِيرًا﴾: (حس) وقرئ: (سُرجًا) و(قُمرًا) بسكون الراء والميم وضم القاف جمع ليلة قمراء، أي: وذا قمر منير؛ لأنَّ الليالي تكون قمراء بالقمر، فأبقىٰ حكم المضاف بعد سقوطه كبيت حسّانَ[(٣)]، بَرَدَي يُصَفّق.

أي: ماءَ بردي.

﴿خِلْفَةً﴾: مفعول ثان لـ(جعل)، أو حال، المعنىٰ: إذا ذهب أحدهما خلفه الآخر، وما نقص من هذا زاد في ذلك، أو المعنىٰ: من فاته شيء من العمل في هذا قضاه في ذلك، أو جعل أحدهما أبيض والآخر أسود، وقرئ بالقاف، أي: خلقهما خلقة.

القراءة: ﴿أَن يَذَّكَّرَ﴾: بضم الكاف مخففًا من الذكر، وبفتح الذال والكاف مشددًا من التذكر ﴿شُكُورًا﴾: (حس) تلخيصه: جعل اختلافهما لمريد التذكير والشكر.

﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَٰنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا ﴿٦٣﴾
وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا ﴿٦٤﴾ وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ
إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ﴿٦٥﴾ إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿٦٦﴾ وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا
وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا ﴿٦٧﴾ وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ

---

(١) سقط من ج، والمثبت من أ، ب.

(٢) سقط من ج، والمثبت من أ، ب.

(٣) البيت بتمامه:

يسقون من ورد البريص عليهم ... بردىٰ يصفق بالرحيق السلسل

انظر «الكامل» للمبرد (١/ ١٩١)

ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَٰعَفْ لَهُ ٱلْعَذَابُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِۦ مُهَانًا ﴿٦٩﴾﴾

﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ﴾: [مبتدأ خبره][1] ﴿ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ﴾ وقرئ: (وعُبَّاد) جمع عابد، ويمشون ﴿عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا﴾: حال، أي: يمشون وعليهم السكينة والوقار لا يسفهون، وإن سُفه عليهم حلموا ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ﴾: بما يكرهون ﴿قَالُواْ سَلَٰمًا﴾: (كا) مصدر، أي: سدادًا من القول، يَسْلمون [فيه من إثم، أو يسلمون][2] على الجاهل إذا سفه عليهم، وهذه الآية محكمة عند أكثرهم؛ لأنَّ الحلم عن السفيه مندوب إليه، ومنسوخة عند بعضهم بآية السيف، هذا وصفهم نهارًا، ووصفهم ليلًا أنهم ﴿يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَٰمًا﴾: (كا) يقال: بات لمن دخل عليه الليل وإن لم ينم، ابن عباس[3]: من صلى بعد العشاء الآخرة ركعتين فقد بات لله ساجدًا وقائمًا، أو من قرأ شيئًا من القرآن في صلاة وإن قل فقد بات لله ساجدًا وقائمًا، أو المراد إحياء جميع الليل أو أكثره، قال ﷺ حكاية عن الله تعالى: «**ما تقرَّب إليَّ عبدي بمثل أداءِ ما افترضتُ عليه، ولا يزال العبدُ يتقربُ إليَّ بالنوافلِ حتى أحبّه...**»[4] الحديث، لا أحب الوقف على ﴿جَهَنَّمَ﴾ نعوذ بالله تعالى منها.

﴿إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا﴾: (حس) دائمًا لازمًا كلزوم الغريم الغريم، يحسن الوقف هنا إن استأنفت ولم تجعل ﴿إِنَّهَا سَآءَتْ﴾ [أي: يئست][5] ﴿مُسْتَقَرًّا﴾: تمييز أو حال ﴿وَمُقَامًا﴾: (كا) من تمام كلام القوم، ولا يجوز إن جعلته من تمام كلامهم، ويجوز أن يكون من كلام الله تعالى، وفي (ساءت) ضمير مبهم يفسره

---

(١) سقط من ج، والمثبت من أ، ب.

(٢) سقط من ج، والمثبت من أ، ب.

(٣) انظر «الكشف والبيان» للثعلبي (٧/ ١٤٦)، و«تفسير البغوي» (٣/ ٤٥٥).

(٤) صحيح : أخرجه البخاري(٦١٣٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٥) سقط من أ، ب، والمثبت من ج.

﴿مُسْتَقَرًّا﴾، والمخصوص بالذم محذوف، أي: ساءت مستقرا ومقامًا هي، وهذا الضمير هو الذي ربَط الجملة باسم «إن» فجعلها خبرًا لها.

القراءة: ﴿لَمْ يُسْرِفُواْ وَلَمْ يَقْتُرُواْ﴾: بضم الياء وكسر التاء من «اقتر»، أو من «قتَّر» مشددًا، وبفتح الياء وكسر التاء وضمها لغتان في مستقبل «قتر» مخففًا، والإسراف النفقة في المعصية وإن قلَّت، والإقتار منع حق الله تعالىٰ، وأصل الإسراف مجاوزة الحد، والإقتار التضييق، وفي «كان» اسمها، أي: كان الإنفاق ﴿بَيْنَ ذَٰلِكَ﴾: الإسراف والإقتار ﴿قَوَامًا﴾: (كا) خبرها، أي: وسطًا؛ لأنَّ القوام العدل بين الشيئين لاستواء طرفيه، كالسواء [من الاستواء](١)، ويجوز أن يكون الظرف خبرًا، و(قوامًا) حالًا مؤكدة، وقرئ بكسر القاف، وهو ما تقام به الحاجة ولا يفضل عنها، قالوا: هذه الآية في أصحاب النبي ﷺ، كانوا لا يأكلون طعامًا للذة ولا يلبسون ثوبًا لجمال، بل يأكلون ما يسد الجوعة ويلبسون ما يستر العورة ويقيهم من الحر والقر، عمر(٢): كفىٰ بالمرء سرفًا ألا يشتهي شيئًا إلا اشتراه فأكله. ونزل فيمن أقدم علىٰ معصية الله تعالىٰ مع الشرك وأراد التوبة ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ﴾: أي حرمها الله، أي: حرم قتلها ﴿إِلَّا بِٱلْحَقِّ﴾: متعلق بالقتل المحذوف [ق/ ١٦٧أ]، أو بـ(لا يقتلون).

﴿وَلَا يَزْنُونَ﴾: (حس).

﴿وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ﴾: أي شيئًا من المذكور ﴿يَلْقَ﴾ وقرئ: (يلقىٰ) بألف لفظًا، و(يُلَقَّ) مشددًا ﴿أَثَامًا﴾ اسم للمصدر كالكلام والسلام، والآثام والإثم اسم للأفعال المبطئة عن الخير، وجمعها آثام، أي: جزاء الإثم وهي العقوبة، أو الآثام بئر في جهنم، في الحديث: «**الغي وآثام بئران يسيلُ فيهما صديدُ أهلِ النار**»(٣).

(١) سقط من أ، ب، والمثبت من ج.
(٢) أخرجه عبد الرزاق في «تفسيره» (٢/ ٤٥٨).
(٣) أخرجه الطبراني في «المعجم الكبير» (٧٧٣١)، وفي «مسند الشاميين» (١٥٨٩) من حديث أبي أمامة رضي الله عنه.

يحسن الوقف هنا على القراءة برفع ﴿يُضَٰعَفۡ﴾: استئناف، ولا يجوز على القراءة بجزمه بدلًا من «يلق»، جواب «من»، ويحذف الألف مشددًا جزمه أيضًا، وقرئ: (نضعّف) بالنون ونصب (العذاب)، فمن جزم (يضاعف) جزم (ويخلد)، ومن رفعه رفعه لأنَّه معطوف عليه، المعنى: من ارتكب شيئًا من ذلك يعذب مرارًا يتزايد ﴿لَهُ ٱلۡعَذَابُ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَيَخۡلُدۡ﴾.

وقرئ: (ويُخلَّد) مجهولًا مخففًا ومثقلًا من أخلد ﴿فِيهِۦ مُهَانًا﴾ حال، أي: يهان دائمًا في العذاب.

﴿إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلٗا صَٰلِحٗا فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمۡ حَسَنَٰتٖۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ﴿٧٠﴾ وَمَن تَابَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا فَإِنَّهُۥ يَتُوبُ إِلَى ٱللَّهِ مَتَابٗا ﴿٧١﴾ وَٱلَّذِينَ لَا يَشۡهَدُونَ ٱلزُّورَ وَإِذَا مَرُّواْ بِٱللَّغۡوِ مَرُّواْ كِرَامٗا ﴿٧٢﴾ وَٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمۡ لَمۡ يَخِرُّواْ عَلَيۡهَا صُمّٗا وَعُمۡيَانٗا ﴿٧٣﴾ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبۡ لَنَا مِنۡ أَزۡوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعۡيُنٖ وَٱجۡعَلۡنَا لِلۡمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴿٧٤﴾ أُوْلَٰٓئِكَ يُجۡزَوۡنَ ٱلۡغُرۡفَةَ بِمَا صَبَرُواْ وَيُلَقَّوۡنَ فِيهَا تَحِيَّةٗ وَسَلَٰمًا ﴿٧٥﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ حَسُنَتۡ مُسۡتَقَرّٗا وَمُقَامٗا ﴿٧٦﴾ قُلۡ مَا يَعۡبَؤُاْ بِكُمۡ رَبِّي لَوۡلَا دُعَآؤُكُمۡۖ فَقَدۡ كَذَّبۡتُمۡ فَسَوۡفَ يَكُونُ لِزَامَۢا ﴿٧٧﴾﴾

ومحل ﴿إِلَّا مَن تَابَ﴾: من ذنبه نصب لأنَّه من الجنس، ﴿وَعَمِلَ عَمَلٗا صَٰلِحٗا﴾ [ق/ ٢٧٩ب] بعد توبته بينه وبين ربّه ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمۡ حَسَنَٰتٖۗ﴾: (كا) هنا فبدلوا بالشرك إيمانًا، وبقتل المؤمنين قتل الكافرين، وبالزنا عفة وإحصانًا، أو يبدلون سيئاتهم حسنات في الآخرة، أبو ذر: «**آخرُ رجلٍ يخرج من النار يؤتى به يوم القيامة، فيقال: اعرضوا عليه صغارَ ذنوبه، ويُخبَّأ عنه كبارُها، فيقال: أعطوه مكان كل سيئة حسنة، فيقول: يا ربّ، إن لي ذنوبًا لا أراها ههنا**»، قال أبو ذر: «**فلقد رأيت رسول الله ﷺ ضحك حتى بدت نواجذه**»[1]. أو يُمحى بالنّدم كلّ سيئة ثم يثبت مكان كل سيئة حسنة.

---

(١) أخرجه أحمد (٢١٤٣٠).

﴿وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا﴾: (حس).

﴿مَتَابٗا﴾: (كا).

﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَشۡهَدُونَ ٱلزُّورَ﴾ أي:الشرك، أو الكذب، أو شهادة الزور، فحذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه، أو هو أعياد المشركين، أو اللهو والغناء، ابن مسعود[(١)]: الغناء [ق/ ٢٠٠جـ] ينبت النفاق في القلب كما ينبت الماء البقل. أو مجالسة الخطائين، وعن عيسىٰ عليه السلام: «إياكم ومجالسة الخطائين».

﴿وَإِذَا مَرُّواْ بِٱللَّغۡوِ﴾ بكل باطل وما يلغىٰ ويطرح، أو إذا أرادوا ذكر النساء والفروج كنوا عنها.

﴿مَرُّواْ كِرَامٗا﴾: (كا) حال، أي: منزهين نفوسهم عما يدنسها، تلخيصه: لا يحضرون ولا يشاهدون ما لا يجوز شرعًا؛ لأنَّ في الحضور والمشاهدة دليلًا علىٰ الرضا بذلك، السدي: [هي][(٢)] منسوخة بآية القتال. ومعنىٰ ﴿ذُكِّرُواْ﴾: وعظوا ﴿بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمۡ﴾: القرآن، وليس المراد بقوله: ﴿لَمۡ يَخِرُّواْ عَلَيۡهَا صُمّٗا وَعُمۡيَانٗا﴾ [(تا)][(٣)]: حالان نفي للخرور، بل إثبات له ونفي للصم والعمىٰ، نحوه: لا يلقاني زيد مُسَلِّمًا، فهذا نفي للسلام لا للقاء، وهذا أحسن ما يوجد من العبادة، المعنىٰ: إنهم إذا وعظوا أقبلوا علىٰ الواعظ بآذان سامعة وقلوب واعية مصدقين لا كالمنافقين.

القراءة: ﴿وَذُرِّيَّٰتِنَا﴾: جمعًا حملًا علىٰ المعنىٰ؛ لأنَّ لكل واحد منهم ذرية، ومفردًا إرادة الجنس ووحد ﴿قُرَّةَ﴾: نصب مفعول (هب)؛ لأنها مصدر، **وقرئ**: (قرات) ﴿أَعۡيُنٖ﴾ و(من ذريتنا) حال من (قرة)، والقرة من القر البرد، أي: تأتي عينه

---

(١) أخرجه البيهقي في « شعب الإيمان» (٥٠٩٨).

(٢) سقط من ج، والمثبت من أ، ب.

(٣) في أ، ب: (كا)، والمثبت من ج.

بالدمع البارد؛ لأنَّ دمعة السرور باردة ودمعة الحزن حارة، أو هو أن يصادف قلبه من يرضاه فتقر عينه عن النظر إلىٰ غيره، أو أنهم سألوا أن يُلحِق الله تعالىٰ بهم في الجنة أزواجهم وأولادهم فيتم سرورهم بهم، الحسن[١]: والله ما طلب القوم إلا أن يطاع الله فتقر أعينهم.

محمد بن كعب[٢]: ليس شيء أقرّ لعين المؤمن من أن يرىٰ زوجته وأولاده مطيعين لله تعالىٰ.

تلخيصه: قالوا: ارزقنا ما يسرنا.

﴿وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾: (حس) أئمة، فاكتفي بالواحد عن الجمع، أي: اجعل كل واحد منا [إمامًا][٣] يقتدي به المؤمنون فيهتدون، أو هو من المقلوب، أي: اجعل المتقين لنا أئمة، أو هو مصدر كقيام، أي: ذوي إمام، أو جمع إمامة كقلادة وقلاد جمع أعين جمع قلة؛ لأنَّ المتقين أقل من غيرهم، إن جعلت ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُجْزَوْنَ ٱلْغُرْفَةَ﴾: أي الغرفات خبر ﴿عِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ﴾، فـ﴿ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ﴾ صفة ﴿عِبَادُ﴾، فلا أحبّ الوقف بينهما اختيارًا، والغرفات العلالي وأشرف الأماكن، عطاء[٤]: يريد غرف الدّر والياقوت والزبرجد في الجنة ﴿بِمَا صَبَرُواْ﴾: بصبرهم علىٰ أذىٰ المشركين والمكروهات وعن الشهوات.

القراءة: ﴿وَيُلَقَّوْنَ﴾: مخففًا ومثقلًا ﴿فِيهَا تَحِيَّةً﴾: ملكًا، أو بقاءً دائمًا في الجنة ﴿وَسَلَٰمًا﴾: سلامة من الآفات، أو يسلم بعضهم علىٰ بعض، أو تسلم عليهم الملائكة.

﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا﴾: حال ﴿حَسُنَتْ﴾: أي الغرفة ﴿مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا﴾: (تا) موضع

---

(١) انظر «تفسير البغوي» (٣/ ٤٥٩).
(٢) انظر «تفسير البغوي» (٣/ ٤٥٩).
(٣) سقط من أ، ب والمثبت من ج.
(٤) انظر «تفسير البغوي» (٣/ ٤٦٠).

قرار وإقامة، «العبء» كل ثقل.

وما جحدٌ في ﴿مَا يَعْبَؤُاْ بِكُمْ رَبِّي﴾: المعنىٰ: ليس يثقل عليه عذابكم ﴿لَوْلَا دُعَآؤُكُمْ﴾: (كا) إياه بالتوحيد والطاعة، أو لولا دعاؤكم إياه في الشدائد، أو لولا دعاؤه إياكم إلىٰ طاعته، أو المعنىٰ: لم أخلقكم وَلِي إليكم حاجة إلا أن تسألوني فأعطيكم وتستغفروني فأغفر لكم، أو «العبء» التهيئة والصنع، ومنه: عبأت الطيب، و«ما» استفهامية محلها نصب، وهي كناية عن المصدر، تقديره: أي عبء يعبأ بكم، المعنىٰ: أي شيء يصنع بعذابكم لولا دعاؤكم له شريكًا.

﴿فَقَدْ كَذَّبْتُمْ﴾: يا أهل مكة الله ورسوله، **وقرئ**: (فقد كذب) الكافرون ﴿فَسَوْفَ يَكُونُ﴾: العذاب ﴿لِزَامًا﴾: (تا) ذا لزام، أو ملازمًا، وضع مصدر لازم موضع اسم الفاعل، والمراد الموت، أو القتل ببدر قتل منهم سبعون وأسر سبعون، أو المعنىٰ: يلزم كل عامل عمله من خير وشر، وقرئ بفتح اللام بمعنىٰ اللزوم كالثبوت.

سورة (الشعراء)

مكية إلا ﴿وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ.....﴾ إلىٰ آخرها فمدني، وهي مائتان وست أو وسبع وعشرون آية .

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿طسٓمٓ ﴿١﴾ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ﴿٢﴾ لَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾ إِن نَّشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ءَايَةً فَظَلَّتْ أَعْنَٰقُهُمْ لَهَا خَٰضِعِينَ ﴿٤﴾ وَمَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ مُحْدَثٍ إِلَّا كَانُوا۟ عَنْهُ مُعْرِضِينَ ﴿٥﴾ فَقَدْ كَذَّبُوا۟ فَسَيَأْتِيهِمْ أَنۢبَٰٓؤُا۟ مَا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَى ٱلْأَرْضِ كَمْ أَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ﴿٧﴾﴾

قد تقدم الكلام علىٰ الوقف في أول البقرة، القراءة بإمالة الطاء هنا والنمل والقصص، وبفتحها وبإظهار النون من سين في ﴿طسٓمٓ﴾ عند الميم هنا والقصص، وبإدغامها [فيها][1] وطسم قسم، أو اسم للسورة، ابن عباس: عجز العلماء عن تفسيرها.

﴿ٱلْمُبِينِ﴾: (كا).

﴿لَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ﴾: أي:قاتلها غمًّا، ويقال: بخع فلان بالطاعة وبما عليه من الحق، أقر به مع كراهة شديدة فجرىٰ لذلك مجرىٰ بخع النفس في الشدة، في الحديث: «**أتاكم أهلُ اليمنِ، هم أرقُّ قلوبًا، وأنخع طاعة**»[2]، فكأنهم في قهرهم نفوسهم كالباخع نفسه، الزمخشري[3]: البخع أن يبلغ بالذبح النخاع بالباء، وهو

---

(١) سقط من ج، والمثبت من أ، ب.

(٢) أخرجه البخاري (٤١٢٩)، ومسلم (٥٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه دون قوله: «وأنخع طاعة».

(٣) «الكشاف» (٣/ ٢٩٨).

عرق مستبطن الفقار، وذلك أقصىٰ حد الذابح. هذا مسطور «كشافه»، وفي غريبه «الفائق»[١]: هو من بخع الذبيحة، بالغ في ذبحها، وهو أن يقطع عظم رقبتها ويبلغ بالذبح النخاع بالباء، وهو العرق الذي في الصلب، والنخع بالنون دون ذلك، وهو أن يبلغ بالذبح والنخاع، وهو الخيط الأبيض يجري في الرقبة، ثم كثر استعماله في كل مبالغة، وما ذكر أنَّه بالباء فأهل اللغة ذكروه في كتبهم في النون والخاء [ق/ ٢٨٠ب] والعين مع اختلاف عباراتهم، ولقد تتبعت «بخع» زمانًا طويلًا فما رأيت فيه شيئًا مما قال، وذكر مجد الدين أبو السعادات المبارك الجزري في «نهايته»[٢] أنَّه بحث عنه في كتب اللغة والطب والتشريح فلم يجد البخاع بالباء مذكورًا فيها، ومع ذلك فالظن بأهل العلم حسن، وقرئ: (باخعُ نفسك) إضافة، وفي «لعل» معنىٰ الإشفاق، المعنىٰ: أشفق علىٰ نفسك لا تقتلها لأجل ﴿أَلَّا يَكُونُواْ مُؤْمِنِينَ﴾: (حس).

﴿إِن نَّشَأۡ نُنَزِّلۡ﴾: وقرئ: (لو نشاء لأنزلنا) ﴿عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ءَايَةً﴾.

ومحل ﴿فَظَلَّتۡ﴾: أي فتظلل، وقرئ بها جزم عطف علىٰ (ننزل)؛ لأنَّه جواب الشرط، المعنىٰ: لدامت ﴿أَعۡنَٰقُهُمۡ﴾: أي عظماؤهم، أو هم جمع عنق من الناس، أي: طائفة ﴿لَهَا خَٰضِعِينَ﴾: (حس) أو لمَّا وصفت الأعناق بالخضوع، جمعت جمع العقلاء، والمراد بإحداث الذكر إحداث إنزاله وهو القرآن، المعنىٰ: ما يأتيهم شيء من القرآن إلا كانوا عنه وعن الإيمان به ﴿مُعۡرِضِينَ﴾: (كا).

﴿فَقَدۡ كَذَّبُواْ﴾: محمدًا والقرآن ﴿فَسَيَأۡتِيهِمۡ﴾: يقينًا ﴿أَنۢبَـٰٓؤُاْ مَا كَانُواْ بِهِۦ﴾: من الحق ﴿يَسۡتَهۡزِءُونَ﴾: (تا).

﴿كَمۡ﴾: نصب بـ﴿أَنۢبَتۡنَا﴾: ومحل ﴿مِن كُلِّ زَوۡجٖ كَرِيمٍ﴾: (حس) حال، يعني: نافعًا حسنًا، الشعبي: الناس من نبات الأرض، فمن دخل الجنة فهو كريم،

---

(١) «الفائق» (١/ ٨٢).

(٢) «النهاية» (١/ ٢٥٨).

ومن دخل النار فهو لئيم، وجمع بين «كم» و«كل»، لأنَّ «كل» تدل على الإحاطة بجميع أزواج النبات، و«كم» تدل على كثرة المحاط به من الأزواج

﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿٩﴾ وَإِذْ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰ أَنِ ائْتِ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿١٠﴾ قَوْمَ فِرْعَوْنَ ۚ أَلَا يَتَّقُونَ ﴿١١﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ﴿١٢﴾ وَيَضِيقُ صَدْرِي وَلَا يَنطَلِقُ لِسَانِي فَأَرْسِلْ إِلَىٰ هَارُونَ ﴿١٣﴾ وَلَهُمْ عَلَيَّ ذَنبٌ فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ ﴿١٤﴾ قَالَ كَلَّا ۖ فَاذْهَبَا بِآيَاتِنَا ۖ إِنَّا مَعَكُم مُّسْتَمِعُونَ ﴿١٥﴾ فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦﴾ أَنْ أَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴿١٧﴾ قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ ﴿١٨﴾ ﴾

﴿وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [(كا)][(١)]: المعنىٰ: سبق علي فيهم أنهم لا يؤمنون، أو «كان» زائدة ﴿الرَّحِيمُ﴾: (تا) لاستئنافك ما بعد، و«أن» في ﴿وَإِذْ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰ أَنِ ائْتِ﴾: مصدرية أو مفسرة، ولا وقف علىٰ ﴿الظَّالِمِينَ﴾: لأنَّ ﴿قَوْمَ فِرْعَوْنَ﴾ هم الظالمون في المعنىٰ، وُسِموا بالظلم لظلمهم أنفسهم بالكفر، وبني إسرائيل بالاستعباد والتذبيح، يحسن الوقف هنا إن استأنفت ولم تنصب ﴿أَلَا يَتَّقُونَ﴾: (حس) وقرئ بالتاء خطابًا حالًا من ضمير (الظالمين) وإن دخلت همزة الإنكار عليها، أي: يظلمون غير متقين عقابه، وقرئ: (يتقون) كسرًا، أصله «يتقونني» فحذفت النون ثم الياء تخفيفًا.

﴿إِنِّي أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ﴾: (حس) على القراءة برفع قاف ﴿وَيَضِيقُ صَدْرِي﴾: بتكذيبهم إياي ﴿وَلَا يَنطَلِقُ لِسَانِي﴾: لأجل العقدة فيه، استئناف، فالخوف واقع على التكذيب وحده، وضيق الصدر وعدم انطلاق اللسان يتحققان؛ لأنَّه أخبر بهما، وقرئ بنصب القافين عطفًا على (يكذبون)، فلا وقف بينهما، فالخوف قد وقع على التكذيب وضيق الصدر وعدم نطق اللسان ﴿فَأَرْسِلْ إِلَىٰ هَارُونَ﴾: ملكًا يعرفه أنَّه نبي وأنَّه عضدي ليعينني ﴿وَلَهُمْ عَلَيَّ﴾: ذنب، وهو قتل القبطي ﴿فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ﴾: (حس) به، ولم يطلب موسى هارون توقفًا في امتثال الأمر، بل

(١) سقط من ج، والمثبت من أ، ب.

حرصًا علىٰ تبليغ الرسالة، لاحتمال عوارض تصد عنها، ومما يدل علىٰ أنَّه في غاية الامتثال أنَّه طلب المعين، ولذلك أجيب.

﴿قَالَ كَلَّا﴾: [(كا)][(١)] ولا يبتدئ بها هنا، ومعناها الردع، ولذلك عطف ما بعدها علىٰ الفعل الذي دلت عليه، تقديره: ارتدع عن ظنك ﴿فَٱذْهَبَا﴾: أنت وهارون ﴿إِنَّا مَعَكُم﴾: بالنصر ﴿مُّسْتَمِعُونَ﴾: (كا) سامعون فأنصركم عليه، يقال: استمع إلىٰ حديثه وسمع حديثه أصغىٰ إليه، والمعيّة الحقيقية من الله تعالىٰ مع خلقه محال، ووحد ﴿إِنَّا رَسُولُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾: لأنَّ موسىٰ كان الأصل وهارون تابعه، أو لأنَّ كل واحد رسول، فحذف أحدهما اكتفاء بالآخر، ويجوز أنهما لمَّا اتحدا في المودة والرسالة وصفا بالواحد، ومنه قولهم: الصديق [حيوان][(٢)]، هو أنت إلا أنَّه غيرك، و«أن» بمعنىٰ «أي» في ﴿أَنْ أَرْسِلْ مَعَنَا بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾: (حس) إلىٰ الشام ﴿وَلِيدًا﴾: صبيًّا صغيرًا، ومحل ﴿مِنْ عُمُرِكَ﴾: حال من ﴿سِنِينَ﴾: وهي ثماني عشرة أو ثلاثون أو أربعون سنة.

﴿وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ ٱلَّتِي فَعَلْتَ وَأَنتَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٩﴾ قَالَ فَعَلْتُهَآ إِذًا وَأَنَا۠ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٢٠﴾ فَفَرَرْتُ مِنكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْمًا وَجَعَلَنِي مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٢١﴾ وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنْ عَبَّدتَّ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٢٢﴾ قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٣﴾ قَالَ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ﴿٢٤﴾ قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُۥٓ أَلَا تَسْتَمِعُونَ ﴿٢٥﴾ قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٦﴾ قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ ٱلَّذِيٓ أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ ﴿٢٧﴾ قَالَ رَبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢٨﴾ قَالَ لَئِنِ ٱتَّخَذْتَ إِلَٰهًا غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ ٱلْمَسْجُونِينَ ﴿٢٩﴾﴾

القراءة بفتح فاء ﴿وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ ٱلَّتِي فَعَلْتَ﴾: أراد المرّة الواحدة، وقرئ بكسرها أراد الحالة وهي وكزه القبطي وقتله إياه، ومحل ﴿وَأَنتَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾: (حس) بإحساني إليك، حال، أي: قتلته وأنت لذلك من الكافرين ﴿قَالَ فَعَلْتُهَآ﴾:

---

(١) في أ، ب: (تا)، والمثبت من ج.

(٢) سقط من ج، والمثبت من أ، ب.

أي قتلة القبطي ﴿وَأَنَا۠ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ﴾: (كا) الجاهلين، وقرئ بها، أي: لم أكن نبيًّا، أو من الجاهلين أن ذلك يؤدي إلىٰ قتله، أو الضالين الناسين، كقوله: ﴿أَن تَضِلَّ إِحْدَىٰهُمَا﴾[البقرة:٢٨٢].

﴿فَفَرَرْتُ مِنكُمْ﴾: خوفًا ﴿فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْمًا﴾: كلمة ونبوة وعلمًا.

﴿وَجَعَلَنِي مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾: (حس) حذفت همزة الاستفهام من ﴿وَتِلْكَ نِعْمَةٌ﴾ [ق/ ١٦٨أ]: ومحل ﴿تَمُنُّهَا عَلَيَّ﴾: رفع صفة ﴿ نِعْمَة ﴾.

ومحل ﴿أَنْ عَبَّدتَّ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾: رفع بيان لـ(تلك)، أي: وتعبيدك قومي نعمة تمنها عليَّ حيث لم تستعبدني مثلهم، أو بدل من (نعمة)، أو جرًّا، أو نصبت علىٰ تقدير الباء، والمعنىٰ: إنما صارت نعمة لأنك اتخذت قومي عبيدًا، ولولاك لمَّا ألقيت في اليمِّ فلا تمن عليَّ بشيء أنت سببه، أو المعنىٰ: فكيف تمن عليَّ وقد أهنت قومي، ومن أهين قومُه فقد أهين، فقال فرعون إنكارًا علىٰ موسىٰ إذ نسب الربوبية إلىٰ غيره: ﴿وَمَا﴾: أي أيّ شيء ﴿رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾: (حس) المعنىٰ: أي شيء صفته؛ إذ لا سبيل إلىٰ معرفة حقيقة الذات لغيره تعالىٰ علاؤه وشأنه، ولو أراد التعيين لقال: (ومن)، أو أن فرعون جهل حقيقة السؤال، فأجاب [ق/ ٢٠١جـ] موسىٰ بحقيقة الجواب، فقال: ﴿رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ﴾: (حس) أنَّه خالقهما فآمنوا، أو المعنىٰ: إن كان لكم إيقان [يؤول][(١)] إلىٰ النظر الصحيح نفعكم هذا الجواب، أو إن كنتم موقنين بشيء لظهوره فأيقنوا أنَّه الرب حقيقة، فإنَّه أظهر من ذلك، فقال فرعون ﴿لِمَنْ حَوْلَهُۥٓ أَلَا تَسْتَمِعُونَ﴾: (كا).

﴿قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾: (كا) فعلم فرعون أنَّه محجوج، فنسبه إلىٰ الجنون، فقال: أنَّه ﴿لَمَجْنُونٌ﴾: (كا) فقال موسىٰ: هو رب [العالمين][(٢)] ﴿إِن

---

(١) في أ، ب: يؤدي، والمثبت من ج.

(٢) في أ، ب: العالم، والمثبت من ج.

كُنتُمْ تَعْقِلُونَ﴾: (كا) فتستدلون بما أقول فتعرفون ربكم، وهذا غاية الإرشاد لتنبيهه أولًا على الاستدلال بالعام وهو خلق السموات والأرض وما بينهما ثم بما هو أقرب إليهم وهو أنفسهم وأموالهم، ثم بالمشرق والمغرب وما بينهما من النيرات والموجودات لزيادة بيان وتدريج في الاستدلال، وليعلم أنَّ في كل شيء دليلًا على وحدانيته، فقال لموسى: ﴿لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ ٱلْمَسْجُونِينَ﴾: (كا).

﴿ قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَيْءٍ مُّبِينٍ ﴿٣٠﴾ قَالَ فَأْتِ بِهِۦٓ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ﴿٣١﴾ فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِىَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴿٣٢﴾ وَنَزَعَ يَدَهُۥ فَإِذَا هِىَ بَيْضَآءُ لِلنَّـٰظِرِينَ ﴿٣٣﴾ قَالَ لِلْمَلَإِ حَوْلَهُۥٓ إِنَّ هَـٰذَا لَسَـٰحِرٌ عَلِيمٌ ﴿٣٤﴾ يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِۦ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴿٣٥﴾ قَالُوٓا۟ أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَٱبْعَثْ فِى ٱلْمَدَآئِنِ حَـٰشِرِينَ ﴿٣٦﴾ يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٍ ﴿٣٧﴾ ﴾

والواو للحال في ﴿أَوَلَوْ جِئْتُكَ﴾ دخلت عليها همزة الإنكار، أي: أتفعل ذلك ولو جئتك، أي: [ق/ ٢٨١ب] جائيًا ﴿بِشَيْءٍ مُّبِينٍ﴾: (كا) برهان واضح.

﴿إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّـٰدِقِينَ﴾: (كا) فأت به، فإنما يأتي بالمعجز الصادق في دعواه ﴿ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ﴾ حية عظيمة، وروي أنها ارتفعت قدر ميل ثم انحطت إلى فرعون، وهي تقول: مرني يا موسى بما شئتَ، وفرعون يقول: بالذي أرسلك إلا أخذتها، فعادت عصا، فقال فرعون: هل غيرها؟ فأخرج موسى يده من جيبه ﴿ فَإِذَا هِىَ بَيْضَآءُ﴾ ذات نور ﴿ لِلنَّـٰظِرِينَ ﴾: (حس) يقهر نورها العيون، وتنصب ﴿ قَالَ لِلْمَلَإِ حَوْلَهُۥٓ﴾ نصبت ظرفًا لفظًا، العامل فيه ما قَدّر في [الظرف][1] وحالا محلا من الملأ، أي: كائنين حوله، العامل فيها (قال)، قالوا: وكان الملأ حوله خمسمائة كانت عليهم الأساورة وكانت خاصة بالملوك.

﴿فَمَاذَا تَأْمُرُونَ﴾ من المؤامرة ﴿حَـٰشِرِينَ﴾ جماعة يحشرون الناس وهم الشرط ﴿عَلِيمٍ﴾: (كا).

﴿ فَجُمِعَ ٱلسَّحَرَةُ لِمِيقَـٰتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿٣٨﴾ وَقِيلَ لِلنَّاسِ هَلْ أَنتُم مُّجْتَمِعُونَ ﴿٣٩﴾ لَعَلَّنَا نَتَّبِعُ ٱلسَّحَرَةَ

(١) في ج: الحال، والمثبت من أ، ب.

إِن كَانُوا۟ هُمُ ٱلْغَٰلِبِينَ ﴿٤٠﴾ فَلَمَّا جَآءَ ٱلسَّحَرَةُ قَالُوا۟ لِفِرْعَوْنَ أَئِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ ٱلْغَٰلِبِينَ ﴿٤١﴾ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذًا لَّمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٢﴾ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰٓ أَلْقُوا۟ مَآ أَنتُم مُّلْقُونَ ﴿٤٣﴾ فَأَلْقَوْا۟ حِبَالَهُمْ وَعِصِيَّهُمْ وَقَالُوا۟ بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿٤٤﴾ فَأَلْقَىٰ مُوسَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِىَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴿٤٥﴾ فَأُلْقِىَ ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ ﴿٤٦﴾ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٧﴾ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿٤٨﴾

والمراد بـ﴿يَوْمٍ مَّعْلُومٍ﴾ يوم الزينة ﴿هَلْ أَنتُم مُّجْتَمِعُونَ﴾ حثٌّ للناس على الاجتماع ﴿لَعَلَّنَا﴾ لكي ﴿نَتَّبِعُ ٱلسَّحَرَةَ إِن كَانُوا۟ هُمُ ٱلْغَٰلِبِينَ﴾: (كا) لموسىٰ، وتعطف علىٰ ﴿أَئِنَّ لَنَا لَأَجْرًا﴾ لأنها في معنىٰ جزاء الشرط.

﴿وَإِنَّكُمْ إِذًا لَّمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ﴾: (كا) المعنىٰ: إنَّ فرعون أمرهم بالإحسان إليهم بشرط غلبة موسىٰ ﴿فَأَلْقَوْا۟ حِبَالَهُمْ وَعِصِيَّهُمْ وَقَالُوا۟﴾ حالفين: ﴿بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ﴾: والقسم بغير الله من أقسام الجاهلية، قال ﷺ: «**لا تحلفوا بآبائكم ولا بأمهاتكم ولا بالطواغيت، ولا تحلفوا إلا بالله، ولا تحلفوا بالله إلا وأنتم صادقون**»[(١)].

﴿تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ﴾ [(كا)][(٢)] تبتلع ما يُزوّرون ويُخيّلون أن حبالهم وعصيهم حيّات، أو سميت آلاتهم إفكًا لكثرة إفكهم مبالغة ﴿فَأُلْقِىَ ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ﴾ قائلين: ﴿ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٧﴾ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ﴾: (حس) عكرمة: أصبحوا سحرة وأمسوا شهداء، فالمغرور من اعتمد علىٰ شيء من أعماله وأقواله وأحواله.

﴿قَالَ ءَامَنتُمْ لَهُۥ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِى عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٩﴾ قَالُوا۟ لَا ضَيْرَ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ ﴿٥٠﴾ إِنَّا نَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَٰيَٰنَآ أَن كُنَّآ أَوَّلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥١﴾ ۞ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِىٓ إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ

---

(١) أخرجه أبو داود (٣٢٤٨)، والنسائي في «المجتبىٰ» (٣٧٦٩)، وفي «السنن الكبرىٰ» (٤٧١٠)، وابن حبان(٤٣٥٧)، وأبو يعلىٰ (٦٠٤٨)، والبيهقي في «السنن الكبرىٰ» (١٩٦١٣) من حديث أبي هريرة ﵁.

(٢) في أ، ب: (حس) والمثبت من ج.

﴿٥٢ فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ ٥٣ إِنَّ هَٰؤُلَاءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ ٥٤ وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَائِظُونَ ٥٥ وَإِنَّا
لَجَمِيعٌ حَاذِرُونَ ٥٦ فَأَخْرَجْنَاهُم مِّن جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ٥٧ وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ٥٨ كَذَٰلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا بَنِي
إِسْرَائِيلَ ٥٩ فَأَتْبَعُوهُم مُّشْرِقِينَ ٦٠ فَلَمَّا تَرَاءَى الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَىٰ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ٦١ قَالَ
كَلَّا ۖ إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ ٦٢﴾

﴿السِّحْرَ﴾: (حس) عند أبي حاتم.

﴿تَعْلَمُونَ﴾: (كا).

﴿لَا ضَيْرَ﴾: (حس) المعنىٰ: لا ضرر علينا بما تصنع بنا؛ لأنَّا ﴿إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ﴾ [(حس)][(1)] فيثيبنا؛ لأنَّا ﴿نَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَايَانَا أَن﴾: أي لأنَّ ﴿كُنَّا أَوَّلَ الْمُؤْمِنِينَ﴾: (تا) في زماننا، وقرئ بكسر «إن»، أي: هم محققون لذلك؛ لأنَّه من شروط التحقيق، نحو: إن كنتم خرجتم جهادًا في سبيلي وابتغاء مرضاتي مع علمه أنهم لم يخرجوا إلا لذلك.

﴿إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ﴾ [(كا)][(2)] يتبعكم فرعون [وجنوده][(3)] ﴿حَاشِرِينَ﴾: (كا) يحشرون الجيش ﴿إِنَّ هَٰؤُلَاءِ لَشِرْذِمَةٌ﴾: طائفة منقطعة ﴿قَلِيلُونَ﴾: ومنه ثوب شراذم، أي: بالي منقطع، وكانت الشرذمة قالوا: ستمائة وسبعين ألفًا، ولا يحصىٰ عدد آل فرعون ﴿وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَائِظُونَ﴾: (كا) الغيظ أشد الغضب، وهو الحرارة التي يجدها الإنسان من ثوران دم قلبه، **القراءة:** ﴿وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَاذِرُونَ﴾: (كا) بألف وبغير ألف لغتان، أو بالألف الخائف وبغيرها المستعد بآلة الحرب، وقرئ بالدال المهملة جمع حاذر، وهو المجتمع الخلق، أي: أقوياء، أو مدججون في السلاح، فكأنهم مجتمعون الخلق لذلك.

﴿وَعُيُونٍ﴾: من الماء ﴿وَكُنُوزٍ﴾: المراد: أموالهم الظاهرة من الذهب والفضة،

---

(١) سقط من أ، ب، والمثبت من ج.
(٢) سقط من أ، ب، والمثبت من ج.
(٣) سقط من أ، ب، والمثبت من ج.

سميت كنوزًا لأنها لم يعط منها حق الله تعالىٰ، والمراد بمقام ﴿كَرِيمٍ﴾: السرور في الحجال، أو المنابر، كان فرعون يجلس علىٰ سريره ويضع بين يديه ثلاثمائة كرسي من ذهب يجلس عليها أشراف قومه، أو [هي](١) المنازل الحسنة، يحسن الوقف هنا إن علقت ﴿كَذَٰلِكَ﴾: بما بعد، ورفعت الكاف خبر مبتدأ، تقديره: الأمر كذلك، وإن علقته بما قبل ونصبت الكاف صفة مصدر، أي: أخرجناهم إخراجًا مثل ذلك الإخراج وقفت هنا، وكذلك إن جررت الكاف صفة كريم، المعنىٰ: أخرجناهم من أموالهم كما ذكر، ثم تبتدئ ﴿وَأَوْرَثْنَٰهَا﴾: أي:الأموال ﴿بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾: (حس) لأنهم ردوا بعد هلاك فرعون إلىٰ مصر، الطبريّ: إنما ملكوا ديار آل فرعون ولم يدخلوها لكنهم سكنوا الشام.

والواو في ﴿فَأَتْبَعُوهُم﴾: القبط، وهم لموسىٰ وأصحابه، فـ(أتبع) بمعنىٰ (تبع)، تقديره: فأخرجنا القبط، فخرجوا فتبعوا المؤمنين، فقد تعلق (أتبعوهم) بـ(أخرجنا)، فلا وقف بينهما، أو الواو لموسىٰ وأصحابه وهم للقبط عكس الأول، فعلىٰ هذا يقال للمتبوع متبع، من قولهم للرمكة إذا تبعها ولدها: متبع، المعنىٰ: إنَّ المؤمنين استتبعوا القبط بأن جذبوهم إلىٰ البحر بما أروهم من عبورهم إياه وأمنهم من المغرق مشرقين [(حس)](٢) حال داخلين في الشروق وهو وقت طلوع الشمس.

﴿فَلَمَّا تَرَٰٓءَا﴾: أي تقابل الجمعان بنو إسرائيل والقبط، قرئ: (تراءت الفئتان).

﴿قَالَ أَصْحَٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ﴾: أي سندرك، وقرئ بتشديد الدال وكسر الراء من أدرك الشيء فنفىٰ موسىٰ الإدّراك بقوله: ﴿كَلَّآ﴾: (حس) ولا يبتدئ بها هنا، المعنىٰ: لن يدركونا ﴿إِنَّ مَعِىَ رَبِّى﴾ بعلمه وحفظه إياي.

﴿سَيَهْدِينِ﴾: (تا) إلىٰ طريق النجاة .

---

(١) سقط من ج، والمثبت من أ، ب.

(٢) سقط من ج، والمثبت من أ، ب.

﴿ فَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْبَحْرَ ۖ فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَٱلطَّوْدِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٦٣﴾ وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ ٱلْـَٔاخَرِينَ ﴿٦٤﴾ وَأَنجَيْنَا مُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ أَجْمَعِينَ ﴿٦٥﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا ٱلْـَٔاخَرِينَ ﴿٦٦﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٦٧﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٦٨﴾ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٧٠﴾ قَالُوا۟ نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَٰكِفِينَ ﴿٧١﴾ قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ ﴿٧٢﴾ أَوْ يَنفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ ﴿٧٣﴾ قَالُوا۟ بَلْ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا كَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٧٤﴾ ﴾

ولمَّا وصل موسىٰ إلىٰ البحر جاء بموج كالجبال، فقال يوشع: يا مكلم الله أين أمرت؟ فقال: ههنا، فكبح فرسه بلجامه حتىٰ طار الزبد من شدقيه، ثم أقحمه اللج فارتسب في البحر، وأراد بقيتهم أن يفعلوا مثله فلم يقدروا.

﴿فَٱنفَلَقَ﴾: ماء البحر فرقًا ﴿كُلُّ فِرْقٍ﴾ وقرئ: (فلق).

﴿كَٱلطَّوْدِ﴾: كالجبل المرتفع في السماء ﴿ٱلْعَظِيمِ﴾: (كا) وهو البحر القلزم، روي أنَّ موسىٰ قال عند ذلك: يا من قبل كل شيء، والمكون لكل شيء، والكائن بعد كل شيء ﴿وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ﴾: قربنا حيث انفلق البحر.

﴿ٱلْـَٔاخَرِينَ﴾: (كا) هم القبط، أو أزلفنا جمعنا، وفي الجمع قرب وزيادة، المعنىٰ: جمعناهم وأدخلناهم في البحر لئلا ينجو ﴿وَأَنجَيْنَا مُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ﴾: من الغرق ﴿أَجْمَعِينَ ثُمَّ أَغْرَقْنَا ٱلْـَٔاخَرِينَ﴾: (حس) القبط، وقرئ: (أزلفنا)، أي: أزللنا أقدامهم ﴿لَـَٔايَةً﴾: (كا).

المعنىٰ: إن في إهلاك القبط عبرة للمعتبرين.

﴿وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم﴾: أي المصريّين ﴿مُّؤْمِنِينَ﴾: (كا) قالوا: لم يكن فيهم مؤمن إلا آسية وخربيل ومريم بنت ناموسَا التي دلت علىٰ عظام يوسف.

﴿ٱلرَّحِيمُ﴾: (تا) وجواب ﴿مَا تَعْبُدُونَ﴾: (كا) ﴿أَصْنَامًا﴾ دون ﴿نَعْبُدُ﴾ ؛ لأنَّه سؤال عن المعبود لا عن العبادة، كـ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ ۖ قُلِ ٱلْعَفْوَ ۗ﴾ [البقرة:٢١٩]، [ق/ ٢٨٢ب] و﴿مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ ۖ قَالُوا۟ ٱلْحَقَّ ۖ﴾[سبأ:٢٣]، وزادوا

(نعبد) في الجواب افتخارا ومباهاة بعبادتها، ويوضح ذلك ويؤكده أن عطفوا علىٰ (نعبد) ﴿فَنَظَلُّ لَهَا﴾ نقيم علىٰ عبادتها ﴿عَٰكِفِينَ﴾: (كا).

القراءة: ﴿هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ﴾ أي: يسمعون دعاءكم، فحذف دعاء لدلالة، ﴿إِذْ تَدْعُونَ﴾: عليه فأقيم «كم» مقامه، وقرئ بضم الياء وكسر الميم، أي: هل يسمعونكم جواب دعائكم إياهم؟ ﴿أَوْ يَنفَعُونَكُمْ﴾ إن عبدتموهم ﴿أَوْ يَضُرُّونَ﴾ إن تركتم عبادتهم، فلمّا عجزوا عن الجواب أخلدوا إلىٰ التقليد، فـ﴿قَالُواْ بَلْ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا كَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ﴾: (كا) فقلدناهم.

﴿ قَالَ أَفَرَءَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٧٥﴾ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمُ ٱلْأَقْدَمُونَ ﴿٧٦﴾ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّىٓ إِلَّا رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٧﴾ ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهْدِينِ ﴿٧٨﴾ وَٱلَّذِى هُوَ يُطْعِمُنِى وَيَسْقِينِ ﴿٧٩﴾ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾ وَٱلَّذِى يُمِيتُنِى ثُمَّ يُحْيِينِ ﴿٨١﴾ وَٱلَّذِىٓ أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِى خَطِيٓـَٔتِى يَوْمَ ٱلدِّينِ ﴿٨٢﴾ رَبِّ هَبْ لِى حُكْمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٣﴾ وَٱجْعَل لِّى لِسَانَ صِدْقٍ فِى ٱلْءَاخِرِينَ ﴿٨٤﴾ وَٱجْعَلْنِى مِن وَرَثَةِ جَنَّةِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٨٥﴾ وَٱغْفِرْ لِأَبِىٓ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٨٦﴾ وَلَا تُخْزِنِى يَوْمَ يُبْعَثُونَ ﴿٨٧﴾ يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾ ﴾

فقال إبراهيم ﷺ: ﴿فَإِنَّهُمْ﴾: أي أصنامكم ﴿عَدُوٌّ لِّىٓ﴾: ثم إن عبدتها هنا فلا أعبدها أبدًا، أو لا أطلب منهم نفعًا؛ لأنَّ النفع لا يطلب من العدو، في قوله: ﴿عَدُوٌّ لِّىٓ﴾ دون «لكم» زيادة نضج وتأدب، ليكون أعطف لقلوبهم وأسرع لها إلىٰ إيمانهم ﴿إِلَّا رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ استثناء منقطع، أو متصل؛ لأنَّ من آبائهم من عبد الله تعالىٰ مع الأصنام ﴿ٱلَّذِى﴾ مبتدأ ﴿فَهُوَ﴾ مبتدأ ثان خبره ﴿يَهْدِينِ﴾: [(كا)][1] إلىٰ إصلاح الدارين، وهما خبر (الذي)، و(الذي) نصب صفة (رب العالمين)، لا أحب الوقف من (يفعلون) إلىٰ هنا، وجاء بالفاء عقيب (خلقني) للإيذان أنَّ هدايتَه وجدت عقيب خلقه ونفخ الروح فيه، فهدي إلىٰ الاغتذاء بدم الحيض امتصَاصًا، ثم اتصلت هدايته إلىٰ باقي مصالحه الدينيّة والدنيوية.

---

(١) سقط من ج، والمثبت من أ، ب.

﴿وَيَسۡقِينِ﴾: (كا).

ابن عطاء: هو الذي يحيين بطعامه ويربين بشرابه.

﴿وَإِذَا مَرِضۡتُ﴾: أضاف المرض إليه تأدبًا [كالخضر حين قال في العَيب: ﴿فَأَرَدتُّ أَنۡ أَعِيبَهَا﴾، وفي الخير: (فأراد ربك) ﴿فَهُوَ يَشۡفِينِ﴾: (كا) من مرضي ﴿وَٱلَّذِي يُمِيتُنِي﴾: هنا][1]، ﴿ثُمَّ يُحۡيِينِ﴾: (كا) ثَمَّ، أو يميتني بالغفلة ثم يحيين بالذكر ﴿وَٱلَّذِيٓ أَطۡمَعُ أَن يَغۡفِرَ لِي خَطِيٓـَٔتِي يَوۡمَ ٱلدِّينِ﴾: [(كا)][2] يوم الجزاء، وعلق المغفرة بـ(يوم الدين)، وإن وجدت هنا؛ لأنَّ فائدتها ثمَّ تظهر، وأصل الطمع نزوع النفس إلىٰ الشيء شهوة، **وقرئ**: (خطاياي)، والمراد بها قوله: (إني سقيم)، و(بل فعله كبيرهم)، ولسارة: (هي أختي)، وللكوكب: (هذا ربي)، وهذا من المعاريض، أو خطيئته خطايا أمة محمد ﷺ، ودعا الخليل بلفظ الطمع ولم يعزم في سؤاله تأدبًا، وليدل علىٰ كرم الله تعالىٰ لأنَّ الإطماع منه تعالىٰ واجب.

﴿حُكۡمًا﴾: نبوة ﴿وَأَلۡحِقۡنِي بِٱلصَّٰلِحِينَ﴾: [أي][3] بآبائي المرسلين، أو وفقني لعمل الصالحين ﴿وَٱجۡعَل لِّي لِسَانَ صِدۡقٖ﴾: ثناءً حسنًا وذكرًا جميلًا ﴿فِي ٱلۡأٓخِرِينَ﴾: في الأمم بعده، فكل الأمم تتولاه، أو اجعل في ذريتي من يقول بالحق ويدعو به.

﴿مِن وَرَثَةِ﴾: متعلق بمحذوف، أي: اجعلني وارثًا من ورثة ﴿جَنَّةِ ٱلنَّعِيمِ﴾ وتبدل من ﴿يَوۡمَ يُبۡعَثُونَ يَوۡمَ لَا يَنفَعُ مَالٞ وَلَا بَنُونَ إِلَّا﴾: منقطع، أي: لكن حال ﴿مَنۡ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلۡبٖ سَلِيمٖ﴾: (كا) أي: عَرىٰ عما يشينُه من الكفر، والمراد بالحال سلامة القلب، وليست من جنس الأول، تلخيصه: المال والبنون لا ينفعان ثَمَّ، إنما ينفع سلامة القلب، أو متصل فتحمل الكلام علىٰ المعنىٰ، فيجعل المال

---

(١) سقط من أ، ب والمثبت من ج.

(٢) سقط من ج والمثبت من أ، ب.

(٣) سقط من أ، ب والمثبت من ج.

والبنين وسلامة في معنى الغنى؛ لأنَّ [ق/ ١٦٩أ] الغنى يحصل في الدين بسلامة القلب كما يحصل [ق/ ٢٠٢جـ] بالمال والبنين في الدنيا.

تلخيصه: لا غنى إلا غنى من أتى الله بقلب سليم، أو (من) نصب بدل من محذوف، أو مستثنى منه، أي: لا ينفع مال ولا بنون أحدًا إلا من، وإيضاحه: إن المال إذا صرف في الطاعة، والبنين إذا كانوا صالحين انتفع بهما سليم القلب ثَمَّ، أو مفعول، أي: لا ينفع مال ولا بنون إلا رجلًا أتى بقلب سليم، أو رفع بدل من (مال)، أو القلب السليم الفارغ من الهَواجس والموارد، وأصل «س ل م» التعري عن الآفات، لا أحب الوقف من (يوم الدين) إلى هنا اختيارًا.

﴿ وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٩٠﴾ وَبُرِّزَتِ ٱلْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ ﴿٩١﴾ وَقِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٩٢﴾ مِن دُونِ
ٱللَّهِ هَلْ يَنصُرُونَكُمْ أَوْ يَنتَصِرُونَ ﴿٩٣﴾ فَكُبْكِبُوا۟ فِيهَا هُمْ وَٱلْغَاوُۥنَ ﴿٩٤﴾ وَجُنُودُ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ ﴿٩٥﴾ قَالُوا۟ وَهُمْ فِيهَا
يَخْتَصِمُونَ ﴿٩٦﴾ تَٱللَّهِ إِن كُنَّا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٩٧﴾ إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٨﴾ وَمَآ أَضَلَّنَآ إِلَّا
ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٩٩﴾ فَمَا لَنَا مِن شَٰفِعِينَ ﴿١٠٠﴾ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ ﴿١٠١﴾ فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٢﴾ إِنَّ فِى
ذَٰلِكَ لَءَايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٠٤﴾ كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٠٥﴾ إِذْ
قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٠٦﴾ إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٠٧﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٠٨﴾ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ
أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٩﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١١٠﴾ ﴾

﴿وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾: فنظروا إليها ﴿وَبُرِّزَتِ ٱلْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ﴾ الكافرين، لا أحب الوقف من ﴿سَلِيمٍ﴾ إلى ﴿مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾: (حس) ﴿فَكُبْكِبُوا۟﴾ أي: جمعوا وألقوا على رؤوسهم ﴿فِيهَا هُمْ﴾: أي الآلهة ﴿وَٱلْغَاوُۥنَ﴾: الكفار، وأصله: كببوا، فأبدل من الباء الوسطى كافًا تخفيفًا، المعنى: يلقى في جهنم الأصنام وعابدوها، فيكبون في النار مرة بعد مرة حتى يستقروا في قعرها، يدل عليه تكرير الكب ﴿وَجُنُودُ إِبْلِيسَ﴾: أتباعه ﴿أَجْمَعُونَ﴾: (كا).

﴿قَالُوا۟﴾: أي الداخلون فيها.

﴿وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ﴾: تخاصم بعضٍ بعضًا، ويقول العابدون للمعبودين:

﴿تَٱللَّهِ إِن كُنَّا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ تمييز عامل في ﴿إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾: أي نجعلكم مثله في العبادة ﴿وَمَآ أَضَلَّنَآ إِلَّا ٱلْمُجْرِمُونَ﴾: الذين اقتدينا بهم كإبليس والشياطين وقابيل؛ لأنَّه أول من سن القتل وعمل بالمعاصي، فثَمَّ يشفع الملائكة والأنبياء والمؤمنون في أصدقائهم، فيقول المشركون تأسفًا: ﴿فَمَا لَنَا مِن شَٰفِعِينَ وَلَا صَدِيقٍ﴾: هو الذي يهمّه ما أهمك بشرط الدين ﴿حَمِيمٍ﴾: قريب خاص يشفع لنا، من الحامة القرابة، وجمع الشافعين لكثرتهم؛ لأنَّه إذا غضب السلطان علىٰ أحد ربما شفع فيه جماعة، ووحد الصديق لقلته، ولو قيل بعدمه لم يبعد، في الحديث: «**يكون الرجل في الجنة، فيقول: ما فعل صديقي فلان؟ وهو في النار، فيقول تعالىٰ: أخرجوا إليه صديقه**»(١)، فلمَّا يئسوا من الشفاعة قالوا: ﴿فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً﴾: رجعة إلىٰ الدنيا، وتعطف علىٰ ﴿كَرَّةً﴾: ﴿فَنَكُونَ﴾ تقديره: لو أنَّ لنا كرة أن نكر وأن نكون ﴿مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾: (حس) أي: فنؤمن ليشفع لنا، و«لو» هنا بمعنىٰ «ليت»، أو جوابها محذوف، أي: لفعلنا كيت وكيت، لا أحب الوقف من (أجمعون) إلىٰ هنا ﴿لَأَيَةً﴾: (كا) ﴿مُّؤْمِنِينَ﴾: (كا).

﴿ٱلرَّحِيمُ﴾: (تا).

(القوم) مؤنثة، وتصغيرها «قويمة»، يدل عليه ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾: جمع المرسلين وإن كان واحدًا؛ لأنَّ من كذب رسولًا واحدًا فقد كذب جميع الرسل ﴿أَخُوهُمْ نُوحٌ﴾ في النسب لا في الدين، قال لهم: اتقوا وآمنوا.

﴿۞ قَالُوٓاْ أَنُؤْمِنُ لَكَ وَٱتَّبَعَكَ ٱلْأَرْذَلُونَ ﴿١١١﴾ قَالَ وَمَا عِلْمِى بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١١٢﴾ إِنْ حِسَابُهُمْ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّى لَوْ تَشْعُرُونَ ﴿١١٣﴾ وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٤﴾ إِنْ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿١١٥﴾ قَالُواْ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَٰنُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمَرْجُومِينَ ﴿١١٦﴾ قَالَ رَبِّ إِنَّ قَوْمِى كَذَّبُونِ ﴿١١٧﴾ فَٱفْتَحْ بَيْنِى وَبَيْنَهُمْ فَتْحًا وَنَجِّنِى وَمَن مَّعِىَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٨﴾ فَأَنجَيْنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ فِى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ ﴿١١٩﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا بَعْدُ ٱلْبَاقِينَ ﴿١٢٠﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَأَيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٢١﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٢٢﴾﴾

(١) أخرجه الثعلبي في «الكشف والبيان» (٧/ ١٧٢) من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما.

﴿قَالُوٓاْ أَنُؤۡمِنُ لَكَ﴾ إنكارًا عليه، والواو للحال، و(قد) بعدها مضمرة في ﴿وَٱتَّبَعَكَ﴾: وقرئ: (وأتباعك) جمع «تابع» كشاهد وأشهاد ﴿ٱلۡأَرۡذَلُونَ﴾: (كا) الدونون، وسموا بذلك لاتضاع حرفهم كالحجامة والحياكة، أو لاتضاع نسبهم وقلة مالهم، وهذا لا يضر بالديانات، فكأنهم قالوا: إنما آمنوا لحقارتهم فـ﴿قَالَ وَمَا عِلۡمِي﴾ [ق/ ٢٨٣ب] أي: وأي شيء علمي ﴿بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾: من الصناعات فأزدريهم لأجلها، إنما أطلب منهم الإيمان، أو المعنىٰ: لا أسأل عن إخلاصهم في عملهم لله تعالىٰ ﴿إِنۡ حِسَابُهُمۡ﴾: ما جزاؤهم ﴿إِلَّا عَلَىٰ رَبِّيۖ لَوۡ تَشۡعُرُونَ﴾: [(كا)][(١)] لمَّا عبتموهم مبين.

﴿مُّبِينٞ﴾ :[(كا)][(٢)].

﴿فَٱفۡتَحۡ﴾: فاحكم ﴿بَيۡنِي وَبَيۡنَهُمۡ فَتۡحٗا﴾: (كا).

﴿مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [(كا)][(٣)] في الفلك المشحون في السفينة المملوءة.

﴿ٱلۡبَاقِينَ﴾: (حس).

﴿لَأٓيَةٗۖ﴾ (كا).

﴿مُّؤۡمِنِينَ﴾: (كا).

﴿كَذَّبَتۡ عَادٌ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴿١٢٣﴾ إِذۡ قَالَ لَهُمۡ أَخُوهُمۡ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٢٤﴾ إِنِّي لَكُمۡ رَسُولٌ أَمِينٞ ﴿١٢٥﴾ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ
وَأَطِيعُونِ ﴿١٢٦﴾ وَمَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ مِنۡ أَجۡرٍۖ إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٢٧﴾ أَتَبۡنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ ءَايَةٗ
تَعۡبَثُونَ ﴿١٢٨﴾ وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمۡ تَخۡلُدُونَ ﴿١٢٩﴾ وَإِذَا بَطَشۡتُم بَطَشۡتُمۡ جَبَّارِينَ ﴿١٣٠﴾ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ
وَأَطِيعُونِ ﴿١٣١﴾ وَٱتَّقُواْ ٱلَّذِيٓ أَمَدَّكُم بِمَا تَعۡلَمُونَ ﴿١٣٢﴾ أَمَدَّكُم بِأَنۡعَٰمٖ وَبَنِينَ ﴿١٣٣﴾ وَجَنَّٰتٖ وَعُيُونٍ ﴿١٣٤﴾ إِنِّيٓ
أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٖ ﴿١٣٥﴾ قَالُواْ سَوَآءٌ عَلَيۡنَآ أَوَعَظۡتَ أَمۡ لَمۡ تَكُن مِّنَ ٱلۡوَٰعِظِينَ ﴿١٣٦﴾ إِنۡ
هَٰذَآ إِلَّا خُلُقُ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴿١٣٧﴾ وَمَا نَحۡنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿١٣٨﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَهۡلَكۡنَٰهُمۡۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗۖ وَمَا كَانَ أَكۡثَرُهُم

(١) سقط من ج، والمثبت من أ، ب.
(٢) سقط من ج، والمثبت من أ، ب.
(٣) سقط من ج، والمثبت من أ، ب.

مُؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٤٠﴾﴾

﴿ٱلرَّحِيمُ﴾: (تا) إلىٰ ﴿وَأَطِيعُونِ﴾: (كا) إلىٰ ﴿رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾: (كا).

﴿أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ﴾: وقرئ بفتح الراء لغتان في المكان المرتفع أو الجبل ﴿ءَايَةً﴾ علامة، ومحل ﴿تَعْبَثُونَ﴾ بمن مر بكم حال من ضمير (تبنون) لأنهم كانوا يبنون الغرف في الأماكن العالية ليشرفوا علىٰ المارة فيسخرون منهم، أو أنهم جعلوا علمًا يضل به المارة وبنوا بروج الحمام ولعبوا بها.

﴿وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ﴾: أي حصونًا، أو مصانع الماء تحت الأرض ﴿لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ﴾: تتيقنون الخلود في الأرض، وقرئ: (تُخلّدون) مجهولًا مثقلًا ومخففًا، لا أحب الوقف من ﴿ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ إلىٰ ﴿جَبَّارِينَ﴾: (كا).

﴿وَأَطِيعُونِ﴾: (كا) إلىٰ ﴿يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾: (كا).

القراءة: ﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّا خُلُقُ﴾: بفتح الخاء وإسكان اللام، المعنىٰ: إن خلقنا كخلق من تقدمنا في الموت والحياة، أو المراد بـ(خلق) الاختلاق، المعنىٰ: ما هذا الذي تزعم إلا كذب المتقدمين، القراءة أيضًا بضم الخاء واللام، أي: ما هذا الذي نحن عليه من الموت والحياة والإعادة ﴿ٱلْأَوَّلِينَ﴾ وقرئ بإسكان اللام تخفيفًا ﴿وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ﴾: (كا).

﴿فَأَهْلَكْنَٰهُمْ﴾: (حس).

﴿لَءَايَةً﴾: (كا).

﴿مُّؤْمِنِينَ﴾: (كا).

﴿ٱلرَّحِيمُ﴾: (تا).

تلخيصه: إنَّ هودًا أنذر إخوته في النسب دون الدين، ووعظهم فلم يتعظوا فأهلكوا.

﴿وَأَطِيعُونِ﴾: (كا).

﴿مِنْ أَجْرٍ﴾: (كا).

﴿الْعَالَمِينَ﴾: (كا).

﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٤١﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صَالِحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٤٢﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٤٣﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٤٤﴾ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٤٥﴾ أَتُتْرَكُونَ فِي مَا هَاهُنَا آمِنِينَ ﴿١٤٦﴾ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٤٧﴾ وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ ﴿١٤٨﴾ وَتَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا فَارِهِينَ ﴿١٤٩﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٥٠﴾ وَلَا تُطِيعُوا أَمْرَ الْمُسْرِفِينَ ﴿١٥١﴾ الَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ﴿١٥٢﴾﴾

﴿أَتُتْرَكُونَ فِي مَا هَاهُنَا﴾أي: في الدنيا ﴿آمِنِينَ﴾ من الموت والزوال والعذاب، وعطف ﴿وَنَخْلٍ﴾ على (جنات) مع أنَّ الجنة تعم النخل وغيره تفضيلًا لها، و«الطلع» ما يخرج من النخلة كنصل السيف، ويوصف بـ(هضيم) ما دام في كفراه، قالوا: لدخول بعضه في بعض، أو للطفه وضموره، ومنه كشح هضيم، أو المراد طلع إناث البَرني، [قالوا:][1] لأنَّه ألطف من طلع النخل، أو هضيم ينهش هشًّا ما دام رطبًا، فإذا يبس فهو هشيم، أو الذي قد أينع، أو الحمل يركبُ بعضُه بعضًا كثرة، أو هضيم يهضم الطعام، وجميع المستعمل من «هـ ض م» وتعكيسه فيشمله معنى الكسر، المعنى: أنَّه ذكرهم نعم الله تعالى [عليهم][2] بما رزقهم من الثمار وغيرها.

القراءة بكسر حاء ﴿وَتَنْحِتُونَ﴾ وقرئ بفتحها، أي: تنقبون، والقراءة: ﴿فَرِهِينَ﴾ أي:أشرين، من فَرْه، وبألف أي: حاذقين، أو ناعمين، أو هما واحد، وأصل الفراهة النشاط، ومحله حال من ضمير (تنحتون).

﴿وَأَطِيعُونِ﴾: (كا) فإنَّ في طاعتي طاعة الله تعالى.

﴿وَلَا تُطِيعُوا أَمْرَ الْمُسْرِفِينَ﴾: أي المشركين، أو عاقروا الناقة التسعة ﴿الَّذِينَ

(١) سقط من أ، ب والمثبت من ج.

(٢) سقط من أ، ب والمثبت من ج.

يُفۡسِدُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ بالمعاصي والكفر.

﴿وَلَا يُصۡلِحُونَ﴾: (كا) لا يوجد منهم صلاح ما.

﴿قَالُوٓاْ إِنَّمَآ أَنتَ مِنَ ٱلۡمُسَحَّرِينَ ﴿١٥٣﴾ مَآ أَنتَ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُنَا فَأۡتِ بِـَٔايَةٍ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ
﴿١٥٤﴾ قَالَ هَٰذِهِۦ نَاقَةٞ لَّهَا شِرۡبٞ وَلَكُمۡ شِرۡبُ يَوۡمٖ مَّعۡلُومٖ ﴿١٥٥﴾ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٖ فَيَأۡخُذَكُمۡ عَذَابُ يَوۡمٍ
عَظِيمٖ ﴿١٥٦﴾ فَعَقَرُوهَا فَأَصۡبَحُواْ نَٰدِمِينَ ﴿١٥٧﴾ فَأَخَذَهُمُ ٱلۡعَذَابُۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗۖ وَمَا كَانَ
أَكۡثَرُهُم مُّؤۡمِنِينَ ﴿١٥٨﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٥٩﴾ كَذَّبَتۡ قَوۡمُ لُوطٍ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴿١٦٠﴾ إِذۡ قَالَ لَهُمۡ
أَخُوهُمۡ لُوطٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٦١﴾ إِنِّي لَكُمۡ رَسُولٌ أَمِينٞ ﴿١٦٢﴾ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٦٣﴾ وَمَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ مِنۡ
أَجۡرٍۖ إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٦٤﴾ أَتَأۡتُونَ ٱلذُّكۡرَانَ مِنَ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٦٥﴾ وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمۡ رَبُّكُم
مِّنۡ أَزۡوَٰجِكُمۚ بَلۡ أَنتُمۡ قَوۡمٌ عَادُونَ ﴿١٦٦﴾ قَالُواْ لَئِن لَّمۡ تَنتَهِ يَٰلُوطُ لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡمُخۡرَجِينَ ﴿١٦٧﴾ قَالَ إِنِّي
لِعَمَلِكُم مِّنَ ٱلۡقَالِينَ ﴿١٦٨﴾﴾

﴿مِنَ ٱلۡمُسَحَّرِينَ﴾: أي الذين سحروا مرارًا، أو ممن له سحر، وهي الرية، فوعظهم صالح فلم يؤمنوا، وطلبوا آية علىٰ صدقه، فخرج من صخرة هناك ناقة عشراء كأعظم ما يكون، وولدت سقيًا مثلها عظمًا، قالوا: كان مصدرها ستين ذراعًا، فقال صالح: ﴿لَّهَا شِرۡبٞ﴾: أي نصيب من الماء تشربه، وقرئ بضم الشين مصدر، فكانت تشرب جميع الماء يومًا ويشربونه يومًا، وفي هذا حجة لأبي حنيفة وأصحابه [رحمهم الله][1] علىٰ تجويز المهايأة؛ لأنَّ قوله: ﴿لَّهَا شِرۡبٞ وَلَكُمۡ شِرۡبُ يَوۡمٖ﴾ من المهايأة.

﴿وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٖ﴾: بعقر أو ضرر ﴿فيأۡخُذَكُمۡ عَذَابُ يَوۡمٍ عَظِيمٖ﴾: (كا) وصف اليوم بالعظم لأنَّه إذا عظم اليوم بحلول العذاب فيه كان وقع العذاب في النفس أعظم، روي أن عاقرها قال: لا أعقرها حتىٰ ترضوا أجمعين، فاستؤذن صغارهم وكبارهم فرضوا ﴿فَعَقَرُوهَا فَأَصۡبَحُواْ نَٰدِمِينَ﴾ علىٰ عقرها خوفًا من

---

(١) زيادة من ج.

نزول العذاب بهم لا ندم توبة، أو ندموا حين لا ينفع الندم كفرعون حين ألجمه الغرق ﴿فَأَخَذَهُمُ ٱلْعَذَابُ﴾: (حس) المتقدم الذكر ﴿لَأٓيَةً﴾: (كا).

﴿مُّؤْمِنِينَ﴾: (كا).

﴿ٱلرَّحِيمُ﴾: (تا).

﴿وَأَطِيعُونِ﴾: (كا).

﴿ٱلْعَٰلَمِينَ﴾: (كا) ثم استفهم لوط عليه السلام منكرًا، فقال: ﴿أَتَأْتُونَ ٱلذُّكْرَانَ مِنَ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾: من جميع الناس عبَّر عن الفاحشة بالإتيان كما عبر به عن الحلال في ﴿فَأْتُواْ حَرْثَكُمْ﴾، المعنىٰ: أتطؤون الذكور من الناس مع كثرة إناثهم، أو المعنىٰ: أتختصون بهذه الفاحشة ولا يفعلها غيركم، فالعالمين علىٰ هذا كل من ينكح ﴿وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُم﴾: وقرئ: (ما أصلح لكم ربكم).

و«من» في ﴿مِّنْ أَزْوَٰجِكُم﴾ تبيين لمَّا خلق، أو تبعيض، فعلىٰ هذا المراد نفس العضو المباح وهو القبل؛ لأنهم كانوا يرتكبون هذه الفاحشة من نسائهم، وهذا حجة لمن يقول بتحريم دبر الزوجة والجارية، تلخيصه: أتتركون الحلال وتأتون الحرام.

﴿بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ﴾: (كا) متجاوزون الحلال إلىٰ الحرام، وهو [ارتكابهم][1] هذه الفاحشة ﴿قَالُواْ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ﴾: عن إنكارك علينا ﴿يَٰلُوطُ لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُخْرَجِينَ﴾: من قريتنا، و«من» في ﴿مِّنَ ٱلْقَالِينَ﴾: (كا) المبغضين متعلقة بمحذوف، أي: لقالٍ من القالين، فقال الخبر، و«من» صفته، واللام متعلقة بالخبر، ولو جعل من (القالين) الخبر لعمل (القالين) في (لعملكم)، فيفضي إلىٰ تقديم الصلة علىٰ الموصول.

﴿رَبِّ نَجِّنِي وَأَهْلِي مِمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٦٩﴾ فَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ أَجْمَعِينَ ﴿١٧٠﴾ إِلَّا عَجُوزًا فِي ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿١٧١﴾ ثُمَّ دَمَّرْنَا

---

(١) في أ، ب: ارتكابكم، والمثبت من ج.

ٱلْآخَرِينَ ﴿١٧٢﴾ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا فَسَآءَ مَطَرُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴿١٧٣﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧٤﴾
وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٧٥﴾ كَذَّبَ أَصْحَٰبُ لْـَٔيْكَةِ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٧٦﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾
إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٧٨﴾ فَٱتَّقُوا ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٧٩﴾ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ
ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٨٠﴾﴾

﴿فَنَجَّيْنَٰهُ﴾: فعصمناه ﴿وَأَهْلَهُۥٓ﴾ من العذاب ﴿أَجْمَعِينَ إِلَّا عَجُوزًا﴾: صفتها ﴿فِى ٱلْغَٰبِرِينَ﴾: الباقين في العذاب، أو مع قومها فيه، وليس الغبور صفتها وقت الإنجاء، وتقديره: إلا عجوزًا مقدرًا غبورها أهلكناها؛ لأنها كانت معينة على الفاحشة راضية بها، والاستثناء من الأهل؛ لأنَّ الزوجة من الأهل الآخرين ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم﴾ علىٰ شذاذهم ومسافريهم ﴿مَّطَرًا﴾: حجارة، وهي حجارة الكبريت والنار.

﴿فَسَآءَ﴾: فاعله ﴿مَطَرُ ٱلْمُنذَرِينَ﴾: (حس) أجمعين، والمخصوص بالذم محذوف، المعنىٰ: فقبح مطر المنذرين مَطرهم ﴿لَءَايَةً﴾: (كا).

﴿مُّؤْمِنِينَ﴾: (كا).

﴿ٱلرَّحِيمُ﴾: (تا).

القراءة: ﴿لْـَٔيْكَةِ﴾: هنا و«ص» بألف ولام ساكنة وجر التاء إضافة، وبتحريك اللام بحركة الهمزة الثانية وجر التاء، وأجمعوا علىٰ الألف واللام وجر التاء في الحجرات وق قائلة اسم نكرة لشجر كثير ملتف، ثم دخله التعريف، وليكة أيضًا بلام ونصب التاء غير مصروف لتعريفه وتأنيثه؛ [لأنَّه][(١)] اسم علم لبلد، أو شجر، [ق/ ٢٨٤ب] فمن قرأ الأيكة أراد [الشجر، ومن قرأ ليكة أراد][(٢)] البلد، كما يقول فيمن صرف ثمودًا أراد الأب، ومن لم يصرفه أراد القبيلة، وزعم بعضهم أنَّ هذا لا يستقيم، قال: لأنَّه ليس في الكلام (ليكة) حتىٰ تجعل علمًا، وهذا تحكم ظاهر،

---

(١) سقط من أ، ب والمثبت من ج.

(٢)سقط من ج والمثبت من أ، ب.

ولعله كان مع آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ حين علم الأسماء كلها وضبطها إلىٰ وقت دعواه، ونقل أبو عبيد أن ليكة علىٰ فعلة اسم للقرية التي كانوا فيها، والأيكة بالألف واللام اسم للبلد كله، وزعم آخر أن من قرأ (ليكة) بوزن «ليلة» فتوهمٌ قاد إليه خط المصحف، حيث وجدت في هذه السورة وفي صاد بغير ألف، وهذا يشعر أنَّ الحرمِيَّين[١] وابن عامر إنما نقلوها عن المصحف حسب، وهذا سهو ظاهر؛ لأنَّه يلزم الطاعن في هذه القراءة الاعتراف بصحة نقلها عن النبي ﷺ بل بتواتره؛ لأنها من السبع، والسبع ما ثبت بالتواتر، فكيف يكون هذا توهمًا [ق/ ٢٠٣ جـ] قاد إليه خط المصحف مع تواتر نقلها، وهذا تحكم أيضًا، قالوا: لم يكن شعيب من أصحاب الأيكة، فلذلك لم يقل: «أخوهم» وكان من أصحاب مدين، في الحديث: «**إن شعيبًا أخا مدين [أرسل إلىٰ أصحاب مدين]**[٢] **وإلىٰ أصحاب الأيكة**».

﴿وَأَطِيعُونِ﴾: (كا).

﴿ٱلْعَٰلَمِينَ﴾: (حس).

﴿۞ أَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ وَلَا تَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُخْسِرِينَ ﴿١٨١﴾ وَزِنُوا۟ بِٱلْقِسْطَاسِ ٱلْمُسْتَقِيمِ ﴿١٨٢﴾ وَلَا تَبْخَسُوا۟ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿١٨٣﴾ وَٱتَّقُوا۟ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلْجِبِلَّةَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٨٤﴾ قَالُوٓا۟ إِنَّمَآ أَنتَ مِنَ ٱلْمُسَحَّرِينَ ﴿١٨٥﴾ وَمَآ أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَإِن نَّظُنُّكَ لَمِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿١٨٦﴾ فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسَفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١٨٧﴾ قَالَ رَبِّىٓ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨٨﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ ٱلظُّلَّةِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٨٩﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٩٠﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٩١﴾﴾

وكان أصحاب الأيكة يطففون، فقال: ﴿أَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ وَلَا تَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُخْسِرِينَ﴾ [ق/ ١٧٠أ] الناقصين الكيل والوزن عند الأخذ والعطاء ﴿وَزِنُوا۟ بِٱلْقِسْطَاسِ ٱلْمُسْتَقِيمِ﴾ بميزان العدل، أصل البخس نقص الشيء علىٰ سبيل الظلم والعثي والعيث الهلاك، ومنه ﴿وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾: (حس).

---

(١) سقط من ج والمثبت من أ، ب.

(٢) الحرميان هما: ابن كثير ونافع.

القراءة: ﴿وَٱلْجِبِلَّةَ﴾ بكسر الجيم والباء وتشديد اللام، وقرئ بضم الجيم والباء وتشديد اللام، وبكسر الجيم وسكون الباء مخففًا لغات في الخلقة.

﴿ٱلْأَوَّلِينَ﴾: (كا) المعنىٰ: اتقوا الذي خلقكم وخلق من تقدمكم.

القراءة: ﴿كِسَفًا﴾: بفتح السين وإسكانها تخفيفًا، وهما جمع «كسفة»، وهي القطعة، المعنىٰ: إنا نتيقنك كاذبًا، فأسقط علينا قطعًا من السماء عقوبة ﴿إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾: (كا).

﴿بِمَا تَعْمَلُونَ﴾: (كا).

﴿عَذَابُ يَوْمِ ٱلظُّلَّةِ﴾: هو إن أصابهم حر شديد لا يكن منه شيء، فجاءتهم سحابة فدخلوا تحتها يستظلون بها، فأمطرت عليهم نارًا فاحترقوا.

﴿إِنَّهُۥ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾: (حس).

﴿لَآيَةً﴾: (كا).

﴿مُّؤْمِنِينَ﴾: (كا).

﴿ٱلرَّحِيمُ﴾: (تا) وكرر في هذه القصة ما كرر في غيرها تقريرًا لمعانيها في الصدور ليكون أبلغ في الوعظ والزجر، أو لأنَّ كل قصة قائمة بنفسها.

﴿ وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾
بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴿١٩٥﴾ وَإِنَّهُۥ لَفِى زُبُرِ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٩٦﴾ أَوَلَمْ يَكُن لَّهُمْ ءَايَةً أَن يَعْلَمَهُۥ عُلَمَٰٓؤُا۟ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿١٩٧﴾ وَلَوْ
نَزَّلْنَٰهُ عَلَىٰ بَعْضِ ٱلْأَعْجَمِينَ ﴿١٩٨﴾ فَقَرَأَهُۥ عَلَيْهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ مُؤْمِنِينَ ﴿١٩٩﴾ كَذَٰلِكَ سَلَكْنَٰهُ فِى قُلُوبِ
ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٢٠٠﴾ لَا يُؤْمِنُونَ بِهِۦ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴿٢٠١﴾ فَيَأْتِيَهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا
يَشْعُرُونَ ﴿٢٠٢﴾ فَيَقُولُوا۟ هَلْ نَحْنُ مُنظَرُونَ ﴿٢٠٣﴾ أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ ﴿٢٠٤﴾ أَفَرَءَيْتَ إِن مَّتَّعْنَٰهُمْ
سِنِينَ ﴿٢٠٥﴾ ثُمَّ جَآءَهُم مَّا كَانُوا۟ يُوعَدُونَ ﴿٢٠٦﴾ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يُمَتَّعُونَ ﴿٢٠٧﴾ وَمَآ أَهْلَكْنَا مِن
قَرْيَةٍ إِلَّا لَهَا مُنذِرُونَ ﴿٢٠٨﴾ ﴾

﴿وَإِنَّهُۥ﴾ أي: القرآن المنزل ﴿لَتَنزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ **القراءة:** ﴿نَزَلَ بِهِ﴾: مخففًا

الفاعل ﴿ٱلرُّوحُ ٱلۡأَمِينُ﴾ وهو جبريل ﷺ؛ لأنَّه أمين على الوحي، وبتشديد (نزل) ونصب (الروح) مفعولًا، الفاعل الله تعالىٰ، والباء للتعدية علىٰ القراءتين، ومحلها حال، أي: نازلًا.

﴿ عَلَىٰ قَلۡبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلۡمُنذِرِينَ ﴾: إن علقت الباء في ﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ﴾: (حس) بلغة قريش بـ(المنذرين)، فالمعنىٰ: لتكون من الذين أنذروا بهذا اللسان وهم خمسة: هود، وصالح، وشعيب، وإسماعيل، ومحمد عليهم الصلاة والسّلام أجمعين، وإن علقتها بـ (نزل)، فالمعنىٰ: نزله بلغة العرب لينذر به، ولو نزل بلغة العجم لقالوا: كيف نؤمن بما لا نفهمه؟

﴿وَإِنَّهُۥ﴾: أي ذكر القرآن أو محمد ﷺ ﴿لَفِي زُبُرِ ٱلۡأَوَّلِينَ﴾: (تا) المثبت في كتب الأنبياء قبلك.

القراءة: ﴿أَوَ لَمۡ يَكُن لَّهُمۡ﴾: مؤنثًا، فـ«كان» تامة، فاعلها ﴿ءَايَةً﴾: وأن (يعلمه) بدل منها، أو هي الناقصة اسمها ضمير الشأن، وآية خبر مبتدؤه ﴿أَن يَعۡلَمَهُۥ﴾: أي القرآن أو محمد ﷺ، وهما خبر «كان»، وبالياء مذكرًا ونصب (آية) خبر (كان) اسمها (أن يعلمه) ﴿عُلَمَٰٓؤُاْ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ﴾: [هم][1] ابن سلام وأصحابه، كانوا يخبرون بنعته ﷺ في كتبهم، وكان إخبارهم آية علىٰ صدقه، **وقرئ**: (أن تَعلَمهُ) بالتاء.

القراءة: ﴿ٱلۡأَعۡجَمِينَ﴾: الزجاج[2]: هو جمع أعجم، وهو من لا يفصح، بعضهم: هو جمع أعجمي، قال: ولا يجوز أن يكون جمع أعجم؛ لأنَّ مؤنثه عجماء، وما كان علىٰ «أفعل» مؤنثه علىٰ «فعلاء» لا تجمع بالواو والنون، قالوا [يقال:][3] لسان أعجمي، ولا يقال: أعجمي؛ لئلا ينسب إلىٰ نفسه إلا أن يكون

(١) سقط من ج، والمثبت من أ، ب.

(٢) معاني القرآن» (٤/ ١٠٢).

(٣) سقط من ج، والمثبت من أ، ب.

أعجم وأعجمي واحدًا كدوار ودواري.

وقرئ: (الأعجميين) بيائين، المعنىٰ: لو نزلنا القرآن علىٰ غير عربي اللسان ﴿فَقَرَأَهُۥ عَلَيْهِم﴾ علىٰ العرب ﴿مَّا كَانُواْ بِهِۦ مُؤْمِنِينَ﴾: (كا) لعدم فهمه، أو لو نزلناه علىٰ غير العرب أنفوا من اتباعه، فلهذا لم نفعل ذلك ﴿كَذَٰلِكَ﴾ أي: مثل هذا السلك ﴿سَلَكْنَـٰهُ﴾ أي: أدخلنا الشك والشرك ﴿فِى قُلُوبِ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾: (كا).

﴿لَا يُؤْمِنُونَ بِهِۦ﴾ بالقرآن، وتعطف علىٰ ﴿حَتَّىٰ يَرَوُاْ ٱلْعَذَابَ﴾ [فيأخذهم][1] ﴿فَيَقُولُواْ هَلْ نَحْنُ مُنظَرُونَ﴾: (كا) مأخرون، ونزل لمَّا وعدوا بالعذاب واستبطاؤه.

﴿أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ﴾: (حس) روي أنَّ عمر بن عبد العزيز كان إذا جلس [للقضاء][2] كل يوم للقضاء يقرأ ﴿أَفَرَءَيْتَ إِن مَّتَّعْنَـٰهُمْ سِنِينَ﴾ إلىٰ ﴿مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يُمَتَّعُونَ﴾: (كا) إن جعلت (ما أغنىٰ) استفهامًا فمحله نصب، وإن جعلته نفيًا فمعناه: إن طال تمتعهم [بنعم][3] الدنيا فإنهم لا ينتفعون به عند مجيء العذاب، إن نصبت ﴿ذِكْرَىٰ﴾ مصدرًا، تقديره: وما أهلكنا من قرية إلا لها منذرون يذكرون ذكرىٰ، أو حالًا من ضمير (منذرون)، أي: ينذرونهم ذوي تذكرة، أو مفعول له، أي: ينذرونهم لأجل الموعظة والتذكر، وقفت هنا، وإن رفعتها خبر مبتدأ، أي: هذه ذكرىٰ وقفت علىٰ (منذرون).

﴿ ذِكْرَىٰ وَمَا كُنَّا ظَـٰلِمِينَ ﴿٢٠٩﴾ وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ ٱلشَّيَـٰطِينُ ﴿٢١٠﴾ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٢١١﴾ إِنَّهُمْ عَنِ ٱلسَّمْعِ لَمَعْزُولُونَ ﴿٢١٢﴾ فَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَـٰهًا ءَاخَرَ فَتَكُونَ مِنَ ٱلْمُعَذَّبِينَ ﴿٢١٣﴾ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾ وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢١٥﴾ فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢١٦﴾ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٢١٧﴾ ٱلَّذِى يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٨﴾ ﴾

(١) سقط من ج، والمثبت من أ، ب.
(٢) سقط من ج، والمثبت من أ، ب.
(٣) سقط من ج، والمثبت من أ، ب.

﴿وَمَا كُنَّا ظَٰلِمِينَ﴾: (حس) لأنَّا أقمنا الحجة عليهم بإرسال رسلنا إليهم، لمَّا قال المشركون: إنَّ الشياطين تلقي القرآن علىٰ محمد نزل ﴿وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ ٱلشَّيَٰطِينُ﴾: وقرئ: (الشياطون) أجري مجرىٰ «يبرون»، فبعضهم يقول في الرفع: «يبرون»، وبعضهم: «يبرين»، [وعن الأصمعي أنَّه سمع من العرب: يستأنون][(١)] ﴿وَمَا يَنۢبَغِي لَهُمْ﴾: للشياطين النزول بالقرآن.

﴿وَمَا يَسْتَطِيعُونَ﴾: (كا) ذلك ﴿إِنَّهُمْ عَنِ ٱلسَّمْعِ﴾ أي:[عن][(٢)] استراقه ﴿لَمَعْزُولُونَ﴾: [(كا)][(٣)] لمحجوبون بالشهب ﴿فَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَكُونَ مِنَ ٱلْمُعَذَّبِينَ﴾: (حس) وإن كنت كريمًا عليه ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾: فجمع ﷺ قومه وقال لهم: «**إني نذير لكم بين يدي عذاب شديد**»[(٤)].

﴿وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ﴾: أي ألن جانبك وتواضع ﴿لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾: من عشيرتك وغيرهم، فإن الفاسق والمنافق لا يخفض له الجناح ﴿فَإِنْ عَصَوْكَ﴾ أي: خالفوك ﴿فَقُلْ إِنِّي بَرِيٓءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ﴾: (تا) من الكفر والمعاصي.

القراءة: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ﴾: بالفاء عطفًا علىٰ (فقل)، أو فلا تدع، قرأ بعضهم هذه الآية فقال: ما ينبغي لأحد أن يتوكل علىٰ غير الله بعد هذه الآية، وبالواو ﴿ٱلَّذِي يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ﴾: متهجدًا وإلىٰ جميع مهامك.

﴿ وَتَقَلُّبَكَ فِي ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٢١٩﴾ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٢٢٠﴾ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ ٱلشَّيَٰطِينُ ﴿٢٢١﴾ تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿٢٢٢﴾ يُلْقُونَ ٱلسَّمْعَ وَأَكْثَرُهُمْ كَٰذِبُونَ ﴿٢٢٣﴾ وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ ﴿٢٢٤﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ﴿٢٢٥﴾ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ﴿٢٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱنتَصَرُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا۟ ۗ وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَىَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ ﴿٢٢٧﴾﴾

---

(١) سقط من أ، ب، والمثبت من ج.

(٢) سقط من أ، ب، والمثبت من ج.

(٣) في أ، ب: (حس) والمثبت من ج.

(٤) أخرجه البخاري (٤٤٩٢)، ومسلم (٢٠٨) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

﴿وَتَقَلُّبَكَ﴾: أي ويرىٰ تقلبك من قيام وركوع وسجود ﴿فِى ٱلسَّٰجِدِينَ﴾: (كا) المصلين، أو المراد بالساجدين الأنبياء؛ لأنَّه ﷺ نقل من صلب إلىٰ صلب إبراهيم ثم إسماعيل، أو يتقلب تقلبهم في تبليغ الرسالة، أو المراد جميع الناس؛ [ق/ ٢٨٥ب] لأنَّ كل منتصب ساجد.

تلخيصه: يراك ويرىٰ جميع أحوالك.

﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾: (تا).

ونزل جواب قول المشركين: إنَّ الشياطين تلقي السمع علىٰ محمد ﴿هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ ٱلشَّيَٰطِينُ﴾: (من) لها صدر الكلام؛ لأنها استفهام، وحقها أن يستعمل معها الهمزة، وإذا دخلت عليها حرف جرّ فتقدر في ضمير كهمزة الاستفهام قبله، تقديره: أعلىٰ من تنزل لتكون قد أعطيت حرف الاستفهام حقه من صدر الكلام ﴿كُلِّ أَفَّاكٍ﴾ كذاب ﴿أَثِيمٍ﴾ فاجر، وهم الكهنة الذين كانت تسترق الجن السمع فتلقيه إليهم، يكفي الوقف هنا إن استأنفت ﴿يُلْقُونَ ٱلسَّمْعَ﴾: ولم تنصبه حالًا من ضمير (تنزل)، أو تجره صفة (أثيم)، المعنىٰ: إنهم يلقون إلىٰ الكهنة ما يستمعون عند استراق السمع.

﴿وَأَكْثَرُهُمْ﴾: أي الكهنة، أو الشياطين ﴿كَٰذِبُونَ﴾: (حس) لأنهم كانوا يخلطون مع ما يسمعون كذبًا كثيرًا، في الحديث: «**الكلمةُ يحفظُها الجنيُّ فيُقِرُّها في أُذُنِ وليِّه، فيزيدُ فيها أكثرَ من مائةِ كَذِبةٍ**»[1]، وقال أكثرهم: لأنَّ من الأفاك من [قد][2] يصدق، ونزل فيمن كان يقول الشعر ويقول: نحن نقول كما يقول محمد، واتبعهم غواة علىٰ ذلك ﴿وَٱلشُّعَرَآءُ﴾ مبتدأ خبره ﴿يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ﴾: [(تا)][3] السفهاء أو المشركون أو الشياطين أو الرواة، وقرئ بنصب (الشعراء) بمضمر

(١) أخرجه البخاري (٣٠٣٨)، ومسلم (٢٢٢٨) من حديث عائشة رضي الله عنها.
(٢) سقط من أ، ب والمثبت من ج.
(٣)سقط من ج والمثبت من أ، ب.

يفسره (يتبعهم)، تلخيصه: يتبع الشعراء الكاذبون ومن لا خلاق له؛ لأنهم ﴿فِى كُلِّ وَادٍ﴾: من أودية الكلام وفنونه ﴿يَهِيمُونَ﴾: حال، أي: يمضون علىٰ غير القصد؛ لأنهم يتجاوزون الحد، مدحوا أو هجوا ﴿وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ﴾: فعلنا وصنعنا ﴿مَا لَا يَفْعَلُونَ﴾: [ونفعل](١) ونصنع تخرصًا منهم.

ولمَّا نزلت هذه الآية جاء حسان وابن رواحة [وكعب بن مالك](٢) ومن كان ينافح عن النبي ﷺ، وكان غالب شعرهم توحيدًا وذكرًا، فقالوا: يا رسول الله، قد نزل هذا والله يعلم أنا شعراء، فقال ﷺ: «**إن المؤمن يجاهدُ بسيفِه ولسانِه، وإن الذي ترمونهم به نضحُ النَّبل**»، ونزل: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَذَكَرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱنتَصَرُواْ﴾(٣) هجوا الكفار ﴿مِنۢ بَعْدِ مَا ظُلِمُواْ﴾: هجوًا؛ لأنَّ الكفار بدؤهم بالهجاء، ونحوه: ﴿لَّا يُحِبُّ ٱللَّهُ ٱلْجَهْرَ بِٱلسُّوٓءِ مِنَ ٱلْقَوْلِ إِلَّا مَن ظُلِمَ﴾، و﴿فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱعْتَدُواْ عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ﴾، ولا شك أنَّ الشعر كلام فحسنه كحسنه وقبيحه كقبيحه، ولا بأس به إذا كان توحيدًا أو حثًّا علىٰ مكارم الأخلاق من جهاد وعبادة وحفظ فرج وغض بصر وصلة رحم وشبهه، أو مدحًا للنبي ﷺ والصالحين بما هو الحق، وكان أبو بكر وعمر شاعرين، وكان علي أشعر الثلاثة، ثم تهددهم، فقال: ﴿وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَىَّ مُنقَلَبٍ﴾: مرجع ﴿يَنقَلِبُونَ﴾: (تا) ابن عطاء: سيعلم المعرض عنا ما فاته منا، وأي [نصب](٤) نعت لمصدر محذوف نصب (ينقلبون) لا بـ(يعلم)؛ لأنها استفهام تقديره: ينقلبون انقلابًا، أي: [أي](٥) منقلب.

---

(١) سقط من ج والمثبت من أ، ب.

(٢) سقط من أ، ب والمثبت من ج.

(٣) أخرجه أبو داود (١٥٨٢٣)، وابن حبان(٤٧٠٧)، والطبراني في «المعجم الكبير» (١٩/ ٧٥) حديث (١٥١)، والبيهقي في «السنن الكبرىٰ» (٢٠٨٩٧) من حديث كعب بن مالك رضي الله عنه.

(٤) سقط من ج والمثبت من أ، ب.

(٥) سقط من أ، ب والمثبت من ج.

وقرئ: (أي منفلت ينفلتون)، المعنىٰ: إنَّ الظالمين يطمعون في الانفلات من العذاب، وذلك محال، قالوا: وتفسير الظلم بالكفر تعليل، بعضهم: لأنْ تخاف فتبلغ الأمن خير من أن تأمن فتبلغ الخوف.

سورة (النمـل)

مكية، وهي ثلاث أو أربع أو خمس وتسعون آية

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿طسٓۚ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْقُرْءَانِ وَكِتَابٍ مُّبِينٍ ﴿١﴾ هُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلْأَخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٣﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْأَخِرَةِ زَيَّنَّا لَهُمْ أَعْمَٰلَهُمْ فَهُمْ يَعْمَهُونَ ﴿٤﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَهُمْ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ وَهُمْ فِي ٱلْأَخِرَةِ هُمُ ٱلْأَخْسَرُونَ ﴿٥﴾﴾

﴿تِلْكَ﴾: أي هذه الآيات المذكورات ﴿ءَايَٰتُ ٱلْقُرْءَانِ وَكِتَابٍ مُّبِينٍ﴾ هو اللوح؛ لأنَّه قد خط فيه ما هو كائن، فهو بُيِّن للناظر فيه، وإن أريد ﴿بمبين﴾ القرآن فعطفه على القرآن كعطف إحدى الصفتين على الأخرى، نحو: هذا فعل الكريم والجواد السخي؛ لأنَّ في ﴿كتاب مبين﴾ معنى الوصف، وقرئ برفع (كتاب مبين)، أي: آيات كتاب مبين، فحذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه، وإن وقفت على (طس) لم تقف على (مبين) إن جعلت (تلك) مبتدأ خبره ﴿هُدًى﴾، وكذلك إن رفعت (تلك) مبتدأ خبره (آيات [القرآن][1]) ونصب (هدى) ﴿وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾: حالًا من (آيات) العامل فيها ما في (تلك) من معنى الإشارة، أي: هادية ومبشرة، وكذلك إن رفعت (هدى) بدلًا من (تلك)، وتقف هنا إن رفعت (هدى) خبر مبتدأ محذوف، ولا تقف هنا إن وصفت المؤمنين بـ ﴿ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلْأَخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾: (تا) المعنى: المؤمنون الموصوفون بهذه الصفات يوقنون بالبعث [ق/ ٢٠٤ جـ].

﴿زَيَّنَّا لَهُمْ أَعْمَٰلَهُمْ﴾: بأن ركبنا الشهوة فيهم، فاعتقدوا أعمالهم القبيحة حسنة لشهوتهم إياها لا أنا حسنًا إليهم الفواحش وأمرناهم بها ﴿فَهُمْ يَعْمَهُونَ﴾: (تا)

---

(١) في ج: الكتاب، والمثبت من أ،ب.

يترددون بتحير ﴿لَهُمْ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ﴾: القتل والأسر و﴿هُمُ ٱلْأَخْسَرُونَ﴾: (حس).

﴿ وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى ٱلْقُرْءَانَ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ ﴿٦﴾ إِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِأَهْلِهِۦٓ إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا سَـَٔاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ ءَاتِيكُم بِشِهَابٍ قَبَسٍ لَّعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴿٧﴾ فَلَمَّا جَآءَهَا نُودِىَ أَنۢ بُورِكَ مَن فِى ٱلنَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨﴾ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّهُۥٓ أَنَا ٱللَّهُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٩﴾ ﴾

أشد الناس خسرانا ثمَّ ﴿عَلِيمٍ﴾: (حس) إن نصبت ﴿إِذْ قَالَ﴾: بـ«اذكر» مقدرة، ولا يجوز إن نصبته بـ(عليم)، أي: عليم وقت قول ﴿مُوسَىٰ لِأَهْلِهِۦٓ﴾: لزوجته عند مسيره من مدين إلىٰ مصر ﴿سَـَٔاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ﴾: أخبركم به عن حال الطريق؛ لأنَّه كان [ق/ ١٧١جـ] قد ضل عنها، القراءة بتنوين (شهابٍ) وجر ﴿قَبَسٍ﴾: صفة لـ(شهاب) وبغير تنوين وجر (قبس) إضافة كإضافة ثوب خزٍّ، والقبس بمعنىٰ المقبوس؛ لأنَّ الشهاب الشعلة، والقبس النار المقبوسة، قال في [غير][1] هذا الموضع ﴿لَّعَلِّىٓ ءَاتِيكُم﴾ ترجيًا، وهنا ﴿سَـَٔاتِيكُم﴾ إخبارًا؛ لأنَّ الراجي إذا قوي ترجيه ربما حكم بوقوع الفعل، المعنىٰ: إنَّ موسىٰ قال لزوجته لمَّا ضربها الطلق، ورأىٰ النار: اثبتوا مكانكم سآتيكم بجزء منها ﴿لَّعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ﴾: (كا) تستدفئون به، وفاعل (نودي) ضمير (موسىٰ)، فـ«أن» في ﴿أَنۢ بُورِكَ﴾: مخففة من الثقيلة وإن منعه بعضهم، وتقديره: نودي موسىٰ بأنَّه بورك، والضمير ضمير الشأن، أو مفسرة؛ لأنَّ في النداء معنىٰ القول، أي: قيل: بورك، [أو][2] فاعل (نودي) (أن بورك)، أي: نودي بأن بورك، كنودي بالرخص، و«من» في ﴿ مَن فِى ٱلنَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا ﴾ رفع بـ(بورك)، المعنىٰ: بورك من يقرب من النار وبورك من حولها، أو المعنىٰ: بورك مكان من في النار ومكان من حولها، يوضحه ما قرئ: (تباركت الأرض)، والمراد بـ«النار» هنا النور عند أكثرهم، و(من فيها) الله تعالىٰ، فمعنىٰ «تبارك» تعظم وتقدس، المعنىٰ: تعظم من سُمِعَ خطابُه من النار، وبـ«من

---

(١) سقط من ج، والمثبت من أ،ب.

(٢) سقط من ج، والمثبت من أ،ب.

حولها» موسىٰ والملائكة، أو بـ«من فيها» الملائكة وبـ«من حولها» موسىٰ؛ لأنَّ موسىٰ لما طلب النار رأىٰ الملائكة فيها لهم زجل بالتسبيح والتقديس، أو ﴿مَن فِي ٱلنَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا﴾ الملائكة جميعًا، أو البركة ترجع إلىٰ النار.

وقرئ: (بوركت النار)، أو المعنىٰ: بورك الشيء الذىٰ في النار، والبركة حصلت في النار وفيمن حولها بخطاب الله تعالىٰ موسىٰ بالأمور الدينية، وجيء بالسين للإيذان بعوده إليهم وإن أبطأ، ويبعد النار عنهم، وجيء بـ«أو» دون «الواو» رجاء إن [لم][1] يظفر [ق/ ٢٨٦ب] بحاجتيه معًا لم يعدم إحداهما ثقة بالله تعالىٰ؛ لأنَّه لا يكاد يجمع بين حرمانين علىٰ عبده، أبو حاتم: (ومن حولها) وقف جيد إن لم تجعل ﴿وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾: (حس) من جملة ما نودي، و«الهاء» في ﴿إِنَّهُۥٓ﴾: ضمير الشأن، والشأن (أنا الله) مبتدأ وخبر، أو ترجع إلىٰ ما دل عليه النداء، أي: إنَّ مكلمك أنا، و«الله» بيان، أو بدل ﴿ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾: صفتان لله تعالىٰ، خبرًا كان أو بيانًا أو بدلًا، روي أنَّ موسىٰ ﷺ لمَّا سمع الخطاب فلم ير أحدًا قال: من الذي يكلمني؟ فقيل: إنَّه أنا الله.

﴿وَأَلْقِ عَصَاكَ ۚ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ ۚ يَٰمُوسَىٰ لَا تَخَفْ إِنِّى لَا يَخَافُ لَدَىَّ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿١٠﴾ إِلَّا مَن ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلَ حُسْنًۢا بَعْدَ سُوٓءٍ فَإِنِّى غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١١﴾ وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِى جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ ۖ فِى تِسْعِ ءَايَٰتٍ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِۦٓ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴿١٢﴾ فَلَمَّا جَآءَتْهُمْ ءَايَٰتُنَا مُبْصِرَةً قَالُوا۟ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿١٣﴾﴾

وتعطف علىٰ ﴿أَنۢ بُورِكَ﴾: ﴿وَأَلْقِ عَصَاكَ﴾: تقديره: قيل له: أن بورك، وقيل له: ألق عصاك.

ومحل ﴿تَهْتَزُّ﴾: حال من «هاء» (رآها)، ومحل ﴿كَأَنَّهَا جَآنٌّ﴾: حية خفيفة، حال من ضمير (تهتز)، وقرئ: «جأن» مهموزًا؛ فرارًا من اجتماع ساكنين ﴿وَلَّىٰ مُدْبِرًا﴾: حال ﴿وَلَمْ يُعَقِّبْ﴾: (تا) لم يرجع بعد هربه خوفًا من الحية، فقيل له:

---

(١) سقط من أ،ب والمثبت من ج.

﴿لَا تَخَفْ إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ ٱلْمُرْسَلُونَ﴾: [(كا)][1] إن جعلت الاستثناء بعد منقطعًا، المعنىٰ: من أمنته من عذابي لا ينبغي أن يخاف من حية، لكن ﴿مَن ظَلَمَ﴾: من المرسلين بذنب صدر منه كآدم ويونس وداود [وموسىٰ][2] ﴿ثُمَّ بَدَّلَ حُسْنًا بَعْدَ سُوٓءٍ﴾: توبة بعد ذنب ﴿فَإِنِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾: (كا) ولا تقف علىٰ (المرسلين) إن رفعت (إلا من ظلم) بدلًا منه، ويجوز أن يكون الخطاب للمرسلين والمراد غيرهم، وقرئ بتخفيف «إلا» تنبيه، فيتم الوقف علىٰ المرسلين، وقرئ: (حَسَنًا) بفتح الحاء والسين ﴿تَخْرُجْ بَيْضَآءَ﴾: حال، ومحل ﴿مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ﴾: حال ثانية، (في تسع) حال ثالثة، أي: آية ﴿فِي تِسْعِ ءَايَـٰتٍ﴾: و«إلىٰ» متعلق بمحذوف، أي: مرسلًا إلىٰ فرعون، أو (في تسع آيات) كلام مستأنف، فـ«في» متعلق بمحذوف، أي: اذهب في تسع آيات ﴿إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَـٰسِقِينَ﴾: (حس).

﴿مُبْصِرَةً﴾: حال، يبصر بها، ونسب البصر إليها مجازًا، وهو في الحقيقة لمتأمليها، وقرئ بفتح الميم والصاد [كمنحلة][3]، أي: مكانًا يكثر فيه التبصر.

﴿وَجَحَدُوا۟ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ۚ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿١٤﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَـٰنَ عِلْمًا ۖ وَقَالَا ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى فَضَّلَنَا عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥﴾ وَوَرِثَ سُلَيْمَـٰنُ دَاوُۥدَ ۖ وَقَالَ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ ٱلطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَىْءٍ ۖ إِنَّ هَـٰذَا لَهُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٦﴾ وَحُشِرَ لِسُلَيْمَـٰنَ جُنُودُهُۥ مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ وَٱلطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٧﴾﴾

والواو في ﴿وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ﴾: للحال، و«قد» معها مضمرة، واستيقن أبلغ من أيقن، المعنىٰ: لمَّا جاءتهم آياتنا واضحات واستيقنوا صدقها جحدوها ﴿ظُلْمًا﴾: حال ﴿وَعُلُوًّا﴾: (كا) شركًا وتكبرًا، وقرئ بغين معجمة ﴿ٱلْمُفْسِدِينَ﴾: (تا).

---

(١) سقط من ج، والمثبت من أ،ب.

(٢) سقط من ج، والمثبت من أ،ب.

(٣) سقط من ج، والمثبت من أ،ب.

﴿عِلْمًا﴾: هو علم القضاء ومنطق الطير، وهنا محذوف مقدر لتَعْطِفَ الواو وما بعدها عليه، ولولا تقدير المحذوف لكان الوجه الفاء، كأعطيته فشكر. وتقديره: أتيناهما علمًا فعلماه وشكرا الله تعالىٰ ﴿وَقَالَا ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى فَضَّلَنَا﴾: بالنبوة وتسخير الجن والإنس والشياطين ﴿عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾: (حس).

﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَٰنُ دَاوُۥدَ﴾: ورث نبوته وعلمه دون المال، وإخوته وكانوا تسعة عشر ابنًا.

وقرئ: (وَوَرَّثَ) مشددًا ونصب (سليمان) مفعولًا، ورفع (داود) فاعلًا، أُعطي سليمان ما أُعطي داود وزِيدَ له تسخير الجن والريح وفهم نطق الطير، فثمَّ اعترف بأنعم الله تعالىٰ عليه .

﴿وَقَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ عُلِّمْنَا﴾: وقرئ: (عَلِمْنَا) ﴿مَنطِقَ ٱلطَّيْرِ﴾: أي فهم أصواته، والمنطق الكلام، وروي أنَّه صاحَ ورشان، فقال: إنَّه يقول: «لِدوا للموت وابنوا للخراب»، وصاحت فاختة فقال: «إنها تقول: ليت الخلق لم يخلقوا»، والطاوس يقول: «كما تدين تدان»، والهدهد يقول: «كل حي ميت وكل جديد بالٍ»، والخطاف يقول: «قدموا خيرًا تجدوه»، والحمامة تقول: «سبحان ربي الأعلىٰ ملء سمواته وأرضه»، والقطاء تقول: «من سكت سلم»، والببغاء يقول: «ويل لمن الدنيا همه»، والدراج يقول: «الرحمن علىٰ العرش استوىٰ»، والقنبر يقول: «اللهم العن مبغضي محمد وآل محمد»، والنسر يقول: «ابن آدم عش ما شئت آخره الموت»، والعقابُ يقول: «في البعد من الناس أنس»، والحمار [يقول:][1] اللهم العن العشار»، والفرس يقول إذا التقىٰ الصفان: «سبوح قدوس رب الملائكة والروح»، والزرزور يقول: «اللهم إني أسألك قوت يوم بيوم يا

---

(١) سقط من ج، والمثبت من أ،ب.

رزاق»[١].

﴿وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَيْءٍ﴾: (كا) يؤتاه الأنبياء والملوك، و«كل» هنا تبعيض، وفيها إشارة إلىٰ كثرة ما أوتوا، نحو فلان يقصده كل أحد.

﴿إِنَّ هَٰذَا﴾: المذكور ﴿لَهُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْمُبِينُ﴾: (تا) الزيادة علىٰ ما أعطي غيرنا ﴿وَحُشِرَ﴾ جُمِعَ ﴿لِسُلَيْمَٰنَ جُنُودُهُۥ مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ وَٱلطَّيْرِ﴾: في مسير كان له ﴿فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾: (كا) يُجمعون [ثم][٢] يساقون، وأصل الوزع الكف، وكان معسكره مائة فرسخ في مائة، خمسة وعشرون للإنس، وخمسة وعشرون للجن، وخمسة وعشرون للوحش، وخمسة وعشرون للطير، وكان يأمر الريح فترفعه، ويأمر الرخاء فتسير به، وزِيد في ملكه أنَّه لا يتكلم أحد إلا حملت الريح كلامه إليه، فبينا هو يسير رآه وجنده حرَّاث، فقال: لقد أوتي آل داود ملكًا عظيمًا، فمشىٰ إليه وقال له: إنما مشيت إليك لئلا تتمنىٰ ما لا تقدر عليه، ثم قال: والله لتسبيحة واحدة يتقبّلها الله خير مما أوتي آل داود.

﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَوْا۟ عَلَىٰ وَادِ ٱلنَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمْلُ ٱدْخُلُوا۟ مَسَٰكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٨﴾ فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَدْخِلْنِى بِرَحْمَتِكَ فِى عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٩﴾ وَتَفَقَّدَ ٱلطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِىَ لَآ أَرَى ٱلْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ ٱلْغَآئِبِينَ ﴿٢٠﴾ لَأُعَذِّبَنَّهُۥ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَا۟ذْبَحَنَّهُۥٓ أَوْ لَيَأْتِيَنِّى بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٢١﴾﴾

﴿وَادِ ٱلنَّمْلِ﴾: هو بالطائف، أو بالشام كان نملُه صغارًا، أو كبارًا كالذباب والبخاتي ﴿قَالَتْ نَمْلَةٌ﴾: وكانت ملكة النمل لما رأت جند سليمان ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمْلُ﴾: وقرئ بضم ميم (نملة) و(النمل).

﴿ٱدْخُلُوا۟ مَسَٰكِنَكُمْ﴾: ولم تقل ادخلن؛ لأنه لما جعل لها قولًا خاطبها خطاب

---

(١) ذكره الزمخشري في «الكشاف» (٣/ ٣٥٤).

(٢) سقط من ج، والمثبت من أ،ب.

الآدميين ﴿لَا يَحْطِمَنَّكُمْ﴾: نهي مستأنف، ولا يكون جوابًا للشرط؛ لأن جواب الشرط يَقِلُّ تأكيده بالنون، وأصل الحطم الكسر، المعنىٰ: لا تقفوا لدىٰ هذا الجيش فيهُلككم.

﴿سُلَيْمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾: [(كا)][1] بهلاككم، وسمع سليمان كلام النمل من ثلاثة أميال، روي أنَّه لمَّا أشرف علىٰ الوادي حبس جنده حتىٰ دخل النمل ببيوتهم، وروي أنه قال لعظيم النمل: لم قلتَ ادخلوا مساكِنكم، أخِفْتَ عليهم مني ظلمًا؟ قال: لا، ولكن خشيت أن يفتنوا بما يرون من ملكك فيشغلهم ذلك عن طاعة الله تعالىٰ

﴿فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا﴾: حال مؤكدة أو مقدرة؛ لأنَّ التبسم مبدأ الضحك، أو ضحك الأنبياء التبسم، أي: ضحك متبسمًا.

وقرئ: (ضَحِكًا) مصدر، أو اسم فاعل كنصب، المعنىٰ: إنَّه ضحك تعجبًا.

﴿مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِيٓ﴾: ألهمني ﴿أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ﴾: إلىٰ ﴿الصَّالِحِينَ﴾: (حس).

كان الهدهد يدل علىٰ الماء، وكان ينظر الماء تحت الأرض ويعرف قربه وبعده، فينقر الأرض فتستخرج الشياطين الماء، فاحتاج سليمان يومًا إلىٰ الماء وقت الصلاة، فطلب الهدهد فلم يجده، أو كانت تُظِلُّه الطير فأصابه من موضع الهدهد شمس فشق عليه ﴿وَتَفَقَّدَ ٱلطَّيْرَ﴾: [ق/ ٢٨٧ب] ليرىٰ الهدهد فلم يره ﴿فَقَالَ مَا لِيَ لَآ أَرَى ٱلْهُدْهُدَ﴾: في جملة الطير، ثم أدركه الشك في غيبته فقال: ﴿أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ﴾: أو الميم زائدة، أو «أم» بمعنىٰ «بل»، فلما تحقق غيبته قال: ﴿لَأُعَذِّبَنَّهُۥ عَذَابًا﴾: أي: تعذيبًا، ﴿شَدِيدًا﴾: بنتف ريشه وذنبه ورميه في الشمس فلا يمتنع عن الهوام، أو لأفرقن بينه وبين أليفه، أو لأحوجنه إلىٰ أجناسه، أو لأحبسنه مع ضده وأضيق السجن معاشرة الأضداد، أو لألزمنه خدمة أقرانه، أو

(١) في جـ: تا والمثبت من أ،ب.

لأسلبنه حلاوة العبادة والأنس بالطاعة، وجاز تعذيب الهدهد لِما رأىٰ في ذلك من المصلحة.

﴿أَوْ لَأَاْذْبَحَنَّهُۥٓ أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ﴾: (كا) برهان ظاهر علىٰ عذره، القراءة بثلاث نونات أصلها ليأتيني، ثم دخلت المشددة وهيٰ محسوبة بنونين تأكيدًا للقسم، وبعدها نون مكسورة للوقاية كنون ضربني، وبُني الفعل علىٰ الفتح ففتحت الياء التي هي لام الفعل، وبنون مشددة حذف إحدىٰ النونات تخفيفًا، وكان سليمان بعد تتمة عمارة بيت المقدس خرج [للحج][1] فأقام في الحرم مدة طويلة يُقَرِّبُ كل يوم خمسة آلاف ناقة وخمسة آلاف بقرة وعشرين ألف شاة، ثم أَمَّ سهيلًا يطلب صنعاء اليمن، فرأىٰ مكانًا أعجبه فنزل ليتغدىٰ ويصلي الظهر، وكان الهدهد قنقن [سليمان][2] وهو الدليل الهادي والبصير بالماء تحت الأرض، وكذلك القناقن، وجمعه قناقن بالفتح واسمه يعفور، فقال: ارتفع فانظر في طول السماء وعرضها، فارتفع فرأىٰ بستانًا لبلقيس فمال إلىٰ خضرته، فإذا هو بهدهد اسمه عنفير، فقال عنفير ليعفور: من أين أقبلت؟ قال: من الشام مع صاحبي سليمان، فقال يعفور لعنفير: من أين أنت؟ قال: من هذه البلاد، وملكتها بلقيس، ما أظن ملك سليمان بأعظم من ملكها، فهل أنت منطلق معي تنظر ملكها؟ فقال: أخاف أن يفقدني [ق/ ٢٠٥ جـ] سليمان وقت الصلاة إذا احتاج إلىٰ الماء، فقال: إن صاحبك يسره أن تأتيه بخبر هذه الملكة، فانطلق معه ونظر مُلكهَا

﴿ فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ ﴿٢٢﴾ إِنِّي وَجَدتُّ ٱمْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾ وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٢٤﴾ أَلَّا يَسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِي يُخْرِجُ ٱلْخَبْءَ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴿٢٥﴾ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ

(١) سقط من ج، والمثبت من أ،ب.

(٢) سقط من ج، والمثبت من أ،ب.

﴿إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ۩ (٢٦)﴾

﴿فَمَكَثَ﴾: وقتًا أو مكانًا ﴿غَيْرَ بَعِيدٍ﴾: ثم جاء، القراءة بضم الكاف وفتحها لغتان، المعنىٰ: إنَّ الهدهد أبطأ في غيبته قدرًا يسيرًا، فسأل سليمان عريف الطير النسر عن الهدهد، فقال: أصلح الله الملك، ما أدري أين هو؟ وما أرسلته إلىٰ مكان، فغضب وقال لسيد الطير العقاب: عليَّ به، فارتفع في الهواء فرأىٰ الهدهد قد أقبل من نحو اليمن فانقض عليه، فقال: بحق الذىٰ قوَّاك وأقدرك عليَّ إلا رحمتني ولم تتعرض لي بسوء، فولَّىٰ عنه وقال: ويلك؛ إن نبي الله [ق/ ١٧٢ جـ] قد حلف ليعذبنك، فتلقته الطيور وقالت: ويلك؛ إنَّ نبي الله قد توعدك وحلف ليهلكنك، قال: وما استثنىٰ؟ قالوا: بلىٰ، (إن لم تأت بسلطان مبين). فقال: نجوت إذًا فجاء العقاب سليمان بالهدهد وقال: قد أتيتك به، فلما قرُبَ الهدهد رفع رأسه وأرخىٰ ذنبه وجناحيه تواضعًا لسليمان، فأخذ برأسه وجذبه إليه بشدة وتهدده، فقال: يا نبي الله، اذكر وقوفك بين يدي الله، فارتعد وعفا عنه ولطف به خوفًا من الله تعالىٰ، ولئلا يلحقه العُجب؛ فهو الداء العضال أعاذك الله تعالىٰ وإيانا منه، ثم سأله عما لقي في غيبته ﴿فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ﴾: المعنىٰ: اطلعت علىٰ قومٍ وعلمت من حالهم وبلادهم ما لم تعلم أنت ولا أحد من جندك.

القراءة ﴿وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍ﴾: فتحًا غير مصروف؛ لتعريفه وتأنيثه جعل اسمًا لبلدة أو قبيلة، وبإسكان الهمزة تخفيفًا وبكسرها منونًا مصروفًا اسم لحي أو لأب، والنسابون يجعلونه اسمًا للأب، فيقولون: هو سبأ بن يشجب بن قحطان، في الحديث: «**كان رجلًا له عَشَرةٌ من الولدِ، تيامَنَ منهم ستَّةٌ وتشاءمَ منهم أربعةٌ**»(١).

﴿بِنَبَإٍ يَقِينٍ﴾: (حس).

(١) أخرجه أبو داود (٣٩٨٨)، والترمذي (٣٢٢٢)، والحاكم (٣٥٨٦)، والطبراني في «المعجم الكبير» (١٨/ ٣٢٦) حديث (٨٣٨) من حديث فروة بن مسيك الغطيفي.

﴿وَجَدتُّ ٱمۡرَأَةً تَمۡلِكُهُمۡ﴾: أي تملك قومها، واسمها بلقيس بنت شراحيل من نسل يعرُب بن قحطان، وأمها جنية؛ لأنه ما كان يرىٰ التزوج من الإنس، ولم يكن له ولد غيرها فملكت ملكه ﴿وَأُوتِيَتۡ مِن كُلِّ شَيۡءٍ﴾: يليق بها من أسباب الدنيا، ﴿وَلَهَا عَرۡشٌ عَظِيمٌ﴾: (حس) بالنسبة إلىٰ أبناء [جنسها][1]، قالوا: كان ثمانين ذراعًا في ثمانين وارتفاعه ثلاثين، أو ثمانين ذراعًا من ذهب وفضة مكللًا بالدر والزمرد والياقوت الأحمر والزبرجد الأخضر، وكانت قوائمه من ياقوت أحمر وأخضر وزمرد، وعليه سبعة أبيات علىٰ كل بيت باب مغلق، وكانت هي وقومها مجوسًا ﴿يَسۡجُدُونَ لِلشَّمۡسِ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَعۡمَٰلَهُمۡ فَصَدَّهُمۡ عَنِ ٱلسَّبِيلِ فَهُمۡ لَا يَهۡتَدُونَ﴾: (تا) وخفي حالها علىٰ سليمان مع قربها منه لأنه كان نازلًا بصنعاء وهي بمأرب وبينهما ثلاثة أميال لحِكَمٍ يعلمها الله تعالىٰ، وليعلم الإنسان أنَّه لا يعلم إلا ما عُلِّمَ.

القراءة بتخفيف ﴿أَلَّا يَسۡجُدُواْ﴾: تنبيهًا، تقديره: ألا يا هؤلاء اسجدوا، فيتم الوقف علىٰ (يهتدون)، وبعضهم يجعل حرف التنبيه داخلا علىٰ الفعل من غير تقدير كدخوله في «هلم» ولا يجوز علىٰ القراءة بتشديد «ألا»؛ لأنَّ أصلها «أن لا»، أدغمت النون في اللام وهي الناصبة للفعل وهو (يسجدوا)، ومحل (أن) نصب بدل من (أعمالهم)، أي: وزين لهم الشيطان ألَّا يسجدوا، أو مفعول (يهتدون) و(لا) زائدة، أي: لا يهتدون أن يسجدوا، أو خفضٌ بدل من (السبيل) و(لا) زائدة أيضًا، أي: صدهم عن أن يسجدوا.

وإن رفعته خبر مبتدأ، أي: هي ألَّا يسجدوا، حسن الوقف علىٰ (يهتدون)، وقرئ: «هلَّا» و«هلا» بقلب الهمزة هاء فيهما، و«ألا تسجدون» و«هلا تسجدون» خطابًا بمعنىٰ «ألا يسجدون» ﴿لِلَّهِ ٱلَّذِي يُخۡرِجُ ٱلۡخَبۡءَ﴾: أي ما غاب ﴿فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾.

---

(١) في ج: الدنيا، والمثبت من أ، ب.

القراءة ﴿وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ﴾ (تا) بالتاء والياء فيهما، من (أحطت) إلىٰ ﴿ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ﴾: (حس) من كلام الهدهد، أوجب بعضهم السجدة علىٰ قراءة تخفيف «ألا» دون تشديدها، وفيه نظر؛ لأنَّ التخفيف أمر بالسجود والتشديد ذم علىٰ تركه وهما يقتضيان الإتيان بالسجود.

﴿ ۞ قَالَ سَنَنظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٢٧﴾ ٱذْهَب بِّكِتَٰبِى هَٰذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَٱنظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ ﴿٢٨﴾ قَالَتْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ إِنِّىٓ أُلْقِىَ إِلَىَّ كِتَٰبٌ كَرِيمٌ ﴿٢٩﴾ إِنَّهُۥ مِن سُلَيْمَٰنَ وَإِنَّهُۥ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣٠﴾ أَلَّا تَعْلُوا۟ عَلَىَّ وَأْتُونِى مُسْلِمِينَ ﴿٣١﴾ ﴾

فقال سليمان ﴿سَنَنظُرُ أَصَدَقْتَ﴾: فيما أخبرتنا به ﴿أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾: (كا) فيه، ثم دلهم الهدهد علىٰ الماء فاستُخرج وارتووا وتوضؤوا وصلوا، ثم كتب سليمان كتابًا صورته: «من عبد الله سليمان بن داود إلىٰ بلقيس ملكة سبأ، بسم الله الرحمن الرحيم، السلام علىٰ من اتبع الهدىٰ، أما بعد: فلا تعلوا [ق/ ٢٨٨ب] عليَّ وأتوني مسلمين، ثم طبعه بالمسك وختم بخاتمه، ثم قال له: ﴿ٱذْهَب بِّكِتَٰبِى هَٰذَا﴾.

القراءة ﴿فَأَلْقِهْ﴾: بسكون الهاء تخفيفًا لغة صحيحة، أو علىٰ نية الوقف، وبكسرها لتدل الكسرة علىٰ الياء المحذوفة، وبياء في الوصل؛ لأنَّ الهاء لمَّا تحرك ما قبلها ثبت الحرف الذي بعدها لعدم اجتماع الساكنين، المعنىٰ: اقذفه.

﴿إِلَيْهِمْ﴾: أي إلىٰ بلقيس وقومها؛ لأنَّه ذكرهم معها في قوله: ﴿وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا﴾، ولأنها ما كانت تبُتُّ أمرًا دونهم ﴿ثُمَّ تَوَلَّ﴾: انصرف ﴿عَنْهُمْ﴾: بعد إلقائك الكتاب وقف قريبًا منهم ﴿فَٱنظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ﴾: (حس) يردون من الجواب من قوله: ﴿يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ ٱلْقَوْلَ﴾ [سبأ:٣١]، أو تقديره: اذهب بكتابي هذا فانظر ماذا يرجعون؟ ثم تول عنهم، فأخذ الكتاب وأتىٰ بلقيس وهي نائمة في قصرها، فألقاه علىٰ نحرها، أو أتاها وحولها جندها فرفرف ساعة،

فرفعت رأسها فألقاه في حجرها، فلمَّا رأت الخاتم ارتعدت وخضعت خوفًا؛ لأن ملك سليمان كان فيه، وعَرفَت أنَّ مُلْكَ المُرسِل إليها أعظم من مُلكِها، ثم تأخر الهدهد يسيرًا، ثم جلست مع أشراف قومها وكانوا اثني عشر ألفًا، أو مائة ألف قائد، مع كل قائد مائة ألف مقاتل، [ثم][١] ﴿قَالَتْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ إِنِّىٓ أُلْقِىَ إِلَىَّ كِتَـٰبٌ كَرِيمٌ﴾: (حس) مختوم، قال ﷺ: «**كرامة الكتاب ختمه**»[٢]، أو كريم شريف؛ لأنَّه صُدِّر ببسم الله الرحمن الرحيم، أو سمته كريمًا لكرم صاحبه، أو لأنه ابتدأها بالكتابة، ولا يبتدئ بالكتابة إلا كريم، بعضهم: لاحترامها الكتاب رزقت الهداية حتىٰ آمنت، ثم قرأت عليهم ما في الكتاب، وهو: ﴿إِنَّهُۥ مِن سُلَيْمَـٰنَ وَإِنَّهُۥ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾:

وقرئ: (أنه) فتحًا بدلًا من (كتاب)، فلا وقف علىٰ (كريم)، وقرئ: (أنَّ من سليمان وأن بسم الله)، [فـ«أن»][٣] مفسرة، وتبدل من كتاب ﴿أَلَّا تَعْلُوا۟﴾: ألا ترتفعوا، وقرئ بغين معجمة، تلخيصه: ردوا جواب كتابي ولا تتكبروا ﴿عَلَىَّ وَأْتُونِى مُسْلِمِينَ﴾: (حس) مؤمنين طائعين، وأرادت اختبار قومها، وتطييبًا لقلوبهم.

﴿قَالَتْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ أَفْتُونِى فِىٓ أَمْرِى مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّىٰ تَشْهَدُونِ ﴿٣٢﴾ قَالُوا۟ نَحْنُ أُو۟لُوا۟ قُوَّةٍ وَأُو۟لُوا۟ بَأْسٍ شَدِيدٍ وَٱلْأَمْرُ إِلَيْكِ فَٱنظُرِى مَاذَا تَأْمُرِينَ ﴿٣٣﴾ قَالَتْ إِنَّ ٱلْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا۟ قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوٓا۟ أَعِزَّةَ أَهْلِهَآ أَذِلَّةً ۖ وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٣٤﴾ وَإِنِّى مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌۢ بِمَ يَرْجِعُ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٣٥﴾﴾

---

(١) سقط من ج، والمثبت من أ، ب.

(٢) أخرجه الطبراني في «المعجم الأوسط» (٣٨٧٢) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.
قال الهيثمي: رواه الطبراني في الأوسط وفيه محمد بن مروان السدي الصغير وهو متروك. «مجمع الزوائد» (٨/ ١٨٦).

(٣) سقط من ج، والمثبت من أ، ب.

فقالت: ﴿أَفۡتُونِي﴾: أي أشيروا علي ﴿فِيٓ أَمۡرِي مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمۡرًا حَتَّىٰ تَشۡهَدُونِ﴾: (كا).

﴿قَالُواْ نَحۡنُ أُوْلُواْ قُوَّةٍ﴾: في الأجساد والآلات ﴿وَأُوْلُواْ بَأۡسٍ شَدِيدٍ﴾: شجاعة ونجدة في الحرب، ومع ذلك فأمرنا ﴿إِلَيۡكِ﴾: لا حكم عليك ﴿فَٱنظُرِي مَاذَا تَأۡمُرِينَ﴾: (حس) المعنىٰ: نحن من أبناء الحرب، وأنت من أبناء الملوك، وأنت أعلم بالرأي، ونحن لك نتبع، فإن حاربت حاربنا، وإن سالمت سالمنا، فأومأت إلىٰ المسالمة بقولها: ﴿إِنَّ ٱلۡمُلُوكَ إِذَا دَخَلُواْ قَرۡيَةً﴾: قهرًا ﴿أَفۡسَدُوهَا﴾: بالتخريب ﴿وَجَعَلُوٓاْ أَعِزَّةَ أَهۡلِهَآ أَذِلَّةً﴾: لتستقيم أمورهم، [(تا)][1] إن جعلت ﴿وَكَذَٰلِكَ يَفۡعَلُونَ﴾ تصديقًا من كلام الله تعالىٰ، وحسن إن جعلته استئناف كلام منها، وكانت قد عرفت تدبير الملك؛ لأنها ساست وسيس عليها، فأرادت أن تداري عن بلدها فقالت: ﴿وَإِنِّي مُرۡسِلَةٌ إِلَيۡهِم بِهَدِيَّةٍ﴾: أختبر بذلك سليمان، إن كان ملكًا أخذ الهدية وانصرف، وإن كان نبيًّا لم يأخذها ولم نأمنه علىٰ بلادنا ﴿فَنَاظِرَةُۢ بِمَ﴾: بأي شيء ﴿يَرۡجِعُ ٱلۡمُرۡسَلُونَ﴾: (كا) من قبول الهدية أوردها وما يقال لهم، فأهدت وصفًا ووصائف وألبستهم لباسًا واحدًا لئلا يعرفوا، أو ألبست الجواري لباس الغلمان وبالعكس، قالوا: وكان عددهم خمسمائة غلام وأربع لبنات، كل لبنة مائة رطل من ذهب، أو خمسمائة لبنة وتاجًا مكللًا بالجواهر ومسكًا وعنبرًا، وحقة فيها درة ثمينة وخرزة جزعية معوجة الثقب، وكتبت كتابًا فيه نسخة الهدايا، وقالت فيه: «إن كنت نبيًّا فبيِّن الوصفاء والوصائف، وأخبر بما في الحقة قبل فتحها، واثقب الدرة ثقبًا مستويًا من غير علاج إنس ولا جن»، وأمرت الغلمان أن يكلموا سليمان بكلام فيه لين شبه كلام النساء، والجواري بكلام فيه غلظة شبه كلام الرجال، وأرسلت الهدية مع المنذر بن عمرو من قومها ذي لب ورأي، وقالت له: انظر إليه، فإن نظر إليك نظر غضب فاعلم أنَّه ملك فلا يهولنك منظره،

---

(١) سقط من ج، والمثبت من أ، ب.

وإن رأيته هشًّا لطيفًا فاعلم أنَّه نبي كريم، فتفهم قوله ورد الجواب كما سمعت.

فانطلق [الرسل][1] بالهدايا، وأقبل الهدهد نحو سليمان مسرعًا يخبره الخبر، فأمر سليمان أن يضربوا لبنات الذهب والفضة وأن يبسطوها من موضعه الذي هو فيه إلىٰ تسعة فراسخ، أو كانت ثمانية أميال في مثلها ميدانًا، وأن يجعلوا حول الميدان حائطًا مشرفًا من الذهب والفضة، ثم أمر الجن فجاؤوا بأحسن دواب البر والبحر فجعلها مع أولاد الجن عن يمين الميدان وشماله، وجلس هو في الميدان وحوله الجن والإنس والشياطين والطير والوحش، فجعل الرسل يمرون بكرادس الجن والإنس والشياطين.

﴿فَلَمَّا جَآءَ سُلَيۡمَٰنَ قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٖ فَمَآ ءَاتَىٰنِۦَ ٱللَّهُ خَيۡرٞ مِّمَّآ ءَاتَىٰكُم بَلۡ أَنتُم بِهَدِيَّتِكُمۡ تَفۡرَحُونَ ٣٦ ٱرۡجِعۡ إِلَيۡهِمۡ فَلَنَأۡتِيَنَّهُم بِجُنُودٖ لَّا قِبَلَ لَهُم بِهَا وَلَنُخۡرِجَنَّهُم مِّنۡهَآ أَذِلَّةٗ وَهُمۡ صَٰغِرُونَ ٣٧ قَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمَلَؤُاْ أَيُّكُمۡ يَأۡتِينِي بِعَرۡشِهَا قَبۡلَ أَن يَأۡتُونِي مُسۡلِمِينَ ٣٨ قَالَ عِفۡرِيتٞ مِّنَ ٱلۡجِنِّ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبۡلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَۖ وَإِنِّي عَلَيۡهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٞ ٣٩﴾

﴿فَلَمَّا جَآءَ﴾: الرسل ﴿سُلَيۡمَٰنَ﴾: نظر إليهم بوجه حسنٍ طلقٍ، وقال: ما وراءكم؟ فأخبر الخبر وأعطي كتابها، فنظر فيه، فقال: أين الحقة؟ فجيء بها، فقال: إن فيها درة ثمينة غير مثقوبة وجزعية معوجة الثقب، فأمر سليمان الأرضة فأخذت شعرة ودخلت في الدرة حتىٰ خرجت من الجانب الآخر، ودخلت دودة أخرىٰ بخيط في الخرزة المثقوبة حتىٰ خرجت من الجانب الآخر، فجمع بين طرفيه وختمه ودفعها إليهم وميز بين الجواري والغلمان بأن أمرهم بغسل وجوههم وأيديهم، فكانت الجارية تأخذ [ق/ ٢٠٦ جـ] الماء بإحدىٰ يديه وتجعله علىٰ اليد الأخرىٰ، و[الغلام][2] كما يأخذه من الآنية يضرب به وجهه، فلما اعتبر الهدية لديه ﴿قَالَ أَتُمِدُّونَنِ﴾: أتزيدونني ﴿بِمَالٖ﴾: وأكثر استعمال الإمداد في المحبوب،

(١) في أ، ب: الرسول، والمثبت من ج.

(٢) في ج: الغلمان، والمثبت من أ، ب.

والمدّ في المكروه، القراءة بنون مشددة وبنونين ظاهرتين وبياء [وقفًا، وبياء][1] وصلًا وبباء وصلًا ووقفًا، وبلا ياء في الحالين، ثم رد الهدية وقال: ﴿فَمَآ ءَاتَىٰنِۦَ ٱللَّهُ﴾: من النبوة [والملك][2] ﴿خَيْرٌ مِّمَّآ ءَاتَىٰكُم﴾: من الدنيا، ثم أضرب عن إنكاره عليهم مبينًا سبب حملهم على الإمداد، فقال: ﴿بَلْ أَنتُم بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ﴾: (حس) لفرحكم بزخارف الدنيا؛ لأنكم أهديتم قدرًا صالحًا .

جعفر: الدنيا أصغر قدرًا عند الله وعند أنبيائه وأوليائه أن يفرحوا بشيء منها أو يحزنوا عليه، والهدية اسم للشيء المعطىٰ [ق/ ٢٨٩ب] بملاطفة ورفق، تضاف تارة إلىٰ من أهداها وتارة إلىٰ المهدي إليه، المعنىٰ: أنَّه تعالىٰ أعطاني نبوة وملكًا لا مزيد عليه، فلا حاجة [بي][3] إلىٰ دنياكم، بل حاجتي إلىٰ إيمان قومكم ﴿فَلَنَأْتِيَنَّهُم بِجُنُودٍ لَّا قِبَلَ لَهُم بِهَا﴾:

وقرئ: (لا قبل لهم بهم)، أي: لا طاقة ﴿وَلَنُخْرِجَنَّهُم مِّنْهَآ﴾: من سبأ ﴿أَذِلَّةً وَهُمْ صَٰغِرُونَ﴾: (حس) إن لم [يأتوا][4] مسلمين، فلمَّا رجع رسلها إليها [قالت][5]: [قد][6] عرفت أنَّه ليس بملك، وما لنا به من طاقة، وأرسلت إليه: إني قادمة عليك، وجعلت سريرها داخل سبعة أبواب داخل قصرها، وقصرها داخل سبعة قصور، وأغلقت الأبواب وجعلت عليها حرسًا، وارتحلت إلىٰ سليمان في اثني عشر ألف، قيل: مع كل قيل ألوف [ق/ ١٧٣أ] كثيرة، وكان سليمان رجلًا مهيبًا لا يبدأ بشيء حتىٰ يسأل عنه، فجلس يومًا علىٰ سريره فرأىٰ رهجًا[7] وجمعًا جمًّا علىٰ فرسخ

(١) سقط من ج، والمثبت من أ، ب.
(٢) سقط من ج، والمثبت من أ، ب.
(٣) سقط من أ، ب، والمثبت من ج.
(٤) في أ، ب: يأتوني، والمثبت من ج.
(٥) في أ، ب: قال، والمثبت من ج.
(٦) سقط من ج، والمثبت من أ، ب.
(٧) في حاشية ب: الرهج: الغبار.

عنه، فقال: ما هذا؟ فقالوا: بلقيس بجنودها. فقال: ﴿أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَن يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ﴾: (حس) فيحرم عليَّ أخذه منها ﴿قَالَ عِفْرِيتٌ﴾:

وقرئ: (عفرية) ﴿مِّنَ ٱلْجِنِّ﴾: والعِفريت والعِفرات والعِفرية والعُفارية واحد، مأخوذ من العفر التراب، فكأنَّه يصرع قرنه عليه، وأصله «عِفر» زيدت فيه التاء مبالغة، وهو الفائق من الجن والإنس النافذ فيها مع خُبث واسمه كودا، أو صخر الجني كالجبل العظيم يضع قدمه عند منتهىٰ طرفه.

﴿أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ﴾: إن اخترت قبل وصولها إليك ﴿وَإِنِّي عَلَيْهِ﴾: علىٰ حمله ﴿لَقَوِيٌّ أَمِينٌ﴾: (حس) علىٰ ما فيه من الجواهر، أو لا أبدله بغيره، قال: أريد أسرع من ذلك.

﴿ قَالَ ٱلَّذِي عِندَهُۥ عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ ۚ فَلَمَّا رَءَاهُ مُسْتَقِرًّا عِندَهُۥ قَالَ هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِيٓ ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ ۖ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ ﴿٤٠﴾ قَالَ نَكِّرُوا۟ لَهَا عَرْشَهَا نَنظُرْ أَتَهْتَدِيٓ أَمْ تَكُونُ مِنَ ٱلَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٤١﴾ فَلَمَّا جَآءَتْ قِيلَ أَهَٰكَذَا عَرْشُكِ ۖ قَالَتْ كَأَنَّهُۥ هُوَ ۚ وَأُوتِينَا ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ ﴿٤٢﴾ ﴾

﴿قَالَ ٱلَّذِي عِندَهُۥ عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ﴾: أي من كتابها إليه، وهو آصف بن برخياء أو غيره، كان يعلم اسم الله الأعظم، وكان بينه وبين عرشها مقدار شهرين ﴿أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ ۚ﴾: (كا) حسيرًا بعد نظرك إلىٰ شيء ما، أو بمقدار فتح عينك وطرفها، ويجوز أن يكون (آتيك) في الموضعين فعلًا أو اسم فاعل، روي أنَّ آصف قال لسليمان: أرسل طرفك. فنظر نحو اليمن، فدعا آصف، فغار الكرسي تحت الأرض ونبع لدىٰ كرسي سليمان قبل أن يرجع إليه طرفه ﴿فَلَمَّا رَءَاهُ مُسْتَقِرًّا عِندَهُۥ﴾: ثابتًا لديه وحمل إليه من مأرب إلىٰ الشام في أيسر زمان ﴿قَالَ هَٰذَا﴾: أي حصول مرادي ﴿مِن فَضْلِ رَبِّي﴾: عليَّ وإحسانه إليَّ ﴿لِيَبْلُوَنِيٓ﴾: العامل النصب في ﴿ءَأَشْكُرُ﴾: علىٰ مجيء السرير إلي ﴿أَمْ أَكْفُرُ ۖ﴾: يكون غيري أعلم مني، تقديره: لنختبر شكري وكفري ﴿وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ

لِنَفْسِهِۦ﴾: لأنَّ نفع شكره عائد عليه ﴿وَمَن كَفَرَ﴾: بترك الشكر علىٰ النعمة ﴿فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ﴾: عنهم وعن شكرهم ﴿كَرِيمٌ﴾: (تا) ذو تفضل علىٰ الشاكر والكافر، قالوا: ولمَّا جاءت بلقيس خاف الجن أن تفشي سرهم إلىٰ سليمان؛ لأنَّ أمها كانت جنية، وأن يتزوجها سليمان فتلد له ولدًا، فلا ينفكون من التسخير، فقالوا: إنَّ في عقلها شيئًا، وأنها شعراء الساقين، وإن حافرها كحافر حمار.

﴿قَالَ نَكِّرُواْ﴾: غيروا ﴿لَهَا عَرْشَهَا﴾: بأن تجعلوا أعلاه أسفله، ومكان الجوهر الأحمر أخضر وبالعكس ﴿نَنظُرْ أَتَهْتَدِيٓ﴾: إلىٰ معرفته ﴿أَمْ تَكُونُ مِنَ ٱلَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ﴾: (حس) فغيروا عرشها لاختبار عقلها، وبنىٰ صرحًا لاختبار ساقيها، وليريها ملكًا أعظم من ملكها، فأمر الشياطين ببناء زجاج كأنَّه الماء بياضًا، وجعل صحن الدار قوارير، وجعل تحته أمثال الحيات والضفادع، فإذا رُئي ظُنَّ ماء حقيقة، ووضع سريره في صدر الصحن وجلس عليه، وعكفت عليه الطير والإنس والجن.

﴿فَلَمَّا جَآءَتْ﴾: بلقيس [قال][1] سليمان: ﴿أَهَٰكَذَا عَرْشُكِۖ قَالَتْ كَأَنَّهُۥ هُوَۚ﴾: (تا) مع أنها قد عرفته، ولم تقل نعم لئلا تكذب، أو شبهت عليهم كما شبهوا عليها، فبعد ما أجابت بجوابها عطف سليمان كلامه علىٰ جوابها.

فقال: ﴿وَأُوتِينَا ٱلْعِلْمَ﴾: بالله تعالىٰ وبقدومها ﴿مِن قَبْلِهَا﴾: من قبل وصولها، أو لمَّا رأت عرشها لدىٰ سليمان وعرفته علمت أن مجيئه آية دالة علىٰ نبوة سليمان، قالت: وأوتينا العلم بنبوته من قبل هذه الآية، فعطفت بعض كلامها علىٰ بعض ﴿وَكُنَّا مُسْلِمِينَ﴾: (حس) طائعين له لما أخبرنا بما اقترحنا عليه من الدلالة علىٰ نبوته.

تلخيصه: آمنا به قبل مشاهدة السرير لديه، ثم استؤنف.

﴿ وَصَدَّهَا مَا كَانَت تَّعْبُدُ مِن دُونِ ٱللَّهِۖ إِنَّهَا كَانَتْ مِن قَوْمٍ كَٰفِرِينَ ﴿٤٣﴾ قِيلَ لَهَا ٱدْخُلِى ٱلصَّرْحَۖ فَلَمَّا رَأَتْهُ

---

(١) في جـ: قيل، والمثبت من أ،ب

حَسِبَتۡهُ لُجَّةٗ وَكَشَفَتۡ عَن سَاقَيۡهَاۚ قَالَ إِنَّهُۥ صَرۡحٞ مُّمَرَّدٞ مِّن قَوَارِيرَۗ قَالَتۡ رَبِّ إِنِّي ظَلَمۡتُ نَفۡسِي وَأَسۡلَمۡتُ مَعَ سُلَيۡمَٰنَ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٤٤﴾﴾

﴿وَصَدَّهَا﴾: أي الله تعالىٰ عن عبادة ﴿مَا كَانَت تَّعۡبُدُ﴾: لأنها كانت تعبد الشمس، أو الفاعل ﴿مَا كَانَت تَّعۡبُدُ﴾، أي: صدها معبودها ﴿مِن دُونِ ٱللَّهِۖ﴾: (حس) إن استأنفت ﴿إِنَّهَا كَانَتۡ مِن قَوۡمٖ كَٰفِرِينَ﴾: (تا) يعبدون الشمس، وقرئ بفتح (أنها) تعليل، أو بدل من فاعل (صدها)، فلا وقف علىٰ (من دون الله)

﴿ٱدۡخُلِي ٱلصَّرۡحَۖ﴾: أي فيه ﴿فَلَمَّا رَأَتۡهُ حَسِبَتۡهُ لُجَّةٗ﴾: ماءً عظيمًا ﴿وَكَشَفَتۡ عَن سَاقَيۡهَاۚ﴾: وقرئ: (رجليها)، القراءة بهمز (سأقيها)، والسؤق وسؤقه لجواز أنَّ من العرب من يهمز مفرد «ساق» وجمعه، يدل علىٰ ذلك صحة هذه القراءة، بل تواترها عن النبي ﷺ، وزعم بعضهم أن همز هذه الكلمات الثلاث بعيد في العربية؛ إذ لا أصل لهن في الهمز، وهذا تحكم كما تراه؛ لأنَّه لم يذكر علىٰ ذلك دليلًا، بل جعل ما وصل إليه من كلام العرب دليلًا يعتبر به صحة ما صح بل تواتر عن النبي ﷺ من فساده وبترك همزها، وزعموا أنَّه الأصل، المعنىٰ: أنها رفعت ثيابها حتىٰ بدت رجلاها، فرآها سليمان أحسن الناس ساقًا وقدمًا، لكن رأىٰ عليهما شعرًا، فصرف وجهه عنها، ثم ﴿قَالَ إِنَّهُۥ صَرۡحٞ مُّمَرَّدٞ﴾: بنيان مملس ﴿مِّن قَوَارِيرَۗ﴾: (كا) من زجاج وليس بماء حقيقة، ودعاها إلىٰ الإسلام، فقالت مجيبة ﴿رَبِّ إِنِّي ظَلَمۡتُ نَفۡسِي﴾: بعبادة غيرك ﴿وَأَسۡلَمۡتُ﴾: أي وقد أسلمت ﴿مَعَ سُلَيۡمَٰنَ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾: (تا) وأراد تزويجها فكره شعر ساقيها، فعملت لها الشياطين النورة فأزالته، فتزوجها سليمان وأحبها [ق/ ٢٩٠ب] حبًّا شديدا وأقرها علىٰ ملكها، وكان يزورها [في][1] كل شهر مرة، وأمر الشياطين فبنوا لها ثلاثة قصور، أو اثنين سيلحين وعمدان لم ير مثلهما حُسنًا وارتفاعًا، أو أنَّه لم يتزوجها وزوجها ذا تبع ملك همذان، ودعا زوبعة ملك جن اليمن وأمره أن يكون في خدمة ذي تبع

(١) سقط من ج، والمثبت من أ، ب.

فلمَّا مات سليمان وعلمت الجن نادىٰ زوبعة: يا معشر الجن، قد مات سليمان فارفعوا رؤوسكم، فرفعوها وتفرقوا وانقضىٰ ملك ذي تبع وملك بلقيس مع انقضاء ملك سليمان، فسبحان من لا انقضاء لدوام لاهوتيته وملكه، روي أنَّ سليمان ملك وهو ابن ثلاث عشرة سنة، ومات وهو ابن ثلاث وخمسين سنة.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ ﴿٤٥﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِٱلسَّيِّئَةِ قَبْلَ ٱلْحَسَنَةِ ۖ لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٤٦﴾ قَالُوا۟ ٱطَّيَّرْنَا بِكَ وَبِمَن مَّعَكَ ۚ قَالَ طَٰٓئِرُكُمْ عِندَ ٱللَّهِ ۖ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ ﴿٤٧﴾ وَكَانَ فِى ٱلْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ﴿٤٨﴾ قَالُوا۟ تَقَاسَمُوا۟ بِٱللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُۥ وَأَهْلَهُۥ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِۦ مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِۦ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴿٤٩﴾﴾

﴿فَإِذَا﴾: للمفاجاة ﴿هُمْ﴾: مبتدأ خبره ﴿فَرِيقَانِ﴾: أي: خصمان، فريق مؤمن وفريق كافر، والمراد: صالح وأتباعه ﴿يَخْتَصِمُونَ﴾: [(تا)][(١)] صفة (فريقان)؛ لأن الخصم جمع في المعنىٰ، وهي ناصبة (فإذا)، واختصامهم قول كل واحد [منهما:][(٢)] الحق معي.

﴿لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِٱلسَّيِّئَةِ﴾: أي العقوبة التي توعدون بها ﴿قَبْلَ ٱلْحَسَنَةِ﴾: (كا) قبل التوبة؛ لأنهم كانوا يعتقدون لجهلهم أنَّ العذاب إذا نزل بهم تنفعهم توبتهم، فيصرون علىٰ كفرهم، فأومأ صالح إلىٰ بطلان اعتقادهم بقوله: ﴿لَوْلَا﴾: هلا ﴿تَسْتَغْفِرُونَ ٱللَّهَ﴾: من كفركم قبل نزول العذاب بكم ﴿لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾: (كا) فإنَّ العذاب إذا نزل بكم لا يرفع ﴿قَالُوا۟ ٱطَّيَّرْنَا﴾: أصله تطيرنا، وقرئ بها، أي: تشاءمنا ﴿بِكَ وَبِمَن مَّعَكَ﴾: من المؤمنين، المعنىٰ: أصابنا بسببكم شؤم، وهو القحط وتفريق كلمتنا، وأصل التطير أن الرجل كان إذا سافر مرَّ بطائر فزجره، فإن مرَّ سانحًا وهو الذي ولاه ميامنه فيتمكن من رميه، فيتيمن به، وإن مرّ بارحًا وهو

---

(١) في أ، ب: (كا)، والمثبت من ج.

(٢) سقط من ج، والمثبت من أ، ب.

الذي ولاه مياسره فلا يتمكن من رميه فيتشاءم به، ثم استُعمل في كل ما يتشاءم به.

﴿قَالَ طَٰٓئِرُكُمۡ﴾: أي ما يصيبكم من خير وشر ﴿عِندَ ٱللَّهِۖ﴾: أي لا يأتي به إلا هو تعالىٰ، وسمي طائرًا لسرعة نزوله، ولا شيء أسرع من قضاء محتوم ﴿بَلۡ أَنتُمۡ قَوۡمٞ تُفۡتَنُونَ﴾: (حس) تعذبون ﴿وَكَانَ فِي ٱلۡمَدِينَةِ تِسۡعَةُ رَهۡطٖ﴾: هو ما دون العَشرة ليس فيهم امرأة، ابن دريد: الرهط من الثلاثة إلىٰ العشرة، وربما زاد قليلًا، وهو جمع لا واحد له من لفظه، فلذلك أضيف إليه التسعة، كأنَّه قال: تسعة رجال، وقوله: ﴿يُفۡسِدُونَ﴾: صفة (تسعة) أو (رهط)، أي: مفسدين ﴿فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾: بأنواع المعاصي ﴿وَلَا يُصۡلِحُونَ﴾: (كا).

القراءة: ﴿لَنُبَيِّتَنَّهُۥ وَأَهۡلَهُۥ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ﴾: بتاء فيهما خطابًا وضم التاء الثانية من الأول وضم اللام الثانية من الثاني، أي: يأمر بعضهم بعضًا بالتحالف علىٰ إهلاك صالح وأهله ليلًا من البيات، وبنون في الفعلين إخبار عن أنفسهم ﴿لِوَلِيِّهِۦ﴾: لولي الدم ﴿مَا شَهِدۡنَا﴾: ما حضرنا ولا علمنا ﴿مَهۡلِكَ أَهۡلِهِۦ﴾: أهل الدم، تلخيصه: إنهم قالوا: نتحالف علىٰ إهلاك صالح ومؤمنيه، فإن سئلنا عنهم قلنا: لا نعلم حالهم.

﴿ وَمَكَرُواْ مَكۡرٗا وَمَكَرۡنَا مَكۡرٗا وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ ٥٠ فَٱنظُرۡ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ مَكۡرِهِمۡ أَنَّا دَمَّرۡنَٰهُمۡ وَقَوۡمَهُمۡ أَجۡمَعِينَ ٥١ فَتِلۡكَ بُيُوتُهُمۡ خَاوِيَةَۢ بِمَا ظَلَمُوٓاْۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لِّقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ ٥٢ وَأَنجَيۡنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ٥٣ وَلُوطًا إِذۡ قَالَ لِقَوۡمِهِۦٓ أَتَأۡتُونَ ٱلۡفَٰحِشَةَ وَأَنتُمۡ تُبۡصِرُونَ ٥٤ أَئِنَّكُمۡ لَتَأۡتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهۡوَةٗ مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِۚ بَلۡ أَنتُمۡ قَوۡمٞ تَجۡهَلُونَ ٥٥ ﴾

﴿وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ﴾: (كا) .

في قولنا ﴿وَمَكَرۡنَا مَكۡرٗا﴾: أي: جازيناهم جزاء مكرهم ﴿وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ﴾: (كا) بمرادنا منهم.

﴿عَٰقِبَةُ مَكۡرِهِمۡ﴾: (حس) علىٰ القراءة بكسر ﴿أَنَّا دَمَّرۡنَٰهُمۡ﴾ استئنافًا، فتجعل

(كان) ناقصة خبرها (كيف) اسمها (عاقبة)، أو تامة فـ(كيف) حال، أي: فانظر يا محمد علىٰ أي حال وقع عاقبة أمرهم، ولا يجوز علىٰ القراءة بفتح (أنا) لجعلك (كان) ناقصة خبرها (كيف) اسمها (عاقبة) (أنا) بدلًا من (عاقبة)، أو من (كيف)، ومنعه بعضهم، [قالوا][(١)]؛ لأنَّ البدل من الاستفهام يلزم إعادة حرفه، نحو: كيف زيدًا، صحيح أم مريض؟ أو تجعل خبرها (أنّا دمرناهم)، المعنىٰ: إن أولئك التسعة أرادوا الفتك بصالح وأهله فأهلكناهم.

﴿وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ﴾: (كا) بإسقاط الجبل عليهم [ق/ ٢٠٧جـ] أو بالصيحة ﴿فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً﴾: حال، وقرئ برفعها خبر بعد خبر، وهي في الإعراب كـ﴿وَهَٰذَا بَعْلِي شَيْخًا﴾ [هود:٧٢]، تلخيصه: هلكوا وخربت منازلهم ﴿بِمَا ظَلَمُوٓا۟﴾: (تا).

﴿يَعْلَمُونَ﴾: (تا).

والمراد بـ﴿ٱلَّذِينَ آمنوا وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ﴾ [أربعة آلاف الذين نجوا مع صالح من العذاب.

﴿وَلُوطًا﴾ أي: وأرسلنا لوطًا ﴿وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ﴾][(٢)] (تا) تعلمون أنها فاحشة، أو إنكم تأتون الذكور وبعضكم ينظر إلىٰ بعض خلاعة وإنهما في المعصية، أو إنكم تبصرون آثار العصاة قبلكم وأنتم لا تنتهون

﴿بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾ (كا) عاقبة فعلكم، أو تسفهون مع فعلكم الخبيث.

﴿۞ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓا۟ أَخْرِجُوٓا۟ ءَالَ لُوطٍ مِّن قَرْيَتِكُمْ ۖ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ ﴿٥٦﴾ فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ قَدَّرْنَٰهَا مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿٥٧﴾ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا ۖ فَسَآءَ مَطَرُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴿٥٨﴾ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَىٰٓ ۗ ءَآللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾﴾

(١) في أ، ب: قال، والمثبت من ج.
(٢) سقط من ج، والمثبت من أ، ب.

﴿يَتَطَهَّرُونَ﴾: (كا).

﴿مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ﴾: (حس) الباقين في الهلاك.

﴿مَّطَرًا﴾: (كا).

﴿ٱلْمُنذَرِينَ﴾: (تا).

ثم أمر تعالىٰ محمدا ﷺ بحمده، ثم بالسلام علىٰ خير خلقه توطئة لما يتلوه بعد من الدلالة علىٰ الوحدانية والقدرة العظيمة، وهذا تعليم لكل متكلم في أمر ذي بال أن يفعل كذا، أو لوطًا أن يحمده علىٰ هلاك قومه، ثم بالسلام علىٰ الصالحين، فقال: ﴿قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَىٰٓ﴾: (تا) هم الرسل، أو محمد وحده عليهم الصلاة والسلام أجمعين، أو هم المؤمنون بمحمد ﷺ الموحدون الصالحون من السابقين إليه واللاحقين به.

القراءة: ﴿خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ﴾: (كا) به من الآلهة بالياء إخبارًا عن الكفار، وبالتاء خطابًا لهم، المعنىٰ: الله أنفع لعابديه أم الأصنام لعابديها؟ وهذا إلزام [لهم][1] وتبكيت لا أنَّ في أصنامهم خيرًا، ومن (وسلام) إلىٰ (اصطفىٰ) جملة محكية، وكذلك من (الله) إلىٰ (يشركون)، وكفىٰ الوقف هنا؛ لأنَّ (أم) في (أما يشركون) متصلة، أي: أيهما خير.

﴿أَمَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنۢبِتُوا۟ شَجَرَهَآ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ ﴿٦٠﴾ أَمَّن جَعَلَ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَٰلَهَآ أَنْهَٰرًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَٰسِىَ وَجَعَلَ بَيْنَ ٱلْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾ أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾﴾

وفي ﴿أَمَّنْ﴾: منفصلة بمعنىٰ «بل» والهمزة، وتقديره: الله خير بل ﴿أمن خَلَقَ

(١) سقط من ج، والمثبت من أ، ب.

﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ﴾: خير، وقرئ بتخفيف (أمن)، فهو بدل من (آلله)، تقديره: أمن خلق السموات والأرض خير أم ما تشركون ﴿فَأَنۢبَتۡنَا بِهِۦ حَدَآئِقَ﴾: جمع حديقة، وهو البستان وعليه حائط، أي: جماعة حدائق، ولذلك وصفت بقوله: ﴿ذَاتَ بَهۡجَةٖ﴾: (كا) ذات حسن ورواء، تبهج من رآها، يكفي الوقف هنا إن لم تنعت حدائق بـ ﴿ما كَانَ لَكُمۡ أَن تُنۢبِتُواْ شَجَرَهَآۗ﴾: (حس).

﴿أَءِلَٰهٞ مَّعَ ٱللَّهِۚ﴾: وقرئ: (إلهًا)، أي: أيدعون إلهًا [ق/ ١٧٤ أ]، بل ﴿هُمۡ قَوۡمٞ يَعۡدِلُونَ﴾: (حس) يشركون ﴿جَعَلَ ٱلۡأَرۡضَ قَرَارٗا﴾: يستقر عليها.

﴿وَجَعَلَ خِلَٰلَهَآ﴾: ظرف، أي: وسطها، وهو المفعول الثاني، الأول ﴿أَنۡهَٰرٗا﴾: وكذلك تنصب ﴿وَجَعَلَ بَيۡنَ ٱلۡبَحۡرَيۡنِ حَاجِزًاۗ﴾: مانعًا، [ق/ ٢٩١ب] لا يختلط أحدهما بالآخر ﴿أَءِلَٰهٞ مَّعَ ٱللَّهِۚ﴾: (كا).

﴿لَا يَعۡلَمُونَ﴾: (كا) توحيد الله تعالىٰ فلا يؤمنون.

﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلۡمُضۡطَرَّ﴾: المجهود الذي قد مسه الضر، أو هو المنقطع عن الحول والقوة والأسباب المذمومة، أو المظلوم قال ﷺ: «**يرفع دعاء المظلوم فوق الحجاب، ويقول الرب تبارك وتعالىٰ: وعزّتي لأنصرنك ولو بعد حين**»[1].

﴿وَيَجۡعَلُكُمۡ خُلَفَآءَ﴾: أي: سكان ﴿ ٱلۡأَرۡضِ ﴾: (كا) بعد هلاك المتقدمين.

﴿أَءِلَٰهٞ مَّعَ ٱللَّهِۚ﴾: (كا).

القراءة: ﴿قَلِيلٗا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾: (كا) بالتاء والياء، و(ما) زائدة، والمراد نفي التذكير؛ لأنَّ القلة يستعمل بمعنىٰ النفي

﴿ أَمَّن يَهۡدِيكُمۡ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ وَمَن يُرۡسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشۡرَۢا بَيۡنَ يَدَيۡ رَحۡمَتِهِۦٓۗ أَءِلَٰهٞ مَّعَ

---

(١) أخرجه الترمذي (٣٥٩٨)، وابن ماجة (١٧٥٢)، وأحمد (٨٠٣٠)، وابن حبان (٨٧٤)، والطيالسي (٢٥٨٤)، والبيهقي في «السنن الكبرىٰ» (٦١٨٦) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

ٱللَّهِۚ تَعَـٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴿٦٣﴾ أَمَّن يَبۡدَؤُاْ ٱلۡخَلۡقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَمَن يَرۡزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِۗ أَءِلَـٰهٞ مَّعَ ٱللَّهِۚ قُلۡ هَاتُواْ بُرۡهَـٰنَكُمۡ إِن كُنتُمۡ صَـٰدِقِينَ ﴿٦٤﴾ قُل لَّا يَعۡلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ٱلۡغَيۡبَ إِلَّا ٱللَّهُۚ وَمَا يَشۡعُرُونَ أَيَّانَ يُبۡعَثُونَ ﴿٦٥﴾﴾

﴿أَمَّن يَهۡدِيكُمۡ﴾ بالنجوم ﴿فِي ظُلُمَـٰتِ ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ﴾ ليلًا، وبعلامات الأرض نهارًا.

﴿بَيۡنَ يَدَيۡ رَحۡمَتِهِۦٓۗ﴾: (كا).

﴿أَءِلَـٰهٞ مَّعَ ٱللَّهِۚ﴾: (كا).

﴿يُشۡرِكُونَ﴾: (كا).

﴿أَمَّن يَبۡدَؤُاْ ٱلۡخَلۡقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ﴾ (كا) وسئلوا عن بدء خلقهم وإعادتهم مع إنكارهم البعث لتقدم البراهين الدالة علىٰ ذلك من إنزال الماء وإنبات النبات وجفافه ثم بعوده مرة ثانية، والعقل يحكم بإمكان الإعادة بعد الإبداء، وهم يعلمون أنهم وجدوا بعد أن لم يكونوا، فإيجادهم بعد أن كانوا أيسر .

﴿وَمَن يَرۡزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾: المطر ﴿وَٱلۡأَرۡضِۗ﴾: (كا) النبات ﴿أَءِلَـٰهٞ مَّعَ ٱللَّهِۚ﴾: (كا).

﴿قُلۡ هَاتُواْ بُرۡهَـٰنَكُمۡ﴾: حجتكم علىٰ دعواكم ﴿إِن كُنتُمۡ صَـٰدِقِينَ﴾: (حس) أنَّ معه آلهة وشركاء، والاستفهام في جميع هذه الآيات توبيخ لا استرشاد ﴿إِلَّا ٱللَّهُۚ﴾: (كا) رفع بدل من (من)؛ لأنَّه فاعل (يعلم)، تقديره: لا يعلم إلا الله الغيب في السموات، ولا يجوز جعل (إلا) هنا استثناء متصلًا؛ لأنك تحتاج [إلىٰ][1] أن تجعله فيهن مجازًا؛ لأنَّ جعله فيهن حقيقة مُحال فتكون قد جُعلت الكلمة الواحدة عبارة عن الحقيقة والمجاز في وقت واحد، عائشة[2]: من زعم أن محمدًا

(١) سقط من أ، ب والمثبت من ج.

(٢) أخرجه الطبري في «تفسيره» (٢٠/ ١٦١).

يعلم ما في غد فقد أعظم علىٰ الله الفرية.

﴿وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ﴾: متىٰ، وقرئ بكسر (إيان).

﴿يُبْعَثُونَ﴾: (كا) وعند أبي حاتم تام، تلخيصه: لا يعلمون متىٰ يبعثون، فكيف يعلمون الغيب؟ أو نزلت لمَّا سئل ﷺ عن الساعة.

﴿ بَلِ ٱدَّٰرَكَ عِلْمُهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ ۚ بَلْ هُمْ فِى شَكٍّ مِّنْهَا ۖ بَلْ هُم مِّنْهَا عَمُونَ ﴿٦٦﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا وَءَابَآؤُنَآ أَئِنَّا لَمُخْرَجُونَ ﴿٦٧﴾ لَقَدْ وُعِدْنَا هَٰذَا نَحْنُ وَءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٦٨﴾ قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٦٩﴾ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُن فِى ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ﴿٧٠﴾ ﴾

القراءة: (بَلِ ادْرَكْ): وزن أحمر ﴿عِلْمُهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ﴾: قبل بمعنىٰ: هل، وأدرك بمعنىٰ لحق وتكامل، من أدركت الفاكهة تكاملت نضجًا، و(في) بمعنىٰ الباء، المعنىٰ: هل تكامل علمهم بحدوث الآخرة متىٰ تكون؟ وهذا استفهام إنكار وتوبيخ، و(ادّراك) وأصله «تدارك» أدغمت التاء في الدال [وأدخلت همزة الوصل لسلامة سكون][1] المعنىٰ: تلاحق علم جميعهم بحدوث الآخرة، فليس منهم من اختص بشيء من علمها، فهم جهلة بها.

﴿بَلْ هُمْ فِى شَكٍّ مِّنْهَا ۖ بَلْ هُم مِّنْهَا عَمُونَ﴾: (تا) جمع عمٍ من عمىٰ القلب، أو أدرك وإدراك اجتمع وتكامل، فـ«بل» و«في» علىٰ بابهما، المعنىٰ: إذا صاروا في الآخرة علموها حقيقة وهم هنا شاكّون فيها عمون ثمَّ من عمىٰ العين مما يشاهدون، نحو: ﴿وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا﴾، وجاء بـ(من) دون «عن»؛ لأنَّ ابتداء عماهم الآخرة، لا أحب الوقف من (يبعثون) إلىٰ هنا اختيارًا، تلخيصه: ثم يتحققون ما ينكرون.

وقرئ: (بل أدرك) استفهام إنكار [لإدراك علمهم، وأم أدرك وأم تدارك، وهي

---

(١) سقط من أ، ب والمثبت من ج.

«أم» بمعنىٰ «بل»، والهمزة، وبلىٰ أدرك وبلىٰ أدرك استفهام إنكار][1] أيضًا، و«بل أدَّرك» بفتح اللام وتشديد اللام، والإضرابات تنزيل لأحوالهم وتكرير لجهلهم من شكهم وعماهم، وجاز عطف ﴿وَءَابَآؤُنَآ﴾ علىٰ ضمير (كنا) بلا تأكيد لفصل (ترابًا) بينهما، والعامل في (إذا) ما دل عليه ﴿أَئِنَّا لَمُخْرَجُونَ﴾: من قبورنا وهو نخرج، والضمير في (أئنا) لهم ولآبائهم؛ لأنَّ كونهم ترابًا تناولهم وآباؤهم، وفي إتيانهم بـ«أن» ولام الابتداء وإدخالهم الاستفهام علىٰ «إذا» و«إنَّا» إيذان بمبالغتهم في كفرهم واستهزائهم به ﷺ؛ لأنَّ هذه الآيات نزلت في المستهزئين.

وفي تقديم ﴿هَٰذَا﴾: أي: البعث الذي تعدنا علىٰ ﴿نَحْنُ وَءَابَآؤُنَا﴾: إيذان باتخاذ البعث، وتقديم (نحن وآباؤنا) علىٰ هذا في المؤمنين إيذان باتخاذ المبعوث.

﴿ٱلْأَوَّلِينَ﴾: (تا).

﴿ٱلْمُجْرِمِينَ﴾: (حس)

﴿مِّمَّا يَمْكُرُونَ﴾: (كا) المعنىٰ: لا تهتم بتدبيرهم [الحيل][2] في إهلاكك؛ فأنا كافيك وناصرك عليهم.

﴿ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٧١﴾ قُلْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ رَدِفَ لَكُم بَعْضُ ٱلَّذِى تَسْتَعْجِلُونَ ﴿٧٢﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧٤﴾ وَمَا مِنْ غَآئِبَةٍ فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٧٥﴾ ﴾

﴿صَٰدِقِينَ﴾: (حس) واللام في ﴿ رَدِفَ لَكُم ﴾ زائدة، أي: ردفكم، وقرئ بفتح الدال كشفع لغتان، أو حمل علىٰ ما عدي باللام كـ«دنا لكم»، كما عُدي بمن في قوله[3]:

فلما رَدِفنا من عُميرٍ وصَحبِه ... تولَّوا سراعًا والمنيةُ تُعنِقُ

(١) سقط من ج، والمثبت من أ، ب.
(٢) سقط من ج، والمثبت من أ، ب.
(٣) ذكره في «الكشاف» (٣/ ٣٨١).

المعنىٰ: قرب منكم ولحقكم ﴿بَعْضُ ٱلَّذِى تَسْتَعْجِلُونَ﴾: (حس) به من العذاب، وهو ما أصابهم ببدر ﴿لَا يَشْكُرُونَ﴾: (حس).

القراءة: ﴿لَيَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ﴾: من الكفر من أكنّ، وقرئ: (تكَنُّ) من كَنَّ، ومعناهما الستر ﴿وَمَا يُعْلِنُونَ﴾: (تا) من الكفر، تلخيصه: لا يفوته شيء منهم ﴿وَمَا مِنْ غَآئِبَةٍ﴾: الغائبة اسم لكل مستتر، أو هي صفة والهاء للمبالغة كراوية، [المعنىٰ][1] ليس بشيء في الوجود إلا ويعلمه تعالىٰ وأثبته ﴿فِى كِتَـٰبٍ مُّبِينٍ﴾: (تا) في اللوح [المحفوظ، اختلف][2] أهل الكتاب في دينهم وفي عيسىٰ فنزل:

﴿ إِنَّ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَقُصُّ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَكْثَرَ ٱلَّذِى هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٧٦﴾ وَإِنَّهُۥ لَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٧٧﴾ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِى بَيْنَهُم بِحُكْمِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٧٨﴾ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۖ إِنَّكَ عَلَى ٱلْحَقِّ ٱلْمُبِينِ ﴿٧٩﴾ إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ وَلَا تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا وَلَّوْا۟ مُدْبِرِينَ ﴿٨٠﴾ وَمَآ أَنتَ بِهَـٰدِى ٱلْعُمْىِ عَن ضَلَـٰلَتِهِمْ ۖ إِن تُسْمِعُ إِلَّا مَن يُؤْمِنُ بِـَٔايَـٰتِنَا فَهُم مُّسْلِمُونَ ﴿٨١﴾ ﴾

﴿إِنَّ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانَ﴾: المنزل علىٰ محمد ﷺ ﴿يَقُصُّ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾: الذين هم في زمان محمد ﷺ.

﴿أَكْثَرَ ٱلَّذِى هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾: (حس) لأنَّه مذكور فيه ﴿وَإِنَّهُۥ﴾: أي القرآن ﴿لَهُدًى﴾: لمن اتبعه ﴿وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾: (تا).

﴿يَقْضِى بَيْنَهُم﴾: بين بني إسرائيل، أو بين المؤمنين بالقرآن والكافر به ﴿بِحُكْمِهِۦ﴾: بعدله سمي المحكوم به حكمًا، أو بحكمه بحكمته يدل عليه ما قرئ: (بحِكَمه) جمع حكمة ﴿وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ﴾: فلا يرد حكمه ﴿ٱلْعَلِيمُ﴾: (حس) بما يحكم. ﴿فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ﴾: ولا تبال بهم فإنَّه ناصرك عليهم ﴿إِنَّكَ عَلَى ٱلْحَقِّ ٱلْمُبِينِ﴾: (تا) الدين الواضح وهو الإسلام.

---

(١) في ج: أو، والمثبت من أ، ب.

(٢) سقط من ج، والمثبت من أ، ب.

ولمَّا كانوا لا يعون ما يسمعون ولا به ينتفعون سماهم موتىٰ صمًا وعميًا، فقال: ﴿إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ﴾: **القراءة**: هنا والروم ﴿وَلَا يَسْمَعُ ٱلصُّمُّ ٱلدُّعَآءَ﴾: أي الإيمان، أي لا يؤمنون بياء مفتوحة ورفع (الصم) فاعلًا ونصب (الدعاء) مفعولًا، وبضم التاء وكسر الميم ونصب (الصم) و(الدعاء) مفعولين الفاعل مضمر، المعنىٰ: لا تقدر يا محمد علىٰ هدايتهم.

والقراءة: أيضًا ﴿وَمَآ أَنتَ بِهَٰدِى﴾: بباء مكسورة وفتح الهاء وألف بعدها وجر ﴿ٱلْعُمْىِ﴾: والوقف هنا بياء وفي الروم بغير ياء اتباعا للإمام، وبتاء مفتوحة وسكون الهاء ونصب (العمي) مفعولًا والوقف هنا والروم بالياء.

وقرئ: (بهادٍ) منونًا ونصب (العمىٰ)، تلخيصه: لا سبيل إلىٰ هداية هؤلاء [ق/ ٢٩٢ب] ﴿عَن ضَلَٰلَتِهِمْ﴾: [(صا)][1] قالوا: وأراه، كافيًا ﴿إِن﴾ ما ﴿تُسْمِعُ إِلَّا مَن يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا﴾: القرآن ﴿فَهُم مُّسْلِمُونَ﴾: (حس) مخلصون، يسمىٰ المتصور في النفس قبل ظهوره قولًا، كـ(يقولون في أنفسهم)، وما يؤدىٰ [بالقول][2] قولًا، ومنه:

﴿ ۞ وَإِذَا وَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَآبَّةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ ٱلنَّاسَ كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا لَا يُوقِنُونَ ﴿٨٢﴾ وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا مِّمَّن يُكَذِّبُ بِـَٔايَٰتِنَا فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿٨٣﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُو قَالَ أَكَذَّبْتُم بِـَٔايَٰتِى وَلَمْ تُحِيطُوا۟ بِهَا عِلْمًا أَمَّاذَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨٤﴾ وَوَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِم بِمَا ظَلَمُوا۟ فَهُمْ لَا يَنطِقُونَ ﴿٨٥﴾ ﴾

﴿وَإِذَا وَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِمْ﴾: أي إذا حصل ما وُعِدَ به الناس من قيام الساعة والعذاب ﴿أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَآبَّةً﴾: أشار بعضهم إلىٰ أنها رجل، وأكثرهم: هي دابة، ابن عباس[3]: هي ذات زغب وريش، ولها أربع قوائم، وروي أنَّ لها رأس ثور،

(١) في ج: صالح، والمثبت من أ، ب.

(٢) سقط من ج، والمثبت من أ، ب.

(٣) أخرجه عبد الرزاق في «تفسيره» (٢/ ٤٨٢)، والطبري في «تفسيره» (١٩/ ٤٩٩).

وعين خنزير، وأذن [فيل][١]، ولون نمر، وصدر أسد، وخاصرة هر، وقرن أيل، وقوائم بعير، بين كل مفصلين اثنا عشر ذراعًا، في الحديث: «**إن طولها ستون ذراعًا**»[٢]. عن أبي هريرة: «**إن فيها من كل لون، وما بين قرنيها فرسخ للراكب**»[٣].

الحسن[٤]: لا يتم خروجها إلا بعد ثلاثة أيام.

علي[٥]: تخرج الدابة ثلاثة أيام والناس ينظرون فلا يخرج إلا ثلثها، أو أنها تبلغ عنان السماء، ولا شك أنها آية عظيمة، وما قيل عن عِظَمِهَا فممكن عقلًا، وعنه ﷺ: «**إنها تخرجُ من الصفا، أولُ ما يبدو رأسُها ذاتُ وَبَرٍ وريش، لا يدركُها طالب ولا يفوتها هارب**»[٦]. أو تخرج من بحر سدوم، أو من تهامة، وعنه ﷺ: «**إن لها ثلاث خرجات: خرجة بأقصىٰ اليمن، ثم تكمن زمانًا، ثم تخرج قريبًا من مكة، ثم تكمن دهرًا طويلًا، ثم بينا الناس في أعظم المساجد علىٰ الله حرمة -يعني مكة- لم تَرُعْهُم إلا وهي في ناحية المسجدِ ما بين الركنِ الأسودِ إلىٰ باب بني مخزومٍ عن يمينِ الخارجِ في وسطِ ذلك**»[٧].

﴿مِّنَ ٱلْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ﴾: (تا) [ق/ ٢٠٨جـ] علىٰ القراءة بكسر ﴿أَنَّ ٱلنَّاسَ﴾: ولا يجوز علىٰ القراءة بالفتح، أي: بأن، وقرئ بها، ومعنىٰ (تكلمهم): تخاطبهم ببطلان الأديان كلها إلا دين الإسلام، وقرئ: (تحدثهم)، و(تَكلِمهم) من الكَلْم الجرح، أي: تجرحهم وتأكلهم، أو جرحها إياهم قولها للمؤمن: يا مؤمن، وللكافر: يا كافر، روي: أنهم إذا رأوها فزعوا إلىٰ الصلاة، فتقول للمصلي: طول

(١) سقط من ج، والمثبت من أ، ب.
(٢) أخرجه الطبري في «تفسيره» (١٩/ ٤٩٨) عن حُذيفة بن أسيد رضي الله عنه موقوفًا عليه.
(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٩/ ٢٩٢٥) عن أبي هريرة رضي الله عنه موقوفًا عليه.
(٤) أخرجه الطبري في «تفسيره» (١٩/ ٤٩٩)
(٥) أخرجه الطبري في «تفسيره» (١٩/ ٥٠٠)
(٦) أخرجه الطبري في «تفسيره» (١٩/ ٤٩٨) من حديث حذيفة بن اليمان رضي الله عنه.
(٧) أخرجه عبد الرزاق في «تفسيره» (٢/ ٤٨١)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٩/ ٢٩٢٣)

ما طولت، فوالله لأحطمنك، وعنه ﷺ: «**إنها تخرج معها عصىٰ موسىٰ وخاتم سليمان، فتجلو وجه المؤمن بالعصا، وتختم أنف الكافر بالخاتم، حتىٰ إنَّ أهل البيت ليجتمعون فيقول: هذا يا مؤمن، وهذا يا كافر**»(١). وعنه [ﷺ](٢): «**إنها تسم الكافر بين عينيه كافر، والمؤمن بين عينيه مؤمن، وتصرخ ثلاث صرخات يسمعها من بين الخافقين**»(٣).

تلخيصه: إذا قربت القيامة أظهر تعالىٰ آية للناس تدل عليها، فيتوبون حين لا متاب؛ لأنهم ﴿كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا لَا يُوقِنُونَ﴾: (تا) لا يصدقون، و(من) في ﴿مِن كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا﴾: جماعة تبعيض، والمراد الرؤساء، و(من) [في](٤) ﴿مِّمَّن يُكَذِّبُ بِـَٔايَٰتِنَا﴾: القرآن تبيين؛ لأنَّ جميع الكفار مكذبون ﴿فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾: (كا) المعنىٰ: إنَّ رؤساء الأمم يحشرون بين يدي أممهم إلىٰ الموقف ثم يجمعون فيساقون ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُو﴾: مكان الحساب ﴿قَالَ﴾ تعالىٰ لهم تهديدًا: ﴿أَكَذَّبْتُم بِـَٔايَٰتِي﴾: والواو للحال في ﴿وَلَمْ تُحِيطُواْ بِهَا عِلْمًا﴾: تمييز، أي أكذبتم بآياتي وأنتم غير محيطين بعلمها ﴿أَمَّاذَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾: (حس) مما أمرتم به .

﴿فَهُمْ لَا يَنطِقُونَ﴾: (تا) بحجة لختم أفواههم، وهذا في بعض المواطن، أو لا حجة لهم ينطقون بها.

﴿ أَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّا جَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِيَسْكُنُواْ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٨٦﴾ وَيَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَٰخِرِينَ ﴿٨٧﴾ وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِيٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُۥ خَبِيرٌۢ بِمَا تَفْعَلُونَ ﴿٨٨﴾ مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيْرٌ مِّنْهَا وَهُم مِّن فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ ءَامِنُونَ ﴿٨٩﴾ ﴾

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٩/ ٢٩٢٤)

(٢) زيادة من أ، ب.

(٣) أخرجه ابن عدي في «الكامل» (٣/ ١٧٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٤) سقط من ج، والمثبت من أ، ب.

﴿وَٱلنَّهَارَ مُبۡصِرًاۚ﴾ [(كا)][(١)] واضحًا تبصر فيه الأشياء.

﴿لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ﴾: (كا) يعتبرون فيصدقون ﴿وَيَوۡمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ﴾: هو قرن ﴿فَفَزِعَ﴾: فخاف، ولم يقل: «فيفزع»؛ للإيذان أنَّ المستقبل من فعل الله تعالىٰ متيقن الوقوع كتيقن الماضي من غيره؛ لأنَّ إخباره تعالىٰ حق، وروي أنَّ النفخات ثلاث: نفخة [الفزع][(٢)]، ونفخة الصعق، ونفخة القيام لرب العالمين، وهذه النفخة الأولىٰ، المعنىٰ: إذا نفخ في الصور مات من شدة النفخة جميع الخلائق ﴿إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُۚ﴾: (حس) ابن عباس[(٣)]: هم الشهداء؛ لأنهم أحياء عند ربهم لا يصل إليهم الفزع، أو هم الشهداء المتقلدون أسيافهم حول العرش، أو جبريل وميكائيل وإسرافيل وملك الموت، أو الحور والولدان وخزنة الجنة والنار وما في النار من العقارب والحيّات وحملة العرش، قالوا: لأنهم خلقوا للبقاء، جابر[(٤)]: موسىٰ منهم، قال ﷺ: **«يُنفخُ في الصورِ فيُصعَقُ من في السموات والأرض إلا من شاء الله، ثم يُنفَخُ فيه أخرىٰ فأكونُ أولَ من رفع رأسَهُ فإذا موسىٰ آخذٌ بقائمةٍ من قوائمِ العرش، فما أدري أكان مما استثنىٰ الله أم رفع رأسه قبلي»**[(٥)]، روي أنَّ جبريل وميكائيل وإسرافيل وملك الموت وحملة العرش يموتون.

القراءة: ﴿وَكُلٌّ﴾: أي جميع الخلائق ﴿أَتَوۡهُ﴾: قصرًا، قالوا: وفاعله والهاء مفعوله، أي: جاؤوا أمر الله تعالىٰ، أي: أجابوه، ومدا وضم التاء اسم فاعل من المجيء.

وقرئ: (أتاه) ﴿دَٰخِرِينَ﴾: (حس) صاغرين، أفرد (أتاه) [ق/ ١٧٥ أ] نظرًا إلىٰ لفظة (كل)، وجمع (داخرين) نظرًا إلىٰ معناها، ومحل ﴿تَحۡسَبُهَا جَامِدَةٗ﴾: حال

---

(١) سقط من ج، والمثبت من أ، ب.

(٢) في أ، ب: الصور، والمثبت من ج.

(٣) أخرجه الطبري في «تفسيره» (١٩/ ٥٠٣).

(٤) أخرجه الطبري في «تفسيره» (١٩/ ٥٠٣).

(٥) أخرجه البخاري (٧٧٣)، ومسلم (١٨٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

من الجبال ﴿وَهِيَ تَمُرُّ﴾: حال من «ها» في (تحسبها)، لا من (جامدة)؛ لأنها لا تكون جامدة مارة ﴿مَرَّ ٱلسَّحَابِۚ﴾: (حس) المعنىٰ: إنك إذا رأيت الجبال وقت النفخة الأولىٰ ظننتها ثابتة في مكان واحد لعظمتها؛ لأنَّ النظر لا يحيط بها، وهي في الحقيقة تسير سيرًا سريعًا كالسحاب إذا ضربته الريح، ونحوه للمبالغة في صفة الجيش [(١)]:

بأرعَنَ مثلِ الطودِ تَحْسِبُ أنهم ... وقوفٌ لحاجٌ والركابُ تُهملِج

قالوا: الوقف هنا حسن، وفيه نظر؛ لأنهم قالوا: إن (صنع الله) مصدر، والعامل فيه ما دل عليه (تمر)؛ لأنَّ مرورها كمر السحاب من صنع الله تعالىٰ، أي: صنع ذلك صنعًا، وذكر الله تعالىٰ؛ لأنَّه لم يذكر قبل، ويحسن إن نصبت (صنع) إغراء الوقف علىٰ (السحاب).

﴿ٱلَّذِيٓ أَتْقَنَ﴾: أحكم ﴿كُلَّ شَيْءٍۚ﴾: (كا) خلقه.

القراءة: ﴿إِنَّهُۥ خَبِيرُۢ بِمَا تَفْعَلُونَ﴾: (تا) بالتاء والياء ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ﴾: شرط مبتدأ جوابه وخبره ﴿فَلَهُۥ خَيْرٌ مِّنْهَا﴾: ثوابًا؛ لأنَّه تعالىٰ يضاعف ثوابها، ونحوه: ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَاۖ﴾ [الأنعام:١٦٠].

القراءة: ﴿وَهُم مِّن فَزَعٍ﴾: منونًا، أي: فزع شديد، أو فزع ما وإن قلّ، وبإضافة فزع إلىٰ ﴿يَوْمَئِذٍ ءَامِنُونَ﴾: (حس) تلخيصه: المحسنون ثَمَّ لا يخافون، وقد تقدم خلاف ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ في هود

﴿وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِي ٱلنَّارِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّمَآ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَٰذِهِ ٱلْبَلْدَةِ ٱلَّذِي حَرَّمَهَا وَلَهُۥ كُلُّ شَيْءٍۖ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٩١﴾ وَأَنْ أَتْلُوَا ٱلْقُرْءَانَۖ فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِۦۖ وَمَن ضَلَّ فَقُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿٩٢﴾ وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ فَتَعْرِفُونَهَاۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾﴾

---

(١) القائل هو النابغة الجعدي، والبيت في «ديوانه» (ص/ ١٨٧).

﴿وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ﴾: أي الشرك ﴿فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ﴾: أكببت الرجل ألقيته على وجهه فانكب وأكب، أي: ألقوا على رؤوسهم ﴿فِى ٱلنَّارِ﴾: [(حس)][(1)] أو الوجه عبارة عن الجملة، أي: ألقوا فيها، ويقال لهم تبكيتًا: ﴿هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾: (تا) من المعاصي وتقولون من الشرك وغيره.

والمراد بـ﴿هَٰذِهِ ٱلْبَلْدَةِ﴾: مكة ﴿الذى حَرَّمَهَا﴾: أي جعلها حرمًا آمنًا لا يُسفك فيها دم إنسان، ولا يظلم أحد، ولا يصاد صيدها، ولا يختلى خلاها.

وقرئ: ﴿الذى حَرَّمَهَا﴾.

ثم بيَّن أنَّه ليس بربِّها حسبُ بقوله: ﴿وَلَهُۥ كُلُّ شَىْءٍ﴾: ولا وقف على ﴿مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾: لأنَّ المعنى: أمرت بأن أكون عابدًا وأن أكون واحدًا من المسلمين ﴿وَأَنْ أَتْلُوَا۟ ٱلْقُرْءَانَ﴾: (حس) قالوا وأراه كافيًا؛ لأنَّ [ق/ ٢٩٣ب] ما بعد وما قبل صادرٌ عن متكلم واحد.

وقرئ: (وأن اتل) أمرًا.

﴿فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ﴾: إلى الإسلام ﴿لِنَفْسِهِۦ﴾: ثوابه ﴿وَمَن ضَلَّ فَقُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ﴾: (حس) تلخيصه: إنما عليك تبليغ الرسالة، وهذا نسخ بآية السيف[(2)] ﴿سَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ فى الآفاق وفى أنفسكم﴾: الآية، أو انشقاق القمر والدخان [هنا][(3)]، أو سيريكم آياته ثمَّ ﴿فَتَعْرِفُونَهَا﴾: (حس) حين لا تنفع المعرفة، المعنى: سيعرفون ثمَّ دلائل الوحدانية وصدق محمد ﷺ هنا.

﴿وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾: (تا).

---

(١) سقط من ج، والمثبت من أ، ب.

(٢) انظر «الناسخ والمنسوخ» لابن حزم(ص/ ٥٣).

(٣) سقط من ج، والمثبت من أ، ب.

سورة (القصص)

[مكيـة إلا ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِهِۦ...﴾ إلـىٰ ﴿ لَا نَبْتَغِى ٱلْجَٰهِلِينَ ﴾ أو إلا ﴿فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ...﴾ الآيـة، نزلـت بالجحفـة، وهـي سـبع أو ثمـان وثمانون آية][1]

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ طسٓمٓ ﴿١﴾ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ﴿٢﴾ نَتْلُواْ عَلَيْكَ مِن نَّبَإِ مُوسَىٰ وَفِرْعَوْنَ بِٱلْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٣﴾ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَآئِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَآءَهُمْ وَيَسْتَحْىِۦ نِسَآءَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٤﴾ وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُواْ فِى ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٥﴾ ﴾

تقدم الكلام علىٰ الوقوف ومعاني الحروف، ومفعول ﴿نَتْلُواْ عَلَيْكَ مِن نَّبَإِ مُوسَىٰ وَفِرْعَوْنَ﴾: أي نقص عليك [شيئًا من خبرهما][2] ﴿بِٱلْحَقِّ﴾: حال، أي: محقين ﴿لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾: (تا) لاستئنافك ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا﴾ تجاوز الحد في الظلم ﴿فِى ٱلْأَرْضِ﴾: أرض مصر ﴿شِيَعًا﴾: [(كا)][3] فرقًا مختلفة في خدمته إن استأنفت ولم تجعل ﴿يَسْتَضْعِفُ طَآئِفَةً مِّنْهُمْ﴾: من بني إسرائيل حالًا من ضمير (جعل) أو صفة (شيعًا)، ويكفي الوقف هنا إن استأنفت ولم تجعل ﴿يُذَبِّحُ أَبْنَآءَهُمْ﴾: وقرئ مخففًا بدلًا من (يستضعف) أو حالًا من فاعل (يستضعف)

﴿وَيَسْتَحْىِۦ نِسَآءَهُمْ﴾: (كا) عطف علىٰ (يذبح)، ثم بيَّن أنَّ القتل ظلمًا إنما هو

---

(١) زيادة من أ، ب.

(٢) سقط من ج، والمثبت من أ، ب.

(٣) سقط من أ، ب، والمثبت من ج.

فعل المفسدين بقوله: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلۡمُفۡسِدِينَ﴾: (حس) إن استأنفت ﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ﴾: الجملة ولم تعطفها علىٰ (إنّ فرعون) الجملة، وجاز عطفها لأنهما من أنباء موسىٰ وفرعون، ولا يجوز إن نصبت (ونريد) الجملة حالًا من (يستضعف)، أي: يستضعفهم فرعون ونحن نريد.

ولمَّا كانت إرادة الله تعالىٰ المنة عليهم بالنجاة وغيرها كائنة لا محالة جعلت الإرادة كأنها مقارنة استضعافهم ﴿وَنَجۡعَلَهُمۡ أَئِمَّةً﴾: قادة يقتدىٰ بهم في الدارين.

﴿وَنَجۡعَلَهُمُ ٱلۡوَٰرِثِينَ﴾: أملاك القبط.

﴿وَنُمَكِّنَ لَهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَنُرِيَ فِرۡعَوۡنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا مِنۡهُم مَّا كَانُواْ يَحۡذَرُونَ ٦ وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنۡ أَرۡضِعِيهِۖ فَإِذَا خِفۡتِ عَلَيۡهِ فَأَلۡقِيهِ فِي ٱلۡيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحۡزَنِيٓۖ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيۡكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ٧﴾

﴿وَنُمَكِّنَ لَهُمۡ﴾: لبني إسرائيل ﴿فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾: أرض الشام ومصر بأن نخصها بهم.

القراءة: ﴿وَنُرِيَ فِرۡعَوۡنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا﴾: بضم النون وكسر الراء ونصب الأسماء الثلاثة مفعولًا، وبياء وراء مفتوحين ورفع الأسماء الثلاثة فاعلين ﴿مِنۡهُم﴾: [متعلق بـ][1] (نُري) دون ﴿يَحۡذَرُونَ﴾: (تا) لئلا تتقدم صلة «ما» علىٰ الموصول.

تلخيصه: سيظهر للقبط من بني إسرائيل ما كانوا يخافونه ﴿وَأَوۡحَيۡنَآ﴾: حقيقة أو إلهامًا أو منامًا ﴿إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ﴾: وقرئ بهمز (مؤسى)، جعلت ضمة الميم كأنها علىٰ الواو فهمز، و«أن» في ﴿أَنۡ أَرۡضِعِيهِۖ﴾: تفسيرًا، أو مصدرية، ولمَّا وضعت موسىٰ أمُّه وخرجت القابلة من عندها رآها بعض العيون، فقالت أخته: هذا الحرسي بالباب، فألقته أمه في التنور وهو يُسجر، فدخلوا فقالوا: ما شأن هذه

(١) سقط من ج، والمثبت من أ، ب.

القابلة عندك؟ قالت: هي مصافية لي، فأرضعته ثلاثة أو أربعة أو ثمانية أشهر.

﴿فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ﴾: القتل ﴿فَأَلْقِيهِ فِي ٱلْيَمِّ﴾: البحر، والمراد هنا النيل ﴿وَلَا تَخَافِي﴾: عليه الغرق ولا الضيعة.

﴿وَلَا تَحْزَنِيٓ﴾: (كا) على فراقه ﴿إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ﴾: لتربيه ﴿وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾: (كا) والفرق بين الخوف والحزن أنَّ الخوف غمٌّ يلحق لمتوقعٍ، والحزن خوف يلحق لواقعٍ، فخافت عليه فوضعته في تابوت من بردي مطلي بالقار من داخل وألقته في النيل، وكان لفرعون ابنة يحبها وبها برص، فوُصِف لها ريق الحيوان شبه الإنسان يخرج من النيل يوم كذا عند طلوع الشمس، يلطخ به وجهها فتبرأ، فأقبل التابوت على وجه الماء، فقال [فرعون][(١)]: علي به.

﴿ فَٱلْتَقَطَهُۥٓ ءَالُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًاۗ إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا۟ خَٰطِـِٔينَ ﴿٨﴾ وَقَالَتِ ٱمْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرَّتُ عَيْنٍ لِّى وَلَكَۖ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٩﴾ وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَٰرِغًاۖ إِن كَادَتْ لَتُبْدِى بِهِۦ لَوْلَآ أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠﴾ وَقَالَتْ لِأُخْتِهِۦ قُصِّيهِۖ فَبَصُرَتْ بِهِۦ عَن جُنُبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١١﴾ ﴾

﴿فَٱلْتَقَطَهُۥٓ ءَالُ فِرْعَوْنَ﴾: أي: أخذوه، واللام في (ليكون) تشبه لام «كي»، وتسمىٰ لام العاقبة و الصيرورة مجازًا؛ لأنهم لم يلتقطوه ﴿لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا﴾: يقتل رجالهم ﴿وَحَزَنًاۗ﴾: (تا) يستعبد نساءهم، القراءة بضم الحاء وسكون الزاي وبفتحهما لغتان، أو بالضم الاسم وبالفتح المصدر ﴿ خَٰطِـِٔينَ ﴾ (حس) ففتح التابوت فوجد فيه صغيرًا يمص من أصبعه لبنًا ولعابه يسيل، فالتطخت بلعابه فبرئت، فأحبه فرعون وابنته وآسية حبًّا شديدًا، روي أنَّه قيل لفرعون: هذا المولود الذي تهلك على يديه، فهمّ بقتله فثبَّطَته [عنه][(٢)] آسية وقالت: ﴿قُرَّتُ﴾: أي هو قرة

---

(١) في أ، ب: الفرعون، والمثبت من ج.

(٢) سقط من أ، ب والمثبت من ج.

﴿عَيۡنٖ لِّي وَلَكَۖ﴾: صفتان لـ(قرة).

﴿لَا تَقۡتُلُوهُ﴾: (كـا) لا يجوز الوقف علىٰ (لا) وإن زعم أنَّه منقول عن ابن عباس؛ لأنَّ النون حذفت من «تقتلونه» للجزم؛ لأنَّه نهي، ولو كان كما زُعِمَ لارتفع الفعل لعدم الجازم، وقد تقصيت الكلام علىٰ الوقف علىٰ (هذا) وعلىٰ (لك) في «تبصرة المتذكر وتذكرة المتبصر» في الحديث لو قال: «**هو قرة عين لي كما هو قرة عين لك، لهداه الله كما هداها**»[1]. فاستوهبت آسية موسىٰ من فرعون فوهبها إياه، فتوسمت فيه النجابة فقالت: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ﴾: في مهامنا ﴿أَوۡ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدٗا﴾: نتبناه إن جعلت ﴿وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ﴾: (حس) أنَّه يَهلكهم وأنهم مخطئون في التقاطه_ حالًا من (آل فرعون) [ق / ٢٠٩ جـ]، فقوله: ﴿إِنَّ فِرۡعَوۡنَ﴾ الآية اعتراض بين المعطوف والمعطوف عليه، فلا وقف بينهما؛ لأن تقديره: فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزنًا، فقالت امرأة فرعون: كذا وهم لا يشعرون، **القراءة**: ﴿فَٰرِغًاۖ﴾: خاليا من عقلها ثكلىٰ علىٰ ولدها؛ لأنها دُهشت بما علمت أنَّ فرعون قد التقطه، وكانت قد نسيت وعد الله تعالىٰ بسلامته، نحو: ﴿وَأَفۡـِٔدَتُهُمۡ هَوَآءٞ﴾ [إبراهيم:٤٣]، أي: خالية من العقل لدهشتهم ثَمَّ بما يعاينون.

وقرئ: (قرعًا)، أي: خاليًا، ومنه قولهم: أعوذ بالله من صفر الإناء وقرع الفناء، و(فرغًا) من قولهم: ذهب دمه فرغًا، أي: باطلًا لم يطلب به، كأنها بقيت بلا قلب و(فزعًا) ﴿لَتُبۡدِي بِهِۦ﴾: بأمر موسىٰ بأن تقول: يابنياه، لما ألقته في النيل، أو هو ابني لمَّا أرضعته، أو بقوله تعالىٰ: ﴿إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيۡكِ﴾، المعنىٰ: كادت تبوح بسرّها ﴿لَوۡلَآ أَن رَّبَطۡنَا عَلَىٰ قَلۡبِهَا﴾: أي شددنا عليه السكينة وسكناه ﴿لِتَكُونَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ (حس) المصدقين بوعدنا لباحت به.

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٩/ ٢٩٤٤) عن ابن عباس رضي الله عنهما من قوله موقوفًا عليه.

﴿قُصِّيهِۖ﴾: أي: اتبعي أثره وانظري فيه ﴿فَبَصُرَتۡ بِهِۦ﴾: وقرئ: (فبصِرت) كسرًا، ومحل ﴿عَن جُنُبٍ﴾:عن جانب، وقرئ بها، وقرئ: (عن جنب) حال من هاء «به»، أي: بعيدًا، أو من فاعل (بصرت) أي: مستخفية، المعنىٰ: نظرت مريم أخته إلىٰ المزودة اختلاسًا خوفًا.

﴿وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ﴾: (حس) أنها أخته وأنَّه عدوّ لهم .

﴿ ۞ وَحَرَّمۡنَا عَلَيۡهِ ٱلۡمَرَاضِعَ مِن قَبۡلُ فَقَالَتۡ هَلۡ أَدُلُّكُمۡ عَلَىٰٓ أَهۡلِ بَيۡتٖ يَكۡفُلُونَهُۥ لَكُمۡ وَهُمۡ لَهُۥ نَٰصِحُونَ ﴿١٢﴾ فَرَدَدۡنَٰهُ إِلَىٰٓ أُمِّهِۦ كَيۡ تَقَرَّ عَيۡنُهَا وَلَا تَحۡزَنَ وَلِتَعۡلَمَ أَنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿١٣﴾ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَٱسۡتَوَىٰٓ ءَاتَيۡنَٰهُ حُكۡمٗا وَعِلۡمٗاۚ وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿١٤﴾﴾

﴿وَحَرَّمۡنَا عَلَيۡهِ ٱلۡمَرَاضِعَ﴾: جمع مرضعة، أو مَرضَعٍ، أي: موضع إرضاع وهو الثدي، أو الرضاع مصدر رضع، المعنىٰ: منعناه من شرب لبن غير أمه ﴿مِن قَبۡلُ﴾: أي قبل عوده إليها، فقالت أخته [﴿هَلۡ أَدُلُّكُمۡ عَلَىٰٓ أَهۡلِ بَيۡتٖ يَكۡفُلُونَهُۥ﴾][(١)] [ق/ ٢٩٤ب]: روي أنها لما قالت: ﴿وَهُمۡ لَهُۥ نَٰصِحُونَ﴾: (كا) قال لها هامان: قد عرفت أهله؟ قالت: إنما قلت: هم للملك ناصحون. قالوا: نعم. فجاءت بأمِّها وهو يصيح، فلما شم ريحها قبل ثديها، فقال فرعون: من أنت حتىٰ قبل ثديك؟ قالت: إني طيبة الريح طيبة اللبن، لا أُوتىٰ بصبي إلا قبل ثديي. فدفعه إليها وأجرىٰ أجرتها عليها، وأخذتها لأنها مال حربي لا أنها أجرة حقيقة علىٰ إرضاعها ولدها، فذهبت به إلىٰ بيتها.

﴿كَيۡ تَقَرَّ عَيۡنُهَا وَلَا تَحۡزَنَ وَلِتَعۡلَمَ أَنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ﴾: الذي وعدها به ﴿حَقّٞ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ﴾: (حس) صحة ذلك، فمكث عندها إلىٰ أن فطمته وردته، فتبناه فرعون وآسية ﴿وَٱسۡتَوَىٰٓ﴾: استحكم شبابه وقوي وبلغ أربعين سنة وهو سن

(١) في أ، ب: (هل أدلكم علىٰ من يكفله)، والمثبت من ج.

بعث الأنبياء، وجواب ﴿لما ءَاتَيۡنَٰهُ﴾: قبل نبوته حكمًا حكمة وفقهًا ﴿وَعِلۡمٗاۚ﴾: (كا) بمصالح الدارين، فكان يتكلم بالحق وينكر عليهم قبل النبوة ﴿وكذلك نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾: (حس).

﴿وَدَخَلَ ٱلۡمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينِ غَفۡلَةٖ مِّنۡ أَهۡلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيۡنِ يَقۡتَتِلَانِ هَٰذَا مِن شِيعَتِهِۦ وَهَٰذَا مِنۡ عَدُوِّهِۦۖ فَٱسۡتَغَٰثَهُ ٱلَّذِي مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِي مِنۡ عَدُوِّهِۦ فَوَكَزَهُۥ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيۡهِۖ قَالَ هَٰذَا مِنۡ عَمَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِۖ إِنَّهُۥ عَدُوّٞ مُّضِلّٞ مُّبِينٞ ١٥ قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمۡتُ نَفۡسِي فَٱغۡفِرۡ لِي فَغَفَرَ لَهُۥٓۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ١٦ قَالَ رَبِّ بِمَآ أَنۡعَمۡتَ عَلَيَّ فَلَنۡ أَكُونَ ظَهِيرٗا لِّلۡمُجۡرِمِينَ ١٧﴾

﴿وَدَخَلَ ٱلۡمَدِينَةَ﴾: هي مصر أو غيرها، روي أنَّ فرعون خاف من موسىٰ فأخرجه من مدينته حتىٰ كبر واشتد فدخلها.

﴿عَلَىٰ حِينِ﴾: حال من (المدينة)، أو من الفاعل، أي: مستخفيًا محتسبًا، المعنىٰ: دخل مدينتهم وقت غرة [(من أهلها) وهم مشتغلون بعيد لهم أو بين المغرب والعشاء][(1)] ﴿فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيۡنِ﴾: قبطيًّا وإسرائيليًّا ﴿يَقۡتَتِلَانِ﴾: ومحل ﴿هَٰذَا مِن شِيعَتِهِۦ﴾: من أتباعه، روي أنَّه كان السامري ﴿وَهَٰذَا مِنۡ عَدُوِّهِۦۖ﴾: من القبط، الجملتين نصب صفة (رجلين).

﴿فَٱسۡتَغَٰثَهُ﴾: طلب منه الغوث، وقرئ: (فاستغاثه الإسرائيلي علىٰ القبطي)، وكان موسىٰ قد أعطي شدة عظيمة ﴿فَوَكَزَهُۥ مُوسَىٰ﴾: فضربه بمجمع كفه، أو بأطراف أصابعه.

وقرئ: (لكزه) لغتان، أو الوكز في الصدر واللكز في الظهر، روي أنه عقد ثلاثًا [وتسعين][(2)] فضرب في صدر القبطي.

﴿فَقَضَىٰ عَلَيۡهِۖ﴾: (كا) فقتله ولم يقصد قتله، فندم فدفنه و(قَالَ هَٰذَا) [أي:][(3)]

(١) سقط من ج، والمثبت من أ، ب.

(٢) في أ، ب: وثمانين، والمثبت من ج.

(٣) سقط من أ، ب والمثبت من ج.

القتل ﴿مِنۡ عَمَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِۖ﴾: أي بسببه؛ لأنَّه هيج غضبي ﴿إِنَّهُۥ عَدُوّٞ مُّضِلّٞ مُّبِينٞ﴾: (حس) ﴿ظَلَمۡتُ نَفۡسِي﴾: بقتل القبطي ﴿فَٱغۡفِرۡ لِي فَغَفَرَ لَهُۥٓۚ﴾ ﴿ٱلرَّحِيمُ﴾ (حس) [ق/ ١٧٦ أ].

ابن جريج (١): ليس لنبي أن يقتل ما لم يُؤمر.

﴿بِمَآ أَنۡعَمۡتَ عَلَيَّ﴾: من المغفرة والقوة والحكم، قسم محذوف الجواب، تقديره: أقسم بما أنعمت عليَّ لأتوبن، وتفسير الجواب: فلن أكون، أو هو استعطاف تقديره: اعصمني بما أنعمت علي ﴿فَلَنۡ أَكُونَ﴾: إن عصمتني ﴿ظَهِيرٗا﴾: عونًا ﴿لِّلۡمُجۡرِمِينَ﴾: (حس) للكافرين، أو أراد التبرؤ من صحبة الكافرين وتكثير سوادهم؛ لأنَّه كان مع فرعون كالولد مع الوالد ويُدعىٰ بابنه، روي أنَّه لم يستثن فابتلي من الغد.

﴿فَأَصۡبَحَ فِي ٱلۡمَدِينَةِ خَآئِفٗا يَتَرَقَّبُ فَإِذَا ٱلَّذِي ٱسۡتَنصَرَهُۥ بِٱلۡأَمۡسِ يَسۡتَصۡرِخُهُۥۚ قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰٓ إِنَّكَ لَغَوِيّٞ مُّبِينٞ ١٨ فَلَمَّآ أَنۡ أَرَادَ أَن يَبۡطِشَ بِٱلَّذِي هُوَ عَدُوّٞ لَّهُمَا قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ أَتُرِيدُ أَن تَقۡتُلَنِي كَمَا قَتَلۡتَ نَفۡسَۢا بِٱلۡأَمۡسِۖ إِن تُرِيدُ إِلَّآ أَن تَكُونَ جَبَّارٗا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا تُرِيدُ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلۡمُصۡلِحِينَ ١٩﴾

﴿خَآئِفٗا﴾: علىٰ نفسه ،حال وتبدل منها ﴿يَتَرَقَّبُ﴾: ينتظر المكروه بأن يُستقاد، أو (يترقب) حال من ضمير خائفًا، فجاء وليُّ الدمِ فرعونَ، وقال: قد قُتِل منا بنو إسرائيل قتيلًا فخذ بحقنا، فقال له: أما علمت أنا لا نقضي إلا ببينة؟ فطلبوا بينة فإذا مستنصر موسىٰ ﴿بِٱلۡأَمۡسِ يَسۡتَصۡرِخُهُۥۚ﴾: (كا) علىٰ قبطي آخر، فقال: ﴿إِنَّكَ لَغَوِيّٞ مُّبِينٞ﴾: (كا) قاتلت بالأمس رجلًا فقتلته بسببك، وكان موسىٰ قد غضب غضبًا شديدًا.

﴿فَلَمَّآ أَنۡ أَرَادَ أَن يَبۡطِشَ﴾: وقرئ بضم الطاء بعدوهما القبطي؛ لأنَّه لم يك علىٰ دينهما اعتقد الإسرائيلي أنَّه يريد قتله فـ﴿قَالَ أَتُرِيدُ﴾: قتلي كقتلك ﴿نَفۡسَۢا

(١) أخرجه الطبري في «تفسيره» (١٩/ ٥٤١).

بِٱلْأَمْسِ﴾: (كا) .

﴿إِن تُرِيدُ إِلَّآ أَن تَكُونَ جَبَّارًا﴾: قتّالًا ظلمًا، أو لا تتواضع لأحد ﴿مِنَ ٱلْمُصْلِحِينَ﴾: (تا) فوصل ذلك إلىٰ فرعون فهمُّوا بقتل موسىٰ.

﴿وَجَآءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ ٱلْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَٱخْرُجْ إِنِّى لَكَ مِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٢٠﴾ فَخَرَجَ مِنْهَا خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِى مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢١﴾ وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَآءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَىٰ رَبِّىٓ أَن يَهْدِيَنِى سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿٢٢﴾﴾

فجاء ﴿رَجُلٌ﴾: هو مؤمن آل فرعون، وهو ابن عمه، ومحل ﴿يَسْعَىٰ﴾: رفع صفة (رجل)، أو نصب حال من (رجل)؛ لأنَّه قد وُصف بـ﴿مِّنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ﴾، ومعنىٰ ﴿يَأْتَمِرُونَ بِكَ﴾: يتشاورون بسببك، أي: يأمر بعض بعضًا، يأمر ويشير عليه به ﴿لِيَقْتُلُوكَ فَٱخْرُجْ﴾: و(لك) في ﴿إِنِّى لَكَ﴾ بيان وليست بصلة ﴿ٱلنَّٰصِحِينَ﴾: (كا).

﴿خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ﴾: الطلب ﴿مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾: (حس) فخرج موسىٰ خائفًا هاربًا [خافيًا][1] بلا زاد ولا ظهر وحده مسيرة ثمانية أيام، أو خمسة وثلاثين يومًا، يأكل الحشيش وورق الشجر .

﴿تِلْقَآءَ﴾: نحو ﴿مَدْيَنَ﴾: قرية شعيب.

﴿سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ﴾: (حس) قصد الطريق ووسَطه، فبَعث إليه مَلك فدله علىٰ الطريق.

﴿ وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ ٱلنَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ ٱمْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِى حَتَّىٰ يُصْدِرَ ٱلرِّعَآءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴿٢٣﴾ فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰٓ إِلَى ٱلظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّى لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَىَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴿٢٤﴾ فَجَآءَتْهُ إِحْدَىٰهُمَا تَمْشِى عَلَى ٱسْتِحْيَآءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِى يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا فَلَمَّا جَآءَهُۥ وَقَصَّ عَلَيْهِ ٱلْقَصَصَ

(١) سقط من ج، والمثبت من أ، ب.

قَالَ لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٥﴾ ﴾

﴿وَلَمَّا وَرَدَ﴾: وصل ﴿مَآءَ مَدْيَنَ﴾: هو بئر كانوا يسقون منها مواشيهم ﴿وَجَدَ عَلَيْهِ﴾: علىٰ جانب البئر ﴿أُمَّةً﴾: جماعة كثيرة ﴿مِّنَ ٱلنَّاسِ﴾: وهم الرعاء ﴿يَسْقُونَ﴾: مواشيهم منها ﴿وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ﴾: من مكان أسفل منهم ﴿ٱمْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ﴾: تطردان غنمهما لئلا يختلط بغنم القوم لضعفها عن السقي معهم، أو تذودان النظر عن وجوههما حياءً وتسترا.

﴿قَالَ مَا خَطْبُكُمَا﴾: (كا) ما مخطوبكما، فسمىٰ المخطوب خطبًا توسعًا، المعنىٰ: ما لكما لا تسقيان غنمكما مع الناس؟ ﴿قَالَتَا لَا نَسْقِى﴾: غنمنا معهم لعجزنا ﴿حَتَّىٰ يُصْدِرَ ٱلرِّعَآءُ﴾: جمع راع كتاجر وتجار، عن الماء مرتوية مواشيهم، القراءة بفتح الياء وضم الدال، أي: يذهب الرعاء بمواشيهم عن الماء، وبضم الياء وكسر الدال، فالمفعول محذوف، أي: يُصدر الرعاء مواشيهم عن الماء، وقرئ بضم نون (نُسقي) وراء (الرُّعاء) اسم جمع كالتوأم، تلخيصه: إنَّه سألهما عن سبب الذود، فقالتا معتذرتين: ﴿وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ﴾: (كا) كبير السن لا يقدر علىٰ رعي الغنم، وليس لنا راع، فلذلك نرعاها نحن، فرحمهما ورق لهما، فقام إلىٰ بئر أخرىٰ عليها صخرة لا يرفعها إلا عشرة رجال، أو أربعون رجلًا، أو مائة رجل فنحاها، أو دفع الأمة عن الماء، أو سألهم دلوًا من ماء فأعطوه الدلو وقالوا: استق بها، وكانت لا ينزعها إلا أربعون رجلًا فاستقىٰ بها واحدةً، وقلبها في الحوض وبرك عليها.

﴿فَسَقَىٰ لَهُمَا﴾: غنمهما حتىٰ صدرت رواء مع ضعفه وسقوط خف قدمه وجوعه طلبًا للثواب وإغاثة للملهوف، ولم يذكر مفعول (يسقون) و(تذودان) و(لا نسقى)؛ لأنَّ الغرض الفعل لا المفعول؛ لأنَّه إنما رحمهما لكونهما تذودان غنمهما والأمة تسقي غنمها ولم يرحمهما؛ لأنَّ مذودهما ومسقيهما غنم، تلخيصه: رحمهما لضعفهما، وكذلك ﴿لَا نَسْقِى حَتَّىٰ يُصْدِرَ ٱلرِّعَآءُ﴾ الغرض منه

السقي لا المستقىٰ به، فبعد سقي الغنم ﴿تَوَلَّىٰٓ إِلَى ٱلظِّلِّ﴾: إلىٰ ظل سمرة وهو جائع، ﴿فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَآ﴾: أي إلىٰ ما، أو لأجل ما ﴿أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ﴾: طعام ﴿فَقِيرٌ﴾: (حس) وعند أبي حاتم تام محتاج إلىٰ الطعام.

ابن عباس (١): سأله فلقة خبز يقيم بها صلبه، الحسن (٢): لم يسأل الطعام، وإنما سأل الخير في الدين وهو العلم والحكمة وما وفق له، فلمَّا رجعتا إلىٰ أبيهما قبل الناس ووجد أغنامهما حفلًا بطانًا، قال: ما أعجلكما؟ قالتا: رحمنا رجل صالح فسقىٰ غنمنا، فقال: علي به ﴿فَجَآءَتْهُ﴾: إحدىٰ بنات شعيب ﴿تَمْشِي﴾: حال من (إحداهما)، العامل فيها (جاءت) ﴿عَلَى ٱسْتِحْيَآءٍ﴾: (كا) منه حال واضعة كم درعها علىٰ وجهها حياءً ﴿قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا﴾: (كا) [ق/ ٢٩٥ب] أجر سقيك، قالوا: لمَّا سمع كلامها أراد ألَّا يذهب، ولكن كان جائعًا، ويجوز أنَّه إنما أجابها لئلا يخيب قصدها؛ لأنَّ للقاصد حرمة، سيما هي حرمة وهضمًا للنفس، فأجابها فمشت بين يديه نحو بيتها، فجعلت الريح تضرب ثوبها فتصف ردفها وتكشف ساقها، فقال: امشي خلفي ودليني علىٰ الطريق، ففعلت.

﴿فَلَمَّا جَآءَهُۥ﴾: موسىٰ شعيبًا قال له: اجلس فتعش. فقال: معاذ الله. فقال شعيب: ألست جائعًا؟ قال: بلىٰ، ولكن أخاف أن يكون عوضًا مما سقيت لهما، وإنا أهل بيت لا يطلُب علىٰ عمل من أعمال الآخرة عوضًا من الدنيا. فقال شعيب: لا والله يا شاب، ولكنها عادتي وعادة آبائي نقري الضيف ونطعم الطعام. فأكل، وفي قول موسىٰ هذا القول دليل أنَّ مشيه لم يكن لشدة جوعه كما قيل [له] (٣)، وفي هذا دليل علىٰ جواز العمل بخبر الواحد، والمشي مع الأجنبية في مثل

---

(١) انظر «تفسير البغوي» (٣/ ٥٢٩).

(٢) انظر «تفسير البغوي» (٣/ ٥٢٩).

(٣) سقط من أ، ب والمثبت من ج.

هذا، فلمَّا أكل أخبر شعيبًا بحاله.

﴿وَقَصَّ عَلَيۡهِ ٱلۡقَصَصَ﴾: مصدر كالعلل بمعنىٰ المقصوص، أي: أخبره بخوفه من فرعون ﴿قَالَ لَا تَخَفۡۖ﴾: لأنَّه لا سلطان لفرعون علينا ﴿نَجَوۡتَ مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾: (تا).

﴿قَالَتۡ إِحۡدَىٰهُمَا يَٰٓأَبَتِ ٱسۡتَـٔۡجِرۡهُۖ إِنَّ خَيۡرَ مَنِ ٱسۡتَـٔۡجَرۡتَ ٱلۡقَوِيُّ ٱلۡأَمِينُ ﴿٢٦﴾ قَالَ إِنِّيٓ أُرِيدُ أَنۡ أُنكِحَكَ إِحۡدَى ٱبۡنَتَيَّ هَٰتَيۡنِ عَلَىٰٓ أَن تَأۡجُرَنِي ثَمَٰنِيَ حِجَجٖۖ فَإِنۡ أَتۡمَمۡتَ عَشۡرٗا فَمِنۡ عِندِكَۖ وَمَآ أُرِيدُ أَنۡ أَشُقَّ عَلَيۡكَۚ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٢٧﴾ قَالَ ذَٰلِكَ بَيۡنِي وَبَيۡنَكَۖ أَيَّمَا ٱلۡأَجَلَيۡنِ قَضَيۡتُ فَلَا عُدۡوَٰنَ عَلَيَّۖ وَٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٞ ﴿٢٨﴾﴾

﴿ٱسۡتَـٔۡجِرۡهُۖ﴾: اتخذه أجيرًا يرعىٰ غنمنا في قولها: ﴿إِنَّ خَيۡرَ مَنِ ٱسۡتَـٔۡجَرۡتَ ٱلۡقَوِيُّ ٱلۡأَمِينُ﴾: (تا) غاية التحريض علىٰ استئجاره ومجيئها بالماضي للإيذان أنَّ قوته وأمانته متحققة كتحقيق الماضي، تلخيصه: استأجره لقوته وأمانته، فأخذت شعيبًا الغيرة فقال: وما علمك بقوته وأمانته؟ قالت: أمَّا قوته فرفع صخرة عظيمة [ق/ ٢١٠ جـ] ، وأمَّا أمانته فحين أقبلت نظر إلي، فلمَّا علم أني امرأة صوّب رأسه فلم يرفعه ولم ينظر إليَّ، فلمَّا مشىٰ معي قال: امشي خلفي ودليني علىٰ الطريق فرغب في تزويجه، فقال: ﴿إِنِّيٓ أُرِيدُ أَنۡ أُنكِحَكَ إِحۡدَى ٱبۡنَتَيَّ هَٰتَيۡنِ﴾: صفراء وهي التي ذهبت إليه وطلبت استئجاره وبها تزوج، وصفيراء في هذا دليل أنَّه كان له غيرهما، ومحل ﴿عَلَىٰٓ أَن تَأۡجُرَنِي﴾: تصير أجيرًا لي، من أجرته صرت له أجيرًا كأَبوتُه، صرت له أبًا حال، أي: مشروطًا كأنكحتك علىٰ مائة، وتنصب ﴿ثَمَٰنِيَ حِجَجٖۖ﴾: (كا) سنين ظرفًا، وإن جعلت (تأجرني) من آجرته، كذا أثبته إياه، فـ(ثماني) مفعول به، أي: رعيه ثماني حجج ﴿فَإِنۡ أَتۡمَمۡتَ عَشۡرٗا﴾: أي خدمته عشر سنين، ومحل ﴿فَمِنۡ عِندِكَۖ﴾ (كا) رفع خبر مبتدأ، أي: فالتمام من عندك تبرع لا إلزام مني، أو نصب حال، أي: إن فعلت ذلك فقد أفضلت من [عندك][1] .

---

(١) في أ، ب: ذلك، والمثبت من ج.

﴿وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيۡكَۚ﴾: [(حس)][(١)] [بالاستخدام][(٢)] ولا أكفك عظيمًا تقسم فكرك قسمين، بأن تقول مرة: أطيقه، ومرة: لا أطيقه، فقال موسىٰ: ﴿سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾: (حس) في جميع أحوالي وأقوالي، أو المراد المساهلة، وهي عادة الأنبياء عليهم الصلاة والسّلام أجمعين، في الحديث: «**وكان النبي ﷺ خيرَ شريكٍ، لا يُداريٰ ولا يُشاريٰ ولا يُماريٰ**»[(٣)]، وقال [شعيب][(٤)]: إن شاء الله توكلًا وتبركًا، لا أنَّه إن شاء فعل وإن شاء لم يفعل.

﴿ذَٰلِكَ﴾: أي ما عاهدتك عليه مبتدأ خبره ﴿بَيۡنِي وَبَيۡنَكَۖ﴾: (كا) وتنصب ﴿أَيَّمَا قَضَيۡتُ﴾: و«ما» زائدة تأكيدًا لإبهام «أي» في شياعها، فالأجلين جر بـ«أي»، أو نكرة موصوفة محلها جر فأجلين بدل منها، وقرئ: (أيما) بسكون الياء تخفيفًا كقوله[(٥)]:

تنظَّرتُ نصرًا والسماكين أيهما ... عليّ من الغيث استهلَّت مواطرُه

وقرئ: (أي الأجلين ما قضيت) فـ«ما» زائدة أيضًا تأكيدًا للقضاء، أي: علىٰ قضاء أي الأجلين أردت من غير مطل، وإن شرط جوابه ﴿فَلَا عُدۡوَٰنَ﴾: فلا يعتدىٰ ﴿عَلَيَّۖ﴾: (كا) بطلب الزيادة علىٰ أحدهما، وقرئ بكسر (عدوان)، المعنىٰ: أي الأجلين قضيت فلن أكون متعديًا.

﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ﴾: من الشروط وغيرها ﴿وَكِيلٌ﴾: (حس) حفيظ، روي أنَّ شعيبًا بكىٰ حتىٰ عمي فرد عليه بصره، ثم [بكىٰ][(٦)] ثانية فرد عليه بصره، ثم ثالثة

---

(١) في جـ: (كا)، والمثبت من أ،ب.

(٢) في أ، ب: باستخدامي، والمثبت من ج.

(٣) أخرجه ابن ماجة (٢٢٨٧)، وأحمد (١٥٥٤١)، والطبراني في «المعجم الكبير» (٦٦١٩)، وفي «الأوسط» (١٥٢٢)، من حديث ﷺ.

(٤) سقط من أ، ب والمثبت من ج.

(٥) القائل هو الفرزدق، والبيت في «ديوانه» (١/ ٢٨١)، وفيه: «تأمَّلْتُ نَسْرًا» بدل «تنظرت نصرًا».

(٦) سقط من أ، ب والمثبت من ج.

فرد عليه بصره، فقال تعالىٰ: ما هذا البكاء، أشوقًا إلىٰ الجنة أم خوفًا من النار؟ فقال: [لا][(١)] يا رب، [ولكن][(٢)] شوقًا إلىٰ لقائك. فأوحىٰ إليه: إن يكن ذلك فهنيئًا لك لقائي يا شعيب، فلذلك استخدمتك موسىٰ كليمي.

روي أنَّه قال: أيهما تريد أن تنكحني؟ قال: التي دعتك، قال: لا إلا وتبرأ مما دخل في نفسك عليها، قال: أفعل، فزوجه إياها، وقال: لك كل ذات لونين تلد مواشي هذه السنة وهو الأدرع، فولدت جميعها أدرع ودرعاء، وكانت عند شعيب عصا الأنبياء [صلوات الله عليهم][(٣)]، فقال: ادخل فخذ منها عصًا تطرد السباع عن غنمك، وكان ليلًا فأخذ عصًا هبط بها آدم من الجنة وتوارثها الأنبياء، فلمسها شعيب وكان مكفوفًا فردَّها سبع مرات، فلم يقع في يده غيرها، فعلم أن لها لسانًا وقال له: إذا بلغت مفرق الطرق فلا تأخذ عن يمينك؛ فثمَّ تِنِّينٌ أخافه عليك وعلىٰ غنمك، فأخذت الغنم ثم بغير اختياره، فرأىٰ كلًا كثيرًا، فنام فجاء التنِّينُ فقاتلته [العصا فقتلته][(٤)] ثم عادت مكانها، فاستيقظ فرآها دامية والتنِّينُ مقتولًا.

﴿۞ فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى ٱلْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِۦٓ ءَانَسَ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓا۟ إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّىٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴿٢٩﴾ فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِىَ مِن شَٰطِئِ ٱلْوَادِ ٱلْأَيْمَنِ فِى ٱلْبُقْعَةِ ٱلْمُبَٰرَكَةِ مِنَ ٱلشَّجَرَةِ أَن يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّىٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٠﴾ وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ ۖ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ ۚ يَٰمُوسَىٰٓ أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ ۖ إِنَّكَ مِنَ ٱلْءَامِنِينَ ﴿٣١﴾﴾

﴿فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى ٱلْأَجَلَ﴾: المشروط بينهما ﴿وَسَارَ بِأَهْلِهِۦٓ﴾: نحو مصر بعد مكثه عند شعيب ثماني سنين، أو عشرين سنة واستئذانه في النقلة بزوجته عنه.

---

(١) سقط من ج والمثبت من أ، ب.

(٢) سقط من ج والمثبت من أ، ب.

(٣) زيادة من ج.

(٤) سقط من ج، والمثبت من أ، ب.

القراءة: ﴿أَوۡ جَذۡوَةٍ﴾: بضم الجيم وفتحها وكسرها لغات كلها، وهي قطعة من جمر، أو قطعة غليظة من خشب كان في رأسها نار أو لم يكن ﴿لَعَلَّكُمۡ تَصۡطَلُونَ﴾: (حس) و«من» في ﴿مِن شَٰطِيِٕ ٱلۡوَادِ ٱلۡأَيۡمَنِ﴾: بالنسبة إلىٰ موسىٰ ﴿فِي ٱلۡبُقۡعَةِ﴾: وقرئ بفتح الباء لغتان، وهي القطعة من الأرض بلا شجر، و«من» في ﴿مِنَ ٱلشَّجَرَةِ﴾: كلاهما لابتداء الغاية، أي: ابتداء النداء من جانب الوادي من قبل الشجر، والشط والشاطئ: الجانب، و(من الشجرة) بدل من (شاطئ) لنباتها علىٰ الشاطئ وكانت عوسجًا أو عنابًا ﴿أَنۡ﴾: مفسرة؛ لأنَّ النداء قول، أو مخففة من الثقيلة، أي: نودي بأن ﴿يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّيٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾: لا وقف من ﴿فَلَمَّآ أَتَىٰهَا﴾ إلىٰ ﴿وَأَنۡ أَلۡقِ عَصَاكَۚ﴾: (حس).

﴿وَلَمۡ يُعَقِّبۡۚ﴾: (تا) لم يلتفت.

﴿مِنَ ٱلۡأٓمِنِينَ﴾: (حس).

﴿ ٱسۡلُكۡ يَدَكَ فِي جَيۡبِكَ تَخۡرُجۡ بَيۡضَآءَ مِنۡ غَيۡرِ سُوٓءٖ وَٱضۡمُمۡ إِلَيۡكَ جَنَاحَكَ مِنَ ٱلرَّهۡبِۖ فَذَٰنِكَ بُرۡهَٰنَانِ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ وَمَلَإِيْهِۦٓۚ إِنَّهُمۡ كَانُواْ قَوۡمٗا فَٰسِقِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي قَتَلۡتُ مِنۡهُمۡ نَفۡسٗا فَأَخَافُ أَن يَقۡتُلُونِ ﴿٣٣﴾ وَأَخِي هَٰرُونُ هُوَ أَفۡصَحُ مِنِّي لِسَانٗا فَأَرۡسِلۡهُ مَعِيَ رِدۡءٗا يُصَدِّقُنِيٓۖ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ﴿٣٤﴾ ﴾

﴿تَخۡرُجۡ بَيۡضَآءَ مِنۡ غَيۡرِ سُوٓءٖ﴾: (كا) إن علقت من في ﴿مِنَ ٱلرَّهۡبِۖ﴾: (كا) [ق/ ١٧٧أ] بـ(ولي) أو بـ(مدبرًا)، لم تقف بينهما، فالمعنىٰ: هرب من الخوف، وإن علقتها بـ(اضمم) فالوقف كما رسمت، والمعنىٰ: إذا خفت شيئًا فضم يدك إليك؛ لأنَّ اليد للإنسان كالجناح للطائر، مجاهد: من فزع فردّ جناحه إليه ذهب عنه الروع، أو من ضم يده إلىٰ صدره ذهب عنه الخوف، وروي أنَّه رأىٰ بياض يده فخاف، فأُمر بضمها إليه فعادت كحالها، أو ضم الجناح استعارة للتجلُّد والتثبُّت، أي: إنه أمر بالثبات ثَمَّ، ومعنىٰ: ﴿وَٱضۡمُمۡ يَدَكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ﴾ [طه:٢٢] في طه:

أدخل يمناك [تحت يسراك][(١)]، **القراءة**: بفتح الراء والهاء، وبفتح الراء وسكون الهاء، وبضم الراء وإسكان الهاء لغات كلها في الرهب، ومعناه: الخوف.

﴿فَذَٰنِكَ﴾: **وقرئ**: (فذانيك) بنون مخففة وياء ساكنة بدل من إحدىٰ النونين [ق/ ٢٩٦ب] والمراد اليد والعصا ﴿بُرْهَٰنَانِ﴾: حجتان ومن متعلق بمحذوف أي: مرسلًا ﴿مِن رَّبِّكَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦٓ﴾: (كا) وسميت الحجة برهانًا لوضوحها من امرأة برهرهة، كررّت عينها ولامها وهي البيضاء الشابة التي كأنها ترعد رطوبة، أو البرهان أوكد الأدلة، وهو الذي يقتضي الصدق أبدًا.

﴿فَٰسِقِينَ﴾: (حس): **القراءة**: ﴿مَعِيَ رِدْءًا﴾ حال ﴿يُصَدِّقُنِيٓ﴾ رفعًا صفة لـ(ردءًا)؛ لأنَّ الجمل تكون صفات للنكرة، وحالًا من المعرفة، أو حال، و«الردء» المعين، أي: معينًا مصدقًا وجزمًا جوابًا لأرسله، ومعنىٰ تصديق هارون موسىٰ إعانته إياه في محل النظر والمجادلة إن احتاج إليه لتثبُت دعواهما، لا أن يقول له: صدقت، أو للجماعة صدق أو صدِّقوه، يؤيد هذا قوله قبل: ﴿هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا﴾؛ لأن ذلك يقدر عليه الفصيح وغيره، ويجوز أنَّه طلب هارون ليكون شاهدًا معه علىٰ أن هذا من عند الله، فيكونان كالشاهدين في إثبات الحكم، يؤكد هذا ما قرئ: (ردءًا يصدقوني)، وقول مقاتل: إنما طلب هارون ليصدقهما فرعون.

﴿قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَٰنًا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا ۚ بِـَٔايَٰتِنَآ أَنتُمَا وَمَنِ ٱتَّبَعَكُمَا ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿٣٥﴾ فَلَمَّا جَآءَهُم مُّوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَا بَيِّنَٰتٍ قَالُوا۟ مَا هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّفْتَرًى وَمَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِىٓ ءَابَآئِنَا ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣٦﴾ وَقَالَ مُوسَىٰ رَبِّىٓ أَعْلَمُ بِمَن جَآءَ بِٱلْهُدَىٰ مِنْ عِندِهِۦ وَمَن تَكُونُ لَهُۥ عَٰقِبَةُ ٱلدَّارِ ۖ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٣٧﴾﴾

ومعنىٰ ﴿سَنَشُدُّ عَضُدَكَ﴾: سنقويك ﴿بِأَخِيكَ﴾: لأنَّ الإنسان يقوىٰ بأخيه كقوة اليد بعضدها والعضد بيده، والعضد ما بين المرفق والكتف، ويقال

(١) سقط من ج، والمثبت من أ، ب.

للضعيف: هو يد بلا عضد، قال طرفة[1]:

ابني لبينىٰ لستم بيد إلا يدا ليست لها عضد

وقرئ بسكون الضاد تخفيفًا.

﴿سُلْطَانًا﴾: برهانًا إن علقت ﴿بِآيَاتِنَا﴾: (تا) بمحذوف تقديره: اذهبا إلىٰ فرعون بآياتنا، فلا وقف من (الرهب) إلىٰ هنا، وإن علقتها بـ(نجعل)، أي: نجعل لكما سلطانًا بآياتنا، أو بـ(لا يصلون)، المعنىٰ: تمتنعون منهم بآياتنا، فالوقوف كما رسمت، وكذلك إن جعلتها قسما كزعم، بعضهم: جوابه ﴿فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا﴾ مقدم عليه، وإن علقتها بقوله تعالىٰ: ﴿الْغَالِبُونَ﴾: (حس) الوقف علىٰ (إليكما)، المعنىٰ: لكما ولقومكما الغلبة بآياتنا علىٰ القبط.

والمراد بـ ﴿مَا هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّفْتَرًى﴾: مختلق ما عاينوه من معجز موسىٰ.

ومحل ﴿فِي آبَائِنَا﴾: حال أي كائنًا في زمانهم ﴿الْأَوَّلِينَ﴾: (حس) علىٰ القراءة ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ﴾: بواو كما هي في بعض المصاحف لأنَّه عطف جملة علىٰ جملة، وتام علىٰ القراءة بلا واو كما هي في مصحف آخر استئناف إن قدرت ﴿تَكُونُ﴾: ناقصة فله ﴿عَاقِبَةُ الدَّارِ﴾: (كا) الجملة خبرها، وإن قدرتها تامة فله الجملة حال، المعنىٰ: له العقبىٰ المحمودة ثمَّ، كقوله: ﴿لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ ﴿٢٢﴾ جَنَّاتُ عَدْنٍ﴾ [الرعد:٢٢،٢٣].

﴿إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ﴾: ثَمَّ ﴿الظَّالِمُونَ﴾: (حس) الكافرون هنا.

﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي يَا هَامَانُ عَلَى الطِّينِ فَاجْعَل لِّي صَرْحًا لَّعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَىٰ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٣٨﴾ وَاسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لَا يُرْجَعُونَ ﴿٣٩﴾ فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ ۖ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ ﴿٤٠﴾﴾

(١) «ديوانه» (ص/ ٣٣).

ومعنىٰ ﴿فَأَوْقِدْ لِي يَٰهَٰمَٰنُ عَلَى ٱلطِّينِ﴾: اجعله جصًّا وهو أول من عمله ﴿فَٱجْعَل لِّي صَرْحًا﴾: قصرًا عاليًا ﴿لَّعَلِّيٓ أَطَّلِعُ﴾: أصعد ﴿إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ﴾: عليه فأقتله.

﴿وَإِنِّي لَأَظُنُّهُۥ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾: (حس) في أنَّ له إلهًا غيري، يقول هذا جهلًا وتمويهًا علىٰ قومه.

القراءة: ﴿يُرْجَعُونَ﴾: (حس) بفتح الياء وكسر الجيم، وبضم الياء وفتح الجيم، فبنىٰ قصرًا، قالوا: فصَعِده فرعون فرمىٰ بنشابة فعادت ملطوخة بالدم فتنة لفرعون، فقال: قتلت إله موسىٰ، فضرب جبريل الصرح بجناحه فقطعه ثلاث قطع، وقعت قطعة علىٰ عسكره فقتلت ألف ألف رجل، وأخرىٰ في البحر، وأخرىٰ في المغرب.

﴿فِي ٱلْيَمِّ﴾: (كا).

﴿ٱلظَّٰلِمِينَ﴾: (حس) قال ﷺ حكاية عن الله تعالىٰ: «**الكبرياء ردائي، والعظمة إزاري، فمن نازعني واحدًا منهما ألقيته في النار**»[1].

﴿وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا يُنصَرُونَ ﴿٤١﴾ وَأَتْبَعْنَٰهُمْ فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا لَعْنَةً ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ هُم مِّنَ ٱلْمَقْبُوحِينَ ﴿٤٢﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَهْلَكْنَا ٱلْقُرُونَ ٱلْأُولَىٰ بَصَآئِرَ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٤٣﴾﴾

﴿وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً﴾: رؤساءً ﴿يَدْعُونَ إِلَى﴾: عمل أهل ﴿ٱلنَّارِ﴾: وثَمَّ ﴿لَا يُنصَرُونَ﴾: (كا) من العذاب ﴿وَأَتْبَعْنَٰهُمْ فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا لَعْنَةً﴾: (كا) إن لم تعطف ﴿وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾: علىٰ موضع في هذه، أي: وأتبعناهم في يوم القيامة ﴿مِّنَ ٱلْمَقْبُوحِينَ﴾: [(كا)][2] المبعدين .

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٠٩٠)، وابن ماجة (٤١٧٤)، وأحمد (٧٣٧٦)، وابن حبان(٣٢٨)، والحاكم(٢٠٣)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٨١٥٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) في أ، ب: (تا) والمثبت من ج.

﴿بَصَآئِرَ﴾ حال من (الكتاب)، جمع بصيرة وهي نور القلب كالبصر نور العين، المعنىٰ: آتينا موسىٰ التوراة بعد هلاك من تقدمه أنوارًا للقلوب.

﴿وَهُدَى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾: (تا).

﴿وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلْغَرْبِيِّ إِذْ قَضَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَى ٱلْأَمْرَ وَمَا كُنتَ مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٤٤﴾ وَلَٰكِنَّآ أَنشَأْنَا قُرُونًا فَتَطَاوَلَ عَلَيْهِمُ ٱلْعُمُرُ وَمَا كُنتَ ثَاوِيًا فِىٓ أَهْلِ مَدْيَنَ تَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِنَا وَلَٰكِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ﴿٤٥﴾ وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا وَلَٰكِن رَّحْمَةً مِّن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٤٦﴾﴾

﴿وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ﴾: المكان ﴿ٱلْغَرْبِيِّ﴾: من موسىٰ وهو الذي كان فيه الميقات ﴿إِذْ قَضَيْنَآ﴾: أي عهدنا ﴿إِلَىٰ مُوسَى ٱلْأَمْرَ﴾: بالرسالة إلىٰ فرعون ﴿وَمَا كُنتَ مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾: ثمَّ فتخبر بما جرىٰ ﴿وَلَٰكِنَّآ﴾: أوحينا إليك ذلك، وأوحينا إليك أنا ﴿أَنشَأْنَا قُرُونًا﴾ بعد موسىٰ ﴿فَتَطَاوَلَ عَلَيْهِمُ ٱلْعُمُرُ﴾: (كا) فطالت أعمارهم فنسوا ما عهد إليهم من الإيمان بمحمد ﷺ ﴿ثَاوِيًا﴾: مقيمًا ﴿فِىٓ أَهْلِ مَدْيَنَ﴾.

ومحل ﴿تَتْلُواْ عليهم﴾: علىٰ أهل مكة ﴿ءَايَٰتِنَا﴾: الجملة حال من ضمير (ثاويًا)، المعنىٰ: لم تشاهد ما تقدمك فتخبر به أهل مكة ﴿وَلَٰكِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ﴾: (تا) لك وإليك بأخبار المتقدمين ﴿بِجَانِبِ ٱلطُّورِ﴾: الجبل ﴿إِذْ نَادَيْنَا﴾: موسىٰ أن خذ الكتاب بقوة ﴿وَلَٰكِن﴾ [ق/ ٢١١ جـ]: رحمناك وأرسلناك ﴿رَّحْمَةً﴾: أي للرحمة، وقرئ بالرفع، أي: هي رحمة.

﴿لِتُنذِرَ قَوْمًا﴾: هم أهل مكة ﴿مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ﴾: لأنَّ أهل مكة لم يجئهم نذير قبل محمد ﷺ، أو هو عام، فالمراد أيام الفترة ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾.

﴿وَلَوْلَآ أَن تُصِيبَهُم مُّصِيبَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَيَقُولُواْ رَبَّنَا لَوْلَآ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ ءَايَٰتِكَ وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾ فَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ مِنْ عِندِنَا قَالُواْ لَوْلَآ أُوتِىَ مِثْلَ مَآ أُوتِىَ مُوسَىٰٓ أَوَلَمْ يَكْفُرُواْ بِمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُ قَالُواْ سِحْرَانِ تَظَٰهَرَا وَقَالُوٓاْ إِنَّا بِكُلٍّ كَٰفِرُونَ ﴿٤٨﴾

قُلْ فَأْتُوا۟ بِكِتَٰبٍ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ هُوَ أَهْدَىٰ مِنْهُمَآ أَتَّبِعْهُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٤٩﴾ فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكَ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَآءَهُمْ ۚ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٠﴾ ﴾

﴿وَلَوْلَآ أَن تُصِيبَهُم مُّصِيبَةٌۢ﴾: عقوبة ﴿بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ﴾: من المعاصي، والفاء في ﴿فَيَقُولُوا۟ رَبَّنَا﴾: عاطفة؛ لأنَّ لولا هذه امتناعية محذوفة الجواب، وقوله: ﴿لَوْلَآ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا﴾: ينذرنا، والفاء في ﴿فَنَتَّبِعَ ءَايَٰتِكَ﴾: جواب (لولا) هذه؛ لأنها تحضيض، والفاء تدخل جوابًا للأمر، والتحضيض فيه معنىٰ الأمر، والواو في ﴿وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾: (حس) عاطفة علىٰ (فنتبع)، المعنىٰ: لولا أنهم يحتجون علينا بترك الإرسال إليهم لعاجلناهم بالعقوبة، تلخيصه: فعلنا ذلك لنزول حجتهم، نحو: ﴿لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ ۚ﴾ [النساء:١٦٥].

﴿فَلَمَّا جَآءَهُمُ﴾: أي كفار مكة ﴿ٱلْحَقُّ﴾: محمد والقرآن ﴿مِنْ عِندِنَا قَالُوا۟﴾: أي كفار مكة ﴿لَوْلَآ أُوتِىَ﴾: هلا أعطي محمد ﴿مِثْلَ مَآ أُوتِىَ مُوسَىٰٓ ۚ﴾: (حس) من الآيات والتوراة جملة واحدة، ثم وبخ هؤلاء بكفر أولئك، فقال: ﴿أَوَلَمْ يَكْفُرُوا۟﴾: أي: الذين كفروا في زمن موسىٰ؛ لأنَّ مذهب هؤلاء مذهب أولئك، وعنادهم عنادهم، فهم مثلهم في الكفر، فإذا كفر أولئك مع مشاهدة آيات موسىٰ، فهؤلاء أولىٰ بالكفر؛ لأنهم أعتىٰ، أو هو توبيخ للعرب، الحسن [1]: كان للعرب أصل في أيام موسىٰ، فالمعنىٰ: أو لم يكفر آباء العرب ﴿بِمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ﴾: من التوراة ﴿مِن قَبْلُ ۖ﴾: (كا) من قبل القرآن.

القراءة: ﴿سِحْرَانِ تَظَٰهَرَا﴾: (كا) تثنية سحر والمراد التوراة، أو الإنجيل والقرآن، أو التوراة والإنجيل، المعنىٰ: كل واحد من الكتابين سحر، وهو يعين السحر الآخر، أي: هما سحر، أو وصفا بالسحر مبالغة، وساحران تثنية ساحر

(١) انظر «الكشاف» (٣/ ٤٢٠).

والمراد موسىٰ ومحمد عليهما الصلاة والسلام، فهذا قول العرب لأنهم سألوا اليهود عنه [ق/ ٢٩٧ب] ﷺ فأخبروهم أنَّه صادق، وأنَّ نعته وصفته عندهم، أو المراد موسىٰ وهارون، فهذا قول من لم يؤمن بهما في زمانهما، أو عيسىٰ ومحمد، فهذا قول من لم يؤمن بهما من اليهود، وقرئ: (تظَّاهرا) مشددًا، تلخيصه: إنهم كذبوا الرسل ﴿وَقَالُوٓاْ إِنَّا بِكُلٍّ﴾: منهم ومن كتبهم ﴿كَٰفِرُونَ﴾: (حس).

﴿أَتَّبِعۡهُ﴾: جواب﴿ فَأۡتُواْ بِكِتَٰبٖ مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِ هُوَ أَهۡدَىٰ مِنۡهُمَآ ﴾.

﴿إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ﴾: (حس) في قولكم.

ولمَّا كان فأتوا أمرًا والأمر يقتضي الإجابة قال: ﴿فَإِن لَّمۡ يَسۡتَجِيبُواْ لَكَ﴾: دعاءك إلىٰ الإتيان بكتاب.

﴿فَٱعۡلَمۡ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهۡوَآءَهُمۡۚ﴾: في كفرهم، ﴿وَمَنۡ﴾: استفهام نفي، ومحل ﴿بِغَيۡرِ هُدٗى﴾: حال، المعنىٰ: لا أحد أضل ممن اتبع هواه مخذولًا ﴿مِّنَ ٱللَّهِۚ﴾: (كا).

﴿ٱلظَّٰلِمِينَ﴾: (تا).

﴿ ۞ وَلَقَدۡ وَصَّلۡنَا لَهُمُ ٱلۡقَوۡلَ لَعَلَّهُمۡ يَتَذَكَّرُونَ ٥١ ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلِهِۦ هُم بِهِۦ يُؤۡمِنُونَ ٥٢ وَإِذَا يُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِهِۦٓ إِنَّهُ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّنَآ إِنَّا كُنَّا مِن قَبۡلِهِۦ مُسۡلِمِينَ ٥٣ أُوْلَٰٓئِكَ يُؤۡتَوۡنَ أَجۡرَهُم مَّرَّتَيۡنِ بِمَا صَبَرُواْ وَيَدۡرَءُونَ بِٱلۡحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ٥٤ ﴾

القراءة: ﴿وَصَّلۡنَا لَهُمُ ٱلۡقَوۡلَ﴾: مشددًا، وقرئ مخففا، أي: بينا للكفار القرآن وأحكامه متواصلًا ﴿لَعَلَّهُمۡ يَتَذَكَّرُونَ﴾: (تا) الأدلة فيؤمنون.

ونزل في علماء المؤمنين مبتدأ ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلِهِۦ﴾: من قبل القرآن، وخبر (الذين): ﴿هُم بِهِۦ﴾: بمحمد أو القرآن ﴿يُؤۡمِنُونَ﴾: (حس) لأنَّه مذكور في كتبهم.

﴿وَإِذَا يُتْلَىٰ﴾: القرآن ﴿عَلَيْهِمْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِهِۦٓ﴾: (كا).

﴿مِن قَبْلِهِۦ﴾: من قبل نزول القرآن ﴿مُسْلِمِينَ﴾: (تا) مؤمنين بمحمد ﷺ ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾: مبتدأ خبره ﴿يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ﴾: في موضع المصدر، والمرة عبارة عن الضعف، أي: يضعف لهم أجرهم ضعفين لإيمانهم بالكتاب الأول والآخر ﴿بِمَا صَبَرُواْ﴾: بصبرهم على العمل بالشريعتين، أو نزلت فيمن أسلم فأوذي، قال ﷺ: **«ثلاثة يُؤتون [أجورَهم][1] مرتين، رجلٌ كانت له جاريةٌ فأدبَّها فأحسن [تأديبها][2] ثم أعتقها وتزوجها، ورجل من أهلِ الكتابِ آمن بكتابِه وآمن بمحمدٍ، وعبدٍ أحسنَ عبادة الله ونصحَ لسيده»**[3].

﴿وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ﴾: هي شهادة أن لا إله إلا الله ﴿ٱلسَّيِّئَةَ﴾: الشرك، أو يدفعون بالعفو الأذىٰ والشتم.

﴿وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ﴾: في الطاعة ﴿يُنفِقُونَ﴾: (كا).

ونزل فيمن أسلم وأوذي:

﴿ وَإِذَا سَمِعُواْ ٱللَّغْوَ أَعْرَضُواْ عَنْهُ وَقَالُواْ لَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِي ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٥٥﴾ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَآءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿٥٦﴾ وَقَالُوٓاْ إِن نَّتَّبِعِ ٱلْهُدَىٰ مَعَكَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنَآ أَوَلَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ حَرَمًا ءَامِنًا يُجْبَىٰٓ إِلَيْهِ ثَمَرَٰتُ كُلِّ شَيْءٍ رِّزْقًا مِّن لَّدُنَّا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٧﴾ وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍۭ بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا فَتِلْكَ مَسَٰكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَن مِّنۢ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا وَكُنَّا نَحْنُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٥٨﴾ ﴾

﴿وَإِذَا سَمِعُواْ ٱللَّغْوَ﴾: أي الشتم والأذىٰ من المشركين ﴿أَعْرَضُواْ عَنْهُ وَقَالُواْ﴾: أي للاعنين ﴿لَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ﴾: [فكل مطالب بعمله ﴿سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ﴾][4] أي لا نعارضكم في شيء ما؛ لأنَّا ﴿لَا نَبْتَغِي ٱلْجَٰهِلِينَ﴾: (تا)

(١) في أ، ب: أجرهم، والمثبت من ج.

(٢) في أ، ب: أدبها، والمثبت من ج.

(٣) أخرجه البخاري(٢٤٠٩) من حديث أبي موسىٰ الأشعري رضي الله عنه.

(٤) سقط من ج، والمثبت من أ، ب.

مخاطبين لئلا نكون مثلهم، نحو: ﴿ وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ﴾، وهذا نسخ بآية السيف (١).

---

(١) قال النحاس: للعلماء فيه أربعة أقوال:

منهم من قال: هي منسوخة بالنهي عن السلام على الكفار.

ومنهم من قال: هي منسوخة بالأمر بالقتال.

ومنهم من تأولها فأباح السلام على الكفار.

والقول الرابع: إن هذا قول جميل ومخاطبة حسنة وليس من جهة السلام ولا نسخ فيه.

قال أبو جعفر: فالقول الأول يحتج قائله بما صح عن رسول الله ﷺ في الكفار «**لا تبدؤوهم بالسلام**» قال: ففي هذا نسخ .

قال أبو جعفر: وهذا القول وإن كان قد صح عن رسول الله ﷺ في الكفار «**لا تبدؤوهم بالسلام**» فهو غلط لأن الآية ليست من هذا في شيء، وإنما هي من المتاركة كما يقول الرجل للرجل: دعني بسلام تستعمله العرب للمتاركة .

والقول الثاني: إنها منسوخة بالأمر بالقتال قول جماعة من العلماء وقد بينا ذلك في قوله ﷻ : ﴿ وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا﴾ [الفرقان: ٦٣].

والقول الثالث قول من أباح السلام على الكفار غلط لأن هذه الآية ليست من السلام في شيء إنما هي من التسلم والمتاركة، وحظر السلام على الكفار واجب بكتاب الله عز وجل وسنة رسوله ﷺ قال الله جل وعز: ﴿وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىٰ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلْهُدَىٰٓ ﴾ [طه: ٤٧] وكذا كتب رسول الله ﷺ إلى قيصر والسلام على من اتبع الهدى.

والقول الرابع: إنها مخاطبة حسنة قول حسن قال ابن زيد: «هؤلاء قوم من أهل الكتاب أسلموا فكانوا يمرون على قوم من أهل الكتاب يقرؤون شيئا قد بدلوه من التوراة قد وقفوا هم على ذلك فيعرضون عنهم» وقال مجاهد : «**أسلم قوم من أهل الكتاب فكان المشركون يؤذونهم وكانوا يصفحون عنهم ويقولون سلام عليكم**» قال أبو جعفر: أصل اللغو في اللغة الباطل وما يجب أن يلغى ويطرح ومعنى أعرضوا عنه لم يصغوا إليه ولم يستمعوا ويدلك على صحة قول مجاهد أن بعده: ﴿ لَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ ﴾ [القصص: ٥٥] أي قد رضينا بأعمالنا لأنفسنا ورضيتم بأعمالكم لأنفسكم ﴿سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ ﴾ [القصص: ٥٥] أي أمنة لكم منا أنا لا نحاوركم ولا نسابكم ﴿لَا نَبْتَغِى ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ [القصص: ٥٥] لا نطلب عمل أهل الجهل.«الناسخ والمنسوخ» (ص/ ٦١١).

قالوا: ونزل لمَّا حرص النبي ﷺ علىٰ إيمان أبي طالب ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ﴾: (حس) .

ونزل فيمن لم يسلم خوفًا من الكفار ﴿وَقَالُوٓاْ إِن نَّتَّبِعِ ٱلْهُدَىٰ مَعَكَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنَآ ۚ﴾: [(كا)][1] فنزل توبيخًا لهم ﴿أَوَلَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ حَرَمًا ءَامِنًا﴾: يأمنون فيه العدو والخسف مع كفرهم فكيف لو أسلموا؟!

القراءة: ﴿يُجْبَىٰٓ﴾: [بالياء والتاء][2]، وقرئ: (يجنىٰ) من الجنا، وأصل ثلاثتها الجمع، المعنىٰ: تجمع ﴿إِلَيْهِ ثَمَرَٰتُ كُلِّ شَىْءٍ﴾: ومن كل أوبٍ ﴿رِّزْقًا﴾ [ث/ ١٧٨ أ] : مفعول له، أو مصدر يدل عليه (تجبىٰ)؛ لأنَّ معنىٰ (تجنىٰ) إليه ترزق، وإن جعلت (رزقًا) بمعنىٰ مرزوق نصبته حالًا من (ثمرات) لتخصصها بالإضافة، كنصبك الحال عن النكرة المتخصصة بالصفة، وقرئ: (ثُمُرات) بضمتين، تلخيصه: آمناهم في الحرم ورزقناهم من كل الثمرات.

﴿لَا يَعْلَمُونَ﴾: (تا) وتنصب ﴿مَعِيشَتَهَا ۖ﴾: علىٰ حذف الجار بعد إيصال الفعل إليها كـ﴿ وَٱخْتَارَ مُوسَىٰ قَوْمَهُۥ ﴾ [الأعراف:١٥٥]، أو ظرفًا نحو: زيد ظني حسنٌ، أو لتضمن (بطرت) معنىٰ كفرت، أو علىٰ حذف الزمان كمقدم الحاج، أي: بطرت زمان معيشتها، وأصل البطر دهشٌ يعتري من سوء احتمال النعمة والقيام بحقها قريب من الطرب، وجميع المستعمل من «ب ط ر» وتعكيسه يشمله معنىٰ النمو والحركة، ابن عطاء: غاصّوا في البطر فأكلوا [أرزاق][3] الله وعبدوا الأصنام.

﴿فَتِلْكَ مَسَٰكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَن مِّنۢ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا ۖ﴾: ساعة أو يومًا للمسافرين، أو خربت بعدهم ﴿وَكُنَّا نَحْنُ ٱلْوَٰرِثِينَ﴾: [(تا)][4] جميع المخلوقات.

---

(١) سقط من أ، ب، والمثبت من ج.
(٢) في أ، ب تقديم وتأخير.
(٣) في أ، ب: رزق، والمثبت من ج.
(٤) سقط من ج، والمثبت من أ، ب.

﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِىٓ أُمِّهَا رَسُولًا يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِنَاۚ وَمَا كُنَّا مُهْلِكِى ٱلْقُرَىٰٓ إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَٰلِمُونَ ﴿٥٩﴾ وَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَىْءٍ فَمَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتُهَاۚ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٠﴾ أَفَمَن وَعَدْنَٰهُ وَعْدًا حَسَنًا فَهُوَ لَٰقِيهِ كَمَن مَّتَّعْنَٰهُ مَتَٰعَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ثُمَّ هُوَ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ مِنَ ٱلْمُحْضَرِينَ ﴿٦١﴾﴾

﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ﴾: في كل زمان ﴿حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِىٓ أُمِّهَا﴾: أم القرىٰ التي هيٰ قصبتها واعتمادها ﴿رَسُولًا﴾: ينذرهم؛ لأنَّ الرسل إنما تبعث غالبًا إلىٰ الأشراف، وهم غالبًا يسكنون المدن، أو أم القرىٰ مكة فالمراد بـ﴿رَسُولًا﴾ محمد ﷺ.

﴿يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِنَاۚ﴾: (تا) ترغيبًا وترهيبًا، وهذا إعلام بكمال تفضله تعالىٰ حيث لم يهلكهم إلا بعد إعلامهم ﴿وَمَا كُنَّا مُهْلِكِى ٱلْقُرَىٰٓ إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَٰلِمُونَ﴾: (تا).

﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَىْءٍ فَمَتَٰعُ﴾: أي فالمأتىٰ متاع ﴿ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتُهَاۚ﴾: (كا) تلخيصه: جميع لذاتكم وأنتم إلىٰ فناء ﴿وَمَا عِندَ ٱللَّهِ﴾: من الإكرام والتفضل ﴿خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓۚ﴾ **القراءة:** ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾: (تا) ذلك فتؤمنون، بالتاء والياء، فبعد ذكر الحياة الدنيا وما عند الله وتفاوتها عقَّبه بالفاء مدخلًا عليها همزة الاستفهام وهو ما نزل في النبي ﷺ وأبي جهل، أو في حمزة وعلي وأبي جهل، أو في المؤمن والكافر ﴿أَفَمَن وَعَدْنَٰهُ وَعْدًا حَسَنًا﴾: هو الجنة، أو النصر ﴿فَهُوَ لَٰقِيهِ﴾: أي مصيبه ﴿كَمَن مَّتَّعْنَٰهُ مَتَٰعَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ تقديره: أبعد هذا التفاوت يساوي بين أبناء الدنيا والآخرة، في الحديث: «**من كانت الدنيا همَّه جعل اللهُ فقره بين عينيه، ولم يأته من الدنيا إلا ما قُدِّر له، وما كانت الآخرةُ همَّه جعل الله الغنىٰ في قلبه وأتته الدنيا وهي راغمة**»(١)، و(ثم) لتراخي أحوال الإحضار في ﴿ثُمَّ هُوَ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ مِنَ

(١) أخرجه الترمذي (٢٤٦٥)، والطبراني في «المعجم الأوسط» (٥٩٩٠) من حديث أنس ابن مالك رضي الله عنه.

﴿ٱلۡمُحۡضَرِينَ﴾: (حس) النار، وقرئ: (ثم هو) بسكون الهاء تخفيفا كعضد في عضد حملوا المنفصل على المتصل، تلخيصه: لا نساوي بين المؤمن والكافر.

﴿وَيَوۡمَ يُنَادِيهِمۡ فَيَقُولُ أَيۡنَ شُرَكَآءِيَ ٱلَّذِينَ كُنتُمۡ تَزۡعُمُونَ ﴿٦٢﴾ قَالَ ٱلَّذِينَ حَقَّ عَلَيۡهِمُ ٱلۡقَوۡلُ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَغۡوَيۡنَآ أَغۡوَيۡنَٰهُمۡ كَمَا غَوَيۡنَاۖ تَبَرَّأۡنَآ إِلَيۡكَۖ مَا كَانُوٓاْ إِيَّانَا يَعۡبُدُونَ ﴿٦٣﴾ وَقِيلَ ٱدۡعُواْ شُرَكَآءَكُمۡ فَدَعَوۡهُمۡ فَلَمۡ يَسۡتَجِيبُواْ لَهُمۡ وَرَأَوُاْ ٱلۡعَذَابَۚ لَوۡ أَنَّهُمۡ كَانُواْ يَهۡتَدُونَ ﴿٦٤﴾ وَيَوۡمَ يُنَادِيهِمۡ فَيَقُولُ مَاذَآ أَجَبۡتُمُ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴿٦٥﴾﴾

ومفعولا ﴿تَزۡعُمُونَ﴾: (كا) محذوفان، أي: أين شركائي الذين تزعمونهم شركائي، والمراد بمن ﴿حَقَّ عَلَيۡهِمُ ٱلۡقَوۡلُ﴾: رؤوس الكفر، أو الشياطين، أو المعنى: وجب عليهم العمل بمقتضى القول، وهو: ﴿لَأَمۡلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلۡجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجۡمَعِينَ﴾ [هود:١١٩] ﴿هَٰٓؤُلَآءِ﴾: مبتدأ صفته ﴿ٱلَّذِينَ أَغۡوَيۡنَآ﴾: أي دعوناهم إلى الغي، والعائد على [(الذين)][1] محذوف، وخبر المبتدأ ﴿أَغۡوَيۡنَٰهُمۡ﴾: والكاف في ﴿كَمَا﴾ صفة مصدر محذوف، أي: أغويناهم فغووا غيًّا مثل ما ﴿غَوَيۡنَاۖ﴾: (كا) أو (هؤلاء) مبتدأ و(الذين أغويناهم) صفة لمحذوف وهو خبر المبتدأ، تقديره: هؤلاء هم الذين أغوينا، و(أغويناهم) مستأنف، فينبغي أن يوقف على (أغوينا)، المعنى: أضللناهم كما ضللنا، لم نكرههم على الغي، إنما غووا باختيارهم مع تسويلنا لهم، كقوله: ﴿وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيۡكُم مِّن سُلۡطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوۡتُكُمۡ فَٱسۡتَجَبۡتُمۡ لِيۖ﴾ [إبراهيم:٢٢] ﴿تَبَرَّأۡنَآ إِلَيۡكَۖ﴾: منهم ومن كفرهم، فصرنا أعداء وكذبوا علينا ﴿مَا كَانُوٓاْ إِيَّانَا يَعۡبُدُونَ﴾: (حس) [ق/ ٢٩٨ب] إنما عبدوا أهواءهم ﴿وَقِيلَ﴾: لعُبَّادِ غير الله تعالى توبيخًا وتهديدًا ﴿ٱدۡعُواْ شُرَكَآءَكُمۡ﴾: أي الأصنام لتخلصكم من العذاب.

﴿فَدَعَوۡهُمۡ فَلَمۡ يَسۡتَجِيبُواْ لَهُمۡ﴾: لم يجيبوهم بنفع، وجواب (لو) بعد محذوف

(١) في أ، ب: الذي، والمثبت من ج.

تقديره: ﴿لَوْ أَنَّهُمْ كَانُواْ يَهْتَدُونَ﴾: (حس) لما اتبعوهم في الدنيا ولما رأوا العذاب في الأخرىٰ، ولما بكتوا علىٰ تكذيب ﴿ٱلْمُرْسَلِينَ﴾: (كا).

﴿ فَعَمِيَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَنۢبَآءُ يَوْمَئِذٍ فَهُمْ لَا يَتَسَآءَلُونَ ﴿٦٦﴾ فَأَمَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَعَسَىٰٓ أَن يَكُونَ مِنَ ٱلْمُفْلِحِينَ ﴿٦٧﴾ وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٨﴾ وَرَبُّكَ يَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٦٩﴾ وَهُوَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ لَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْأُولَىٰ وَٱلْءَاخِرَةِ وَلَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٧٠﴾ ﴾

﴿فَعَمِيَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَنۢبَآءُ﴾ أي: انسدت عليهم طرق الأخبار بالاعتذار ﴿يَوْمَئِذٍ فَهُمْ لَا يَتَسَآءَلُونَ﴾: (كا) بل يسكتون حيرة وانقطاعًا، أو هذا في موطن دون موطن، وإذا شُدِهَ الرسل عن الجواب حيث يقولون: ﴿سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ ﴾ [البقرة:٣٢]، فما ظنك بالكفار، ثبتك الله تعالىٰ وإيانا ثَمَّ.

﴿فَأَمَّا مَن تَابَ﴾: من الكفر ﴿وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَعَسَىٰٓ أَن يَكُونَ مِنَ ٱلْمُفْلِحِينَ﴾: (تا) الناجين، ونزل جوابًا لما قيل: ﴿ لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴾ [الزخرف:٣١]: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ﴾ (تا) إن جعلت «ما» نفيًا في ﴿مَا كَانَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ﴾ (تا) المعنىٰ: ليس لهم أن يختاروا شيئًا ما، وقرئ بإسكان ياء (خيرة)، وإن جعلت (ما كان لهم) بيانًا لـ(يختار) لم تقف عليها، أو «ما» بمعنىٰ الذي والعائد محذوف، تقديره: ما كان لهم فيه الخيرة، فحذف «فيه»، وإن علقت «ما» بما قبل لم تقف علىٰ (يختار)، والصحيح أنَّه تام مختار ﴿سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ (تا).

﴿وَمَا يُعْلِنُونَ﴾: (تا).

﴿إِلَّا هُوَ﴾: (حس) [ق/ ٢١٢ جـ].

﴿لَهُ ٱلْحَمْدُ﴾: أي هو مستحقه في الدارين.

﴿وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾: (تا).

﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِضِيَآءٍ أَفَلَا تَسْمَعُونَ ﴿٧١﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلنَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٧٢﴾ وَمِن رَّحْمَتِهِۦ جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾﴾

﴿ٱلَّيْلَ سَرْمَدًا﴾: مفعولًا ثانيًا لـ(جعل)، أو حالًا و(إلىٰ) متعلق بـ(جعل)، أو بـ(سرمدا)، والسرمد المتصل، من سردت الحديث اتبعت بعضه بعضًا، ومنه ثلاثة سرد وواحد فرد، ووزنه فعل، المعنىٰ: نجعله ليلًا دائمًا بلا نهار.

﴿إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِضِيَآءٍ﴾: [(تا) لبعض:][1] بنهار تطلبون فيه معاشكم ﴿أَفَلَا تَسْمَعُونَ﴾: (تا) سماع تدبر، وقرن بالضياء السمع؛ لأنَّ السمع يدرك ما لا يدرك البصر.

﴿تَسْكُنُونَ فِيهِ﴾: (كا).

﴿أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾: (حس) قدرة الله تعالىٰ فتوحدون، وقرن بسكون الليل البصر، قالوا: لأنَّ غيرك يبصر من منفعة الظلام ما تبصر أنت من السكون.

﴿وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾: (حس) تلخيصه: رحمكم وعاقب بين الليل والنهار للسكنىٰ ولطلب الرزق ولإرادة الشكر.

﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٧٤﴾ وَنَزَعْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا فَقُلْنَا هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ فَعَلِمُوٓا۟ أَنَّ ٱلْحَقَّ لِلَّهِ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿٧٥﴾﴾

﴿تَزْعُمُونَ﴾: (تا) وكررت هذه الآية لزيادة توبيخ الكفار، وللإيذان أن لا شيء أعظم من الإشراك.

﴿وَنَزَعْنَا﴾: [أي][2] وأخرجنا ﴿مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا﴾ هو رسولها يشهد عليها

---

(١) سقط من ج، والمثبت من أ، ب.

(٢) سقط من ج، والمثبت من أ، ب.

﴿فَقُلْنَا هَاتُواْ بُرْهَٰنَكُمْ﴾: حجتكم أنَّ لله شريكًا، فعجزوا ﴿فَعَلِمُوٓاْ أَنَّ ٱلْحَقَّ﴾: أي التوحيد ﴿لِلَّهِ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ﴾ [(كـا)][1] يدعون تخرصًا، من ألوهية غير الله تعالىٰ.

﴿ ۞ إِنَّ قَٰرُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ وَءَاتَيْنَٰهُ مِنَ ٱلْكُنُوزِ مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلْعُصْبَةِ أُوْلِي ٱلْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُۥ قَوْمُهُۥ لَا تَفْرَحْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ ﴿٧٦﴾ وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْأٓخِرَةَ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِي ٱلْأَرْضِ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٧٧﴾ قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِيٓ أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِۦ مِنَ ٱلْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا وَلَا يُسْـَٔلُ عَن ذُنُوبِهِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٧٨﴾ ﴾

كان قارون ﴿مِن قَوْمِ مُوسَىٰ﴾: أو ابن عمته أو خالته، ولم ينصرف لتعريفه وعجمته، آمن بموسىٰ واتبعه وكان يلقب «المنور» لحسن صورته، وكان يقرأ التوراة من قلبه، وكان عاملًا لفرعون.

﴿فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ﴾: علىٰ بني إسرائيل بظلمه وكفره وكثرة ماله وكِبره، وعلىٰ موسىٰ بمخالفته وتكذيبه، و«ما» موصولة في ﴿مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ﴾: وإن واسمها وخبرها والمتصل بها صلتها، ومحلها نصب مفعول ثان لـ(آتينا).

ومعنىٰ ﴿لَتَنُوٓأُ بِٱلْعُصْبَةِ﴾: لتثقل العصبة، فالباء للتعدية، كـ«ناء به الحملُ»، وإناءة كإضاعة، ونحوه: ذهب به وأذهبه بمعنىٰ، أو هو مقلوب، أي: لتنوء بها العصبة من ناء بكذا نهض به مثقلًا، وقرئ: (لينوء) مذكرًا ذهب إلىٰ واحد المفاتح وأراد به الجنس فذكَّر، المعنىٰ: إنَّ خزائن قارون كثرت فاتخذ لها مفاتح من جلود، كل مفتاح قدرُ أصبع، فكانت تثقل الأمة القوية، وكانت الأمة ما بين [العشرة][2] إلىٰ السبعين، أو كانت وِقر ستين بغلًا، وتنصب بـ(تنوء).

﴿إِذْ قَالَ لَهُۥ قَوْمُهُۥ﴾: بنو إسرائيل، أو موسىٰ وحده ﴿لَا تَفْرَحْ﴾: بحطام الدنيا،

---

(١) في أ، ب: (تا)، والمثبت من ج.

(٢) سقط من ج، والمثبت من أ، ب.

أو لا تبطر، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ﴾: (تا) البطرين بالمال ولم يشكروا علىٰ ما أعطوا، أو لا يفرح بالدنيا إلا من رضيها وسكن إليها، فأما من همه الآخرة ويعلم أنَّه مفارق عن قريب فلا يفرح بها، سهل: من فرح بغير مفروح استجلب حزنًا لا انقضاء له، وقرئ: (الفارحين).

﴿وَٱبْتَغِ﴾: واقصد ﴿فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ﴾: من الأموال ﴿ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ﴾: بأن تخرج الأموال في الطاعة هنا فتنال الأجر ثمَّ، و«ما» مصدرية، أو موصولة محلها نصب حال، أي: منقلبًا فيما أتاك.

﴿وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ﴾: أي ما تحتاج إليه ﴿مِنَ ٱلدُّنْيَا﴾: تأخذه وتخرج الباقي، الحسن[(١)]: أمر أن يقدم الفضل ويمسك ما يغنيه، أو المعنىٰ: لا تغتر بالدنيا ولا تسكن إليها؛ فإنها لم تدم علىٰ أحد ولم تفِ له، في الحديث: **«اغتنم خمسًا قبل خمس: شبابك قبل هرمك، وصحتك قبل سقمك، وغناك قبل فقرك، وفراغك قبل شغلك، وحياتك قبل موتك»**[(٢)].

﴿وَأَحْسِن﴾: فيما افترض عليك.

﴿كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ﴾: أو المعنىٰ: أعط فضل مالك كما زادك علىٰ قدر الحاجة .

﴿وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ﴾: لا تعص؛ لأنَّ من عصىٰ الله تعالىٰ فقد طلب الفساد.

﴿فِي ٱلْأَرْضِ﴾: (كا).

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾: (كا).

﴿قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ﴾: أي: المال ﴿عَلَىٰ عِلْمٍ﴾: حال ﴿عِندِيٓ﴾: [(كا)][(٣)] صفة

---

(١) انظر «تفسير البغوي» (٣/ ٥٤٤) .

(٢) أخرجه الحاكم(٧٨٤٦) ، والبيهقي في «شعب الإيمان» (١٠٢٤٨) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما .

(٣) سقط من ج، والمثبت من أ، ب.

(علم)، المعنىٰ: أوتيته مستحقًّا لما فيَّ من العلم، قالوا: كان أعلم بني إسرائيل بالتوراة، أو أراد العلم بوجوه المكاسب كالزراعة وغيرها، أو علم الكيمياء، قالوا: كان موسىٰ يعلم الكيمياء فعلَّمه أخته فعلمته قارون، وزعموا أنَّه علَّم يوشع بن نون ثلثه، وكالبَ بن يوفنا ثلثه، وقارون ثلثه، فخدعهما فأضاف علمهما إلىٰ علمه، فزعموا أنَّه كان يأخذ الرصاص والنحاس فيجعلهما ذهبًا، ومتعاطي هذا العلم كثير كذبه، فلا يلتف إليهم ولا يصدقون؛ لأنهم يغرون ويخدعون ويزعمون أنهم يعلمون، سهل: ما نظر أحد إلىٰ نفسه فأفلح، ولا ادعىٰ حالًا لنفسه فتم، والسعيد من انصرف نظره عن أفعاله وأقواله [ق/ ١٧٩أ]، والشقي من زين في عينه أفعاله وأقواله وافتخر بها.

إن علقت ﴿مِنَ ٱلْقُرُونِ﴾ بـ(أهلك) فـ«من» لابتداء الغاية، ويجوز جعلها حالًا من ﴿مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً﴾: (كا) بالعُدد والعَدد والجسد ﴿وَأَكْثَرُ جَمْعًا﴾: (كا) للمال، وهذا توبيخ لقارون؛ لأنَّه كان قد علم حال من تقدم وهلاكه فلم ينزجر، وجوز بعضهم أن يكون نفيًا لعلمه؛ لأنَّه ادعىٰ العلم ولم يعلم علمًا نفىٰ به عن نفسه الهلاك، ولمَّا كان قارون من الهالكين المجرمين ذكرهم بعده، فقال: ﴿وَلَا يُسْـَٔلُ عَن ذُنُوبِهِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ﴾: (تا) لعلمه تعالىٰ بهم، بل يدخلون النار بلا حساب، أو لا تسألهم الملائكة سؤال استعلام بل سؤال [ق/ ٢٩٩ب] توبيخ، وقرئ: (لا يَسألُ المجرمون) معلومًا، أي: لا يسألون غيرهم عن عقوبة ذنوبهم لاعترافهم بها، وقرئ: (المجرمين) الفاعل الله تعالىٰ.

﴿ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ فِى زِينَتِهِۦ ۖ قَالَ ٱلَّذِينَ يُرِيدُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا يَـٰلَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَآ أُوتِىَ قَـٰرُونُ إِنَّهُۥ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٧٩﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَـٰلِحًا وَلَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلصَّـٰبِرُونَ ﴿٨٠﴾ فَخَسَفْنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُۥ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُنتَصِرِينَ ﴿٨١﴾ ﴾

﴿فِى زِينَتِهِۦ﴾: حال من فاعل (خرج) علىٰ قومه علىٰ بغلة شهباء عليها سُرج

ذهبٍ بأربعة آلاف علىٰ زيه عليهم وعلىٰ خيولهم الديباج الأحمر، وعن يمينه ثلاثمائة غلام، وعن يساره ثلاثمائة جارية عليهم الحلي والديباج، أو في تسعين ألفًا عليهم المعصفرات وهو أول يوم رؤي فيه المعصفر، فتمنىٰ محبو الدنيا ﴿مِثْلَ مَآ أُوتِىَ قَٰرُونُ﴾: من المال، وهذا هو الغبطة، قتادة[1]: تمنوا ليتقربوا به إلىٰ الله تعالىٰ وينفقوه في الخير، أو كانوا كفارًا.

﴿إِنَّهُۥ لَذُو حَظٍّ﴾: جد وبخت ﴿عَظِيمٍ﴾: (تا) أصل «ويل» الدعاء بالهلاك، ثم استعمل في الزجر، والمراد بـ ﴿ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ﴾: الزاهدون في الدنيا الذين عرفوا الأشياء كما هي، المعنىٰ: قال العالمون لغابطي قارون: ﴿وَيْلَكُمْ﴾: نصب بمحذوف، أي: ألزمكم ويلكم ﴿ثَوَابُ ٱللَّهِ﴾: علىٰ الطاعة ﴿خَيْرٌ لِّمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا﴾: (كا) إن جعلت ﴿وَلَا يُلَقَّىٰهَآ﴾: من كلام العلماء، وتام إن جعلته من كلام الله تعالىٰ، وقرئ بفتح الياء مخففًا، المعنىٰ: لا يُرزق الأعمال الصالحة أو الجنة ﴿إِلَّا ٱلصَّٰبِرُونَ﴾: (تا) علىٰ الطاعة وعن المعصية، وسبب هلاك قارون أنَّه بغىٰ علىٰ موسىٰ بأن أُوحي إليه أن مر بني إسرائيل أن يعلقوا في أرديتهم خيوطًا أربعةً خضرًا علىٰ لون السماء، يذكرون إذا رأوها أنَّ كلامي نزل منها، قال موسىٰ: ألا تأمرهم [بجعلها كلها][2] خضرًا؛ فإنهم يحقرون هذه الخيوط، فقال: يا موسىٰ، إن الصغير من أمري ليس بصغير، وإن هم لم يطيعوني في الصغير لم يطيعوني في الكبير، فأمرهم ففعلوا وامتنع قارون، ولمَّا عبروا البحر جعل موسىٰ الحبورة والقربان في هارون، فقال: يا موسىٰ، تذهب بالرسالة وهارون بالقربان والحبورة، فما يبقىٰ لي وأنا أقرأ بني إسرائيل للتوراة؟ ليس لي علىٰ هذا صبر. فقال موسىٰ: هو من الله تعالىٰ، فقال له: لا أصدقك حتىٰ تأتي علىٰ ذلك بآية، فأمر موسىٰ أشراف قومه بوضع عصيهم في بيت، ففعلوا وباتوا يسحرونها، فأصبحت عصا

---

(١) انظر: «الكشاف» (٣/ ٤٣٢).

(٢) في ج: بجعلهم كلهم، والمثبت من أ، ب.

هارون مُوَرِّقةً خضراء، فقال قارون: ما هذا بأعجب مما تصنع من السحر. واعتزل موسىٰ وجعل يداريه وهو لا يلتفت إليه لما بينهما من القرابة، ولمَّا نزلت الزكاة صالحه موسىٰ علىٰ أن يعطيه من كل ألف درهم درهمًا، وكذلك الذهب وبقية الأمول، فجمعها فرآها جملةً عظيمةً فمنعها وقال لبني إسرائيل: إنَّ موسىٰ يريد أخذ أموالكم، فقالوا: أنت كبيرنا، فمرنا بما شئت، فقال: جيئوا بفلانة البغي، فجيء بها [فجعل لها ألف دينار، أو جعلها من جملة نسائه إن قذفت موسىٰ بنفسها، فأجابتهم][1] فجمع قارون الناس [من الغد][2] في براز من الأرض، وقال لموسىٰ: اخرج إليهم ومرهم وانهم، فخرج وقام وقال: من سرق قطعنا يده، ومن افترىٰ جلدناه ثمانين [جلدة][3]، ومن زنىٰ وليست له امرأة جلدناه مائة جلدة، وإن كانت له امرأة رجمناه حتىٰ يموت. فقال قارون: وإن كنت أنت؟ فقال: وإن كنت أنا، فقال: فإنَّ بني إسرائيل يزعمون أنك فجرت بفلانة، فقال: ادعوها، فإن هي قالت فهو كما قالت، فلمَّا جاءت قال لها موسىٰ: أنا فعلت بك ما يقول هؤلاء؟ وعظم عليها ذلك وقال: بالذي فلق البحر وأنزل التوراة إلا صدقت، فوقفها الله تعالىٰ فقالت في نفسها: أُحدِثُ توبة بعد أن أوذي رسول الله؟! لا، كذبوا، ولكن قارون جعل لي جعلًا علىٰ أن أقذفك بنفسي، فخر موسىٰ إذ ذاك ساجدًا يبكي ويقول: اللهم إن كنت رسولك فاغضب لي، فأوحىٰ الله تعالىٰ إليه: إني قد أمرت الأرض أن تطيعك، فمرها بما شئت، فقال: من كان مع قارون فليثبت معه، ومن كان معي فليعتزل قارون. فاعتزلوه كلهم، أو إلا رجل أو رجلان، فقال: يا أرض خذيهم، فأخذتهم إلىٰ الركب، ثم قال: يا أرض خذيهم، فأخذتهم إلىٰ الأعناق وقارون وأصحابه في كل حالة من تلك الأحوال يناشدون موسىٰ الله والرحم، روي أنَّه ناشده سبعين مرة وهو لا يلتفت إليه لشدة غضبه،

---

(١) سقط من ج، والمثبت من أ، ب.

(٢) سقط من ج، والمثبت من أ، ب.

(٣) سقط من أ، ب، والمثبت من ج.

قال: يا أرض خذيهم، فانطبقت عليهم.

﴿فَخَسَفْنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُۥ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾: (كـا) من دون عذابه، فأُوحي إلىٰ موسىٰ: ما أغلظ قلبك، أو ما أفَظَّك، استغاث بك سبعين مرة فلم تغثه، فوعزتي وجلالي لو استغاث بي مرة واحدة لأغثته .

﴿وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُنتَصِرِينَ﴾: (تـا) الممتنعين من عذابنا، روي أنَّه خسفت به الأرض إلىٰ الأرض السفلىٰ، أو أنَّه يتجلجل في الأرض كلَّ يوم قامة الرجل ولا يبلغ قعرها إلىٰ يوم القيامة، ولمَّا خسف به قالوا: إنما دعا عليه ليستبد بأمواله، فدعا موسىٰ فخُسف بجميع أمواله.

﴿ وَأَصْبَحَ ٱلَّذِينَ تَمَنَّوْاْ مَكَانَهُۥ بِٱلْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيْكَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ لَوْلَآ أَن مَّنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا وَيْكَأَنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٢﴾ تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٨٣﴾ مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيْرٌ مِّنْهَا وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى ٱلَّذِينَ عَمِلُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ إِلَّا مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٨٤﴾ ﴾

فثمَّ تعجب ﴿ٱلَّذِينَ تَمَنَّوْاْ مَكَانَهُۥ﴾ [ق/ ٢١٣جـ]: أي: منزلته من الدنيا ﴿بِٱلْأَمْسِ﴾: بالوقت القريب منهم، استعارة هنا؛ لأنَّ أمس عبارة عن اليوم الذي قبل يومك، وتنبهوا علىٰ خطاياهم وقالوا: ﴿وَيْكَأَنَّ﴾: كتبت موصولة لكثرة الاستعمال؛ لأنَّ أصلها «وي» تعجب، والكاف متصلة بـ«أن» عند البصري، ولذلك فتحت الهمزة فصار معناها الندامة والتنبيه علىٰ الخطأ، أو معناها الترحم بلغة حمير، وعند الكوفي أنَّ «ويك» بمعنىٰ «ويلك»، ومعناها: ألم تر، وسألت أعرابية عن ابنها، فقيل: ويكأنَّه وراء الباب، أي: أما ترينه وراء الباب، فبعضهم يقف علىٰ (ويكأن)، أو يكأنه موصولة اتباعًا للمصحف، وبعض علىٰ «ويك» ويبتدئ «أن»، وبعض علىٰ «وي» ويبتدئ «كأن»، وليست الوقوف هنا اختيارية، ومعنىٰ ﴿وَيَقْدِرُ﴾: يضيق ﴿لَوْلَآ أَن مَّنَّ ٱللَّهُ﴾: وقرئ: (لولا منَّ الله علينا)، القراءة: ﴿لَخَسَفَ بِنَا﴾: بفتح الخاء والسين الفاعل الله تعالىٰ، وبضم الخاء وكسر السين

مجهولًا، وقرئ: (لا نخسف) كـ«انقطع» و(لتُخسف) مجهولان، تلخيصه: إنهم لما تحققوا هلاك قارون ندموا على تمنيهم وقالوا: ﴿وَيْكَأَنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾: [(تا)][1] كقارون.

﴿تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ﴾: أي: الجنة ﴿نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا﴾: بغيًا ﴿فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا﴾: (حس) عملًا بالمعاصي [ق/ ٣٠٠ب]، عن علي [2]: إن الرجل ليُعجبه أن يكون شراك نعله أجود من شراك [نعل][3] صاحبه، فيدخل تحتها، وعنه أنها نزلت في أهل التواضع من الولاة وأهل القدرة، وعن عمر بن عبد العزيز أنَّه كان يرددها حتى قبض، أو العلو الإقبال على الناس والرضا بما يأتي، والفساد السكون إلى الأفعال والأقوال، وزعم بعضهم أنَّ العلو لفرعون والفساد لقارون، ومن لم يك مثلهما فله الدار الآخرة، وهذا تعليل فاسد.

﴿وَٱلْعَٰقِبَةُ﴾: المحمودة ﴿لِلْمُتَّقِينَ﴾: (حس).

﴿إِلَّا مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾: (تا)

﴿إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ ۚ قُل رَّبِّىٓ أَعْلَمُ مَن جَآءَ بِٱلْهُدَىٰ وَمَنْ هُوَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٨٥﴾ وَمَا كُنتَ تَرْجُوٓا۟ أَن يُلْقَىٰٓ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبُ إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۖ فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيرًا لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٨٦﴾ وَلَا يَصُدُّنَّكَ عَنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بَعْدَ إِذْ أُنزِلَتْ إِلَيْكَ ۖ وَٱدْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ ۖ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٨٧﴾ وَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ ۘ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ ۚ لَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٨﴾﴾

نزل ﷺ الجحفة بعد خروجه من الغار فاشتاق لمكة، فنزل ﴿إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ﴾: أي أوجب عليك العمل به وإبلاغه ﴿لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ﴾: إلى مكة؛ لأنَّه كان قد خرج منها، أو إلى الجنة؛ لأنَّ آدم كان فيها فأخرج فرد ولده إليها،

(١) سقط من ج، والمثبت من أ، ب.
(٢) أخرجه الطبري في «تفسيره» (١٩/ ٦٣٨).
(٣) سقط من ج، والمثبت من أ، ب.

ويقال عاد فلان إلىٰ كذا، وإن لم يكن له فيه سابقة، ولمَّا وُعِدَ ﷺ بالعود إلىٰ مكة بعد قول المشركين له: ﴿إِنَّكَ إِذًا لَّفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ نزل ﴿قُل رَّبِّىٓ أَعْلَمُ مَن جَآءَ﴾ يعني: نفسه ﴿بِٱلْهُدَىٰ وَمَنْ هُوَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾: (تا) يعني الكفار، تلخيصه: هو أعلم بالفريقين فيجازي كلًّا بعمله، ﴿إِلَّا رَحْمَةً﴾ متصل، أي: وما ألقي عليك الكتاب ﴿إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ﴾: (كا) أو منقطع، أي: لكن رحمك فأعطاك القرآن ﴿فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيرًا لِّلْكَٰفِرِينَ﴾: (تا).

﴿وَلَا يَصُدُّنَّكَ﴾ وقرئ: (يصُدنك) من «أصده» بمعنىٰ «صده»، قال[(١)]:

أناس أصدُّوا الناسَ بالسيفِ عنهم صدودَ السواقي عن أنوفِ الحوايم

المعنىٰ: لا يصرفنك ﴿عَنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بَعْدَ إِذْ أُنزِلَتْ﴾: أي بعد وقت إنزالها ﴿إِلَيْكَ﴾: وإذ تضاف إلىٰ الزمان كحينئذ ﴿مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾: (حس).

﴿إِلَٰهًا ءَاخَرَ﴾: (كا).

﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾: (تا).

﴿كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾: (تا) إلا إياه؛ لأنَّ الوجه يعبّر به عن الذات، أو إلا ما أريد به وجهه، فإنَّ ثوابه باقٍ، أو المعنىٰ: كل شيء يجوز عليه الهلاك يهلك، القراءة: ﴿وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾: (تا) [بالتاء خطابًا][(٢)]، وقرئ: بالياء.

---

(١) القائل هو ذو الرمة، والبيت في «ديوانه» (ص/ ٧٧١).

(٢) في أ، ب: خطابًا بالتاء، والمثبت من ج.

سورة (العنكبوت)

مكية أو إلىٰ عشر منها مكي وباقيها مدني أو بالعكس، وهي تسع وستون أو سبعون آية .

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿الٓمٓ ﴿١﴾ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴿٢﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٣﴾ أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن يَسْبِقُونَا سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٤﴾ مَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ ٱللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ لَأٓتٍ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٥﴾﴾

ونزل فيمن أوذي [ق/ ١٨٠أ]، أو هلك في الله ﴿الٓمٓ﴾: (تا) ﴿أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ﴾: الآيات العشر، والساد مسد مفعولي حسب ﴿أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن﴾: أي لأن ﴿يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا﴾ الجملة.

﴿وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾ (تا) بالقتل والتعذيب والأمر والنهي، المعنىٰ: أحسبوا تركهم غير مفتونين لأجل قولهم: آمنا حسب ولا يمتحنون بما يظهر إيمانهم؟ كلا، تلخيصه: لابد من امتحانهم، وإذا أحب الله عبدًا جعله للبلاء غرضاً ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾: (كا) كالأنبياء والأولياء، فمنهم من نشر بالمنشار، وعُذب بأنواع العذاب فلم ينصرف عن دينه ﴿فَلَيَعْلَمَنَّ﴾: فليظُهرن ﴿ٱللَّهُ﴾: بالامتحان ﴿ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ﴾: في إيمانهم.

﴿وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾: (كا) فيه، تلخيصه: فليظهرن الصادق من الكاذب في الإيمان، فيثيب الصادق ويعاقب الكاذب، وقرئ: (وليُعلِمُن) من الإعلام، أي: ليُعرفنهم اللهُ الناسَ من هم بأن يسمهم بعلامة يعرفون بها، و«أن» والمتصل بها في ﴿أَن يَسْبِقُونَا﴾: سدت مسد مفعولي (أم حسب)، و«أم» للإضراب، المعنىٰ: أظن

المسيئون أنهم يفوتونا فلا نقدر علىٰ الانتقام منهم ﴿سَآءَ مَا يَحۡكُمُونَ﴾: (تا) والمخصوص بالذم محذوف، أي: بئس حكمًا يحكمونه حكمهم هذا، وإن جعلت «ما» موصولة أو نكرة موصوفة أو مصدرية فمحلها رفع فاعل (ساء).

﴿مَن كَانَ يَرۡجُواْ لِقَآءَ ٱللَّهِ﴾: أي يأمل ثوابه ويخشىٰ حسابه ﴿فَإِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ﴾ المضروب للثواب والعقاب ﴿لَأٓتٖۚ﴾: (كا) قطعًا.

﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ﴾: (حس) فلا يفوته شيء ما، فبادروا العمل قبل الفوت، أيقظكم الله وإيانا من رقدة الغافلين.

﴿وَمَن جَٰهَدَ فَإِنَّمَا يُجَٰهِدُ لِنَفۡسِهِۦٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٦ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنۡهُمۡ سَيِّـَٔاتِهِمۡ وَلَنَجۡزِيَنَّهُمۡ أَحۡسَنَ ٱلَّذِي كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ٧ وَوَصَّيۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيۡهِ حُسۡنٗاۖ وَإِن جَٰهَدَاكَ لِتُشۡرِكَ بِي مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٞ فَلَا تُطِعۡهُمَآۚ إِلَيَّ مَرۡجِعُكُمۡ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ٨ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُدۡخِلَنَّهُمۡ فِي ٱلصَّٰلِحِينَ ٩﴾

﴿وَمَن جَٰهَدَ﴾: جهاد حرب أو جهاد نفس ﴿فَإِنَّمَا يُجَٰهِدُ لِنَفۡسِهِۦٓۚ﴾: [(حس)][1] حسب؛ لأنَّ ثواب جهاده مختصٌ به ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾: (تا) وعن جهادهم؛ لأنه لا حاجة به إلىٰ شيء ما، ومعنىٰ ﴿لَنُكَفِّرَنَّ عَنۡهُمۡ سَيِّـَٔاتِهِمۡ﴾: لنبطلنها بسترها وترك العقوبة عليها ﴿وَلَنَجۡزِيَنَّهُمۡ أَحۡسَنَ ٱلَّذِي كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾: (تا) تلخيصه: نتجاوز عن السيئات ونضاعف الحسنات، ونزل في سعد ابن أبي وقاص وأمه حين امتنعت من الأكل والشرب ليكفر، فقال: والله لو كان لك مائة نفس فخرجت نفسًا نفسًا ما كفرت.

﴿وَوَصَّيۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيۡهِ حُسۡنٗاۖ﴾: نصب بـ(وصينا)، أو وصيناه بإيتاء والديه حسنًا، أي: يفعل بهما فعلًا ذا حُسن، أو هو في نفسه حسن لفرط حسنه، وحكم «وصىٰ» حكم «أمر» في المعنىٰ والتصرف، ومنه: وصىٰ إبراهيم بنيه، ووصيت

---

(١) في أ، ب: (كا) والمثبت من ج.

زيدًا بعمرو، أمرته بتعهده ومراعاته، وإن نصبت (حسنًا) بمضمر تقديره: أولِهِمَا حُسنًا، نحو: زيدًا، أي: أضرب زيدًا، كفى الوقف على (والديه).

﴿وَإِن جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ﴾: أنَّه إله ﴿فَلَا تُطِعْهُمَآ﴾: (كا) في ذلك، في الحديث: «**لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق**»[1] .

﴿تَعْمَلُونَ﴾: (تا) المعنى: تبعثون فأخبركم بأعمالكم وأجازيكم عليها، والمؤمنون الصالحون ﴿لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِي ٱلصَّٰلِحِينَ﴾: (تا) ثم ندخلهم جميعًا الجنة، والصالحون الأنبياء والأولياء وكل من صلحت سريرته مع الله تعالى.

﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ فَإِذَآ أُوذِيَ فِي ٱللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ ٱلنَّاسِ كَعَذَابِ ٱللَّهِ وَلَئِن جَآءَ نَصْرٌ مِّن رَّبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ ۚ أَوَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِي صُدُورِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠﴾ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ ﴿١١﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّبِعُوا۟ سَبِيلَنَا وَلْنَحْمِلْ خَطَٰيَٰكُمْ وَمَا هُم بِحَٰمِلِينَ مِنْ خَطَٰيَٰهُم مِّن شَىْءٍ ۖ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿١٢﴾ ﴾

ونزل فيمن ارتد بعد إيمانه زعم خوفًا ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ فَإِذَآ أُوذِيَ فِي ٱللَّهِ﴾: أي طاعته والإسلام ﴿جَعَلَ فِتْنَةَ﴾: أي عذاب ﴿ٱلنَّاسِ﴾: إياه هنا ﴿كَعَذَابِ ٱللَّهِ﴾: ثمَّ، المعنى: ساوى بين العذابين فخاف العاجل وأهمل الآجل.

﴿وَلَئِن جَآءَ نَصْرٌ﴾: دولة للمؤمنين ﴿مِّن رَّبِّكَ لَيَقُولُنَّ﴾: أي المرتدون ﴿إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ﴾: (حس) على دينكم ولكنا أكرهنا على الكفر، فقال تعالى تكذيبًا لهم ﴿أَوَ لَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِي صُدُورِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾: (كا) من الإيمان والكفر ﴿وَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾: حقيقة ﴿وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ﴾: (تا) في إيمانهم، فإنهم لم يصبروا على الأذى وارتدوا، وقال الكافرون ﴿لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّبِعُوا۟ سَبِيلَنَا وَلْنَحْمِلْ﴾: ولنرفع عنكم ﴿خَطَٰيَٰكُمْ﴾: (حس) أو معنى (نحمل) نكفل، المعنى: نكفل لكم أن لا تبعة عليكم، ونرفع عنكم إثم خطاياكم [ق/ ٣٠١ب] ثمَّ.

---

(١) أخرجه أحمد (٢٠٦٧٢)، والطبراني في «المعجم الكبير» (١٨/ ١٧٠) حديث(٣٨١)، وفي «الأوسط» (٤٣٢٢) من حديث عمران بن حصين رضي الله عنه.

القراءة: بإسكان لام و(لنحمل) أمر معطوف علىٰ (اتبعوا)، أو أمروا نفوسهم بالحمل مبالغة في الالتزام بالحمل، الفراء: هو أمر بمعنىٰ الجزاء، أي: إن اتبعتم سبيلنا حملنا خطاياكم، وقرئ بكسر اللام، تلخيصه: نحمل آثامكم ثَمَّ، فأُكذبوا بقوله: ﴿وَمَا هُم بِحَٰمِلِينَ مِنْ خَطَٰيَٰهُم﴾: حال ﴿مِّن شَيْءٍ﴾: مفعول حامل، و«من» زائدة، تقديره: بحاملين شيئًا من خطاياهم، وربما أقدم علىٰ مثل هذا بعض الجهلة حتىٰ يقول لمثله: افعل ما شئت وإثمه في عنقي، أو هذا قول صناديد قريش حيث قالوا لأتباعهم: إنا وأنتم لا نبعث، ولئن بعثنا لنحملن آثامكم عنكم.

﴿إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ﴾: (حس) فيما زعمون لأنهم يعلمون أنهم لا يقدرون علىٰ ذلك.

﴿ وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَّعَ أَثْقَالِهِمْ وَلَيُسْـَٔلُنَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَمَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿١٣﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ ٱلطُّوفَانُ وَهُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿١٤﴾ فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَصْحَٰبَ ٱلسَّفِينَةِ وَجَعَلْنَٰهَآ ءَايَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٥﴾ ﴾

﴿وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ﴾: [أوزارهم بسبب كفرهم (وأثقالًا)][(١)] من أوزار مقلديهم؛ لأنهم أضلوهم ﴿مَّعَ أَثْقَالِهِمْ﴾: (كا).

﴿وَلَيُسْـَٔلُنَّ﴾: سؤال توبيخ ﴿يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَمَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ﴾: (تا) يكذبون علىٰ الله تعالىٰ، بقي نوح في قومه ﴿أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا﴾: ينذرهم ويخوفهم ولا يلتفتون إليه، وهب: كان عمره ألفًا وأربعمائة سنة، وفسر العدد بـ«سنة» ثم بـ«عام» استثقالًا لتكرير لفظ واحد بلا فائدة، ولما جيء بقصة نوح تهويلًا لما جرىٰ عليه من قومه ذكر الألف أولًا ليكون أفخم في أذن السامع، ثم أخرج منها الخمسين إيضاحًا لمجموع العدد، ولما بقي نوح في قومه هذه المدة الطويلة ينصحهم وهم يؤذونه أُذن له في الدعاء عليهم.

---

(١) سقط من ج، والمثبت من أ، ب.

﴿فَأَخَذَهُمُ ٱلطُّوفَانُ﴾: هو الماء الكثير فغرقوا ﴿وَهُمْ ظَٰلِمُونَ﴾: [(كا)][1] مشركون ﴿فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَصْحَٰبَ ٱلسَّفِينَةِ وَجَعَلْنَٰهَآ﴾ أي: العقوبة أو السفينة ﴿ءَايَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾: (تا) .

﴿ وَإِبْرَٰهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ ۖ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٦﴾ إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَٰنًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَٱبْتَغُوا۟ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزْقَ وَٱعْبُدُوهُ وَٱشْكُرُوا۟ لَهُۥٓ ۖ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَإِن تُكَذِّبُوا۟ فَقَدْ كَذَّبَ أُمَمٌ مِّن قَبْلِكُمْ ۖ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٨﴾ ﴾

إن نصبت ﴿وَإِبْرَٰهِيمَ﴾: بمضمر، أي: واذكر، ولا أحبه إن نصبته عطفًا على مفعول أنجيناه، وقرئ برفعه، أي: وممن أرسلنا إبراهيم [ق/ ٢١٤ جـ] ﴿وَٱتَّقُوهُ﴾: (كا).

﴿ذَٰلِكُمْ﴾: أي العمل بالتقوى ﴿خَيْرٌ لَّكُمْ﴾: من الكفر ﴿إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾: (حس) إن كان لكم علم تستدلون به على الإيمان.

﴿وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا﴾: [(تا)][2] تقولون كذبًا، أو تصنعون أصنامًا فتسمونها آلهة، وقرئ: (تختلقون) و(تخلقون) من خلق بمعنى التكثير، وتخلقون من تخلق بمعنى تكذب، وإفكًا كلعب وزنًا مصدر أفك، أو صفة على فعل، أي: ذا إفك، وتنكيره الرزق ثم تعريفه مؤذن أنهم لا يرزقون شيئًا من الرزق ﴿وَٱشْكُرُوا۟ لَهُۥٓ﴾: (تا) قالوا: وأراه كافيًا.

﴿إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾: (تا).

﴿وَإِن تُكَذِّبُوا۟ فَقَدْ كَذَّبَ أُمَمٌ مِّن قَبْلِكُمْ﴾: (تا) رسولهم فأهلكناهم ﴿وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ﴾: (تا).

---

(١) سقط من ج، والمثبت من أ، ب.

(٢) سقط من ج، والمثبت من أ، ب.

﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ (١٩) قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنْشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٢٠) يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَيَرْحَمُ مَنْ يَشَاءُ وَإِلَيْهِ تُقْلَبُونَ (٢١) ﴾

القراءة: ﴿أَوَ لَمْ يَرَوْا﴾: بالتاء والياء ﴿كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ﴾: يخلقه ابتداءً نطفة ثم علقة ثم مضغة ثم شخصًا سويًّا ثم يميته ﴿ثُمَّ يُعِيدُهُ﴾: (كا) حيًّا وقت البعث.

﴿إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾: (تا).

﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ﴾: أي خلقه ابتداء علىٰ غير مثال ﴿ثُمَّ اللَّهُ يُنْشِئُ﴾: جملة معطوفة علىٰ ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا كَيْفَ﴾، فينبغي ألَّا يتم الوقف علىٰ ﴿يَسِيرٌ﴾ بل يحسن.

القراءة: ﴿النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ﴾: (كا) مدًا وقصرًا هنا والواقعة والنجم لغتان كالرأفة والرآفة، والمعنىٰ: إذا قدر علىٰ بدء الخلق أولًا فهو علىٰ إنشائه وإحيائه بعد الموت أقدر.

﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾: (تا).

﴿يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ﴾: بالكفر وشتات الأمر، ﴿وَيَرْحَمُ مَنْ يَشَاءُ﴾: (كا) بالإيمان وجمع الشمل كما يشاء، لا معترض ولا مفترض عليه تعالىٰ علاؤه وشأنه ﴿وَإِلَيْهِ تُقْلَبُونَ﴾: (حس) تردون.

﴿ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ (٢٢) وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَلِقَائِهِ أُولَئِكَ يَئِسُوا مِنْ رَحْمَتِي وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٢٣) فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا اقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ فَأَنْجَاهُ اللَّهُ مِنَ النَّارِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (٢٤) وَقَالَ إِنَّمَا اتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا مَوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُمْ بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُمْ بَعْضًا وَمَأْوَاكُمُ

ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٢٥﴾ ﴾

﴿وَمَآ أَنتُم بِمُعۡجِزِينَ﴾: الله، فإن هربتم ﴿فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا﴾: تعجزونه ﴿فِي ٱلسَّمَآءِۖ﴾: (كا) إن تحصنتم بها، تلخيصه: لا مخلص لكم من الله تعالىٰ، نحو: ﴿أَيۡنَمَا تَكُونُواْ يُدۡرِككُّمُ ٱلۡمَوۡتُ﴾ [النساء:٧٨].

﴿وَلَا نَصِيرٍ﴾: (تا) إن جعلت مِن (وإن تكذبوا) إلىٰ ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٌ أليم﴾: (حس) من كلام إبراهيم، فالمراد بالأمم قبلهم شيث وإدريس وغيرهما، قالوا: وعاش إدريس قبل ارتفاعه ألف سنة ينذر قومه وآمن به ألف نفس بعدد سنينه، ويكون قوله: ﴿قُلۡ سِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ من كلام الله تعالىٰ حكاه إبراهيم، وإن جعلت هذه الآيات تذكيرًا وإنذارًا لقريش فهي اعتراض في قصة إبراهيم، ثم رجع إلىٰ قصته فقال: ﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوۡمِهِۦٓ﴾ أي: قوم إبراهيم حين دعاهم إلىٰ الإيمان ﴿إِلَّآ أَن قَالُواْ ٱقۡتُلُوهُ أَوۡ حَرِّقُوهُ﴾: (كا).

﴿فَأَنجَىٰهُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلنَّارِۚ﴾: (كا).

﴿لِّقَوۡمٍ يُؤۡمِنُونَ﴾ (حس).

القراءة: ﴿إِنَّمَا ٱتَّخَذۡتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَوۡثَٰنًا مَّوَدَّةَ﴾: رفعًا ونصبًا بلا تنوين وجر ﴿بَيۡنِكُمۡ﴾: إضافة ونصبًا منونًا ونصب (بينكم)، فـ(مودة) علىٰ قراءة الرفع خبر «إن» اسمها «ما»، وهي بمعنىٰ الذي، والعائد محذوف و(أوثانًا) مفعول ثان، أو حال تقديره: إن الذي اتخذتموه من دون الله أوثانًا مودة، أي: مودودة، أو سبب مودة بينكم، فلا وقف علىٰ (أوثانًا) لئلا يفصل بين «إن» وخبرها، أو خبر مبتدأ، أي: هي مودة فتقف علىٰ أوثانًا إن لم تجعل هي مودة صفتها، ولا تقف علىٰ (أوثانًا) علىٰ قراءة النصب لنصبك (مودة) مفعول (اتخذ)، كاتخذت زيدًا خليلًا، و«ما» كافة، أو مصدرية، أو مفعول له تقديره [ق/ ٨١أ] : إنما اتخذتم أوثانًا للمودة، أي: لتتوادوا، وقرئ برفعها منونة، فالتنوين علىٰ الأصل والإضافة اتساع، فمن نون نصب (بينكم)، وقرئ: (مودة بينكم) بفتح بينكم مع الإضافة،

نحو: (لقد تقطع بينكم) ففتح (بينكم)، وهو فاعل إن علقت.

﴿فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ﴾: (كا) عند أبي حاتم بـ(اتخذتم) فـ«ما» كافة، فلا وقف بينهما، وكذلك إن علقتها بـ(مودة) أو (بينكم).

وقرئ: (أوثانًا إنما مودة بينكم في الحياة الدنيا) أي: إنما تودونها، أو تتوادون لها في الحياة الدنيا ﴿ثُمَّ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ يَكۡفُرُ بَعۡضُكُم بِبَعۡضٍ﴾: تتبرأ الأصنام والقادة من عابديها وأتباعها ﴿وَيَلۡعَنُ بَعۡضُكُم بَعۡضًا﴾: يلعن الأتباع القادة ﴿وَمَأۡوَىٰكُمُ﴾: أيها العابد والمعبود والتابع والمتبوع.

﴿ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّٰصِرِينَ﴾: (كا).

﴿ ۞ فَـَٔامَنَ لَهُۥ لُوطٞۘ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّيٓۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ٢٦ وَوَهَبۡنَا لَهُۥٓ إِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَجَعَلۡنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلۡكِتَٰبَ وَءَاتَيۡنَٰهُ أَجۡرَهُۥ فِي ٱلدُّنۡيَاۖ وَإِنَّهُۥ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ٢٧﴾

ثمَّ ﴿فَـَٔامَنَ لَهُۥ﴾: لإبراهيم ﴿لُوطٞۘ﴾: لمَّا رأىٰ النار لا تحرقه، وهو أول من آمن به ﴿وَقَالَ﴾ إبراهيم: ﴿إِنِّي مُهَاجِرٌ﴾: من كُوثَىٰ من سواد الكوفة إلىٰ حران ثم الشام، وهو أول من هاجر ومعه لوط وسارة، وهاجر وهو ابن خمس وستين، أو سبعين سنة، ومنه قيل: لكل نبي هجرة ولإبراهيم هجرتان، ومعنىٰ ﴿إِلَىٰ رَبِّيٓۖ﴾: إلىٰ حيث أمرني بالهجرة إليه، أو مهاجرًا إليه بالطاعة وقهر النفس ﴿ٱلۡحَكِيمُ﴾ (حس) [ق/ ٣٠٢ب] ﴿وَوَهَبۡنَا لَهُۥٓ إِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ﴾: ولم يذكر إسماعيل لدلالة ﴿وَجَعَلۡنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ ٱلنُّبُوَّةَ﴾ عليه؛ لأنَّه لم يبعث من بعده نبي إلا من ذريته، وإسماعيل منهم.

﴿وَٱلۡكِتَٰبَ﴾: المراد به التوراة والإنجيل [والزبور](1) والقرآن ﴿وَءَاتَيۡنَٰهُ أَجۡرَهُۥ فِي ٱلدُّنۡيَاۖ﴾: (كا) هو الثناء الحسن، والولد الصالح، والصلاة عليه آخر الدهر،

(١) سقط من أ، ب والمثبت من ج.

وكل الملك يحبونه، أو أنه أُري مكانه في الجنة وهو في الدنيا.

﴿وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ﴾: أي مبعوث في زمرتهم، والمراد الأنبياء وأتباعهم صلوات الله تعالىٰ عليهم أجمعين، يحسن الوقف هنا إن لم تعطف علىٰ (وإبراهيم).

﴿ وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلْفَـٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٢٨﴾ أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ ٱلسَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِى نَادِيكُمُ ٱلْمُنكَرَ ۖ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ ٱئْتِنَا بِعَذَابِ ٱللَّهِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ﴿٢٩﴾ قَالَ رَبِّ ٱنصُرْنِى عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٣٠﴾ وَلَمَّا جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَٰهِيمَ بِٱلْبُشْرَىٰ قَالُوٓا۟ إِنَّا مُهْلِكُوٓا۟ أَهْلِ هَـٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ ۖ إِنَّ أَهْلَهَا كَانُوا۟ ظَـٰلِمِينَ ﴿٣١﴾ قَالَ إِنَّ فِيهَا لُوطًا ۚ قَالُوا۟ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَن فِيهَا ۖ لَنُنَجِّيَنَّهُۥ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَـٰبِرِينَ ﴿٣٢﴾ ﴾

﴿ وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلْفَـٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٢٨﴾ أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ ٱلسَّبِيلَ ﴾: طريق المارة؛ لأنهم كانوا يجلسون عليها فمن مر بهم أخذوه فأخبثوا به، والمراد سبيل النسل لعدولهم عن النساء إلىٰ الرجال.

﴿وَتَأْتُونَ فِى نَادِيكُمُ﴾: الندي والنادي مجلس القوم ما داموا فيه، فإذا خرجوا منه فليس بنادٍ، أي: مجلسكم ومتحدثكم ﴿ٱلْمُنكَرَ ۖ﴾: (كا) هو مجامعة بعضهم بعضًا في المجالس، أو كانوا يتضارطون ويبصق بعض علىٰ بعض في المجلس، أو كانوا يجلسون علىٰ الطريق وعند كل واحد قصعة فيها حصا، فمن مر بهم حذفوه، فمن أصابه منهم فهو أحق به فيأخذ ما معه وينكحه ويغرمه ثلاثة دراهم، ولهم قاضٍ يقضي بينهم بذلك، ومنه: «**هو أجورُ من قاضي سدوم**»(١)، وكان من

---

(١) ذكره أبو الفضل النيسابوري في «مجمع الأمثال(١/ ١٩٠) ثم قال: قالوا: سَدُوم - بفتح السين - مدينة من مدائن قوم لوط عليه الصلاة والسلام، قال الأزهري: قال أبو حاتم في كتابه الذي صنفه في المفسد والمذال: إنما هو سذوم بالذال المعجمة، والدال خطأ، قال=

أخلاقهم مضغ العلك، وتطريف الأصابع بالحناء، وفرقعتها، وحل الأزرار، والسباب والفحش رمي البندق واللعب بالحمام، الجنيد: كل شيء يجتمع عليه الناس إلا الذكر منكر.

﴿إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾: (كا) أنَّ العذاب نازل بنا.

﴿ٱنصُرْنِي﴾: بنزول العذاب ﴿عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾: (تا) لحملهم الناس على ما لا يجوز.

﴿بِٱلْبُشْرَىٰ﴾: بالبشارة لإبراهيم بإسحاق ويعقوب، وإضافة ﴿مُهْلِكُوٓاْ أَهْلِ﴾ لم تفد تعريفًا؛ لأنها بمعنى الاستقبال.

﴿هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ﴾: هي سدوم ﴿إِنَّ أَهْلَهَا كَانُواْ ظَٰلِمِينَ﴾: (كا) لكفرهم ومعاصيهم، فثمَّ ﴿قَالَ﴾ إبراهيم مجادلة عن قوم لوط لا إخبارًا: ﴿إِنَّ فِيهَا لُوطًا﴾ قالت الرسل: ﴿لَنُنَجِّيَنَّهُۥ﴾ إلى ﴿مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ﴾: (تا) الباقين في الهلاك.

﴿وَلَمَّآ أَن جَآءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيٓءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالُواْ لَا تَخَفْ وَلَا تَحْزَنْ إِنَّا مُنَجُّوكَ وَأَهْلَكَ إِلَّا ٱمْرَأَتَكَ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿٣٣﴾ إِنَّا مُنزِلُونَ عَلَىٰٓ أَهْلِ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُواْ يَفْسُقُونَ ﴿٣٤﴾ وَلَقَد تَّرَكْنَا مِنْهَآ ءَايَةًۢ بَيِّنَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٣٥﴾﴾

و«أن» صلة في ﴿وَلَمَّآ أَن جَآءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيٓءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا﴾: أصله أنَّ الرجل إذا طالت ذراعه أدرك ما لم يدرك القصير، فجعل ضيق الذرع والذراع عبارة عن تحمل ما لا يطاق، والمعنى: اغتم غمًّا شديدًا خوفًا أن يخبث قومه بهم.

﴿وَقَالُواْ لَا تَخَفْ﴾: علينا، القراءة بتخفيف (لننجينه) وتشديدها، وكذلك ﴿مُنَجُّوكَ﴾: ومحل الكاف جر عند سيبويه، فينصب ﴿وَأَهْلَكَ﴾: بمضمر، أي:

= الأزهري: وهذا عندي هو الصحيح، قال الطبري: هو ملك من بَقَايا اليونانية غَشُوم، كان بمدينة سرمين من أرض قنسرين.

ونجي أهلك. والأخفش يعطفه على موضع الكاف؛ لأن الإضافة في نية الانفصال؛ لأنها للاستقبال كما لو كان المضاف إليه ظاهرًا، وسيبويه يفرق بين المضمر والمظهر في الإضافة.

﴿مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ﴾: (حس).

القراءة: ﴿مُنزِلُونَ﴾: مخففًا ومشددًا.

﴿رِجْزًا﴾: عذابًا ﴿بِمَا كَانُواْ يَفْسُقُونَ﴾ [(تا)][1].

﴿وَلَقَد تَّرَكْنَا مِنْهَآ﴾: من قرى لوط ﴿ءَايَةَۢ بَيِّنَةً﴾: علامة ظاهرة يعتبر بها، وهي آثار منازلهم الخربة، أو الحجارة التي أهلكوا بها بقيت حتى أدركها أوائل هذه الأمة، أو ظهور الماء الأسود حيث خسف بهم.

﴿يَعْقِلُونَ﴾: (تا).

﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱرْجُواْ ٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَلَا تَعْثَوْاْ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٣٦﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُواْ فِى دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٣٧﴾ وَعَادًا وَثَمُودَاْ وَقَد تَّبَيَّنَ لَكُم مِّن مَّسَٰكِنِهِمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَكَانُواْ مُسْتَبْصِرِينَ ﴿٣٨﴾﴾

﴿أَخَاهُمْ شُعَيْبًا﴾: نصب بـ«أرسلنا» مقدرة، والفاء في ﴿فَقَالَ﴾ عاطفة على «أرسلنا» المقدرة.

﴿جَٰثِمِينَ﴾: (كا) وتنصب ﴿وَعَادًا وَثَمُودَاْ﴾ بمضمر، أي: وأهلكناهما.

﴿وَكَانُواْ مُسْتَبْصِرِينَ﴾: (كا) عند نفوسهم، معجبين بدينهم ويحسبون أنهم مهتدون، أو لهم عقول وبصائر، ولكن لم ينتفعوا بها، ويجوز أن قد تهكم بهم.

﴿وَقَٰرُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَلَقَدْ جَآءَهُم مُّوسَىٰ بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَٱسْتَكْبَرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا كَانُواْ سَٰبِقِينَ ﴿٣٩﴾ فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنۢبِهِۦ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ ٱلصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ ٱللَّهُ

(١) في أ، ب: (حس)، والمثبت من ج.

لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٠﴾ مَثَلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْلِيَآءَ كَمَثَلِ ٱلْعَنكَبُوتِ ٱتَّخَذَتْ بَيْتًاۖ وَإِنَّ أَوْهَنَ ٱلْبُيُوتِ لَبَيْتُ ٱلْعَنكَبُوتِۖ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾﴾

﴿وَقَٰرُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَۖ﴾: أي وأهلكناهم.

﴿وَمَا كَانُواْ سَٰبِقِينَ﴾: (كا) فائتين عذابنا.

﴿فَكُلًّا﴾: نصب بـ(أخذنا) مضمرة.

﴿بِذَنۢبِهِۦۖ﴾: (كا).

﴿يَظْلِمُونَ﴾ (تا).

ولمَّا كانت العنكبوت أضعف الحيوان وبنيته أضعف البيوت ضُربا مثلًا للأصنام وعابديها، فقيل: ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْلِيَآءَ كَمَثَلِ ٱلْعَنكَبُوتِ﴾: وربما ذكرت ﴿ٱتَّخَذَتْ بَيْتًاۖ﴾: تسكنه، أبو حاتم: محل (اتخذت) حال كـ«عاينت الرجل يركب دابة»، فتقف هنا ليحصل التشبيه للأصنام وعابديها بالعنكبوت وبيتها، ثم قال: ﴿وَإِنَّ أَوْهَنَ﴾: أضعف ﴿ٱلْبُيُوتِ لَبَيْتُ ٱلْعَنكَبُوتِۚ﴾: والأخفش يقف على (العنكبوت) ويبتدئ (اتخذت بيتًا).

﴿لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ﴾: (تا) أن نفعهم بمعبوديهم لما عبدوهم كنفع العنكبوت ببيتها.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مِن شَيْءٍۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٤٢﴾ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِۖ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ ﴿٤٣﴾ خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٤﴾ ٱتْلُ مَآ أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِۗ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴿٤٥﴾﴾

القراءة: ﴿مَا يَدْعُونَ﴾: [بالتاء والياء][1] و«ما» استفهام نصب بـ(يدعون)، أو

---

(١) في أ، ب تقديم وتأخير، والمثبت من ج.

بمعنىٰ «الذي»، و(من) في ﴿مِن شَيۡءٍۚ﴾: تبيين، المعنىٰ: الله مطلع عليكم وعلىٰ أعمالكم فيجازيكم ﴿ٱلۡحَكِيمُ﴾: (تا) بعضهم: من اعتمد علىٰ شيء سوىٰ الله تعالىٰ فقد اعتمد علىٰ غير معتمد، وهلاكه في نفس ما اعتمد عليه، ونزل لما ضحك سفهاء مكة من ضرب مثلٍ بالذباب والعنكبوت ﴿وَتِلۡكَ﴾: أي هذه ﴿ٱلۡأَمۡثَٰلُ نَضۡرِبُهَا﴾: حال من (الأمثال) ﴿لِلنَّاسِۖ﴾: (كا).

﴿وَمَا يَعۡقِلُهَآ﴾: أي يفهم فائدة ضربها .

﴿إِلَّا ٱلۡعَٰلِمُونَ﴾: (تا).

﴿بِٱلۡحَقِّۚ﴾: (كا).

﴿لِّلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ (تا).

﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَۖ﴾ (كا).

﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ﴾: المعروفة، أو القرآن ﴿تَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِۗ﴾: (حس) تقدم معناهما، وهما ما لا يجوز شرعًا، قال ﷺ: «**من لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر لم يزدد من الله إلا بعدًا**»[1]. روي أن رجلًا كان يصلي بالنهار ويسرق بالليل، فقال: «**لتردعنه صلاته**»، فارتدع[2].

الحسن[3]: من لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر فليست صلاته بصلاة، وهي وبال عليه، وقيل: يا رسول الله، إن فلانًا يصلي الليل كله، فإذا أصبح سرق. فقال: «**ستنهاه صلاته**»، فانتهىٰ[4]. المعنىٰ: إذا صُليت الصلاة كما ينبغي نهته عن

---

(١) أخرجه الطبراني في «المعجم الكبير» (١١٠٢٥) من حديث ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا.

(٢) أخرجه أحمد (٩٧٧٧)، وابن حبان(٢٥٦٠)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٣٢٦١) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ بلفظ: عن أبي هريرة قالوا: يا رسول الله إن فلانًا يصلي من الليل فإذا أصبح سرق قال: «**ستنهاه ما يقول**».

(٣) أخرجه الطبري في «تفسيره» (٢٠/ ٤١).

(٤) تقدم تخريجه.

الفحشاء والمنكر، وكثير انتهوا وينتهون عن الفحشاء والمنكر بسبب الصلاة، وهذا اللفظ ليس بعام.

﴿وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ﴾: [ق/ ٢١٥جـ] بالرحمة.

﴿أَكْبَرُ﴾: (تا) من ذكركم إياه بالطاعة، أو ذكر الله أكبر في النهي عن الفحشاء والمنكر من الصلاة وقراءة القرآن، أو أكبر من أن يبقىٰ معه ذنب، قال ﷺ: **«ألا أنبئكم بخيرِ أعمالكم وأزكاها عند مليككم وأرفعِها في درجاتِكم وخير من إعطاء الذهب والفضة والورِق، وأن تلقوا عدوَّكم فتضربوا أعناقَهم ويضربوا أعناقَكم؟»** قالوا: وما ذاك يا رسول الله؟ قال: **«ذكر الله»** (١).

وسئل: أي الناس أعظم منزلة؟ قال: **«الذاكرون الله كثيرًا»**. قالوا: ومن الغازي؟ فقال: **«لو ضرب بسيفه الكفارَ والمشركين[ق/ ٣٠٣ب] حتىٰ ينكسر أو يختضب دمًا لكان الذاكرون الله كثيرًا أفضل منه درجةً»** (٢)، وسئل: أي الأعمال أفضل؟ قال: **«أن تفارقَ الدنيا ولسانُك رطبٌ بذكرِ الله»** (٣). والمراد أن يذكر الله تعالىٰ ناظرًا إلىٰ جلاله وعظمته وقدرته، وتنزيهه عن كل شيء سواه، أو المراد بذكر الله الصلاة، ووصفها بالكبر ليستقل بالتعليل، كأنه قال: والصلاة أكبر لأنها ذكر الله.

﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾: (تا).

﴿۞ وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنْهُمْ ۖ وَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا

---

(١) أخرجه الترمذي (٣٣٧٧) وابن ماجه (٣٧٩٠)، وأحمد (٢١٧٥٠)، والحاكم(١٨٢٥)، والبيهقي في «السنن الكبرىٰ» (٥١٩) من حديث أبي الدرداء رضي الله عنه.

(٢) أخرجه الترمذي (٣٣٧٦)، وأحمد (١١٧٣٨)، وأبو يعلىٰ (١٤٠١) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

(٣) أخرجه الطبراني في «المعجم الكبير» (٢٠/ ٩٣) حديث (١٨١) من حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه.

بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَأُنزِلَ إِلَيۡكُمۡ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمۡ وَٰحِدٌ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ﴿٤٦﴾ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَۚ فَٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يُؤۡمِنُونَ بِهِۦۖ وَمِنۡ هَٰٓؤُلَآءِ مَن يُؤۡمِنُ بِهِۦۚ وَمَا يَجۡحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴿٤٧﴾ وَمَا كُنتَ تَتۡلُواْ مِن قَبۡلِهِۦ مِن كِتَٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَۖ إِذٗا لَّٱرۡتَابَ ٱلۡمُبۡطِلُونَ ﴿٤٨﴾﴾

﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ﴾: الذين لم ينصبوا الحرب ﴿إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ﴾: هي شهادة أن لا إله إلا الله، أو الكف عنهم إذا بذلوا الجزية، أو بالحجج القواطع علىٰ توحيد الله تعالىٰ، لا أحب الوقف هنا؛ لأن ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡۖ﴾: بنصب الحرب ومنع الجزية وإثبات الشريك، فهؤلاء جادلوهم بالسيف حتىٰ يسلموا أو يعطوا الجزية، استثناء من الجنس، المعنىٰ: إلا الظالمين فلا تناظروهم بالحسنىٰ بل بالغلظة؛ لأنهم يغلظون عليكم، أو المعنىٰ: لا تناظروا الظالمين منهم بتةً، بل مكنوا السيف منهم لفرط عنادهم وما قرؤه من التوراة بالعبرانية وفسروه بالعربية، وما جاؤكم به ولم تعرفوه فلا تصدقوهم ولا تكذبوهم.

﴿وَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَأُنزِلَ إِلَيۡكُمۡ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمۡ وَٰحِدٌ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ﴾: (تا) المعنىٰ: أخبروهم أنكم تؤمنون بالله تعالىٰ وجميع كتبه، وأنه [ق/ ١٨٢أ] ربنا وربكم، [قالوا:][1] وهذا نسخ بقوله: ﴿قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ﴾ إلىٰ ﴿وَهُمۡ صَٰغِرُونَ﴾، وكإنزالنا التوراة ﴿أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَۚ﴾: (كا).

﴿فَٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ﴾ التوراة كعبد الله بن سلام وأصحابه، أو ممن قبل النبي ﷺ من أهل الكتاب.

﴿يُؤۡمِنُونَ بِهِۦۖ وَمِنۡ هَٰٓؤُلَآءِ﴾: أي أهل مكة ﴿مَن يُؤۡمِنُ بِهِۦۚ﴾ (كا).

﴿وَمَا يَجۡحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا ٱلۡكَٰفِرُونَ﴾ (حس).

﴿مِن قَبۡلِهِۦ﴾: من قبل القرآن، ولما كانت الكتابة غالبًا تكون باليمين قال:

---

(١) سقط من ج، والمثبت من أ، ب.

﴿وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ﴾: لا أحب الوقف هنا؛ لأنَّ المعنىٰ: لم تكن قارئًا ولا كاتبًا، ولو كنت تعرف شيئًا من ذلك ﴿إِذٗا لَّٱرۡتَابَ ٱلۡمُبۡطِلُونَ﴾: (كا) في نبوتك، ولقالوا: إنما أخذه من كتب من تقدمه، وأنَّ المنعوت عندنا لا يحسن الكتابة فليس هذا، تلخيصه: هم مبطلون في إنكارهم نبوتك؛ لأنك جئت بما هو معجز في نفسه لو كنت قارئًا كاتبًا، فكيف وأنت أمي لا تحسن الكتابة.

﴿ بَلۡ هُوَ ءَايَٰتُۢ بَيِّنَٰتٞ فِي صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَۚ وَمَا يَجۡحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا ٱلظَّٰلِمُونَ
(٤٩) وَقَالُواْ لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡهِ ءَايَٰتٞ مِّن رَّبِّهِۦۖ قُلۡ إِنَّمَا ٱلۡأٓيَٰتُ عِندَ ٱللَّهِ وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٞ مُّبِينٌ
(٥٠) أَوَلَمۡ يَكۡفِهِمۡ أَنَّآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ يُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَرَحۡمَةٗ وَذِكۡرَىٰ
لِقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ (٥١) قُلۡ كَفَىٰ بِٱللَّهِ بَيۡنِي وَبَيۡنَكُمۡ شَهِيدٗاۖ يَعۡلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ
وَٱلۡأَرۡضِۗ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلۡبَٰطِلِ وَكَفَرُواْ بِٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ (٥٢)﴾

﴿بَلۡ هُوَ﴾: أي محمد ﷺ ﴿ءَايَٰتُۢ بَيِّنَٰتٞ﴾: أي ذو آيات واضحات ﴿فِي صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَۚ﴾: (كا) لأنهم يجدونه في كتبهم كذلك لا يكتب ولا يقرأ، أو المعنىٰ: بل القرآن آيات بينات في صدور المؤمنين الذين حفظوه؛ لأن من تقدم كانوا لا يقرؤون كتبهم إلا نظرًا، فإذا أطبقوه لم يعرفوا منه شيئًا سوىٰ الأنبياء وما نقل عن قارون.

﴿وَمَا يَجۡحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ﴾: الدالة علىٰ ذلك ﴿إِلَّا ٱلظَّٰلِمُونَ﴾: (حس) اليهود أو المشركون.

القراءة: آيات من ربه، جمعًا ومفردًا أراد الجنس، المعنىٰ: هلا نزل عليه آية كالناقة والعصا والمائدة.

﴿قُلۡ إِنَّمَا ٱلۡأٓيَٰتُ عِندَ ٱللَّهِ﴾: في قدرته ينزلها إذا شاء، كيف شاء، ولو شاء إنزال ما اقترحوا لفعل، وليس إلي من ذلك شيء ﴿وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٞ مُّبِينٌ﴾: (كا) المعنىٰ: إنما كلفت الإنذار وإبانته بالدلائل الواضحة، وفاعل ﴿أَوَ لَمۡ يَكۡفِهِمۡ أَنَّآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ﴾: المعنىٰ: ألم يكفهم إنزال القرآن عليك.

﴿يُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡۚ﴾: (تا) يصدقك ويثبت حجتك وهو أعظم الآيات؛ لأنه ثابت علىٰ مرور الأيام، وجميع الآيات غيره انعدمت.

(إن فى ذلك): المذكور، وهو القرآن ﴿لَرَحۡمَةٗ وَذِكۡرَىٰ﴾: تذكيرًا ﴿لِقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ﴾ (تا).

ولمَّا لم يُصدقوا بالقرآن نزل ﴿قُلۡ كَفَىٰ بِٱللَّهِ بَيۡنِي وَبَيۡنَكُمۡ شَهِيدٗاۖ﴾: (حس) يشهد لي بالبلاغ والتصديق وعليكم بالتكذيب؛ لأنه][1] ﴿يَعۡلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۗ﴾: (تا) عند أبي حاتم والمؤمنون بالباطل والكافرون بالله ﴿هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ﴾: (تا) المغبونون لاشترائهم الكفر بالإيمان.

﴿وَيَسۡتَعۡجِلُونَكَ بِٱلۡعَذَابِۚ وَلَوۡلَآ أَجَلٞ مُّسَمّٗى لَّجَآءَهُمُ ٱلۡعَذَابُ وَلَيَأۡتِيَنَّهُم بَغۡتَةٗ وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ ٥٣ يَسۡتَعۡجِلُونَكَ بِٱلۡعَذَابِ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةُۢ بِٱلۡكَٰفِرِينَ ٥٤ يَوۡمَ يَغۡشَىٰهُمُ ٱلۡعَذَابُ مِن فَوۡقِهِمۡ وَمِن تَحۡتِ أَرۡجُلِهِمۡ وَيَقُولُ ذُوقُواْ مَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ٥٥ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ أَرۡضِي وَٰسِعَةٞ فَإِيَّٰيَ فَٱعۡبُدُونِ ٥٦﴾

ونزل فيمن استعجل العذاب استهزاء ﴿وَيَسۡتَعۡجِلُونَكَ بِٱلۡعَذَابِ وَلَوۡلَآ أَجَلٞ مُّسَمّٗى﴾: في اللوح أنهم يعذبون فيه وهو يوم القيامة أو الموت أو بدر ﴿لَّجَآءَهُمُ ٱلۡعَذَابُۚ﴾: (كا) ﴿وَلَيَأۡتِيَنَّهُم﴾ العذاب في الأجل المسمىٰ ﴿بَغۡتَةٗ وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ﴾: (تا) إلا بمجيئه ﴿لَمُحِيطَةُۢ بِٱلۡكَٰفِرِينَ﴾: (كا) إن نصبت (يوم) بمضمر، أي ﴿يَوۡمَ يَغۡشَىٰهُمُ ٱلۡعَذَابُ﴾: كان كيت وكيت، فعلىٰ هذا كأنها الآن محيطة لاستحقاقهم إياها بسبب معاصيهم، ولا أحبه إن جعلت (يوم) ظرفًا للكافرين، المعنىٰ: إن جهنم تحيط بهم بعد البعث ﴿مِن فَوۡقِهِمۡ وَمِن تَحۡتِ أَرۡجُلِهِمۡ﴾: نحو: ﴿لَهُم مِّن جَهَنَّمَ مِهَادٞ وَمِن فَوۡقِهِمۡ غَوَاشٖ﴾، القراءة: ﴿وَيَقُولُ﴾: بالنون والياء.

﴿ذُوقُواْ﴾: جزاء ﴿مَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ﴾: (تا) من المعاصي، ونزل فيمن كان يؤذىٰ

---

(١) سقط من ج، والمثبت من أ، ب.

بمكة ويخشىٰ الجوع إن خرج ﴿يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ أَرۡضِي وَٰسِعَةٞ﴾: فاخرجوا فأنا رازقكم حيث كنتم، أو إذا عُمل بالمعاصي في أرضٍ، أو أُمرتم بفعلها فاهربوا فإن أرضي واسعة، في الحديث: «**من فرَّ بدينه من أرض إلىٰ أرض وإن كان شبرًا من الأرض استوجب الجنة، وكان رفيق إبراهيم ومحمد عليهما الصلاة والسلام**»(١) .

والفاء في ﴿فَإِيَّٰيَ فَٱعۡبُدُونِ﴾: (تا) جواب شرط محذوف تقديره: إن لم تتمكنوا من العبادة بأرض لكثرة المعاصي فاعبدونِ بغيرها، وتقديم المفعول يدل علىٰ اختصاص العبادة به والإخلاص له فيها، قالوا: ويجب علىٰ كل من كان بأرض يُعمل فيها بالمعاصي ولا يقدر علىٰ تغييرها أن يهاجر إلىٰ حيث تتهيأ له العبادة.

﴿ كُلُّ نَفۡسٖ ذَآئِقَةُ ٱلۡمَوۡتِۖ ثُمَّ إِلَيۡنَا تُرۡجَعُونَ ٥٧ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُبَوِّئَنَّهُم مِّنَ ٱلۡجَنَّةِ غُرَفٗا تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ نِعۡمَ أَجۡرُ ٱلۡعَٰمِلِينَ ٥٨ ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ٥٩ وَكَأَيِّن مِّن دَآبَّةٖ لَّا تَحۡمِلُ رِزۡقَهَا ٱللَّهُ يَرۡزُقُهَا وَإِيَّاكُمۡۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ٦٠ ﴾

ثم شجع المهاجرين بقوله: ﴿كُلُّ نَفۡسٖ ذَآئِقَةُ ٱلۡمَوۡتِۖ﴾: أي مرارته كما يجد الذائق طعم المذوق؛ لأنها إذا تيقنت الموت سهل عليها مفارقة وطنها.

القراءة: ﴿ثُمَّ إِلَيۡنَا تُرۡجَعُونَ﴾: (تا) بعد الموت بالتاء والياء.

القراءة: (لنثوينهم) [بالثاء المثلثة](٢) من الثواء الإقامة، وثوىٰ غير متعد، وإذا تعدىٰ بهمزة النقل لم يتعد إلا إلىٰ مفعول واحد كأذهبته، وتعدىٰ هنا إلىٰ ضمير المؤمنين وإلىٰ الغرف حملًا علىٰ (ننزلهم)أو علىٰ (نبوئنهم)، أو علىٰ حذف الجار وإيصال الفعل، وبياء موحدة من التبوئة النزول، أي: لننزلنهم ﴿مِّنَ ٱلۡجَنَّةِ غُرَفٗا تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ﴾: (حس).

---

(١) أخرجه الثعلبي في «الكشف والبيان» (٣/ ٣٧٢) عن الحسن مرسلًا.

(٢) في أ، ب: بثاءٍ مثلثة، والمثبت من ج.

﴿نِعْمَ﴾: وقرئ: (فنعم) ﴿أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ﴾: (كا) إن لم تجعل ما بعد نعتًا (للعاملين) ورفعته خبر مبتدأ محذوف، أي: هم ﴿ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ﴾: على الشدائد ومفارقة الأوطان وأذى المشركين ﴿وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾: (تا).

﴿وَكَأَيِّن﴾ أي وكم رفع مبتدأ ﴿مِّن دَآبَّةٍ﴾: كل نفس تدب على الأرض من الحيوان بيان ﴿لَّا تَحْمِلُ رِزْقَهَا﴾: [ق/ ٣٠٤ب] ضعفًا عن حمله وكسبه.

﴿ٱللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ﴾: أو (وكأين) نصب بمضمر مقدر بعد (كأين) يفسره (يرزقها)، لا وقف على (يرزقها)؛ لأنه تعالى أخبر أنه يرزق الدابة وإياكم كلًّا ما قسم له، لم يرد أنه يرزق بعضًا دون بعض، ولو وقف على (وإياكم) لكان كافيًا، تلخيصه: كلٌّ الله رازقه.

﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ﴾: لأقوالكم ﴿ٱلْعَلِيمُ﴾: (تا) بضمائركم، قال ﷺ: «**أيها الناس ليس شيء يقربكم من الجنة إلا وقد أمرتكم به، ولا يباعدكم من النار إلا وقد نهيتكم عنه، وإن الروح الأمين نفث: في روعي أنَّه ليس من نفسٍ تموت حتى تستوفي رزقها، فاتقوا الله وأجملوا في الطلب، ولا يحملنَّكم استبطاءُ الرزق أن تطلبوه بمعاصي الله؛ فإنه لا يدرك ما عند الله إلا بطاعته**»[(١)].

﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٦١﴾ ٱللَّهُ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ لَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٦٢﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّن نَّزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۚ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٦٣﴾ وَمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ ۚ وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ ۚ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ ﴿٦٤﴾﴾

﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم﴾: جوابه ﴿لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾: (كا) فإن [اعترفوا][(٢)] [بذلك][(٣)]

---

(١) أخرجه الشافعي في «مسنده» (١١٥٣)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (١١٨٥).

(٢) في أ، ب: اعترف، والمثبت من ج.

(٣) سقط من ج، والمثبت من أ، ب.

فقل: ﴿فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾: (تا) فكيف يُصرفون عن طاعته تعالىٰ وتوحيده مع اعترافهم أنه خالق السموات والأرض وما فيهما، والهاء في ﴿وَيَقْدِرُ﴾: أي يضيق ﴿لَهُۥٓ﴾: (كا) لمن يشاء، أو تقديره: يبسط لمن يشاء ويقدر لمن يشاء، فحذف «من يشاء» ووضع الضمير موضعه ﴿عَلِيمٌ﴾ (تا).

﴿لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُۚ﴾: [(كا)][1] جواب ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم﴾ ﴿قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِۚ﴾: (كا) علىٰ ثبوت الحجة عليكم ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾: (تا) لأنهم مع إقرارهم بذلك يشركون ﴿وَلَعِبٌۚ﴾: (تا) وسميت الدنيا لهوًا ولعبًا لتشاغلهم بها وسرعة فنائها ثم تزول ﴿وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْآخِرَةَ﴾: أي حياتها ﴿لَهِيَ ٱلْحَيَوَانُۚ﴾: لمستمرة البقاء بلا انقضاء بخلاف الدنيا، وسميت بالحيوان لأن في الحيوان زيادة مبالغة علىٰ الحياة وهو مصدر «حيي»، وقياسه «حييان» قلبت الياء واوًا لئلا تحذف إحدىٰ الألفات، ونحوه: في القلب حياة، اسم رجل، والحياة حركة والموت سكون، والحيوان مقر الحياة، وهو ضربان: ما له الحاسة، والآخر ما له البقاء الدائم، تلخيصه: لهم البقاء السرمدي.

﴿لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ﴾: [ق/ ٢١٦ جـ](حس) ذلك لم يؤثروا الدنيا علىٰ الآخرة.

﴿ فَإِذَا رَكِبُوا۟ فِى ٱلْفُلْكِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴿٦٥﴾ لِيَكْفُرُوا۟ بِمَآ ءَاتَيْنَٰهُمْ وَلِيَتَمَتَّعُوا۟ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٦٦﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا ءَامِنًا وَيُتَخَطَّفُ ٱلنَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْۚ أَفَبِٱلْبَٰطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ ٱللَّهِ يَكْفُرُونَ ﴿٦٧﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُۥٓۚ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٦٨﴾ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٦٩﴾ ﴾

﴿فَإِذَا رَكِبُوا۟﴾: أي الكفار ومعهم أصنامهم ﴿فِى ٱلْفُلْكِ﴾: في البحر وخافوا الغرق.

---

(١) سقط من ج، والمثبت من أ، ب.

﴿دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾: (كا) المعنىٰ: لم يشركوا معه أحدًا في الدعاء، أو الدين والتوحيد ﴿فَلَمَّا نَجَّىٰهُمۡ إِلَى ٱلۡبَرِّ إِذَا هُمۡ يُشۡرِكُونَ﴾: (كا) إن لم تجعل اللام لام أمر وتجعلها لام كي في ﴿لِيَكۡفُرُواْ﴾: وعيدًا وتهديدًا لهم، وكذلك الكلام علىٰ الوقف [علىٰ][1] ﴿بِمَآ ءَاتَيۡنَٰهُمۡ﴾: من النعم.

القراءة: ﴿وَلِيَتَمَتَّعُواْۚ﴾: بما بأيديهم من النعم، بإسكان اللام أمرًا تهديدًا، وبكسرها تجعلها لام كي، تلخيصه: لا فائدة لهم في الإشراك إلا الكفر والتمتع، فمن أسكن وقف علىٰ (بما آتيناهم)، ومن كسر وقف علىٰ (ليتمتعوا) ثم يبتدئ ﴿فَسَوۡفَ يَعۡلَمُونَ﴾: (تا).

﴿أَوَ لَمۡ يَرَوۡاْ﴾ أي: أهل مكة ﴿أَنَّا جَعَلۡنَا حَرَمًا ءَامِنًا﴾: يأمنون فيه؛ لأنه لم يكن أحد يتعرض لهم فيه بسوء.

﴿وَيُتَخَطَّفُ﴾: يؤخذ ﴿ٱلنَّاسُ مِنۡ حَوۡلِهِمۡۚ﴾: (حس).

﴿أَفَبِٱلۡبَٰطِلِ﴾: الأصنام والشياطين، ﴿يُؤۡمِنُونَ وَبِنِعۡمَةِ ٱللَّهِ﴾: محمد والإسلام ﴿يَكۡفُرُونَ﴾: (تا) وهذا تذكير لأهل مكة.

﴿وَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا﴾: بزعمه الشريك والولد لله تعالىٰ.

﴿أَوۡ كَذَّبَ بِٱلۡحَقِّ﴾: محمد والقرآن ﴿لَمَّا جَآءَهُۥۚ﴾: (حس) من غير توقف عنادًا ﴿أَلَيۡسَ﴾ هذه تقرير أنهم ﴿فِي جَهَنَّمَ﴾: وأنهم في ﴿مَثۡوًى﴾: مقام ﴿لِّلۡكَٰفِرِينَ﴾: (تا) لأنَّ همزة الإنكار إذا دخلت علىٰ النفي صار إيجابًا، المعنىٰ: كيف لا يستحقون الخلود في جهنم وقد كذبوا الله وكذبوا بالحق هذا التكذيب الشنيع، أو ألم يصح عندهم أن في جهنم مثوىٰ فيّكذبوا هذا التكذيب، وهذا كقوله[2]:

ألستم خيرَ من رَكِبَ المطايا

(١) سقط من أ، ب والمثبت من ج.

(٢) القائل هو جرير، والبيت في «ديوانه» (ص/ ٨٧)، والبيت بتمامه:

ألستم خير من ركب المطايا وأندىٰ العالمين بطون راح

أي: أنتم كذلك، وحذف مفعول ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ﴾: ليعم كل جهاد فيه مشقة علىٰ النفس، ومعنىٰ ﴿فِينَا﴾: في حقنا وغضبًا لنا ﴿لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ﴾: لنزيدنهم هداية إلىٰ طريق الخير، أو والذين جاهدوا في طلب العلم لنهدينهم الطريق إلىٰ العمل به، أو والذين جاهدوا بالتوبة لنهدينهم إلىٰ الإخلاص، أبو سليمان الداراني: والذين جاهدوا فيما علموا لنهدينهم إلىٰ ما لم يعلموا. أو إن الذي نرىٰ من جهلنا إنما هو من تقصيرنا فيما نعلم، أو المجاهدة غض البصر وحفظ اللسان وخطرات القلب، ويجمعها الخروج عن العادات البشرية، وأفضل الجهاد مخالفة الهوىٰ.

جعفر: المجاهدة صدق الافتقار إلىٰ الله، وهو انفصال العبد من كل شيء سوىٰ الله تعالىٰ، بعضهم: اجتهدوا في سبيل الظاهر فهدوا إلىٰ سبيل الباطن، والعجب ممن يعجز عن ظاهره وهو يطمع في باطنه.

﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾: (تا) في جميع أحوالهم بالنصر والعون.

سورة (الروم)

مكية وهي تسع وخمسون آية [ق/ ١٨٣أ] .

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿الٓمٓ ﴿١﴾ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ﴿٢﴾ فِيٓ أَدْنَى ٱلْأَرْضِ وَهُم مِّنۢ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ﴿٣﴾ فِي بِضْعِ سِنِينَ ۗ لِلَّهِ ٱلْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِنۢ بَعْدُ ۚ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿٤﴾ بِنَصْرِ ٱللَّهِ ۚ يَنصُرُ مَن يَشَآءُ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥﴾ وَعْدَ ٱللَّهِ ۖ لَا يُخْلِفُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦﴾﴾

كان المسلمون يحبون ظهور الروم لأنهم أصحاب كتاب مثلهم علىٰ فارس، والمشركون يحبون ظهور فارس لأنهم كانوا مجوسًا لا كتاب لهم كالمشركين علىٰ الروم، فالتقىٰ جيشا كسرىٰ وقيصر بأذرعات من أرض الشام فانهزم جيش قيصر، فعير المشركون المسلمين وسروا بذلك، فنزل ﴿الٓمٓ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ فِيٓ أَدْنَى﴾ أي: أقرب، وقرئ: (أداني).

﴿ٱلْأَرْضِ﴾: (كا) إلىٰ العرب وهي أذرعات، أو الأردن وفلسطين.

﴿وَهُم مِّنۢ بَعْدِ غَلَبِهِمْ﴾: وقرئ بسكون اللام لغتان في مصدر غلب، المعنىٰ: غلبت الفُرسُ الرومَ، والروم من بعد ما غلبوا ﴿سَيَغْلِبُونَ﴾: الفرس ﴿فِي بِضْعِ﴾: هو ما بين ثلاث إلىٰ عشر ﴿سِنِينَ﴾: (تا) فلمَّا نزلت الآيات قال أبو بكر للمشركين: لا يقر الله أعينكم، ستكون لهم الغلبة عليكم، فناحبه[1] أبي بن خلف علىٰ عشر قلص[2] إلىٰ ثلاث سنين، فأخبر النبي ﷺ بذلك، فقال: إنما البضع ما بين الثلاث إلىٰ التسع، فزايده في الخطر[3] ومادَّه في الأجل فجعل المناحبة علىٰ مائة قلوص إلىٰ تسع سنين، فمات أُبي من طعنة النبي ﷺ، ثم غلبت الروم فارس يوم الحديبية أو بدر، فأخذ أبو بكر الرهن من ورثة أُبي.

---

(١) ناحبه:أي راهنه. (٢) جمع قلوص، وهي الناقة. (٣) الخطر: الرهان.

في فعل أبي بكر حجة لمن يُجَوِّز العقود الفاسدة بين المسلمين والكفار في دار الحرب في أموال الربا وغيرها، ويجاب عنه أن هذا كان قبل تحريم القمار، **وقرئ**: (غَلَبتْ) بفتح الغين معلومًا، و(سيُغلبون) بضم الياء مجهولًا، المعنىٰ: أن الروم قد غلبت علىٰ ريف الشام، وسيغلبهم المسلمون عليه، وعند انتهاء بضع سنين أخذ المسلمون في جهاد الروم، والإضافة في (غلبهم) علىٰ القراءة من إضافة المصدر إلىٰ المفعول، وعلىٰ الشاذة من إضافته إلىٰ الفاعل؛ لأنهم بعد ما غلبوا فارس غلبهم المسلمون.

﴿لِلَّهِ ٱلۡأَمۡرُ مِن قَبۡلُ وَمِنۢ بَعۡدُۚ﴾: (كا) [ق/ ٣٠٥ب] من قبل قتالهم و[من][1] بعده، أو قبل كل شيء وبعد كل شيء، فلمَّا حُذف المضاف إليه بُني المضاف، وقرئ: (من قبلٍ ومن بعدٍ) جرًّا منونًا، لتقدير اقتطاع الإضافة أصلًا، وبكسرها بلا تنوين علىٰ إرادة المضاف إليه ﴿وَيَوۡمَئِذٖ﴾: أي يوم يغلب الرومُ فارسَ ﴿يَفۡرَحُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ۝٤ بِنَصۡرِ ٱللَّهِۚ﴾: (كا) الرومَ عليهم، أو بنصر المؤمنين بأن صَدقوا فيما أخبروا ﴿يَنصُرُ مَن يَشَآءُ﴾: [(تا)][2] وعن أبي حاتم أنه وسم هذه الأربعة بالتمام ﴿ٱلرَّحِيمُ﴾: (كا) لنصبك ﴿وَعۡدَ ٱللَّهِ﴾: مصدرًا مؤكدًا؛ لأنَّ ما تقدم دل علىٰ فعل هذا المصدر ﴿لَا يُخۡلِفُ ٱللَّهُ وَعۡدَهُۥ﴾: بنصر الروم علىٰ فارس ﴿لَا يَعۡلَمُونَ﴾: لا يصدقون، يتم الوقف هنا إن لم تبدل (يعلمون) بعدُ من (يعلمون) هذه؛ للإيذان أنه لا فرق بين عدم العلم الذي هو الجهل وبين وجود العلم الذي لا يجاوز تحصيل الدنيا.

﴿ يَعۡلَمُونَ ظَٰهِرٗا مِّنَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَهُمۡ عَنِ ٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ غَٰفِلُونَ ۝٧ أَوَلَمۡ يَتَفَكَّرُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۗ مَّا خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَآ إِلَّا بِٱلۡحَقِّ وَأَجَلٖ مُّسَمّٗىۗ وَإِنَّ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلنَّاسِ بِلِقَآيِٕ رَبِّهِمۡ لَكَٰفِرُونَ ۝٨ أَوَلَمۡ يَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَيَنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۚ كَانُوٓاْ أَشَدَّ مِنۡهُمۡ

---

(١) سقط من أ، ب والمثبت من ج.

(٢) في أ، ب: (صا)، والمثبت من ج.

قُوَّةً وَأَثَارُواْ ٱلْأَرْضَ وَعَمَرُوهَآ أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٩﴾ ﴾

وفي قوله: ﴿ظَٰهِرًا مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾: إيذان أنهم قد اشتغلوا بتحصيل الدنيا وحطامها ولذاتها عن المطلوب؛ لأنَّ تنكيره ظاهرًا يؤذن أنهم إنما اشتغلوا بظاهر واحد من ظواهر الدنيا وهو طلب المعاش، وكانوا أصحاب عقولٍ وتصرفٍ فصرفوها في طلب المعاش، فكان الرجل منهم ينقر الدرهم فيعرف رداءته ووزنه ولا يعرف كيف يصلي.

﴿وَهُمْ عَنِ ٱلْآخِرَةِ هُمْ غَٰفِلُونَ﴾: (تا) ساهون لاهون عن المطلوب، بعضهم: من كان عن الآخرة غافلًا كان عن الله أغفل، ومن كان عن الله غافلًا فقد سقط عن [درجة][(١)] المتعبدين، ثم وبخهم علىٰ ترك النظر فيما يدلهم علىٰ المطلوب منهم، فقال: ﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُواْ فِىٓ أَنفُسِهِم﴾: أي ألم يُحدِثوا الفكرة الصالحة في قلوبهم الفارغة منه، يتم الوقف هنا إن استأنفت ﴿مَّا خَلَقَ﴾: فيكون (في أنفسهم) صلة التفكر، المعنىٰ: أولم يتفكروا في أنفسهم وما أودعت من غرائب الحكم الدالة علىٰ مدبر الخلق وعلىٰ المطلوب منهم، ولا يجوز إن نصبت (ما خلق) معمول (يتفكروا)، ولا يمنع من ذلك (ما) كما لم يمنع في (فظنوا ما لهم من محيص)؛ لأنَّ «ما» علىٰ التقديرين نفي، ولا أحبه إن علقته بمحذوف، تقديره: أو لم يتفكروا فيقولوا: ﴿مَّا خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ﴾: أي إلا ملتبسًا بالحق، المعنىٰ: لم يخلقهما وما بينهما عبثًا ولا باطلًا، [بل][(٢)] لحكمٍ ظاهرةٍ.

﴿وَأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾: (حس) وقتٍ ينتهي إليه وهو يوم القيامة، **تلخيصه**: ثم تنعدمان بما فيهما، وقوله ﴿بِلِقَآيِ رَبِّهِمْ﴾: بالبعث والجزاء متعلق بقوله: ﴿لَكَٰفِرُونَ﴾: (تا).

---

(١) في أ، ب: درجات، والمثبت من ج.

(٢) سقط من ج والمثبت من أ، ب.

﴿مِن قَبْلِهِمْ﴾: (كا) المعنىٰ: ألم يسافروا فيعتبروا مصارع المهلكين كعاد وثمود بعد أن ﴿كَانُوٓاْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُواْ﴾: أي حرثوا ﴿ٱلْأَرْضَ﴾: (كا) للزراعة، قالوا: وسمي الثور ثورًا لإثارته الأرض كما سمي بقرة لبقره الأرض، والمراد أهل مكة ﴿وَعَمَرُوهَآ﴾: أي المهلكون ﴿أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا﴾: أي المكيون، فأهلكوا، فما الظن بأهل مكة وهم دونهم في العَدد والعُدد وقوة الجسد وما ظلموا ﴿وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾: (كا) بكفرهم.

﴿ ثُمَّ كَانَ عَٰقِبَةَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔواْ ٱلسُّوٓأَىٰٓ أَن كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَكَانُواْ بِهَا يَسْتَهْزِءُونَ ﴿١٠﴾ ٱللَّهُ يَبْدَؤُاْ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿١١﴾ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُبْلِسُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿١٢﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُم مِّن شُرَكَآئِهِمْ شُفَعَٰٓؤُاْ وَكَانُواْ بِشُرَكَآئِهِمْ كَٰفِرِينَ ﴿١٣﴾ ﴾

القراءة بنصب ﴿عَٰقِبَةَ﴾: خبر «كان» اسمها ﴿ٱلسُّوٓأَىٰٓ﴾: تأنيث الأسوء وهو الأقبح، والمراد جهنم، أو الحالة السيئة، وذكر الفعل لأنَّ العاقبة بمعنىٰ المصير، المعنىٰ: كانت جهنم عاقبتهم، وآخر أمرهم لأجل﴿أَن كَذَّبُواْ﴾: أو اسمها ﴿أَن كَذَّبُواْ﴾، فـ﴿ٱلسُّوٓأَىٰٓ﴾ مصدر، تقديره: كان التكذيب عاقبة المسيئين إساءة، وذكر الفعل لتذكير التكذيب، وبرفع ﴿عَٰقِبَةُ﴾ اسم «كان» خبرها (السوء)، فـ﴿أن كذبوا﴾ مفعول له، أو اسمها ﴿أَن كَذَّبُواْ﴾ ﴿بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ﴾: محمد ﷺ والقرآن.

﴿وَكَانُواْ بِهَا يَسْتَهْزِءُونَ﴾: (تا).

﴿يُعِيدُهُۥ﴾: (كا) قالوا على القراءة: ﴿ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾: [(تا)][(1)] بالتاء خطابًا لرجوعه من الغيبة إلىٰ الخطاب، وغير جائز علىٰ ﴿يُعِيدُهُۥ﴾ علىٰ القراءة بالياء غيبة، ولا أحب الوقف علىٰ ﴿يُعِيدُهُۥ﴾ علىٰ القراءتين لأجل «ثم» قبل ﴿يُبْلِسُ﴾ أي: ييأس ويتحير ﴿ٱلْمُجْرِمُونَ﴾ المشركون من كل خير، وينقطع كلامهم وحجتهم، وأصله الحزن المعترض من شدة اليأس، وقرئ بفتح اللام من أبلسه:

(١) في أ، ب: (كا)، والمثبت من ج.

أسكته ﴿مِّن شُرَكَآئِهِمْ﴾: الذين عبدوهم دون الله ﴿شُفَعَـٰٓؤُاْ وَكَانُواْ بِشُرَكَآئِهِمْ كَـٰفِرِينَ﴾: (كا) جاحدين، المعنىٰ: يتبرأ كل واحد من الآخر، وكتب ﴿شُفَعَـٰٓؤُاْ﴾ بالواو قبل الألف كما كتب ﴿عُلَمَـٰٓؤُاْ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ [الشعراء:١٩٧] و﴿ٱلسُّوٓأَىٰٓ﴾ بألف قبل الياء إثباتًا للهمزة علىٰ صورة الحرف الذي منه حركتها.

﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوْمَئِذٖ يَتَفَرَّقُونَ ١٤ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ فَهُمْ فِي رَوْضَةٖ يُحْبَرُونَ ١٥ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَـٰتِنَا وَلِقَآيِٕ ٱلْأٓخِرَةِ فَأُوْلَـٰٓئِكَ فِي ٱلْعَذَابِ مُحْضَرُونَ ١٦ فَسُبْحَـٰنَ ٱللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ ١٧﴾

وبعد الحساب الكافرون والمسلمون ﴿يَتَفَرَّقُونَ﴾: (حس) فريقين: فريق للنار وفريق للجنة ﴿فِي رَوْضَةٖ﴾: [ق/ ٢١٧ جـ] بستان مخضر في غاية النضارة، وكل أرض ذات نبات وماء روضة، ونُكِرتْ إرادة الجنس وتفخيمًا لها ﴿يُحْبَرُونَ﴾: (كا) يُنعمون ويُكرمون، وأصل الحبور السرور، ويشمل «ح ب ر» وجميع تعكيسه معنىٰ الظهور والكثرة، أو الحبور السماع في الجنة، الأوزاعي: إذا أخذ أهل الجنة في السماع لم يبق في الجنة شجرة إلا وردت، وقال: ليس أحد أحسن صوتًا من إسرافيل، فإذا أخذوا في السماع قطع أهل سبُع سموات تسبيحهم وصلاتهم، عن أبي الدرداء: «**إن غناءهم التسبيح**».

تلخيصه: المؤمنون في الجنة منعمون، والكافرون في عذاب جهنم ﴿مُحْضَرُونَ﴾: (تا) فيعذبون، والمراد بالتسبيح الصلاة في ﴿فَسُبْحَـٰنَ ٱللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ﴾: تدخلون في المساء، والمراد صلاة المغرب والعشاء ﴿وَحِينَ تُصْبِحُونَ﴾: (حس) هي صلاة الصبح، وقرئ: (حينًا تمسون وحينًا تصبحون)، فالعائد محذوف، أي: تمسون فيه، يحسن الوقف هنا إن لم تعطف.

﴿وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِي ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَعَشِيّٗا وَحِينَ تُظْهِرُونَ ١٨ يُخْرِجُ ٱلْحَيَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَيِّ وَيُحْيِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَاۚ وَكَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ ١٩ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٖ ثُمَّ إِذَآ أَنتُم بَشَرٞ تَنتَشِرُونَ ٢٠ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجٗا لِّتَسْكُنُوٓاْ

إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ ﴾

﴿وَعَشِيًّا﴾: هي صلاة العصر ﴿وَحِينَ تُظْهِرُونَ﴾: (حس) تدخلون في الظهيرة وهي صلاة الظهر علىٰ حين، فما بينهما اعتراض.

تلخيصه: صلوا في هذه الأوقات، قيل لابن عباس: هل تجد الصلوات الخمس في القرآن؟ فقال: نعم، وقرأ هاتين الآيتين، أو المراد حقيقة التسبيح في هذه الأوقات، قال ﷺ: «**من قال حين يصبح وحين يمسي: سبحان الله وبحمده مائة مرة لم يأت أحد يوم القيامة بأفضل مما جاء به، إلا من قال مثل ما قال أو زاد**»[(١)]. وقال: «**كلمتان خفيفتان علىٰ اللسان حبيبتان إلىٰ الرحمن سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم**»[(٢)]. وقال: «**من قال: سبحان الله وبحمده في كل يوم مائة مرة حطت خطاياه وإن كانت مثل زبد البحر**»[(٣)].

﴿وَيُحْيِ ٱلْأَرْضَ﴾: بالمطر وبإخراج النبات ﴿بَعْدَ مَوْتِهَا﴾: (حس) يبسها.

﴿وَكَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ﴾: (تا) المعنىٰ: كإحيائنا نبات الأرض بالمطر كذلك نحييكم عند البعث، [ق/ ٣٠٦ب] **تلخيصه**: الإبداء والإعادة في قدرته سواء ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ﴾: دلائله الدالة علىٰ القدرة والوحدانية خبر مبتدأ ﴿أَنْ خَلَقَكُم﴾: وكذلك باقيها، أي: خلق أصلكم وهو آدم ﴿مِّن تُرَابٍ﴾: و«إذا» للمفاجأة، أي: فاجأتم وقت كونكم بشرًا ﴿تَنتَشِرُونَ﴾: (تا) في الأرض.

﴿أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾: آدميات من مثلكم لا من جنس آخر، أو من حواء، وحواء من تراب ﴿لِّتَسْكُنُوٓاْ إِلَيْهَا﴾: لتأووا إلىٰ أزواجكم ﴿وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً﴾: محبة ﴿وَرَحْمَةً﴾: تراحمًا من غير قرابة، أو المودة الولد والرحمة العطف عليه، أو المودة الولد والرحمة ولد الولد.

---

(١) أخرجه مسلم(٢٦٩٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري (٦٠٤٣)، ومسلم (٢٦٩٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) أخرجه البخاري (٦٠٤٢)، ومسلم (٢٦٩١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

الحسن: المودة الجماع، والرحمة الولد، فبرحمة الله يتعاطفون ويرزق بعضٌ بعضًا.

﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾: (تا) في الصَنعة فيستدلون بها علىٰ قدرة[ق/ ١٨٤أ] صانعها وعظمته ووجوب عبادته.

﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِلْعَالِمِينَ ﴿٢٢﴾ وَمِنْ آيَاتِهِ مَنَامُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَابْتِغَاؤُكُمْ مِنْ فَضْلِهِ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿٢٣﴾ وَمِنْ آيَاتِهِ يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَيُحْيِي بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾

﴿وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ﴾: باللغات ومَلَاذ النعمات.

﴿وَأَلْوَانِكُمْ﴾: (حس) من أبيض إلىٰ أسود إلىٰ غيرهما، وهم من أب واحد وأم واحدة، فلا تكاد ترىٰ لونين متوافقين ولا تسمع صوتين متفقين.

القراءة: ﴿لِلْعَالِمِينَ﴾: (تا) بكسر اللام الثالثة جمع «عالِم» وهو ذو العلم، نحو: (وما يعقلها إلا العالمون)، وخص العلماء؛ لأنهم هم أهل النظر والاستدلال دون الجُهال المشغولين بحطام الدنيا وزخارفها، وبفتحها جمع «عالَم» وهم الخلق، المعنىٰ: إن الآيات بارزة ظاهرة تكاد لظهورها يستدل بها جميع الخلق.

تلخيصه: الآيات حجة علىٰ كل مخلوق ﴿مِّن فَضْلِهِۦ﴾: (حس) المعنىٰ: جعل الليل للسكنىٰ والنهار لطلب المعاش، أو المراد: منامكم في الزمانين وابتغاؤكم فيهما ﴿لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ﴾ (تا) سماع تدبر ﴿وَمِنْ آيَاتِهِۦ﴾ حال من (البرق)، أي: ﴿يُرِيكُمُ الْبَرْقَ﴾: كائنًا من آياته، وحق الواو الدخول علىٰ الفعل هنا، لكن لمَّا قدمت الحال وهي من جملة المعطوف أوليت الواو أيضًا، فالجار والمجرور في حكم الظرف، أو أضمرت «أن» في ﴿يُرِيكُمُ﴾ لدلالة الكلام عليها، ونزل الفعل منزلة المصدر وبهما فُسر.

تسمع بالمعيدي خير من أن تراه

أو تقديره: ومن آياته شيء، ففي ﴿يُرِيكُمُ﴾ ضمير يرجع إلىٰ «شيء» المحذف.

﴿خَوۡفٗا﴾: من الصاعقة ﴿وَطَمَعٗا﴾: في الغيث، أو خوفًا للمسافر طمعًا للحاضر، وانتصبا مفعولًا له، أي: إرادة خوف وإرادة طمع، فحذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه، أو حالًا، أي: خائفين وطامعين.

﴿بَعۡدَ مَوۡتِهَآ﴾: (حس).

﴿يَعۡقِلُونَ﴾: (تا).

﴿وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن تَقُومَ ٱلسَّمَآءُ وَٱلۡأَرۡضُ بِأَمۡرِهِۦۚ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمۡ دَعۡوَةٗ مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ إِذَآ أَنتُمۡ تَخۡرُجُونَ ﴿٢٥﴾ وَلَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ كُلّٞ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ ﴿٢٦﴾ وَهُوَ ٱلَّذِي يَبۡدَؤُاْ ٱلۡخَلۡقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهۡوَنُ عَلَيۡهِۚ وَلَهُ ٱلۡمَثَلُ ٱلۡأَعۡلَىٰ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿٢٧﴾﴾

والمراد بـ﴿أَن تَقُومَ ٱلسَّمَآءُ وَٱلۡأَرۡضُ﴾: دوام قيامهما إلىٰ أجلهما، أو قيامهما بلا عمدٍ ﴿بِأَمۡرِهِۦۚ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمۡ دَعۡوَةٗ﴾: بعد قيام السموات والأرض للبعث، ولا أحب الوقف هنا ولا علىٰ ﴿مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ﴾؛ لأنَّ «إذا» للشرط، جوابه ﴿إِذَآ أَنتُمۡ﴾ لأنها للمفاجأة فنابت مناب الفاء، وأيضا فـ﴿مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ﴾ صفة ﴿دَعۡوَةٗ﴾، أو متعلقة بـ﴿دُعَآءَكُمۡ﴾ أو بـ﴿خَرَجۡتُمۡ﴾ محذوفًا يدل عليه.

﴿تَخۡرُجُونَ﴾: (تا) من قبوركم لا بـ﴿تَخۡرُجُونَ﴾ المذكورة؛ لأنَّ ما بعد «إذا» يعمل فيما قبلها، المعنىٰ: من دلائله علىٰ ألوهيته قيام السموات والأرض ثم خروج الموتىٰ حين يقال: يا أهل القبور اخرجوا، فيخرجون بلا توقف ولا إباء.

﴿وَٱلۡأَرۡضِ﴾: (كا).

﴿قَٰنِتُونَ﴾: (تا) مطيعون، أو هذا خاص لمن كان منهم مطيعًا.

ابن عباس [1]: مطيعون في الحياة والبقاء والموت والبعث وإن عصوا في العبادة.

(١) انظر: «تفسير البغوي» (٣/ ٥٧٥).

﴿يَبۡدَؤُاْ ٱلۡخَلۡقَ﴾: قالوا: **وقرئ** بغير همز.

قال ابن جني: ينبغي أن يريد بغير همزة محققة، بل هي محققة فقربت من الساكن، فهي مضمومة في زنة المحققة، ولو كان بدلًا محضًا لقلبها ياء، ثم أبدل من الياء ألفًا، نحو: إذا ملأ بطنه، أراد ملاء، فأبدلها ياء ثم أبدلها للفتحة قبلها ألفًا.

﴿ثُمَّ يُعِيدُهُۥ﴾: وقت البعث ﴿وَهُوَ﴾: أي: البعث ﴿أَهۡوَنُ عَلَيۡهِ﴾: (تا) في ظنكم، أو هو أهون علىٰ الخلق؛ لأنَّ قيامهم بصيحة واحدة أسهل من كونهم نُطفًا ثم علقًا ثم مضغًا إلىٰ تكميل خلقهم، أو أهون بمعنىٰ هين.

ابن جبير: هو هين عليه، وما شيء عليه بعزيز، وقدمت (علي) في (هو علي هين) للاختصاص [أي: وجود الولد من بين هَرِمٍ وعاقرٍ مختص بزكريا وزوجته، وأخرت هنا لأنَّه لا معنىٰ للاختصاص](1)؛ لأنَّه يفضي إلىٰ أن الإنشاء أسهل من الإعادة، وليس كذلك عندهم.

﴿وَلَهُ ٱلۡمَثَلُ﴾: الوصف ﴿ٱلۡأَعۡلَىٰ﴾: المختص به ﴿فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾: ابن عباس: هو أن ليس كمثله شيء، أو هو أن لا إله إلا هو.

[**تلخيصه**: هو](2) منزه عن صفات المحدثين.

﴿وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ﴾: (تا) في أمره وقضائه، وهذا وصف الوحدانية.

﴿ضَرَبَ لَكُم مَّثَلٗا مِّنۡ أَنفُسِكُمۡۖ هَل لَّكُم مِّن مَّا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُم مِّن شُرَكَآءَ فِي مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ فَأَنتُمۡ فِيهِ سَوَآءٞ تَخَافُونَهُمۡ كَخِيفَتِكُمۡ أَنفُسَكُمۡۚ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ ﴿٢٨﴾ بَلِ ٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَهۡوَآءَهُم بِغَيۡرِ عِلۡمٖۖ فَمَن يَهۡدِي مَنۡ أَضَلَّ ٱللَّهُۖ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٢٩﴾ فَأَقِمۡ وَجۡهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفٗاۚ فِطۡرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيۡهَاۚ لَا تَبۡدِيلَ لِخَلۡقِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلۡقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٣٠﴾﴾

---

(١) سقط من ج، والمثبت من أ، ب.

(٢) سقط من ج، والمثبت من أ، ب.

ثم عقبه بصفات التشريك فقال: ﴿ضَرَبَ لَكُم مَّثَلًا مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾: فـ(من) هذه ابتدائية، أي: أخذ مثلًا وانتزعه من أقرب شيء منكم وهي أنفسكم، و(من) في ﴿مِّن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُم﴾: من إمائكم تبعيض، و(من) في ﴿مِّن شُرَكَآءَ فِى مَا رَزَقْنَٰكُمْ﴾: من الأموال زائدة لتأكيد الاستفهام الجاري مجرىٰ النفي، ومحل ﴿فَأَنتُمْ﴾: وعبيدكم ﴿فِيهِ﴾: في المال الذي بأيديكم ﴿سَوَآءٌ﴾: متساوون، الجملة نصب جواب الاستفهام، أي: هل لكم مال فتستووا أنتم وعبيدكم فيه؟ ومحل ﴿تَخَافُونَهُمْ﴾: حال من فاعل (سواء)، أي: فتساووا خائفًا بعضكم بعضًا، ومحل الكاف نصب صفة محذوف، اي: تخافون مواليكم خيفة ﴿كَخِيفَتِكُمْ أَنفُسَكُمْ﴾: (حس) المعنىٰ: تخافون أن يشاركم مواليكم في أموالكم ويقاسموكم كما يقاسم الحر شريكه الحر، أو المعنىٰ: إذا خفتم أن يرثكم مواليكم في أموالكم كما يرث الحرُّ الحرَّ، فكيف رضيتم أن تجعلوا معبوديكم شركائي وهم عبيدي.

تلخيصه: إذا لم ترضوا ذلك لكم، فكيف ترضونه لي؟ ﴿كَذَٰلِكَ﴾: أي تفصيلًا كهذا التفصيل ﴿نُفَصِّلُ ٱلْأَيَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾: (كا) فلمَّا لم ينزجروا أضرب عنهم، فقال: ﴿بَلِ ٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ﴾: أنفسهم بالكفر ﴿أَهْوَآءَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾: بل تقليدًا للجهلة ﴿فَمَن يَهْدِى مَنْ أَضَلَّ﴾: أي: أضله ﴿ٱللَّهُ﴾: (تا).

﴿وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ﴾: (حس) من العذاب.

﴿فَأَقِمْ﴾: عَدِّل ﴿وَجْهَكَ لِلدِّينِ﴾: أي نحوه، المعنىٰ: سدد عملك وأصلحه واستقم علىٰ دين الإسلام.

﴿حَنِيفًا﴾: (كا) حال من المأمور أو الدين ﴿فِطْرَتَ﴾: نصب بمضمر، أي: الزموا خلقة ﴿ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ﴾: أي خلق ﴿ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا﴾: أو الفطرة العهد المأخوذ عليهم بقوله: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾، فعلىٰ هذا كل مولود يولد ابتداء علىٰ التوحيد لو لم يعرض له ما يصده عنه لدام عليه؛ لأنَّ حسن التوحيد وصحته

موجود عقلًا، يوضح ذلك قوله ﷺ: «**كل مولود يولد على الفطرة حتى يكون أبواه هما [ق/ ٣٠٧ب] اللذان يهودانه وينصرانه**»[(١)]، وقوله: «**كل عبادي خلقت حنفاء، فاجتالتهم الشياطين عن دينهم وأمروهم أن يشركوا بي**»[(٢)]. ابن المبارك[(٣)]: معنى الحديث: كل مولود يولد على فطرته التي جُبل عليها من الشقاوة والسعادة، فكل صائر إلى ما جُبل عليه.

﴿لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِۚ﴾: إن أريد بالفطرة التوحيد، فالمعنى: أثبتوا عليه، وإن أريد ما فُطر عليه الإنسان من الشقاوة والسعادة، فالمعنى: إن الشقي لا يصير سعيدًا وبالعكس، أو المراد (تبديل خلق الله) خصَاءُ البهائم ﴿ٱلْقَيِّمُ﴾: المستقيم ﴿فأقم وجهك﴾: خطاب للنبي ﷺ والمراد أمته ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾: (كا) .

﴿ ۞ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَٱتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَلَا تَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٣١﴾ مِنَ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿٣٢﴾ وَإِذَا مَسَّ ٱلنَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْا۟ رَبَّهُم مُّنِيبِينَ إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَآ أَذَاقَهُم مِّنْهُ رَحْمَةً إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾

قالوا، ولا أحبه؛ لأنَّ ﴿مُنِيبِينَ﴾: حال من الزموا الناصبة لفطرة، أو من فاعل ﴿ فَأَقِمْ ﴾؛ لأنَّه جمع في المعنى، أي: راجعين إليه[ق/ ٢١٨ جـ] بالطاعة، ثم تعطف على ضمير «الزموا» المضمرة ﴿وَٱتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَلَا تَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾: [(حس)][(٤)] لا تقف هنا إن أبدلت ﴿مِنَ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ﴾: من المشركين، **القراءة**: فرقوا دينهم، أي: جعلوه فرقًا مختلفة، وهم اليهود والنصارى، أو المبتدعة من هذه الأمة، و﴿فارقوا﴾، أي: تركوه ﴿وَكَانُوا۟ شِيَعًا﴾:

---

(١) أخرجه البخاري (١٢٩٣)، ومسلم (٢٦٥٨) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) أخرجه مسلم(٢٨٦٥) من حديث عياض بن حمار المجاشعي رضي الله عنه.

(٣) انظر: «تفسير البغوي» (٣/ ٥٧٨).

(٤) سقط من أ، ب والمثبت من ج.

(حس) فرقًا مختلفة ﴿كُلُّ حِزْبِۭ بِمَا لَدَيْهِمْ﴾: من الدين ﴿فَرِحُونَ﴾: (تا) وقرئ: (فارحون)، ويكفي الوقف على ﴿ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ إن استأنفت ﴿مِنَ ٱلَّذِينَ﴾، ولا يجوز على (شيعًا)؛ لأنَّ معناه: من المفارقين دينهم، كل حزب فرحين بما لديهم، فيرتفع (فرحون) وصفًا لـ(كل) على هذا كقوله[1]:

وكل خليل غير هاضم نفسه

﴿ضُرٌّ﴾: شدة كقحط ومرض.

وقوله: ﴿رَحْمَةً﴾: خصبًا ونعمة، المعنى: يلجأوون إليه تعالى في الشدائد، فإذا أنعم [عليهم][2] ﴿إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ﴾: ثم أمرهم إيعادًا وتهديدًا، فقال:

﴿لِيَكْفُرُوا۟ بِمَآ ءَاتَيْنَٰهُمْ ۚ فَتَمَتَّعُوا۟ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٣٤﴾ أَمْ أَنزَلْنَا عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنًا فَهُوَ يَتَكَلَّمُ بِمَا كَانُوا۟ بِهِۦ يُشْرِكُونَ ﴿٣٥﴾ وَإِذَآ أَذَقْنَا ٱلنَّاسَ رَحْمَةً فَرِحُوا۟ بِهَا ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ ﴿٣٦﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٣٧﴾﴾

﴿لِيَكْفُرُوا۟﴾: أو اللام بمعنى كي، أي: لكي يكفروا بسبب ما ﴿ءَاتَيْنَٰهُمْ﴾: من النعم، تقف هنا لانصرافك من الغيبة إلى الخطاب، وهو ﴿فَتَمَتَّعُوا۟﴾: وقرئ: (ليتمتعوا)، فلا وقف على ﴿ءَاتَيْنَٰهُمْ﴾ ﴿سُلْطَٰنًا﴾: برهانًا أو كتابًا.

﴿فَهُوَ يَتَكَلَّمُ﴾: مجازًا؛ لأنَّ البرهان لا يتكلم، ولكن لمَّا جاء بما هو دليل على الإيمان فكأنه متكلم.

و«ما» مصدرية في ﴿بِمَا كَانُوا۟ بِهِۦ يُشْرِكُونَ﴾: (حس) المعنى: بكونهم بالله يشركون، أو موصولة يرجع الضمير إليها، أي: يتكلم بالأمر الذي بسببه يشركون

---

(١) القائل هو الشماخ، والبيت في «ديوانه» (ص/ ١٧٣)، والبيت بتمامه:

وكلّ خليلٍ غيرِ هاضمِ نَفْسِهِ ... لوصلِ خليلٍ صارمٌ أو مُعَارِزُ

(٢) في أ، ب: عليه، والمثبت من ج.

﴿رَحۡمَةٗ﴾: كفاية وخصبًا ﴿وَإِن تُصِبۡهُمۡ سَيِّئَةُۢ﴾: قحط وبلاء ﴿بِمَا قَدَّمَتۡ أَيۡدِيهِمۡ﴾: من الأعمال الخبيثة ﴿إِذَا هُمۡ يَقۡنَطُونَ﴾: (تا) ييأسون من رحمته تعالىٰ .

﴿وَيَقۡدِرُۚ﴾: (كا).

﴿يُؤۡمِنُونَ﴾: (حس).

﴿ فَـَٔاتِ ذَا ٱلۡقُرۡبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلۡمِسۡكِينَ وَٱبۡنَ ٱلسَّبِيلِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ لِّلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجۡهَ ٱللَّهِۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ٣٨ وَمَآ ءَاتَيۡتُم مِّن رِّبٗا لِّيَرۡبُوَاْ فِيٓ أَمۡوَٰلِ ٱلنَّاسِ فَلَا يَرۡبُواْ عِندَ ٱللَّهِۖ وَمَآ ءَاتَيۡتُم مِّن زَكَوٰةٖ تُرِيدُونَ وَجۡهَ ٱللَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُضۡعِفُونَ ٣٩ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ ثُمَّ رَزَقَكُمۡ ثُمَّ يُمِيتُكُمۡ ثُمَّ يُحۡيِيكُمۡۖ هَلۡ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَفۡعَلُ مِن ذَٰلِكُم مِّن شَيۡءٖۚ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ٤٠ ﴾

ولمَّا ذكر أن السيئة أصابتهم بما قدمت أيديهم عقَّبه بذكر ما يحمدون علىٰ فعله ويمدحون، فقال: ﴿فَـَٔاتِ ذَا ٱلۡقُرۡبَىٰ حَقَّهُۥ﴾: بأن تبره وتصله ﴿وَٱلۡمِسۡكِينَ وَٱبۡنَ ٱلسَّبِيلِ﴾: (كا) من الصدقة ﴿ٱلۡمُفۡلِحُونَ﴾: (تا) يحتج بهذه الآية أبو حنيفة علىٰ وجوب نفقة ذوي المحارم إذا كانوا محتاجين، والشافعي لا يوجب نفقتهم ويقيسهم علىٰ ابن العم.

القراءة: ﴿وَمَآ ءَاتَيۡتُم﴾: قصرًا من المجيء، ومدًّا من الإعطاء، **والقراءة**: أيضًا ﴿لِّيَرۡبُوَاْ﴾: بتاء مضمومة وإسكان الواو خطابًا، ردًّا علىٰ الخطاب قبله، أي: لتصيروا أصحاب زيادة ﴿فِيٓ أَمۡوَٰلِ ٱلنَّاسِ﴾: بما أعطيتم، وبياء مفتوحة غيبة ونصب الفعل؛ لأنها لام كي، أي: لكي يزيد هو، المعنىٰ: فما أعطيتم وجئتم به لغير الله ﴿فَلَا يَرۡبُواْ﴾: لا ينمو ﴿عِندَ ٱللَّهِ﴾: (كا) قالوا: هذا في الرجل يعطي ليُثاب أكثر منه، وهذا حلال ولا يثاب عليه، أو فيمن يعطي صديقه ليُكثِّر ماله لا ليثاب [عليه][1]، أو فيمن يعطي من التزق إليه للخدمة لا ليثاب ﴿تُرِيدُونَ وَجۡهَ ٱللَّهِ﴾: أي ذاته، أي: يقصدون بعملهم القرب إلىٰ الله.

---

(١) سقط من أ، ب والمثبت من ج.

ثم رجع من الخطاب إلىٰ الغيبة فقال: ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُضۡعِفُونَ﴾: (تا) بأن تُضاعف حسناتهم فيُعطون بالحسنة عشرة أضعافها، والمضعف[ق/ ١٨٥أ] ذو الأضعاف، كقولهم: قوم مُسمِنون أصحاب سِمَان، ويجوز أنهم هم يضعفون حسناتهم بأن يزيدوا في فعل الخير، من أضعفت الشيء وضعَّفتُه زِدْتُه.

تلخيصه: من أنفق أمواله لغير الله لم يُثب، ومن أنفقها له أُثيب وزيد في ثوابه، ثم أومأ إلىٰ عجز آلهتهم فقال: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ﴾: مبتدأ وخبر، المعنىٰ: هو المختص بالخلق والرزق والإماتة والإحياء ﴿هَلۡ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَفۡعَلُ مِن ذَٰلِكُم مِّن شَيۡءٖ﴾: (تا) فلم يجيبوا عجزًا، فقال: ﴿سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ﴾: (تا) به من المعبودين

﴿ ظَهَرَ ٱلۡفَسَادُ فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ بِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِي ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعۡضَ ٱلَّذِي عَمِلُواْ لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ ﴿٤١﴾ قُلۡ سِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلُۚ كَانَ أَكۡثَرُهُم مُّشۡرِكِينَ ﴿٤٢﴾ فَأَقِمۡ وَجۡهَكَ لِلدِّينِ ٱلۡقَيِّمِ مِن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَ يَوۡمٞ لَّا مَرَدَّ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِۖ يَوۡمَئِذٖ يَصَّدَّعُونَ ﴿٤٣﴾ مَن كَفَرَ فَعَلَيۡهِ كُفۡرُهُۥۖ وَمَنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا فَلِأَنفُسِهِمۡ يَمۡهَدُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾

﴿ظَهَرَ ٱلۡفَسَادُ﴾ هو القحط أو المعاصي أو الشرك ﴿فِي ٱلۡبَرِّ﴾: البوادي والمفاوز ﴿وَٱلۡبَحۡرِ﴾: القرىٰ علىٰ الماء.

عكرمة: العرب تُسمي الأمصار البحار، أو المراد حقيقة البحر، فكما تؤثر المعاصي في البر بقطع المطر، كذلك تؤثر في البحر بقطع المطر وخلوّ الصدف من اللؤلؤ؛ لأنَّ الصدف إذا جاء المطر صعد علىٰ وجه الماء منفتحًا فيقع فيه المطر فينطبق عليه فيصير لؤلؤًا، وقرئ: (في البحر والبحُور)، أو الفساد في البر قتل قابيل لهابيل، وفي البحر غصب الجلندي السفن ﴿بِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِي ٱلنَّاسِ﴾: من الذنوب، يكفي الوقف هنا عند أبي حاتم لجعله اللام بعدُ للقسم، وغيره لا يجيزه لأنَّه يجعلها لام كي، المعنىٰ: ظهر الفساد في هاتين الجهتين بنقص معايش الناس بسبب معاصيهم ﴿لِيُذِيقَهُم بَعۡضَ﴾: أي عقوبة بعض ﴿ٱلَّذِي عَمِلُواْ﴾: من الذنوب

﴿لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ﴾: (تا) عن معاصيهم تائبين، **تلخيصه**: ظهر الفساد لنذيقهم، أو عاقبهم ليذيقهم.

القراءة: ﴿لِنُذِيقَهُمۡ﴾ بالنون وبالياء غيبة ﴿مُّشۡرِكِينَ﴾ (تا) والمراد بـ﴿يَوۡمٌ لَّا مَرَدَّ لَهُۥ﴾ يوم القيامة لا يرده أحد ﴿مِنَ ٱللَّهِ﴾: (كا).

﴿يَوۡمَئِذٖ يَصَّدَّعُونَ﴾: (تا) يتفرقون فريقين، فريق إلىٰ الجنة وفريق إلىٰ النار، ثم أومأ تعالىٰ إلىٰ غناه عنهم، فقال: ﴿مَن كَفَرَ فَعَلَيۡهِ كُفۡرُهُۥ﴾: أي وبال كفره، ولمَّا كانت مضاجع الصالحين تسوىٰ لهم في الجنة، أو في القبور بسبب عملهم نسب ذلك إليهم بقوله: ﴿فَلِأَنفُسِهِمۡ يَمۡهَدُونَ﴾ (كا) عند أبي حاتم علىٰ أصله، وغيره لا يجيزه، وهذا كقوله: ﴿إِنۡ أَحۡسَنتُمۡ أَحۡسَنتُمۡ لِأَنفُسِكُمۡۖ وَإِنۡ أَسَأۡتُمۡ فَلَهَا﴾ [الإسراء:٧]، وقدم الظرف في المكانين للإيذان أن ضرر الكفر مختص بالكافر وأن نفع الصلاح مختص بالمؤمن.

﴿لِيَجۡزِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن فَضۡلِهِۦٓۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٤٥﴾ وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن يُرۡسِلَ ٱلرِّيَاحَ مُبَشِّرَٰتٖ وَلِيُذِيقَكُم مِّن رَّحۡمَتِهِۦ وَلِتَجۡرِيَ ٱلۡفُلۡكُ بِأَمۡرِهِۦ وَلِتَبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِهِۦ وَلَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ﴿٤٦﴾ وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ رُسُلًا إِلَىٰ قَوۡمِهِمۡ فَجَآءُوهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ فَٱنتَقَمۡنَا مِنَ ٱلَّذِينَ أَجۡرَمُواْۖ وَكَانَ حَقًّا عَلَيۡنَا نَصۡرُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٤٧﴾﴾

﴿مِن فَضۡلِهِۦٓۚ﴾: (كا) من عطائه.

﴿ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾: (تا).

﴿مُبَشِّرَٰتٖ﴾: لخلقه بالمطر، وتعطف علىٰ معنىٰ (مبشرات) ما بعد، تقديره: يرسل الله الرياح ليبشركم.

﴿وَلِيُذِيقَكُم مِّن رَّحۡمَتِهِۦ وَلِتَجۡرِيَ ٱلۡفُلۡكُ بِأَمۡرِهِۦ وَلِتَبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِهِۦ وَلَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ﴾: (تا) علىٰ أنعمه عليكم.

﴿أَجۡرَمُواْ﴾: (حس).

تلخيصه: كُذِّب الرسل قبلك فَعُذِبَ مكذبوهم بذنبهم، قال ﷺ: «**ما من مسلم يرد عن عرض أخيه إلا كان حقًّا على الله أن يرد عنه نار جهنم يوم القيامة [ق/ ٣٠٨ب] ثم تلا** ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾»[(١)]: [(تا)][(٢)] بإنجائهم من العذاب لإيمانهم، أُولِعَ جماعةٌ بالوقف على ﴿حَقًّا﴾، وليس بمختار؛ لأنَّ الوقف على ﴿حَقًّا﴾ يوجب الانتقام ويوجب نصر المؤمنين؛ لأنَّ تقديره: وكان الانتقام منهم ﴿حَقًّا﴾، ثم يبتدئ: ﴿عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾، ولا يلزم أنه تعالى ينتقم من كلٍ بل قد يعفو، وترك الوقف على ﴿حَقًّا﴾ إنما يوجب نصر المؤمنين ولا يحتاج إلى تقدير محذوف.

﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُۥ فِى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ يَشَآءُ وَيَجْعَلُهُۥ كِسَفًا فَتَرَى ٱلْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَٰلِهِۦ ۖ فَإِذَآ أَصَابَ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٤٨﴾ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلِ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْهِم مِّن قَبْلِهِۦ لَمُبْلِسِينَ ﴿٤٩﴾ فَٱنظُرْ إِلَىٰٓ ءَاثَٰرِ رَحْمَتِ ٱللَّهِ كَيْفَ يُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٥٠﴾ ﴾

﴿فَتُثِيرُ سَحَابًا﴾: فترفع غيمًا ﴿فَيَبْسُطُهُۥ فِى ٱلسَّمَآءِ﴾: أي نحوها، ويجوز أن يراد في الجهة العليا ﴿كَيْفَ يَشَآءُ﴾ من قلة وكثرة، وبسط وسمك ﴿وَيَجْعَلُهُۥ كِسَفًا﴾: قطعًا متفرقة، أو هو مصدر، أي: ذا كسف.

﴿وَإِن كَانُوا۟﴾: أي الخلق ﴿مِن قَبْلِ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْهِم﴾: المطر ﴿مِّن قَبْلِهِۦ﴾: من قبل السحاب، أو الريح ﴿لَمُبْلِسِينَ﴾: (كا) آيسين، أو المعنى: وما كانوا من قبل نزول المطر عليهم من قبل نبات الزرع [إلا آيسين، أو (قبل) الأولى لإنبات الزرع][(٣)] والثانية لتمامه، أو كررت قبل تأكيدًا.

وقرئ: (وإن كانوا من قبل أن ينزل عليهم لمبلسين) بلا تكرار ﴿قَبْلُ﴾، لا

---

(١) رواه الترمذي (١٩٣١)، وأحمد (٢٧٥٧٦)، ، والبيهقي في «السنن الكبرى» (١٦٤٦١) من حديث أبي الدرداء رضي الله عنه.

(٢) سقط من ج، والمثبت من أ،ب.

(٣) سقط من ج، والمثبت من أ،ب.

أحب الوقف من ﴿ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ إلىٰ هنا.

القراءة: ﴿ءَاثَـٰرِ﴾ وآثار.

﴿رَحْمَتِ ٱللَّهِ﴾: مفردًا وجمعًا، المعنىٰ: انظر إلىٰ تأثير المطر.

﴿كَيْفَ يُحْيِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ﴾: أي مُحييها بعد الموت ﴿لَمُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ﴾: وهو الله تعالىٰ ﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾: (حس) ودخلت اللام الموطئة للقسم علىٰ الشرط في.

﴿وَلَئِنْ أَرْسَلْنَا رِيحًا فَرَأَوْهُ مُصْفَرًّا لَّظَلُّوا۟ مِنۢ بَعْدِهِۦ يَكْفُرُونَ ﴿٥١﴾ فَإِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ وَلَا تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا وَلَّوْا۟ مُدْبِرِينَ ﴿٥٢﴾ وَمَآ أَنتَ بِهَـٰدِ ٱلْعُمْىِ عَن ضَلَـٰلَتِهِمْ ۖ إِن تُسْمِعُ إِلَّا مَن يُؤْمِنُ بِـَٔايَـٰتِنَا فَهُم مُّسْلِمُونَ ﴿٥٣﴾﴾

﴿وَلَئِنْ أَرْسَلْنَا﴾: علىٰ زرعهم ﴿رِيحًا﴾: فأفسدته.

﴿فَرَأَوْهُ﴾: أي الزرع ﴿مُصْفَرًّا﴾: بعد خضرته، أو رأوا السحاب، وإذا كان أصفر لا يكون فيه ماء، والساد مسد جوابي القسم والشرط ﴿لَّظَلُّوا۟﴾: فيكون مستقبلًا معنىٰ؛ لأنَّه جواب الشرط، أي: ليظلن ﴿مِنۢ بَعْدِهِۦ﴾: بعد اصفراره ﴿يَكْفُرُونَ﴾: (حس).

تلخيصه: يفرحون عند الخِصْب ويكفرون عند الجدب.

﴿مُدْبِرِينَ﴾: (حس).

﴿عَن ضَلَـٰلَتِهِمْ﴾: (حس).

﴿فَهُم مُّسْلِمُونَ﴾: (تا).

﴿۞ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْقَدِيرُ ﴿٥٤﴾ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُقْسِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا۟ غَيْرَ سَاعَةٍ ۚ كَذَٰلِكَ كَانُوا۟ يُؤْفَكُونَ ﴿٥٥﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ وَٱلْإِيمَـٰنَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِى كِتَـٰبِ ٱللَّهِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْبَعْثِ ۖ فَهَـٰذَا يَوْمُ ٱلْبَعْثِ وَلَـٰكِنَّكُمْ كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٥٦﴾﴾

القراءة: ﴿خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ﴾: أي من ذي ضعف، أي: ماء، أو المراد حال الطفولة، بفتح الضاد وضمها في الثلاثة لغتان ﴿ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً﴾: بعد ضعف الطفولة قوة الشباب، ثم من بعد قوة الشباب ﴿ضَعْفًا وَشَيْبَةً﴾: [(كا)][1] ضعف الشيخوخة وشيبها، **وقرئ** بضم الضادين الأولين وفتح الثالث جمعًا بين اللغتين.

تلخيصه: خلقكم أطفالًا ثم جعلكم شبابًا أقوياء ثم شيوخًا شُمْطًا، ﴿يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ﴾: (كا) .

﴿ٱلْقَدِيرُ﴾: (حس).

﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ﴾: التي فيها القيامة.

﴿يُقْسِمُ﴾ يحلف ﴿ٱلْمُجْرِمُونَ﴾: المشركون ﴿مَا لَبِثُوا۟﴾: في القبور أو في الدنيا ﴿غَيْرَ سَاعَةٍ﴾: (حس): ويكذبون ثَمَّ فيفتضحون.

﴿كَذَٰلِكَ كَانُوا۟ يُؤْفَكُونَ﴾ (تا) تقديره: مثل ذلك الصرف كانوا يصرفون عن الحق في الدنيا، فثمَّ الملائكة أو الأنبياء والمؤمنون يقولون: ﴿لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ﴾ أي: في حكمه وقضائه، أو في اللوح ﴿إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْبَعْثِ﴾: (كا) **وقرئ** بفتح العين، أو المعنىٰ: قال الذين أوتوا العلم في كتاب الله أي: العلماء_ هذا القول، والفاء بعد جواب شرط محذوف يدل عليه الكلام، تقديره: إن شككتم في يوم البعث ﴿فَهَٰذَا يَوْمُ ٱلْبَعْثِ﴾: الذي أنكرتموه ﴿وَلَٰكِنَّكُمْ كنتم﴾: في الدنيا ﴿لَا تَعْلَمُونَ﴾: (كا) صحة البعث الآن.

﴿فَيَوْمَئِذٍ لَّا يَنفَعُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مَعْذِرَتُهُمْ وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴿٥٧﴾ وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ ۚ وَلَئِن جِئْتَهُم بِـَٔايَةٍ لَّيَقُولَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا مُبْطِلُونَ ﴿٥٨﴾ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٩﴾ فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۖ وَلَا

(١) سقط من ج والمثبت من أ، ب.

يَسْتَخِفَّنَّكَ ٱلَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ ﴿٦٠﴾﴾

القراءة: ﴿لَّا يَنفَعُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مَعْذِرَتُهُمْ﴾: [بالياء والتاء][1]، أي: اعتذارهم ﴿وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ﴾: (تا) لا تطلب منهم العتبىٰ، أي: لا يقال لهم: ارضوا ربكم، من قولهم: استعتبني فلانٌ فأعتبته، أي: استرضاني فأرضيته، وحقيقة أعتبته أزلت عتبه، والعتب في معنىٰ الغضب.

تلخيصه: لا نفع لهم ثمَّ.

﴿مِن كُلِّ مَثَلٍۚ﴾: (كا).

﴿مُبْطِلُونَ﴾: (حس).

﴿كَذَٰلِكَ﴾ أي: مثل ذلك الطبع وهو الختم ﴿يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ﴾: الجهلة ﴿ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾: (حس) التوحيد ولا يصدقون الرسل.

﴿فَٱصْبِرْ﴾: علىٰ أذاهم ﴿وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ﴾: لا يحملنك علىٰ الخفة والطيش ﴿ٱلَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ﴾: (تا) بالبعث، وقرئ بتخفيف النون، وقرئ بحاءٍ وقافٍ مفتوحة، أي: لا يفتننك -بضم النون- فيملكوك، فيكونوا أحق بك من المؤمنين.

---

(١) في أ، ب تقديم وتأخير.

سورة (لقمان)

مكيـة إلا ﴿ وَلَوْ أَنَّمَا فِي ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ ...﴾ الآيتين، أو إلا ﴿ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ ..﴾ الآية فمدنيتان، وهي ثلاث أو أربع وثلاثون آية.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ الٓمٓ ﴿١﴾ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْحَكِيمِ ﴿٢﴾ هُدًى وَرَحْمَةً لِّلْمُحْسِنِينَ ﴿٣﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلْـَٔاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٥﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْتَرِى لَهْوَ ٱلْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا ۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٦﴾ ﴾

يكفي الوقف علىٰ ﴿ٱلْكِتَٰبِ ٱلْحَكِيمِ﴾: أي: ذي الحكمة علىٰ القراءة برفع ﴿هُدًى﴾: خبر مبتدأ محذوف ﴿وَرَحْمَةً﴾: عطف عليه، وغير جائز علىٰ القراءة أيضًا[ق/ ٢١٩جـ] بنصب ﴿هُدًى﴾ حالًا من الآيات، العامل فيها ما في تلك من معنىٰ الإشارة، فعلىٰ هذا لا وقف علىٰ ﴿لِّلْمُحْسِنِينَ ﴿٣﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلْـَٔاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾: (تا) لأنَّ ﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى﴾: مبتدأ خبره ﴿مِّن رَّبِّهِمْ﴾: وتعطف عليه ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾: (تا).

ونزل في النضر بن الحارث بن كلدة، كان يشتري أخبار رستم وأسفنديار ليقرأها علىٰ قريش، أو يشتري المغنيات ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْتَرِى لَهْوَ﴾: أي ذات لهو ﴿ٱلْحَدِيثِ﴾: قال ﷺ: «**لا يحل شري المغنيات ولا بيعهن، وأثمانهن حرام؛ لأنَّ في [مثل]**[(١)] **هذا أنزلت هذه الآية**»[(٢)]، [وقالوا:][(٣)] ما من رجل يرفع صوته

(١) سقط من أ، ب والمثبت من ج.

(٢) أخرجه الطبري في «تفسيره» (٢٠/ ١٢٦).

(٣) في أ، ب: وقال، والمثبت من ج.

بالغناء إلا بعث الله عليه شيطانين، أحدهما على هذا المنكب، والآخر على هذا المنكب، فلا يزالان يضربانه بأرجلهما حتى يكون هو الذي يسكت.

ابن مسعود وابن عباس والحسن وعكرمة وابن جبير قالوا: لهو الحديث الغناء(١)، وكان ابن مسعود وابن عباس يحلفان إنه الغناء(٢).

أبو عثمان: كل كلام سوى كتاب الله وسنة رسوله أو سيرة الصالحين فهو لهو.

تلخيصه: يأتي بلهو الحديث.

﴿لِيُضِلَّ﴾: ليصير آخر أمره إلى الضلال ﴿عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾: طريق الإسلام ﴿بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾: بل بجهل.

القراءة: ﴿وَيَتَّخِذَهَا﴾: أي «السبيل»، أو «الآيات» نصبًا عطفًا على ﴿لِيُضِلَّ﴾، ورفعًا عطفًا على ﴿يَشْتَرِي﴾، أو على إضمار «هو».

﴿مُّهِينٌ﴾: (حس).

﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا وَلَّىٰ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِىٓ أُذُنَيْهِ وَقْرًا ۖ فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٧﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلنَّعِيمِ ﴿٨﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۖ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقًّا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٩﴾ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ۖ وَأَلْقَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ ۚ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ﴿١٠﴾﴾

ومحل ﴿كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا﴾: حال، والعامل فيها ﴿وَلَّىٰ مُسْتَكْبِرًا﴾، ومحل ﴿كَأَنَّ فِىٓ أُذُنَيْهِ وَقْرًا﴾: صممًا حال بدل من ﴿كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا﴾، أو بيان لها.

﴿بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ (تا).

﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا﴾ [(حس)](٣) حال من ضمير (لهم).

---

(١) أخرجه الطبري في «تفسيره» (٢٠/ ١٢٧).
(٢) أخرجه الطبري في «تفسيره» (٢٠/ ١٢٧).
(٣) سقط من أ، ب والمثبت من ج.

﴿وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٗاۚ﴾: (حس) مصدر «إن» مؤكدان، الأول مؤكد لنفسه؛ لأنَّ معنىٰ ﴿لَهُمۡ جَنَّٰتُ ٱلنَّعِيمِ﴾: وعدهم بها، فأكد معنىٰ الوعد بالوعد، و﴿حَقّٗا﴾ دال علىٰ معنىٰ الثبات، أكد به معنىٰ الوعد، وأكدا جميعًا ﴿لَهُمۡ جَنَّٰتُ ٱلنَّعِيمِ﴾.

﴿ٱلۡحَكِيمُ﴾: (تا) بعضهم يقف علىٰ ﴿عَمَدٖ﴾: ليبين أن لا عمد لها، وبعضهم علىٰ ﴿تَرَوۡنَهَاۖ﴾: أي السموات، ليبين أن لها عمدًا غير مرئية، وعلىٰ التقديرين فلا أحبهما؛ لاتصال الكلام ﴿رَوَٰسِيَ﴾: جبالًا مرتفعة ﴿أَن تَمِيدَ﴾: لئلا تضطرب ﴿بِكُمۡ وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٖۚ﴾: (حس) لرجوعه من الغيبة إلىٰ الحضور ﴿مِن كُلِّ زَوۡجٖ كَرِيمٍ﴾: (حس) حسن.

﴿هَٰذَا خَلۡقُ ٱللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦۚ بَلِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ١١ وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا لُقۡمَٰنَ ٱلۡحِكۡمَةَ أَنِ ٱشۡكُرۡ لِلَّهِۚ وَمَن يَشۡكُرۡ فَإِنَّمَا يَشۡكُرُ لِنَفۡسِهِۦۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٞ ١٢ وَإِذۡ قَالَ لُقۡمَٰنُ لِٱبۡنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَيَّ لَا تُشۡرِكۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٞ ١٣﴾

﴿هَٰذَا خَلۡقُ ٱللَّهِ﴾: أي مخلوقه.

﴿مِن دُونِهِۦۚ﴾: (تا).

﴿مُّبِينٖ﴾: (تا).

﴿وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا لُقۡمَٰنَ ٱلۡحِكۡمَةَ﴾: هي العقل والعلم والعمل به، أو النبوة، وأكثرهم قال: إن لقمان لم يكن نبيًّا [ق/ ٣٠٩ب] وإنما كان حكيمًا، وروي أنه خُير بين النبوة والحكمة فاختار الحكمة، فقيل له في ذلك، فقال: هل خُير غيري؟ وروي أنه كان نائمًا نصف النهار، فنودي: يا لقمان، هل لك في أن يجعلك الله خليفة في الأرض تحكم بين الناس بالحق؟ فقال: إن خيرّنيٰ ربّي قبلت العافية ولم أقبل البلاء، وإن عزم علي فسمعًا وطاعة؛ فإني أعلم أنه إن فعل[ق/ ١٨٦أ] بي ذلك أعانني وعصمني، فقيل له: لم ذاك؟ قال: لأنَّ الحاكم بأشد المنازل

وأكدرها، يغشاه الظلم من كل جانب، إن أصاب فبالحري أن ينجو، وإن أخطأ أخطأ طريق الجنة، ومن يكن في الدنيا ذليلًا خير من أن يكون شريفًا، ومن خَيَّر الدنيا علىٰ الآخرة تفته الدنيا ولا يصيب الآخرة، ثم نام فأعطي الحكمة، فانتبه وهو يتكلم بها، وهو لقمان بن باعور بن ناحور بن تارخ، أو كان ابن أخت أيوب، وعاش ألف سنة وأدرك داود وأخذ عنه العلم، وكان يفتي قبل بعث داود، فلمَّا بُعث ترك الفتيا، فقيل له في ذلك، فقال: ألا أكتفي إذا كفيت؟! أو كان قاضيًا في بني إسرائيل، أو عبدًا حبشيًّا أو نوبيًّا، أو كان خياطًا أو نجارًا، أو راعي غنم، وروي أن رجلًا قال له: ألست الراعي فلان؟ فبما بلغت ما بلغت؟ قال: بصدق الحديث وأداء الأمانة وترك ما لا يعنيني، و«أن» بعدُ تفسير، تقديره: قلنا له: ﴿أَنِ ٱشۡكُرۡ لِلَّهِۚ﴾: (تا) علىٰ ما أعطاك من الحكمة.

﴿وَمَن يَشۡكُرۡ فَإِنَّمَا يَشۡكُرُ لِنَفۡسِهِۦۖ﴾ لأنَّ ثوابه له.

﴿وَمَن كَفَرَ﴾: نعمة ربه ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ﴾: عن خلقه ﴿حَمِيدٌ﴾: (تا) محمود علىٰ صُنعِه.

﴿وَهُوَ يَعِظُهُۥ﴾: يأمره بالطاعة وينهاه عن المعصية ويُذكره بالآخرة.

﴿عَظِيمٌ﴾: (تا).

﴿ وَوَصَّيۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيۡهِ حَمَلَتۡهُ أُمُّهُۥ وَهۡنًا عَلَىٰ وَهۡنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِي عَامَيۡنِ أَنِ ٱشۡكُرۡ لِي وَلِوَٰلِدَيۡكَ إِلَيَّ ٱلۡمَصِيرُ ﴿١٤﴾ وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشۡرِكَ بِي مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٌ فَلَا تُطِعۡهُمَاۖ وَصَاحِبۡهُمَا فِي ٱلدُّنۡيَا مَعۡرُوفٗاۖ وَٱتَّبِعۡ سَبِيلَ مَنۡ أَنَابَ إِلَيَّۚ ثُمَّ إِلَيَّ مَرۡجِعُكُمۡ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴿١٥﴾ يَٰبُنَيَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثۡقَالَ حَبَّةٖ مِّنۡ خَرۡدَلٖ فَتَكُن فِي صَخۡرَةٍ أَوۡ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ يَأۡتِ بِهَا ٱللَّهُۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٞ ﴿١٦﴾ ﴾

﴿وَهۡنًا﴾: مصدر في موضع الحال، أي: بذات وهنٍ، أو موهونة، المعنىٰ: توالىٰ عليها ضعف علىٰ ضَعف؛ لأنَّ الحمل ضَعف والطلق ضَعف والوضع ضَعف،

وقرئ بفتح الهائين ﴿وَفِصَٰلُهُۥ﴾: وقرئ: (وفصله)، أي: مدة فطامه ﴿فِي عَامَيْنِ﴾: وهذا كقوله تعالىٰ: ﴿حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ﴾ [البقرة:٢٣٣]: أبو حاتم: الوقف علىٰ ﴿بِوَٰلِدَيْهِ﴾ وعلىٰ ﴿وَهْنٍ﴾ وعلىٰ ﴿عَامَيْنِ﴾ كاف، وفيها نظر؛ لأنَّ ﴿أَنَ أَشْكُرَ﴾ نصب بـ﴿وصينا﴾، تقديره: ووصينا الإنسان بوالديه ﴿أَنِ ٱشْكُرْ لِي وَلِوَٰلِدَيْكَ﴾.

تلخيصه: وصينا بشكرنا وشكر والديه.

ابن عيينة: من صلىٰ الصلوات الخمس فقد شكر الله، ومن دعا لوالديه في أدبار الصلوات الخمس فقد شكر والديه.

﴿إِلَيَّ ٱلْمَصِيرُ﴾: (تا).

﴿فَلَا تُطِعْهُمَا﴾: (كا) في الشرك ﴿وَصَاحِبْهُمَا فِي ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا﴾: (كا) مصدر، أو صفة مصدر محذوف، أي: صحابًا معروفًا، وهو البر والصلة والعشرة الحسنة ﴿وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ﴾: أي: دين ﴿مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ﴾: أقبل علىٰ طاعتي.

﴿ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾: (تا) وجيء بهاتين الآيتين اعتراضًا في قصة لقمان لمناسبة بينهما؛ لأنَّ فيهما نهيًا عن الشرك كما في القصة، ثم قال مخاطبًا: ابنه واسمه أنعم، أو أشكم، أو كان ابنه وامرأته كافرين فما زال بهما حتىٰ أسلما.

القراءة: (إن تَكُ مِثْقَالُ): رفعًا فـ«كان» تامة، وأنث لأنَّ المثقال بمعنىٰ السيئة أو الحسنة، ونصبًا فـ«كان» ناقصة، تقديره: إن تك السيئة أو الحسنة قدر مثقال ﴿حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ﴾: أي زنة حبة من حب الخردل ﴿فَتَكُن فِي صَخْرَةٍ﴾: أو هي الصخرة التي في أسفل السُفل التي فيها أعمال الفجار، وهي سجين ﴿أَوْ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوْ فِي ٱلْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا ٱللَّهُ﴾: (كا) للجزاء، **وقرئ**: (فتكِن) بكسر الكاف من وَكِن الطائر يَكِنُ سكن وَكْنَتَه وهي مقره ليلًا، المعنىٰ: لو كان عملك أصغر شيء وأخفاه في أخفىٰ مكان وأحرزه لعلمه تعالىٰ وجازاك عليه.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ﴾: باستخراجها ﴿خَبِيرٌ﴾: (تا) بمكانها.

تلخيصه: لا يفوته شيء ويجازي به.

روي أنَّ آخر كلمة تكلمها هذه، ثم انشقت مرارته لهيبتها فمات.

﴿ يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱنۡهَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ ﴿١٧﴾ وَلَا تُصَعِّرۡ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمۡشِ فِي ٱلۡأَرۡضِ مَرَحًاۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخۡتَالٖ فَخُورٖ ﴿١٨﴾ وَٱقۡصِدۡ فِي مَشۡيِكَ وَٱغۡضُضۡ مِن صَوۡتِكَۚ إِنَّ أَنكَرَ ٱلۡأَصۡوَٰتِ لَصَوۡتُ ٱلۡحَمِيرِ ﴿١٩﴾ ﴾

﴿يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱنۡهَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ﴾: وابدأ بنفسك ﴿وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ﴾: من الأذىٰ بسبب ذلك؛ فإنه يورث المحن، في هذا دليل علىٰ قدم هذه الطاعات والحث عليها في شريعة من تقدمنا.

﴿إِنَّ ذَٰلِكَ﴾: أي المذكور ﴿مِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ﴾: (حس) التي أمر تعالىٰ بها، أو من التي يُعزم عليها لوجوبها، أو هو من تسمية [المصدر بالمفعول][(١)] أي: من معزومات [الأمور][(٢)]، أي: مفروضات الأمور، نحو: (وإذا عزم الأمر)، **القراءة:** ﴿وَلَا تُصَعِّرۡ﴾: مشددًا وبألف، **وقرئ:** (ولا تُصعِر) من أصعر وأصعر وصَعَر وصاعر واحدٌ بمعنىٰ الإعراض عن الناس تجبراً، من الصعر داء يأخذ الإبل فتميل أعناقها منه، المعنىٰ: لا تعرض بوجهك عن الناس تكبراً واحتقارًا لهم.

عكرمة: هو الذي إذا سُلم عليه أعرض ولوىٰ عنقه تكبراً.

أنس وقتادة: معناه: لا تحقر الفقراء، ليكن الغني والفقير عندك سواءً.

﴿مَرَحًا﴾: خيلاء.

﴿مُخۡتَالٖ﴾: متبختر في مشيته.

﴿فَخُورٍ﴾: (كا) علىٰ الناس، أي: صاحب خيلاء وفخر.

---

(١) في أ، ب: المفعول بالمصدر، والمثبت من ج.

(٢) سقط من أ، ب والمثبت من ج.

﴿وَٱقْصِدْ﴾: تواضع ﴿فِي مَشْيِكَ﴾: (كا) أو المعنىٰ: امش مشيًا قصدًا بين الإسراع المفرط والدبيب، وعليك السكينة والوقار.

﴿وَٱغْضُضْ﴾: وانقص ﴿مِن صَوْتِكَ﴾: (كا) واخفضه، في محل الخطاب دون الإرهاب للعدو، ولا تجهر بصوتك.

﴿إِنَّ أَنكَرَ﴾: أي أقبح ﴿ٱلْأَصْوَٰتِ لَصَوْتُ ٱلْحَمِيرِ﴾: (تا) لأنَّ أوله زفير وآخره شهيق كصوت أهل النار.

﴿أَلَمْ تَرَوْاْ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً ۗ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ ﴿٢٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ ۚ أَوَلَوْ كَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴿٢١﴾﴾

القراءة: ﴿وَأَسْبَغَ﴾: أي أسبل وأفضل ﴿عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ﴾: جمعًا؛ لأنَّ أنعمه تعالىٰ كثيرة، ومفردًا أراد الجنس، ثم قال مبينًا نعمه: ﴿ظَٰهِرَةً﴾: هي حسن الصورة وتسوية الأعضاء ﴿وَبَاطِنَةً﴾: هي المعرفة، أو الظاهرة ما ظهر كالرزق والقرآن والإسلام، والباطنة ما سُتِرَ من الذنب، ويجوز أن الظاهرة ما شوهد والباطنة ما لم يشاهد، أو الظاهرة الإعراض عن الدنيا، والباطنة التوكل والثقة بالله.

﴿وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ﴾: (حس).

﴿ءَابَآءَنَآ﴾: (كا).

وجواب ﴿أَوَلَوْ﴾ محذوف تقديره: أيتبعونه، المعنىٰ: أيتبعون الشيطان وإن كان ﴿يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ﴾: (تا).

﴿۞ وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴿٢٢﴾ وَمَن كَفَرَ فَلَا يَحْزُنكَ كُفْرُهُۥٓ ۚ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ فَنُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓاْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٢٣﴾ نُمَتِّعُهُمْ قَلِيلًا ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٢٤﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۚ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٥﴾﴾

﴿وَمَن يُسْلِمْ﴾ وقرئ: (يُسلِّم) ﴿وَجْهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ﴾: (تا) المعنىٰ: من أخلص لله فقد اعتصم بالعهد الأوثق، وهو لا إله إلا الله.

﴿وَإِلَى ٱللَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ﴾: (تا) فيعطي كلًا جزاءه، زعم بعضهم [ق/ ٣١٠ب] أن ﴿وَمَن كَفَرَ فَلَا يَحْزُنكَ كُفْرُهُۥٓ﴾: (حس) الآية نسخت بآية السيف [١].

﴿عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾: (تا).

﴿نُمَتِّعُهُمْ قَلِيلًا﴾: مدة آجالهم.

﴿ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٍ﴾:(حس) شديد ثمَّ.

﴿لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾: (حس).

﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾: (تا) التوحيد ووجوبه عليهم ﴿ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٢٦﴾ وَلَوْ أَنَّمَا فِى ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٧﴾ مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَٰحِدَةٍ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴿٢٨﴾ ﴾

﴿وَٱلْأَرْضِ﴾: (كا).

﴿ٱلْحَمِيدُ﴾: (تا).

روي أنَّ جماعة من اليهود قالوا: يا محمد ما تريد بقولك: ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء:٨٥]، إيانا أم قومك؟ فقال: «كُلًّا». فقالوا: أليست التوراة فينا؟ فقال: «**هي في علم الله قليل**» [٢]، فنزل ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِى ٱلْأَرْضِ...﴾ الآية، فهي مدنية، أو قال المشركون: إن القرآن يوشك أن ينقطع، فنزلت الآية، فهي مكية.

---

(١) انظر: «الناسخ والمنسوخ» لابن حزم(ص/ ٥٠).

(٢) أخرجه الطبري في «تفسيره» (٢٠/ ١٥٣).

ومحل ﴿مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ﴾: حال من «ما».

القراءة: ﴿وَٱلْبَحْرُ﴾: نصبًا عطفًا على اسم «أن» وهو «ما»، والخبر (أَقْلَٰمٌ)، ورفعًا استئنافًا (وَٱلْبَحْرُ) مبتدأ وخبره ﴿يَمُدُّهُۥ﴾: وهما خبر «أن»، أو عطفًا على موضع اسم «أن»، وقرئ: (وبحرٌ يمده) مبتدأ وخبر[ق/ ٢٢٠ جـ]، ولا أحب الوقف على أقلام لاتصال الكلام، ومعنى ﴿يَمُدُّهُۥ﴾ يزيده، وينصب فيه ﴿مِنۢ بَعْدِهِۦ﴾: أي من خلفه ﴿سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ﴾: المعنى: لو أن جميع أشجار الأرض أقلام، وينصب في البحر سبعة أبحر ومياهها مداد، فكتب بتلك الأقلام وذلك المداد لنفدت الأقلام والمداد ولم تنفد ﴿كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ﴾: (كا) يعني علمه.

﴿حَكِيمٌ﴾: (تا).

ونزل ردًا على منكري البعث ﴿مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ﴾: مع كثرتكم ومحل ﴿إِلَّا كَنَفْسٍ﴾: أي: إلا كخلق نفسٍ ﴿وَٰحِدَةٍ﴾: وبعثها، فحذف «بعثها» للعلم به، ورفع خبر (خلقكم).

﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ﴾: (تا) فلا يفوته شيء.

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِىٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَأَنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٩﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ ﴿٣٠﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱلْفُلْكَ تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِنِعْمَتِ ٱللَّهِ لِيُرِيَكُم مِّنْ ءَايَٰتِهِۦٓ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٣١﴾﴾

﴿خَبِيرٌ﴾: (حس).

﴿ٱلْكَبِيرُ﴾: (تا) وقد فُسرت قبلُ.

القراءة: ﴿أَنَّ ٱلْفُلْكَ﴾: بسكون اللام، وقرئ بضمها ومحل ﴿بِنِعْمَتِ ٱللَّهِ﴾: حال من فاعل ﴿تَجْرِى﴾، وقرئ بجمع [(نعمة)][1].

---

(١) سقط من ج، والمثبت من أ، ب.

﴿لِيُرِيَكُم مِّنْ ءَايَٰتِهِۦٓ﴾: (كا) دلائله على الوحدانية ﴿لِّكُلِّ صَبَّارٍ﴾: على الطاعة وعن المعصية ﴿شَكُورٍ﴾: (تا) لنعمه.

﴿ وَإِذَا غَشِيَهُم مَّوْجٌ كَٱلظُّلَلِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ فَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ ۚ وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ ﴿٣٢﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ وَٱخْشَوْا۟ يَوْمًا لَّا يَجْزِى وَالِدٌ عَن وَلَدِهِۦ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِۦ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴿٣٣﴾ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌۢ ﴿٣٤﴾ ﴾

﴿وَإِذَا غَشِيَهُم﴾: أي المشركين، أو هو عام، وهم في البحر ﴿مَّوْجٌ كَٱلظُّلَلِ﴾: لأنَّ موج [البحر][(١)] يرتفع ويتراكب كالظلل [جمع الظلة][(٢)] وهي السُحب.

﴿دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾: [(كا)][(٣)] لا يذكرون معه سواه.

﴿فلمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ فَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ﴾: (كا) معتدل بين الكفر والإيمان؛ لأنَّه انتفع بإخلاصه حيث أُنجي بسببه.

﴿وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ﴾: الدالة على قدرتنا ﴿إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ﴾: خداع شديد الغدر ﴿كَفُورٍ﴾: (تا) للإحسان إليه.

﴿وَٱخْشَوْا۟ يَوْمًا﴾: أي عذاب يوم عظيم .

﴿لَّا يَجْزِى﴾: أي: فيه فحذف فيه، وقرئ: (لا يجزئ) لغتان، أي: لا يغني ﴿وَالِدٌ عَن وَلَدِهِۦ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِۦ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا﴾: (كا).

﴿وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ﴾: (تا) الشيطان.

---

(١) سقط من ج، والمثبت من أ، ب.
(٢) سقط من أ، ب، والمثبت من ج.
(٣) سقط من ج، والمثبت من أ، ب.

[ونزل][(١)] لمَّا سئل ﷺ عن الساعة وعن نزول الغيث وعن وضع الحمل والكسب والموت: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلسَّاعَةِ﴾: (كا).

﴿وَيُنَزِّلُ ٱلۡغَيۡثَ﴾: (كا).

﴿وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلۡأَرۡحَامِۖ﴾: (كا) علىٰ أي وصفٍ كان من سوادٍ وبياض وغيرهما.

﴿وَمَا تَدۡرِي نَفۡسٞ مَّاذَا تَكۡسِبُ غَدٗاۖ﴾: (كا) من خير وشر.

﴿وَمَا تَدۡرِي نَفۡسُۢ بِأَيِّ أَرۡضٖ﴾: من سهل أو حزن أو بر أو بحر.

﴿تَمُوتُۚ﴾: [(تا)][(٢)].

وقرئ: (بأيةِ) مؤنثًا لإضافته إلىٰ الأرض، قال ﷺ: «**مفاتيح الغيب خمسة**»، وتلا هذه الآية[(٣)].

﴿خَبِيرُۢ﴾: (تا).

---

(١) سقط من ج، والمثبت من أ، ب.

(٢) في أ، ب: (كا)، والمثبت من ج.

(٣) أخرجه البخاري(٤٤٢٠) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

سورة (السجدة)

وتسمىٰ سورة «المضاجع»، مكية أو إلا ﴿أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا ...﴾ الثلاث، أو ﴿تَتَجَافَىٰ ...﴾ الآية، أو إلىٰ خمس فمدني، وهي تسع وعشرون أو ثلاثون آية.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿الٓمٓ ﴿١﴾ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢﴾ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۚ بَلْ هُوَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٣﴾ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ مَا لَكُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِىٍّ وَلَا شَفِيعٍ ۚ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٤﴾﴾

﴿الٓمٓ﴾: (تا) إن رفعته مبتدأ أو خبر مبتدأ، أو نصبته مفعولًا، ويرتفع ﴿تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ﴾: خبر مبتدأ، أو مبتدأ خبره ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾: لا شك في الكتاب أنَّه من عند الله تعالىٰ؛ لأنَّه معجز وإذا تُؤمل وُجِدَ كذلك، وكذلك إن جعلت ﴿لَا رَيْبَ﴾ اعتراضًا لا محل له من الإعراب أو حالًا، وتجعل الخبر ﴿مِن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾: (كا) لأنَّ (أم) بعد بمعنىٰ «بل» والهمزة، أي: بل أيقولون ﴿ٱفْتَرَىٰهُ﴾: أي اختلق محمد القرآن، (كا) عند أبي حاتم كأنَّه أراد [ق/ ١٨٧أ] الفصل بين ما حُكي عنهم وبين المحكي من قوله تعالىٰ: ﴿بَلْ هُوَ﴾: أي القرآن ﴿ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا﴾: هم العرب، و﴿مَّآ﴾ نافية، والجملة صفة ﴿قَوْمًا﴾ في ﴿مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ﴾: لأنَّ العرب لم يُبعث إليهم أحدٌ قبل النبي ﷺ، فلم تلزمهم الحجة الرسالية، بل تلزمهم الحجة العقلية؛ لأنهم كانوا عقلاء، أو المراد الفترة بين محمد وعيسىٰ عليهما الصلاة والسلام.

﴿لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ﴾: (تا) هذا من قول النبي ﷺ؛ لأنها واجبة من الله تعالىٰ، أو «لعل» بمعنىٰ الإرادة هنا مجازًا ﴿عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾: (حس) .

﴿مَا لَكُم مِّن دُونِهِۦ﴾: من دون عذابه ﴿مِن وَلِيٍّ وَلَا شَفِيعٍ﴾: المعنىٰ: إذا خالفتموه فلا ناصر يذب عنكم ولا شافع يشفع لكم، أو المعنىٰ: إنَّه تعالىٰ ناصركم وشفيعكم مجازًا إذا أطعتموه.

تلخيصه: يختص برحمتكم ﴿أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ﴾: (حس).

﴿ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥٓ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴿٥﴾ ذَٰلِكَ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٦﴾ ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ ۖ وَبَدَأَ خَلْقَ ٱلْإِنسَٰنِ مِن طِينٍ ﴿٧﴾ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُۥ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ﴿٨﴾ ﴾

﴿يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ﴾: أي: يقضي القضاء ويُنزل الوحي ﴿مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ﴾: يقال: عَرَجَ بفتح الراء، يَعرُج بضمها صعد، وكذلك صار أعرج، وإن كان خلقة، قيل: عرِج بكسرها يعرَج بفتحها عَرَجًا، المعنىٰ: ينزل الملك بالوحي من السماء إلىٰ الأرض ثم يرجع إلىٰ مقره منها ﴿فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥٓ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾: (حس) من أيامكم؛ لأنَّ ما بين السماء والأرض مسيرة خمسمائة سنة، فيكون هبوط الملك وصعوده في قدر يوم واحد، والمراد بـ﴿ يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ﴾[المعارج:٤] علىٰ هذا ما بين سدرة المنتهىٰ والأرض ثم عوده إلىٰ السدرة، فالملك يسيره في قدر يوم، أو المعنىٰ: يرجع أمر الخلائق وتدبيرهم إليه في يوم القيامة ومقداره ألف سنة، فمعنىٰ ﴿خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ﴾ علىٰ هذا أنَّه يشتد علىٰ الكافرين حتىٰ يكون كخمسين ألف سنة في الطول، ويسهل علىٰ المؤمنين حتىٰ يكون كقدر صلاة مكتوبة.

وقرئ: (يُعرَج) مجهولًا و(يُعدون) بالياء غيبة.

﴿ذَٰلِكَ﴾: المدبر ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ﴾: أي يعلم الظاهر والباطن ﴿ٱلْعَزِيزُ

ٱلرَّحِيمُ﴾: يحسن الوقف هنا إن رفعت ما بعد خبر مبتدأ، ولا يجوز إن رفعته صفة الرحيم، وكذلك إن رفعت (العزيز) مبتدأ صفته (الرحيم) خبره ﴿ٱلَّذِيٓ أَحۡسَنَ كُلَّ شَيۡءٍ خَلَقَهُۥ﴾: (كا).

القراءة: بسكون اللام بدل اشتمال من ﴿كُلَّ﴾، أي: أحسَن خلق كل شيء وأتقنه، أو مفعولًا أول و﴿كُلَّ شَيۡءٍ﴾ ثانيًا، فـ﴿أَحۡسَنَ﴾ بمعنىٰ «عرف»، أي: عرف عباده كل شيء، وبفتح اللام فعل ماض وهو صفة لـ﴿كُلَّ شَيۡءٍ﴾، المعنىٰ: خلق خلقه علىٰ مقتضىٰ الحكمة، فكل خلقه حسن وإن اختلفت أشكاله، وافترقت إلىٰ حسَن وأحسن.

﴿وَبَدَأَ خَلۡقَ ٱلۡإِنسَٰنِ﴾: أي آدم ﴿مِن طِينٖ ۝٧ ثُمَّ جَعَلَ نَسۡلَهُۥ﴾: ذريته ﴿مِن سُلَٰلَةٖ﴾ [ق/ ٣١١ب] من علقة؛ لأنها استلت من صلبه ﴿مِّن مَّآءٖ مَّهِينٖ﴾: ثم سوىٰ خلق آدم.

﴿ ثُمَّ سَوَّىٰهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِۦۖ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَٱلۡأَفۡـِٔدَةَۚ قَلِيلٗا مَّا تَشۡكُرُونَ ۝٩ وَقَالُوٓاْ أَءِذَا ضَلَلۡنَا فِي ٱلۡأَرۡضِ أَءِنَّا لَفِي خَلۡقٖ جَدِيدِۭۚ بَلۡ هُم بِلِقَآءِ رَبِّهِمۡ كَٰفِرُونَ ۝١٠ ۞ قُلۡ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلۡمَوۡتِ ٱلَّذِي وُكِّلَ بِكُمۡ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمۡ تُرۡجَعُونَ ۝١١ وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلۡمُجۡرِمُونَ نَاكِسُواْ رُءُوسِهِمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ رَبَّنَآ أَبۡصَرۡنَا وَسَمِعۡنَا فَٱرۡجِعۡنَا نَعۡمَلۡ صَٰلِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ ۝١٢ ﴾

﴿وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِۦ﴾: أي جعل فيه الشيء الذي اختص تعالىٰ به، ولذلك أضافه إليه، فصار بسبب ذلك حيًا حَساسًا بعد أن كان جمادًا، لا أنَّ ثم حقيقة نفخ ﴿تَشۡكُرُونَ﴾: (حس).

﴿وَقَالُوٓاْ﴾: منكرو البعث: ﴿أَءِذَا ضَلَلۡنَا﴾: وقرئ بكسر اللام لغتان.

وقرئ بصاد مهملة من صل اللحم وأصل أنتن، أو من الصلة الأرض، المعنىٰ: أنبعث بعد موتنا وتغيرنا وانعدامنا بأن نصير ترابًا ﴿فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾: لا نتميز من ترابها، فنضل فيه كما يضل اللبن في الماء، وناصب «إذا» من (أئذا) ما دل عليه.

﴿أَءِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾: دون جديد؛ لأنَّ ما بعد إنَّ لا يعمل فيما قبلها، وتقديره: أنبعث ﴿بَلْ هُم بِلِقَآءِ رَبِّهِمْ﴾: أي بالبعث بعد الموت ﴿كَٰفِرُونَ﴾: (تا).

﴿قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم﴾: يقبض أرواحكم ﴿مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ﴾: روي أنَّ الدنيا لملك الموت كراحة اليد يأخذ منها صاحبها ما أحب بلا تعب، أو الدنيا لديه كطست يتناول منه ما يشاء، أو له أعوان ينزعون الروح فإذا بلغت ثغرة النحر نزعها هو ﴿ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾: (حس) بعد الموت أحياء، و«لو» للتمني في ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ﴾: يا محمد، أي: وليتك تراهم، فتمنىٰ تعالىٰ أن يراهم نبيه ﷺ علىٰ الحالة الردية لأنهم آذوه، أو هي الامتناعة، فالجواب محذوف تقديره: ولو ترىٰ.

﴿إِذِ ٱلْمُجْرِمُونَ نَاكِسُواْ رُءُوسِهِمْ﴾: أي مطأطئوها حياءً وخجلًا وندمًا.

﴿عِندَ رَبِّهِمْ﴾: (كا) يوم القيامة لرأيت أمرًا عظيمًا، أو ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ﴾ خطاب عام، و«لو» و«إذ» للماضي ودخلتا علىٰ المستقبل هنا؛ لأنَّ المستقبل من فعله تعالىٰ كالماضي لتحقق وقوعه، فثَمَّ يقولون: ﴿رَبَّنَآ أَبْصَرْنَا﴾: معاصينا وما أنكرنا من البعث ﴿وَسَمِعْنَا﴾: قول الرسل ﴿فَٱرْجِعْنَا﴾: إلىٰ الدنيا ﴿نَعْمَلْ صَٰلِحًا﴾: فيها ﴿إِنَّا مُوقِنُونَ﴾: هنا بما أنكرنا ثَمَّ، لا أحب الوقف هنا.

﴿ وَلَوْ شِئْنَا لَأَتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَىٰهَا وَلَٰكِنْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١٣﴾ فَذُوقُواْ بِمَا نَسِيتُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَآ إِنَّا نَسِينَٰكُمْ وَذُوقُواْ عَذَابَ ٱلْخُلْدِ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾ إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُواْ بِهَا خَرُّواْ سُجَّدًا وَسَبَّحُواْ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ۩ ﴿١٥﴾ ﴾

﴿وَلَوْ شِئْنَا لَأَتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَىٰهَا﴾: رشدها وألزمناها إياه وأجبرناها عليه، أو المعنىٰ: لو علمناها أهلًا للهدىٰ لهديناها ﴿وَلَٰكِنْ حَقَّ﴾: وجب ﴿ٱلْقَوْلُ مِنِّي﴾: بالوعيد، وهو ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾: (كا).

﴿فَذُوقُواْ﴾: العذاب ﴿بِمَا نَسِيتُمْ﴾ بسبب نسيانكم ﴿لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَآ﴾: وهو يوم القيامة واشتغالكم بلذاتكم عن الاعتداد له، يكفي الوقف هنا إن استأنفت.

﴿إِنَّا نَسِينَـٰكُمْ﴾: في النار كما نسيتم الاعتداد لهذا اليوم، أو المعنىٰ: تركناكم في النار كترككم العمل بطاعتنا، واختار بعضهم الوقف هنا -ولا أحبه- ويبتدئ ﴿وَذُوقُواْ عَذَابَ ٱلْخُلْدِ﴾: الدائم في جهنم ﴿بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾: [(حس)][1] من الكفر والمعاصي .

﴿ذُكِّرُواْ﴾: وعظوا.

﴿خَرُّواْ سُجَّدًا﴾: في الصلاة، أو سجدوا تواضعًا وشكرًا لله تعالىٰ.

﴿وَسَبَّحُواْ﴾: صلوا ﴿بِحَمْدِ رَبِّهِمْ﴾ أي: بأمره، أو المراد حقيقة التسبيح بأن يقولوا ساجدين: سبحان الله وبحمده .

﴿وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾: (حس) عن الإيمان والانقياد لطاعته تعالىٰ.

﴿ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَـٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾ أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا لَّا يَسْتَوُۥنَ ﴿١٨﴾ أَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ فَلَهُمْ جَنَّـٰتُ ٱلْمَأْوَىٰ نُزُلًۢا بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ ﴾

ونزل في المتهجدين ﴿تَتَجَافَىٰ﴾: ترتفع وتبعد ﴿جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ﴾: جمع مضجع، وهو ما يضطجع عليه من مهاد ووساد وغيرهما، قال ﷺ: **«عجبَ رَبُّنا من رجلين، رجلٍ ثارَ من وطائِه ولحافِه من بين حِبِّه وأهلِه إلىٰ صلاتِه رغبةً فيما عندي وشفقًا مما عندي، ورجلٍ غزا في سبيلِ الله فانهزم مع أصحابِه فعلم ما عليه في الانهزام وما له في الرجوع فرجع حتىٰ هريق دمه»**[2]. وقال ﷺ: **«أفضلُ الصيام بعد شهر رمضان المحرَّمُ، وأفضلُ الصلاةِ بعد الفرضِ صلاةُ الليل»**[3]. وقال: **«إذا**

(١) في جـ: (كا) والمثبت من أ،ب.

(٢) أخرجه أحمد (٣٩٤٩)، وابن حبان(٢٥٥٧)، والحاكم(٢٥٣١)، وأبو يعلىٰ (٥٢٧٢)، والطبراني في «المعجم الكبير» (١٠٣٨٣)، والبيهقي في «السنن الكبرىٰ» (١٧٧٠٩) من حديث ابن مسعود رضي الله عنه.

(٣) أخرجه مسلم(١١٦٣) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

جمع الله الأولين والآخرين نادىٰ منادٍ بصوتٍ يُسمع الخلائق كلهم: سيعلم أهل الجمع اليوم من أولىٰ بالكرم[ق/ ٢٢١جـ]، ثم يرجع فينادي: أين الذين كانت تتجافىٰ جنوبُهم عن المضاجع؟ فيقومون وهم قليل، ثم يرجع فينادي: ليقم الذين كانوا يحمدون الله في البأساء والضراء؟ فيقومون وهم قليل، فيسرَحون [جميعًا][١] إلىٰ الجنة، ثم يحاسب سائر الناس» [٢]. وقال: **«إنَّ في الجنة غرفًا يرىٰ ظاهِرُها من باطِنِها، أعدَّها الله لمن ألانَ الكلامَ وأطعم الطعامَ وصلىٰ بالليل والناس نيام»** [٣].

وقال ابن أبي رواحة يمدح النبي ﷺ:

يبيتُ يُجافي جنبَه عن فراشه إذا استثقلتْ بالكافرين المضاجِعُ

أو المراد أنهم كانوا إذا استيقظوا ذكروا مصلين وقائمين وقاعدين ونائمين، أو نزلت فيمن كان يصلي بين المغرب والعشاء وهي صلاة الأوابين، أو فيمن كان يصلي العشاء والصبح جماعة، يكفي الوقف هنا إن استأنفت ما بعد، ولا يجوز إن نصبت حالًا ﴿يَدۡعُونَ رَبَّهُمۡ خَوۡفٗا﴾: من النار.

﴿وَطَمَعٗا﴾: في الجنة، أو خوفًا من القطيعة وطمعًا في الوصل.

﴿وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ﴾: (حس) يتصدقون تطوعًا، أو هو عام في كل صدقة، **القراءة**: ﴿مَّآ أُخۡفِيَ لَهُم﴾: بفتح الياء مجهولًا، فـ﴿مَّآ﴾ استفهام رفع مبتدأ خبره ﴿أُخۡفِيَ لَهُم﴾، وفي ﴿أُخۡفِيَ﴾ ضمير هو، الفاعل يرجع إلىٰ ﴿مَّآ﴾، والجملة نصب بـ(تعلم) سدت مسد المفعولين، وبإسكانها معلومًا مستقبلًا فـ(ما) نصب بـ﴿أُخۡفِيَ﴾، أو [﴿مَّآ﴾][٤] موصولة نصب بـ﴿تَعۡلَمُ﴾، وقرئ: (ما أخفيت لهم).

---

(١) سقط من أ، ب والمثبت من ج.

(٢) أخرجه الحاكم (٣٥٠٨)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٣٢٤٦) من حديث عقبة بن عامر الجهني رضي الله عنه.

(٣) أخرجه الترمذي (١٩٨٤)، وأحمد (١٣٣٧)، وابن خزيمة (٢١٣٦)، وأبو يعلىٰ (٤٢٨)، من حديث علي رضي الله عنه.

(٤) سقط من أ، ب والمثبت من ج.

ومحل ﴿مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾: هو ما تقر به أعينهم وتسكن إليه أنفسهم، حال من فاعل ﴿أُخْفِيَ﴾، وقرئ: (قرات أعين)، المعنىٰ: لا تعلم نفس ما من ملك مقرب ولا نبي مرسل ما أعد لهؤلاء من الكرامة ثم ﴿جَزَآءَ﴾: مصدر ﴿بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾: (تا) من الخير هنا، قال ﷺ حكاية عن الله تعالىٰ: «**أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر علىٰ قلب بشر**»[(١)] بله ما[(٢)] أطلعتهم عليه.

الحسن[(٣)]: أخفىٰ القوم أعمالًا في الدنيا فأخفىٰ الله ما لا عين رأت ولا أذن سمعت.

ونزل في علي والوليد بن عقبة بن أبي معيط لمَّا قال لعلي: اسكت فإنك صبي: ﴿أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا﴾: أفرد حملًا علىٰ لفظ «من»، وجمع ﴿لَّا يَسْتَوُۥنَ﴾: (حس) عند الله وفيما أعد لهم حملًا علىٰ معناها؛ لأنها للعموم.

ثم بيَّن التفاوت بينهما فقال: ﴿أَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمْ﴾: استحقاقًا وتكرمًا منه تعالىٰ ﴿جَنَّٰتُ ٱلْمَأْوَىٰ﴾: سميت بذلك لأنَّ الشهداء يأوون إليها، [أو هي عن يمين العرش][(٤)].

وقرئ: (جنة) موحدًا ﴿نُزُلًا﴾: مصدر وهو ما يُعد للضيف.

﴿بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾: (كا).

﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فَسَقُواْ فَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ كُلَّمَآ أَرَادُوٓاْ أَن يَخْرُجُواْ مِنْهَآ أُعِيدُواْ فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُواْ عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴿٢٠﴾ وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَدْنَىٰ دُونَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَكْبَرِ

---

(١) أخرجه البخاري (٣٠٧٢)، ومسلم (٢٨٢٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.
(٢) في حاشية ب: بله: أي وع عنك، كأنَّه إضراب علىٰ ما ذكر لاستحقاره في جنب ما لم يذكر، وقيل: معناه كيف ما أطلعتهم عليه.
(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٩/ ٣١٠٧).
(٤) سقط من ج والمثبت من أ، ب.

لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢١﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَآ ۚ إِنَّا مِنَ ٱلْمُجْرِمِينَ
مُنتَقِمُونَ ﴿٢٢﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ فَلَا تَكُن فِى مِرْيَةٍ مِّن لِّقَآئِهِۦ ۖ وَجَعَلْنَٰهُ هُدًى لِّبَنِىٓ
إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٢٣﴾ ﴾

﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فَسَقُوا۟ فَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ ۖ كُلَّمَآ أَرَادُوٓا۟ أَن يَخْرُجُوا۟ مِنْهَآ أُعِيدُوا۟ فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ﴾: (حس).

والمراد بـ﴿ٱلْعَذَابِ﴾: أي الأقرب عذاب [ق/ ٣١٢ب] الدنيا من القتل والأسر والجدب سبع سنين والأمراض.

﴿دُونَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَكْبَرِ﴾: عذاب النار، أو الأدنىٰ عذاب القبر والأكبر النار.

تلخيصه: نذيقهم العذاب هنا قبل العذاب ثَمَّ ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾: (تا) يتوبون، أو يتوب من بقي منهم.

وقرئ: (يُرجعون) بضم الياء مجهولًا.

وعن الحسن بن علي أنَّه قال للوليد: كيف تسب عليًّا وقد سماه الله مؤمنًا وسماك منافقًا في عشر آيات؟!، وجيء بـ«ثـم» في ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا﴾: (كا) للإيذان أنَّ الإعراض عن الآيات بعد وضوحها بعيد، ﴿إِنَّا مِنَ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾: أجمعين ﴿مُنتَقِمُونَ﴾: (تا).

﴿فَلَا تَكُن﴾: يا محمد ﴿فِى مِرْيَةٍ مِّن لِّقَآئِهِۦ﴾: في شك من لقاء موسىٰ؛ لأنهما التقيا ليلة الإسراء، أو من لقاء موسىٰ ربه، أو من لقاء موسىٰ التوراة بالقبول، ويجوز أن [يكون][1] المعنىٰ: فلا تكن يا محمد في شك من لقاء كتابٍ من ربك وعناءٍ من قومك كما لقي موسىٰ كتابًا من ربه وعناءً من قومه.

﴿وَجَعَلْنَٰهُ﴾: أي موسىٰ، أو كتابه.

﴿هُدًى لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾: (كا) روي أن التوراة إنما جعلت هدىٰ لبني إسرائيل

---

(١) سقط من أ، ب والمثبت من ج.

خاصة دون بني إسماعيل ﴿يَهْدُونَ﴾: يدعون إلىٰ الطاعة ﴿بِأَمْرِنَا﴾[ق/ ١٨٨أ].

﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَيِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا۟ۖ وَكَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يُوقِنُونَ ﴿٢٤﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٢٥﴾ أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّنَ ٱلْقُرُونِ يَمْشُونَ فِى مَسَٰكِنِهِمْۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَٰتٍۖ أَفَلَا يَسْمَعُونَ ﴿٢٦﴾ ﴾

القراءة: ﴿لِمَا صَبَرُوا۟﴾: مخففًا فاللام للجر دخلت علىٰ «ما» المصدرية، تقديره: جعلوا أئمة لصبرهم، وبفتح اللام مشددًا فهي لـ«ما» التي فيها معنىٰ الجزاء، نحو: أحسنت إليك لمَّا جئت، تقديره: لمَّا صبروا جعلوا أئمة، أو هي ظرف بمعنىٰ الحين، أي: جُعلوا أئمة [حين][1] صبروا ﴿وَكَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يُوقِنُونَ﴾: (حس).

﴿يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ﴾: يقضي بين الأنبياء وأممهم، أو بين المؤمنين والمشركين ﴿يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾: (تا).

﴿أَوَلَمْ يَهْدِ﴾: وقرئ بالنون، فالفاعل علىٰ القراءتين مضمر، أي: الله، أو ما دل عليه.

﴿كَمْ أَهْلَكْنَا﴾: تقديره: أو لم يهد لهم كثرة إهلاكنا من قبلهم كعاد وثمود ﴿يَمْشُونَ﴾: أي الموجودون ﴿فِى مَسَٰكِنِهِمْ﴾: في مساكن المعدومين؛ لأنَّ أهل مكة كانوا يمرون بآثار الهالكين ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَٰتٍۚ أَفَلَا يَسْمَعُونَ﴾: (تا) المواعظ فيتعظون.

﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا نَسُوقُ ٱلْمَآءَ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِۦ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَٰمُهُمْ وَأَنفُسُهُمْۖ أَفَلَا يُبْصِرُونَ ﴿٢٧﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْفَتْحُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٨﴾ قُلْ يَوْمَ ٱلْفَتْحِ لَا يَنفَعُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِيمَٰنُهُمْ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٢٩﴾ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَٱنتَظِرْ إِنَّهُم مُّنتَظِرُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾

أصل الجرز القطع، ومنه ﴿إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلْجُرُزِ﴾: وهي التي قطع عنها نباتها لعدم

---

(١) سقط من ج والمثبت من أ، ب.

المطر أو لغيره، المعنىٰ: لم يستدلوا علىٰ قدرتنا بسوقنا المطر إلىٰ الأرض المعدومة النبات.

﴿فَنُخْرِجُ بِهِۦ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَـٰمُهُمْ﴾: كالتبن ﴿وَأَنفُسُهُمْ﴾: (كا) كالحبوب والفواكه ﴿أَفَلَا يُبْصِرُونَ﴾: (كا) ذلك فيؤمنون.

ولمَّا قال الكافرون للمؤمنين استهزاءً: متىٰ الساعة فيقضىٰ بيننا وبينكم؟ نزل ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَـٰذَا ٱلْفَتْحُ﴾: أي الحكم علينا بالنار.

﴿إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ﴾: (حس).

[ونزلت لمَّا قال المؤمنون للكافرين: إنَّ الله ينصرنا عليكم، فالمراد علىٰ هذا فتح مكة][1] أو يوم بدر أو فتح خيبر، إن جعلت يوم الفتح في الدنيا فمعنىٰ ﴿قُلْ يَوْمَ ٱلْفَتْحِ لَا يَنفَعُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِيمَـٰنُهُمْ﴾ إذ جاءهم القتل [في الدنيا][2] وتيقنوا الموت كفرعون إذا ألجمه الغرق.

﴿وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ﴾: (كا) لا يُمهلون بل يُعذبون.

﴿فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ﴾: يا محمد، نسخ بآية السيف.

﴿وَٱنتَظِرْ﴾: وعدي بنصرك ﴿إِنَّهُم مُّنتَظِرُونَ﴾: (تا) هلاكك، أو انتظر عذابنا فإنهم منتظروه.

وقرئ بفتح الظاء، أي: فانتظر هلاكهم فإنهم مستحقون أن يُنتظر هلاكهم، «**كان ﷺ لا ينام حتىٰ يقرأ تبارك وألم تنزيل**»[3].

---

(١) سقط من ج، والمثبت من أ، ب.

(٢) سقط من أ،ب والمثبت من ج.

(٣) أخرجه الثعلبي في «الكشف والبيان» (٧/ ٣٢٥) من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما.

سورة (الأحزاب)

مدنية وهي ثلاث وسبعون آية.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ ٱتَّقِ ٱللَّهَ وَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١﴾ وَٱتَّبِعْ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿٢﴾ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴿٣﴾﴾

قال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ﴾: ولم يقل: «يا محمد» كـ﴿يَٰٓـَٔادَمُ﴾، و﴿يَٰمُوسَىٰٓ﴾، و﴿يَٰعِيسَىٰٓ﴾؛ تشريفًا له، وأما تصريحه باسمه في قوله: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ﴾ ونحوه فللإعلام أنَّه كذلك، وللتنبيه على اتباعه.

ومعنى ﴿ٱتَّقِ ٱللَّهَ﴾: دُم على التقوى، أو الخطاب له ﷺ والمراد أمته، أو اتق الله في نقض العهد؛ لأنَّ أبا سفيان وأصحابه، قالوا للنبي ﷺ: ارفض ذكر آلهتنا وقل: إنها تشفع لمن عبدها وندعك ورأيك، فشق عليه، وكان قد أعطاهم قبل ذلك عهدًا، فسكت عنهم وأخرجهم من المسجد، أو لمَّا دخل المدينة كان يرجو إسلام اليهود، فكان يلين جانبه لهم ويكرم صغيرهم وكبيرهم، وربما تجاوز عن مسيئهم لذلك، فأمر بتقوى الله تعالى، ويوضح ذلك قوله تعالى: ﴿وَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ﴾: (كا) فيما يخالف شريعتك.

﴿حَكِيمًا﴾: (حس).

﴿وَٱتَّبِعْ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۚ﴾: (كا) واعمل به والمراد القرآن.

القراءة: ﴿بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾: (حس)، و(بما يعملون بصيرًا) بياء وتاء فيهما.

﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ﴾: (كا) .

﴿وَكِيلًا﴾: (تا) حافظًا ورازقًا.

﴿ مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِۦۚ وَمَا جَعَلَ أَزْوَٰجَكُمُ ٱلَّٰٓـِٔي تُظَٰهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَٰتِكُمْۚ وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَآءَكُمْ أَبْنَآءَكُمْۚ ذَٰلِكُمْ قَوْلُكُم بِأَفْوَٰهِكُمْۖ وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي ٱلسَّبِيلَ ﴿٤﴾ ٱدْعُوهُمْ لِأَبَآئِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِۚ فَإِن لَّمْ تَعْلَمُوٓاْ ءَابَآءَهُمْ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِي ٱلدِّينِ وَمَوَٰلِيكُمْۚ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَآ أَخْطَأْتُم بِهِۦ وَلَٰكِن مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٥﴾ ﴾

ونزل لمَّا قال الكفار: إن لمحمد قلبين، قلب معنا وقلب مع أصحابه ﴿مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِۦ﴾: (كا) أو في معمر جميل بن معمر، أو هو أبو معمر ابن أنس الفهري، كان لبيبًا حافظًا، وكان يقول: إن لي قلبين أعقل بكل واحد منهما أفضل من عقل محمد، فانهزم مع المشركين ببدر وإحدىٰ نعليه بيده والأخرىٰ في رجله، فقيل له في ذلك فقال: ما شعرت بذلك [(١)].

القراءة: ﴿ٱلَّٰٓـِٔي﴾: جمع «التي» بياء ساكنة، وبكسرها وبهمزة مكسورة بدل الياء، وبهمزة مكسورة وياء ساكنة بعدها لغات كلها، وكذلك التعليل والاختلاف في المجادلة والطلاق.

والقراءة: ﴿تُظَٰهِرُونَ﴾: بتشديد الظاء والهاء بلا ألف، أصله تتظهرون، أدغمت التاء في الظاء فشددت، وبألف مخففًا أصله تتظاهرون حذفت إحدىٰ التاءين، وكذلك مع تشديد الظاء [أدغم التاء في الظاء][(٢)] وبضم التاء وكسر الهاء وألف بعد الظاء كـ«تقاتلون».

وقرئ: (تُظهّرون) من ظهر بمعنىٰ ظاهر، كعقد بمعنىٰ عاقد، و(تَظهَرون) من ظهر كقتل من الظهور بمعنىٰ ظاهر، وعدي بـ«من» لتضمنه معنىٰ البعد؛ لأنَّه كان طلاقًا في الجاهلية، أو حمل علىٰ «آلىٰ» أقسم لأنَّه قسم في المعنىٰ، وكلها مشتقة

(١) أخرجه الطبري في «تفسيره» (٢٠/ ٢٠٥).

(٢) سقط من ج، والمثبت من أ، ب.

من الظهر؛ لأنَّ الظهار هو أن يقول لامراته: «أنت علي كظهر أمي»، قالوا: ومعنىٰ: «أنت علي كظهر أمي» أنت علي حرام كبطن أمي، لقربه من الفرج، وكنىٰ عنه بالظهر لأنَّه قوام البنية، المعنىٰ: ما جعل نساءكم اللاتي تقولون لهن هذا أمهاتكم، لكنه قول منكر يجب عليكم به كفارة تذكر في المجادلة إن شاء الله تعالىٰ.

كان الرجل في الجاهلية يتبنىٰ ولد غيره فينسب إليه ويتوارثان، وكان ﷺ قد أعتق زيد بن حارثة وتبناه، فلمَّا تزوج امرأته قال المنافقون: تزوج امرأة ابنه وهو ينهىٰ عن ذلك، فنزل ﴿وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَآءَكُمْ أَبْنَآءَكُمْۚ﴾: (كا) حقيقة في الحكم [ق/ ٢٢٢جـ] والحرمة والنسب، نسخ التبني بهذا، والأدعياء جمع دعي، فعيل بمعنىٰ مفعول، وهو من دُعي إلىٰ غير أبيه، جمع علىٰ أفعلاء شاذًّا كشذوذ أُسراء وقُتلاء.

تلخيصه: ممتنع أن يكون لرجل قلبان [ق/ ٣١٣ب]، وأن تكون زوجة الرجل أمه، وأن يكون شخص واحد ابن رجلين.

﴿إنما ذَٰلِكُمْ﴾: النسب ﴿قَوْلُكُم بِأَفْوَٰهِكُمْ﴾: (حس) لا حقيقة له.

﴿وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلْحَقَّ﴾ باطنًا وظاهرًا حقيقة ﴿وَهُوَ يَهْدِى ٱلسَّبِيلَ﴾: (حس) طريق الصواب، **وقرئ**: (وهو الذي يهدي السبيل).

وكان زيد يُدعىٰ بـ«ابن محمد ﷺ»، فنزل ﴿ٱدْعُوهُمْ لِءَابَآئِهِمْ هُوَ﴾: أي: دعاؤهم بآبائهم ﴿أَقْسَطُ﴾: أعدل ﴿عِندَ ٱللَّهِ﴾: (كا).

﴿فَإِن لَّمْ تَعْلَمُوٓاْ ءَابَآءَهُمْ فَإِخْوَٰنُكُمْ﴾: أي فهم إخوانكم.

وقرئ نصبًا، أي: فادعوا إخوانكم ﴿فِى ٱلدِّينِ وَمَوَٰلِيكُمْۚ﴾: (حس) أولياءكم.

المعنىٰ: إذا جُهل نسبه تقول: يا أخي، يا مولاي: يريد الأخوة والموالاة في الدين.

﴿وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَآ أَخْطَأْتُم بِهِۦ﴾: من التسمية قبل النهي، أو بنسبتكم الشخص إلىٰ غير أبيه.

ومحل ﴿مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ﴾: [(حس)](١) جر عطف على (ما أخطأتم)، أو رفع مبتدأ محذوف الخبر، أي: ما تعمدت قلوبكم فيه الجناح، **تلخيصه**: أنتم مطالبون بالعمد دون الخطأ، ويجوز أن يراد قول الرجل رجمًا لا اعتقادًا .

﴿رَّحِيمًا﴾ (تا).

﴿ ٱلنَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ ۖ وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمْ ۗ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ إِلَّآ أَن تَفْعَلُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِكُم مَّعْرُوفًا ۚ كَانَ ذَٰلِكَ فِى ٱلْكِتَٰبِ مَسْطُورًا ﴿٦﴾ وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّۦنَ مِيثَٰقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۖ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا ﴿٧﴾ لِّيَسْـَٔلَ ٱلصَّٰدِقِينَ عَن صِدْقِهِمْ ۚ وَأَعَدَّ لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٨﴾ ﴾

﴿ٱلنَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ﴾: في كل شيء ﴿مِنْ أَنفُسِهِمْ﴾: (كا) فيحكم فيهم بما يشاء، أو المعنى: إذا دعاهم إلى شيء ودعتهم [أنفسهم](٢) إلى خلافه فطاعته أولى من طاعة نفوسهم، قال ﷺ: «**ما من مؤمن إلا أنا أولى به في الدنيا والآخرة من نفسِه ومالِه**» (٣).

بعضهم: من لم ير نفسه في ملك الرسول ﷺ وولايته عليه في جميع أحواله لم يذق حلاوة سننه.

﴿وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمْ﴾: (حس) مثل أمهاتهم في تحريم نكاحهن وحرمتهن دون النظر والخلوة والميراث دون بناتهن، ولذلك لا يقال لبناتهن: أخوات المؤمنين ولا لإخوانهن وأخواتهن أخوال المؤمنين ولا خالاتهم.

وقرئ:(وأزواجه أمهاتهم وهو أبٌ لهم).

---

(١) في جـ: (كا) والمثبت من أ،ب .

(٢) سقط من أ، ب والمثبت من ج.

(٣) أخرجه مسلم(١٦١٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه

مجاهد[١]: كل نبيٍّ أبُ أُمَّتِه فأزواجه ﷺ أمهات المؤمنين دون المؤمنات، لقول عائشة[٢]: «**لستُ بأمِّ نسائِكم وإنما أنا أمُّ رجالِكم**»، ونزل إبطالًا للتوريث بالهجرة والحلف والمؤاخاة ﴿وَأُوْلُواْ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ ببعض﴾: المعنىٰ: ذووا القرابات أحق بالميراث ﴿فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ﴾: في اللوح، أو في حكمه، متعلق بـ﴿أَوْلِي﴾ وأفعل يعمل في الجار والمجرور، وقوله تعالىٰ ﴿مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾: متعلق بـ(أولوا الأرحام) أي: وأولوا الأرحام من المؤمنين ﴿وَٱلْمُهَٰجِرِينَ﴾: أولىٰ بالميراث من الأجانب، أو بـأولىٰ أي: أولو الأرحام أولىٰ من المؤمنين والمهاجرين من الأجانب، ثم جاء باستثناء منقطع مبيحًا الوصية للأجانب، فقال: ﴿إِلَّآ أَن تَفْعَلُوٓاْ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِكُم مَّعْرُوفًا﴾: (كا) وصية، ﴿كَانَ ذَٰلِكَ﴾: أي: نسخ الميراث بالهجرة والمؤاخاة ﴿فِي ٱلْكِتَٰبِ﴾: في اللوح ﴿مَسْطُورًا﴾: (تا) لإضمارك فعلًا بعدُ، أي: واذكر.

﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ حين استُلوا من ظهر آدم مثل الذر ﴿مِيثَٰقَهُمْ﴾: بأن يعبدوا الله ويدعوا إلىٰ عبادته ويصدق بعضهم بعضًا وينصحوا الخلق، ثم خص محمدًا مع جماعة منهم بالذكر؛ لأنهم أهل الشرائع عليهم الصلاة والسلام أجمعين، وقدم محمدًا تشريفًا له فقال: ﴿وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ﴾: (كا).

﴿وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا﴾: هو الوفاء بما حُلف عليه.

لا أحب الوقف هنا لأنَّ اللام في ﴿لِّيَسْـَٔلَ ٱلصَّٰدِقِينَ عَن صِدْقِهِمْ﴾: (حس) لام كي بموافقة من أبي حاتم، المعنىٰ: أخذنا ميثاقهم لكي يُسأل الأنبياء عن إبلاغ الرسالة وصدقهم [فيها][٣] إثباتا للحجة علىٰ الكفار، وتعطف علىٰ (أَخَذْنَا مِنَ

(١) أخرجه الطبري في «تفسيره» (١٢/ ٥٠٢).
(٢) انظر: «الكشف والبيان» للثعلبي (٨/ ٩)، و«تفسير البغوي» (٣/ ٦٠٩).
(٣) سقط من ج والمثبت من أ، ب.

﴿ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾: ﴿وَأَعَدَّ لِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابًا أَلِيمًا﴾:[(تا) تقديره: وأخذنا من النبيين ميثاقهم وأعد للكافرين][(١)] أو علىٰ ما دل عليه ليسأل، تقديره: أثاب المؤمنين وأعد للكافرين.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ جَآءَتۡكُمۡ جُنُودٞ فَأَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ رِيحٗا وَجُنُودٗا لَّمۡ تَرَوۡهَاۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرًا ۝٩ إِذۡ جَآءُوكُم مِّن فَوۡقِكُمۡ وَمِنۡ أَسۡفَلَ مِنكُمۡ وَإِذۡ زَاغَتِ ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلۡقُلُوبُ ٱلۡحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠ ۝١٠ هُنَالِكَ ٱبۡتُلِيَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَزُلۡزِلُواْ زِلۡزَالٗا شَدِيدٗا ۝١١﴾

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ﴾: يوم الأحزاب وهو يوم الخندق.

﴿إِذۡ جَآءَتۡكُمۡ جُنُودٞ﴾: هم قريش ومن تبعهم من غيرهم مقدمهم أبو سفيان، كانوا عشرة آلاف نزلوا قريبًا من الغابة، والنبي ﷺ في ثلاثة آلاف فخندق حول المدينة خندقًا ـ برأي سلمان ـ يحول بين المسلمين والكفار، وجعل سلعًا ظهره بعد جعل الذراري والنساء في الحصون والآطام، فأُحصر ﷺ بضع عشرة، أو بضعًا وعشرين ليلة ولم يكن بينهم إلا الرمي بالحصباء والنبال إلا قتل علي عمرو ابن ودٍّ العامري، واشتد الأمر علىٰ المسلمين ونجم بأس الكافرين.

﴿فَأَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ رِيحٗا﴾: ليلًا وهي الصبا، فأطفأت النيران واكفأت القدور، قال ﷺ: «**نُصرْتُ بالصَّبا وأُهلكَت عادٌ بالدَّبور**»[(٢)].

﴿وَجُنُودٗا﴾: كانوا ألف ملك ﴿لَّمۡ تَرَوۡهَا﴾: (كا) فكبرت في جوانب العسكر وقلعَتِ الأوتاد، ولم يقاتل يومئذ، وماجت الخيل بعض في بعض، وقُذف الرعب في قلوبهم، فقال طليحة بن خويلد الأسدي: النجاء النجاء من سحر محمد، فارتحلوا ليلًا منهزمين[ق/ ١٨٩أ] بما استخفوا بلا قتال.

---

(١) سقط من ج، والمثبت من أ، ب.

(٢) أخرجه البخاري (٩٨٨)، ومسلم (٩٠٠) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

﴿وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا﴾: [(تا)][1] قالوا: ولا أحبه: إن أبدلت من ﴿إِذْ جَآءَتْكُمْ جُنُودٌ﴾: ﴿إِذْ جَآءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ﴾: من فوق الوادي من قبل المشرق ﴿وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ﴾ من أسفل الوادي من قبل الخندق ﴿وَإِذْ زَاغَتِ﴾: مالت وتحيرت ﴿ٱلْأَبْصَٰرُ﴾: خوفًا لكثرة ما رأت من العَدد والعُدَد ﴿وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ﴾: جمع حنجرة وهي منتهىٰ الحلقوم، والحلقوم مدخل الغذاء.

قتادة[2]: شخصت عن أماكنها، فلولا أنها ضاق الحلقوم عن أن تخرج لخرجت، وزعم بعضهم أنَّ هذا تمثيل لشدة الخوف.

القراءة: ﴿وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠﴾: (تا) و﴿ٱلرَّسُولَا۠﴾ و﴿ٱلسَّبِيلَا۠﴾ بألف وصلًا [ووقفًا علىٰ إشباع الفتحة، وبحذف الألف فيها علىٰ ترك الإشباع وبحذفها وصلًا][3] علىٰ الأصل وإثباتها وقفًا إشباعًا، المعنىٰ: ظن المنافقون أنَّ المؤمنين يستأصلون، وظن المؤمنون أنهم يُنْصَرُون ﴿هُنَالِكَ﴾: أي: ثم ﴿ٱبْتُلِىَ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا۟﴾: حركوا ﴿زِلْزَالًا شَدِيدًا﴾: وقرئ بفتح الزاء لغتان.

﴿ وَإِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢﴾ وَإِذْ قَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ يَٰٓأَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَٱرْجِعُوا۟ ۚ وَيَسْتَـْٔذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ ٱلنَّبِىَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِىَ بِعَوْرَةٍ ۖ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا ﴿١٣﴾ وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِم مِّنْ أَقْطَارِهَا ثُمَّ سُئِلُوا۟ ٱلْفِتْنَةَ لَءَاتَوْهَا وَمَا تَلَبَّثُوا۟ بِهَآ إِلَّا يَسِيرًا ﴿١٤﴾ ﴾

﴿إِلَّا غُرُورًا﴾: (كا).

﴿وَإِذْ قَالَت طَّآئِفَةٌ﴾: من المنافقين [﴿يا أهل يثرب﴾: هي أرض المدينة، ولم تنصرف للتعريف وزنة الفعل.

(١) في جـ: (تا) والمثبت من أ،ب.
(٢) انظر: «زاد المسير»(٣/ ٤٥١).
(٣) سقط من ج، والمثبت من أ، ب.

القراءة:][١] ﴿لَا مُقَامَ لَكُمْ﴾: بضم الميم اسم مكان، أي: لا موضع قيام، أو مصدر، أي: لا إقامة، وبفتحها مصدر قام قيامًا ومقامًا، المعنىٰ: لا ثبوت هنا لكم فارجعوا إلىٰ المدينة، أو إلىٰ الكفر ﴿وَيَسْتَـْٔذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ ٱلنَّبِيَّ﴾: هم بنو سلمة وبنو حارثة، ومحل ﴿يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ﴾: [(كا)][٢] حال، أي: ذات عورة، أي: خلل [(كا)][٣] ليفصل بين كلامهم وكلامه تعالىٰ، وهو ﴿وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ﴾: وقرئ: بكسر واوهما وفعله عَوِرَ، فعَوِرة بالكسر اسم فاعل، أو لغتان في الخلل، أو عورة بيوتهم قِصَرُ جُدرانها، وكذبوا ﴿إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا﴾: (كا).

﴿وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِم مِّنْ أَقْطَارِهَا﴾ المعنىٰ: لو دخل الأحزاب المدينة علىٰ المنافقين من نواحيها وسألوهم ﴿ٱلْفِتْنَةَ﴾: أي الشرك ﴿لَأَتَوْهَا﴾: القراءة قصرًا، أي: لجاؤوا الفتنة [ق/ ٣١٤ب] ومدًّا، أي: لأعطوها السائلين.

تلخيصه: لو استُنصروا علىٰ المسلمين لفعلوا، لا وقف هنا؛ لأنَّ ﴿وَمَا تَلَبَّثُواْ بِهَآ﴾: ما توقفوا بالمدينة عن إجابة الكفار، حال، أي: غير متلبثين ﴿إِلَّا﴾: لبثًا ﴿يَسِيرًا﴾: (حس) عن إجابتهم، أو المعنىٰ: لو دخل الأحزاب المدينة لم يتوقفوا بها إلا قليلًا حتىٰ يُعذبوا.

﴿ وَلَقَدْ كَانُواْ عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ مِن قَبْلُ لَا يُوَلُّونَ ٱلْأَدْبَٰرَ وَكَانَ عَهْدُ ٱللَّهِ مَسْـُٔولًا ﴿١٥﴾ قُل لَّن يَنفَعَكُمُ ٱلْفِرَارُ إِن فَرَرْتُم مِّنَ ٱلْمَوْتِ أَوِ ٱلْقَتْلِ وَإِذًا لَّا تُمَتَّعُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٦﴾ قُلْ مَن ذَا ٱلَّذِي يَعْصِمُكُم مِّنَ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوٓءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٧﴾ ﴾

﴿وَلَقَدْ كَانُواْ﴾: أي بنو حارثة، هموا أن يفشلوا مع بني سلمة ببدر، فلمَّا نزل فيهم ما نزل ﴿عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ مِن قَبْلُ﴾: أي قبل حفر الخندق.

﴿لَا يُوَلُّونَ ٱلْأَدْبَٰرَ﴾: (كا) منهزمين، جواب قسم؛ لأنَّ ﴿عَٰهَدُواْ﴾ بمعنىٰ

(١) سقط من ج، والمثبت من أ، ب.

(٢) سقط من أ، ب، والمثبت من ج.

(٣) سقط من ج، والمثبت من أ، ب.

حَلفوا، أو هم من غاب عن وقعة بدر، فلمَّا رأوا ما أُعطي البدريون من الكرامة قالوا: لأنَّ أشهدنا الله قتالًا فلنقاتلن ﴿وَكَانَ عَهْدُ ٱللَّهِ مَسْـُٔولًا﴾: (تا) عنه.

﴿أَوِ ٱلْقَتْلِ﴾: (تا).

﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾: (تا).

﴿بِكُمْ رَحْمَةً﴾: (حس).

﴿وَلَا نَصِيرًا﴾: (تا).

تلخيصهن: لا مانع من قضاء الله تعالىٰ.

ونزل فيمن كان يثبّط الناس عن القتال مع النبي ﷺ، وفيمن قال لأخيه: هلم فكل ودع القتال مع محمد:

﴿ ۞ قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلْمُعَوِّقِينَ مِنكُمْ وَٱلْقَآئِلِينَ لِإِخْوَٰنِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا ۖ وَلَا يَأْتُونَ ٱلْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٨﴾ أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ ۖ فَإِذَا جَآءَ ٱلْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَٱلَّذِى يُغْشَىٰ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ ۖ فَإِذَا ذَهَبَ ٱلْخَوْفُ سَلَقُوكُم بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى ٱلْخَيْرِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا۟ فَأَحْبَطَ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴿١٩﴾ ﴾

﴿قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلْمُعَوِّقِينَ مِنكُمْ وَٱلْقَآئِلِينَ لِإِخْوَٰنِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا﴾: وكانوا يحضرون القتال، فإذا غُفل عنهم دخلوا بيوتهم، فلذلك قال: ﴿وَلَا يَأْتُونَ ٱلْبَأْسَ﴾: الحرب ﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾: لا وقف هنا لنصبك ﴿أَشِحَّةً﴾: حالًا من ضمير ﴿يَأْتُونَ﴾.

﴿عَلَيْكُمْ﴾: (كا) المعنىٰ: لا يأتون الحرب إلا بخلًا بالظفر للمسلمين وبما يصل إليهم من الغنيمة وبقتالهم معهم.

وقرئ برفع (أشحةٌ) خبر ابتداء، ومحل ﴿تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ﴾: في رؤوسهم خوفًا حال.

﴿كَٱلَّذِى﴾: أي: دورانًا كدوران أعين الذي ﴿يُغْشَىٰ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ﴾: لأنَّ من

قرب من الموت ذهب عقله وشخص بصره فلا يطرف، ومعنىٰ ﴿سَلَقُوكُم﴾: -وقرئ: بالصاد لغتان- آذوكم بالنقص والغيبة.

﴿بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ﴾: ذربة سليطة، أو بسطوا ألسنتهم فيكم عند قَسم الغنيمة بأن يقولوا: أعطونا منها فلستم أحق بها منا؛ لأنَّا شهدنا القتال معكم، فهم عند الغنيمة أشح الناس وأجبنهم عند البأس، لا وقف هنا لنصبك ﴿أَشِحَّةً﴾: حالًا من فاعل ﴿سَلَقُوكُم﴾، أي: مشاحين [ق/ ٢٢٣ جـ] المؤمنين عند الغنيمة ﴿عَلَى ٱلْخَيْرِ﴾: (حس).

﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَمْ يُؤْمِنُواْ﴾: صدقًا ﴿فَأَحْبَطَ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ﴾: (حس) أبطل جهادهم لنفاقهم ﴿وَكَانَ ذَٰلِكَ﴾: أي الإحباط.

﴿عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا﴾: (حس).

﴿ يَحْسَبُونَ ٱلْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُواْۖ وَإِن يَأْتِ ٱلْأَحْزَابُ يَوَدُّواْ لَوْ أَنَّهُم بَادُونَ فِي ٱلْأَعْرَابِ يَسْـَٔلُونَ عَنْ أَنۢبَآئِكُمْۖ وَلَوْ كَانُواْ فِيكُم مَّا قَٰتَلُوٓاْ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٢٠﴾ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْأٓخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ ﴾

إن استأنفت ﴿يَحْسَبُونَ﴾: أي المنافقون لجبنهم.

﴿ٱلْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُواْۖ﴾: (كا) عن المدينة منهزمين.

﴿وَإِن يَأْتِ ٱلْأَحْزَابُ﴾: مرة ثانية إلىٰ المدينة ﴿يَوَدُّواْ﴾: يتمنوا ﴿لَوْ أَنَّهُم بَادُونَ فِي ٱلْأَعْرَابِ﴾: [أي: خارجون عن المدينة لئلا يقاتلوا ﴿يسألون﴾ مشددًا ﴿عن أنبائكم﴾][1] وما حلَّ بكم.

﴿وَلَوْ كَانُواْ فِيكُم﴾: في الخندق ﴿مَّا قَٰتَلُوٓاْ إِلَّا قَلِيلًا﴾: (تا) رياءً وسمعةً، أو رميًا بالحجارة والنبال ليقيموا عذرهم، لا أحب الوقف من ﴿يَذْهَبُواْۖ﴾ إلىٰ هنا.

---

(١) سقط من ج، والمثبت من أ، ب.

﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ﴾: أيها المخلفون ﴿فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾: القراءة بضم الهمزة وكسرها لغتان، أي: مؤتسىٰ، أي: مقتدىٰ؛ لأنَّه يُقتدىٰ به، المعنىٰ: هو قدوة صالحة، نحو: في هذه البيضة عشرون رطل حديد، أي: هي كذلك، أو فيه خصلة ينبغي أن يؤتسىٰ بها وهي المواساة؛ لأنَّه واساكم في القتال بنفسه حتىٰ كُسرَت رَباعيته وجُرح وجهُه، فواسوه أنتم واقتدوا به، وتبدل من كاف (لكم) ﴿لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ﴾: فضله، أو يخاف حسابه، ومنع بعضهم البدل من ضمير المخاطب، فعلىٰ هذا تتعلق ﴿لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ﴾ بـ﴿حَسَنَةٌ﴾، أو يكون نعتًا لها .

﴿وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾: [(كا)][(1)] في جميع أوقاته وأحواله، وكان المؤمنون قد وُعدوا بزلزلة الكفار والنصر عليهم بقوله: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُواْ ٱلْجَنَّةَ﴾ إلىٰ ﴿أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ﴾ [البقرة:٢١٤].

﴿وَلَمَّا رَءَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْأَحْزَابَ قَالُواْ هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ ۚ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّآ إِيمَٰنًا وَتَسْلِيمًا ﴿٢٢﴾ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُواْ مَا عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُواْ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾ لِّيَجْزِىَ ٱللَّهُ ٱلصَّٰدِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ إِن شَآءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٢٤﴾﴾

﴿ولَمَّا رَءَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْأَحْزَابَ﴾: واجتماعهم عليهم، ثم رأوا زلزلتهم وخوفهم ورحيلهم منهزمين ﴿قَالُواْ هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ﴾: من النصر ﴿وَمَا زَادَهُمْ﴾: الخوف عند مجيء الأحزاب ﴿إِلَّآ إِيمَٰنًا وَتَسْلِيمًا﴾: (حس).

ونزل فيمن نذر وعاهد الله تعالىٰ ليقاتلن ولينصرن دينه كعثمان بن عفان وطلحة بن عبيد الله وسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل وأنس بن النضر وحمزة ومصعب بن عمير: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُواْ مَا عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ﴾ [(2)]: أي فيما عاهدوه ﴿عَلَيْهِ﴾: فحذف الجار.

---

(١) سقط من ج والمثبت من أ، ب.

(٢) انظر: «أسباب النزول» (ص/ ٣٥٢).

﴿فَمِنۡهُم مَّن قَضَىٰ نَحۡبَهُۥ﴾: أي مات كحمزة ومصعب وأنس.

﴿وَمِنۡهُم مَّن يَنتَظِرُ﴾: الموت كعثمان وطلحة، قال ﷺ: **«من أحبَّ أن ينظرَ إلىٰ رجلٍ يمشي علىٰ وجهِ الأرضِ قد قضىٰ نحبَه فلينظرْ إلىٰ هذا»** [(١)] يشير إلىٰ طلحة، لأنَّه وقىٰ النبي ﷺ بيده فصارت شلاء، وروي: **«من أحبَّ أن ينظرَ إلىٰ شهيدٍ يمشي علىٰ الأرض فلينظرْ إلىٰ طلحةَ»** [(٢)]. والنحب النذر المحكوم به، وجعل هنا عبارة عن الموت وهو من النفس، قالوا: ومنه النحيب لمَّا فيه من التنفس.

﴿وَمَا بَدَّلُواْ﴾: ما أظهروا تغييرًا لعهدهم كقريظة حين نقضوا عهد النبي ﷺ، ولا أضمروا كالمنافقين ﴿تَبۡدِيلٗا﴾: [(كا)][(٣)] مفعول أضمروا المقدرة.

تلخيصه: لم يضمروا تغييرًا ما [(كا)][(٤)] علىٰ أصل أبي حاتم، وغيره لا يجيزه لجعله اللام في ﴿لِّيَجۡزِيَ ٱللَّهُ ٱلصَّٰدِقِينَ بِصِدۡقِهِمۡ﴾: -بجزاء وفائهم بالعهد- لام كي ﴿وَيُعَذِّبَ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ إِن شَآءَ﴾: بشرط عدم التوبة، ولذلك أتبعه التوبة فقال: ﴿أَوۡ يَتُوبَ عَلَيۡهِمۡۚ﴾: إن تابوا، فيهديهم إلىٰ الإيمان ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورٗا رَّحِيمٗا﴾: (حس).

﴿وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِغَيۡظِهِمۡ لَمۡ يَنَالُواْ خَيۡرٗاۚ وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٱلۡقِتَالَۚ وَكَانَ ٱللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزٗا ﴿٢٥﴾ وَأَنزَلَ ٱلَّذِينَ ظَٰهَرُوهُم مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ مِن صَيَاصِيهِمۡ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعۡبَ فَرِيقٗا تَقۡتُلُونَ وَتَأۡسِرُونَ فَرِيقٗا ﴿٢٦﴾ وَأَوۡرَثَكُمۡ أَرۡضَهُمۡ وَدِيَٰرَهُمۡ وَأَمۡوَٰلَهُمۡ وَأَرۡضٗا لَّمۡ تَطَـُٔوهَاۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٗا ﴿٢٧﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزۡوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدۡنَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيۡنَ أُمَتِّعۡكُنَّ وَأُسَرِّحۡكُنَّ سَرَاحٗا جَمِيلٗا ﴿٢٨﴾ وَإِن كُنتُنَّ تُرِدۡنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَ فَإِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلۡمُحۡسِنَٰتِ مِنكُنَّ أَجۡرًا عَظِيمٗا ﴿٢٩﴾﴾

---

(١) أخرجه أبو يعلىٰ(٤٨٩٨)، والطبراني في «المعجم الأوسط» (٩٣٨٢).

(٢) أخرجه الترمذي (٣٧٣٩)، وابن ماجة (١٢٥)، والحاكم(٥٦١٢)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (٣/ ١٠٠).

(٣) سقط من أ، ب، والمثبت من ج.

(٤) سقط من ج، والمثبت من أ، ب.

﴿وَرَدَّ﴾: الكافرين ﴿بِغَيْظِهِمْ﴾ حال أو مفعول.

ومحل ﴿لَمْ يَنَالُواْ خَيْرًا﴾: (كا) حال، المعنىٰ: رجعوا خائبين لم يُشف قلوبهم ولم يظفروا بمطلوبهم من المسلمين.

﴿وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِتَالَ﴾: (كا).

﴿وَكَانَ ٱللَّهُ قَوِيًّا﴾: يقهر أعداءه.

﴿عَزِيزًا﴾: ينصر أولياءه.

وبعد ذهاب الأحزاب إلىٰ بلادهم رجع ﷺ إلىٰ المدينة بأصحابه وشرع يغسل رأسَه، فجاءه جبريل معتجرًا بعمامة من استبرق والنقع علىٰ ثناياه وعلىٰ فرسه الحيزوم، وقال: وضعتم السلاح؟! إنَّ الملائكة لم تضع أسلحتها منذ أربعين ليلة، إنَّ الله يأمرك بالمسير إلىٰ قريظة، وإني مُزلزل [حصونهم][1]. وكان قد غسل نصف رأسه فعصبه وأذن بالرحيل، وقال: «**من كان سامعًا ومطيعًا فلا يصلينَّ العصرَ إلا في بني قريظة**». وأعطىٰ رايته عليًّا، فسار بالناس حتىٰ دنىٰ من الحصن، فحاصرهم ﷺ عشرين، أو خمسًا وعشرين ليلة وأجهدهم الحصار، فقالوا لأبي لبابة: [ق/ ٣١٥ب] أننزل علىٰ حكم محمد؟ [فقال:][2] نعم، وأشار بيده إلىٰ حلقه أنَّه الذبح، فطلبوا من النبي ﷺ أن ينزلوا علىٰ حكم سعد بن معاذ، فأرسل ﷺ في طلبه فجاء راكب حمار، وكان رجلًا جسيمًا، فقال ﷺ: «**قوموا إلىٰ سيدكم فأنزلوه**». فنزل فقالوا: يا أبا عمرو إنَّ رسول الله ﷺ قد ولاك مواليك لتحكم فيهم، فقال لمواليه: عليكم بذلك عهد الله وميثاقه إنَّ الحكم فيها ما حكمت؟ قالوا: نعم، قال: وقال: وعلىٰ مَنْ ههنا، يريد النبي ﷺ، فقال ﷺ: «**نعم**». فقال: أحكم فيهم أن يقتل الرجال وتقسم الأموال ويسبىٰ الذراري

(١) سقط من ج، والمثبت من أ، ب.

(٢) سقط من ج، والمثبت من أ، ب.

[والنساء][1] فقال ﷺ: «**لقد حكمت بحكم الله فوق سبعة أرقعة**»، فاستنزلوا وحفر لهم خندق وضربت أعناقهم فيه وكانوا ستمائة أو سبعمائة، فنزل فيهم: ﴿وَأَنزَلَ ٱلَّذِينَ ظَٰهَرُوهُم﴾[2]: أي عاونوا الأحزاب.

﴿مِن صَيَاصِيهِمْ﴾: من حصونهم وكل ما يمتنع به أو فيه صيصية.

﴿وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ﴾: في قلوب قريظة ﴿ٱلرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾: من قريظة وهم الرجال.

﴿وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا﴾: (كا) وهم النساء والذراري.

﴿وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَٰرَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُمْ وَأَرْضًا لَّمْ تَطَـُٔوهَا﴾: (كا) وهي خيبر أو مكة أو فارس والروم، أو كل ما يفتح علىٰ المسلمين إلىٰ يوم القيامة.

﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرًا﴾: (تا).

كان له ﷺ [تسع][3] نسوة فآذينه وصعد إلىٰ غرفة له فمكث فيها ولم يخرج إلىٰ أصحابه، فنزل ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ﴾: أي أجبن إلىٰ ما أعرض عليكن، لم يرد حقيقة الإقبال والمجيء، **وقرئ** برفع ﴿أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ﴾ [ق/ ١٩٠أ]: استئنافًا إلىٰ ﴿أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَٰتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا﴾: (تا) فأخبر بذلك عائشة فاختارت الله ورسوله وكذلك باقيهن.

﴿يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِىِّ مَن يَأْتِ مِنكُنَّ بِفَٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ يُضَٰعَفْ لَهَا ٱلْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴿٣٠﴾ ۞ وَمَن يَقْنُتْ مِنكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتَعْمَلْ صَٰلِحًا نُّؤْتِهَآ أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا ﴿٣١﴾ يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِىِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ ۚ إِنِ ٱتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ

(١) سقط من أ، ب، والمثبت من ج.
(٢) أخرجه الطبري في «تفسيره» (٢٠/ ٢٤٨).
(٣) سقط من أ، ب والمثبت من ج.

فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴿٣٢﴾﴾

﴿يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِىِّ مَن يَأْتِ﴾: وقرئ: (تأت).

﴿مِنكُنَّ بِفَٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ﴾: معصية ظاهرة من نشوز وغيره، أو هو الزنا، فالخطاب لهن والمراد غيرهن.

القراءة: ﴿يُضَٰعَفْ لَهَا﴾: بنون وعين مكسورة مشددة وتنصب ﴿ٱلْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ﴾: مفعولًا، وبياء وألف مخففًا ورفع العذاب فاعلًا، وبياء بلا ألف وعين مفتوحة مشددة مجهولًا.

وقرئ: (يُضعِف) من أضعف، وإنما ضوعف عذابهن لأنَّ ما قَبُح من غيرهن كان منهن أقبح؛ لأنهن نساء النبي والذنب يعظم بعظم جانيه ومعرفته، ولهذا جُعل حد الحر أعظم من حد العبد، ويحتمل أن أبا حنيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لا يرىٰ رجم الكافر لهذا.

﴿وَكَانَ ذَٰلِكَ﴾: أي عذابها ﴿عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا﴾: (حس).

القراءة: ﴿وَمَن يَقْنُتْ مِنكُنَّ﴾: بالياء غيبة، **وقرئ** بالتاء.

والقراءة: ﴿وَتَعْمَلْ صَٰلِحًا﴾ بتاء ونون في ﴿نُّؤْتِهَآ﴾: وبياء فيهما، فمن ذكَّر أراد لفظ «من» لأنَّه مذكر، ومن أنَّث أراد معناها، المعنىٰ: نعطها ﴿أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ﴾: أي مثلي أجر غيرها.

مقاتل: نعطي بالحسنة عشرين.

﴿وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا﴾: (تا) هو الجنة.

﴿يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِىِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ﴾: «أحد» يعم الواحد وما زاد، والذكر والأنثىٰ، المعنىٰ: ليس قدركن عندي كقدر غيركن ﴿مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِنِ ٱتَّقَيْتُنَّ﴾: (كا) قالوا ولا أحبه، وتعليقه الشرط بالتقوىٰ مؤذن أن لا نافع لهن إلا هي وإن كن نساء النبي ﷺ، المعنىٰ: إن أردتن أن تكن متقيات.

﴿فَلَا تَخۡضَعۡنَ﴾: تلن وتلطفن ﴿بِٱلۡقَوۡلِ فَيَطۡمَعَ﴾: نصب جواب النهي.

وقرئ بالكسر جزمًا عطفًا علىٰ (تخضعن)، المعنىٰ: لا تقلن قولًا يطمع فيكن بسببه ﴿ٱلَّذِي فِي قَلۡبِهِۦ مَرَضٞ﴾: فجور أو نفاق ﴿وَقُلۡنَ قَوۡلٗا مَّعۡرُوفٗا﴾: عفيفًا بلا تحنث بلا مقتضىٰ الإسلام.

﴿ وَقَرۡنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجۡنَ تَبَرُّجَ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِ ٱلۡأُولَىٰۖ وَأَقِمۡنَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتِينَ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِعۡنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذۡهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجۡسَ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِ وَيُطَهِّرَكُمۡ تَطۡهِيرٗا ﴿٣٣﴾ وَٱذۡكُرۡنَ مَا يُتۡلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱلۡحِكۡمَةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا ﴿٣٤﴾ إِنَّ ٱلۡمُسۡلِمِينَ وَٱلۡمُسۡلِمَٰتِ وَٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ وَٱلۡقَٰنِتِينَ وَٱلۡقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلۡخَٰشِعِينَ وَٱلۡخَٰشِعَٰتِ وَٱلۡمُتَصَدِّقِينَ وَٱلۡمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّٰٓئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلۡحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمۡ وَٱلۡحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغۡفِرَةٗ وَأَجۡرًا عَظِيمٗا ﴿٣٥﴾ ﴾

القراءة: ﴿وَقِرۡنَ﴾: بكسر القاف من وَقَر يقر ثبت، ومنه الوقار وأصله يوقر فحذفت الواو لوقوعها بين ياء وكسرة، واستمر الحذف مع الهمزة والنون والتاء، وأصل وقِرن وأقرن فحذفت الواو واستغنىٰ عن همزة الوصل بحركة القاف ففاؤه محذوفة كوعد يعد، أو من قَرَّ في المكان يقر، والقرار السكون، وأصله واقررن فألقيت حركة الراء الأولىٰ علىٰ القاف، فحذفت الراء لسكونها وسكون الراء بعدها، وحذفت الهمزة للاستغناء عنها بحركة القاف، وبفتح القاف من قَررتُ في المكان بفتح الراء أقر لغة صحيحة، أصله اقررن أُلقيت حركة الراء علىٰ القاف ثم حذفت الراء الأولىٰ واستغنىٰ عن الهمزة لحركة القاف، أو من قار يقار اجتمع، ومنه القارة لاجتماعها، والمعنىٰ: اجتمعن واثبتن ﴿فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجۡنَ﴾: لا تظهرن زينتكن شهوة للرجال.

﴿تَبَرُّجَ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِ ٱلۡأُولَىٰ﴾: الذين كانوا بين آدم ونوح، أو بين عيسىٰ ومحمد عليهم الصلاة والسلام أجمعين، والجاهلية الأخرىٰ قوم في آخر الزمان يفعلون

مثل فعلهم، أو الأولىٰ ما بين آدم إلىٰ عيسىٰ، والأخرىٰ ما بين عيسىٰ ومحمد عليهم الصلاة والسلام أجمعين، ويجوز أن يكون أولىٰ ولا أخرىٰ لها، لا أحب الوقف من ﴿رِزْقًا كَرِيمًا﴾ إلىٰ ﴿وَأَطِعْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ﴾: (كا).

﴿لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ﴾: أي الإثم وكل ما يستقذر ﴿أَهْلَ ٱلْبَيْتِ﴾ [ق/ ٢٢٤جـ]: نصب نداء، أو اختصاص، والمراد زوجات النبي ﷺ، وقال: ﴿عَنكُمُ﴾ دون «عنكن» لأنَّه ﷺ كان بينهن فغلب، أو فاطمة وأبنائها وزوجها، أو هم كل من حرّمت عليه الصدقة ﴿وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾: (كا) من الرجس.

﴿مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ﴾: القرآن ﴿وَٱلْحِكْمَةِ﴾: السنة.

﴿خَبِيرًا﴾: (تا).

بعضهم: من لجأ إلىٰ الله تعالىٰ دخل في ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ﴾ ومن آمن حقيقة دخل في ﴿وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾ ، ومن أطاع الله في الفرض والرسول في السنة دخل في ﴿وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْقَٰنِتَٰتِ﴾، ومن صان قوله عن الكذب دخل في ﴿وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ﴾ ، ومن صبر علىٰ الطاعة وعن المعصية وعلىٰ الرزية دخل في ﴿وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ﴾ ، ومن لم يعرف من حوله في صلاته دخل في ﴿وَٱلْخَٰشِعِينَ وَٱلْخَٰشِعَٰتِ﴾ ، ومن تصدق كل أسبوع بدرهم دخل في ﴿وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَٰتِ﴾ ، ومن صام أيام البيض من كل شهر دخل في ﴿وَٱلصَّٰٓئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ﴾ ، ومن حفظ فرجه عما لا يحل دخل في ﴿وَٱلْحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَٰفِظَٰتِ﴾ ، ومن صلىٰ الصلوات الخمس دخل في ﴿وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ﴾ أو لا يكون العبد من الذاكرين الله كثيرًا والذاكرات حتىٰ يذكر الله قائمًا وقاعدًا ومضطجعًا.

﴿أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم﴾: لجميع المؤمنين ﴿مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾: (تا).

﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ

ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلٗا مُّبِينٗا ﴿٣٦﴾ وَإِذۡ تَقُولُ لِلَّذِيٓ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَأَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِ أَمۡسِكۡ عَلَيۡكَ زَوۡجَكَ وَٱتَّقِ ٱللَّهَ وَتُخۡفِي فِي نَفۡسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبۡدِيهِ وَتَخۡشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخۡشَىٰهُۖ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيۡدٞ مِّنۡهَا وَطَرٗا زَوَّجۡنَٰكَهَا لِكَيۡ لَا يَكُونَ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ حَرَجٞ فِيٓ أَزۡوَٰجِ أَدۡعِيَآئِهِمۡ إِذَا قَضَوۡاْ مِنۡهُنَّ وَطَرٗاۚ وَكَانَ أَمۡرُ ٱللَّهِ مَفۡعُولٗا ﴿٣٧﴾ ﴾

ونزل في امتناع زينب وأخيها من تزويج زيد بن حارثة بعد أن خطبها ﷺ له ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤۡمِنٖ﴾: لعبد الله بن جحش ﴿وَلَا مُؤۡمِنَةٍ﴾: لزينب ﴿إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمۡرًا﴾: هو خطبتها لزيد.

القراءة: ﴿أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلۡخِيَرَةُ مِنۡ أَمۡرِهِمۡ﴾ [1]: (تا) بالتاء والياء، المعنىٰ: لا يجوز لأحد أن يريد إلا ما أراد الله ورسوله ﴿وَمَن يَعۡصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾» ولم يقل: «يعصهما» لئلا يكون ضمير واحد له تعالىٰ ولغيره، فرضيت زينب وتزوجت بزيد وبقيت معه مدة، فجاء ﷺ [ق/ ٣١٦ب] يومًا إلىٰ بيت زيد فرأىٰ زينب فأعجبته، فقال: سبحان مقلب القلوب، وانصرف فلمَّا جاء زيد أخبرته بذلك، قالوا: وألقي في نفسه كراهتها في الحال، فجاء النبي ﷺ وقال: أريد طلاق صاحبتي. فقال: «**أرابك منها شيء؟**» قال: لا والله، ولكنها تترفع عليَّ. فقال له: «**أمسك عليك زوجك**»، فنزل ﴿وَإِذۡ تَقُولُ لِلَّذِيٓ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ﴾ [2]: بالإيمان ﴿وَأَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِ﴾: بالإعتاق ﴿أَمۡسِكۡ عَلَيۡكَ زَوۡجَكَ وَٱتَّقِ ٱللَّهَ﴾: لا تفارقها، نهي تنزيه، أو اتق الله في نسبة [الكبر إليها][3] .

﴿وَتُخۡفِي فِي نَفۡسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبۡدِيهِ﴾: وهو أنَّه تعالىٰ كان عهد إليه ﷺ أنَّ زينب ستصير زوجة له ﴿وَتَخۡشَى ٱلنَّاسَ﴾: أي تستحيهم وتخاف لائمتهم، والمراد لائمة اليهود، فيقولون: تزوج امرأة ابنه، أو جميع الناس، والواوات في ﴿وَتُخۡفِي﴾،

(١) أخرجه الطبري في «تفسيره» (٢٠/ ٢٧١).
(٢) أخرجه الطبري في «تفسيره» (٢٠/ ٢٧٣).
(٣) سقط من ج، والمثبت من أ، ب.

﴿وَتَخْشَى﴾ و ﴿وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَىٰهُ﴾: (حس) للحال كقولك: أمسك عليك زوجك مخفيًا في نفسك، وتخفي خاشيًا قالة الناس حقيقًا بأن تخشىٰ الله تعالىٰ في ذلك، أو للعطف، أي: وإذ تجمع بين قولك: ﴿أَمْسِكْ﴾ وإخفاء خلافه وخشية الناس والله أحق أن تخشاه، فلا تفعل مثل ذلك، وهذا عتاب شديد، عائشة[1]: لو كتم نبي الله شيئًا مما أنزل عليه لكتم هذه الآية. فطلقها زيد، فلمَّا انقضت عدتها قال لزيد: «**اذهب فاذكرها علي**». فقال زيد: يا زينب، إنَّ نبي الله أرسلني إليك يذكرك. قالت: ما أنا بصانعة شيئًا حتىٰ أؤامر ربي، وقامت إلىٰ مسجدها فنزل ﴿فلمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا﴾[2]: حاجة ﴿زَوَّجْنَـٰكَهَا﴾: فدخل ﷺ عليها بغير إذن ولا عقد نكاح ولا صداق ولا شهود، وأطعم الناس خبزًا ولحمًا، المعنىٰ: فعلنا ذلك ﴿لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِىٓ أَزْوَٰجِ أَدْعِيَآئِهِمْ﴾: الذين تبنوهم ﴿إِذَا قَضَوْا۟﴾: أي الأدعياء ﴿مِنْهُنَّ وَطَرًا﴾: (كا).

تلخيصه: فعل ذلك ليُعلم أنَّ نكاح زوجة المتبنىٰ حلال، بخلاف زوجة الابن.

﴿وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولًا﴾: (تا).

﴿ مَّا كَانَ عَلَى ٱلنَّبِىِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ ٱللَّهُ لَهُۥ ۖ سُنَّةَ ٱللَّهِ فِى ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلُ ۚ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا ﴿٣٨﴾ ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَـٰلَـٰتِ ٱللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُۥ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَ ۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا ﴿٣٩﴾ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَـٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴿٤٠﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾ ﴾

ثم أوضح ذلك بقوله: ﴿مَّا كَانَ عَلَى ٱلنَّبِىِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ﴾: أي أحل وأوجب ﴿ٱللَّهُ لَهُۥ﴾: (حس).

﴿سُنَّةَ ٱللَّهِ﴾: نصب مصدر أو إغراء.

(١) أخرجه الطبري في «تفسيره» (٢٠/ ٢٧٤).

(٢) أخرجه الطبري في «تفسيره» (٢٠/ ٢٧٥).

﴿فِي ٱلَّذِينَ خَلَوۡاْ مِن قَبۡلُ﴾: (كا) هم الأنبياء قبلك، المعنىٰ: لا تؤاخذ بكثرة النساء كالأنبياء قبلك، فإنهم كانوا أكثر منك نساء كداود وسليمان، أو سنة الله النكاح؛ لأَنَّه من سنة الأنبياء.

تلخيصه: لا إثم فيما [أبيح][1] .

﴿قَدَرٗا مَّقۡدُورًا﴾: (تا) إن رفعت أو نصبت ﴿ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ﴾: [مدحًا، ولا يجوز إن جررته نعتًا لـ﴿ٱلَّذِينَ خَلَوۡاْ ﴾][2] ﴿وَيَخۡشَوۡنَهُۥ وَلَا يَخۡشَوۡنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَ﴾: (كا) المعنىٰ: يفعلون ما يؤمرون ولا يخافون لائمة أحد ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبٗا﴾: (تا) [ونزل][3] لمَّا قيل: إنَّ محمدًا تزوج امرأة ابنه ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٖ مِّن رِّجَالِكُمۡ﴾: الذين لم يلدهم فلا يحرم عليه نكاح زوجة من تبناه بعد فراقها وانقضاء عدتها، ويوضح ذلك قوله: ﴿مِّن رِّجَالِكُمۡ﴾؛ لأنَّه لو قال: «من رجاله» لا حتمل ذلك، ولقوله: ﴿مِّن رِّجَالِكُمۡ﴾ دخل الحسين والحسن في جملة بنيه؛ لأنهما من رجاله ﷺ لا من رجالكم، ولقوله ﷺ للحسن: «**إنَّ ابني هذا سيد**»[4]، **تلخيصه**: لا يصير أبًا حقيقة لمن تبناه.

القراءة: ﴿وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾: (تا) عند أبي حاتم بنصب اللام والميم عطفًا علىٰ خبر «كان».

وقرئ برفعهما، أي: هو رسول الله، وبتشديد «لكن» وحذف الخبر، أي: ولكن رسول الله من عرفتموه، والقراءة بفتح التاء كالطابع فلا فعل له، أي: ختم به النبيون فلا نبي بعده، وبكسرها، أي: ختم هو الأنبياء بنفسه فلا نبي بعده أيضًا، يوضحه ما قرئ: (ولكن نبيًا ختم النبين)، والمعنىٰ: لا يُنبأ بعده أحد وإن نزل

(١) سقط من ج، والمثبت من أ، ب.

(٢) سقط من ج، والمثبت من أ، ب.

(٣) سقط من أ، ب والمثبت من ج.

(٤) أخرجه البخاري(٢٥٥٧) من حديث الحسن بن علي رضي الله عنهما.

عيسىٰ عليه السلام بعده؛ فهو ممن نبئ قبله، ولأنَّه ينزل بشريعته ويصلي إلىٰ قبلته، فكأنه من أمته.

﴿عَلِيمًا﴾: (تا).

﴿ٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ﴾: بما هو أهله من التهليل والتكبير والتحميد والتقديس ﴿ذِكْرًا كَثِيرًا﴾: قيامًا وقعودًا وعلىٰ جنوبكم، مرضىٰ وأصحاء، ليلًا ونهارًا، برًا وبحرًا، وعلىٰ كل حال إلا مغلوبًا علىٰ عقله، قال ﷺ: «**يقول ربكم: أنا مع عبدي ما ذكرني وتحركت بي شفتاه**»(١)، أو المراد ذكره في الصلوات.

﴿وَسَبِّحُوهُ﴾: أي: صلوا له ﴿بُكْرَةً﴾: هي صلاة الصبح ﴿وَأَصِيلًا﴾: (حس) هي صلاة العصر، أو صلاة الظهر والعصر، أو هما والمغرب والعشاء، أو المراد التسبيح باللسان، فيقال: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، ولا حول ولا قوة إلا بالله، وسميت هذه الكلمات ذكرًا كثيرًا لأنَّه يقولها الطاهر والجنب والمحدث.

﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۚ وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴿٤٣﴾ تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُۥ سَلَٰمٌ ۚ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا ﴿٤٤﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ﴿٤٦﴾ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا ﴿٤٧﴾ وَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَدَعْ أَذَىٰهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴿٤٨﴾ ﴾

﴿هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ﴾: فصلاته رحمته ومغفرته لخلقه، ومما أوحىٰ الله تعالىٰ إلىٰ موسىٰ: «**إنَّ صلاتي رحمتي وسعت كل شيء**». وروي: «**رحمتي سبقت غضبي**». وصلاة الملائكة الدعاء والاستغفار للمؤمنين، والمعنىٰ: يفعل الله بكم ذلك ﴿لِيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ﴾: من الكفر ﴿إِلَى ٱلنُّورِ﴾:

(١) أخرجه ابن ماجة (٣٧٩٢)، وأحمد (١٠٩٨٨)، والطبراني في «المعجم الأوسط» (٦٦٢١)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

الإيمان، أو الظلمات النار والنور الجنة.

تلخيصه: برحمته وبسبب دعاء الملائكة فُزتم.

﴿وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾: (حس).

﴿تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُۥ﴾: تعالىٰ ﴿سَلَٰمٌ﴾: (كا) فيسلم تعالىٰ عليهم[ق/ ١٩١أ] ويسلمهم من الآفات، أو تسلم عليهم الملائكة عند خروجهم من قبورهم، أو عند دخول الجنة، أو يسلم بعضهم علىٰ بعض عند دخولهم الجنة استبشارًا، أو أنَّ ملك الموت يحييهم عند قبض أرواحهم ويقول: إنَّ الله يقرئكم السّلام.

﴿أَجْرًا كَرِيمًا﴾ (تا) هو الجنة.

وتنصب ﴿شَٰهِدًا﴾: علىٰ أمتك والرسل بالبلاغ حالًا، وكذلك [جميع][١] المنصوبات بعد ﴿وَمُبَشِّرًا﴾: بالجنة ﴿وَنَذِيرًا﴾: بالنار.

﴿وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ﴾: أي مأذونًا لك في الدعاء إلىٰ طاعته ﴿بِإِذْنِهِۦ﴾ بتسهيله مجازًا، وليس المراد حقيقة الإذن؛ لأنَّ ذلك قد حصل بقوله: ﴿وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ﴾.

﴿وَسِرَاجًا مُّنِيرًا﴾: (كا) وصفه بالإنارة؛ لأنَّ مِنَ السُّرجِ ما لا ينير، المعنىٰ: يُهتدىٰ بك في الدين كما يُهتدىٰ بالسراج المنير في الظلام.

﴿فَضْلًا كَبِيرًا﴾: (كا) تفضلًا جزيلًا، وإذا استعظم المتفضل به كان الثواب أعظم، قالوا: ثم عطف علىٰ أول السورة ﴿وَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ﴾: وفيه نظر؛ لأنَّه لو عطف علىٰ أول السورة لم يتم بينهما وقف، والمعروف عند الوقفة أنَّ الوقوف كما رسمت، المعنىٰ: لا تُطعهم في فسخ عهد ولا فيما لا يحل ﴿وَدَعْ أَذَىٰهُمْ﴾: اصبر عليهم ولا تقتلهم جزاء فعلهم، وهذا نسخ بآية السيف[٢].

---

(١) سقط من ج، والمثبت من أ، ب.

(٢) انظر «الناسخ والمنسوخ» لابن حزم (ص/ ٥١).

﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ﴾: فإنَّه ميسر كل عسير وهو كافيك.

﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا﴾: (تا) مفوضًا إليه.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نَكَحْتُمُ ٱلْمُؤْمِنَـٰتِ ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُّونَهَا ۖ فَمَتِّعُوهُنَّ وَسَرِّحُوهُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴿٤٩﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِنَّآ أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَٰجَكَ ٱلَّـٰتِىٓ ءَاتَيْتَ أُجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّـٰتِكَ وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَـٰلَـٰتِكَ ٱلَّـٰتِى هَاجَرْنَ مَعَكَ وَٱمْرَأَةً مُّؤْمِنَةً إِن وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِىِّ إِنْ أَرَادَ ٱلنَّبِىُّ أَن يَسْتَنكِحَهَا خَالِصَةً لَّكَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۗ قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِىٓ أَزْوَٰجِهِمْ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُهُمْ لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٥٠﴾﴾

قال ﴿إِذَا نَكَحْتُمُ ٱلْمُؤْمِنَـٰتِ﴾: ولم يقل: «والكتابيات» وإن كان [ق/ ٣١٧ب] الحكم عامًّا فيهن تنبيهًا أنَّ الأولىٰ بالمؤمنين نكاح المؤمنات دون الكتابيات والصالحات، وأن يتخير لنطفته، وما ذكر في المائدة من ﴿وَٱلْمُحْصَنَـٰتُ مِنَ ٱلْمُؤْمِنَـٰتِ وَٱلْمُحْصَنَـٰتُ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَـٰبَ﴾ فبيان للجائز، المعنىٰ: إذا عقدتم عليهن.

﴿ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ﴾: أي: تطؤوهن ﴿فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُّونَهَا﴾: أي تحصونها بالأقراء، ومحل: ﴿تَعْتَدُّونَهَا﴾ جر صفة لفظ ﴿عِدَّةٍ﴾، أو رفع للموضع.

وقرئ: (تعتدَونها) مخففًا من الاعتداء الظلم.

﴿فَمَتِّعُوهُنَّ﴾: إذا لم يكن لهن صداق.

ابن عباس: وإن كان لهن صداق فنصفه بلا متعة.

﴿وَسَرِّحُوهُنَّ﴾: خلوا سبيلهن بلا إضرار بهن، أو المراد طلاقها طاهرًا من غير جماع ﴿سَرَاحًا جَمِيلًا﴾: (تا).

ثم بيَّن تعالىٰ المباحات له ﷺ، فقال: ﴿ٱلَّـٰتِىٓ ءَاتَيْتَ أُجُورَهُنَّ﴾: صداقهن.

﴿وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ﴾: من الإماء ﴿مِمَّآ أَفَآءَ﴾: أي: يرد ﴿ٱللَّهُ عَلَيْكَ﴾: من الكفار كصفية ﴿وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّٰتِكَ وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَٰلَٰتِكَ ٱلَّٰتِي هَاجَرْنَ مَعَكَ﴾: ومن لم تهاجر معك [ق/ ٢٢٥جـ] لم تحل لك، ولا وقف هنا لأجل العطف بعدُ، قالوا: ونسخ شرط الهجرة بقوله: ﴿وَٱمْرَأَةً مُّؤْمِنَةً﴾: ولا تحل له غير المؤمنة، وتنصب امرأة بـ﴿أَحْلَلْنَا﴾، المعنىٰ: أبحناك جميع المذكورات، وأبحناك امرأة مؤمنة ﴿إِن وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ ٱلنَّبِيُّ أَن يَسْتَنكِحَهَا﴾: يطلب نكاحها بغير صداق ﴿خَالِصَةً لَّكَ﴾: مصدر مؤكد، أو حال من ضمير ﴿وَهَبَتْ﴾.

وقرئ: (خَالِصَةٌ) رفعًا استئنافًا.

﴿مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾: [(تا)][1] المعنىٰ: إذا وهبتك مؤمنة نفسها حلت لك خاصة بلفظ الهبة بلا صداق، والواهبة نفسها هي أم شريك بنت جابر من بني أسد، أو ميمونة بنت الحارث، أو خولة بنت حكيم من بنىٰ سليم، وهنا شرطان [اعترض أحدهما الآخر، فيلزم أن يكون الشرط المؤخر لفظًا مقدمًا معنىٰ، وكذلك جميع الشروط][2] المعترضة، وقد ذكرت حكم الشرط مستقصىً في هود عند ﴿وَلَا يَنفَعُكُمْ نُصْحِيٓ إِنْ أَرَدتُّ أَنْ أَنصَحَ لَكُمْ﴾ [هود/ ٣٤]، وقرئ: (أن وهبت) بفتح الهمزة.

فلا يجوز له إلا نكاح واحدة؛ لأنَّ تقديره: لأنَّ وهبت، أو إذ وهبت، وفي بعض المصاحف: (وهبت) بلا «إن».

وكان ﷺ ينعقد نكاحه بلا شهود ولا مهر ولا ولي، وله الزيادة علىٰ أربع، ومن ﴿قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ﴾: علىٰ المؤمنين ﴿فِيٓ أَزْوَٰجِهِمْ﴾: من الأحكام بألَّا يتزوجوا بأكثر من أربع نسوة.

---

(١) سقط من ج، والمثبت من أ، ب.

(٢) سقط من ج، والمثبت من أ، ب.

قتادة[١]: هو ألا يتزوج الرجل المرأة إلا بولي وشاهدين وصداق ﴿وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ﴾: من الإماء مباح لهم فوق أربع زوجات، إلىٰ هنا اعتراض، المعنىٰ: علم تعالىٰ ما يوجب علىٰ المؤمنين في الأزواج والإماء، ولم يفعل ذلك عبثًا.

العماني: الوقف علىٰ ﴿ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ تام، ولا أحبه إن علقت ﴿لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ﴾: ضيق بـ﴿أَحْلَلْنَا﴾ قبل، أو بـ﴿خَالِصَةً﴾، **تلخيصه**: أحللنا لك أزواجك وإماءك ومن وهبتك نفسها لئلا يضيق عليك.

﴿وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾: (تا) ونزل لمَّا أراد ﷺ أن يفارق نساءه، أو يقسم بينهن .

﴿۞ تُرْجِي مَن تَشَآءُ مِنْهُنَّ وَتُـْٔوِيٓ إِلَيْكَ مَن تَشَآءُ ۖ وَمَنِ ٱبْتَغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ ۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن تَقَرَّ أَعْيُنُهُنَّ وَلَا يَحْزَنَّ وَيَرْضَيْنَ بِمَآ ءَاتَيْتَهُنَّ كُلُّهُنَّ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِى قُلُوبِكُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَلِيمًا ﴿٥١﴾ لَّا يَحِلُّ لَكَ ٱلنِّسَآءُ مِنۢ بَعْدُ وَلَآ أَن تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَٰجٍ وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ إِلَّا مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ رَّقِيبًا ﴿٥٢﴾﴾

﴿تُرْجِي﴾: تؤخر ﴿مَن تَشَآءُ مِنْهُنَّ﴾: عنك بطلاق أو غيره ﴿وَتُـْٔوِيٓ﴾ تجمع ﴿إِلَيْكَ مَن تَشَآءُ﴾: أو المعنىٰ: لك نكاح من تشاء من المؤمنات الواهبات أنفسهن وغيرهن وتركه، أو المعنىٰ: لك أن تعزل من تشاء منهن بلا طلاق وتؤوي من تشاء بعد العزل بلا تجديد عقد، وكان ﷺ إذا خطب امرأة يحرم علىٰ غيره خطبتها حتىٰ يتركها، أو ﴿وَمَنِ﴾: مبتدأ بمعنىٰ الذي، أو شرطٌ نصب بقوله: ﴿ٱبْتَغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ﴾: وخبر المبتدأ وجواب الشرط علىٰ التقديرين ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ﴾: (كا).

تلخيصه: لا إثم عليك في فعلك بنسائك ﴿ذَٰلِكَ﴾: التخيير ﴿أَدْنَىٰٓ﴾: أقرب إلىٰ رضاهن ﴿أَن تَقَرَّ أَعْيُنُهُنَّ﴾: بتخيرهن ﴿وَلَا يَحْزَنَّ﴾: بترك القسم لهن ﴿وَيَرْضَيْنَ

(١) أخرجه الطبري في «تفسيره» (٢٠/ ٢٩٠).

بِمَآ ءَاتَيْتَهُنَّ﴾: من تقريب وتبعيد وعزل وإيواء لعلمهنَّ أنَّ ذلك من الله تعالىٰ.

وقرئ بضم التاء وكسر القاف ونصب (أَعْينَهُن) مفعولًا، و(تُقَر) بفتح القاف مجهولًا.

القراءة: ﴿كُلُّهُنَّۚ﴾: (حس) رفعًا تأكيدًا لفاعل (يرضين)، وقرئ بنصب اللام تأكيدًا لهن في ﴿ءَاتَيْتَهُنَّ كُلُّهُنَّۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِى قُلُوبِكُمْۚ﴾: [(حس)][(١)] من الميل إلىٰ بعض النساء.

﴿حَلِيمًا﴾ (تا).

القراءة: ﴿لَّا يَحِلُّ لَكَ ٱلنِّسَآءُ﴾: بالتاء والياء.

﴿مِنۢ بَعْدُ﴾: أي بعد نسائك اللاتي خيرتَهن فاخترنك ورضين بمرادك، أو لا تحل لك الكتابيات من بعد المسلمات.

﴿وَلَآ﴾: يحل لك ﴿أَن تَبَدَّلَ بِهِنَّ﴾: غيرهن، ومفعول تبدل ﴿مِنْ أَزْوَٰجٍ﴾: و«من» زائدة، المعنىٰ: لا يجوز لك تطليق إحدىٰ نسائك المخيرات ولا نكاح غيرهن، ومحل ﴿وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ﴾: حال من فاعل تبدل، أي: مفروضًا إعجابك بهن، أو المعنىٰ: ليس لك أن تتبدل بالمسلمات مشركات وإن حَسُن لئلا تكون أم المؤمنين مشركة، أو ليس لك أن تعطي غيرك زوجتك وتأخذ زوجته، وكانت الجاهلية تفعل ذلك، ومحل ﴿إِلَّا مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَۗ﴾: نصب استثناء من النساء، أو رفع بدل، أو استثناء منقطع.

﴿رَّقِيبًا﴾: (تا) حفيظًا.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدْخُلُواْ بُيُوتَ ٱلنَّبِىِّ إِلَّآ أَن يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَىٰ طَعَامٍ غَيْرَ نَٰظِرِينَ إِنَىٰهُ وَلَٰكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَٱدْخُلُواْ فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَٱنتَشِرُواْ وَلَا مُسْتَـْٔنِسِينَ لِحَدِيثٍۚ إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ يُؤْذِى ٱلنَّبِىَّ فَيَسْتَحْىِۦ مِنكُمْۖ وَٱللَّهُ لَا يَسْتَحْىِۦ مِنَ ٱلْحَقِّۚ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَٰعًا فَسْـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ

---

(١) في أ، ب: (كا) والمثبت من ج.

حِجَابٍ ذَٰلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُواْ رَسُولَ ٱللَّهِ وَلَآ أَن تَنكِحُوٓاْ أَزْوَٰجَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦٓ أَبَدًا إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمًا ﴿٥٣﴾ إِن تُبْدُواْ شَيْـًٔا أَوْ تُخْفُوهُ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴿٥٤﴾ ﴾

ونزل تأديبًا لمن كان يتحيّن الطعام ويطيل المقام بعد الأكل في بيت النبي ﷺ ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدْخُلُواْ بُيُوتَ ٱلنَّبِيِّ إِلَّآ أَن يُؤْذَنَ﴾: أن يؤذن في معنىٰ الظرف، أي: إلا وقت الإذن، أو حال من فاعل لا تدخلوا، أي: مأذونًا ﴿لَكُمْ إِلَىٰ طَعَامٍ﴾: و﴿إِلَىٰ﴾ متعلق بـ﴿يُؤْذَنَ﴾؛ لأنَّ في الإذن معنىٰ الدعاء.

﴿غَيْرَ نَـٰظِرِينَ﴾: حال من ﴿لَا تَدْخُلُواْ﴾، والاستثناء وقع علىٰ الظرف والحال، أو علىٰ الحالين إن نصبت ﴿إِلَّآ أَن يُؤْذَنَ﴾ حالًا، أي: لا تدخلوا إلا وقت الإذن، أو إلا مأذونًا لكم، ولا تدخلوا إلا غير ناظرين ﴿إِنَىٰهُ﴾: نضجه، **وقرئ** بجر (غيرِ) صفة لـ﴿طَعَامٍ﴾ وأباه البصري؛ لأنَّه جرىٰ علىٰ غير ما هو له، فيجب إبراز ضمير الفاعل عنده، فيقال: غير ناظرين أناه أنتم، و«إناه» بكسر الهمزة مصدر إني يأني أنًا، وبفتحها ممدودًا مصدر آن يئين كحان يحين، والمصدران بمعنىٰ النضج والإدراك، المعنىٰ: اجتنبوا دخول بيته إذا لم تدعوا، فـ﴿إِذَا دُعِيتُمْ﴾: للأكل ﴿فَٱدْخُلُواْ فَإِذَا طَعِمْتُمْ﴾: فرغتم منه ﴿فَٱنتَشِرُواْ﴾: عن الطعام خارجين من البيت، وتعطف علىٰ (ناظرين).

﴿وَلَا مُسْتَـْٔنِسِينَ﴾: جر عطف علىٰ ناظرين، أو نصب أي: لا تدخلوها مستأنسين ﴿لِحَدِيثٍ﴾: (كا) تديرونه بينكم بعد الأكل ﴿إِنَّ ذَٰلِكُمْ﴾: أي الاستئناس بعد الأكل ﴿يُؤْذِى ٱلنَّبِيَّ فَيَسْتَحْىِۦ مِنكُمْ﴾: (كا) فلا يأمركم بالخروج، وكان ﷺ كثير الحياء.

﴿وَٱللَّهُ لَا يَسْتَحْىِۦ مِنَ ٱلْحَقِّ﴾: (كا) المعنىٰ: لا يمتنع من تعريفكم الحق والصواب حياءً منكم، **وقرئ**: (لا يستحي) بياء واحدة بعد الحاء.

﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ﴾: أي: نساء النبي ﷺ وإن لم يذكرن؛ لأنَّ الحال تدل عليهن ﴿مَتَٰعًا فَسْـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٍۚ﴾: (كا) ﴿ذَٰلِكُمْ﴾.

السؤال ﴿أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّۚ﴾: (كا) من الريبة [ق/ ٣١٨ب].

ونزل احترامًا له ﷺ وتطييبًا لقلبه ﴿وَمَا كَانَ﴾ أي: ما يجوز ﴿لَكُمْ أَن تُؤْذُواْ رَسُولَ ٱللَّهِ﴾: بشيء ما ﴿وَلَآ أَن تَنكِحُوٓاْ أَزْوَٰجَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦٓ﴾: إذا مات، أو بعد تحريمهن قبل الموت ﴿أَبَدًاۚ﴾: (كا).

تلخيصه: كان الاستئناس يؤذيه ﷺ، وما كان لكم أذاه ولا نكاح زوجاته، فلا أحب الوقف من ﴿رَقِيبًا﴾ إلىٰ [هنا][1].

﴿إِنَّ ذَٰلِكُمْ﴾: المذكور ﴿كَانَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمًا﴾: (حس) العقوبة.

﴿عَلِيمًا﴾: (حس).

﴿لَّا جُنَاحَ عَلَيْهِنَّ فِىٓ ءَابَآئِهِنَّ وَلَآ أَبْنَآئِهِنَّ وَلَآ إِخْوَٰنِهِنَّ وَلَآ أَبْنَآءِ إِخْوَٰنِهِنَّ وَلَآ أَبْنَآءِ أَخَوَٰتِهِنَّ وَلَا نِسَآئِهِنَّ وَلَا مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُنَّۗ وَٱتَّقِينَ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدًا ﴿٥٥﴾ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِىِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴿٥٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿٥٧﴾﴾

ولمَّا نزلت آية الحجاب قال ذوو المحارم: نحن أيضًا لا نكلمهن إلا من وراء حجاب، نزل ﴿لَّا جُنَاحَ عَلَيْهِنَّ فِىٓ ءَابَآئِهِنَّ﴾: إلىٰ ﴿وَلَآ أَبْنَآءِ أَخَوَٰتِهِنَّ﴾: في ترك الحجاب من المذكورين، ولم يذكر العم والخال لأنهما بمنزلة الوالدين، أو لأنَّ المرأة تحل لابنيهما فكره وضع الخمار عندهما ﴿وَلَا نِسَآئِهِنَّ﴾: أي المسلمات، فيحرم دخول الكتابيات عليهن، أو المراد جنس النساء، فيحل دخول الكتابيات عليهن ﴿وَلَا مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُنَّۗ﴾: من الإماء، فلا يكون العبد مَحرمًا لمولاته، أو هو عام فيكون العبد محرمًا لمولاته، ثم التفت من الغيبة إلىٰ الخطاب لضرب من

(١) سقط من أ، ب والمثبت من ج.

الإرهاب، فقال: ﴿وَٱتَّقِينَ ٱللَّهَۚ﴾: (كا) ولا تبرجن.

﴿شَهِيدًا﴾: (تا).

سئل ﷺ عن معنىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ﴾: (حس) فقال: **«هذا من العلم المكنونِ، ولولا أنَّكم سألتموني عنه ما أخبرتُكم به، إنَّ الله وكل بي ملكين، فلا أُذكَر عند عبد مسلم فيصلي عليَّ إلا قال ذلك الملكان: غفر الله لك، وقال الله لذينك الملكين: آمين، ولا أذكر عند عبد مسلم فلا يصلِّي عليَّ إلا قال ذلك الملكان: لا غفر الله لك، وقال الله لذينك الملكين: آمين»** [1].

وقرئ: (وملائكتُهُ) رفعًا عطفًا علىٰ موضع «إنّ» واسمها، والخبر محذوف يدل عليه ﴿يُصَلُّونَ﴾، قال ﷺ: **«إنَّ أولىٰ الناس بي يوم القيامة أكثرهم علي صلاة»، وقال: «من صلَّىٰ علي واحدة صلىٰ الله عليه عشرًا»** [2]. وقال: **«إن لله ملائكة سياحين يبلغوني عن أمتي السلام»** [3]. وقال: **«إن أفضلَ أيامِكم يومَ الجُمُعة؛ فيه خلق آدم، وفيه النفخة، وفيه الصعقة، فأكثروا علي من الصلاة فيه [ق/ ١٩٢أ]؛ فإن صلاتكم معروضة علي. قيل: يا رسول الله، كيف تُعرَضُ عليك صلاتُنا وقد أرمت؟! -أي: بليت- قال: إن الله حرم علىٰ الأرض أن تأكلَ أجسادَ الأنبياءِ»** [4].

---

(١) أخرجه الثعلبي في «الكشف والبيان» (٨/ ٦٢).

(٢) أخرجه مسلم(٣٨٤) من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنه.

(٣) أخرجه النسائي (١٢٨٢)، وفي «السنن الكبرىٰ» (١٢٠٥)، وأحمد (٣٦٦٦)، والدارمي (٢٧٧٤)، وابن حبان (٩١٤)، والحاكم(٣٥٧٦)، وأبو يعلىٰ (٥٢١٣)، والطبراني في «المعجم الكبير» (١٠٥٢٨)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (١٥٨٢) من حديث ابن مسعود رضي الله عنه.

(٤) أخرجه أبو داود (١٠٤٧)، والنسائي (١٣٧٤)، وفي «السنن الكبرىٰ» (١٦٦٦)، وابن ماجة (١٠٨٥)، وأحمد (١٦٢٠٧)، والدارمي (١٥٧٢)، وابن خزيمة (١٧٣٣)، وابن حبان(٩١٠)، والحاكم(١٠٢٩)، والطبراني في «المعجم الكبير» (٥٨٩)، والبيهقي في «السنن الكبرىٰ» (٥٧٨٩) من حديث أوس بن أوس الثقفي رضي الله عنه.

القراءة: ﴿صَلُّواْ عَلَيۡهِ﴾: ادعوا له، أو قولوا: اللهم صل علىٰ محمد وعلىٰ آل محمد كما صليت علىٰ إبراهيم وعلىٰ آل إبراهيم إنك حميد مجيد.

وقرئ: (فصلوا) دخلت الفاء لتضمن الكلام معنىٰ الشرط؛ لأنَّه تعالىٰ إنما أوجب عليه الصلاة بعد أن صلىٰ عليه، تقديره: صليت عليه فصلوا عليه، كأعطيتك فخذ، أي: إنما أوجب الأخذ من أجل العطية، ولو قال: أعطيتك خذ، كان الأمر بالأخذ مستأنفًا.

﴿وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا﴾: (تا) والصلاة [علىٰ النبي][1] ﷺ واجبة، فبعضُ أوجبها كلمَّا ذكر لقوله ﷺ: «**من ذُكرتُ بين يديه فلم يُصلِّ عليَّ دخلَ النار**»[2].

وبعضُ أوجبها في المجلس مرةً وإن تكررت كتشميت العاطس، وبعضُ أوجبها في العمر مرة، وكذا الخلاف في الشهادتين، والأولىٰ أن يصلىٰ عليه كلمَّا ذكر ﷺ.

نسب اليهود والنصارىٰ إليه تعالىٰ المستحيل فنزل ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤۡذُونَ ٱللَّهَ﴾: بنسبة الولد والشريك إليه تعالىٰ علوًا كبيرًا، أو بمعصيتهم إياه وهو تعالىٰ منزه عن الأذىٰ، وإنما هذا تمثيل، أو المعنىٰ: إنما يؤذون أولياء الله، قال تعالىٰ: «**من آذىٰ لي وليًّا فقد آذنته بالحرب**»[3]. وقال: «**من أهان لي وليًّا فقد بارزني بالمحاربة**»[4] ﴿وَرَسُولَهُۥ﴾: بتكذيبه وشج وجهه وكسر رباعيته، أو نزلت في المصورين ﴿لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِي ٱلدُّنۡيَا﴾: بالقتل ﴿وَٱلۡأٓخِرَةِ﴾: بالنار ﴿وَأَعَدَّ لَهُمۡ عَذَابًا مُّهِينًا﴾: (تا).

﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤۡذُونَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ بِغَيۡرِ مَا ٱكۡتَسَبُواْ فَقَدِ ٱحۡتَمَلُواْ بُهۡتَٰنًا وَإِثۡمًا مُّبِينًا ﴿٥٨﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزۡوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ يُدۡنِينَ عَلَيۡهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّۚ ذَٰلِكَ أَدۡنَىٰٓ أَن يُعۡرَفۡنَ فَلَا يُؤۡذَيۡنَۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٥٩﴾ ۞ لَّئِن لَّمۡ يَنتَهِ ٱلۡمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِي

---

(١) في أ، ب: عليه، والمثبت من ج.

(٢) أخرجه ابن حبان(٩٠٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) أخرجه البخاري(٦١٣٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه بلفظ: «**من عادىٰ..**».

(٤) أخرجه الثعلبي في «الكشف والبيان» (٨/ ٣١٨) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْمُرْجِفُونَ فِي ٱلْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَآ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٠﴾﴾

ونزل نهيًا عن أذى المؤمنين ظلمًا ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُواْ﴾: أي يؤذونهم بلا ذنب ﴿فَقَدِ ٱحْتَمَلُواْ﴾: تحملوا ﴿بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾: (تا) بينًا، كان زي الحرائر والإماء واحدًا، فربما تعرض ببعض الحرائر، فنزل ﴿قُل لِّأَزْوَٰجِكَ﴾ [ق/ ٢٢٦جـ]: وفي الكلام حذف تقديره: قل للمذكورات أُدنين أُزُرَكُن واسترن ﴿يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّ﴾: [(كا)][(١)] جمع جلباب وهي الملاءة تشتمل بها المرأة، أو هو كل ما يستتر به كإزار وكساء.

ابن عباس[(٢)]: أُمرن أن يُغطين رُؤوسَهن بالجلباب إلا عينًا واحدة ليُعلم أنهن حرائر، المعنىٰ: قل لهن يُرخين عليهن أُزرهن ويسترن بهن جميع أعطافهن إلا قدر الحاجة لمشيهن، و«من» تبعيض بأن تتجلبب ببعض ما لها من الجلابيب، لا أن لها جلبابًا واحدًا كالأمة، أو ترخي عليها بعض جلبابها وباقيه علىٰ رأسها ساترة وجهها به إلا عينها لأجل المشي لئلا تشبه الأمة.

﴿ذَٰلِكَ﴾: الفعل ﴿أَدْنَىٰٓ﴾: أقرب إلىٰ ﴿أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ﴾: (كا) بأن يتعرض لهن ذوُ ريبة.

﴿وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا﴾ لمَّا سلف مع التوبة.

﴿رَّحِيمًا﴾: (تا) حال من ضمير (غفورًا)، أو نعتًا له.

ونزل فيمن كان يظهر خلاف ما يضمر، وفيمن كان يُرغب قلوب المسلمين ﴿لَّئِن لَّمْ يَنتَهِ ٱلْمُنَٰفِقُونَ﴾: عن نفاقهم وكذبهم.

﴿وَٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾: فجور، وهم الزناة، من ﴿فَيَطْمَعَ ٱلَّذِي فِي قَلْبِهِۦ مَرَضٌ﴾، أو هم مَنْ ضعُف إيمانه.

---

(١) سقط من ج، والمثبت من أ، ب.

(٢) أخرجه الطبري في «تفسيره» (٢٠/ ٣٢٤).

﴿وَٱلۡمُرۡجِفُونَ﴾: المحركون قلوب المسلمين بما [يضعون][1] من الأخبار الكاذبة عن سرايا المسلمين بأنهم قُتلوا، كسروا، أخذوا فترعبُ قلوب المؤمنين.

تلخيصه: إن لم ينته المذكورون عما يعتقدون ويفعلون ويقولون ﴿لَنُغۡرِيَنَّكَ﴾: لنسلطنك عليهم ونوقع في نفسك أن تفعل بهم ما يسؤهم ليرتحلوا عنك، وتعطف على ﴿لَنُغۡرِيَنَّكَ﴾، جواب القسم ما هو جواب آخر لهذا القسم، وهو ﴿لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَآ﴾: في المدينة ﴿إِلَّا﴾: زمانًا ﴿قَلِيلًا﴾: حتىٰ يخرجوا منها، ولمَّا كان الجلاءُ عن الوطن أعظم من كل ما أصيبوا به عُطف بـ«ثم» لبُعد حاله عن حال المعطوف عليه، أو ﴿قَلِيلًا﴾ حال، أي: لا يجاوورنك إلا أقلاء أذلاء.

﴿ مَّلۡعُونِينَۖ أَيۡنَمَا ثُقِفُوٓاْ أُخِذُواْ وَقُتِّلُواْ تَقۡتِيلٗا ٦١ سُنَّةَ ٱللَّهِ فِي ٱلَّذِينَ خَلَوۡاْ مِن قَبۡلُۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبۡدِيلٗا ٦٢ يَسۡـَٔلُكَ ٱلنَّاسُ عَنِ ٱلسَّاعَةِۖ قُلۡ إِنَّمَا عِلۡمُهَا عِندَ ٱللَّهِۚ وَمَا يُدۡرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا ٦٣ إِنَّ ٱللَّهَ لَعَنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمۡ سَعِيرًا ٦٤ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ لَّا يَجِدُونَ وَلِيّٗا وَلَا نَصِيرٗا ٦٥ يَوۡمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمۡ فِي ٱلنَّارِ يَقُولُونَ يَٰلَيۡتَنَآ أَطَعۡنَا ٱللَّهَ وَأَطَعۡنَا ٱلرَّسُولَا۠ ٦٦ ﴾

﴿مَّلۡعُونِينَۖ﴾: (كا) حال من ﴿لَا يُجَاوِرُونَكَ﴾، أو سبَّ ﴿أَيۡنَمَا ثُقِفُوٓاْ﴾: أي: وجُدوا ﴿أُخِذُواْ وَقُتِّلُواْ تَقۡتِيلٗا﴾: (تا) عند أبي حاتم.

﴿سُنَّةَ ٱللَّهِ﴾: في موضع مصدر مؤكد، المعنىٰ: سن الله فيمن ينافق الأنبياء ويرجف عليهم أن يؤخذ حيث أدرك ويُقتل.

تلخيصه: هذا الحكم فيهم.

﴿وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبۡدِيلٗا﴾: (كا) .

كان اليهود والمشركون يسألونه ﷺ عن الساعة امتحانًا واستهزاءً، فنزل ﴿يَسۡـَٔلُكَ ٱلنَّاسُ عَنِ ٱلسَّاعَةِۖ قُلۡ إِنَّمَا عِلۡمُهَا عِندَ ٱللَّهِۚ﴾: (حس).

---

(١) في جـ: يصنعون، والمثبت من أ، ب.

﴿وَمَا يُدۡرِيكَ﴾: بها.

ثم أومأ إلىٰ قربها فقال: ﴿لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ تَكُونُ﴾: [ق/ ٣١٩ب] شيئًا ﴿قَرِيبًا﴾: (تا) أو الساعة بمعنىٰ الزمان، أو الحساب.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَعَنَ﴾: أي عذب ﴿ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾: المكيين بالقتل ببدر.

﴿وَأَعَدَّ لَهُمۡ سَعِيرًا﴾: نارًا في الآخرة ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَآ﴾: حال إن جعلت ﴿لَّا يَجِدُونَ وَلِيّٗا﴾: مظروفًا لقوله: ﴿يَوۡمَ تُقَلَّبُ﴾: فلا وقف بينهما، وقرئ: (تُقلبُ) بمعنىٰ تنقلب، ورفع ﴿وُجُوهُهُمۡ فِي ٱلنَّارِ﴾: و(نُقَلِبُ) أي: نحن، و(تُقلِب) أي: السعير وبنصب وجوههم.

ويكفي الوقف علىٰ ﴿نَصِيرٗا﴾: إن نصبت ﴿ يَوۡمَ ﴾، بقوله: ﴿يَقُولُونَ﴾: أو بمحذوف، وإن نصبته بمحذوف نصبت (يقولون) حالًا، والمراد بالوجوه أربابها، ومعنىٰ تقلبُها تنقلها في النار بأن ترفعهم إلىٰ أعلاها ثم تخفضهم إلىٰ أسفلها دائمًا، أو يطرحون مقلوبين علىٰ رؤوسهم، أو يُسحبون علىٰ وجوههم في النار ظهرًا لبطن، والمعنىٰ: اذكر يوم يقول التابع والمتبوع ﴿يَٰلَيۡتَنَآ أَطَعۡنَا ٱللَّهَ وَأَطَعۡنَا ٱلرَّسُولَا۠﴾: (كا).

﴿ وَقَالُواْ رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعۡنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠ ﴿٦٧﴾ رَبَّنَآ ءَاتِهِمۡ ضِعۡفَيۡنِ مِنَ ٱلۡعَذَابِ وَٱلۡعَنۡهُمۡ لَعۡنٗا كَبِيرٗا ﴿٦٨﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ ءَاذَوۡاْ مُوسَىٰ فَبَرَّأَهُ ٱللَّهُ مِمَّا قَالُواْۚ وَكَانَ عِندَ ٱللَّهِ وَجِيهٗا ﴿٦٩﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ﴿٧٠﴾﴾

القراءة: ﴿سَادَتَنَا﴾ بألف جمع جمع «سيد»، و﴿سَادَتَنَا﴾ بلا ألف جمع «سيد»، المعنىٰ: أنَّ الأتباع ﴿قَالُواْ رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعۡنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا﴾: أي: مقدمينا في الكفر.

﴿فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠﴾: (حس) أخطؤوا بنا طريق الهداية.

﴿رَبَّنَآ ءَاتِهِمۡ ضِعۡفَيۡنِ مِنَ ٱلۡعَذَابِ﴾: أي عذبهم مثلي عذاب غيرهم ﴿وَٱلۡعَنۡهُمۡ لَعۡنٗا كَبِيرٗا﴾: (تا) القراءة بباء موحدة وثاء مثلثة.

ونزل نهيًا عن أذىٰ النبي ﷺ ﴿لَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ ءَاذَوۡاْ مُوسَىٰ﴾: بأن رموه بالأدرة، وهو مرض الأنثيين، فوضع ثوبه علىٰ الحجر ليتوضأ فهرب الحجر بثوبه حتىٰ وقف به بين ملأ بني إسرائيل فأدركه فضربه ثنتي عشرة ضربة، فرأوه أحسن الناس جسدًا، وبقتل هارون فارتهموه الملائكة ميتًا، وبقذفه بالبغي أنَّه فجر بها، وبأنَّه ساحر مجنون ﴿فَبَرَّأَهُ ٱللَّهُ مِمَّا قَالُواْۚ﴾: و«ما» مصدرية أو موصولة، المعنىٰ: أوضح تعالىٰ ما نسب إلىٰ موسىٰ فظهرت براءته منه ﴿وَكَانَ عِندَ ٱللَّهِ وَجِيهٗا﴾: (تا) ذا جاه.

وقرئ: (عبدًا لله) بباء منونًا، و(وِجيهًا) بكسر الواو.

﴿سَدِيدٗا﴾: مستقيمًا.

﴿ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١ إِنَّا عَرَضۡنَا ٱلۡأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱلۡجِبَالِ فَأَبَيۡنَ أَن يَحۡمِلۡنَهَا وَأَشۡفَقۡنَ مِنۡهَا وَحَمَلَهَا ٱلۡإِنسَٰنُۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومٗا جَهُولٗا ٧٢ لِّيُعَذِّبَ ٱللَّهُ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَٱلۡمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلۡمُشۡرِكِينَ وَٱلۡمُشۡرِكَٰتِ وَيَتُوبَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمَۢا ٧٣ ﴾

وجواب (اتقوا) ﴿يُصۡلِحۡ﴾: يزك ﴿لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ﴾: ويتقبلها.

﴿وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ﴾: (حس).

﴿فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا﴾: (تا) نال غاية مطلوبه ثَمَّ.

﴿إِنَّا عَرَضۡنَا ٱلۡأَمَانَةَ﴾: هي كل ما افترض علىٰ العباد كصلاة وزكاة وصيام وأداء دين، وأوكدها الودائع، وأوكد الودائع كتم الأسرار، أو المراد بها الوفاء بالعهود، فحقٌّ علىٰ كل مؤمن ألا يغش مؤمنًا ولا معاهدًا، فعُرضت الأمانة بما فيها ﴿عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱلۡجِبَالِ﴾: عرض تخيير، فقلن: وما فيها، فقيل: إن أحسنتن جوزيتن وإن عصيتن عوقبتن ﴿فَأَبَيۡنَ﴾: امتنعن ﴿أَن يَحۡمِلۡنَهَا وَأَشۡفَقۡنَ مِنۡهَا﴾: (كا)

خشين من حملها خوفًا ألَّا يؤدينها، أو المراد عرضها على أهل المذكورات كـ﴿ وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ ﴾، أو أن هذه المذكورات عند عرض الأمانة ركب فيها عقل، ويجوز أنَّ حالهَا اقتضى ذلك، أو هذا تمثيل وتجهيل للإنسان حيث عُرضت الأمانة على هذه الأجرام العظيمة فامتنعن من حملها ﴿وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ﴾: مع ضعفه، والمراد [آدم][1]، روي أنَّه قال: أحمل الأمانة بقوتي أم بالحق؟ فقيل: من تحملها تحملها بنا، فإن ما هو منا لا يُحمل إلا بنا فحملها، أو الإنسان الكافر، أو جميع الناس.

﴿إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا﴾: لنفسه بمعصية ربه ﴿جَهُولًا﴾: بما افتُرض عليه، أو ظلومًا جهولًا بحمله الأمانة ثم لم يفِ بها، أو المعنى: إنَّه تعالى ائتمن بني آدم على ما افترض، وائتمن المذكورات على طاعته والخضوع لهيبته، فأبين أن يحملنها، أي: أدين الأمانة، ومنه: حمل فلانٌ الأمانة، أثم فيها بالخيانة، ونحوه: ابغض حق أخيك، أي: أدّه إليه؛ لأنَّه إذا أحبّه لم يؤده، الحسن: المنافق والكافر [ما][2] أديا الأمانة، أي: خانا فيها فلم يطيعا، فمن أطاع فليس بظلوم جهول، يتم الوقف هنا عند أبي حاتم على أصله، ولا يجوز عند غيره؛ لأنَّ اللام في ﴿لِّيُعَذِّبَ ٱللَّهُ﴾: تعليل.

القراءة: ﴿وَيَتُوبَ﴾: نصبًا عطفًا على ﴿ لِّيُعَذِّبَ ﴾، تقديره: عرض الأمانة ليعذب من لم يف بها، وليتوب على من وفَّى بها، **وقرئ** برفع (ويتوبُ) استئنافًا.

تلخيصه: عرضها لشقاوة هؤلاء وسعادة هؤلاء ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾: (تا).

(١) سقط من ج، والمثبت من أ، ب.

(٢) سقط من أ، ب والمثبت من ج.

سورة (سبأ)

مكية أو إلا ﴿وَيَرَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ...﴾، وهي أربع أو خمس وخمسون آية

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١﴾
يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۚ وَهُوَ ٱلرَّحِيمُ ٱلْغَفُورُ
﴿٢﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَأْتِينَا ٱلسَّاعَةُ ۖ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتَأْتِيَنَّكُمْ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ ۖ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ
ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَآ أَصْغَرُ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرُ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٣﴾﴾

أومأ تعالىٰ إلىٰ عظيم ملكه وقدرته ووجوب حمده في الدنيا وتلذذًا لحامديه به في الأخرىٰ بقوله: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْءَاخِرَةِ﴾: علىٰ تتمة إحسانه إليهم وإدخالهم الجنة، و﴿فِى ٱلْءَاخِرَةِ﴾ ظرف العامل فيه ﴿ٱلْحَمْدُ﴾، أو حال من ﴿ٱلْحَمْدُ﴾ العامل فيه الظرف، والمراد: له الحمد في الدارين، فحذفت إحداهما لدلالة الأخرىٰ عليها ﴿وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ﴾ المحكم لما في داريه.

﴿ٱلْخَبِيرُ﴾: (حس) إن استأنفت ﴿يَعْلَمُ﴾، ولا أحبه إن نصبته حالًا مؤكدة.

﴿يَعْلَمُ مَا يَلِجُ﴾ يدخل ﴿فِى ٱلْأَرْضِ﴾ كماء وحيوان وأموات ونبات وكنوز ﴿وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا﴾ كأموات عند البعث ونبات وجميع المخرجات ﴿وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ وقرئ (ننزل) بنونين مشددًا كماء وصواعق وبركات ﴿وَمَا يَعْرُجُ﴾ يصعد ﴿فِيهَا﴾ كملائكة وأعمال.

تلخيصه: يعلم كل شيء ﴿وَهُوَ ٱلرَّحِيمُ ٱلْغَفُورُ﴾: (تا) وقال منكرو البعث استهزاءً واستبطاءً للبعث: ﴿لَا تَأْتِينَا ٱلسَّاعَةُ﴾ فقال ﷺ مقسمًا: ﴿بَلَىٰ وَرَبِّى

لَتَأْتِيَنَّكُمْ﴾: (كا) أو (حس) على القراءة ﴿عَالِمِ ٱلْغَيْبِ﴾ كضارب رفعًا مدحًا، فيكفي الوقف على ﴿ٱلْغَيْبِ﴾، وقرئ: (عَالِمُ ٱلْغَيْبِ) رفعًا أيضًا مدحًا، أو مبتدأ خبره ﴿لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ﴾ فلا يجوز الوقف على ﴿ٱلْغَيْبِ﴾، ولا يجوز الوقف على ﴿لَتَأْتِيَنَّكُمْ﴾ على القراءة [ق/ ١٩٤أ] أيضًا (عَالِمٍ) و(عَلَّامٍ) مشددًا مبالغةً جرًّا فيهما بدلًا من (ربي).

والقراءة: ﴿وَلَآ أَصْغَرُ مِن ذَٰلِكَ﴾ أي: المثقال ﴿وَلَآ أَكْبَرُ﴾ رفعًا فيهما عطفًا على ﴿مِثْقَالُ﴾، وقرئ بفتحها على نفي الجنس، نحو: «لا حولَ ولا قوةَ إلا بالله»، فيكون الوقف على ﴿فِى ٱلْأَرْضِ﴾، فالاستثناء منقطع، أو عطفًا على ﴿ذَرَّةٍ﴾، ولم يجرا؛ لأنهما لا ينصرفان، فالاستثناء متصل وقد بُيِّن هذا في يونس.

تلخيصه: لا يَبِينُ عن الله تعالى شيء بعد خلقه إياه [ق/ ٣٢٠ب] إلا وهو مثبت ﴿فِى كِتَٰبٍ﴾ في اللوح.

﴿مُّبِينٍ﴾: (تا)

﴿ لِّيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾ وَٱلَّذِينَ سَعَوْ فِىٓ ءَايَٰتِنَا مُعَٰجِزِينَ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رِّجْزٍ أَلِيمٌ ﴿٥﴾ وَيَرَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ ٱلْحَقَّ وَيَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ﴿٦﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ يُنَبِّئُكُمْ إِذَا مُزِّقْتُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّكُمْ لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿٧﴾ ﴾

عند أبي حاتم لجعله اللام في ﴿لِّيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ لامَ قسمٍ، فيتم الوقف هنا، ويبتدئ ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ﴾ أي المؤمنون خبره ﴿لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾: (تا) [ثَمَّ][1] وهو الجنة، وغير أبي حاتم لا يجيز الوقف على ﴿مُّبِينٍ﴾ لجعله اللام في ﴿ لِّيَجْزِىَ ﴾ للجزاء متعلقة بلام القسم وهو ﴿لَتَأْتِيَنَّكُمْ﴾، فلا وقف بينهما اختيارًا، وتقديره: وربي لتأتينكم الساعة ليجزي، ولم يثبت الدليل

(١) سقط من ج، والمثبت من أ، ب.

علىٰ قيام الساعة بقسمه ﷺ؛ لأنه عندهم كذاب فلا يلتفتون إلىٰ قسمه، وإنما ثبت بقوله: ﴿لِّيَجۡزِيَ...﴾ الآية؛ لأنَّ العقل يقضي بجزاء كل عامل علىٰ عمله إن خيرًا فخير وإن شرًّا فشر.

ومحل ﴿وَٱلَّذِينَ سَعَوۡ﴾ رفع مبتدأ خبره ﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٌ﴾.

القراءة: ﴿مِّن رِّجۡزٍ أَلِيمٌ﴾: (تا) رفعًا صفة ﴿عَذَابٌ﴾، وجرًا صفة ﴿رِّجۡزٍ﴾.

تلخيصه: والسَاعون في إبطال أدلتنا لهم عذاب مؤلم، وإن نصبت ﴿ٱلَّذِينَ سَعَوۡ﴾ بـ﴿يَجۡزِيَ﴾ فلا وقف بينهما، تقديره: ليجزي الساعين، يتم الوقف هنا إن استأنفت ﴿وَيَرَى﴾ [أي][1]: ويعلم ولم تعطفه علىٰ ﴿لِّيَجۡزِيَ﴾، أي: ليجزي وليعلم ﴿ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ﴾ هم الصحابة، وتجعل المفعول الأول [ق/ ٢٢٧جـ] لـ﴿يَرَى﴾: ﴿ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَ﴾ أي القرآن، الثاني ﴿ٱلۡحَقَّ﴾ وهو فصل، وقرئ: برفع الحق خبر مبتدؤه ﴿هُوَ﴾، ومحلهما نصب ثاني مفعولي ﴿يَرَى﴾، ولا وقف هنا، لأنَّ ﴿وَيَهۡدِيٓ﴾ عطف علىٰ ﴿ٱلۡحَقَّ﴾ ثاني مفعولي ﴿يَرَى﴾.

تلخيصه: يرون المنزل حقًّا وهاديًا ﴿إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَمِيدِ﴾: (تا)، وقال الكافرون سخرية بينهم: ﴿هَلۡ نَدُلُّكُمۡ عَلَىٰ رَجُلٍ﴾ هو محمد ﴿يُنَبِّئُكُمۡ﴾ يخبركم ويقول لكم: ﴿إِذَا مُزِّقۡتُمۡ﴾ تقطعتم وتفرقت أوصالكم ﴿كُلَّ مُمَزَّقٍ﴾ مصدر بمعنىٰ التمزيق، ويكون مكانًا؛ لأنهم يُمزقون فيُجعلون في بطون الطير والسباع وأقطار الأرض، والعامل في ﴿إِذَا﴾ ما دل عليه ﴿إِنَّكُمۡ لَفِي خَلۡقٖ جَدِيدٍ﴾ فعيل بمعنىٰ فاعل عند البصري كقلَّ فهو قليل، أو مفعول عند الكوفي من جده قطعه، ولا يعمل فيها ﴿مُزِّقۡتُمۡ﴾ لإضافته إليها ولاينبئكم؛ لأنَّ إخبارهم لا يقع وقت تمزيقهم ولا جديد؛ لأن ما بعد «إن» لا يعمل فيما قبلها وإن أجازه بعضهم في الظرف، ثم أدخلوا همزة الاستفهام علىٰ همزة الوصل مبالغة في الإنكار والتعجب في:

---

(١) سقط من أ، ب والمثبت من جـ.

﴿أَفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَم بِهِۦ جِنَّةٌۢ ۗ بَلِ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ فِى ٱلْعَذَابِ وَٱلضَّلَـٰلِ ٱلْبَعِيدِ ﴿٨﴾ أَفَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَىٰ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۚ إِن نَّشَأْ نَخْسِفْ بِهِمُ ٱلْأَرْضَ أَوْ نُسْقِطْ عَلَيْهِمْ كِسَفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَةً لِّكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ﴿٩﴾ ۞ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ مِنَّا فَضْلًا ۖ يَـٰجِبَالُ أَوِّبِى مَعَهُۥ وَٱلطَّيْرَ ۖ وَأَلَنَّا لَهُ ٱلْحَدِيدَ ﴿١٠﴾﴾

﴿أَفْتَرَىٰ﴾ فحُذفت همزة الوصل لئلا يلتبس الاستفهام بالخبر لكون همزة الوصل [غير][1] مفتوحة كهمزة الاستفهام وتثبت همزة الوصل مع همزة الاستفهام في «آلسحر» ونحوه لئلا يلتبس الاستفهام بالخبر، المعنىٰ: اختلق محمد ﴿عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَم بِهِۦ جِنَّةٌۢ﴾ جنون فيجري الكذب علىٰ لسانه، فبرأه الله تعالىٰ رادًّا عليهم بقوله: ﴿بَلِ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ﴾ أي: البعث ﴿فِى ٱلْعَذَابِ﴾ ثَمَّ، وَلما كان الضلال موجبَ العذاب عطفه عليْه فقال: ﴿وَٱلضَّلَـٰلِ ٱلْبَعِيدِ﴾: (تا) عن الهدىٰ، ثم أومأ تعالىٰ إلىٰ وحدانيته وعظيم قدرته بقوله: ﴿أَفَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَىٰ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۚ﴾: (كا) المعنىٰ: ألم يروا أنهم تحت سمائي وفوق أرضي، فيخافوا عذابي فيؤمنوا، **القراءة**: ﴿إِن نَّشَأْ نَخْسِفْ بِهِمُ ٱلْأَرْضَ أَوْ نُسْقِطْ عَلَيْهِمْ كِسَفًا﴾: قطعة ﴿مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ۚ﴾: بالنون في ثلاثتهن إخبار عن الله تعالىٰ تعظيمًا، وبالياء خبر عن الله تعالىٰ.

تلخيصه: يفعل ما يشاء [بمن يشاء][2] ﴿لِّكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ﴾: (تا).

﴿دَاوُۥدَ مِنَّا فَضْلًا ۖ﴾: (كا) ملكًا ونبوة، أو هو حسن الصوت والقوة وتليين الحديد، وقلنا: ﴿يَـٰجِبَالُ أَوِّبِى﴾: رجّعي ﴿مَعَهُۥ﴾: مسبحة، **وقرئ**: (أَوْبي) مخففًا، والتأويب والأوب الرجوع، فكان داود إذا سبح سُمع تسبيح الجبال ويعقل معناه معجزة له، كما سمع الخطاب من الشجرة وعقل معناه، أو كان ينوح علىٰ ذنبه

(١) سقط من أ، ب، والمثبت من ج.

(٢) سقط من ج، والمثبت من أ، ب.

بترجيع وتحزين وتسعده الجبال بأصدائها.

[القراءة][1]: ﴿وَٱلطَّيْرَ﴾: [(تا)][2] [ومحل][3] بأصواتها نصبًا عطفًا على محل (الجبال)، أو مفعول معه، وقرئ: (والطيرُ) رفعًا عطفًا على الجبالُ، أو على ضمير ﴿أَوِّبِي﴾، وأغنت (مع) عن توكيده.

وهب: كان داود يقول للجبال: سبحي، وللطير: أجيبي، ثم يأخذ في تلاوة الزبور بصوته الحسن، فلا يُرىٰ شيء أحسن منظرًا من ذلك، ولا أحب الوقف هنا لأجل عطف ﴿وَأَلَنَّا لَهُ ٱلْحَدِيدَ﴾ أي: جعلناه له لينًا كالشمع فلا يفتقر إلىٰ نار ولا مطرقة، أو لان في يده لقوته، وأن تفسير «أو» مصدرية في

﴿ أَنِ ٱعْمَلْ سَٰبِغَٰتٍ وَقَدِّرْ فِي ٱلسَّرْدِ ۖ وَٱعْمَلُوا۟ صَٰلِحًا ۖ إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١﴾ وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ ۖ وَأَسَلْنَا لَهُۥ عَيْنَ ٱلْقِطْرِ ۖ وَمِنَ ٱلْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ ۖ وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴿١٢﴾ يَعْمَلُونَ لَهُۥ مَا يَشَآءُ مِن مَّحَٰرِيبَ وَتَمَٰثِيلَ وَجِفَانٍ كَٱلْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَٰتٍ ۚ ٱعْمَلُوٓا۟ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكْرًا ۚ وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِىَ ٱلشَّكُورُ ﴿١٣﴾ ﴾

﴿أَنِ ٱعْمَلْ سَٰبِغَٰتٍ﴾ دروعًا واسعات ضافيات.

وقرئ: بالصاد، وهو أول من عملها وكانت صفائح.

﴿وَقَدِّرْ فِي ٱلسَّرْدِ﴾: (كا) أصل السرد الوصل، ومنه سرد كلامه، وصل بعضه ببعض، المعنىٰ: لا تصغر المسمار فيفلق ولا تعظمه فيفلق الحلقة، أو السرد نفس المسمار، المعنىٰ: اعمل الدرع علىٰ قدر الحاجة بلا مجاوزة للحد في شيء منها، فكان يعمل كل يوم درعًا ويبيعها بستة آلاف درهم، ينفق عليه وعلىٰ عياله ألفين ويتصدق علىٰ فقراء بني إسرائيل بأربعة آلاف، وعمَل الدروع لأنه كان من عادته أن يخرج إلىٰ الناس منكرًا ويسأل عن داود وما يقال فيه، فخرج يومًا فلقيه ملك

(١) سقط من أ، ب والمثبت من ج.

(٢) في أ، ب: (كا)، والمثبت من ج.

(٣) سقط من أ، ب والمثبت من ج.

في صورة آدمي فسأله عن داود فقال: نِعم العبد هو، إلا أنه يأكل هو وعياله من بيت المال، فتنبه داود وسأل ربه أن يرزقه شيئًا يقوم به، فرُزِقَ صنعة الدروع، قال ﷺ: «**كان داودُ لا يأكلُ إلا من كسبِ يدِه**»(١). ثم خاطب داود وأهله فقال: ﴿وَٱعْمَلُواْ صَٰلِحًاۖ إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٞ﴾: (تا) القراءة: ﴿وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ﴾ نصبًا، أي: وسخرنا له، أو هو معطوف على ﴿وَأَلَنَّا﴾، أي: ألنا لداود الحديد ولسليمان الريح، ورفعًا مبتدأ خبره ﴿لِسُلَيْمَٰنَ﴾، ومحل ﴿غُدُوُّهَا﴾ أي: مسير غدوتها ﴿شَهْرٞ وَرَوَاحُهَا شَهْرٞۖ﴾ الجملة حال من ﴿ٱلرِّيحُ﴾.

وقرئ: (غدوتها) و(رَوحتها)، فكانت تعدو بسليمان وجنوده على البساط من دمشق فيقيل باصطخر وبينهما شهر للراكب المسرع، [ويروح من اصطخر فيبيت بكابل، وبينهما مسيرة شهر للراكب المسرع](٢) لا أحب الوقف هنا لأجل العطف في ﴿وَأَسَلْنَا لَهُۥ عَيْنَ ٱلْقِطْرِۖ﴾: (تا) عند أبي حاتم -وأراه حسنًا- والقِطر النحاس، المعنى: أذبنا له معدن النحاس حتى صار كالماء، فكان يسيل في الشهر ثلاثة أيام، قالوا: وما في أيدي الناس اليوم من ذلك، ومحل ﴿مَن يَعْمَلُ﴾ نصب بـ﴿سَخَّرْنَا﴾ مقدرة، أي: وسخرنا له من الجن من يعمل، أو رفع ابتداء، أي: [ق/ ٣٢١ب] فيما أعطيناه من يعمل ﴿بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِۦۖ﴾: (حس) بأن سخرها له وأمرها بطاعته.

﴿وَمَن يَزِغْ﴾ شرط مبتدأ، أي: يَمِل ﴿مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا﴾ الذي أمرناه به من طاعة سليمان، **وقرئ**: (يُزِغ) من أزاغه، وجواب الشرط ﴿نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ﴾: (كا) النار ثَمَّ أو هنا؛ لأنه تعالى قد وكل بالجن ملكًا بيده سوط من نار، فمن زاغ منهم عن طاعة سليمان ضربه فأحرقه، ولا يراه الجني.

﴿مِن مَّحَٰرِيبَ﴾ هي الأماكن الشريفة كالمساجد والقصور والحصون، قالوا: سميت بذلك؛ لأنه يُحارب عليها ويلتجأ إليها في الشدة، ومما عملوا له بيت

---

(١) أخرجه البخاري(١٩٦٧) من حديث أبي هريرة ﷺ.

(٢) سقط من ج، والمثبت من أ، ب.

المقدس في غاية الحسن، ولم يزل علىٰ عمارة سليمان إلىٰ أن خربه بخت نصّر وأخذ جميعَ ما فيه، وبنوا له بتدمر وغيرها قصورًا وحصونًا كثيرة.

﴿وَتَمَاثِيلَ﴾ هي الصور من زجاج أو نحاس ورصَاص ورخام وشبهه، فكانوا يعملون صور الملائكة والأنبياء والصالحين من هذه الأجسام في المساجد لينشطوا إلىٰ العبادة والاقتداء بهم، وعملوا له في أسفل كرسيه أسدين، وفي أعلاه نسَرين، فإذا صعد بسَط له الأسدان ذراعيهما فارتقىٰ عليهما، فإذا جلس أظله النسران بجناحيهما، ولم يكن اتخاذ الصور إذ ذاك محرمًا.

﴿وَجِفَانٍ﴾ هىٰ القصاع العظيمة.

﴿كَٱلْجَوَابِ﴾: القراءة بإثبات الياء وحذفها اكتفاءً عنها بالكسرة كالحياض الواسعة العظيمة، يجبىٰ أي: يجمع إليها الماء، قالوا: كان يقعد علىٰ الجفنة الواحدة ألف رجل يأكلون منها.

﴿وَقُدُورٍ رَّاسِيَٰتٍۚ﴾: ثابتات عاليات لا تنزل عن أثافيهن لعظمهن ولا يعطلن، وكان يصعد عليه بالسلاليم، أو كان أثافيهن منهن، وتنصب ﴿ءَالَ دَاوُۥدَ﴾ منادًا أو مدحًا، وهذا حكاية ما قيل لآل داود إن نصبت ﴿شُكْرًاۚ﴾: (تا) مصدرًا، أي: اعملوا آل داود واشكروا شكرًا، حسن الوقف علىٰ ﴿ دَاوُۥدَ ﴾ وإن نصبته حالًا، أي: اعملوا شاكرين، أو مفعولًا له، أو صفة لمحذوف، أي: عملًا شكرًا، فلا يجوز الوقف بعد ﴿ دَاوُۥدَ ﴾، المعنىٰ: أظهروا شكر النعمة كظهور النعمة عليكم، وارحموا أهل البلاء واسألوا الله العافية.

﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ﴾: (حس) الشكور من يرىٰ عجزه عن الشكر، كان سليمان يتحنث في بيت المقدس الشهر والشهرين والسنة والسنتين وأقل وأكثر، وينقطع عن الناس ويدخل إليه طعامه وشرابه، وكانت الإنس تزعم أن الجن تعلم الغيب فدخل بيته متحنثا يوما، وقال: اللهم عم موتىٰ علىٰ الجن حتىٰ يعلم الأنس

أن الجن لا تعلم الغيب، [فدخل بيت المقدس متحننًا يومًا وقال: اللهم عَمِّ موتي علىٰ الجن حتىٰ تعلم الإنس أن الجن لا تعلم الغيب](١)، أو كان قد بقي من عمارة بيت المقدس بقية فأراد تتمتها، فقام مصليًّا معتمدًا علىٰ عصاه فمات قائمًا، وكان لمحرابه كوىٰ، فكانت الجن تعمل أعمالها وهي تنظر إليه ولا تنكر ذلك لما كانت تعهد من طول قيامه قبل، أو كانت قد عملت له صرحًا من زجاج لا باب له فكانوا يشاهدونه .

﴿ فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِۦٓ إِلَّا دَآبَّةُ ٱلْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُۥ ۖ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ ٱلْجِنُّ أَن لَّوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ٱلْغَيْبَ مَا لَبِثُوا۟ فِى ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ ﴿١٤﴾ لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِى مَسْكَنِهِمْ ءَايَةٌ ۖ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ ۖ كُلُوا۟ مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لَهُۥ ۚ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ ﴿١٥﴾ فَأَعْرَضُوا۟ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ ٱلْعَرِمِ وَبَدَّلْنَٰهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَىْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَىْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ ﴿١٦﴾ ﴾

﴿فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَوْتَ﴾: وقرئ: (قُضي عليه الموت)، المعنىٰ: لمَّا مات ﴿مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِۦٓ إِلَّا دَآبَّةُ ٱلْأَرْضِ﴾: هي الأرضة، وقرئ: بفتح الراء من أَرِضَتِ الخشبة أرضًا أكلتها الأرضة.

القراءة: ﴿تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُۥ﴾: (كا) نصب مفعول به، أي [ق/ ١٩٥أ] عصاه لأنها يُنسأ بها، أي: يزجر بألف بلا همز لغة مسموعة صحيحة في بدل الهمزة المفتوحة بألف، وأصلها الهمز من نسأتُ الغنمَ سُقتها بها، وبهمزة مفتوحة علىٰ الأصل، حكىٰ سيبويه في تصغيرها مُنيسئة، وفي جمعها مناسئ همزًا فيهما، وبإسكان الهمزة المفتوحة لغة عربية صحيحة وَرد بها القرآن، وزعم بعضهم أن إسكان الهمزة المفتوحة إنما ورد في الشعر، وهذا تحكم وسهو ظاهر؛ لأنها وردت متواترة في الكتاب العزيز، نقلها أعرف الناس بكلام العرب وهو أبو

---

(١) سقط من ج، والمثبت من أ، ب.

[عمرو][١] ونافع، فكان هذا الزاعم يجعل المنقول عن العرب مطلقًا دليلًا علىٰ صحة ما صح بل تواتر، وهذا خطأ.

وقرئ: بفتح الميم وتخفيف الهمزة قلبًا وحذفًا، وقرئ: (أكلت مِنسأتَه)، وقرئ: (مَنسأته) بفتح الميم وتخفيف الهمزة قلبًا وإثباتًا لغتان في فتح الميم وكسرها، وقرئ: (مِن سَأتِه) بجعل «من» حرف جر [ق/ ٢٢٨جـ] و«سأة» اسم للعصا، وزعم ابن جني لأنها تسؤ، فوزنها فلة؛ لأن المحذوف منها واو، أو سميت بسأة القوس، وهو طرفها استعارة ﴿فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ ٱلْجِنُّ﴾: أي ظهر أمر الجن للإنس، ومحل ﴿أَن لَّوْ كَانُواْ﴾: الجملة رفع بدل من أمر المقدرة، أو بدل من الجن كـ(تبين زيد جهله)، أو نصب أي: تبينت الجن جهلها، وقرئ: (تُبينت) مجهولًا، وتبينت الإنس، وتباينت الإنس، المعنىٰ: لو علم الجن الغيب ﴿مَا لَبِثُواْ فِي ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ﴾: [(كا)][٢] هو التسخير والمشاق مدة موت سليمان؛ لأنهم كانوا يعملون الأعمال الشاقة في مماته كحياته، وكان لا ينظر إلىٰ سليمان أحد مدة حياته إلا احترق، فمر به شيطان مرارًا فلم يسمع صوته، فرفع رأسه فرآه ميتًا، ففتحوا الباب فرآوه ميتًا ورأوا عصاه قد أكلتها الأرَضة، فوضعوا الأرضة علىٰ العصىٰ يومًا وليلة فأكلت قدرًا، فحسبوا علىٰ ذلك فعلموا أنه قد مات منذ سنة، وكان عمره إذ ذاك ثلاثًا وخمسين سنة ملك منها أربعين، وابتدأ في بناء بيت المقدس لأربع مضين منها.

القراءة: ﴿فِي مَسْكَنِهِمْ﴾: مفتوح الكاف مصدر، وقياس فعَل يفعُلَ بفتح عين مصدره كالمخرج والمدخل، وبكسر الكاف سماعًا، وسيبويه جعل المكسور العين اسم مكان ولم يجعله مصدرًا لقلته، وجاء مكسور العين مصدرًا كالمسجد والمطلع، و(مساكنهم) جمعًا لأنه كان لكل واحد مسكن ﴿ءَايَةٌ﴾: اسم كان

---

(١) في ج: أبو بكر، والمثبت من أ، ب.

(٢) في أ، ب: (تا) والمثبت من ج.

﴿جَنَّتَانِ﴾ بدلًا منها، فلا وقف بينهما، وإن رفعت (جنتان) مدحًا، كأنه قيل: ما الآية؟ فقيل: هما جنتان، **وقرئ**: (جنتين) مدحًا، المعنىٰ: جعل قصة الجنتين آية لا أن الجنتين آية، كفىٰ الوقف علىٰ ﴿ءَايَةٌ﴾، والمراد بالجنتين جماعتان من البساتين.

﴿عَن يَمِينٍ﴾: من بلدهم ﴿وَشِمَالٍ﴾ منه، أنه كان لسبأ في منازلهم أشجار كثيرة وثمار طيبة، فقيل لهم: ﴿كُلُواْ مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ﴾: الذي رزقكم، فكانت المرأة تمر بمخرفها بين الأشجار فيمتلئ من أصناف الفواكه ولا تمد يدها إلىٰ شيء ﴿وَٱشْكُرُواْ لَهُۥ﴾: (تا) إن رفعت ﴿بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ﴾: مدحًا، وطيبتها أنها لم يكن بها بعوض ولا ذباب ولا بُرغوث ولا عقرب ولا حية، وكان يمر بها الغريب فيموت قمله [من طيب][(1)] الهواء ﴿وَرَبٌّ غَفُورٌ﴾ [ق/ ٣٢٢ب] (كا)، **وقرئ**: (بلدةً طيبةً وربًّا غفورًا) مدحًا، وإن نصبتها مفعول ﴿وَٱشْكُرُواْ﴾ فلا وقف بينهما، وهذا كان لما ملكت بلقيس واختصم أهلُها علىٰ ماء واديهم، وكان السيل يأتيهم من بعيد فيؤذيهم فَسدَّتْ ما بين الجبلين بسدٍ ومنعت الماء عنهم، وجعلت في السد أبوابًا بعضها فوق بعض، وجعلت بركة فيها اثني عشر مخرجًا كعدة أنهارهم، فأخصبت بلادهم وكثرت أشجارهم وثمارهم وخيرهم، فماتت بلقيس وهم في ذلك الخير، فبُعث إليهم ثلاثة عشر نبيًا فذكروهم نعم الله عليهم وخوفوهم عقابه، فقالوا: ما نعرف لله علينا نعمة، فقولوا له: أن يحبس عنا هذه النعمة إن استطاع، وهب: كانوا يجدون في علمهم أنه تخربه فأرة، فربطوا بكل خلل بين حجرين هرة، فجاء الخلد أو دابة غيرها فساور بعض الهرر ونحاها عن مكانها ودخل بين الحجرين فخرب السد من داخل وهم لا يعلمون.

﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ﴾: أي علىٰ سدهم ﴿سَيْلَ ٱلْعَرِمِ﴾: (كا) فخربه وأغرق أموالهم فتفرقوا في البلاد فصاروا مثلًا، والعرم: السيل الذي لا يطاق، أو اسم الوادي، أو

---

(١) في أ، ب: لطيب، والمثبت من ج.

السكر، أو الخلد الذي نَقَّب السد، أو شدة المطر، وقرئ: بسكون الراء ﴿وَبَدَّلْنَٰهُم بِجَنَّتَيْهِمْ﴾ المذكورتين قبل ﴿جَنَّتَيْنِ﴾ القراءة ﴿أُكُلٍ خَمْطٍ﴾ بإضافة (أكلٍ) إلى ﴿خَمْطٍ﴾ إضافة بمعنىٰ «من» كثوب خز؛ لأن الأكل الجنا والخمط كل شجر من الثمر، أو كل شجر له شوك، أو هو الإدراك والأكل ثمرة، وبجر ﴿أُكُلٍ﴾ منونًا فـ(خمط) عطف بيان لـ﴿أُكُلٍ﴾ لأنه بَيَّن الأكل من أي الشجر هو، أو تقديره: ذواتي أكل خمط، فحذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه ﴿وَأَثْلٍ﴾ هو شجر يشبه الطرفاء، عطف علىٰ ﴿أُكُلٍ﴾، وكذلك ﴿وَشَيْءٍ مِّن سِدْرٍ﴾: هو شجر النبق ﴿قَلِيلٍ﴾: (كا) نعت لـ(أثل) أو ﴿خَمْطٍ﴾، وعطف ﴿وَشَيْءٍ مِّن سِدْرٍ﴾ علىٰ ﴿خَمْطٍ﴾ لأنهما لا ثمرة لهما توكل وما بدلوا من السدر لم يكن ينتفع به، وقرئ: (وأثلًا وشيئًا) بدل من ﴿جَنَّتَيْنِ﴾، وسمي بدل «الجنتين» ﴿جَنَّتَيْنِ﴾ لمشاكلة اللفظ وتهكمًا بهم.

﴿ ذَٰلِكَ جَزَيْنَٰهُم بِمَا كَفَرُوا۟ ۖ وَهَلْ نُجَٰزِىٓ إِلَّا ٱلْكَفُورَ ﴿١٧﴾ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ ٱلْقُرَى ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَٰهِرَةً وَقَدَّرْنَا فِيهَا ٱلسَّيْرَ ۖ سِيرُوا۟ فِيهَا لَيَالِىَ وَأَيَّامًا ءَامِنِينَ ﴿١٨﴾ فَقَالُوا۟ رَبَّنَا بَٰعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فَجَعَلْنَٰهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَّقْنَٰهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿١٩﴾ وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُۥ فَٱتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٠﴾ ﴾

﴿ذَٰلِكَ﴾: الجزاء ﴿جَزَيْنَٰهُم بِمَا كَفَرُوا۟﴾: (حس).

القراءة ﴿وَهَلْ نُجَٰزِىٓ﴾: بنون مضمومة وزاي مكسورة، ونصب ﴿إِلَّا ٱلْكَفُورَ﴾: (حس) مفعولًا إخبار منه تعالىٰ عن نفسه، و(يُجَازَىٰ) بضم الياء وفتح الزاء ورفع (الكفورُ)، وقرئ (يُجْزىٰ إلا الكفور)، قالوا: يقال: جزيته في الخير، وجازيته في الشر، وأصل الجزاء والمجازاة تعادل مثل الشيء، فجميع الناس يجازون؛ لأن الجزاء عام، لكن المؤمن يكفر سيئاته لاجتنابه الكبائر، والكافر لا تكفر سيئاته لكفره، أو المجازاة هنا المعاقبة، المعنىٰ: عاقبناهم بسبب كفرهم، وهل يُعاقب عقوبة غضب إلا [الكفور](1)، ولما هلك مالهم قالوا: نحن نتوب

(1) في أ، ب: الكافر، والمثبت من ج.

ويُرد علينا خيرنا، فرد عليهم خير أكثر من ذلك.

﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ﴾: وهم باليمن ﴿وَبَيْنَ ٱلْقُرَى ٱلَّتِي بَٰرَكْنَا فِيهَا﴾: بالمياه والأشجار والثمار والخصب؛ لأنه مقر الأنبياء عليهم الصلاة والسّلام أجمعين، والمراد الشام، المعنىٰ: جعلنا بينهم وبين الشام ﴿قُرَى ظَٰهِرَةً﴾: للعين في غاية الحسن، ترىٰ كل قرية من الأخرىٰ ﴿وَقَدَّرْنَا فِيهَا ٱلسَّيْرَ﴾: (تا) المعنىٰ: قدرنا سيرهم في القرىٰ علىٰ قدر مقيلهم ومبيتهم، أي: لا يحتاجون إلىٰ ماء ولا زاد لقرب المنازل والخصب، ولما أعطوا هذه القرىٰ قيل لهم: ﴿سِيرُواْ فِيهَا﴾: لمصالحكم ﴿لَيَالِيَ وَأَيَّامًا﴾: ظرفان للسير وليالي جمع ليلة علىٰ غير قياس؛ لأن قياس واحد ليالي ليلاة وإن لم يستعمل كجمعهم ملاقح علىٰ لفظ ملقحة وإن لم تستعمل.

تلخيصه: سيروا ليلًا ونهارًا ﴿ءَامِنِينَ﴾: من العدّو والجوع والعطش.

القراءة ﴿بَٰعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا﴾: بلا ألف مشددًا، وبألف مخففًا لغتان في البُعد كضعّف وضاعَف، المعنىٰ: أنهم بَطروا وتمنوا بُعد المسافة بين منازلهم ليكون بينهم وبين الشام مهامه وقفار، **وقرئ**: (ربُّنا باعد) برفع الباء وفتح العين والدال وبفتح الباء وضم العين ورفع (بينُ) فاعلًا، أي: بعُدت مسافة أسفارنا، وبُعِّد بضم الباء وكسر العين مشددًا مجهولًا، **تلخيصه**: جحدوا النعمة ﴿وَظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ﴾: بترك شكر مُنعِمها ﴿فَجَعَلْنَٰهُمْ أَحَادِيثَ﴾: لمن بعدهم يتحدثون بما جرىٰ لهم وعليهم ﴿وَمَزَّقْنَٰهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ﴾: (كا) فرقناهم في أقطار الأرض.

﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ﴾: علىٰ الوحدانية والقدرة ﴿لِّكُلِّ صَبَّارٍ﴾: علىٰ المشاق ﴿شَكُورٍ﴾: (حس).

القراءة: ﴿وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ﴾: فعل مشدد فاعله ﴿إِبْلِيسُ﴾: مفعوله ﴿ظَنَّهُۥ﴾.

المعنىٰ: أن إبليس صدق ظنه الذي ظنه فيهم وهو كفرهم وتحقق ذلك

باتباعهم إياه، ومخفف غير متعد فظنه نصب ظرف، وقرئ بنصب (إبليس)، نحو: فإن يك ظني صادقي وهو صادق، فالمعنىٰ علىٰ التشديد: وجده ظنه صادقًا، وعلىٰ التخفيف أنه قال له ظنه الصدق حين خيّل إليه أن ذرية آدم يتبعونه، وبرفعهما مخففًا، فالثاني بدل اشتمال، وضمير ﴿عَلَيْهِمْ﴾ لأهل سبأ، أو لكل الناس إلا المؤمنين، يوضحه ﴿فَٱتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾: (حس) والمراد جميع المؤمنين؛ لأنهم لم يتبعوه في أصل الدين، أو المراد من يطيع ولا يعصي.

﴿ وَمَا كَانَ لَهُۥ عَلَيْهِم مِّن سُلْطَٰنٍ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يُؤْمِنُ بِٱلْءَاخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنْهَا فِى شَكٍّ ۗ وَرَبُّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ حَفِيظٌ ﴿٢١﴾ قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۖ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُۥ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ ﴿٢٢﴾ وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ ۚ حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا۟ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ ۖ قَالُوا۟ ٱلْحَقَّ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ ﴿٢٣﴾ ﴾

﴿وَمَا كَانَ لَهُۥ عَلَيْهِم مِّن سُلْطَٰنٍ﴾: قهرٍ سوىٰ الوسوسة.

الحسن[1]: ما سل عليهم سيفًا ولا ضربهم بعصا، ثم علل عدم التسلط بالعلم، والمراد علم الظهور، فقال: ﴿إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يُؤْمِنُ بِٱلْءَاخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنْهَا فِى شَكٍّ﴾: (كا) وقرئ: (ليُعلم) بالياء مجهولًا، المعنىٰ: لم يسلطه عليهم بالوسوسة والتزيين إلا ليظهر المؤمن بالآخرة من الشاك فيها ﴿حَفِيظٌ﴾ (تا).

﴿قُلِ ٱدْعُوا۟﴾: أيها المشركون ﴿ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم﴾: أنهم آلهتكم فيشفعون لكم ويكشفون عنكم ما نزل بكم من القحط، ومفعولا (زعم) محذوفان، الأول: هو ضمير راجع إلىٰ الموصول، الثاني: آلهة، وحذف آلهة لدلالة صفته عليه وهي ﴿مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾.

تلخيصه: الذين زعمتموهم آلهة ﴿لَا يَمْلِكُونَ﴾: أي: آلهتهم شيئًا ما ﴿وَمَا

(١) انظر: «تفسير البغوي» (٣/ ٦٧٨).

لَهُمْ﴾: لآلهتهم ﴿فِيهِمَا﴾: في السموات والأرض ﴿مِن شِرْكٍ﴾: أي: شركة مع الله تعالىٰ ﴿وَمَا لَهُۥ﴾: تعالىٰ ﴿مِنْهُم﴾: أي من آلهتهم ﴿مِّن ظَهِيرٍ﴾: (كـا) يعينه، لا أحب الوقف من (حفيظ) إلىٰ هنا، **تلخيصه**: إنه تعالىٰ غني عن كل خلقه وآلهتهم عجزة عن كل شيء.

﴿وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ﴾: تعالىٰ ﴿إِلَّا﴾: أن توجد ﴿لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ﴾: أن يشفع لغيره، أو أذن لغيره أن يشفع له، واللام في ﴿لَهُۥ﴾ كاللام الثانية في «أذن لزيد لأجل عمرو»، أي: وقع الإذن للشفيع لأجل المشفوع له، **القراءة**: (أُذِنَ) مجهولًا أقيم ﴿لَهُۥ﴾ مقام الفاعل، ومعلومًا الفاعل الله تعالىٰ، وسم الوقف هنا بالتام وفيه نظر، ولو سُم بالحسَن لكان أولىٰ؛ لأن حتىٰ بعدُ متصلة بما دل عليه ما قبل؛ لأنها غاية تؤذن أن ثَمَّ توقفًا وخوفًا [ق/ ٣٢٣ب] هل يؤذن [في شفاعة][1] أو لا يؤذن، فهم واقفون ينتظرون الإذن، نحو: ﴿لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ﴾ [النبأ:٣٨].

تلخيصه: يتوقفون وجلين زمانًا.

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ﴾[ق/ ٢٢٩جـ]: **القراءة**: بفتح الفاء والزاي الفاعل الله تعالىٰ، المعنىٰ: حتىٰ إذا كشف تعالىٰ الفزع عن قلب الشافع والمشفوع له بالإذن في الشفاعة، وبضم الفاء وكسر الزاي مجهولًا كدُفع إلىٰ زيد إذا علم المدفوع، **وقرئ** مجهولًا مخففًا بمعنىٰ المشدد المجهول، و(فُرِّغ) براء مهملة وغين معجمة [ق/ ١٩٦أ] مجهولًا أقيم الجار والمجرور مقام الفاعل من فرغ الطعام فني، **وقرئ** (افرنقع) أي: انكشف.

تلخيصه: إذا أذن في الشفاعة فرحوا وسأل بعضٌ بعضًا استبشارًا، ثم ﴿قَالُواْ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْۖ﴾: في الشفاعة ﴿قَالُواْ ٱلْحَقَّۖ﴾: أي قد أذن فيها، و﴿ ٱلْحَقَّ ﴾ نصب مفعول، أي: قال القول الحق، أو أن الكفار إذا انكشف عن قلوبهم عند الموت، أو القيامة إقامةً للحجة عليهم قالت لهم الملائكة: ماذا قال ربكم في الدنيا؟ فيقولون:

(١) في ج: للشفاعة، والمثبت من أ، ب.

قال الحق، اعترفوا حين لا ينفع الاعتراف.

﴿وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡكَبِيرُ﴾: (تا).

﴿ ۞ قُلۡ مَن يَرۡزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ قُلِ ٱللَّهُۖ وَإِنَّآ أَوۡ إِيَّاكُمۡ لَعَلَىٰ هُدًى أَوۡ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ﴿٢٤﴾ قُل لَّا تُسۡـَٔلُونَ عَمَّآ أَجۡرَمۡنَا وَلَا نُسۡـَٔلُ عَمَّا تَعۡمَلُونَ ﴿٢٥﴾ قُلۡ يَجۡمَعُ بَيۡنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفۡتَحُ بَيۡنَنَا بِٱلۡحَقِّ وَهُوَ ٱلۡفَتَّاحُ ٱلۡعَلِيمُ ﴿٢٦﴾ قُلۡ أَرُونِيَ ٱلَّذِينَ أَلۡحَقۡتُم بِهِۦ شُرَكَآءَۖ كَلَّاۚ بَلۡ هُوَ ٱللَّهُ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿٢٧﴾ ﴾

﴿قُلۡ مَن يَرۡزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ﴾: (حس).

﴿قُلِ ٱللَّهُۖ﴾: (حس).

تلخيصه: لا رازق سواه ﴿أَوۡ إِيَّاكُمۡ﴾: عطف على اسم «إن» قبل وخبرها محذوف لدلالة خبر (إنَّ إياكم) عليه وهو ﴿لَعَلَىٰ هُدًى﴾: أو ﴿لَعَلَىٰ هُدًى﴾ خبر «إن» الأولى، وخبر الثانية محذوف لدلالة الأول عليه، أو ﴿فِي ضَلَٰلٖ﴾ عطف على ﴿لَعَلَىٰ هُدًى﴾، **وقرئ**: (وأنا أو إياكم إما على هدى أو في ضلال) ﴿مُّبِينٖ﴾: (حس).

المعنى: أنا على الهداية يقينًا لأنَّا موحدون، وأنتم على الضلالة يقينًا لأنكم مشركون، ولم يصرحوا بذلك تأدبًا لأنه أدعى إلى الإيمان، وهذا غاية الإنصاف، وقريب من هذا قولهم: أخزى الله الكاذب، ثم أوضح ذلك، فقال: ﴿قُل لَّا تُسۡـَٔلُونَ عَمَّآ أَجۡرَمۡنَا﴾ اكتسبنا من الذنب ﴿وَلَا نُسۡـَٔلُ عَمَّا تَعۡمَلُونَ﴾: (حس) بل كلٌ مطالب بعمله، أو هذه الآية منسوخة بآية السيف.

﴿ٱلۡعَلِيمُ﴾: (حس).

والمراد بقوله: ﴿أَرُونِيَ ٱلَّذِينَ أَلۡحَقۡتُم بِهِۦ شُرَكَآءَۖ﴾: أي: أشركتموهم مع الله تعالى في العبادة، إظهار خطأ الكفار بعبادة العاجز، ثم ردّعهم عن اعتقادهم، فقال: ﴿كَلَّاۚ﴾: (تا) ليكون ما بعد إثباتًا، وبعض يقف قبل ﴿كَلَّاۚ﴾.

ثم أثبت الوحدانية والقدرة بقوله: ﴿بَلْ هُوَ﴾: أي:الله تعالىٰ وحده، أو﴿ هُـوَ﴾ ضمير الشأن، نحو: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾[الإخلاص:١].

﴿ٱلْحَكِيمُ﴾: (تا).

﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَـٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَـذِيرًا وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ
﴿٢٨﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَـٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴿٢٩﴾ قُل لَّكُم مِّيعَادُ يَوْمٍ لَّا تَسْتَـْٔخِرُونَ
عَنْهُ سَاعَةً وَلَا تَسْتَقْدِمُونَ ﴿٣٠﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ بِهَـٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَلَا بِٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ ۗ
وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّـٰلِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِندَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ ٱلْقَوْلَ يَقُولُ ٱلَّذِينَ
ٱسْتُضْعِفُوا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ لَوْلَآ أَنتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ ﴿٣١﴾ ﴾

﴿إِلَّا كَآفَّةً﴾: حال من كاف ﴿ أَرْسَلْنَـٰكَ ﴾، فتكون الهاء للمبالغة كـ«راوية»، أو تقديره: إلا إرسالةً كافةً، وقوله: ﴿لِّلنَّاسِ﴾: أي لجميعهم متعلق بـ﴿ كَآفَّةً ﴾.

والمعنىٰ: وما أرسلناك إلا لتكف جميع الناس عن المعاصي.

﴿بَشِيرًا﴾ بالجنة.

﴿وَنَذِيرًا﴾ بالنار حالان.

﴿وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾: (كا).

﴿وَيَقُولُونَ﴾ أي:الكافرون سخرية واستهزاءً للمؤمنين: ﴿مَتَىٰ هَـٰذَا ٱلْوَعْدُ﴾: الذي تعدوننا به ﴿إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ﴾: (حس).

القراءة: ﴿مِّيعَادُ يَوْمٍ﴾ هو يوم البعث، أو الموت بالإضافة إضافة تبيين كبعير سانية.

وقرئ: (ميعادٌ يومٌ) رفعًا بدلًا من (ميعادٌ)، و(ميعاد يومًا) نصبًا تعظيمًا، أي: أعني يومًا من صفته كيت وكيت.

ومحل ﴿لَّا تَسْتَـْٔخِرُونَ عَنْهُ﴾: عن الميعاد أو اليوم ﴿سَاعَةً وَلَا تَسْتَقْدِمُونَ﴾: (تا) الجملة نعت لما أعيدت إليه الهاء في ﴿عَنْهُ ﴾، فقال الكافرون: ﴿لَن نُّؤْمِنَ

بِهَٰذَا﴾ القرآن ولا بما دل عليه من البعث وغيره.

﴿وَلَا بِٱلَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ﴾: (حس) من الكتب السماوية كالتوراة والإنجيل.

وجواب ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ﴾ أيها المخاطب لرأيت أمرًا عظيمًا، ومعنىٰ ﴿يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ ٱلْقَوْلَ﴾: أي يرد بعضٌ إلىٰ بعضٍ ويلعن بعضٌ بعضًا ثَمَّ، ويقول المستضعفون وهم الأتباع للمستكبرين وهم المتبوعون: ﴿لَوْلَآ أَنتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ﴾: (كا) لأنكم منعتمونا عن الإيمان، في قوله: ﴿لَوْلَآ أَنتُمْ﴾ دلالة للمبّرد علىٰ مذهبه؛ لأنه لا يجيز أن يلي «لولا» من الضمائر إلا المرفوع كالمظهر، وهذا المشهور، وأجاز سيبويه «لولاكم»، وجعل محل «كم» جرًّا بـ«لولا»، قال: فإنَّ لـ«لولا» مع المظهر حالًا غير حالها مع المضمر ومنع ذلك المبرد، وجعل سيبويه الضمير بعد «عسىٰ» في محل نصب، والأخفش جعل الضمير بعد «لولا» و«عسىٰ» في محل رفع، قالوا: ونقل سيبويه جعل ضمير غير المرفوع بعدهما، المعنىٰ: لو لم تثبطونا عن الإيمان لآمنا، فقال المستكبرون للمستضعفين إنكارًا عليهم:

﴿قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوٓا۟ أَنَحْنُ صَدَدْنَٰكُمْ عَنِ ٱلْهُدَىٰ بَعْدَ إِذْ جَآءَكُم ۖ بَلْ كُنتُم مُّجْرِمِينَ ﴿٣٢﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ بَلْ مَكْرُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَآ أَن نَّكْفُرَ بِٱللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُۥٓ أَندَادًا ۚ وَأَسَرُّوا۟ ٱلنَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ وَجَعَلْنَا ٱلْأَغْلَٰلَ فِىٓ أَعْنَاقِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٣٣﴾ وَمَآ أَرْسَلْنَا فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَآ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿٣٤﴾﴾

﴿أَنَحْنُ صَدَدْنَٰكُمْ عَنِ ٱلْهُدَىٰ بَعْدَ إِذْ جَآءَكُم﴾: «إذا» و«إذ» تلزمهما الظرفية وأضيف الزمان إلىٰ «إذا» اتساعًا كما أضيف إلىٰ الجُمل كـ«جئتك بعد إذ جاء زيد» وحينئذ ويومئذ، المعنىٰ: لم نصدكم عن الهدىٰ نحن ﴿بَلْ كُنتُم مُّجْرِمِينَ﴾: (حس) مشركين باختياركم، ثم أبطل المستضعفون إضراب المستكبرين بإضرابهم عن مجادلتهم، فقالوا: ﴿بَلْ مَكْرُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ﴾ أي: مكركم بنا فيهما،

فأجرىٰ الظرف مجرىٰ المفعول به، وأضيف المكر إليهما اتساعًا، أو جعل الملوان ماكرين مجازًا، ويجوز أنهما جعلا ماكرين لكثرة وقوع المكر فيهما، **وقرئ**: (مكرٌ) منونًا مرفوعًا ونصب (الليل والنهار) ظرفين، و(بَلْ مَكَرَّ) بفتح الكاف وتشديد الراء نصبًا بمضمر، أي: تكرون الإغواء مكر الليل والنهار، أي: دائمًا، ورفعًا مبتدأ، أو خبر علىٰ معنىٰ: مكركم سبب ذلك، أو سبب ذلك مكركم.

تلخيصه: إنما أشركنا بسببكم.

﴿إِذْ تَأْمُرُونَنَآ أَن نَّكْفُرَ بِٱللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُۥٓ أَندَادًاۚ﴾: (حس).

﴿وَأَسَرُّواْ﴾: أظهروا، أو أخفوا ﴿ٱلنَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُاْ ٱلْعَذَابَۚ﴾: (كا) وجعلت الأغلال في أعناقهم في النار، وقيل [لهم][1] استهزاءً بهم وتوبيخًا وإيجابًا لعذابهم: ﴿هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾: (تا) وجيء بالواو في ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُواْ﴾ لتقدم كلامهم، فعطف علىٰ ما تقدم من كلامهم، ولم يأت بواو العطف في ﴿ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُواْ﴾ لأنه لم يتقدم لهم كلام ليُعطف عليه، وإنما هو جواب كلام المستضعفين علىٰ الاستئناف.

﴿كَٰفِرُونَ﴾: (حس).

﴿وَقَالُواْ نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَٰلًا وَأَوْلَٰدًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿٣٥﴾ قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٦﴾ وَمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُم بِٱلَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَىٰٓ إِلَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ جَزَآءُ ٱلضِّعْفِ بِمَا عَمِلُواْ وَهُمْ فِي ٱلْغُرُفَٰتِ ءَامِنُونَ ﴿٣٧﴾ وَٱلَّذِينَ يَسْعَوْنَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا مُعَٰجِزِينَ أُوْلَٰٓئِكَ فِي ٱلْعَذَابِ مُحْضَرُونَ ﴿٣٨﴾﴾

﴿وَقَالُواْ﴾: أي: الكافرون المترفون فخرًا بزخارف الدنيا علىٰ الفقراء: ﴿نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَٰلًا وَأَوْلَٰدًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ﴾: (تا).

﴿يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ﴾ امتحانًا.

---

(١) سقط من أ، ب والمثبت من ج.

﴿وَيَقۡدِرُ﴾ يضيق ابتلاءً، وقرئ مشددًا .

﴿يَعۡلَمُونَ﴾: (تا).

﴿وَمَآ أَمۡوَٰلُكُمۡ﴾: أي جماعة أموالكم.

﴿وَلَآ أَوۡلَٰدُكُم﴾: أي جماعة أولادكم.

﴿بِٱلَّتِي﴾: وقرئ: (باللاتي)؛ لأنها جماعات، و(بالذي)، أي: بالشيء الذي ﴿تُقَرِّبُكُمۡ عِندَنَا زُلۡفَىٰٓ﴾: قربىٰ نصب مصدر بـ(يقربكم) كـ﴿أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ نَبَاتٗا﴾.

﴿إِلَّا مَنۡ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا﴾: استثناء منكم من تقربكم، المعنىٰ: إنَّ المال لا يقرب إلا مؤمنًا أنفقه في الطاعة، والولد لا يقرب [ق/ ٣٢٤ب] إلا والدًا علمه الخير ومعالم الدين، أو ﴿مَنۡ﴾ مبتدأ خبره ما بعده، ومعنىٰ ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ جَزَآءُ ٱلضِّعۡفِ﴾ أن تُضاعف حسناتهم الواحدة بعشر إلىٰ سبعمائة ورفع ﴿جَزَآءُ﴾ [خبر][1] أولئك حذف التنوين للساكنين؛ لأن أصله أن يجازوا الضعف ثم جزاء الضعف ثم جزاء الضعف، وقرئ: (جزاءً) نصبًا حالًا ورفع (الضعف) مبتدأ خبره ﴿لَهُمۡ﴾، وهما خبر ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ﴾، و(جزاء) رفعًا منونًا ونصب (الضعف) علىٰ أن يجاوزا الضعف، و(جزاءُ الضعفُ) مرفوعان، فـ(الضعف) بدل من (جزاء).

القراءة: ﴿فِي ٱلۡغُرُفَٰتِ ءَامِنُونَ﴾: (تا) جمعًا وضم الراء ومفردًا، وقرئ: بفتح الراء وإسكانها تخفيفًا.

﴿مُحۡضَرُونَ﴾: (تا).

﴿قُلۡ إِنَّ رَبِّي يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦ وَيَقۡدِرُ لَهُۥۚ وَمَآ أَنفَقۡتُم مِّن شَيۡءٖ فَهُوَ يُخۡلِفُهُۥۖ وَهُوَ خَيۡرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ٣٩ وَيَوۡمَ يَحۡشُرُهُمۡ جَمِيعٗا ثُمَّ يَقُولُ لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ أَهَٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمۡ كَانُواْ يَعۡبُدُونَ ٤٠ قَالُواْ سُبۡحَٰنَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِمۖ بَلۡ كَانُواْ يَعۡبُدُونَ ٱلۡجِنَّۖ أَكۡثَرُهُم بِهِم مُّؤۡمِنُونَ ٤١ فَٱلۡيَوۡمَ لَا يَمۡلِكُ بَعۡضُكُمۡ لِبَعۡضٖ نَّفۡعٗا وَلَا ضَرّٗا وَنَقُولُ لِلَّذِينَ ظَلَمُواْ ذُوقُواْ عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّتِي كُنتُم بِهَا

(١) سقط من ج والمثبت من أ، ب.

تُكَذِّبُونَ ﴿٤٢﴾﴾

﴿وَيَقْدِرُ لَهُۥ﴾: (تا).

﴿وَمَآ﴾ شرط نصب بقوله: ﴿أَنفَقْتُم﴾، فقوله: ﴿مِّن شَيْءٍ﴾ بيانه وجواب الشرط الفاء بعدُ، أو بمعنىٰ الذي مبتدأ خبره ﴿فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ﴾: أي فالله يعوضه هنا بالمال، أو بالقناعة التي هي كنز لا يفني وثَمَّ بالثواب، في الحديث: «**من أيقن بالخُلْف جادَ بالعطية**»، وفيه حكاية عن الله تعالىٰ: «**أَنفق أُنفق عليك**»، وفيه «**كل معروف صدقة، وكل ما أنفق الرجل علىٰ أهله وماله كتب له بها صدقة، وما وقىٰ به الرجل عرضه كتب له بها صدقة**»(١)، قيل: ما أعطىٰ الساعَر وذا اللسان المتقي وما أنفق المؤمن من نفقة فعلىٰ الله خلفها ضامنًا، إلا ما كان من نفقة في بنيان أو معصية، بعضهم: إذا كان في يد أحدكم شيء فليقتصد ولا يتأول: ﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ....﴾ الآية؛ فإنَّ الرزق مقسوم، فلعله ينفق كثيرًا والمقسوم قليل، بل المراد الخلف في الآخرة.

﴿وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾: (حس).

﴿ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ﴾: إثباتًا للحجة علىٰ الكفار كقوله: ﴿ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ﴾ [المائدة:١١٦].

﴿أَهَٰٓؤُلَآءِ﴾ الكافرون ﴿إِيَّاكُمْ كَانُواْ يَعْبُدُونَ﴾: (حس).

فـ(هؤلاء) مبتدأ خبره ﴿يَعْبُدُونَ﴾: إياكم نصب بـ﴿يَعْبُدُونَ﴾، ﴿قَالُواْ سُبْحَٰنَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا﴾: الذي نتولاه ونلتجئ إليه ﴿مِن دُونِهِم﴾: ولا موالاة بيننا وبينهم ﴿بَلْ كَانُواْ يَعْبُدُونَ﴾: يطيعون ﴿ٱلْجِنَّ﴾: (تا) أو المراد الشياطين؛ لأنهم كانوا يدخلون في الأصنام فيعبدون بعبادتها، أو صورت الشياطين صور الجن، وقالوا: هذه صور

---

(١) أخرجه الحاكم (٢٣١١)، والدارقطني (٣/ ٢٨)، والبيهقي في «السنن الكبرىٰ» (٢٠٩٢١) والثعلبي في «الكشف والبيان» (٨/ ٩٢)، والبغوي في «تفسيره» (٣/ ٦٨٤) من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما.

الملائكة فعبدوها ﴿أَكْثَرُهُم﴾: أي الكفار ﴿بِهِم مُّؤْمِنُونَ﴾: (كا) بالجن وبما يقولون من الكذب، والملائكة بنات الله، لا أحب الوقف من هنا إلىٰ ﴿ذُوقُوا عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّتِي كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ﴾: (كا) قال هنا: ﴿ٱلَّتِي﴾ أراد النار، وفي السجدة (الذي) أراد العذاب.

﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ قَالُوا۟ مَا هَٰذَآ إِلَّا رَجُلٌ يُرِيدُ أَن يَصُدَّكُمْ عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُكُمْ وَقَالُوا۟ مَا هَٰذَآ إِلَّآ إِفْكٌ مُّفْتَرًى ۚ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٤٣﴾ وَمَآ ءَاتَيْنَٰهُم مِّن كُتُبٍ يَدْرُسُونَهَا ۖ وَمَآ أَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ مِن نَّذِيرٍ ﴿٤٤﴾ وَكَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَمَا بَلَغُوا۟ مِعْشَارَ مَآ ءَاتَيْنَٰهُمْ فَكَذَّبُوا۟ رُسُلِى ۖ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٤٥﴾ ﴾

﴿قَالُوا۟ مَا هَٰذَآ﴾: أي القرآن ﴿إِلَّآ إِفْكٌ مُّفْتَرًى ۚ﴾: (حس).

والمراد بقوله: ﴿لِلْحَقِّ﴾: محمد والقرآن ﴿سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾: **تلخيصه**: كذبوا محمدًا و ما جاء به تخرصًا منهم.

﴿وَمَآ ءَاتَيْنَٰهُم مِّن كُتُبٍ يَدْرُسُونَهَا ۖ﴾: (كا) فيعلمون ذلك، وقرئ بتشديد الراء من التدريس، وبتشديد الدال من الدرس.

﴿وَمَآ أَرْسَلْنَآ﴾: إلىٰ العرب الذين بُعِثْتَ ﴿إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ مِن نَّذِيرٍ﴾: (كا) ولا يراد من تقدمه من العرب؛ لأنَّ إسماعيل كان مبعوثًا قبله إلىٰ العرب المعشار العشر كالمرباع الربع، المعنىٰ: ما بلغ كفار مكة عشر.

﴿مَآ ءَاتَيْنَٰهُمْ﴾: أي الأمم قبلهم من القوة والمال وطول الأعمار، ومع ذلك هلكوا، أو المعنىٰ: [ق/ ٣٢٥ب] ما بلغ المتقدمون عُشر ما أعطي هؤلاء من البراهين والحجج ومع ذلك لم يؤمنوا ﴿فَكَذَّبُوا۟ رُسُلِى ۖ﴾: عنادًا .

﴿فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾: (تا) إنكار عليهم.

﴿ ۞ قُلْ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍ ۖ أَن تَقُومُوا۟ لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا۟ ۚ مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَّكُم بَيْنَ يَدَىْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ﴿٤٦﴾ قُلْ مَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ فَهُوَ

لَكُمۡۖ إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٞ ﴿٤٧﴾ قُلۡ إِنَّ رَبِّي يَقۡذِفُ بِٱلۡحَقِّ عَلَّٰمُ ٱلۡغُيُوبِ ﴿٤٨﴾ ﴾

﴿إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍۖ﴾ أي: بخصلة واحدة وهي لا إله إلا الله، أو ما جُعل بيانًا لـ(واحدة)، أو بدلًا منها، وهو ﴿أَن تَقُومُواْ لِلَّهِ﴾ أي: لأجله تعالىٰ، ليس المراد حقيقة القيام بل الاهتمام بالمطلوب، أو محل[ق/ ٢٣٠جـ] ﴿أَن تَقُومُواْ﴾ رفع مدح ﴿مَثۡنَىٰ﴾: اثنين اثنين ﴿وَفُرَٰدَىٰ﴾: فردًا فرادًا، المعنىٰ: إنما أمركم بتجريد العناية في البحث عن شأن محمد ﷺ اثنين اثنين وواحدًا واحدًا حتىٰ [يظهر](١) لكم شأنه ﴿ثُمَّ تَتَفَكَّرُواْۚ﴾: (تا) إن استأنفت نافيًا ﴿مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍۚ﴾: (تا) وكذلك إن جعلت «ما» استفهامًا، وفائدة التقييد بالاثنين والفرادىٰ أن الاثنين إذا التجآ إلىٰ الله تعالىٰ وبحثا طلبًا للحق مع الإنصاف هدوا إليه، وكذلك الواحد إذا فكر في نفسه متجردًا عن الهوىٰ؛ لأن كثرة الجمع مما يقل فيه الإنصاف غالبًا ويكثر فيها الخلاف [ق/ ١٩٧أ]، وتشوش الخاطر، وتخلط القول، ويورث التعصب، وإن علقت ﴿مَا بِصَاحِبِكُم﴾: بمحذوف تقديره: ثم تتفكروا فتعلموا ما بصاحبكم من جنون، فلا أحب الوقف علىٰ ﴿تَتَفَكَّرُواْۚ﴾، **تلخيصه**: إنما آمركم بالبحث عن شأن محمد ﷺ لتعرفوا صدقه من كذبه، ثم أثبت صدقه بأن نفىٰ ثم استثنىٰ، فقال: ﴿إِنۡ هُوَ إِلَّا نَذِيرٞ لَّكُم بَيۡنَ يَدَيۡ عَذَابٖ شَدِيدٖ﴾: (تا) ثَمَّ.

ومعنىٰ ﴿مَا سَأَلۡتُكُم مِّنۡ أَجۡرٖ﴾ علىٰ إنذاري وتبليغي الرسالة ﴿فَهُوَ لَكُمۡۖ﴾: لا أسألكم شيئًا، نحو: ما لي في هذا فهو لك، أي: ليس لي فيه شيء، أو المعنىٰ: ما سألتكم من أجر فلكم ثوابه؛ لأن المراد نقصان العقاب عنهم، أو سألهم أن يودوا أقاربه، وذلك لهم؛ لأن أقاربه أقاربهم، نحو: ﴿لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًا إِلَّا ٱلۡمَوَدَّةَ فِي ٱلۡقُرۡبَىٰۗ﴾ [الشورىٰ:٢٣]، لا أحب الوقف من ﴿شَدِيدٖ﴾ إلىٰ ﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٞ﴾: (حس).

(١) سقط من ج، والمثبت من أ، ب.

﴿يَقۡـذِفُ بِـٱلۡحَقِّ﴾: يرمـي بـالوحي إلـىٰ الأنبيـاء، تقـف هنـا إن رُفـع ﴿عَلَّـٰمُ ٱلۡغُيُوبِ﴾: (حس) خبر مبتدأ، ولا تقف بعد الحق أن رُفع ﴿عَلَّٰمُ﴾ بدلًا من ضمير ﴿يَقۡذِفُ﴾ أو صفة ﴿رَبِّي﴾، وقرئ بنصب (عَلَّـٰمَ) مدحًا وبفتح غين (ٱلۡغَيُـوبِ) كـ(الصور)، وهو ما خفي وغاب عنك بالكلية.

﴿قُلۡ جَآءَ ٱلۡحَقُّ وَمَا يُبۡدِئُ ٱلۡبَٰطِلُ وَمَا يُعِيدُ ﴿٤٩﴾ قُلۡ إِن ضَلَلۡتُ فَإِنَّمَآ أَضِلُّ عَلَىٰ نَفۡسِيۖ وَإِنِ ٱهۡتَدَيۡتُ فَبِمَا يُوحِيٓ إِلَيَّ رَبِّيٓۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٞ قَرِيبٞ ﴿٥٠﴾ وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذۡ فَزِعُواْ فَلَا فَوۡتَ وَأُخِذُواْ مِن مَّكَانٖ قَرِيبٖ ﴿٥١﴾ وَقَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِهِۦ وَأَنَّىٰ لَهُمُ ٱلتَّنَاوُشُ مِن مَّكَانِۭ بَعِيدٖ ﴿٥٢﴾﴾

﴿ٱلۡحَقُّ﴾: الإسلام وما فيه من الأحكام، ومعنىٰ: ﴿وَمَـا يُبۡـدِئُ ٱلۡبَٰطِـلُ وَمَـا يُعِيدُ﴾: (حس) أنَّ الباطل قد بطل بمجيء الحق فلا يلتفت إليه، نحو: ﴿بَلۡ نَقۡذِفُ بِٱلۡحَقِّ عَلَى ٱلۡبَٰطِلِ فَيَدۡمَغُهُۥ...﴾ [الأنبياء: ١٨] الآية، ويقال: فلان لا يبديء ولا يعيد إذا لم يلتفت إليه، أو هذا مثل في الهلاك، ومنه قول عبيد[١]:

أقفر من أهله عبيد فاليوم لا يبدي ولا يعيد

أي: قد هلك.

الحسن: لا يبديء الباطل لأهله خيرًا ولا يعيده، أي: لا ينفعهم في الدارين، أو«ما» استفهام، أي: أي شيء ينشيء الباطل أو يعيده؟ أو الباطل الشيطان؛ لأنَّه صاحب الباطل ولا يخلق شيئًا ولا يبعثه، أو أصنامهم فهي عجزة عن الإحياء والإماتة.

﴿إن ضللت فَإِنَّمَآ أَضِلُّ عَلَىٰ نَفۡسِيۖ وَإِنِ ٱهۡتَدَيۡتُ فَبِمَـا يُـوحِيٓ إِلَيَّ﴾: من القرآن، وقرئ بكسر لام (ضـللت) وفتح ضـاد (أضـلَ)، و(إِضـل) بكسر الهمزة وفتح الضاد.

تلخيصه: إنما ضلالي لي، وهدايتي بفضل ﴿رَبِّيٓۚ﴾: فلا منّة عليَّ لغيره.

---

(١) هو عبيد بن الأبرص، والبيت في «ديوانه» (ص/ ٤٥).

﴿إِنَّهُۥ سَمِيعٌ قَرِيبٌ﴾: (تا) لا يفوته شيء ما، وجواب: [ق/ ٣٢٥ب] ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ فَزِعُواْ﴾: عند حلول العذاب بهم هنا أو ثَمَّ محذوف، أي: لرأيت أمرًا عظيمًا، أو نزلت هذا في الجيش الذي يقصد الكعبة لهدمها فخسف به.

﴿فَلَا فَوْتَ﴾: لهم من العذاب، وتعطف علىٰ ﴿فَزِعُواْ﴾، أو علىٰ ﴿فَلَا فَوْتَ﴾ ﴿وَأُخِذُواْ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ﴾ من بطن الأرض إلىٰ ظهرها عند البعث، أو بالخسف من تحت أقدامهم، أو المراد يوم بدر، وحيث كانوا فهو قريب منه تعالىٰ.

وقرئ (وآخذ) عطف علىٰ محل ﴿فَلَا فَوْتَ﴾: ثم، وبم أخذ فعند حلول العذاب بهم ﴿وَقَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِهِۦ﴾: أي: بما أنكرنا من البعث وغيره.

القراءة: ﴿وَأَنَّىٰ لَهُمُ ٱلتَّنَاوُشُ﴾: بواو بلا همزة من ناش ينوش نوشًا، إذا تناول، وبقلب الواو همزة كأُقتت في وقتت وأجوه في وجوه، أو الهمزة من نأش ينأش نئيشًا كرغيف أخذ وبطش.

﴿مِن مَّكَانِۭ بَعِيدٖ﴾: (حس) فمثل إيمانهم عند نزول العذاب بهم وعدم قبوله بمن يطلب شيئًا لا يصل إليه.

﴿ وَقَدْ كَفَرُواْ بِهِۦ مِن قَبْلُ وَيَقْذِفُونَ بِٱلْغَيْبِ مِن مَّكَانِۭ بَعِيدٖ ﴿٥٣﴾ وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِم مِّن قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُواْ فِي شَكّٖ مُّرِيبِۭ ﴿٥٤﴾ ﴾

﴿وَقَدْ كَفَرُواْ بِهِۦ مِن قَبْلُ﴾: المعنىٰ: وكيف لهم تناول التوبة وأخذها وقد كفروا في الدنيا بما آمنوا به هنا.

تلخيصه: لا يصلون إليها لأنهم تابوا حين لا متاب ﴿وَيَقْذِفُونَ بِٱلْغَيْبِ﴾: عطف علىٰ كفروا علىٰ حكاية الحال، المعنىٰ: كفروا ويرمون محمدًا بالظن بقولهم له: شاعر ساحر كاهن.

﴿مِن مَّكَانِۭ بَعِيدٖ﴾: (حس) من حيث لا يعلمون؛ لأنهم لا يتحققون صدق ما يقولون، أو كانوا يقولون: لا بعث، وقرئ (يُقذفون) بضم الياء مجهولًا، أي:

كانت شياطينهم تقول لهم: لا بعث، وقرئ (ويرجون) أي: يريدون ظنهم في أن لا جنة ولا نار.

﴿وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ﴾: من الإيمان والتوبة، أو الرجوع إلىٰ الدنيا، أو المراد الجيش الذي قصد هدم الكعبة فحيل بينه وبينها بأن خسف به، وجيء بـ﴿فَزِعُواْ﴾ و﴿وَأُخِذُواْ﴾ ﴿وَحِيلَ﴾ ماضيًا وإن كان مستقبلًا معنىٰ للإيذان أنَّ المستقبل من فعله تعالىٰ كالماضي لتحققه، المعنىٰ: حيل بين هؤلاء ومرادهم.

﴿كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِم مِّن قَبْلُ﴾ أي: بمن كان علىٰ مثل حالهم ومن مَذْهَبهم مذهب من قبلهم في الكفر.

تلخيصه: منعوا جميعًا التوبة عند شدة البأس.

﴿إِنَّهُمْ كَانُواْ فِي شَكٍّ مُّرِيبِۭ﴾: (تا) تحدث الريبة.

سورة الملائكة (فاطر)

مكية وهي خمس أو ست وأربعون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ جَاعِلِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا أُو۟لِىٓ أَجْنِحَةٍ مَّثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ ۚ يَزِيدُ فِى ٱلْخَلْقِ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ۖ وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ ۚ هَلْ مِنْ خَٰلِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٣﴾ وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ ۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴿٤﴾﴾

إضافة ﴿فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ إضافة حقيقية؛ لأنها للمُضي، أي: مبتدعهما، قيل: وكذلك ﴿جَاعِلِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ﴾.

وقرئ: (جاعلُ الملائكة) رفعًا مدحًا، والذي فطر السموات والأرض وجعل الملائكة ﴿رُسُلًا﴾ مفعولًا ثانيًا، وإن جعلت ﴿جَاعِلِ﴾ بمعنىٰ «خالق» نصبت ﴿رُسُلًا﴾ حالًا، **وقرئ** بسكون السين ﴿أُو۟لِىٓ﴾ نعت لـ﴿رُسُلًا﴾ أي: الملائكة أصحاب ﴿أَجْنِحَةٍ مَّثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ﴾: (كا) لم ينصرف الأعداد المعدولات لتكرر العدل فيها من صيغ إلىٰ صيغ أخر ومن معنىٰ إلىٰ معنىٰ كحذام لأنها عدل بها عن حاذمة وحاذمة في أسماء الأجناس القاطعة، ثم جعلت علمًا، ثم نقلت من العلمية إلىٰ حذام، والمعنىٰ: أن مِنَ الملائكة ماله جناحان للطيران وثلاثة، يطير باثنين منها والآخر في ظهره يتقوىٰ به، وأربعة يطير بها ﴿يَزِيدُ فِى ٱلْخَلْقِ﴾ من الملائكة وغيرها علىٰ ما عهد ﴿مَا يَشَآءُ﴾: (كا) روي أنه رأىٰ جبريل عليهما السلام له ستمائة جناح، أو الزيادة في الخلق الوجه الحسن والصوت الحسن، أو

المعرفة بالله وحسن الإقبال عليه والمراقبة له، ويجوز أن يرى كل زيادة محمودة في خَلق وخُلق كعلم وكتم سر وصدق حديث وشجاعة وكرم دين.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾: (تا).

﴿مَّا يَفۡتَحِ﴾: ما يرسل ﴿ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحۡمَةٖ﴾: ونكرت ﴿رَّحۡمَةٖ﴾ لتشيع في جميع النعم، وأنث الضمير في ﴿فَلَا مُمۡسِكَ لَهَاۖ﴾: رَدًّا إلىٰ لفظ الرحمة، وذكر في ﴿وَمَا يُمۡسِكۡ فَلَا مُرۡسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعۡدِهِۦۚ﴾: أي بعد إمساكه تعالىٰ له، نحو: ﴿فَمَن يَهۡدِيهِ مِنۢ بَعۡدِ ٱللَّهِۚ﴾ [الجاثية:٢٣]، أي: بعد هدايته، ردًا إلىٰ معناها؛ لأنَّ الرحمة بمعنىٰ الخير، لا أحب الوقف من ﴿قَدِيرٞ﴾ إلىٰ ﴿وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ﴾: (تا).

﴿ٱذۡكُرُواْ﴾: أي احفظوا ﴿نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡۚ﴾: (كا) بشكرها ولا تنسوها بكفرها، والمراد العموم، أو أهل مكة.

القراءة: ﴿هَلۡ مِنۡ خَٰلِقٍ غَيۡرُ ٱللَّهِ﴾ جرًّا نعتًا لـ﴿خَٰلِقٍ﴾ لفظًا ورفعًا نعتًا لـ﴿خَٰلِقٍ﴾ محلًّا؛ لأنَّ ﴿خَٰلِقٍ﴾ مبتدأ محذوف الخبر و﴿مِنۡ﴾ زائدة: تقديره: هل خالق غير الله لكم، **وقرئ** بنصب (غَيْرَ) استثناء يقف هنا إن استأنفت ﴿يَرۡزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ المطر ﴿وَٱلۡأَرۡضِۚ﴾: (حس) النبات، وإن جعلت ﴿يَرۡزُقُكُم﴾ صفة لـ﴿خَٰلِقٍ﴾، أو رفعت ﴿مِنۡ خَٰلِقٍ﴾ من رزقكم مقدرة يفسرها ﴿يَرۡزُقُكُم﴾ المظهرة، أو رفعت ﴿مِنۡ خَٰلِقٍ﴾ مبتدأ ﴿يَرۡزُقُكُم﴾ خبره، فلا وقف من (عليكم) إلىٰ هنا، **تلخيصه**: لا رازق لكم إلا هو تعالىٰ ﴿فَأَنَّىٰ تُؤۡفَكُونَ﴾: (تا) فكيف تصرفون عن الإيمان.

﴿وَإِن يُكَذِّبُوكَ﴾ شرط جوابه محذوف، أي: قياس يدل عليه ﴿فَقَدۡ كُذِّبَتۡ رُسُلٞ مِّن قَبۡلِكَۚ﴾: (كا) فوضع ﴿فَقَدۡ كُذِّبَتۡ﴾ الجملة موضع فتأس، ولا يكون ﴿فَقَدۡ كُذِّبَتۡ﴾ جزاء؛ لأنَّ من صحة جزاء الشرط أن يتعقب الشرط، تقديره: وإن يكذبوك فتأس بتكذيب الرسل قبلك، وفي تنكير الرسل إيذان بكثرة من كذب منهم ﴿وَإِلَى ٱللَّهِ تُرۡجَعُ ٱلۡأُمُورُ﴾: (تا).

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴿٥﴾ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ۚ إِنَّمَا يَدْعُوا۟ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُوا۟ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿٦﴾ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿٧﴾ أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ فَرَءَاهُ حَسَنًا ۖ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ ۖ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَٰتٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٨﴾ ﴾

﴿إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ﴾: بالبعث وغيره ﴿حَقٌّ ۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ﴾: (تا) الشيطان بتزيينه، وقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ﴾ [الزمر:٥٣].

﴿ٱعْمَلُوا۟ مَا شِئْتُمْ﴾ [فصلت:٤٠]: وقرئ: بضم الغين مصدر غره، أو جمع غار كفاعل وقعود.

المعنىٰ: لا تخدعنك الدنيا بزخارفها ولا الشيطان بتمويهه إنه ﴿لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ۚ﴾: فلا تطيعوه وحاربوه ﴿إِنَّمَا يَدْعُوا۟ حِزْبَهُۥ﴾: أتباعه ﴿لِيَكُونُوا۟ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾: (تا) إن لم تبدل ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾: من أصحاب، أو من ﴿حِزْبَهُۥ﴾ ورفعته مبتدأ خبره.

﴿لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ۖ﴾: (تا) قالوا وأراه حسنًا؛ لأن ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ مبتدأ خبره ﴿لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾: (تا) الجملة عطف علىٰ الجملة قبلها، ونزل في أبي جهل وأصحابه، أو في ذوي الأهواء ﴿أَفَمَن زُيِّنَ﴾ أي:لبّس عليه وموّه ﴿لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ فَرَءَاهُ حَسَنًا ۖ﴾ جميلًا بوسوسة [ق/ ٣٢٦ب] الشيطان، لا يقف هنا إن جعلت جواب ﴿أَفَمَن﴾ محذوفًا يدل عليه ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ ۖ﴾ **تلخيصه**: أفمن ضل كمن هُدي، فعلىٰ هذا تقف هنا ثم تبتدئ بما بعد، وإن قدرت الجواب: أفمن يزين له سوء عمله ذهبت نفسك عليه حسرة، يدل عليه ﴿فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَٰتٍ ۚ﴾: (كا) نصب حال، أو مفعول له، أي: فلا تهلك نفسك للحسرات، و﴿عَلَيْهِمْ﴾ صلة لـ﴿تَذْهَبْ﴾، نحو: هلك عليه حبًا،

وقرئ: (فلا تُذهِب)، فعلىٰ هذا التقدير لا تقف من ﴿كَبِيرٌ﴾ إلىٰ هنا، والمعنىٰ: لا تهلك نفسك غمًّا عليهم، نحو: ﴿فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٞ نَّفۡسَكَ...﴾ [الكهف:٦] الآية.

تلخيصه: لا تهتم بهلاكهم ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِمَا يَصۡنَعُونَ﴾ (تا).

﴿وَٱللَّهُ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابٗا فَسُقۡنَٰهُ إِلَىٰ بَلَدٖ مَّيِّتٖ فَأَحۡيَيۡنَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَاۚ كَذَٰلِكَ ٱلنُّشُورُ ۝٩ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلۡعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلۡعِزَّةُ جَمِيعًاۚ إِلَيۡهِ يَصۡعَدُ ٱلۡكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلۡعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرۡفَعُهُۥۚ وَٱلَّذِينَ يَمۡكُرُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ لَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدٞۖ وَمَكۡرُ أُوْلَٰٓئِكَ هُوَ يَبُورُ ۝١٠ وَٱللَّهُ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٖ ثُمَّ مِن نُّطۡفَةٖ ثُمَّ جَعَلَكُمۡ أَزۡوَٰجٗاۚ وَمَا تَحۡمِلُ مِنۡ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلۡمِهِۦۚ وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٖ وَلَا يُنقَصُ مِنۡ عُمُرِهِۦٓ إِلَّا فِي كِتَٰبٍۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ ۝١١﴾

﴿بَعۡدَ مَوۡتِهَاۚ﴾: يبسها.

﴿كَذَٰلِكَ ٱلنُّشُورُ﴾: (تا) [ق/ ٢٣١ جـ].

المعنىٰ: مثل إخراج النبات من الأرض يخرجون من القبور.

روي أنه تعالىٰ يحيي الخلق بماء يرسله من تحت العرش كمني الرجال تنبت منه أجساد الخلق، كان الكفار يتعززون بأصنامهم فنزل ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلۡعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلۡعِزَّةُ جَمِيعًاۚ﴾: (تا) المعنىٰ: عزة الدارين مختصة به تعالىٰ، فلا نطلب إلا منه بتقوية، ومن أراد التعزز فليتعزز بطاعته تعالىٰ ﴿إِلَيۡهِ يَصۡعَدُ ٱلۡكَلِمُ﴾ **وقرئ**: (الكلام) ﴿ٱلطَّيِّبُ﴾ هو «لا إله إلا الله» ونحوها، لا يجوز الوقف هنا إن جعلت الهاء من ﴿وَٱلۡعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرۡفَعُهُۥۚ﴾: (تا) للعمل، وفي ﴿يَرۡفَعُهُۥ﴾ ضمير [ق/ ١٩٨أ] يرجع إلىٰ ﴿ٱلۡكَلِمُ﴾ وهو فاعل ﴿يَرۡفَعُهُۥ﴾، المعنىٰ: إن الكلم الطيب يرفع العمل الصالح بأن يتقبل بسببه؛ لأن الطاعة إنما تقبل مع التوحيد؛ لأن طاعة الكافر مردودة، وكذلك لا تقف علىٰ ﴿ٱلطَّيِّبُ﴾ إن جعلت الهاء للكلم، وفاعل ﴿يَرۡفَعُهُۥ﴾ ضمير يرجع إلىٰ ﴿وَٱلۡعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ﴾، وإن وسمه بعضهم بالتمام لاتصال الكلام؛ لأن المعنىٰ: أن العمل الصالح يرفع الكلم الطيب، فكأنّ التوحيد

إنما قبل بسبب الطاعة؛ لأن التوحيد مع المعصية لا ينفع؛ لأنه يعاقب على المعصية، الحسن[1]: الكلم الطيب ذكر الله، والعمل الصالح فرائضه، فمن ذكر الله ولم يؤد فرائضه رد كلامه، وليس الإيمان بالتمني ولا بالتحلي، ولكن ما وقر في القلوب وصدقته الأعمال.

وإنما يتم الوقف على ﴿ٱلطَّيِّبُ﴾ إذا رفع ﴿وَٱلۡعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ﴾ مبتدأ خبره ﴿يَرۡفَعُهُۥ﴾، والهاء للعمل، وفاعل (يرفع) الله تعالى، المعنى: أنه تعالى هو يرفع العمل الصالح بأن يتقبله، **وقرئ** بنصب (العملَ) بمضمر يفسره برفعه، و(يُصعد) مجهولًا، ويصعد من أصعد، ونصب (الكلمَ)، أي: ويصعد العامل عمله، وتنصب ﴿ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾: صفة مصدر محذوف، أي: المكرات السيئات؛ لأن يمكر غير متعد، والمراد: مكر المشركين به ﷺ حين اجتمعوا له في دار الندوة، وذكر في ﴿وَإِذۡ يَمۡكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ [الأنفال:٣٠] في الأنفال.

المعنى: المحتالون في هلاكك ﴿لَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدٞۖ﴾: (حس).

﴿وَمَكۡرُ أُوْلَٰٓئِكَ﴾ أي: الكفار مبتدأ، وخبره ﴿هُوَ يَبُورُ﴾: (تا) يبطل ثَمَّ ويعود وباله عليهم، أو هو فصل و﴿ يَبُورُ﴾ الخبر.

﴿أَزۡوَٰجٗاۚ﴾: (حس) أصنافًا، أو ذكرانًا وإناثًا، ومحل ﴿إِلَّا بِعِلۡمِهِۦۚ﴾: (حس) حال، أي: لا معلومة ﴿وَمَا يُعَمَّرُ﴾ أي:لا يطوّل عمر ﴿مِن مُّعَمَّرٖ﴾ أي: طويل العمر، سمي بما يؤول إليه ﴿وَلَا يُنقَصُ مِنۡ عُمُرِهِۦٓ﴾ من عمر معمر آخر، أو من عمر المعمر المذكور، قالوا: وذلك أن يكتب عمر فلان مثلًا أربعون سنة إن حج وستون سنة إن حج وتصدق، فإن حج وتصدق بلغ ستين، وإن حج ولم يتصدق بلغ أربعين، قالوا: وإليه الإشارة بقوله ﷺ: «**إن الصدقة والصلة تعمُران الديارَ وتزيدان في الأعمالِ**»[2].

(١) أخرجه الطبري في «تفسيره» (٢٠/ ٤٤٥).

(٢) أخرجه أحمد (٢٥٢٩٨) من حديث عائشة رضي الله عنها بلفظ: «**حسن الخلق وحسن الجوار**» بدل الصدقة.

تلخيصه: لا يزيد عمر ولا ينقص ﴿إِلَّا فِي كِتَٰبٍ﴾ أي:اللوح، **وقرئ**: بفتح الياء وضم القاف الفاعل (عمره)، و(من) زائدة، في أم الكتاب مكتوب عمر فلان كذا وكذا يكتب تحته ذهب يوم ذهب يومان حتىٰ ينقطع عمره، لما خرج عمر قال كعب الأحبار: لو دعا عمر أن يؤجل، فقيل له: فإنه تعالىٰ يقول: ﴿فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ [الأعراف:٣٤]، فقال: هذا إذا حضر الأجل، فأما قبل فيجوز أن يزاد فيه.

﴿إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾: (حس).

﴿وَمَا يَسْتَوِي ٱلْبَحْرَانِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَآئِغٌ شَرَابُهُۥ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ ۖ وَمِن كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا ۖ وَتَرَى ٱلْفُلْكَ فِيهِ مَوَاخِرَ لِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ
﴿١٢﴾ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيْلِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ ۚ وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ
﴿١٣﴾ إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا۟ دُعَآءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا۟ مَا ٱسْتَجَابُوا۟ لَكُمْ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ ۚ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴿١٤﴾﴾

﴿وَمَا يَسْتَوِي ٱلْبَحْرَانِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَآئِغٌ شَرَابُهُۥ﴾: مرتفع بـ﴿سَآئِغٌ﴾، أي: لذيذ سلس الدخول في الحلق ﴿وَهَٰذَا﴾ أي: أحدهما ﴿مِلْحٌ أُجَاجٌ﴾: (كا) شديد الملوحة، **وقرئ**: (سَيْغ) كميت مخففًا ومثقلًا وملح، قالوا: مثل للمؤمن والكافر ﴿وَمِن كُلٍّ﴾ أي: كل واحد منهما ﴿تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا﴾: هو السمك.

﴿وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً﴾: هي اللؤلؤ والمرجان.

﴿تَلْبَسُونَهَا﴾: ولم يقل هنا: «منه»؛ لأنَّه معلوم، ولأنه مذكور في النحل ﴿وَتَرَى ٱلْفُلْكَ فِيهِ﴾: أي: في كل واحد منهما ﴿مَوَاخِرَ﴾: تمخر الماء، أي: تشقه بجريها فيه مقبلة ومدبرة بريح واحدة ﴿مِن فَضْلِهِۦ﴾: تعالىٰ، وإن لم تحركه، ذكر هنا لأنَّ ذلك معلوم ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾: (كا).

تلخيصه: فعل ذلك لتبتغوا من الفضل ولتشكروه.

﴿وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ﴾: (حس).

﴿مُّسَمًّى﴾: (كا) قالوا، وأراه حسنًا؛ لأنَّ ﴿ذَٰلِكُمُ﴾ مبتدأ ﴿ٱللَّهُ رَبُّكُمْ﴾ خبر إنَّ.

﴿لَهُ ٱلْمُلْكُ﴾: (كا) خبر ومبتدأ.

﴿وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ﴾ من الأصنام آلهة ﴿مِن دُونِهِۦ﴾: تعالىٰ ﴿مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ﴾: هي القشر الرفيعة الملتفة علىٰ النواة، أو النكتة في ظهرها.

﴿إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا۟ دُعَآءَكُمْ﴾: لأنهم جماد.

﴿وَلَوْ سَمِعُوا۟﴾: فرضًا ﴿مَا ٱسْتَجَابُوا۟ لَكُمْ﴾: لعجزهم، لا أحب الوقف من (الملك) إلىٰ ﴿وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ﴾: (كا) إياهم مع الله تعالىٰ ويتبرؤون منكم ومن عبادتكم إياهم.

﴿وَلَا يُنَبِّئُكَ﴾: بأحوال الدارين ﴿مِثْلُ خَبِيرٍ﴾: (تا) عليم، وهو الله تعالىٰ.

﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿١٥﴾ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٦﴾ وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ بِعَزِيزٍ ﴿١٧﴾ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۚ وَإِن تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ حِمْلِهَا لَا يُحْمَلْ مِنْهُ شَىْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰٓ ۗ إِنَّمَا تُنذِرُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ ۚ وَمَن تَزَكَّىٰ فَإِنَّمَا يَتَزَكَّىٰ لِنَفْسِهِۦ ۚ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٨﴾ وَمَا يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ ﴿١٩﴾ وَلَا ٱلظُّلُمَٰتُ وَلَا ٱلنُّورُ ﴿٢٠﴾ وَلَا ٱلظِّلُّ وَلَا ٱلْحَرُورُ ﴿٢١﴾ ﴾

﴿أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ﴾: (كا) بكل حال ﴿وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ﴾: عن كل خلقه.

﴿ٱلْحَمِيدُ﴾: (حس) المحمود علىٰ صنعه.

﴿يُذْهِبْكُمْ﴾: بإهلاككم ﴿وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ﴾: (حس) بدلكم.

﴿بِعَزِيزٍ﴾: (حس).

﴿وَلَا تَزِرُ﴾: نفس ﴿وَازِرَةٌ﴾: حاملة ﴿وِزْرَ﴾: وقر ﴿أُخْرَىٰ﴾: (كا).

المعنىٰ: لا يحمل أحد ذنب غيره ثَمَّ، وأما ﴿وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَّعَ

أَثْقَالِهِمْ﴾ [العنكبوت:١٣]، فالمراد: الضالون والمضلون وإضلال تابعيهم من جملة ذنوبهم، فلذلك حملوه.

﴿وَإِن تَدْعُ﴾: نفس ﴿مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ حِمْلِهَا﴾: الذي عليها من الذنوب ﴿لَا يُحْمَلْ مِنْهُ﴾: من حملها ﴿شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ﴾: المدعو ﴿ذَا قُرْبَىٰٓ﴾: (تا) ذا قرابة كأم وأب وأخ، وترك إبراز المدعو ليعم كل مدعو، وقرئ (ذو قربىٰ) فكان تامة.

ابن عباس: يلقىٰ الأب والأم الابن، فيقول: يا بني، احمل عني بعض ذنوبي، فيقول: لا أستطيع حسبي ما عليَّ، في هذا دليل أن الله تعالىٰ لا يؤاخذ بالذنب إلا جانيه وأن الاستغاثة بالأقربين غير نافعة لغير المتقين، فبعد تهديدهم سلّىٰ نبيه ﷺ، فقال: [ق/ ٣٢٧ب] ﴿إِنَّمَا تُنذِرُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ﴾ أي: يخافونه وما رأوه، وخُصَّ الخاشعون بالإنذار لأنهم هم المنتفعون به.

﴿وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾: (حس).

ثم أومأ تعالىٰ إلىٰ غناه عن خلقه بقوله: ﴿وَمَن تَزَكَّىٰ﴾ ظاهرًا وباطنًا من المعاصي وأصلح العمل ﴿فَإِنَّمَا يَتَزَكَّىٰ لِنَفْسِهِۦ﴾: (كا) فصلاحه مختص به ﴿وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ﴾: (تا).

﴿ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ﴾: العالم والجاهل، أو المؤمن والكافر و«لا» زائدة في ﴿وَلَا ٱلظُّلُمَٰتُ وَلَا ٱلنُّورُ﴾: أي: الكفر والإيمان، أي: لا تساوي بينهما؛ لأن أحدهما في نفسه غير مستوي ﴿وَلَا ٱلظِّلُّ﴾: الجنة ﴿وَلَا ٱلْحَرُورُ﴾: (تا) النار، أو المراد ظل الليل وسَموم النهار، أو الحرور ريح حارة تكون ليلًا ونهارًا، أو مع الشمس كالسموم.

﴿ وَمَا يَسْتَوِي ٱلْأَحْيَآءُ وَلَا ٱلْأَمْوَٰتُۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَآءُۖ وَمَآ أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي ٱلْقُبُورِ ﴿٢٢﴾ إِنْ أَنتَ إِلَّا نَذِيرٌ ﴿٢٣﴾ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًاۚ وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ ﴿٢٤﴾ وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَبِٱلزُّبُرِ وَبِٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُنِيرِ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ أَخَذْتُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۖ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٢٦﴾ ﴾

و﴿لَا﴾ زائدة في ﴿وَمَا يَسْتَوِى ٱلْأَحْيَآءُ وَلَا ٱلْأَمْوَٰتُ﴾: (تا) المؤمنون والكافرون، أو العلماء والجهال، قالوا: وهذه كلها أمثال ضربت للمؤمن والكافر.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُسْمِعُ﴾: الإنذار لسماع هداية ﴿مَن يَشَآءُ﴾ إيمانه، ثم شبَّه المطبوع علىٰ قلبه في عدم الانتفاع بالقبور، فقال: ﴿وَمَآ أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِى ٱلْقُبُورِ﴾: (كا) وقرئ بحذف تنوين (مسمع) للإضافة، ثم سَلَّاه فقال: ﴿إِنْ أَنتَ إِلَّا نَذِيرٌ﴾: (كا) أو نسخ هذا بآية السيف(1).

ومحل ﴿بِٱلْحَقِّ﴾: حال من ضمير الجمع أو المفرد في (أرسلناك)، أي: محقين أو محقًّا، أو صفة مصدر، أي: إرسالًا مصحوبًا بالحق ﴿بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾: (تا).

﴿وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ﴾: من الأمم ﴿إِلَّا خَلَا﴾: مضىٰ ﴿فِيهَا نَذِيرٌ﴾: (تا) ينذر من عذاب، واكتفىٰ بنذير هنا عن ذكر بشيرًا لدلالته عليه؛ لأنهما مذكوران قبل، المعنىٰ: لم تمض أمة ما إلا وفيها منذر، وأما فترة عيسىٰ فلم يزل من هو علىٰ دينه و داع إلىٰ الإيمان، ومحل ﴿جَآءَتْهُمْ﴾: حال، وقد مقدرة، أي: كذب المتقدمون وقد جاءتهم ﴿رُسُلُهُم﴾ ولا أحب الوقف علىٰ ﴿وَبِٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُنِيرِ﴾: هو التوراة والإنجيل، ويتم علىٰ ﴿نَكِيرِ﴾: (تا).

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ ثَمَرَٰتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهَا ۚ وَمِنَ ٱلْجِبَالِ جُدَدٌۢ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ ﴿٢٧﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ وَٱلدَّوَآبِّ وَٱلْأَنْعَٰمِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ كَذَٰلِكَ ۗ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَٰرَةً لَّن تَبُورَ ﴿٢٩﴾ لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٠﴾﴾

﴿فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ﴾: بالماء النازل من السماء ﴿ثَمَرَٰتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهَا﴾: من أخضر إلىٰ أحمر إلىٰ أصفر إلىٰ غيرها، أو المراد اختلاف أجناسها وأشكالها كالتين والعنب، و﴿أَلْوَٰنُهَا﴾ رفع بـ﴿مُّخْتَلِفًا﴾، وَسَموا الوقف هنا بالصالح وأراه حسنًا؛

(١) انظر «الناسخ والمنسوخ» لابن حزم (ص/ ٥١).

لأنَّ ﴿وَمِنَ ٱلۡجِبَالِ جُدَدُۢ﴾ خبر ومبتدأ ﴿بِيضٞ﴾: بيان الجدد، أو بدل منه ﴿وَحُمۡرٞ﴾: عطف عليه ﴿وَغَرَابِيبُ﴾: عطف علىٰ ﴿ جُدَدُۢ﴾ أو ﴿بِيضٞ﴾، والجدد جمع جدّة وهيٰ طريق تكون في الجبل وغيره، ومنه جدّة الحمار للخطة السوداء بظهره، ﴿وَغَرَابِيبُ ﴾ جمع غريب وهو الشديد السواد، وأنها تأكيد ﴿سُودٞ ﴾مقدرة، يدل عليها ﴿سُودٞ ﴾ المظهرة؛ لأن من شرط المؤكد إن يتبع المؤكد، وتقديره: سود غرابيب سود، فحذفت الأولىٰ وأبقيت الثانية لتدل عليها، وفعل ذلك لتدل سود المضمرة والمظهرة علىٰ شدة السواد، ونحوه: والمؤمن العائذات الطير، تقديره: أقسم بالله المؤمن الطير العائذات الطير، فأجرىٰ الطير علىٰ العائذات تفسيرًا للطير المقدرة لا تقديمًا للصفة علىٰ الموصوف، وبعضهم عمل ﴿وَغَرَابِيبُ سُودٞ ﴾ علىٰ التقديم والتأخير، والمعنىٰ: من الجبال ذو جُدد[ق/ ٢٣٢جـ] منها بيض ومنها حمر ومنها شديد السواد، ويجوز أن يراد اختلاف ألوان الجدد.

﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ وَٱلدَّوَآبِّ وَٱلۡأَنۡعَٰمِ﴾: بعض منهم ﴿مُخۡتَلِفٌ أَلۡوَٰنُهُۥ﴾: **وقرئ**: (ألوانها)، و(جدُد) بضم الدال جمع جديدة، يقال: جديدة ووجده وجدايد كسفينة وسفن وسفاين، **وقرئ**: بفتحتين وهو وسط الطريق، وبتخفيف الدواب لا وقف هنا؛ لأنَّ كاف ﴿كَذَٰلِكَۗ﴾: نصب صفة محذوف، تقديره: ومن الناس والدواب والأنعام مختلف اللون اختلافًا كاختلاف الثمرات والجبال، ولما كان النظر في أنعمه تعالىٰ ومخلوقاته يوجب معرفته وتوحيده وخشيته، وذلك مختص بالعلماء ابتدأ قائلًا ﴿إِنَّمَا يَخۡشَى ٱللَّهَ مِنۡ عِبَادِهِ ٱلۡعُلَمَٰٓؤُاْۗ﴾: (تا).

ابن عباس[(١)]: «**لا يخافني إلا من علم جبروتي وسلطاني**»، قال ﷺ: «**ما بالُ أقوامٍ يتنزَّهون عن الشيء أصنعُه، واللهِ إني لأعلمُكم باللهِ وأشدُّكم له خَشيةً**»[(٢)]، مسروق: كفىٰ بخشية الله علمًا، وبالاغترار به جهلًا.

---

(١) انظر: «تفسير البغوي» (٣/ ٦٩٣).

(٢) أخرجه البخاري (٥٧٥٠)، ومسلم (٢٣٥٦) من حديث عائشة رضي الله عنها.

الشعبيٰ: إنما العالم من يخشىٰ الله، وتقديم اسم الله تعالىٰ وتأخير العلماء يؤذن أنه لا يخشىٰ الله تعالىٰ إلا العلماء، ولو عكس لكان المعنىٰ: إن العلماء لا يخشون أحدًا إلا الله، نحو: ولا تخشون أحدًا إلا الله، وقرئ: برفع اسم الله تعالىٰ فاعلًا ونصب (العلماء)، فالخشية بمعنىٰ الاختيار، ومنه

خشيت بني عمّيٰ فلم أرَ مثلَهم أبرَّ وأوفىٰ ذِمَّة آخرَ الدهرِ

﴿غَفُورٌ﴾: (تا) (إنَّ) اسمها ﴿ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَـٰبَ ٱللَّهِ﴾: خبرها ﴿يَرْجُونَ تِجَـٰرَةً لَّن تَبُورَ﴾: (تا) إن جعلت اللام بعد لام قسم، وغير جائز إن علقت اللام بـ﴿تَبُورَ ﴾، تقديره ومعناه: إن التالين راجو تجارة غير هالكة ينفق في طاعته تعالىٰ: ﴿لِيُوَفِّيَهُمْ﴾: بالإنفاق ﴿أُجُورَهُمْ﴾ أي: ثواب التلاوة وإقامة الصلاة وإنفاقهم سرًّا وعلانية ﴿وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦٓ﴾: (كا) سوىٰ ثوابها ما لم تر عين ولم تسمع أذن، وكذلك لا تقف علىٰ (تبور) إن نصبت (يرجون)، حالًا، أي: أنفقوا راجين، فعلىٰ هذا خبر إنَّ ﴿إِنَّهُۥ غَفُورٌ﴾: لهم ذنوبهم ﴿شَكُورٌ﴾: (تا) .

﴿ وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَـٰبِ هُوَ ٱلْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِعِبَادِهِۦ لَخَبِيرٌۢ بَصِيرٌ ﴿٣١﴾ ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَـٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ ﴿٣٢﴾ جَنَّـٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا ۖ وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴿٣٣﴾ وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ ۖ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٤﴾ ﴾

قالوا: أي: مثيب لأعمالهم، ومن تبيين في [ق/ ١٩٩أ] ﴿مِنَ ٱلْكِتَـٰبِ﴾: أي:القرآن ﴿هُوَ ٱلْحَقُّ﴾: مبتدأ وخبر ﴿مُصَدِّقًا﴾: حال مؤكدة ﴿لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾: لما تقدمه من الكتب، وسموا الوقف هنا وعلىٰ ﴿بَصِيرٌ﴾: بالكافي، ولا أحبه لأنَّ ﴿ثُمَّ﴾ في ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا﴾: أعطينا ﴿ٱلْكِتَـٰبَ﴾: القرآن للترتيب، تقديره: والذي أوحينا إليك ثم أورثناه ﴿ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا﴾: (كا) هم أمتك يا محمد،

ويكون (أورثنا) بمعنىٰ نورث، ومن تبعيض، تلخيصه: أورثنا كتابك أمتك، مجاهد: أورثنا آخرنا؛ لأن الميراث تأخير عن الميت، والمعنىٰ: أخرنا القرآن عن الأمم وأنبيائهم قبلك ثم أعطيناه أمتك إكرامًا لهم، أو ﴿ٱلْكِتَٰبَ﴾ جنس، فالمصطفون الأنبياء وأتباعهم، والمعنىٰ: أورثنا كل نبي وأمته كتابه المنزل عليه ﴿فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ﴾: هو من ظاهره خير من باطنه ﴿وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ﴾ من استوىٰ ظاهره وباطنه ﴿وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ﴾: إلىٰ الجنة ﴿بِٱلْخَيْرَٰتِ﴾: بالأعمال الصالحة، هو من باطنه خير من ظاهره، وقرئ: (سبّاق)، أو الظالمُ نَفْسَه المرجَأ لأمر الله تعالىٰ، و(المقتصد) من خلط عملًا صالحًا وشيئًا، قالت عائشة لصُهبان[1]: «**أما السابقُ إلىٰ الخيرات من مضىٰ علىٰ عهد رسول الله ﷺ وشهد له بالجنة، وأما المقتصدُ فمن اتَّبع أثَره من أصحابه حتىٰ لحق به، وأما الظالمُ لنفسه فمثلي [ق/ ٣٢٨ب] ومثلك**». عليٌّ: **الظالم أنا، والمقتصد أنا، والسابق أنا**»، فقيل له: وكيف ذلك؟ قال: أنا ظالم بمعصيتي، ومقتصد بتوبتي، وسابق بمحبتي.

جعفر: بدأ بالظالم إخبار أنه لا يتقرب إليه إلا بكرمه، وأن ظلم الظالم لا يؤثر في الاصطفاء، ثم ثنىٰ بالمقتصد؛ لأنهم بين الخوف والرجاء، ثم ختم بالسابقين كيلا يأمن أحد مكره، وكلهم في الجنة ﴿بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾: (كا) بتوفيقه، وبالجملة فلا يغتر أحد وليبادر كلٌّ إلىٰ التوبة النصوح قبل أن يحال بينه وبينها وفقنا الله تعالىٰ وإياك لذلك. ﴿ذلك﴾ أي: إيراثهم الجنة ﴿هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ﴾: (حس) قال ﷺ: «**أما السابقُ إلىٰ الخيراتِ فيدخلُ الجنَّةَ بغير حساب، وأما المقتصد فيحاسب حسابًا يسيرًا، وأما الظالم فيُحَبسُ في المقامِ حتىٰ يُدخِلَه إليهم**»[2]، ومما يدل علىٰ دخول جميعهم الجنة قوله: ﴿جَنَّٰتُ عَدْنٍ﴾ مبتدأ خبره ﴿يَدْخُلُونَهَا﴾، أو

---

(١) أخرجه الحاكم (٣٥٩٣)، والطيالسي (١٤٨٩)، والطبراني في «المعجم الأوسط» (٦٠٩٤).

(٢) أخرجه الطبري في «تفسيره» (٢٠/ ٤٧٠) من حديث أبي الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

﴿ جَنَّٰتُ ﴾ بدل من ﴿ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ ﴾ الذي هو سبب دخول الجنات، فلا وقف بينهما، وقرئ: ﴿ جَنَّٰتُ عَدْنٍ ﴾ موحدًا، أي: جنة مختصة بالسابق، و(جناتٍ) نصبًا بفعل يفسره ﴿يَدْخُلُونَهَا﴾ **القراءة**: بضم الياء وفتح الخاء مجهولًا، فالواو قام مقام الفاعل، وبفتح الياء وضم الخاء معلومًا، فالواو الفاعل، و«من» تبعيض في ﴿مِنْ أَسَاوِرَ﴾: أي يحلون في الجنة أساور ﴿مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا﴾ روي أنَّ ذلك الذهب في صفاء اللؤلؤ، هذه حليتهم ﴿وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ﴾: (تا) قال ﷺ: «**ليس على أهل لا إله إلا الله وحشة في قبورهم ولا في مسيرهم، وكأني بأهل لا إله إلا الله يخرجون من قبورهم يقولون ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ﴾**»[1]: (تا) قالوا: وأراه كافيًا، وقرئ: بضم الحاء وسكون الزاي لغتان، المعنى: أزال عنا كل شيء يوجب الحزن لمعاد ومعاش كالنار وأهوال القيامة والسيئات ورد الطاعات والجوع وهَمِّ قوت من حلال ﴿شَكُورٌ﴾: (حس) إن لم تجعل ما بعد صفة لغفور ورفعته أو نصبته مدحًا وتنصب.

﴿ ٱلَّذِىٓ أَحَلَّنَا دَارَ ٱلْمُقَامَةِ مِن فَضْلِهِۦ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ ﴿٣٥﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا۟ وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى كُلَّ كَفُورٍ ﴿٣٦﴾ وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ ۚ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُ ۖ فَذُوقُوا۟ فَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ ﴿٣٧﴾ ﴾

﴿دَارَ ٱلْمُقَامَةِ﴾ أي: الإقامة مفعولًا ثانيًا لـ﴿أَحَلَّنَا﴾، وليست بظرف لأنها محدودة، ومحل ﴿لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ﴾: إعياء حال.

﴿وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ﴾: (تا) إعياء ومشقة، فاللغوب نصب وزيادة؛ لأنَّه نتيجة النصب.

---

(١) أخرجه الطبراني في «المعجم الأوسط» (٩٤٧٨)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (١٠٠) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

﴿لَا يُقْضَىٰ﴾: لا يحكم ﴿عَلَيْهِمْ﴾ بالموت ﴿فَيَمُوتُوا۟﴾: نصب جواب النفي، وقرئ: (فيموتون) رفعًا عطفًا على ﴿يُقْضَىٰ﴾، أي: لا يقضىٰ عليهم بالموت فلا يموتون، فدخل موتهم في حكم النفي، نحو: (لا يؤذن لهم فيعتذرون) ﴿عَنْهُم﴾ قائم مقام فاعل ﴿يُخَفَّفُ﴾ أو ﴿مِّنْ عَذَابِهَا﴾ قائم مقامه، فمحل ﴿عَنْهُم﴾ نصب بتخفيف ﴿كَذَٰلِكَ﴾: مثل ذلك الجزاء ﴿نَجْزِى﴾ القراءة بضم الياء وفتح الزاي مجهولًا ورفع ﴿كُلَّ﴾ مفعول المجهول وبنون مفتوحة ونصب كل ﴿كَفُورٍ﴾: (تا) مفعولًا صريحًا، المعنىٰ: الكافرون يعذبون عذابًا شديدًا أبدًا، لا أحب الوقف علىٰ ﴿وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا﴾: أي: يستغيثون في جهنم بشدة وعَويل يقولون ﴿رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا﴾ منها ﴿نَعْمَلْ صَٰلِحًا غَيْرَ﴾: صفتان لمصدر محذوف، أي: نعمل عملًا صالحًا غير ﴿ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ﴾: (تا) لأنهم كانوا يعتقدون صلاح عملهم في الدنيا، أو غير الذي كنا نعمل من السيئات.

تلخيصه: طلبوا العود ليعملوا صالحًا فأجيبوا توبيخًا ﴿أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا﴾: المعنىٰ: ألم نطل أعماركم وقتًا ﴿يَتَذَكَّرُ فِيهِ﴾: التوبة ﴿مَن تَذَكَّرَ﴾، **وقرئ**: (يذكر) فيه من اذكر إدغامًا فيهما، والوقت المتذكر فيه ثماني عشرة سنة، أو ما بين البلوغ إلىٰ الستين، أو السبعين، قال ﷺ: «**أعذر الله إلىٰ رجل أخر أجله حتىٰ بلغ به ستين سنة**»[1]، وقال: «**أعمار أمتي ما بين الستين إلىٰ السبعين، وأقلهم من يجوز ذلك**»[2].

عمر: هذه الآية تغيير لأبناء السبعين، وكان جماعة من الصحابة ومن بعدهم إذا بلغ أربعين سنة أو رأىٰ شيبًا بالغ في الاجتهاد وطوىٰ الفراش وأقبل علىٰ قيام الليل

(١) أخرجه البخاري (٦٠٥٦) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) أخرجه الترمذي (٣٥٥٠)، وابن ماجة (٤٢٣٦)، وابن حبان (٢٩٨٠)، والحاكم (٣٥٩٨)، وأبو يعلىٰ (٥٩٩٠)، والبيهقي في «السنن الكبرىٰ» (٦٣١٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

وأقل من معاشرة الناس، ولا فرق في ذلك بين ابن الأربعين فما دونها لأجل مكتوب، أيقظنا الله تعالىٰ وإياك من رقدة الغافلين، وتعطف علىٰ معنىٰ: ﴿أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم﴾ ما بعد؛ لأنَّ لفظه استخبار، ومعناه إخبار، تقديره: عمرناكم ﴿وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُ﴾: (كا) محمد ﷺ، أو القرآن أو الشيب، ويجوز أن يراد كل ما يؤذن بالانتقال ﴿فَذُوقُواْ﴾: (كا) العذاب.

﴿مِن نَّصِيرٍ﴾: (تا).

﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَٰلِمُ غَيْبِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٣٨﴾ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ فِى ٱلْأَرْضِۚ فَمَن كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُۥۖ وَلَا يَزِيدُ ٱلْكَٰفِرِينَ كُفْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ إِلَّا مَقْتًاۖ وَلَا يَزِيدُ ٱلْكَٰفِرِينَ كُفْرُهُمْ إِلَّا خَسَارًا ﴿٣٩﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ شُرَكَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَرُونِى مَاذَا خَلَقُواْ مِنَ ٱلْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَمْ ءَاتَيْنَٰهُمْ كِتَٰبًا فَهُمْ عَلَىٰ بَيِّنَتٍ مِّنْهُۚ بَلْ إِن يَعِدُ ٱلظَّٰلِمُونَ بَعْضُهُم بَعْضًا إِلَّا غُرُورًا ﴿٤٠﴾﴾

﴿وَٱلْأَرْضِۚ﴾ (كا) لأنَّ ﴿إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾: (تا) جار مجرىٰ التعليل؛ لأنه إذا علم ما في القلوب علم كل غيب، وذات تأنيث ذو، والمراد بذات الصدور ما في القلوب، نحو:

لتغنىٰ غنىٰ ذا أتايك أجمعا

أي: لتأكلن جميع ما في إنائك، وإذا قلت: اشرب ذا إنائك، أي اشرب ما فيه.

﴿خَلَٰٓئِفَ﴾ جمع خليفة، أي: يخلف بعضكم بعضًا، ولا أحب الوقف من (الصدور) إلىٰ ﴿فَعَلَيْهِ كُفْرُهُۥۖ﴾: (كا).

﴿إِلَّا مَقْتًاۖ﴾: (كا) بغضًا وغضبًا.

﴿إِلَّا خَسَارًا﴾: (تا) أو (كا) أي: خسروا الآخرة.

﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ شُرَكَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَرُونِى مَاذَا﴾ أي شيء ﴿خَلَقُواْ مِنَ ٱلْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ﴾: أي شركة مع الله تعالىٰ ﴿فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾.

المعنىٰ: أخبروني عن هؤلاء الشركاء بزعمكم أستبدوا بخلق شيء ما أم شارَكوه تعالىٰ في شيء من خلقه؟!

﴿أَمْ ءَاتَيْنَٰهُمْ﴾: أي الأصنام أو عابديها ﴿كِتَٰبًا فَهُمْ عَلَىٰ بَيِّنَتٍ﴾: حجة ثابتة.

﴿مِّنْهُ﴾: (تا). **القراءة**: (بينات) جمعًا لكثرة ما جاء به ﷺ، ومفردًا إرادة الجنس.

تلخيصه: هل لمعبوديكم ما يستحقون أن يعبدوا بسببه[ق/ ٢٣٣جـ].

﴿بَلْ إِن يَعِدُ ٱلظَّٰلِمُونَ بَعْضُهُم بَعْضًا﴾ أي: ما يعد الرؤساء الأتباع ﴿إِلَّا غُرُورًا﴾ (تا) باطلًا، أو ما يعد الشيطان الكفار من شفاعة الأصنام لهم إلا باطلًا.

﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يُمْسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ أَن تَزُولَا ۚ وَلَئِن زَالَتَآ إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤١﴾ وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ لَئِن جَآءَهُمْ نَذِيرٌ لَّيَكُونُنَّ أَهْدَىٰ مِنْ إِحْدَى ٱلْأُمَمِ ۖ فَلَمَّا جَآءَهُمْ نَذِيرٌ مَّا زَادَهُمْ إِلَّا نُفُورًا ﴿٤٢﴾ ٱسْتِكْبَارًا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَكْرَ ٱلسَّيِّئِ ۚ وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ ۚ فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ ٱلْأَوَّلِينَ ۚ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحْوِيلًا ﴿٤٣﴾ ﴾

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُمْسِكُ﴾ يضبط ﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ مخافة ﴿أَن تَزُولَا﴾: (كا).

الزجاج: لما قالت النصارىٰ: المسيح ابن الله، واليهود: عزيز ابن الله، كادت السموات والأرض أن تزولا وينعدما فأمسكهما تعالىٰ: ﴿وَلَئِن زَالَتَآ﴾ وقرئ: (ولو زالتا) ﴿إِنْ﴾ أي: ما ﴿أَمْسَكَهُمَا﴾ أي: يمسكهما، و﴿إِنْ أَمْسَكَهُمَا﴾ جواب القسم في ﴿وَلَئِن زَالَتَآ﴾ سد مسد الجوابين، و﴿مِنْ﴾ الأولىٰ زائدة والثانية للابتداء في ﴿مِنْ أَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِهِۦٓ﴾ من بعد إمساكه ﴿غَفُورًا﴾: (تا) روي عن بعضهم أنه كان محبوسًا وكان يعرض غدوة وعشية ليقتل، فرأىٰ النبي ﷺ في النوم فقال له: إقرأ، [ق/ ٣٢٩ب] فأشار إلىٰ هذه الآية، فقال: كم أقرأ؟ فقال: أربعمائة مرة، فقرأ، فلم يذكر عشرين ليلة ثم أخرج.

لما بلغ قريشًا أن أهل الكتاب كذبوا رسلهم حلفوا إن جاءهم رسول اتبعوه،

فنزل ﴿وَأَقْسَمُواْ﴾[(١)] أي: كفار مكة ﴿لَئِن جَآءَهُمْ نَذِيرٌ﴾ والساد مسد الجوابين ﴿لَّيَكُونُنَّ أَهْدَىٰ مِنْ إِحْدَى ٱلْأُمَمِ﴾ أي: اليهود والنصارىٰ؛ لأن كل واحد منهما أمم، وليس المراد إحدىٰ الأمتين دون الأخرىٰ بل هما جميعًا؛ لأن ﴿إِحْدَى﴾ شائعة فيهما؛ لأنها تصلح لكل واحدة منهما، ولم يقل: «الأمتين» ولا «الأمم» بل ﴿إِحْدَى﴾ لتعم جميع أفراد الأمتين؛ لأن ﴿إِحْدَى﴾ تأنيث أحد، كأنه قال: لنكونن أهدىٰ من كل واحدة من الأمم، ولو حذف ﴿إِحْدَى﴾ لجاز أن يراد بعض الأمم، أو المعنىٰ: لنكونن أهدىٰ من الأمة التىٰ يقال لها: إحدىٰ الأمم تفضيلًا لها في الهدىٰ، ومنه قولهم في الداهية: هي إحدىٰ الدواهي، أي: العظيمة، وإحدىٰ من السبع أي إحدىٰ ليال عاد في الشدة.

﴿فَلَمَّا جَآءَهُمْ نَذِيرٌ﴾ هو محمد ﷺ ﴿مَّا زَادَهُمْ﴾ مجيء النذير عن الإيمان ﴿إِلَّا نُفُورًا﴾: (تا) إن نصبت ﴿ٱسْتِكْبَارًا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ مصدرًا، ولا أحبه إن نصبته بدلًا من ﴿نُفُورًا﴾، أو مفعولًا له أو حالًا، ثم تعطف علىٰ ﴿نُفُورًا﴾ أو ﴿ٱسْتِكْبَارًا﴾ ﴿وَمَكْرَ ٱلسَّيِّئِ﴾ القراءة بإسكان الهمزة تخفيفًا كـ﴿بَارِئِكُمْ﴾، وزعم بعضهم لجهله بكلام العرب أنه لحن وهو اللاحن، وبكسرها علىٰ الأصل، وأصله وإن مكروا السيء، أي: المكر السيء ثم ومكر السيء، وأضيف المكر إلىٰ السيء اتساعًا، **وقرئ**: (ومكرًا سيئًا)، والمكر السيء كل عمل قبيح، أو الشرك وإرادة قتله ﷺ، قال ﷺ: «**لا تمكروا ولا تعينوا ماكرًا، فإن الله يقول**: ﴿وَلَا يَحِيقُ﴾ أي: لا يحل ويحيط ﴿ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ﴾ **وقرئ**: بضم الياء ونصب المكر، أي: ولا يحيقه الله تعالىٰ ﴿إِلَّا بِأَهْلِهِۦ﴾: (كا).

تلخيصه: وبال الشرك مختص بمن أشرك ﴿ٱلْأَوَّلِينَ﴾: (كا) **المعنىٰ**: هل ينتظر هؤلاء إلا أن ينزل بهم العذاب كما نزل بمن تقدمهم ﴿فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ﴾: في نزول العذاب بالكفار ﴿تَبْدِيلًا﴾: (كا) ﴿وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحْوِيلًا﴾: (تا)

---

(١) انظر: «لباب النقول» (ص/ ١٦٥).

للعذاب إلىٰ غير مستحقه، تلخيصه:

﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَكَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً ۚ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِن شَيْءٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ ۚ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا (٤٤) وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا مِن دَابَّةٍ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۖ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِ بَصِيرًا (٤٥)﴾

لابد أن يوجد معلومه تعالىٰ: ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا﴾ أي: المشركون.

﴿فِي الْأَرْضِ﴾ إلىٰ متاجرهم ﴿فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ﴾ الهالكين ﴿مِن قَبْلِهِمْ﴾ [ق/ ٢٠٠أ] لما كذبوا الرسل ﴿وَكَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً﴾: (كا) فأهلكوا مع ذلك.

﴿فِي الْأَرْضِ﴾: (كا).

﴿قَدِيرًا﴾: (حس).

وقد ذكر في النحل ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ﴾ الآية، لا أحب الوقف علىٰ ﴿مِن دَابَّةٍ﴾ للعطف في ﴿وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾: (كا) وقت معلوم.

﴿بَصِيرًا﴾ (تا).

فهرس الجزء الثالث

سورة النحل

سورة الإسراء

سورة الكهف

سورة مريم

سورة طه

سورة الأنبياء

سورة الحج

سورة المؤمنون

سورة النور

سورة الفرقان

سورة الشعراء

سورة النمل

سورة القصص

سورة العنكبوت

سورة لقمان

سورة السجدة

سورة الأحزاب

سورة سبأ